THE AMAZING COVENANT
Interpretation of the book of SONG OF SONGS

By

Reverend Father Musa Matti
Alshamani

Syrian Orthodox Church of
Ba'sheeka, Nineveh,Iraq

1974

الميثاق العجيب
في تفسير نشيد الانشاد

الخوري موسى متي الشماني

كاهن كنيسة بعشيقة للسريان الارثوذكس

العراق

١٩٧٤

تقديم

قداسة مار اغناطيوس زكا الاول عيواص

بطريرك انطاكية في العالم للسريان الارثوذكس

٢٠٠٥



شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العميق لسيادة الأستاذ سركيس اغاجان مامندو نائب رئيس الوزراء ووزير المالية في حكومة كردستان لما قدمه من تسهيلات وطبع هذا الكتاب على نفقته الخاصة نرجو الله أن يُديم حياته الغالية لخدمة الكنيسة والإنسانية .

عائلة المرحوم

الخوري موسى متي الشماني

و

كنيسة ماركوركيس

بحزاني

الكتاب : الميثاق العجيب في تفسير نشيد الانشاد

المؤلف : الخوري موسى متي الشماني

تقديـــم : قداسة البطريرك زكا الأول عيواص

الطبعة : الأولى ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٠ نسخة

المطبعة : دار الشــروق للطبــاعة
AL-SHUROOQ PRINTING HOUSE
Tel.7171903

بقلم قداسة مار اغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك انطاكيه في العالم للسريان الأرثوذكس

بعد حمد الله تعالى نقول:

يرى أغلب علماء الكتاب المقدس ان سفر نشيد الإنشاد احد اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس القانونيه، كتب باللغة العبرية وكان في عداد الأسفار التي جمعها عزرا الكاتب بعد عودة اليهود من السبي البابلي سنة ٥٣٤ ق. م وترجمت تلك الأسفار الى اللغة اليونانية بأمر بطليموس فيلادلفيوس نحو سنة ٢٨٢ ق. م وأطلق عليها اسم الترجمة السبعنيه.

إن مؤلف سفر نشيد الانشاد هو سليمان بن داود الذي كتب أيضا سفري الأمثال والجامعة. ولا غرو من ذلك فإن في حياة سليمان تناقضات عديدة فقد طلب من الله أن ينعم عليه بالحكمة، فاستجاب تعالى طلبته، وقد خبر سليمان الحكيم الحياة الدنيا وسبر غورها، وعرف سرها وذاق حلوها ومرها وخيرها وشرها، ومما يؤسف له أنه هوى في وهدة المعاصي. وأنحط إلى درك الأهواء الرديئة وتمرغ في حمأة الآثام والمعاصي، ولا ندري فيما إذا كان قد تاب وعاد إلى الله أو مات هالكا، الأمر الذي حير الأتقياء والحكماء وعلماء اللاهوت، فوضعوا أمام اسمه علامة استفهام كبيره وتساءلوا عما إذا كان سليمان يعتبر مع الأبرار أم مع الأشرار؟ الله أعلم. ولكنه في جميع ما تقلّبه في مراحل حياته من أحوال، قدم لنا في سفري الأمثال والجامعة زبدة ما اكتسبه من حنكة وخبرة وكشف النقاب عن سر الحياة الدنيا بقوله في سفر الجامعة "باطل الأباطيل قال الجامعة باطل الأباطيل الكل

باطل. ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس" (جا١:٢). اما في سفر نشيد الانشاد الرمزي فيوضح لنا سليمان محبة الله للبشر، وأن نفس الإنسان لا تنال الراحة والطمأنينه، ولا الشبع والارتواء، إلا بالله تعالى، ويعتبر هذا السفر رمزيا فهو يمثل لنا خاصة محبة الرب يسوع المسيح لكنيسته التي هي عروسه وهو عريسها والحب الخالص العميق المتبادل بينهما. ولا يمكن أن يفهم هذا حبا جسديا بل روحي ورمزي، ولكن لكي تدرك عقولنا البشرية المحدودة عمق هذا السر الإلهي العجيب ، يشبه الرسول بولس هذه العلاقة بين المسيح وكنيسته بعلاقة الرجل بزوجته والزوجة بزوجها بقوله "ايها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب، لان الرجل هو راس المرأة ، كما ان المسيح ايضا هو راس الكنيسة وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شئ. ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح ايضا الكنيسة واسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥: ٢٢-٢٧). واعتبر بعض المفسرين المزمور الخامس والأربعين مفتاح سفر نشيد الانشاد وهذا المزمور هو ترنيمة غزلية رمزيه بل هو أغنية الحب الإلهي التي تتضمن المعاني الالهيه اكثر عمقا مما يفهم من قراءتها قراءة ساذجة وسطحيه. فهو ايضا مناجاة الكنيسة لعريسها المسيح بقولها له "أنت ابرع جمالا من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وابغضت الاثم من اجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج اكثر من رفقائك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب اوفير" (مز٤٥: ٢-٩). ويأتي جواب العريس المسيح يسوع لعروسه الكنيسة بقوله

"اسمعي يا بنت وانظري واميلي اذنك وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك لانه هو سيدك فاسجدي له" (مز٤٥: ١٠و١١).

وحيث ان سفر نشيد الانشاد يضم بين دفتيه عبارات دنيويه في وصف مفاتن المرأة والتغزل بها مما قد يكون سببا في إثارة الشهوات الجسدية الدنيئه، نصح علماء الشريعة الموسوية في العهد القديم الا يسمح للمرء ان يقرا هذا السفر قبل بلوغه الثلاثين من العمر، كما ان كنيستنا السريانيه الارثوذكسيه عندما عينت فصولا خاصة من أسفار الكتاب المقدس بعهديه لتتلى على مسامع المؤمنين قبل البدء بالقداس الإلهي أيام الآحاد والأعياد، استثنت سفر نشيد الانشاد فلم تعين منه قراءة ابدا. اما الذي قد تعمق بدراسة الكتاب المقدس ومارس عبادة الله بالروح والحق وزهد بالدنيا وتدرج في مرقاة الفضائل الساميه، تلتذ نفسه روحيا كلما ناجى الله تعالى بعبارات المحبة العميقة الروحية الرمزية المدونة في سفر نشيد الانشاد، وهو يدرك ان تشبيه الحب الإلهي بالحب البشري هو تشبيه رمزي روحي محض يربط النفس بالله تعالى، وان في مقدمة هؤلاء الزهاد والنساك الناضجون روحيا الذين خبروا لذة الشركة الروحية مع الله في محبة عميقة الذين يصفهم مار غريغوريوس ابن العبري مفريان المشرق (+١٢٨٦) بكتابه الحمامة بأنهم يحيون حياة الفة وشركة مع الله وتنفتح عيون عقولهم وتفيض النعمة في قلوبهم ويستضيئون بأشعة الملائكة الساطعة ويستأنسون بأهل الملكوت وينضمون إلى أجواقهم السعيدة ويبلغون الحالة التي تدعى (العزاء بالله أو السلوى به تعالى). هؤلاء يسبرون غور أسرار نشيد الانشاد ويناجون الله بعباراته بالروح والحق.

ويقول مار اسحق النينوي"ان حالة التشبه بالله يدعوها بعضهم بالسحاب كما يستعمل تعبيرا آخر حيث يقول "انك تجد أجنحة العقل تنمو في أحشاء العفة وبهذه

الأجنحة يرتفع العقل إلى المحبة الإلهية فيجرؤ على التقرب من السحاب" كم يصف لنا مار اسحق النينوي انخطاف عقل الناسك بعبارات الشوق انه حيث يغيب عن حسه، بقوله "حقا ايها الاخوة ينسى الناسك احيانا ان نفسه لا تزال لابسة الترابي ولا يعرف فيما إذا كان لا يزال على الأرض (يعيش)".ولما وقف الرسول بولس على سر هذه الأمور قال "انه سمع كلمات لايُنطق بها ولا يسوغ لإنسان ان يتكلم بها" ويتابع ابن العبري قوله كتاب الحمامة قائلا "متى اتحد العقل بالصالح فانه يترك اسم المحبة والمودة لان المحب والودود يصير ههنا شخص المحبوب المودود (ذاته) وهنا يبلغ الناسك أوج الأمر الذي عقد عليه قلبه ووطن نفسه و لم ينثن عنه فأدركه وبذلك ظفر بأمنيته ونال مراده وفاز بالسعادة الأبدية[١]. من جملة هؤلاء النوادر من المؤمنين الذين نالوا سعادة التقرب من الله تعالى، رجل الله البار المرحوم الخوري موسى متي الشماني الذي سبر غور معاني أسرار الحب الإلهي وتعمق بدراسة الكتاب المقدس وحل الرموز الروحية لسفر نشيد الانشاد بكتابه (الميثاق العجيب في تفسير سفر نشيد الانشاد) الذي بين يديك ايها القارئ الكريم ليشركنا جميعا بلذة الشركة مع الله والهيام بمحبته تعالى. وأرى من المفيد جدا ان أقدم إليك هذا الإنسان الملهم، قبل البدء بقراءة كتابه النفيس، مقتبسا عبارات كنت قد كتبتها عنه عام ١٩٧٣ ضمن مقدمة لكتاب نقحه ونشره وهو عبارة عن عظات للمثلث الرحمة مار باسيليوس بهنام الرابع مفريان المشرق (١٨٥٣–١٨٥٩+). قد قلت عنه في تلك المناسبة ما يأتي "أن الأب موسى واعظ ناجح سمعته في مناسبات عديدة فلمست من خلال عظاته القيمة روحه الشفافة، ونفسه العصامية، فأستاذه الأول

---

[١] انظر (ص٥١و ٥٤و ٥٥) من الطبعة الثالثة التي نشرت بدمشق من كتاب الحمامة للعلامة الكبير مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفريان المشرق (+١٢٨٦) الذي حققنا نصه السرياني وعربناه في عهد مطرنتنا ونشرناه اولا في بغداد عام ١٩٧٤

وأستاذه الأخير هو الكتاب المقدس الذي جعل منه سميره بياض نهاره وسواد ليله. وأن مرشده الأمين هو تفسير الآباء السريان للكتاب العزيز. يضاف الى ذلك غيرة مسيحية طبع عليها، ومحبة أصيلة للكنيسة وأبنائها، بل غاية شريفة ينشدها من عظاته وهي تقديم المسيح يسوع للمؤمنين به وتقديم المؤمنين للمسيح، وهذا هو الهدف السامي الذي يرغب الوصول إليه كل واعظ امتلأ قلبه بالروح القدس والحكمة"[٢].

ولد المرحوم الخوري موسى متي الشماني في بلدة بخزاني من أعمال مدينة الموصل في شمال العراق عام ١٩٢٤ وأتم دراسته الابتدائية في بلدته والدراستين المتوسطة والثانوية في مدينة الموصل. وتخرج معلما وزاول مهنة التعليم في أماكن شتى في العراق والى جانب ذلك كان شغوفا بدراسة العلوم الدينية وهو عصامي ونسيج وحده. أختاره الله لخدمة كنيسته فرسم كاهنا عام ١٩٥٨ لرعاية بعشيقة البلدة المجاورة لبلدته بخزاني، وكان مثالا صالحا للكاهن التقي الذي يعظ الناس بسيرته الطاهرة النقية وبعظاته البناءة، فقد كان خير شاهد للرب يسوع قولا وعملا. ومثالا حيا للكاهن المثقف المتعمق في الدراسات الروحية وتلميذ المسيح الأمين الذي حمل صليب الرب يسوع وتبعه في طريق الجلجلة وأقتدى برسله الأطهار وتلاميذه الأبرار في حمل مشعل الإنجيل المقدس وأنارة مجتمعه بنوره الإلهي، وكان شعاره ما قاله الرسول بولس حبيبه. "فويل لي أن كنت لا أبشر" (١كو٩ :١٦) وكان الرسول بولس حبيبه ومعلمه في آن معا. وهكذا خدم الرعية بالتضحية

---

[٢] عظات مختارة لمار باسيليوس بهنام الرابع مفريان المشرق (١٨٥٢-١٨٥٩+) نقحها ونشرها الخوري موسى متي الشماني كاهن كنيسة السريان الأرثوذكس في بعشيقة العراق كتب المقدمة المطران زكا عيواص ١٩٧٣ طبع في بغداد.

ونكران الذات، وانتقل الى جوار ربه في شرخ شبابه عام ١٩٧٦ وسجل اسمه في عداد الخالدين في تاريخ كنيستنا السريانيه الأرثوذكسية رحمه الله. والى جانب عمله الرعوي ككاهن وواعظ ومعلم كان يهتم بالكتابة فقد نشر على صفحات مجلتنا البطريركه الدمشقيه مقالات نفيسة تحت عنوان (الإله المعلوم) اعجبت قراء المجله كثيرا فجمعها بناء على طلبهم في كتاب نفيس سد فراغا في مكتبه الكنيسة المسيحيه.

أما كتابة النفيس (الميثاق العجيب في تفسير سفر نشيد الانشاد) الذي بين يديك ايها القارئ الكريم فيسجل الخلود لقلمه السيال، وفكره الروحاني. فنأمل ألا تكتفي بمطالعته فقط بل ان تدرسه دراسة عميقة مقرونة بالتأمل والصلاة، ليكون لك غذاء روحيا ولتشملك نعمة الرب آمين.

مقدمة الكتاب

سفر نشيد الانشاد الذي لسليمان بن داؤد، سفر كتابي جليل قد تعشّقته كما تعشّقه الكثير من عشاق يسوع المسيح الذين رأوا فيه أعماقا للحب والحبيب. فكان لهم في القلوب نارا للحب مشتعلة وفي الأرواح خمرة معتقة وفي القلوب حكمة مجنحة وفي الأجساد قداسة ملتهبة وفي الضمائر حقا للإنجيل منتصرا وفي الارادات طاقة للمسيح مقتحمة وفي الشخصيات عملقة بالروح القدس غالبة.

سفر النشيد يقرأه الإنسان العادي فيرى فيه غزلا جنسيا ليس إلاّ ويقرأه إنسان الخطيئة فيرى فيه حبا رخيصا مبتذلا. كما ويقرأه إنسان الله فيرى فيه ما لم ترد عين ويسمع عنه ما لم تسمع به اذن ويتفهم منه ما لم يخطر على بال إنسان. انه يرى الحب كما هو الحب في أزليته ويسمع الحب كما هو في أعماقه ويتفهم الحب كما هو في فدائه.

اجل يرى فيه (سفر النشيد) قديس المسيح الحب المتبادل بين المسيح كطرف أول وبين إنسانيته الجديدة (الكنيسة) كطرف ثان. ولا عجب في ذلك لانه اذا ما وقف الإنسان العادي أمام المسيح فسيرى فيه إنساناً عادياً سوياً. وإذا ما وقف أمامه إنسان الخطيئة فسيرى فيه ساحراً مضلاً "وانه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين"(مت١٢: ٢٤). ولكن اذا ما وقف في حضرته إنسان الله فسيرى فيه بعين الروح القدس إلهاً متجسداً ومخلصاً عزيزاً. وذلك لان مقياس معرفة المسيح يتماشى إطلاقاً مع درجة محبته. أما العبارات الحبية التي قد جاءت في هذا السفر الجليل والكلمات الغزلية الواردة فيه، إن هي إلا مفاتيح لفتح أبواب الحب وفك

ختومه السبعة والدخول إلى مدينته، مدينة الجمال والفن والحياة في المسيح يسوع. لان الله ذاته والذي هو الحب الأزلي لما أراد أن يعلن نفسه للإنسان ويتقرب إلى عقله وروحه بالحكمة والى قلبه ونفسه بالمحبة والى جسده بالتجسد والقداسة، تجسد إنسانياً في الإنسان وفي شخص العذراء مريم واكل وشرب معه كقول الرسول يوحنا "الذي كان من البدء الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا وشاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١يو١: ١).

هكذا كذلك لما أراد الله أن يبلغ حبه لكنيسته الجديدة، كلمها بأسلوب طبيعي وبألفاظ غزلية مألوفة ليثير بها حساسيتها الروحية وعواطفها النفسية وأفكارها العقلية وأعضاءها الجسدية فتنجذب إليه اذاك انجذاب حبيبة لحبيب فتهجر بذلك عشاقها القدامى وتقاطع أحباءها الساقطين وتكسر أصنامها الجامدة وتكتفي به حبيباً اصيلاً وفادياً مجيداً. "فمن اجل هذا رأيت أنا ايضاً أن اكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لكي تعرف صحة الحب الذي تعشقته وتعلقت به" (لو١: ٣). وذلك لكي يكون لك أنت ايضاً شركة مقدسة معنا بالحب. واما شركتنا نحن فهي مع الله الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يو١: ٣).

قد كتبت إليك يا إنسان الله في كتاب لا بداية لكلماته ولا نهاية لمسراته، هو كتاب الحب والحبيب، كتاب يسوع المسيح. كتبت هذا وأنا في أقسى أيامي محنة واشدها ضعفاً واعنفها مرضاً، هو مرض القلب. بل وارهقها نفساً ونَفَساً وذلك "لان المحبة قوية كالموت والغيرة قاسية كالهاوية، لهيبها لهيب نار لظى الرب، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها. إن أعطى الإنسان كل ثروته بدل المحبة تحتقر احتقارا" (نش٨: ٦-٧).

لقد كانت النوبات القلبية المتكررة اليومية توقفني عن الكتابة كانت تجمد دمائي في عروقي وتصلب شراييني في داخلي وتعرّق جسمي بعرق الموت فتسقط القلم من بين أصابعي الأمر الذي كان يبكيني ويهطل الدمع من عيني حيث يتعوق العمل وتتوقف الكتابة عن قضية حياتية أساسية هي قضية محبة المسيح للكنيسة وللنفس البشرية. ولكن رغم كل المعوقات الصحية هذه كنت أتعزى واتقوى بكلمات الرب يسوع للرسول بولس القائلة "تكفيك نعمتي لان قوتي في الضعف تكمل" (٢ كو١٢: ٩). لذلك استغرق العمل في كتابة هذا الكتاب المتواضع والموسوم بكتاب "الميثاق العجيب في تفسير نشيد الانشاد" أربع سنوات كاملة كنت فيها منكباً على الكتابة كلما خفت حدة النوبة. غير أنني في العمل هذا لم اقرأ كتاباً ما في الموضوع الجليل الخطير لا للآباء الأولين ولا للكتاب المتأخرين. وذلك ليس ترفعاً ذاتياً أو استنقاصاً غيرياً تجاه رجال بالحق في رسالة الحب عمالقة وفي نعم القدير جبابرة. بل لكوني لم احظ بكتاب في هذا الموضوع، ناهيك عن نزعة روحية خاصة هي الاعتماد الكلي على الروح القدس النابض في قلب الكتاب المقدس سفاراً وكلمات والفاظاً. بل إنها لمتعة روحية حقاً والتي يغطس القلب في الأعماق ويستخرج ما فيها من جواهر ثمينة وكنوز كريمة ومسرّات للمسيح الحبيب عجيبة.

ولكن مهما كانت الكتابة هذه فهي قطرة ماء من بحر آبائنا الأولين وكلمة واحدة من كتاب لاهوتيينا المعروفين والسباحين الغواصين وصدى ضعيف لذياك الصوت الرسولي الأول بل وتر هزيل في قيثارة هاتيك الأجواق الموسيقية السيمفونية في عالم الحب والحبيب. لأننا اليوم إنما نكتب كلمات الحب هذه فوق القرطاس كتابة واما هؤلاء العباقرة الروحانيون فلقد كتبوها نارا ودما على القلوب وعاشوا الحب إنجيلا حياً مقروءاً من الناس ومسموعاً. لهذا سوف تنطوي أجيال وتتفتح أخرى ونحن

جميعنا اليوم لا زلنا أطفالاً واقزاماً نتمشى على شواطئ هؤلاء القديسين المختارين الذين بقوة الروح القدس قد صارعوا أمواج البحر الكبير وغطسوا من ثم في أعماق الكتاب والحب يستخرجون منه كل كنز للحق ثمين وكل ميراث للحب عزيز.

لذلك نحن ايضاً قد اعتمدنا في كتابنا هذا (الميثاق العجيب) الكتاب المقدس مرجعاً وحيداً ومرشداً اميناً. اعتمدنا فيه الطريقة الروحية الصرفة في إطار عقيدة الكنيسة الرسولية الجامعة وذلك ليكون الكتاب كتاباً وعظياً لهواة الحب ومائدة دسمة لعشاقه وشعلة مستعارة في قلوب أبنائه. كما وقد تأتي في هذا الكتاب أفكار روحية وتحاليل لاهوتية وجولات فدائية قد أتى عليها الذين سبقونا في البحث والاستقصاء وهذا لا يعني أننا قد أخذنا ذلك عن غيرنا خلسة بل إنما يدل على أن الروح القدس العامل في الكنيسة هو روح واحد في كل زمان ومكان. ذاك الروح المجيد الذي يستقطب دوما الكشف الدائب عن أعماق أمجاد المسيح الفدائية التي لا تحد ولا تستقصى. كما وإننا لا نحسب كتابنا هذا هو فصل الخطاب في موضوع الحب والنشيد بل إنما هو مبتدئ في دائرة المعارف الإلهية الرسولية. ولعله يكون كتاباً روحياً في عصر كادت الكنيسة عموماً تنام فيه النوم الثقيل في اسفل السفينة مع يونان.

واما أبحاث الكتاب هذا فتدور في المجالات الأساسية الآتية:-

١- العذراء مريم هي الخلية الحية الجديدة التي استقطبها المسيح الحبيب بالحب والتجسد وفي مجالها العذراوي قد تمثل الحب تمثيلاً وتجسد الله تجسيداً مطلقاً وذلك باعتبارها للكنيسة العتيدة أمّا وللإنسانية الجديدة صورة وللنفس المتجددة مثالاً ونموذجاً. كما أن حواء هي الأخرى الخلية الميتة القديمة والتي استقطبها الشيطان

العدو بالخطيئة. وفي مجالها المتعفن قد تمثل الأعداء تمثيلاً وتجسد الإثم فيها تجسيداً وذلك باعتبارها الإنسانية الساقطة أمّا وصورة ومثالاً.

٢- كنيسة القديسين هي امتداد تجسدي روحي للتجسد الإلهي العذراوي بواسطة إنجيل يسوع المسيح. وهي بذلك انعكاس لواقع العذراء وميلاد الإله المتجسد يسوع المسيح بين الشعوب والأمم ميلاداً روحانياً. وبهذا المفهوم باتت كنيسة القديسين وهذا الواقع هي الأخرى أمّا للإنسانية الجديدة وصورة للنفس المتقدسة. وفي مجالها العذراوي والروحي راح الحب يتمثل تمثيلاً والإله المتجسد يتجسد بها تجسيداً ابدياً روحياً.

كما أن كنيسة إسرائيل قد زنت عن محبة الله كحواء الأولى الساقطة بصلبها يسوع المسيح وقد استقطبها الشيطان واتخذها له مستعمرة، بل بالعداء والاثم قد تجسد فيها تجسيدا فصارت بذلك للسقوط مثالاً وللعداوة صورة وللمظالم نموذجاً. الواقع الذي شخصه يسوع المسيح بقوله "انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدوا أن تصنعوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لان إبليس ليس فيه حق. متى تكلم فانما بالكذب يتكلم مما له لانه كذاب وأبو الكذاب" (يو٨: ٤٤). لذلك قد حكم المسيح على هذه الأمة شعباً وكنيسة بالدينونة.

٣- يقر الكتاب واقعية الحب الجنسي وضرورته ويعمق معانيه ويوسع أبعاده ويركز أهدافه بل نظير الإنجيل يعتبره الصورة الحية النامية لزواج المسيح الروحي الفدائي بالإنسانية الروحية الجديدة وفي شخصية الكنيسة المقدسة وفي هذا المعنى يقول الرسول بولس "أيها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح الكنيسة واسلم نفسه لاجلها. من اجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان

جسداً واحداً، هذا السر عظيم ولكني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (اف٥: ٢٥-٣٢). لانه كما أن للجسد حبه الجنسي المعروف ولغته المعروفة، هكذا للروح ايضاً حبها الإلهي المعروف ولغتها السماوية المعروفة. ولما كان الإنسان في واقعه روحاً وجسداً كقول الرسول بولس "يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني" (١كو١٥-٤٤). فللإنسان اذن بالضرورة وهذا الواقع الحياتي محبته الجنسية القائمة اصلاً على الجنس الآخر "لكونها عظم من عظامه ولحم من لحمه" (تك٢: ٢٣). وله كذلك محبته الروحية القائمة اصلاً في المسيح المتجسد المصلوب والذي نحن فيه صرنا لحماً من لحمه وعظماً من عظامه.

٤- إن النفس البشرية المتجددة في المسيح يسوع لها جذورها العميقة في واقع العذراء التجسدي وقيمتها العظمى في واقع الكنيسة التجسدي الروحي وإنها بالمحبة والإيمان تنحدر تلقائياً من ذياك الصلب المقدس.

فلهذا جاء كتاب الميثاق العجيب هذا كتاباً للإنسان البشري على وجه العموم لانه كتاب عن ابن الإنسان وللإنسان وبهذا المنظار المتفتح لم يعد كتابا طائفياً صرفاً ولا حتى كتاباً لكنيسة معينة بل كتاباً كنسياً جامعاً وكتاباً إنسانياً عاماً لكونه كتاباً للحب. والحب في اصله الأزلي ملك شاع للجميع كقول الرسول يوحنا "هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦). ولما كان الكتاب هذا وفي كل مجالاته وأبحاثه يدور حول ميثاق معقود بين طرفين طرفه الأول يسوع المسيح المحب الفادي وطرفه الثاني الإنسان التائب المؤمن لذلك أسميناه "بالميثاق العجيب في تفسر نشيد الانشاد".

وعندما نتحدث عن الكنيسة في هذا الكتاب فإننا لا نوجه الكلام إلى كنيسة محددة وانما إلى جميع الكنائس المسيحية وما وصل إليه البعض من تدني في المستوى الروحي. حيث انتشر وخصوصاً في بلاد الغرب كثير من الكنائس ذات بدع مختلفة واهداف مالية متنوعة وأغراض سياسية مشبوهة تقوم بتفسير كتاب الله بأشكال مغرضة. حيث انتشر معلمون كذبة يبتغون من الإنجيل لا أسلوبا للعيش فقط بل لجمع الأموال وهم يجرفون بتياراتهم ولججهم الشريرة، الملائين من البسطاء. الأمر الذي يحزن روح الله القدوس. نعم إلى جميع الكنائس المسيحية بكافة طوائفها اوجه هذا الكتاب ولله المجد سرمدا. آمين

الخوري موسى متي الشماني

كاهن كنيسة بعشيقة للسريان الارثوذكس

محافظة نينوى/العراق

١٩٧٤

الإصحاح الأول

١ – نشيد الانشاد الذي لسليمان

لقد كانت لسليمان بن داؤد أناشيد عديدة وأفراح عالمية كثيرة. ولكن بجانب كل ذلك كان له نشيد آخر أساس، هو نشيد الحياة في المسيح يسوع وفرح آخر هو فرح الحبيب الأعلى. وكان نشيد انشاده هذا يتوسط تلك الأناشيد الكثيرة ويسود هاتيك الأفراح العديدة، تلك الأناشيد والأفراح التي راح سليمان الملك يعلّل نفسه بها أياماً فكتب عنها يقول" افتكرت في قلبي أن أعلّل جسدي بالخمر وقلبي يلهج بالحكمة وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السماوات مدة أيام حياتهم. فعظمت عملي. بنيت لنفسي بيوتاً. غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنّات وفراديس. وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقي بها المغارس المنبتة الشجر. قنيت عبيداً وجواري وكان لي ولدان البيت. وكانت لي أيضاً قنية بقر وغنم اكثر من جميع الذين كانوا في أورشليم قبلي. وجمعت لنفسي ايضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان. اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات. فعظمت وازددت اكثر من جميع الذي كانوا قبلي في أورشليم. وبقيت أيضا حكمتي معي. ومهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما. لم امنع قلبي من كل فرح. لان قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي" (جا٢ :٣–١٠).

اجل هذه هي الأناشيد غير الموزونة والأوتار المتقطعة والأفراح المبعثرة الباطلة التي تعلّل بها سليمان أياماً. ولكنه بعد اختبار قاس ومرير، حكم على تلك الأناشيد كلها بالبطلان بقوله" ثم التفتُ أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي والى التعب

الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" (جا٢ : ١١).

فلا عجب إذا ما رأينا هذا الملك العظيم ينقلب على ذاته وعلى أناشيده ومسرّاته ويبحث له عن نشيد آخر للحياة يشبع به ذاته العميقة. فكان له ذلك في نشيد ألانشاد ما أراد، هذا الذي للمسيح يسوع ربنا، ذلك النشيد السماوي الذي ملأ ويملأ الأرض والسماء بسمفونية الحياة والحان الخلود. فراح النشيد الجديد هذا يهز كيان سليمان هزا وينعش انسانه الباطن إنعاشا.

لقد جاء هذا النشيد حصيلة إيقاعات وعزف أصابع الرب الإله يسوع على أوتار نفس سليمان. لذلك راح ينشد النشيد جديدا فيقول" فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه. لأن هذا هو الإنسان كله" (جا١٢ :١٣). إذاً قد بات المسيح الحبيب للملك سليمان بعد إخفاقه (الملك سليمان) في أناشيده الجسدية، نشيداً روحيا خالدا وقيثارة في النفس حية وبسمة في الأعماق فائضة.

واما الآن فهل اختبرت يا قارئي العزيز ضحالة أناشيد الدنيا وأشواك ملذاتها وتبخر مسرّاتها وجفاف آبارها، كما اختبرها الملك سليمان من قبلك؟ ألست تعلم حتى الساعة ما يعلمه القديسون الذين من الدهر "أن كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة (١يو٢ :١٦_١٧)؟ وهل اختبرت كذلك عذوبة نشيد ألانشاد وحلاوة يسوع المسيح كترنيمة في الآذان وقيثارة في القلوب؟

إن ما تحتاج إليه حقاً أيها القارئ العزيز هو حكمة سماوية من فوق كحكمة الملك سليمان، لتتعرف يقيناً إلى يسوع المسيح، نشيد انشاد سليمان. وذلك ليس للحياة الحاضرة فحسب بل للحياة العتيدة أيضا.

ولكن كيف استطاع الملك العظيم سليمان أن يسمع نغمات يسوع المسيح هذه وصوته الموسيقي الناعم وهو في وسط أناشيد الجسد المنكرة وصرخات العالم المزعجة؟ أليس بسد الآذان عن هاتيك الأصوات الناشزة ونقيق تلك الضفادع النجسة.وفتحها بالتالي لالتقاط النشيد من قيثارة الإنجيل، إنجيل يسوع المسيح؟ بل كيف لا تنتفض النفوس من قبورها وتكسِّر أوتار أناشيدها وشهواتها كما فعل سليمان إذا ما عُزف نشيد الإنجيل في مسامعها عزفاً قوياً ورنت أجراس الإيمان والمحبة في أعماقها رنيناً عذباً وعنيفاً؟ كما هو مكتوب "الحق أقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون"(يو٥ :٢٥)

فإلى نشيد أنشاد سليمان أيتها الكنيسة العالمية والى يسوع المسيح أيتها النفس البشرية ليقبلك بقبلات فمه لان محبة المسيح الحبيب أطيب من الخمر.

٢- ليقبلني بقبلات فمه لان حبك أطيب من الخمر

اجل إنها ليست قبلة واحدة يطمع فيها الملك من حبيبته لكنها قبلات سبع يلاحق بعضها بعضاً، فهي بالحق قبلات حارة ودافئة تشتعل حباً وتسطع نوراً وتلتهب ناراً يضعها الملك سليمان في فم حبيبته روحاً وحياة. كيف لا وقبلات سليمان هذه هي مثال لقبلات ملك السلام وسلطان الحكمة يسوع المسيح لفم حبيبته وعشيقة قلبه كنيسة القديسين؟ أو ألم يقبّل المسيح الحبيب شفاه عروسه هذه قبلته الأولى يوم خطبها لنفسه بالصليب حبيبة؟ ألم يطبع على فمها سبع قبلات، هي سبعة

أسرارها المجيدة؟ كيف لا والملك سليمان يشير إليها بقوله" الحكمة بنت بيتها نحتت أعمدتها السبعة" (أم٩ :١-٢)؟ أفليست الأعمدة السبعة المنحوتة هذه، هي ذات القبلات السبع التي طبعتها حكمة يسوع المسيح على فم كنيسته بعدما صار من اجلها فوق الصليب ذبيحة وخمرة معصورة ومائدة مرتبة؟

ولكن، في فم أية كنيسة قد طبع الحبيب قبلاته السبعة هذه ووضع جواهره الغالية تلك؟ أليس في فم كنيسة الرسل الاثني عشر ومن سار في دربهم إيماناً وسيرة؟ أليس في فم الكنيسة الفتية التي خرجت من أورشليم تتبع المسيح مرفوعاً فوق خشبة ومصلوباً؟ أليس في فم الكنيسة التي قد نفضت نعليها وروحها عن اليهودية القاسية والعالمية الفاسدة وصعدت بعقليتها إلى العلية حيث يسكب الحب نار والقبلات السبع أنواراً ملتهبة؟ أليس في فم الكنيسة التي انطلقت إلى مفارق الطرق تحمل صورة الحبيب عالياً بين الأمم والشعوب والألسنة قاطبة؟ أليس في فم الكنيسة التي راح الإنجيل يشتعل في قلبها ناراً وحباً ويتقادح من أفواهها نوراً وقوة ومن أقلامها يسطِّر حقاً مرعداً ومن مجامعها يُشهَر سيفاً للروح بتاراً وفي دماء شهدائها يُسمع صراخاً مرعباً؟ أليست الحبيبة ذات القبلات هذه هي الكنيسة التي قال عنها النبي اشعياء" أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبني بالإثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً. بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك" (اش٥٤: ١١_١٤)؟

نعم أيتها الكنيسة الحبيبة ذات الأمجاد وامرأة الخروف المذبوح وقد تطهرت بالدم الزكي تطهيراً وتقدست بقبلات الحبيب السبعة تقديساً.كيف لا وقد جلست

كمريم تحت موطئ أقدام الحب المتجسد جلوساً واختارت لها بذلك المسيح المجيد حبيباً والنصيب الصالح اختياراً أبدياً. من اجل ذلك فُتحت لها أبواب الحب والحبيب فتحاً سماوياً مبيناً كقول النبي اشعياء" افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة ذو الرأي الممكن، تحفظه سالماً سالما" (اش٢٦ :٢-٣).

غير أن العذراء مريم هي الأخرى النموذج الأول والأساس لحبيبة الله الآب وكنيسة ابنه يسوع المسيح. ولم لا؟ ألم تحظ العذراء مريم هذه بالقبلات السبع الروحية البكر ومواهب الروح القدس والتي هي القداسة والطوبى والإيمان والمحبة والطاعة والمسرة واخيراً قبلة اللاهوت للناسوت ؟ وهل اَلِفَتْ البشرية عذراءِ كهذه في مملكة البشر وحتى في مملكة الملائكة في السماء؟ بل من أين للبشرية طراً وليداً عجيباً كوليد العذراء هذا يسوع المسيح ربنا؟ أفلا تحسب إذاً هذه الكلمات "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلّلك لذلك المولود منك قدوس وابن الله يدعى" (لو١: ٣٥)، قبلات أُوَلْ لله على شفتي الإنسانية وفي شخص العذراء بالذات؟ أفلا تكون العذراء مريم وهذه القبلات السماوية الإلهية، الحبيبة المختارة وباكورة الحب منذ الأزل لذياك الحب الأزلي المتجسد يسوع المسيح؟ كيف لا والعذراء البكر هذه، هي النموذج الأول والتصميم الأساس لكنيسة المسيح وحبيبته المصطادة بالحب والمفتداة بالدم؟

والآن فإن كانت العذراء مريم هكذا اساساً في بناء الكنيسة ونموذجاً لها وقاعدة انطلاق وبناء لشخصيتها، أفلا يتوجب على الكنيسة أن تخطط حياتها بمقتضى الروح القدس وحكمته والأساس العذراوي المجيد، لتحظى من ثم بذات القبلات السبعة نعمة فوق نعمة؟ وليس ذلك فحسب بل وأنت الأخرى يا نفسي أفلستِ

تعلمين بأنكِ خلية منحدرة من ذياك الصلب العذراوي بالإيمان والمحبة وما هو دورك الآن من ذياك الوليد الحبيب يسوع المسيح؟ وأين أنت اليوم من تلك القبلات الروحية والعقائدية السبعة؟ بل من أين تأتيك القبلات وتنهال عليك انهيالاً؟ أمن فوق أم من اسفل؟ أمن السماء أم من الأرض؟ أمن الله أم من الإنسان؟ أمن الحبيب الصادق المسيح الأمين أم من العدو الكاذب وضد المسيح؟ أفلا تذكرين يا نفسي بان يسوع المسيح قد احبك بالتجسد وفداك بالصليب فقبّلك بذلك قبلات سبعة مضاعفة؟ فعلام إذاً رحت تتعشقين الأجانب وابناء الغلف وتتلهفين لقبلاتهم المسمومة تلهفاً؟ فكوني عفيفة عذراء للمسيح يا ابنة العذراء والعذارى لترتوين بالحق حباً وتشبعين بالحب حقاً بل ترتوين وتشبعين قبلات للحب تارة وللحق تارة أخرى.

ولكن علامَ تعرجين بين الفريقين دوماً يا نفسي وترقصين غالباً على الحبلين، بل وتقبلين طراً الطرفين النقيضين؟ ألا تحبين الحق مرة والباطل مرة أخرى؟ كيف لا وأنت تقبلين الإنجيل داخل الكنيسة والإنجيل الآخر خارجها؟ صليب المسيح داخلها وصالبي المسيح خارجها؟ أسرار الكنيسة السبعة داخلها واعمال الجسد السبعة عشر خارجها(غل٥ :١٩-٢١)؟ أفلا يحسب هذا الاعتكاف بين الحبيب المسيح والشيطان خيانة سافرة سواء كان ذلك على الصعيد الشخصي أم على الصعيد الكنسي؟

والآن فإن كنا ونحن بعد خطاة لا نحتمل خيانة لزوجة لنا، بل لكرامتنا نثأر ثاراً. فكم بالحري الكريم المطلق يسوع، يغار على كرامته غيرة إذا ما خانته حبيبته خيانة وتنجست مع الأنجاس نجاسة؟ بل وكيف لا تطلق تلك النفس طلاقاً وتهجر تلك

الكنيسة هجراً إذا ما خانت عهد الحبيب خيانة وانقلبت عليه في الصليب انقلاباً، وذلك إن لم تتب عن كل نجاساتها توبة وترجع إلى الحبيب الأول رجوعاً؟ وإلا "فكم عقاباً اشر تظنون انه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة حيث يقول "لي النقمة أنا أجازى" ويقول ايضاً "الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي" (عب١٠: ٢٨-٣١)؟ إذاً نحن مدعوون جميعاً منذ القبلة الأولى بالمعمودية لنكون ممتلئين بالعفة والأمانة ثابتين في الميثاق مكرسين بقبلات المسيح يسوع ذلك الذي لا يزال يقبّلنا بقبلات فمه وكلمات إنجيله وشفتي كتابه. فهو يقبّلنا عندما نثبت في حبه، عندما نشهد لآلامه، عندما نتعبد لاسمه، عندما نكمل مشيئته، عندما نتألم لاجله. نعم المسيح يسوع لا يزال يقبّلنا قبلة حبيب لحبيبة، عندما نقبّل بعضنا بعضاً قبلة مقدسة وعندما نضيء عيون العميان بنور المسيح وعندما نفتح آذان الصم بصوت المسيح وعندما نكلم أفواه الخرس بكلمات المسيح وعندما نغذي عقول المجانين بحكمة المسيح وعندما ننعش قلوب الموتى بحياة المسيح وعندما نكسو أجساد العراة ببر المسيح وعندما نشبع بطون الجياع بخبز المسيح وعندما نُحذي أقدام الحفاة بسيرة المسيح.

ألا ما أشقى حياة العذارى من دون حب وحبيب ومن غير قبلات للحبيب، ولكن ما اعظم شقائهن من غير حبيب الهي كيسوع المسيح ومن دون قبلات كقبلاته. الحبيب الجسدي يروي جسدياً، أما الحبيب الروحي المسيح فإنه يروي روحياً. الحبيب الجسدي يفرح حيناً، أما الحبيب الروحي المسيح فإنه يفرح أبدياً. الحبيب الجسدي يقبّل حبيبته لاجل ذاته، أما الحبيب الروحي يسوع المسيح فإنه يقبّل حبيبته لاجل ذاتها. الحبيب الجسدي يتخلى عن حبيبته في المرض والشيخوخة، أما

الحبيب الروحي فيطوق حبيبته في المرض والشيخوخة تطويقاً ويحتضنها احتضاناً. الحبيب الجسدي يترك حبيبته وشأنها في موته، أما الحبيب الروحي يسوع المسيح فيتحد مع حبيبته في موته اتحاداً. لأن الموت يفصل بين الحبيب الجسدي وحبيبته فصلاً أبدياً ولكنه يوحّد بين الحبيب الروحي يسوع المسيح وكنيسته اتحادا أبديا ويثبتهما في بعضهما تثبيتاً سرمديا.

فإلى هذا الحبيب وليد العذراء يا جميع البنات العذارى والى قبلاته يا جميع كنائس آسيا السبع والى يسوع المسيح في حبه وقبلاته يا جميع اللواتي لم يذقن للحب معنى ولا لقبلات الحبيب طعماً.

٣- لرائحة ادهانك الطيبة اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى

اجل قبلة الحبيب الأولى هي المفتاح السري الخفي لقلب الحبيبة، إذ فيها تقف الحبيبة على ما في قلب المسيح الكبير من أسرار في الحب وطاقات في الفداء وأشواق في الخلاص. ففي هذه القبلة راحت حبيبة يسوع تكتشف يوما بعد آخر حجم الكنوز وروائح العطور وسحب البخور وعمق الأنفاس المخزونة في قلب الحبيب المجيد، حتى إذا ما استنشقتها استنشاقا استفاقت بالحق والحب كما يستفيق الموتى من بين القبور.

فالحبيبة وحدها تعرف لغة الحب والحبيب وتتحسس أنفاس حبه وادهان قداسته وعلى ضوء هذا الحب العجيب تختبر شخصية الحبيب اختبارا دقيقا وتقف على واقعية صفاته وسمو كمالاته وعمق عواطفه ونيران قداسته. فترى فيه أساساً لوجودها وقاعدة لانطلاقها وغاية لحياتها وتكاملاً لشخصيتها فتنجذب إليه انجذابا حياتياً أصيلاً. حيث ترى فيه مذخر جميع كنوز المعرفة والعلم. وفي هذا الكشف

الإلهي المطلق ترى الحبيبة الشبع لأشواقها الملتهبة والارتواء لعواطفها المتعطشة والكفاية لأفكارها الجائعة، فتستنشق من ثم روائحاً وعطوراً وهي تفوح من هاتيك الحياة المجيدة مع الحبيب ادهاناً واطياباً.

ولكن، ما عسى أن تكون هذه الروائح وتلك الادهان التي أنعشت نفس الحبيبة وغطست بها غطساً واستفاقت على رائحتها؟ أهي رائحة التعاليم الإلهية التي قال الناس عنها "لم يتكلم إنسان قط كهذا" (يو٧ :٤٦)؟ أم أنها رائحة المعجزات والآيات والقوات والتي صار فيها "العمي يبصرون والصم يسمعون والخرس ينطقون والعرج يمشون والبرص يطّهرون والموتى يقومون والمساكين يبشرون" (مت ١١ :٥_٦)؟ أم أنها رائحة ميلاده العذراوي واستعلان لاهوت الحبيب (لو١ :٣٥)؟ أم أنها رائحة بره وصلاحه وقداسة حياته "لأنه لم يعرف خطية ولا وجد في فمه مكر" (١بط٢ :٢٢)؟ أم أنها أدهان الحبيب المجيدة وقد انسكبت بعصره وصلبه سكيباً؟ أم أنها رائحة قيامته الذكية وقد طردت نتانة الموت وروائح الهاوية الكريهة من الحبيبة طرداً مؤبداً؟ أم أنها بالحق واليقين روائح كل هذا الادهان معاً وهي مخزونة منذ الأزل في الحبيب قارورة ولكنها بالصليب قد اهرقت في أحضان الحبيبة اهراقاً وسكبت سكيباً؟

فهل من ادهان في قوارير الناس طراً ومعاصر قلوبهم وأحواض عقولهم كادهان قلب المسيح وروح حياة عقله؟ حقاً إنها روائح الفداء وادهان الحب بالصليب والتي لا مثيل لها البته في سماء الملائكة وارض البشر "لأن الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو١ :١٧). اجل للناس روائحهم وللبشر ادهانهم. ولكن أين هي روائح الناس من روائح ابن الإنسان؟ وأين هي ادهان البشر من

ادهان ابن البشر؟ ابن الإنسان روائحه روائح ذاتية مضمخة، بينما روائح بني البشر روائح عيرية مقننة. ابن البشر ادهانه أصلية جوهرية معصورة بعوامل الحب لبني البشر فداء وصليبا، بينما ادهان بني البشر هي ادهان زمنية عرضية مغشوشة بالأنانية ومعصورة بعامل الذات في معصرة الأنانية دينونة وهلاكا. حتى شخصها النبي داؤد بقوله "انه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا. ليس من يعمل صلاحا. ليس ولا واحد. حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سم الاصلال تحت شفاههم وفمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدام عينيهم" (رو٣: ١١-١٧). أما روائح مسيح ابن الإنسان، فهي روائح للقداسة أزلية وادهانه بالفداء سرمدية فهي لذلك عناصر إلهية أصلية جوهرية راح النبي داؤد يتغنى بأمجادها قائلا "أنت أبرع جمالا من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وابغضت الإثم لذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج اكثر من رفقائك. كل ثيابك مرٌّ وعود وسليخة. بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير" (مز٤٥ : ٢-٩).

اذاً يعلن النبي داؤد بالروح القدس في مزموره هنا أن عطور المسيح هي عطور الجمال في الحكمة والكمال في البر. وان ادهانه إنما هي ادهان التجسد واللاهوت والفداء. بل إنما روائح وادهان الحب الأصيل الجاثم على صدر الوجود منذ أيام الأزل والمعلن في ملء الزمان للإنسان روحا وحياة. لذلك قد منح كنيسته وفي شخص العذراء مريم روائحه الذكية هذه وادهانه المهرقة تلك وعطوره الفواحة هذه وتلك. ولكن النبي داؤد يسترسل في وصفه ادهان كمالات المسيح حتى يقول جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير" مشيراً بذلك إلى مقام الكنيسة وفي شخص

العذراء مريم في سياسته التجسدية الفدائية. كيف لا والمسيح قد اتحد مع عذرائه اتحاداً لاهوتياً وناسوتياً بل قد ولد منها إلهاً قدوساً؟ فكيف لا تتمتع العذراء وهذا المقام الاتحادي بروائح المسيح الذكية وقد أمست بالتجسد للادهان الإلهية والعطور الأزلية قارورة وقسطاً للمن السماوي مختاراً؟

والآن فإن كانت العذراء مريم قد حل عليها الروح القدس بملئه حلولاً مطلقاً وإن كانت قوة الله قد ظلّلتها تظليلاً وإن كانت قد جسدت العلي في أحشائها تجسيداً وولدت مسيح الله عمانوئيل ميلاداً وباتت وهذه المستويات الإلهية في نساء العالمين بركة وفي بنات البشريين مطوّبة وللكنيسة المفديّة قاعدة ومثالاً وللإنسانية الجديدة والنفس البشرية أساساً وصورة. فكيف إذاً وكل هذه المقومات الإلهية والالتزامات السماوية، لا تحضى العذراء بكل روائح المسيح الذكية وادهانه المهراقة وعطوره الفواحة؟ ألم يقل الرسول بولس "نحن رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة حياة لحياة ولأولئك رائحة موت لموت" (٢كو ١٥: -١٦)؟

والآن إن كانت الكنيسة وهي البنيان قد باتت في المسيح يسوع رائحة ذكية وعطوراً فكم بالحري تمسي العذراء مريم رائحة ذكية له وهي الأساس الكامل للبنيان؟ اجل الكنيسة التي للقديسين وبحسب تصريحات الرسول بولس وفي شخص العذراء مريم هي رائحة المسيح الذكية يستنشقها المؤمنون والأشرار على حد سواء فتكون لهؤلاء رائحة حياة روحية الآن ولحياة جسدية في اليوم الأخير ولأولئك رائحة موت روحي الآن ولموت جسدي ثان في اليوم الأخير.

اذاً فكيف لا تكون الكنيسة هي الأخرى رائحة المسيح الذكية بعدما انحدرت من ذاك الصلب العذراوي الجديد وقد نفخ المسيح في وجهها من روائح روحه نفخة بددت فيها روائح التفسخ الناتجة عن الخطية والموت وقد كتب الرسول يوحنا قائلا "ونفخ فيهم وقال اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أُمسكتْ" (يو٢٠ :٢٢-٢٣)؟ كيف لا وقد هبّت عليها رياح الآب من السماء عطوراً ذكية وروائح مجيدة وادهاناً مهراقة نقية؟ أوليس الميرون المقدس بروائحه الذكية وعطوره المنعشة وادهانه الطيبة ومسحته الطرية الدالة المتينة على تمتع الكنيسة بروائح المسيح الذكية، الأمر الذي أشار إليه الرسول يوحنا بقوله "واما انتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلّمكم أحد. بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذبا" (١يو٢ :٢٧)؟

اجل لقد منح المسيح الذكي حبيبته الكنيسة كالعذراء روائحه الذكية وذلك في لاهوت فدائه وفداء لاهوته، في موت صليبه وصليب قيامته وحياته، في نزول لاهوته وصعود ناسوته، في تعليم معجزاته ومعجزات تعليمه، في حق قداسته وقداسة حقه، وذلك كله محبة منه لحبيبته الكنيسة ونعمة لها ليس إلاّ. وذلك لتستغلها لا لحساب أمجادها هي بل لحساب أمجاده هو. وإلا فستكون والحالة هذه كنيسة انتهازية سارقة لحقوق فاديها وامجاد مخلصها. الأمر الذي يوقعها يقيناً تحت غضب من الله عظيم.

ولكن لماذا لم يعد العالم اليوم يستنشق من الكنيسة روائح البر وقداسة الحياة كما كان بالأمس؟ لماذا لم تعد ألادهان تنسكب من أذيال الكنيسة حياة وإنجيلاً وروحاً

كما كانت بالأمس؟ أين هي قوة الإيمان اليوم لتتصدى لا بالقلم واللسان فحسب، بل بالدم أيضاً لروح الإلحاد الذي كاد أن يغرق الكنيسة (السفينة) ومن فيها إلى الأعماق؟ أين هي قوة المحبة التي تكسو العريان وتطعم الجائع وتشفي المريض جسدياً وروحياً؟ أين نحن الآن من الإنجيل، حياة وشهادة وتأثيراً؟ أين نحن الآن من روائح قداسة المسيح وادهان محبته على الصليب وعطور حكمته؟ هل احتفظت الكنيسة اليوم بعقليتها اللاهوتية دون حياتها القلبية؟ هل اكتفت بالتقاليد الأبوية بنياناً دون الإنجيل أساساً رسولياً؟ أم أنها اكتفت بالقارورة الأبوية طقساً دون الاطياب والادهان الرسولية روحاً مقدساً؟ فماذا إذن، هل وقعنا في ذات الفخ الذي وقع فيه الذين سبقونا لعبادة الحرف دون الروح من فريسيين وصدوقيين وهيرودسيين؟

وإلا فلتسمع الكنيسة اليوم إنذارات الرب لها من جديد وعلى لسان النبي إشعياء القائلة "اسمعي أيتها السماوات واصغي أيتها الأرض لان الرب قد تكلم. ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا علي. الثور يعرف قانيه والحمار مذود صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي فلا يفهم. كل الرأس مريض. كل القلب سقيم من اسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة. بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تُعصر و لم تعطب و لم تلين بزيت. لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما اسر. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. راس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي صارت علي ثقلاً مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم استر عيني عنكم وان كثرتم الصلاة، لا اسمع. أيديكم ملآنة دما " (اش١ :١_١٥).

فإلى أين المفر إذاً يا كنيسة اليوم من غضب الخروف يوم يغضب ومن زمجرة الأسد يوم يزأر؟ حقاً إن لم تتوبوا يا جميع أعضاء الكنيسة الكبار فيكم والصغار فجميعكم تهلكون. لذلك فمن اجل خلاصكم انتم ومن اجل كرامة مسيحكم انتم يقول "اغتسلوا تنقوا واعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني. كفوا عن فعل الشر. تعلموا فعل الخير. واطلبوا الحق. انصفوا المظلوم. اقضوا لليتيم. حاموا للأرملة (أش ١ :١٦_١٧). حينئذ وحينئذ فقط "إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وان كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (اش١ :١٨). أجل بتوبة القلب وانكساره تتفتح بوابات الأسرار وتنساب الأدهان على الصليب وتفوح الروائح من القوارير، لأن رياح ونفحات الروح القدس تهب في علاليها الرسولية وتفوح العطور من قنانيها البيعية فتنسكب الأدهان من أعماقها التجسدية الفدائية، بل تنسكب الحياة الأزلية العميقة من ذياك الرأس الدامي، رأس يسوع المسيح على كل شعيرات وجهه الثابتة وأعضاء جسده المتحدة.

ألا إلى القارورة العذراوية يا ابنة العذراء والى القرن الرسولي يا سليلة العذارى لتكوني للمسيح رائحة ذكية وعند موطئ قدميه كالمجدلية دهنا مهراقا وفي أنفاس الله والناس عطرا ذكيا ونارديناً خالصا وميرونا مقدسا.

٤- اجذبني ورائك فنجري. أدخلني الملك إلى حجاله نبتهج ونفرح بك. نذكر حبك أكثر من الخمر بالحق يحبونك

هذه هي طلبة الخليقة الجديدة والإنسانية السماوية والعذراء المباركة والتي راحت تنجذب إلى مسيح الله انجذاباً إلهياً وطبيعياً بالتجسد. تارة إلى بيت لحم حيث الولادة والتجسد وتارة إلى مصر حيث الهروب من هيرودس، تارة إلى الصليب حيث الحروب الطاحنة والمعارك الضارية، وتارة أخرى إلى القيامة حيث الغلبة والانتصارات الساحقة، تارة إلى العلية حيث نار الروح القدس والقوة وتارة أخرى إلى السماء حيث الملك ومراتب الكنيسة العليا

اجل إنها طلبة النفس البشرية كذلك والكنيسة المختارة وهي تنظر وجه الحبيب بعدما ملّت من حياة الجسد والعالم الحاضر الشرير. أفليست هذه أمنية النفس البارة وهي تستصرخ المسيح ليقتلعها بيمينه من ارض الخطية وليغرسها في أرض البر والحياة؟ كيف لا وقد ذاقت حلاوة القبلات واستنشقت روائح الادهان المهراقة وتنسمت العطور الطيبة الفوّاحة؟ أفلا يحز في نفسها إذاك البقاء في مستنقعات الخطيئة، حيث روائح الموت ونتانة الجحيم؟ كيف لا تستنجد هكذا وبصراخ للخروج من أعماق الظلمة والانفلات من الفخ والإنقلاع من ارض العبودية الصلبة وهي ترى نفسها عاجزة عن كل هذا الخلاص والتحرر وهي تقول للحبيب "اجذبني ورائك فنجري"؟

نعم لانه من يستطيع أن يجذب النفس البشرية حقاً من معاقل الشيطان وأعماق الظلمات وقوة العالم وسلطان الجسد، بل من عبودية فرعون وسبي نبوخذنصر وكورة الجدريين سوى الواحد القهار يسوع المسيح؟ أولم يذبح المسيح بصليبه ذئاب المساء وكراع صالح يفسخ فكيها لتنفلت الخراف؟ بل من يقدر أن يحي العظام اليابسة المبعثرة في بطون القبور والموت سوى ذاك القائل "أنا هو القيامة

والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو١١ :٢٦)؟ ومن يستطيع أن يجمع عناصر الحياة المشتّتة وقطع الحديد الباردة المبعثرة هنا وهناك وفي شتات التاريخ والزمن سوى مغناطيس الحب الإلهي المذبوح يسوع القائل" إن ارتفعت عن الأرض اجذب إلي الجميع"؟

اجل من يستطيع أن يخلق في البشرية الصلبة نفوساً جديدة لينة وقلوباً مقدسة وعقولاً مستنيرة وضمائر حية وعواطف نبيلة وارادات متحّدية واهداف في السماويات مجيدة، سوى ذياك الوحيد الجريح والحي بين الأموات، يسوع المسيح؟ أو ألم يجذب المسيح يسوع إنسانيتنا وفي شخص العذراء،بالتجسد من الخطيئة والموت بل من الدينونة والهلاك إلى حرية مجد أولاد الله في السماء والسماويات؟ أو ألم يجذب لوطاً ويخرجه من ارض سدوم وعمورة، حيث اللعنة والشيطان إلى الجبال العالية موطن السلام والأمان؟ ألم يجذب المسيح الحبيب نوحاً ويخرجه من قلب الموت والطوفان وأعماق المياه ويغلق عليه واهله داخل فلك النجاة والخلاص؟ أو ألم يجذب هذا الحبيب مريم المجدلية من أعماق الخطيئة واسافل الجب ويجعلها تجري وراءه، ليس إلى بيت سمعان فحسب بل إلى كل مكان حتى الصليب والقبر والقيامة وبالتالي إلى السماء حيث موطن القديسين؟ أو ألم يجذب الأب الحنون، الابن الأصغر والأضعف من الكورة البعيدة، حيث الخنازير ترعى والأشرار ترقص وحيث الخرنوب يُأكل ويأتي به إلى بيته حيث الشبع والكرامة والميراث؟ أو ألم يجذب المسيح زكا العشّار من حياة الظلم والمطامع والارتشاء إلى حياة النزاهة والقناعة والخلاص والمجد؟ أو ألم يجذب المسيح يسوع بطاقة حبه وفداء صليبه لص اليمين من أيدي الخطيئة وينتزعه من قبضة الشيطان ويأتي به من صليب الخطيئة والموت إلى صليب البر والحياة؟ بل قل ألم يجذب الرب يسوع بأذرع قدسه، شاؤل

الطرسوسي من العصيان والتمرد ومن العناد والتصلب بل من الحياة الفريسية والتزمت ويأتي به إلى طريق الطاعة والتسليم والسير في طريق الجلجثة بدلاً من طريق دمشق؟

اجل المسيح جذب إليه ولا يزال يجذب بقوة حبه وسلطان فدائه نفوساً من الموت إلى الحياة وقلوباً من الإثم إلى البر وعقولاً من الظلام إلى النور وضمائر من الباطل إلى الحق وارادات من الضعف إلى القوة وأجساداً من نار الشهوة إلى نور القداسة بل من الأنانية إلى التضحية.

وإلا فمن هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض الواقفين أمام عرش الله ومن أين أتوا؟ ألم يأتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا وبيضوا ثيابهم في دم الخروف."من اجل ذلك هم أمام عرش الله يخدمونه ليلاً ونهاراً في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولن تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر . لان الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم" (رؤ٧ :١٣_١٦)؟

والآن هل أنت يا قارئي العزيز يا من احبك يسوع حتى الموت، موتاً بالصليب. هل أنت واحد بين الذين جذبهم يسوع بحبال حبه واذرع فدائه من الضيقة العظيمة إلى السماء حيث الراحة الأبدية وحرية أبناء الله؟ هل قد غسلت ثيابك وبيضت حياتك بدم المسيح ومن الآن وتجري وراءه في الصلاة والعبادة دوماً وفي الشهادة والخدمة أميناً وفي التصرف نقياً طاهراً لكي تقف في ذلك اليوم أمام عرشه الأبيض الدامي قديساً ممجداً؟ أتشبع من كلام إنجيله وترتوي من ينابيعه وتستضيء بأنواره وتتنفس عطوره وتتدهن بادهانه، لكي لا تجوع آنذاك في السماء أمام العرش ولا

تعطش ولا تتعرى تحت ضربة هاتيك الشمس القوية؟ وهل قد انجذبت أكيداً بمحبة الخروف المذبوح والذي قد ذبح حقاً ويقيناً من أجلك فدخلت في حضيرته الفدائية بالروح والحق دخولاً؟

فإن كنت هكذا أيها القارئ العزيز وإن كان هذا شانك، فهنيئا لك مقامك ومباركة هي دعوتك ومطوّبة هي حياتك وإنسانيتك، وإلاّ فاعلم أيها القارئ العزيز، إن لم تتب ومصالحة مع الله بصليب الحبيب تتصالح، فإنك هلاكاً مرعباً ستهلك" لان غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم "(رو١ : ١٨). غير أن الكنيسة الروحية المختارة، كنيسة القديسين واقفة إطلاقاً أمام عرش الله في السماء وذلك لكونها قد انجذبت بمحبة المصلوب انجذاب الحديد بالمغناطيس. فراحت من ثم تجري وراءه كما تجري الحبيبة الهاربة وراء حبيبها الأمين. ولكن إلى أين يا ترى؟ أليس إلى حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور؟ أليس إلى حيث يموت الحبيب من اجل الحبيبة مصلوباً على خشبة؟ وهل يحسب أمر كبير إن ماتت الكنيسة عن العالم والخطيئة والشهوة من اجل حبيبها يسوع بعدما مات هو من اجلها مهاناً ومصلوباً؟ بل وأي تكافؤ ما بين اله متجسد هو المسيح يسوع وما بين الكنيسة في الموت والتضحية؟ وهل من تعادل بين الأزلي والزمني وبين الخالق والمخلوق وبين البار والأثيم وبين المحدود اللامحدود؟

حقاً أن قطرة دم واحدة من دم المسيح الأزلي تعادل حجم تضحيات الكنيسة كلها وتزيد ودمعة واحدة من عيونه ترجح في أثقال امجادها ميزان دموع الكنيسة كلها والبشرية جميعها، لان قطرة من دم المسيح تغطي كل خطايا الكنيسة ودمعة واحدة

من عينيه تغسل كل آثامها كما هو مكتوب" إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وكالدودي تصير كالصوف "(اش١ :١٨).

والآن إن كانت الحبيبة الجسدية تتحمل الآلام والدموع بل الموت من اجل حبيبها الجسدي، فكم بالأحرى على الكنيسة أن تتحمل من اجل حبيبها الروحي وقد مات في سبيلها أولاً؟ وإن كانت الحبيبة الجسدية لا ترتوي ولا تشبع ولا يهدأ لها بال إلاّ بانجذابها وجريها وراء حبيبها واجتماعها إليه في خلوة بعيدة وعزلة تامة ومثيرة، هي خلوة الحب وعزلة الحبيب، فكيف تقدر الكنيسة أن تهدأ وترتوي وتشبع وتطمئن قلباً، إن لم تنجذب للحبيب انجذاباً وتدخل معه في خلوة مقدسة وعزلة في الحب رهيبة. اجل هناك بعيدة عن رصد العيون الشريرة والضوضاء العالمية والملاحقات الجسدية حيث حجال الملك ومخابئه، تدخل الكنيسة مع حبيبها يسوع في شركة حب عميقة وفي خلوة مقدسة، حيث السكون والهدوء وحيث الحب والنقاء لتتعلم الكنيسة منه في الإنجيل أسرار الحب ولغته. اجل هناك في حجاله اللاهوتية ومخابئه الملكية وخلوته العميقة تنصهر الحبيبة في قلب حبيبها انصهاراً وفي أحشائه تذوب عن ذاتها ذوباناً، بل تشحن بطاقات حب الحبيب شحناً مكهرباً وتتمغنط في دم صليبه.

نعم هناك في محاجئ صخر اللاهوت وستر معاقل الفداء تلتقي الكنيسة البنت بعمانوئيل القدوس يسوع المسيح كما التقت العذراء الأم به فتمتلئ من روح قدسه وتظلّل بقوته وتجسد بالروح كلمته لتلده للعالم بالإنجيل ابناً لله قدوساً وابن العلي يدعى. كيف لا والرسول بولس يقول "إني أتمخّض فيكم إلى أن يتصور المسيح في قلوبكم" وقوله كذلك "نحن أعضاء جسمه من لحمه وعظامه"؟ فكيف لا تسكر

الحبيبة إذاً بخمرة حبيبها الأزلية المعتّقة هذه وقد دخلت معه في شركة حبيّة حية وعزلة سماوية مقدسة؟ بل كيف لا تنغمر بالسلام والفرح انغماراً بعدما غطست في بحر حب المسيح الصافي، لا إلى الكعبين فحسب بل إلى قمة رأسها (حز٣٧ :٣-٥)؟ ذلك الفرح الذي عجز حتى الرسول بولس عن وصفه مكتفياً بالقول" ما لم تره عين ولم تسمع به إذن ولم يخطر على بال بشر ما أعده الله للذين يحبونه"؟

نعم إلى محاجئ الصخر هذه والى ستر المعاقل تلك انجذب القديسون انجذاباً وتحصنوا تحصيناً، وهناك وراء الستار الجسدي ووراء المجهول البشري عاينوا الحبيب الأعلى والأبقى فرأوا فيه الحب والحياة والجمال والكمال.

ألا فهنيئاً لكم مخدعكم يا قديسو إلهنا ومباركة لكم عليّتكم يا رسل ربنا وسعيدة لكم سراديبكم يا شهداء حبيبنا وجميلة لكم صوامعكم يا مترهبو مليكنا ومقدسة لكم مكاتبكم يا آباء كنيستنا وعجيبة لكم مخادعكم المقفلة جوانبها والمفتوحة سقوفها يا جميع عباد إلهنا وفادينا. ففي حجال الملك هذه وفي ستر معاقله تلك ملكتم جميعاً كنوز الحب والحبيب وصرتم بها تجاراً رابحين. إذ فيها أغنيتم ولا تزالوا تغنون المسكونة ببضاعة الحب والحبيب وانتم فقراء الجيوب. وفي الصوامع التي هي بالحقيقة صوامع قد صرتم كتّاباً ماهرين تُخرجون من كنز قلوبكم عتقاء في الحب وجدداً ،بل وأمسيتم بالروح القدس وعّاظاً تمطرون الذهب الباقي والحب السامي في أحضان الفقر والفقراء. حقاً أيها القديسون المحبوبون إنكم الأغنياء المكرمون والأمراء المبجلون والملوك المتوّجون والتلاميذ المنجذبون. فأمام سحابة أرواحكم نحني الرؤوس والى محاجئ صخوركم وستر معاقلكم تتلهف القلوب بل إلى أسرار حبّكم وجمال حبيبكم تنجذب النفوس.

فإلى علّية الرسل وهي في قلب أورشليم الصالبة الباغية يا جميع خلفاء رسل ربنا يسوع المسيح والى سراديب الموت والاستشهاد في سبيل الحبيب يا جميع المتربعين على العروش، عروش الغطرسة ودم ودموع فقراء الأرض. والى معاقل الآباء وحصون القديسين يا جميع المشردين في الطرقات والمنغمسين في الأوحال. والى صوامع الأتقياء وخمرة الحبيب المُصحِّية يا جميع سكارى الليل والظلام، بل إلى مقادس الحبيب العليا في الصليب حيث معصرة الخمر ومصنع الحب وشراب القديسين الكرماء يا كنيسة الوديان والمنخفضات. اجل هناك في أعالي الخلوات حيث الكروم الإلهية والخمور السماوية والمعاصر الحبية الفدائية نبتهج بك أيها الحبيب ونذكر حبك اكثر من الخمر.

ألا تباً لك أيها العالم الشرير في أضاليلك وويل لك أيها الجسد في سلبياتك وجماحاتك وخزي لك أيها الشيطان العامل في هذا وذاك، لان موازينكم غش ومقاييسكم باطل. فكيف تقدرون أن تعملوا الصالحات وانتم أشرار؟ وها أنتم تمجدون وتبجّلون جميع السكارى في حاناتكم المؤبوءة ومواخيركم المُعتمة، بل سكارى الفجور والشهوات وتؤلهون محبي الذهب والفضة والأمجاد الباطلة والكرامات المزيفة، بل ترفعون سكارى الظلم وسفك الدم فوق الأعناق وتجلسونهم عظماء فوق الأكتاف وحكاماً فوق العروش. ولكنكم تمينون وإلى المزابل، أولئك الذين أبوا أن يسكروا إلا بمحبة المسيح المصلوب ويرتووا من نهر قداسته وخمر فدائه بل ويشربوا حتى الثمالة من سلاف رمانه.

أليس كذلك يا جميع قديسي إلهنا؟ أليس كذلك يا جميع سكارى دم الإنسان وابن الإنسان الظالمين والصالبين؟ وهل في ذلك عجب؟ لان الذين قالوا عن المسيح انه

ببعلزبول يخرج الشياطين، ترى ما الذي يقولونه عن أبنائه وقديسيه؟ وان قالوا عن السيد المسيح وهو الحكمة الإلهية المطلقة والمتجسدة "انه خرج عن عقله وهو مختل لأنه كان حاراً في تعليمه وناراً في حبه"، فكيف لا يقولون عن أبنائه من بعده "أن هؤلاء الناس هم سكارى وقد امتلئوا سلافة" (اع٢: ١٣).

حقاً القديسون سكارى بحب سيدهم بعدما احتسوا خمرة دمه حتى الثمالة، وإن لم يكونوا كذلك فإنهم ليسوا بقديسين أصلاً. وسكرهم هذا ليس من اسفل حيث معاقل الشيطان في المستنقعات بل هو من فوق حيث معقل الصليب في السماويات. خمرة الشيطان تهدم الإنسان هدماً واما خمرة المسيح الحبيب فتبنيه بنياناً. خمرة الشيطان تنزع ثوب الكرامة عن الإنسان نزعاً واما خمرة المسيح فتضع عليه ثوب القداسة. خمرة الشيطان تخنق الإنسان بروح الشهوة القبيحة خنقاً واما خمرة المسيح فتحي الإنسان بروح الشهوة الصالحة، شهوة الطهارة والبر والصلاح حياة.

والآن فمن هو حبيبك يا نفسي وما هي خمرتك والى أي عرس تذهبين؟ فهل حبيبك بالحق واليقين هو يسوع المصلوب أم الشيطان الصالب؟ وهل خمرتك هي عصارات الحبيب الروحية والتي هي "محبة. سلام. فرح. طول أناة. لطف. صلاح. إيمان. وداعة. تعفف" (غل٥: ٢٢)، أم إنها عصارات الشيطان الجسدية والتي هي "زنى. عهارة. نجاسة. دعارة. عبادة أوثان. سحر. عداوة. خصام. غيرة. سخط تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل. سكر. بطر" (غل٥: ١٩_٢٢)؟ وهل عرسك اليوم هو عرس دموع ودماء وأحواض خمر وعصارات مصلوب، أم انه عرس رقص هيروديسي وهيرودية وخزانات خمر وعصارات شيطانية؟ فكيف إذاً لا يعشقك

القديسون بالحق أيها الحبيب يسوع وقد صرت لهم هكذا حبيباً حياً وخمرة مقدسة معتقة وعرساً مباركاً ممجداً ؟ كيف لا يحبونك وقد جذبتهم بقوة محبتك إلى ستراتيجية جديدة وملكوت في السماوات مجيد وباتوا فيها نجوماً في المحبة لامعة وأقماراً في الحق مضيئة وشموساً في البر ساطعة؟

فمن هم إذاً المنجذبون وراء المسيح حقاً؟ أليس الذين قد صلبوا الجسد مع الأهواء في المسيح الحبيب؟ أليس الذين قد صلب العالم لهم وهم للعالم؟ أليس هم الذين قد اختاروا لهم الطريق الوعر مسلكاً والباب الضيق مدخلاً؟ أليس هم الذين قد خرجوا من الضيقة العظيمة والذين لم يتنجسوا مع النساء؟ أليس هم الذين قد خرجوا مع لوط من سدوم وعمورة؟ أليس هم الذين دخلوا الفلك مع نوح وركبوا أمواج الطوفان؟ أليس هم الذين احتموا بهاتيك الصخرة الدهرية وقد أمست جبلاً ومعقلاً للمنجذبين إلى يسوع المصلوب؟

اجل انهم هؤلاء الأحرار أبناء الحق يسوع المسيح الذين لم يتعرفوا إلى الحق فحسب بل اتحدوا به برباط المحبة وصاروا له بذلك شهوداً وشهداء لان جاذبية الحب فيهم كانت عنيفة وعنيفة جداً. والآن فان كان المختارون المدعوون والقديسون المنجذبون والمؤمنون المتحررون يحبون المسيح هكذا بالروح والحق وينجذبون إليه بحق المحبة ومحبة الحق، افما يوجد الكثير من الذين يحبونه ليس حقاً بل باطلاً؟ كيف لا والعالم يحب من هو منه؟ أو ألم تحبه الآلاف من اجل الخبز البائد (يو٦ :٢٦ـ ٢٧)؟ أو ألم يحبه الاسخريوطي ثلاث سنين محبة ريائية مزيفة لأجل مركز عالمي وذهب فانٍ؟ وبالتالي أعطاه الرب يسوع الويل بالقول "ابن الإنسان ماض كما هو

مكتوب عنه، ولكن الويل لذلك الإنسان الذي على يده يسلم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الإنسان لو لم يولد" (مر١٤: ٢١)؟

اجل لا تزال الآلاف بل الملائين ممن ينتسبون إلى المسيح ليس محبة بل غرضاً ومنفعة وليس حقاً بل زوراً وباطلاً وذلك طلباً لمغنم وسعياً لثروة وتعطشاً لمركز وسياسة لدولة. أليس كذلك يا ديماس (٢تي٤ :١٠)؟ ويا ديوتريفيس (٣يو١: ٩)؟ وأنت الآخر يا جحزي؟ أفليس مثل هؤلاء رسل كذبة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح (٢كو :١١-١٦)؟ فهؤلاء إذن ليسوا أحباء للمسيح بالحق بل أعداءه وقد أتوا إلى الصفوف ودخلوا حضيرة الخراف خلسة ومن موضع آخر فباتوا فيها ليلتهم ذئاباً خاطفة بثوب حملان وادعة. وها هم يبيعونه بأكلة عدس وبقميص شنعاري وبلسان من ذهب وبثلاثين من الفضة وبخمس خبزات وسمكتين. هؤلاء هم أعداء الصليب الذين قد شخصهم الروح القدس تشخيصاً بقلم الرسول بولس القائل "لان كثيرين ممن كنت اذكرهم لكم مراراً والآن اذكرهم باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات" (في٣: ١٨_١٩). واما الرسول بطرس فهو الآخر راح يحذر الكهنة من مغبة اتباع المسيح من اجل علة فيقول "ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً، لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى" (١بط٥ :٢_٤). اجل هؤلاء هم التلاميذ المزيفون والرعاة المحترفون الذين يعيشون ليس حسب الروح للحياة بل حسب الجسد للهلاك وليست فيهم محبة المسيح أصلاً بل محبة الخطيئة في ذواتهم فعلاً ولم ينجذبوا بقلوبهم للمسيح بالحق والمحبة بل تطفلوا عليه بروح الغرض والباطل تطفلاً فيحبون تنعم اليوم الزمني لذة

ولسان حالهم يقول "لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت" (١كو١٥ :٣٢). هؤلاء الأصحاب كيهوذا يسلمون ابن الإنسان بقبلة ويتآمرون على إنجيله بفضة وأمسوا في أجواء الكنيسة غيوم بلا ماء تحملها الرياح وفي أرضها أشجار خريفية بلا ثمر. وفي مجالسها ومؤتمراتها ونواديها أمواج بحر هائجة مزبدة بخزيهم وفي سماء مقاماتها ورفعة مستوياتها واصعدتها، بات هؤلاء القوم نجوماً تائهة محفوظاً لها قتام الظلام إلى الأبد" (يه١: ١٢-١٣).

ولكن من أية فئة أنت ايتها النفس؟ أمن فئة الذين يحبون المسيح الحبيب بالروح والحق، أم من فئة الذين يحبونه بالجسد والباطل؟ أتنجذبين إلى المسيح انجذاباً قلبياً كمن ينجذب إلى الحب وقد تجسد والحق وقد تأنّس والبر وقد استعلن، أم انك تنجذبين إلى الخطيئة وكمن ينجذب إلى الحب وقد تدنّس والحق وقد تمزّق والبر وقد تقبح؟

أين أنت الآن ايتها النفس والى أين أنت ماضية؟ أفي عرس قانا الجليل أنت، أم في عرس قانا الذليل؟ أسكرانة أنت بخمرة الصحوة والفداء، أم بخمرة السُكر والغناء؟ أتتبعين يسوع حيثما صعد في محاجئ الصخر وستر المعاقل، أم تتبعين الشيطان المنتقم حيثما نزل في أسافل الجب وأعماق الجحيم؟
نعم يا نفسي أين أنت وكيف أنت والى أين أنت تذهبين؟

٥- أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان

٦ -لا تنظرن إلي لكوني سوداء. لان الشمس قد لوّحتني بنو أمي غضبوا علي. جعلوني ناطورة الكروم. أما كرمي فلم انطره

نعم كنيسة المسيح الحبيبة هي سوداء وجميلة في آن واحد. فهي سوداء ومهانة في نظر العالم الشرير ولكنها جميلة ومكرّمة في نظر المسيح البار. مهانة محتقرة في نظر الشيطان والعالم ومختارة وكريمة في نظر المسيح. وهكذا كانت كذلك ستائر الخيمة في قيدار وشقق سليمان. غطاء خارجي اسود يطل على العالم الخارجي وغطاء آخر داخلي ابيضاً يطل على الأقداس، رمز السماويات.

حقاً انه التصميم الصحيح لكنيسة المسيح وهو مأخوذ من واقع تجسد يسوع المسيح وفدائه المجيد. لذلك كانت الكنيسة التي للقديسين ولا تزال، سوداء حالكة كالغراب في نظر العالم كلما تزداد نقاء في المسيح القدوس. كما وتستبان كذلك بيضاء مقبولة في نظر العالم كلما ازدادت ظلاماً في نظر المسيح القدوس. هذا هو قانون الهي ثابت وميزان كنسي راسخ وعلى وجه الإطلاق إذ فيه تقاس الكنائس قياساً ويوزن الأشخاص وزناً. وليس في أمر الكنيسة هذا من عجب طالما المسيح الأساس كان هكذا محتقراً وفي نظر الناس مخذولاً، لكنه مختار من الله كريم كما يعلن لتلاميذه بالقول "إنكم لستم من العالم كما أنني لست من العالم من اجل هذا يبغضكم العالم. إن كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم. ليس عبد اعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم وان كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم أيضاً. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من اجل اسمي لأنهم

لا يعرفون الذي أرسلني" (يو١٥ :١٨-٢١). هذه هي نظرة العالم للمسيح وكنيسته فهي نظرة حقارة وازدراء، لأنه وإياها ليسا من العالم.

أما موقف الكنيسة من العالم فليس هكذا كأن تقابل شره بشر وحقده بحقد وانتقامه بانتقام. بل كسيدها تقابل شر العالم إطلاقاً بروح الشفقة والخلاص من ظلمات عقلية وقلبية راح العالم يتخبط فيها تخبط عشواء. وهل في ذلك من خسارة للكنيسة وضياع لكيانها؟ كلا بل ربح مضاعف لها وتجارة في العالمين رابحة كقول الرب" كل من ترك بيتاً أو اخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لاجلي ولاجل الإنجيل، ألا يأخذ منه مائة ضعف الآن في هذا الزمان وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية" (مر١٠: ٢٩-٣٠)

والآن "إن كان المسيح البار وهو الأبرع جمالاً من بني البشر" وقد تراءى "هكذا منظره مُفسِداً وبأن لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر له فنشتهيه وانه محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر أحزان وكمستّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به" (اش٥٣ :٢-٣). اجل إن كان المسيح الجميل يُرى هكذا اسوداً محتقراً في نظر العالم إذ جعل نفسه ذبيحة خطيئة. فكيف لا ترى كنيسته أيضاً محتقرة سوداء بعدما طُبعت بصورته طبعاً مؤبداً؟ انه لأمر طبيعي أن تكون الكنيسة بيضاء في باطنها وهي داخل المقادس السماوية ومن الطبيعي أيضاً أن تكون سوداء في خارجها وفي نظر الشيطان المتطلع إليها في عيون الأشرار. لان صورة المسيح في الكنيسة والتي هي صورة البر والقداسة هي دينونة رهيبة للشيطان وأعوانه وتحدياً سافراً لسلطانه بل خروجاً على مبادئه وثورة على مملكته.

فمن اجل ذلك ستبقى الكنيسة هكذا ممجدة بيضاء في نظر الله ومهانة محتقرة في نظر العالم الأثيم طالما هي هكذا في حضرة المسيح قائمة وفوق جبل تجليه هي منطرحة تستضيء بهاتيك الأشعة السنيّة وتستنير بهاتيك الشمس المنيرة الفوق الطبيعية والتي قد لوحت وجه الكنيسة في شخص بطرس ويعقوب ويوحنا.

وإلا علام ترتدي الكنيسة الثياب البيضاء داخل هياكلها ومذابحها ومقادس عبادتها والثياب السوداء خارجها؟ أليس حفاظاً منها على تصميم خيمة قيدار وشقق سليمان وتعبيراً رمزياً عن بياض ونقاء داخلها أمام الله وسواد خارجها أمام الناس؟ حقاً إن في ذلك لتصميم جميل وتخطيط لله جليل.

ولكن هل تحتفظ الكنيسة اليوم بهذا التخطيط والتصميم التقليدي رمزاً مجرداً فقط؟ أم واقعاً روحياً كذلك؟ فإن كانت الكنيسة اليوم تمارس هذا ولا تترك ذاك فنعماً ما تفعل وتخطط. ولكن إن كانت تخطط بالرمز دون المرموز إليه وتتمسك بالحرف دون الروح فقد تنصب عليها هي الأخرى الويلات كما انصبت على الذين سبقوها كما هو مكتوب" وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظّمون أهداب ثيابهم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من الداخل مملوءة اختطافاً ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نق أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا انتم أيضاً تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً"(مت٢٣ :٢٥_٢٨).

ففي واقع سلبي كهذا تنعكس الآية ويتغير الميزان. فتُرى الكنيسة مظلمة في نظر المسيح وبيضاء مقبولة في نظر العالم وإذا ثبتت الكنيسة بروح الله القدوس وبيّضت ثيابها حقاً بدم المسيح فإنها تستحق إذاك أن تقف في مذبح الله بثياب بيض لا في المذبح المنظور فحسب بل وفي اللامنظور أيضاً حيث ينتصب عرش الخروف المذبوح الأبيض انتصاباً. هذا هو الموقف المثير الذي يثير حفيظة الشيطان على الكنيسة فيراها بمنظاره العدائي الأسود، سوداء. وكامرأة حبشية يهينها بل يجعلها بالتالي للكروم ناطورة. وليس في ذلك من عجب لانه إن كان المسيح الحبيب والمجيد الجميل، قد صار هكذا غريباً عند بني أمه وأجنبياً عند اخوته كقول سفر المزامير، بل مقتولاً ومصلوباً خارج الكرم وهو صاحب الكرم ووارثه الشرعي. أفكثير إذن إن صارت كنيسته هكذا مهجورة غريبة وللكروم ناطورة بعدما أسقطها العالم بسبب مسيحها من حساباته ومقرراته سقوطاً؟ كيف لا والتنين لما طرح إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت ابنها الذكر "وغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع "(رؤ١٢ :١٣-١٧).

والآن أليس التنين الذي طرح من السماء إلى الأرض هو الشيطان وإبليس الذي أضل العالم بأسره؟ أو ألم يضطهد هذا التنين وفي شخص هيرودس الملك وليد العذراء والابن الذكر العتيد أن يرعى الأمم قاتلاً أطفال بيت لحم مستهدفاً بذلك وليد العذراء يسوع؟ أو ألم تطر العذراء بوليدها كسحابة سريعة إلى مصر من وجه ذاك الطاغية وبإعلان من الله؟أو ألم تبق العذراء هناك في برية مصر وهي تُعال من الله زماناً وزمانين ونصف زمان حتى مات الذي كان يطلب نفس الصبي؟أو ألم يكن هيرودس بالذات النهر الجارف الخارج من فم التنين والحية والذي راح يخنق

بمياه غضبه الشيطاني أطفال بيت لحم الأبرياء من ابن سنتين فما دون؟ فكيف إذن لا يحقد الشيطان حقداً جهنميا على المرأة الخارجة من صلب العذراء بعدما فتحت الأرض فاها وابتلعت هيرودس بالموت وافلت الابن الذكر من بين يديه إلى مصر طفلاً وبالقيامة بعد الصليب رجلاً وبالجلوس فوق عرش السماوات بعد الصعود ملكاً؟ اجل سيبقى الشيطان هكذا حاقداً على الكنيسة البيضاء "ويصنع حرباً مع نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع" (رؤ١٢: ١٣-١٧).

فلا نعجب إن أُذلّت الكنيسة إذلالاً من قبل عالم شرير فبات العالم في الظلام يرى الحق باطلاً والباطل حقاً والنور ظلاماً والظلام نوراً والحلو مراً والمر حلواً والخير شراً والشر خيراً والمحبة عداءً والعداء محبة، وبالتالي الكنيسة البيضاء البارة مكروهة سوداء والكنيسة السوداء بيضاء. وذلك بعدما أعمى الشيطان بصيرة العالم بروح الجهل والخطيئة.

ولهذا راح هذا العالم الجاهل يلاحق الكنيسة امرأة الخروف المذبوح ويجعلها ناطورة للكروم تحقيراً وإذلالاً. ولكن شكرا لله بربنا يسوع المسيح. لان العالم وان كان يريد شراً دوماً بالكنيسة فالمسيح يريد لها الخير إطلاقاً ويعطيها مما له ويحول شقائها سعادة وخريفها ربيعاً وصليبها قيامة وآلامها أمجادا وحراستها للكروم إلى مقامات وكرامات للعهود. إذ راحت ناطورة الكروم هذه وفي شخوص رسلها وقديسيها وشهدائها ووعاظها وأساقفتها تغرز أقلام الكرمة الجديدة في قلب أمم الأرض وشعوبها رغم انف الشيطان ومعوقات إبليس وملاحقات اتباع هيرودس وقيافا وغيرهم.

اجل راحت هذه الناطورة الأمينة تغرسه كرماً سورقاً مباركاً فوق أكمة الصليب الخصبة وتبني فيه برجاً جديداً عالياً وترفع فيه سبع منائر ذهبية وتحفر فيه معصرة بزيت الحياة وخمرة الحب تفيض فيضاناً ومن ثم تحيطه بالإنجيل وبكل تقليد رسولي سوراً. وهكذا صانت الكرم بحكمة الروح القدس وهي الناطورة الذليلة وانتزعته من أيدي الغاصبين السفاحين لتقدمه للمسيح الحبيب كرماً صالحاً ونفوساً لملكوت الله مقدسة وممجدة.

إلا فتيقني أيتها الحبيبة الأمينة بان العالم الشرير بكل أجناده وطاقاته ومبادئه وسلطاته وفلسفته لايستطيع النيل منك مأربا طالما أنت بيضاء من الداخل، بيضاء نقية في نظر المسيح ولا يقدر أن يهينك عدو بجعله إياك ناطورة كروم طالما تتحزّمين بأمانتك لرب الكرم وخدمتك الصالحة لكرمه.

ولكن هل أنت حقاً أيتها الكنيسة اليوم بنياناً ثابتاً على الأساس الرسولي كما كنت بالأمس؟وهل الستائر فيك كخيام قيدار وشقق سليمان؟ أم انك غيرت التصميم وعبثت بالتخطيط فصارت ستائرك بيضاء في الخارج وسوداء في الداخل؟

ولكن لصالح من قد جاء التغيير في كنيسة اليوم حتى راحت تترضى وجه العالم وترضيه؟ أكان التغيير في الستائر لصالح إنجيل المسيح؟ كلا بل قد جاء حقاً لصالح العالم الشرير وعلى حساب المسيح لان الشيطان كقطب سلبي شرير لا يستطيع أن يتغير ليصالح المسيح. والمسيح كقطب إيجابي صالح لا يقدر هو الآخر أن يتغير عن صلاحه ليصالح إبليس. إذاً الذي قد تغير حقاً وتدحرج عن مستواه يقيناً إنما هو الكنيسة، وفي تغييرها هذا باتت في نظر المسيح كوشية وفي نظر العالم جميلة.

ولكن متى كان للعالم الشرير جماله وبياضه؟ وهل يجتنون من الشوك عنباً ومن الحسك تيناً؟ فعلام رحت أيتها الكنيسة في أيامك الأخيرة تتطلعين هكذا إلى روح العالم الحاضر بعيونك الجميلة؟ أولم يكن من الأصلح لك لو بقيت هكذا ناطورة الكروم وأنت مشبعة بدم العنب وروح الفداء وخمرة الحب من أن يلبسك العالم الأرجوان والقرمز ويزين صدرك بالذهب والحجارة الكريمة واللؤلؤ وبعدما نشفت محبة الحبيب من قلبك وعروقك؟ تذكري موسى وكيف ارتضى أن يذل مع شعب الله من أن يكون له تمتع وقتي بالخطيئة حاسباً عار المسيح غنى اعظم من خزائن مصر. وتسلّقي جبل طابور مع من تسلق لكيما تتلوحين بشمس البر (ملا٤ : ٢).

فإلى القديسة مريم السوداء الجميلة والمكرسة للمسيح يا بنات أورشليم اللاهيات العابثات. والى خيام قيدار وشقق سليمان بل إلى خيام الأبرار وشقق المسيح ملك السلام والحكمة يا سكارى الصحاري وابناء البوادي.

اجل هناك الجمال يا بنات أورشليم. هناك في الخيام المجيدة والشقق العجيبة والمنازل الإلهية والمقادس السماوية يستقر المتعبون ويسكن السلام. نعم هناك في أعالي الجبال وفي ذرى السماوات حيث الشمس الأبدية والقداسة السرمدية تبنى المظال ليس لموسى وايليا فقط وليس لبطرس ويعقوب ويوحنا فحسب، بل لجميع الذين باتوا تحت أشعة شمس المسيح في الإنجيل، بيضاً في نظر المسيح وسوداً في نظر العالم.

٧- أخبرني يا من تحبه نفسي. أين ترعى. أين تربض عند الظهيرة لماذا أكون كمقنّعة عند قطعان أصحابك

هذه هي مشاعر وعواطف الحبيبة تجاه الحبيب وهكذا هي توسلاتها إليه. فالحبيبة هنا تتخطى حدود الذات وتعبر مجال الأنا و لم تعد ترى لها شخصية ما من غير حبيب. فشخصيتها، شخصيته هو، وحياتها حياته هو، ووجودها وجوده هو.

كيف لا تتوسل الحبيبة هكذا وقد دخلت تحت سلطانه دخولاً وتحت أجنحته تحتمي حماية؟ وهل من سلطان قاهر اكثر من سلطان الحب والحبيب، طبيعياً كان أم روحياً. إنسانياً كان أم إلهياً؟ لهذا ستبقى الكنيسة الحبيبة هذه في حضرة المسيح الحبيب باسطة ذراعيها. محنّية ركبتيها. ملّوية كالأسلّة قامتها ومنسكبة كالعصارة نفسها تتوسل وتقول "اخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى عند الظهيرة".

كيف لا تتساءل الحبيبة عن مقر الحبيب ولم يعد لها وجود من دونه؟ كيف لا تتساءل الحبيبة وبحرقة في القلب عن مقر الحبيب، والحبيب قد فاجئها بفراقه المرير قائلاً لها "بعد قليل لا تبصروني ثم بعد قليل ترونني أيضاً. لكني لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. اجل ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. انتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح. المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح. لأنه ولد إنسان إلى العالم. فانتم كذلك عندكم الآن حزن ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا يترع أحد فرحكم منكم" (يو١٦: ٦-٢٢) وكذلك قال لها "لا تضطرب قلوبكم. انتم تؤمنون بالله. فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة. وإلا فإني قلت لكم أنا امضي لأعد لكم مكاناً. وان مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إلي.

وحيث أكون أنا تكونون انتم أيضاً هناك. وتعلمون حيث أنا اذهب. وتعلمون الطريق" (يو١٤ :١-٤).

وها هي الكنيسة تستخبر عنه وعن مكانه وأين يرعى عند الظهيرة وذلك على لسان توما قائلاً له "يا سيد لسنا نعلم أين تذهب. فكيف نقدر أن نعرف الطريق" فيجيبه يسوع "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو ١٤ :٦).

اجل عند الظهيرة قد بلغ الحب مداه وأقصاه بل ذروته وكماله وذلك بالصليب من أجل الحبيبة. فمن الساعة الثالثة وحتى الساعة التاسعة تكامل حب الحبيب في الصليب كشمس بر تضيء في قوتها عند الظهيرة.

لقد أخفى الشيطان هذه الشمس،شمس الحبيب بستائره وحجارته وأختامه وأكفانه وقواته برهة. ولكن ما أن بزغ فجر الأحد باكراً والظلام بعد باق حتى انطلقت هذه الشمس ثانية كما هي في الظهيرة وذلك بقيامة يسوع الحبيب من بين الأموات، حيث الغروب والموت كما قال الحبيب نفسه "خرجت من عند الآب وأتيت إلى العالم وأيضاً اترك العالم واذهب إلى الآب" (يو١٦: ٢٨). وهذا ما قد حصل بالتمام "حين اخرج المسيح تلاميذه خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعد إلى السماء" (لو٢٤: ٥١).

فكيف لا تتألم الحبيبة على فراق للحبيب كهذا وتتساءل بحزن عميق قائلة "اخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى عند الظهيرة". الحبيب في السماء يرعى أيتها الحبيبة والجميلة بين النساء. وهناك عن يمين الآب يربض عند الظهيرة كما تربض الشمس

في كبد السماء. ومن ذياك المركز الحبي والعرش اللاهوتي يرعى جميع من في السماء وعلى الأرض ومن تحت الأرض رعاية مزدوجة طبيعية وروحية. آنية ودهرية.

اجل سيرعى الحبيب المسيح، هذا الرئيس العظيم جميع المعينين إلى الحياة الأبدية في ظهيرة سماوية لا تعرف شمسها غروباً ولا قمرها محاقاً ولا نجمها أفولاً.

ولكن الحبيب وإن إنطلق إلى السماء هكذا وغاب عن الحبيبة في الجسد حيناً ولكنه لا يزال معها في كلمته ولا يزال فيها بروحه. كان معها كعمانوئيل أيام تجسده على الأرض واما اليوم وبعد صعوده بات فيها بروحه وقوته. الأمر الذي أعلنه المسيح للكنيسة بقوله "لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق، انه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦ :٦).

إذاً كان المسيح للحبيبة (الكنيسة) في أيام تجسده على الأرض قوة إلهية تدغدغ أحشائها كقوة حبية تأتيها من الخارج. أما في عطية الروح القدس فقد صار المسيح فيها قوة داخلية أو ينبوعاً باطنياً يغمر حياتها بالحب ويفيض حتى إلى ما ورائها في الخارج. وفي هذا يقول الرب "وأنا اطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. واما انتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٦_١٧). ولو بقى المسيح هكذا قوة خارجية عن التلاميذ، لبقي التلاميذ إلى يومنا هذا إن قدر لهم البقاء هكذا ضعفاء جبناء مترددين وناكرين.

لذلك تعزّي أيتها الكنيسة على غياب الحبيب في الجسد طالما هو معك وفيك بروح حبه وحب روحه وسيأتيك يقيناً عند مساء الحياة وفي منتصف ليلها البهيم فوق سحاب المجد. فترينه إذاك وجهاً لوجه في جراحات حبه وحب جراحاته.

نعم ترينه وهو يجمع قطعان الأصحاب من أقصى الأرض إلى أقصاها لتربض في حضيرته كباشاً وأغناماً وخرافاً. كما هو مكتوب "وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك. ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم. وهم سيملكون إلى ابد الآبدين" (رؤ ٤ :٥).

ولكن إن كان الحبيب قد ربض هكذا عن يمين الآب في الأعالي عند الظهيرة. فعلام إذاً تحتج الحبيبة بقولها "لماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك". انه استفسار حائر تطرحه الكنيسة الحبيبة على مسامع المسيح الحبيب. ترجو فيه المنفذ من التجربة والعزاء وسط الحيرة والخلاص وسط الآتون. ولكنها ستبقى هكذا مترنحة في مشيتها ومنحنية بقامتها ، جامدة بعقليتها وقصيرة ببصيرتها ومبعثرة بخيالها وكسيرة بأجنحتها ومطمورة برسالتها، حتى تدخل بشركة حبية عميقة مع الحبيب وذلك في محاجئ الصخر وفي ستر المعاقل.

أجل هناك وفي هذه المواقع تمتلئ الحبيبة من روحه القدوس وتدخل في عرسه وتسكر بخمرة فدائه. وإلا كيف يسوغ للحبيبة أن تتجاهل تقنّعها عند الأصحاب وتكون مغمورة عند الرعاة؟ بعدما جعلها الأصحاب والرعاة ناطورة للكروم ولا سيما قد انسلخت من هؤلاء الأصحاب الأشرار وخرجت من تحت نير هؤلاء الرعاة القساة والتحقت بصاحب آخر وراع آخر هو المسيح يسوع؟

نعم لقد احب المسيح هؤلاء الأصحاب والرعاة والكرامين محبة عظمى وبالتجسد والفداء قد صار لهم أخاً وصاحباً وحبيباً، بل وفتح ذراعيه ليحتضنهم على الصليب. ولكن ليس الجميع قد قبلوا هذه الاخوة والصحابة والمحبة "لأنه ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل"، بل قد صاروا أصحاباً للشيطان كيهوذا وأخوة للخطيئة كإخوة يوسف وأحباء للعالم كديماس. فهؤلاء هم الذين ناصبوا المسيح الحبيب العداء ومن ثم رفعوه مصلوباً فوق خشبة. بل راحوا يغطون وجهه بمنديل ليبقى مقنعاً بحبه وبره عنهم كأصحاب خونة واخوة كذبة. كيف لا يقنّعون وجه المسيح المنير هكذا بمناديلهم القذرة واعمالهم النجسة "وقد احبوا الظلمة اكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة ولأن كل من بعمل السيئات يبغض النور لئلا توبخ أعماله".(يو٣ :١٩_٢٠)؟

والآن فإن كانت الحبيبة هي انعكاس لصورة المسيح المجيد ووجهه المنير في وسط عالم شرير. ا فما يجب أن تدرك جيداً بأنها ستكون هي الأخرى محتقرة ومقنعة عند هؤلاء الأصحاب والقطعان؟ وهل للشيطان هدف مركّز في الوجود غير تغطية صورة المسيح الحبيب والمطبوع على وجه الكنيسة الحبيبة لكي يبقى على سيادته ويهلك الإنسان فريسته؟

الشيطان والجسد والعالم هم الأقنعة الكثيفة فوق قلوب أبناء الظلام والستائر القوية على عقول أبناء اللعنة. هذه الستائر وتلك الأقنعة التي تمزقت وانشقت من فوق إلى اسفل أمام ضمائر القديسين وأحباء يسوع.

أليس كذلك أيها الأعمى ابن طيما؟ أليس كذلك أيتها المجدلية ذات الأقنعة السبعة؟ أليس كذلك أيها الناموسي الفريسي شاؤل؟ أليس كذلك يا جميع التائبين عن

المعصية والرافعين الأقنعة عن القلوب والستائر عن العقول والمناديل عن الأذهان بسلطان ذلك الصوت الصارخ على الصليب، صوت الحب والحبيب؟

لا يزال الشيطان بدهائه الماكر وخبراته الطويلة مع الإنسان يضع الأقنعة والمناديل على وجه المسيح في حبيبته. فتارة يضع فوق وجهها منديل الزعامة وقد صُنع من الحرير الناعم. وتارة يلف وجهها ببرقع العداوة الأسود المعتم. وتارة يقمّطها بمنديل الدلال المنوم وأخرى بمنديل الزنى المخضرم. وتارة يغلفها بالفلسفة الإلحادية وعدم الإيمان وأخرى بالهراطق والبدع المهلكة. مرة يضع على قلبها برقع الناموس ومرة أخرى على عقلها يضع برقع ابن طرسوس. وبالإجماع كل هذه الأقنعة قديمها وحديثها. حاضرها ومستقبلها. ظاهرها وباطنها. ناعمها وخشنها. يستهدف منها الشيطان أمراً واحداً أساسياً، هو إقصاء صورة المسيح الحبيب عن عيون الناس وذلك ضماناً لهلاكهم وشقائهم ليس إلاّ.

ولكن من هم هؤلاء الصحاب الذين يجعلون الكنيسة الحبيبة مقنعة؟ إنهم الفريسيون الذين يغطون وجه الكنيسة ببرقع ريائهم ونفاقهم. انهم الناموسيين الذين يغطون وجه المسيح في الكنيسة ببرقع حرفية ناموسهم. انهم الهيرودسيين الذين أمسوا يغطون ويبرقعون إنجيل المسيح ببرقع فلسفتهم. انهم الرعاة الذين يغطون وجه المسيح بمناديلهم مراعاة لجيوبهم وبطونهم وكراسي رئاساتهم. انهم القطعان الذين يغطون وجه المسيح في الكنيسة بأقنعة جهالتهم استرضاء لوجوه ساداتهم وأصنامهم.

نعم إنه الشيطان الذي أخذ على عاتقه أن يرفع أمام العيون البشرية كل صورة زانية وكل صورة ظالمة وكل صورة كاذبة وكل صورة قبيحة. سوى صورة واحدة

فقط، هي صورة يسوع ابن الإنسان. تلك الصورة التي تختلف حقا عن كل صور ابن آدم ميلاداً وتعليماً وحياة واعجازاً وموتاً وقيامة وصعوداً ومجيئاً ثانياً بل مصدراً وغاية.

والآن إن كانت الصور البشرية قاطبة تعكس صورة الشيطان بالذنوب والخطايا وبالتالي بالموت والنتانة. وإن كانت صورة المسيح هي الصورة الوحيدة المطلقة التي تعكس صورة الآب بالبر والقداسة وبالتالي قيامة وحياة جديدة أبدية. فهل من الحق بشئ وهذا الواقع، أن تستعلن في عالمنا كافة الصور القبيحة وترفع عالياً وتمجّد، بينما تقنّع صورة المسيح الحبيب هكذا تقنعاً في هذا العالم، ولا سيما لدى الأصحاب والرعاة؟ أفلا تدل هذه الظاهرة الشاذة السلبية على أن الروح العامل في هذا العالم هو روح الشيطان صانع كل تلك الأقنعة وصاحب كل الستائر والمناديل؟ وإلا هل قدرت امرأة برجل في هذا العالم منذ تكوينه أن تقدم صورة جميلة بارة كالصورة التي قدمتها العذراء مريم في المسيح يسوع؟ أما المسيح هذا فقد صار بتجسده من العذراء مريم رفيقاً وصاحباً لكل الجنس البشري مهما تنوعت ألوانه وقومياته وبموته على الصليب قد اصبح أخاً وحبيباً وفادياً لكل إنسان آتياً إلى العالم وهو لا يزال هكذا صديقاً وصاحباً وفادياً، طالما في الحياة الحاضرة اله متجسد من عذراء ومسيح مصلوب قد فتح باب الحوار والمصالحة مع الإنسان الخاطئ بتجسده وصليبه.

وأما أنت يا نفسي ويا حبيبة يسوع الأمينة وإنسانته الجديدة وكنيسته المختارة. فعلام تفتشين بعد عن يسوعك الحبيب بين هؤلاء الأصحاب وقد زنوا وبين رعاة القطعان وقد تاهوا؟

٨- إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جدائك عند مساكن الرعاة

فما لك أيتها الجميلة بين النساء تفتشين حتى الآن عن الحبيب يسوع وأنت بين الرعاة العالميين وأصحاب القطعان الجسديين وقد تاهوا؟ أولست تعلمين أيتها الجميلة حتى الآن أن الذي من الأرض هو ارضي ومن الأرض يتكلم وفي ارض الخطيئة يشقى ويموت؟

فأخرجي إذن من الأرض وقد تدنست تحت أقدام سكانها مع من خرجوا واقتفي آثار الغنم وارعي جدائك عند مساكن الرعاة الصالحين. اجل اخرجي أيتها الجميلة بين النساء وايتها الحبيبة بين البنات. اخرجي يا انسانة الله، يا كنيسة يسوع المسيح من مصر الخطيئة وعبودية فرعون إلى أورشليم السماوية، مدينة الحرية والمحبة والحياة. أخرجي من سدوم وعمورة، مدينتي الفسق والفجور والخلاعات واهربي إلى تلك المدينة الجبلية العالية ذات الاساسات الصخرية والتي صانعها وبارئها هو الله. أخرجي بل اهربي من اليهودية العاصية، وتحصني في مدينة الحق الجبلية العالية، مدينة العذراء الفدائية.

ولكن لا تهربي في شتاء الخطيئة، حيث السحب القاتمة والرعود المخيفة والصواعق المهلكة والسيول الجارفة والأوحال المزحلقة. ولا تهربي في سبت الناموس كذلك، حيث الحرفية الجامدة والفريسية الصالبة. بل اهربي في ربيع الحياة حيث الشمس المشرقة والأزهار المتفتحة والرياح الناعمة والقيامة المنتصرة ونعم الحبيب الفدائية المنسكبة.

نعم اهربوا من فساد العالم وتحفظوا من الزنى يا جميع عباد الله ولا تقيّدكم الخطيئة بإغرائها. لأن أيامكم، أيام شريرة وأزمتكم، أزمنة صعبة. بل تحفظوا بفلك النجاة الخلاصي يسوع المسيح من غضبة الطوفان ومن أمواجه العارمة والتي أوشكت أن تغطي أعالي الجبال وتبتلع سباع الدنيا واسودها بأدبائها وشعرائها، بعلمائها وفلاسفتها، بعظمائها وملوكها، بقادتها وأغنيائها، "لأن الجميع قد زاغوا وفسدوا وليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رو٣ :١٢-١٨).

اجل أخرجي يا عائلة نوح القرن العشرين وعائلة البرج البابلي من قلعة الأنانية والإلحاد إلى قلعة التضحية والإيمان والبرج الفدائي. وأخرجي أنت يا نفسي من دائرة الجسد وأعماله الشريرة في "الزنى. العهارة. النجاسة. الدعارة. عبادة الأوثان. السحر. العداوة. الخصام. التحزب. الشقاق. البدعة. الحسد. القتل. السكر. البطر" (غل٥ :١٩_٢١) إلى دائرة الروح وثماره الصالحة في "المحبة. الفرح. السلام. طول الأناة. اللطف. الصلاح. الإيمان. الوداعة. التعفف" (غل٥: ٢٢). أخرجي أيتها الجميلة بين النساء من ستراتيجية الشيطان وأفلاكه، حيث المظالم والمخاوف والفجور والشهوات والفساد إلى صليب يسوع، حيث الحق والبر والسلام والصلاح.

نعم اخرجي أيتها العائلة الحبيبة على آثار الغنم، آثار من قالوا "من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح" (رو٨: ٣٦)، آثار من تركوا العالم وما فيه من شهوة جسد وشهوة عيون وتعظم معيشة وصلبوا لجسد مع الأهواء والشهوات، آثار من اختاروا لهم الطريق الضيق سبيلاً وصليب المسيح شعاراً نيراً.

نعم أيتها الحبيبة والجميلة. اقتفي آثار أولئك الأسود الأقوياء والعمالقة الأشداء والآباء الأوفياء "الذين بالإيمان قهروا ممالك وسدوا أفواه اسود اطفئوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا في ضعف...، وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة افضل وآخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود أيضا وحبس. رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلاً بالسيف طافوا في جلود غنم وجلود ماعز معتازين مكروبين مذلين (عب١١ :٣٣_٣٧). اصعدي من بابل السبي أيتها الجميلة الحبيبة. واخرجي من بئر الهاوية أيتها الأسيرة. واركضي وراء الغنم التي ذبحت بسكين العالم والشيطان ذبحاً عظيماً. وسحقت في مسلخ الرعاة القصابين سحقاً أليماً. واحرقت في أتون الملوك والعظماء حرقاً مريراً. وابتغي وطناً لك سماوياً يسكن فيه البر.

هذا هو الدرب الضيق الذي سارت فيه أغنام يسوع، إنه طريق الحق والحياة، طريق البر والصلاح، طريق المحبة والفداء، طريق الإيمان والشهادة، طريق الحبيب يسوع المسيح، طريق الحب والحبيب وطريق العشق والعاشقين القديسين. فكيف إذاً لم تعرفي أين هو حبيبك المسيح أيتها الجميلة بين النساء وقد أشبعك بقبلات من فمه وأسكر بالخمرة الفدائية قلبك وأدهن باطياب الروح القدس حياتك بل وراء حجال لاهوته وستر معاقل صليبه دخولاً قد أدخلك؟
أو لست تعلمين بعد أن حبيبك يسوع المسيح قائم إطلاقاً في كلمة إنجيله. كقول الرسول بولس "لأني لست استحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن" (رو١: ١٦). وانه جالس في أسرارك لأن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا ويعلن سره لعبيده الأنبياء. وانه موجود في شخصيات رسله. وناطق في قديسيه. ومصلوب في دم شهدائه. ومقروء في سطور كتّابه. ومسموع في أصوات وعّاظه.

ومتكئ في أكواخ فقرائه. مقيد بسلاسل ماسوريه. ومنطرح فوق أسرّة متوجعيه. ومتسّول في بطون جائعيه. مظلوم في جماهير مظلوميه. ومتوسط بين مصلوبيه؟

فإن لم تعرفي الطريق أيتها الجميلة بين النساء والعذراء بين البنات فاخرجي على آثار الغنم وهناك في الطريق ترين حبيبك وخرافه مضطجعة تستريح عند مساكن الرعاة الصالحين. أو ليست هذه هي المسوؤلية الأساسية التي حمّلها رئيس الرعاة العظيم المسيح للكنيسة الحبيبة والحسناء بين الأمم وذلك في شخص الرسول بطرس بقوله له ارع غنمي؟

اجل إنها توصية لوم وحب. إنها توصية تحفظ وتذكر. إنها توصية رعاية ومسوؤلية. وإذ وعى الرسول بطرس كل أطراف هذه الوصية المقتضبة الواسعة راح يكتب في رسالته إلى الشيوخ قائلاً "ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى" (١بط٥ :١_٤).

ولكن هل حمّل المسيح الكنيسة رعاية الخراف داخل الحضيرة فقط أم رعاية الجداء كذلك داخلها وخارجها؟ إنه لم يحملها مسؤولية الخراف فقط والتي تعرفه وتميّز صوته فقط بل حملها أيضاً مسؤولية الجداء داخل الكنيسة وخارجها حيث أن الحبيب "لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاةً إلى التوبة"

أو ألم يوصي المسيح تلاميذه ورسله الإثني عشر بدعوة الجداء إلى مساكن الرعاة "بقوله اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل إلى للخليقة كلها"(مرقس١٦ :١٥). وبقوله كذلك "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي

شهودا في اورشليم وفي اليهودية والسامرة والى أقاصي الأرض" (اعما١ :٨).
وقوله كذلك "الي قد دفع كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذو العالم اجمع وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨ :١٨_١٩).

إذاً قد حمل المسيح المجيد مسوؤلية خطيرة إلى الكنيسة في دعوة الجداء من كل الأمم والقبائل والشعوب إلى مساكن رعاته وحظيرة قديسيه. الجداء الذين أتوا من المشارق والمغارب وربضوا في أحضان إبراهيم، أحضان الإيمان والحياة. لا جداء فيما بعد بل خرافاً وأغناماً وكباشاً "لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم". وان يصنع من الجداء خرافاً لملكوت ذاك الذي اشتاق إليه إبراهيم أي يسوع المسيح ربنا.

أليس كذلك أيتها الجدية الفينيقية السورية؟ أليس كذلك أيتها المعزى السامرية المجدلية؟ وماذا تقول أنت أيها التيس الطرسوسي شاؤل؟ بل كيف تحول هذا التيس الأرعن في طريق دمشق إلى كبش وديع للمسيح بعدما نطح بقرنيه الكثير من خراف المسيح. وليس ذلك وحسب بل راح وهو الكبش الجديد للمسيح يدعو جداء قومه بل تيوسهم وكهنتهم مع جداء الأمم وتيوسها للتوبة والإيمان بيسوع المسيح كقوله" شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (اع٢٠ :٢١).

والآن هل من فرق يا صاحبي بين الجداء داخل الكنيسة وخارجها؟ أفلا يحتاج القطاعان الشريران هذان إلى التوبة والإيمان والتجمع حول مساكن الرعاة الصالحين؟

إذاً أمست مهمة الحبيبة بين البنات والجميلة بين النساء (الكنيسة) إعلان مجد الحبيب تجسداً وفداء للجداء والخراف على حد سواء. لهؤلاء توبة وإيمان للخلاص ولأولئك ثباتاَ في التوبة والإيمان وللخلاص كذلك. فمن اجل هذا قد جاء المسيح إلى العالم حبيباً. خروفاً لله الآب مذبوحاً بل كبشاً سماوياً منتصراً على ذياك التيس الشيطاني لكيما يحول بصليبه الجداء اليسارية إلى خراف يمينية وذلك داخل حضيرة كنيسته وعند مساكن رعاته وكهنته. فحبيبة يسوع الأمينة وكنيسته الحكيمة هي التي تكنس بيتها من الغبار وتوقد سراج إنجيلها وتفتش عن الدرهم المفقود وهي التي تترك التسعة والتسعين خروفاً في الحضيرة لتبحث عن الخروف الضال في الطرق والساحات والأودية والجبال مع كافة العمي والبرص والصم والعرج والمقعدين وتدخله إلى الحضيرة ليلتذ هو أيضاً حول مساكن الرعاة.

نعم هكذا كانت العذراء مريم في واقعها التجسدي وميلادها العذراوي تحول الجداء الأشرار إلى خراف صالحة وذلك ببر ذاك الحمل السماوي والرافع خطايا العالم وهكذا كان ولا يزال شان الكنيسة التي للقديسين تجمع الجداء من كل حدب وصوب لتحولهم إلى خراف وديعة في مساكن الرعاة.

فهل أنت كذلك أيتها الكنيسة تحولين اليوم الجداء خرافاً. والعشّارين تائبين. والزناة قديسين. والصدوقيين مؤمنين. والفريسيين روحيين. والمتكبرين المتعجرفين متّضعين. والمتخاصمين محبين. والمجرمين مسالمين. والماديين قانعين؟ أم انك على عكس أمك العذراء وعلى النقيض من كنيسة القديسين تحولين الخراف جداء وتشردينها فوق الجبال في أيام الغيم والضباب لتكون مأكلاً لوحوش الإلحاد وفريسة لسباع الهرطقات؟

فإلى آثار الغنم ومساكن الشهداء القديسين، يا جميع الخرفان التائه فوق الجبال والى مساكن الرعاة ومربض الآباء الأولين، يا جميع الجداء الضائعة في أعماق الوديان. بل إلى إنجيل المسيح مربض الحياة المطلق، يا جميع الرعاة والخراف والجداء لتصحوا قلباً وتزدادوا قوةً وتلقوا وجوداً.

وأما أنت يا نفسي يا من حوّلك خروف الفصح المجيد يسوع المسيح بقربانه على الصليب من جدية للعنة إلى خروف للبركة. فاربضي عند مساكن الرعاة مع الغنم المختار. وهناك تعرفين كيف يرعى الحبيب قطيعه. وكيف يحمل الخراف في أحضانه. وكيف يقود المرضعات (اش٤: ١١). واذاك يحق لك أن ترنمي وتنشدي نشيد الأمان والسلام مع صاحب المزامير وتقولي "الرب راعيّ فلا يعوزني شئ. في مراع خضر يربضني والى مياه الراحة يوردني" (مز٢٣ :١-٢).

٩- لقد شبّهتك يا حبيبتي بفرس في مركبات فرعون

١٠- ما اجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد

١١- نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من الفضة

هنا يشبه المسيح كنيسته المحبوبة بفرس في مركبات فرعون. كيف لا وهي التي تحمل رسالته كملك ملوك راكباً فوق فرس ابيض ومعه وفي يده بشارة أبدية ومعه قوس وخرج غالباً ولكي يغلب (رو٦ :٢) ليبشر الساكنين على الأرض؟ ففرس بيضاء كهذه راحت تدور العالم يميناً ويساراً شمالاً وجنوباً مدلّلة بتلك الجولات المهيبة على مركبة حزقيال المجيدة. بل راحت تتحمل الأخطار الكثيرة والكبيرة والمصاعب الجسام والشدائد العظام في الجبال والهضاب تارة وفي الوديان والقفار تارة أخرى من اجل الشهادة للملك العظيم كقول الرسول بولس "بأسفار مراراً

كثيرة. بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من جنسي. بأخطار من الأمم. بأخطار في المدينة. بأخطار في البرية. بأخطار في البحر." (٢كو١٠ :٢٦). كيف لا والفرس هذه تسير بالمركبة من نصر لنصر ومن مجد لمجد ومن قوة إلى قوة. كقول الرسول بولس "من سيفصلنا عن محبة المسيح اشده أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي احبنا" (رو٨ :٣٥_٣٧).

اجل للبحر سلطان أن يبتلع مركبات فرعون وجميع فرسانه. وللموت قوة أن يأكل مركبات فراعنة العالم كلّهم وكافة قواتها وجيوشها، جيشاً بعد جيش وأمة بعد أمة. لكن ملكاً سماوياً واحداً راكباً مركبة واحدة فقط وتجرها فرساً واحدة فقط استطاع أن يمشي فوق البحر ويتحدى أمواجه بل يرعب سلطان الموت ويغزو مملكته. ذاك هو المسيح الذي حُمِل فوق أكتاف المركبة العذراوية وطيف به فوق الفرس الرسولية والبشارة الكنسية، لا في اليهودية فحسب بل في العالم كله والى أقاصي الأرض. ألم يُسكت الريح والبحر بكلمته ويمشي على الماء لينقذ سفينة الرسل من الغرق والموت؟ ألم يخطف بذراع قدسه النبي ايليا في مركبة نارية من بين أمواج نهر الأردن؟ ألم ينتزع حبيبه اليعازر من أحشاء الموت انتزاع عزيز مقتدر بل ويعطي حياة للذين في القبور؟ ألم يتصارع بذاته مع الموت ويصرعه ببره ثم يطفو بمركبة كنيسته وفرسه فوق أمواجه بالقيامة؟ ومن ثم راحت هذه الفرس المباركة البيضاء تجر مركبة الملك العظيم فوق البحر الادرياتيكي تارة وفوق بحيرة طبرية تارة أخرى، بل وفوق بحار العالم المختلفة.

فالمركبة هذه وان كانت مركبة واحدة وكنيسة واحدة لكن أفراسها وقواها كثيرات تعمل معاً بروح واحدة وقوة واحدة للسير بالمركبة الكنسية حيث السيد يجلس، في الخليقة كلّها مبشرة بإنجيل المسيح.

فكيف إذاً والدعوة المجيدة هذه لا يُزيّن الملك العظيم الأعلى هذا خدّي فرسه هذه بسموط وعنقها بقلائد ويصنع لها سلاسل من ذهب مع جمان من فضة وذلك نظير ما صنع فرعون مع فرس مركبته؟ وهل من وجه جميل حقاً كوجه هذه الفرس وهي تقود المركبة التي تجول بالمسيح يسوع رباً ومخلصاً؟

نعم وجهها الجديد الجميل هذا إنما هو وجه اللطف والوداعة والمحبة والسلام ووجه البر والقداسة والرجاء والإيمان ووجه الهيبة والوقار بل وجه الحرب والانتصار. اجل وجه كهذا مجّمل بسموط وعنق كهذا مجّمل بقلائد يرعب حقاً حتى القلوب في الغزاة الظالمين. بل وهل من وجه اجمل من الوجه المجمل بصورة المسيح كوجه كنيسة القديسين؟وهل من عنق مزين بقلائد إنجيل المسيح كعنق فرس القديسين؟ بل هل من قيادة ذهبية ملكية ورعاية فضية رسولية كقيادة المسيح وسلسلته الرسولية الحكيمة الموجهة بالروح القدس؟

فكيف لا يرتعب الملك فيلكس أمام هذه الفرس الرسولية (اع٢٤ :٢٥)؟ وكيف لا ترتجف أوثان مصر أمام هذه المركبة العذراوية؟ وكيف لا ترتعش عروش وتتدحرج تيجان وتتكسر صولجانات وتدك حصون وتتهاوى قلاع وتغرق في الأعماق جيوش أمام هذه المركبة الإلهية التي تجرها الخيل البيض بسلاسل رسوليه من ذهب وبجمان أسقفية فضية بعدما جلس عليها الأمين الصادق جلوساً (رؤ١٩ :١١_١٤). ذاك الذي جاء غالباً الموت الأول الروحي بصليبه والعتيد أن يأتي

ليغلب الموت الثاني الجسدي في دينونته (رؤ٦ :٢)؟ أو أليس أمام هذه المركبة السماوية وتحت أقدام هاتيك الأفراس الرسولية البيض ذوي الوجوه المجملة بسموط والاعناق المزينة بقلائد والرقاب الملبسة بسلاسل ذهب، حيث القداسة الملتهبة ومواهب الروح القدس اللامعة والقيادات الرسولية المتسلسلة والسفارات الرسولية الملتهبة، اندكت والى الجحيم معاقل الشيطان وتطايرت إلى المجهول حجارة هياكله؟ أليس كذلك أيها التاريخ وأنت تسجل بيديك المرتجفة ورغم انفك أحداث زوال اعظم الإمبراطوريات الرومانية والفارسية أمام أقدام وحوافر هاتيك الأفراس البيض؟ أفلا يدل ذلك على أن المتربع فوق هذه المركبة حيث الأفراس المزينة بزينة الروح، هو ملك الملوك ورب الأرباب، يسوع المسيح؟

كيف لا وهو الملك الذي حملته المركبة العذراوية مريم كفرس بيضاء وهي محلاة بسموط القداسة ومزينة بقلائد الطهارة تطوف به العالم ملكاً سماوياً والهاً متجسداً ومخلصاً حبيباً؟ أو لم تسقط من هيبته الشياطين مذعورة كسقوط داجون أمام تابوت العهد، عهد الصليب؟ أولم يتنبأ النبي اشعياء عن جلال هذه المركبة العذراوية بقوله "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها" (اش١٩ :١)؟ فهل عني هذا النبي بذلك مصر التاريخية فقط أم مصر الروحية كذلك؟ انه بكل يقين عني مصر التاريخية الأمر الذي قد تم فعلاً يوم قدمت العذراء مريم إلى مصر كسحابة سريعة تحمل على كتفيها الطفل يسوع هاربة من وجه هيرودس (مت٢ :١٣_١٥). غير أن النبي اشعياء عني كذلك وعلى المدى البعيد مصر الروحية والتي هي العالم الخاطئ المستعبد للشيطان المتمثل بفرعون. العالم الذي لا تزال أوثانه الذهبية والفضية واصنامه البشرية والفلسفية ترتجف أمام مركبة السماء هذه وهي تطوف

بيسوع وإنجيله رباً ومخلصاً. وما المركبة النارية التي عاينها النبي حزقيال سوى التعليل المطلق لتحديات هذه المركبة العذراوية والكنسية إلى الشياطين وفراعنتها. ولما كانت الكنيسة الروحية منحدرة من صلب العذراء انحداراً لاهوتياً وروحياً بالتجسد والفداء الذي للمسيح يسوع فقد صارت الكنيسة والعذراء الواجهتين النيرتين للمركبة بل الفرسين السفيرتين المطهّمتين لها. أليس كذلك يا معاشر لاهوتي القرن العشرين؟ أليس كذلك ايتها المركبة اللحمية الملتهبة مريم؟ أليس كذلك أيتها الكنيسة الرسولية المشتعلة حبا مقدساً؟ أليس كذلك يا قارئي العزيز؟

أما أنت يا كنيسة العصر فحذار أن تكوني فرساً اسوداً في مركبة الظالمين الذين يزرعون المجاعات بين الشعوب (رؤ٦ :٥_٦). أو فرساً احمر في مركبة الطغاة الذين ينزعون السلام من الأرض (رؤ٦ :٣_٤). أو فرسا اخضر في مركبة الغزاة الذين ينشرون السيف والجوع والموت بين الناس (رؤ٦ :٧_٨). بل حذار أن تكوني فرساً في مركبة فرعون والشيطان، مركبات الحديد والشر واذاك ستغرقين بثقل الحديد والاثم في أعماق الهلاك والنار. بل كوني يا كنيسة العصر كما كانت عذراؤك من قبل وكنيسنك الرسولية من البدء فرساً ابيضاً في المركبة تحملين السلام الأبيض والبشارة الأبدية في المسيح يسوع إلى الخليقة كلّها. حتى إذا ما دق ناقوس السماء واقبل المسيح فوق مركبات السحب، تصعدين إلى لقاءه في مركبات مجد ونور واذّاك يتغّنى عريسك بك ويتباهى قائلا ما اجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة.

فهل أنت يا نفسي في هذه المركبة الكنسية فرساً ابيضاً أم اسوداً أم احمراً أم اخضراً؟ أ فرساً فرعونياً أنت يا نفسي مزينة بزينة العالم والجسد، أم انك فرس يسوعية مزينة بزينة الروح والسماء؟

١٢- مادام الملك في مجلسه افاح نارديني رائحته

نحن نعلم علم اليقين بأن ملك الحياة يسوع هو أعلى من السماوات أصلاً "لأن به قد خلق ما في السماوات وما على الأرض. ما يرى وما لا يرى. سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق" (كو١ :١٦). وانه القدوس الحق إطلاقاً كقول الملاك للعذراء "لأن المولود منك القدوس وابن الله يدعى "لذلك لا يقدر الشرير أن يجالسه حيث أن عيناه أطهر من أن تنظرا إلى الشر والجور. هوذا عبيده لا يأتمنهم والى ملائكته يُنسب حماقة. فكم بالحري سكان بيوت من طين الذين أساسهم في التراب ومثل العث يسحقون" (أيو٤ :١٩). وكذلك قوله "هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة في عينيه. فكم بالحري مكروه فاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء" (١يو١: ١٥_١٦). ونعلم كذلك أن "مجلس الملك في السماوات قائم مع ملائكة مشورته" (١يو١: ٦).

لكنه فوق كل ذلك تخلى عن حصاناته الأزلية وجلس مع الإنسان الفاسد من جديد ليفتح معه باب الحوار والمصالحة والتي فيها يتعهد المسيح الملك بالموت نيابة عن الخاطئ المستحق الموت الروحي والجسدي وذلك حفاظاً على روح الحق والعدل الكائن إطلاقاً في جوهره كما هو مكتوب."إجرة الخطيئة هي موت". كما ويلتزم بموجبها الإنسان الخاطئ بالتوبة عن الخطيئة والإيمان بموت المسيح الكفاري. فمن هذا المنطلق الفدائي الحبي أمسى مجلس الله مع الإنسان حقيقة تجسدية واقعية

في المسيح يسوع. حتى غدا المجلس الإلهي هذا مجلساً غريباً وعجيباً. إذ فيه يتحول الفحم الحجري الأسود إلى ماس ابيض متين والعشارون الخطاة إلى قديسين أبرار. كما نقرأ عن امرأة كانت خاطئة إذ علمت أن يسوع متكئ في بيت الفريسي، فجاءت بقارورة طيب ووقفت باكية عند قدميه وابتدأت تبلّ قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها وتقّبل قدميه وتدهنهما بالطيب (لو٧ :٣٧-٣٨). "فمن اجل ذلك أقول لك يا سمعان قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. ثم قال للمرأة مغفورة لك خطاياك. إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام" (لو٧: ٣٦-٥٠).

ترى ما الذي نلاحظه في هذه الجلسة الملكية للمسيح مع المرأة الخاطئة؟ أفلا نلاحظ في هذه الجلسة الملكية تنفيذ قرار بنود المصالحة والمشاورة بين الجانبين، الإلهي القائم بالمغفرة والسلام والخلاص والإنساني القائم على التوبة والمحبة والإيمان؟ أفلا تمثل هذه المرأة الخاطئة الإنسانية الجريحة الكسيرة بالخطيئة والتوّاقة إلى الخلاص والحياة؟ ألم تفتح هذه الخاطئة، بفتح قارورتها وبسكب دموعها وناردينها على قدمي يسوع ومسحهما بشعر رأسها، قارورة قلب المسيح لتنسكب عليها حباً وفداء وخلاصاً وحياة أبدية؟ نعم مادام الملك في مجلسه مع الخطاة يفوح نارديني رائحته. فقارورة الملك المسيح إنما هي قلبه الذي كسره بمقتضى بنود الميثاق على الصليب فجرى منه دم وماء. موت وحياة. ناسوت ولاهوت. حب وحق. بر وسلام لينسكب على الإنسانية الجريحة الخاطئة وفي مثال هذه المرأة الخاطئة انسكاباً كاملاً. وقارورة الخاطئة أيضاً إنما هي مثال قلب الإنسانية المكسور في حضرة الملك ليجري منه على أقدام المسيح توبة ودمع، حب وعواطف، إيمان وانكسار. وأذ يمتزج روح القارورتين هذين الإلهية بالإنسانية بالتجسد والفداء، يُخلق الإنسان بقوة الروح القدس جديداً ليعيش فيما بعد ليس لذاته بل لفاديه وليس للناس بل لابن الإنسان

وليس للأرض فحسب بل لابن الأرض والسماء يسوع المسيح ملك البر وسلطان الحياة.

والآن فإن كان من الناردين وجذوره تستخرج العطور والروائح الذكية. فمن المسيح وجذوره الأزلية اللاهوتية تستخرج عطور الحياة الأبدية وروائحها الخالدة. بل وفي صليبه، صليب الألم والموت انسكب الناردين السماوي على قلب الإنسانية المشقق انسكاباً حبياً عجيباً. كقول الكتاب "أخذت مريم منّاً من طيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت به قدميه ومسحتهما بشعر رأسها... فقال يسوع اتركوها. إنها ليوم تكفيني قد حفظته" (يو١٢: ٣-٧).
أجل أن موت الإله المتجسد هذا يسوع المسيح ربنا هو ذات الناردين السماوي الخالص والكثير الثمن والقادر أن يبعد عن الإنسانية نتانة الخطيئة وروائح الموت الكريهة. والى هذا الناردين الذكي والموت الفدائي المجيد أشار الرسول بطرس بقوله "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح إلهنا" (١بط١ :١٨_١٩). والى هذا الناردين الفدائي بالذات أشار الرسول بولس هو الآخر بقوله "اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح واسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (اف٥: ٢).

هذا هو المجلس الأعلى للحياة الذي فيه يجتمع الملك السماوي المسيح بشعبه البشري على الأرض بالتجسد والفداء والذي فيه قد اكمل المسيح الملك البند الأول من ميثاقه بالصليب. ومنذ أن صرخ ملك المحبة هذا على الصليب "قد اكمل" ترك باب الحوار والمصالحة مع الإنسانية مفتوحاً لتدخل مجلسه وتنال

خلاصه وتستنشق ناردينه كل نفس مجدلية وكل إنسانة سامرية وكل أمة وقبيلة سورية فينيقية. لان في مجلس صليبه وفي مجمع حبه وعرس فدائه تتفجر ينابيع الحياة وتجري أنهار الخلاص وتفيض قارورة الغفران من ذياك القلب الكبير المطعون، ناردينا ذكياً وحياة أبدية على القلوب الجريحة والنفوس المحطّمة.

كانت العذراء نقطة تلاقٍ وقاعدة حوار وعرش اجتماع بين الله والإنسان. بل فيها قد جلس الملك المسيح في مجلسه البشري جلوساً وتكلم الله بالكلمة الأزلية بميلاده مع البشرية كلاماً وفجّرت العذراء بتواضعها وانكسارها روائح حياته على الصليب تفجيراً أبدياً.

وليس ذلك وحسب بل وهكذا كانت كنيسة القديسين مجلساً أعلى للملك القدوس يوم توسّطهُما في العلية قائلاً "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم. الحق أقول لكم أنني لا اشرب من نتاج الكرمة هذا حتى اشربه جديداً معكم في ملكوت أبي" (مت٢٦ ٢٩)، ويوم رُفع في وسطها مصلوباً ويوم انسكب بروحه في العلّية سكيباً ويوم يرافقها في مسيرتها إلى السماء عموداً، بل ويوم يأتيها فوق الغمام وفي مجمع قديسيه وملائكته مخلصاً قديراً.

والآن هل أن الملك في مجلسك اليوم ايتها الكنيسة؟ هل هو في مجالسك الكنسية ولجانك المالية ونواديك العالمية ومقرراتك الإدارية بل في اجتماعات أعضائك ومجالس شيوخك وكهنتك ومجامع أساقفتك، أم أن الذات هو الملك الذي يبسط جناحيه اليوم على مقدّراتك؟ هل تدخلين اليوم حقاً يا كنيسة عالمية إلى مجلس الملك القدوس للحوار والمصالحة وتنفّذين بنود الميثاق التي تعهدّت بها أمامه وذلك بالتوبة والدموع والإيمان وبكسر قوارير الطيب وسكب العواطف ومسح القلوب

والأفكار مع العيون بهاتيك الأقدام المشعة المحرقة، أم انك قد قاطعت اجتماع الخلاص هذا وهجرت المجلس وأقفلت باب المصالحة والتوبة؟

فإلى الملك المسيح في مجلس صليبه ايتها النفس البشرية والى مشورة قديسيه الصالحة ايتها الذات، ذات المشورة العالمية الشريرة والى قاعة العذراء حيث يجتمع الله بالإنسان للقداسة والخلاص، يا ربيبة القاعات الجسدية والمجالس الدنيوية حيث يجتمع فيها الشيطان بالإنسان للنجاسة والهلاك. نعم إلى الخاطئة في بيت سمعان الفريسي حيث يتكأ المسيح في مجلسه يا جميع النفوس الجريحة والقلوب المكسورة لأن البيت وان كان بيتاً فريسياً لكن المسيح بمُلكِه وسلامه هو لكم انتم أيها التائبين عن المعصية والمحبون للملك المسيح كثيراً.

١٣- صرة المُرِّ حبيبي لي .بين ثدييَّ يبيت

ترى ما عسى أن تكون صرّة المّر هذه والتي راحت الحبيبة تتلهف إليها عميقا؟ أليست هي جوهرة اللاهوت أصلاً في المسيح يسوع والكائنة إطلاقاً في ناسوته وجسم بشريتة؟ أوليست هي إنسانية يسوع المسيح وقد احتفظت بكل جواهر اللاهوت ونفائس الفداء وصرة المر والموت الكفاري؟ أو ألم تحترق صرة المر هذه احتراقاً بآلام الصليب ,نيرانه المشتعلة المستمرة، فانبعثت باحتراقها روائح الحياة المجيدة وعطور الحب والنداء المباركة المنعشة؟

والآن فإن كان المّر الطبيعي، بخور مّر الطعم يُستخرج من شجرة شائكة وهو مستحضر طيب الرائحة، فالمسيح يسوع أيضاً مّر سماوي روحاني، مّر المذاق حقاً على الطبيعة الإنسانية الخاطئة، لكنه حلو المذاق يقيناً على الطبيعة الجديدة البارة

والذي يُستخرج من شجرته والتي هي شجرة الصليب الشائكة مستحضر طيب الرائحة، هو مستحضر الغفران والخلاص.

وهل من موت على الأرض مشحون بالآلام والاوجاع كموت المسيح جسديا كان أم نفسياً أم روحياً؟ فكيف لا يكون المسيح بصليبه إذن وبكل ما في الصليب من أبعاد وأعماق، صرّة مرّ وخزانة فداء ومحفظة كفارة؟ ومن اجل هذا عبثاً يحاول الإنسان أن يتنسم رائحة الحياة الذكية إلاّ من هذه الصرّة الإلهية وهي تشتعل مرا فوق جمرات الصليب اشتعالاً. بل عبثاً يحاول إنسان الخطيئة، وهو كل إنسان آتيا إلى العالم، أن يشفي من أمراضه ويتخلص من أوجاعه وينجو من طعنات قلبه ووخزات ضميره إلاّ بصرّة المر هذه، صرّة صليب المسيح. لانه إن كانت العلاجات المرّة الطعم والعمليات الجراحية المؤلمة شرطاً للشفاء الجسدي، فآلام الصليب وصرة المر كذلك هي شرطاً أساسياً للشفاء الروحي والعلاج الأدبي. الأمر الذي اختبره الرسول بولس في حياته وحياة الآخرين فراح يقول "فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب٩ : ١٤).

أجل قد سقينا المسيح فوق الصليب مرا ومرارة ولا نزال نسقيه، كما وسقانا هو الآخر من مرارة صليبه ولا يزال يسقينا. ولكن ما اعظم الفرق بين مرارتنا نحن ومرارته هو؟ فمرارتنا نحن إنما هي عصارة قلوب مرّة بالشر معصورة بالإثم والبغضاء وروح الأنانية. أما مرارة المسيح فهي صرة مر وقلب ألم مكسور بالحب ومطعون بالفداء، بل مرارة كفارية إلهية تتصدى لمرارة بشريتنا. ولهذا أمست صرّة مرّ المسيح هذه المستحضر الحي والدواء الفدائي والعلاج الشافي لأمراضنا

المستعصية وخطايانا القرمزية. والى هذا المستحضر السماوي والمر الشافي أشار الرسول يوحنا بقوله "ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة" (١يو١ :٧). وكذلك النبي اشعياء يقول "إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وكالدودي تصير كالصوف" (اش١ :١٨).

والآن فان كانت صرة موت المسيح وآلامه حلاوة لنا. ترى كيف تكون حياته وقيامته من بين الأموات؟ أليست حلاوة بحلاوة وحياة بحياة؟ كقول الرسول بولس أيضاً "لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون، نخلص بحياته"(رو٥ :١٠).

العذراء مريم باتت بنعمة إلهنا صرّة لذياك المّر وحقلاً لذياك الكتر وقسطاً لذياك المن. بل جاز سيف الألم والمرارة بنفسها، لآلام ومرائر وحيدها، مسيح الله. يوم رأته معلقاً بين الأرض والسماء. يعصر من الله والناس مراً ويلتهب فوق جمرات الموت الكفاري التهاباً وذلك تنفيذاً لنبوة سمعان الشيخ القائلة للعذراء "واما أنت فيجوز في نفسك سيف" (لو٢ :٣٥). وما هذا السيف إلا سيف صليب المسيح الذي جاز في نفسها جوازاً. وليس ذلك فحسب بل وبات بين ثديي العذراء مبيتاً زمنياً حرفياً مؤقتاً ومبيتاً آخر روحياً إلهيا مؤبداً، وذلك لكي يكون هذا المبيت الآخر عربوناً لمبيت الحبيب بين ثديي الكنيسة المقدسة مبيتاً أبدياً وبين ثديي إنسانيته الجديدة مبيتاً دهرياً.

كيف لا والكنيسة هي الأخرى كالعذراء قد أمست للمّر الإلهي صرة وللكتر السماوي حقلاً وللؤلؤة الثمينة محفظةً وللمن السماوي قسطاً بل لجسد ودم المسيح

مائدة ومذبحاً؟ فكيف إذن لا يسكن فيها بذاته ويملأها من روحه ويبيت بين ثدييها وأحشائها بحبه وحياته؟

والآن إن كان المسيح الحبيب هكذا يبيت بين ثديي العذراء مريم وبيت هكذا بين ثديي كنيسة القديسين، فهل يبيت كذلك حقاً بين ثدييك أيتها الكنيسة الزمنية وبين أحشائك أيتها النفس الإنسانية؟ أولست تعلمين أيتها الكنيسة بفم الرسول بولس يقول "انتم هيكل لله وروح الله حال فيكم فمن يفسد هيكل الله يفسده الله" (١كو٣ :١٦-١٧)؟ أولست تعلمين أنت الأخرى أيتها النفس البشرية أن الرب يقول "ها انذا واقف على الباب واقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل واتعشى معه وهو معي" (رؤ٣ :٢٠)؟
فهل أنت إذاً أيتها الكنيسة وأنت الأخرى أيتها النفس الإنسانية صرّة للمر وحقل للكنز وقسط للمن وهيكل للروح ومبيت للحبيب تستمدان الميراث اللاهوتي والكنز الفدائي من ذياك الإله المتجسد يسوع المسيح والذي قد بات والذي لا يزال يبيت بين ذينك الثديين المباركين العذراوي والكنسي؟ فإن كنتما اليوم في ذياك المستوى محبة وإيماناً، قداسة وحقاً فتستطيعان أن تقولا (صرّة المرّ حبيبي لي. بين ثديي يبيت).

١٤- طاقة فاغية*. حبيبي لي. في كروم عين جدي

المسيح الحبيب هو بحق وجدارة طاقة فاغية في وسط كروم عين جدي. بل في وسط كروم المؤمنين وغصون القديسين وجبال المختارين. كيف لا والمسيح الرب هو جمال الحياة الطبيعية والروحية على حد سواء؟ بل رائحتها الذكية ومناظرها

---

* الطاقة الفاغية هي نبتة الحناء عندما تصبح عنقوداً ملآنا بالأزهار.

الخلابة الجميلة؟ أليس المسيح الحبيب هو علة الجمال لكل العرائس والأعراس المدعوين إلى عرس قانا الجليل بل إلى قانا السماء؟

فإن كانت طاقة الحناء مصدر تجميل العذارى جسدياً، فالمسيح كذلك طاقة فاغية وحنّاء سماوية لتجميل العذارى تجميلاً روحياً. وذلك في أبناء الكروم وفي وسط شعبه وأحبائه. تلك الكروم المغروسة فوق أكمّة الصليب وهي تُسقى ليس بمياه عين جدي الزائلة بل بمياه عين الحمل المذبوح الخالدة.

والآن فان كانت الحنّاء تكسب العرائس هكذا جمالاً احمراً فبالأولى تكسب حنّاء المسيح ودمه القاني الأحمر عبيده جمالاً احمراً ومحبة بالصليب الدامي قانية؟ وهكذا سيبقى هذا اللون الأحمر القرمزي وتلك الطاقة الفاغية، طاقة صليب المسيح صبغة جمال العاشقين الروحيين والقديسين الملهمين. كما تنبأ النبي اشعياء عن هذا الجمال الأحمر في المسيح وطاقته الفاغية قائلاً "من ذا الآتي من آدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه والمتعظم بكثرة قوته" (اش٦٣: ١). هذا الجمال الرائع الذي ادهش حتى الكائنات الملائكية بعد رجوع المسيح إليهم هكذا احمراً قانياً من آدوم الأرض وبُصرة العالم. فراحت هذه الكائنات الملائكية تستخبر قائلة "ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة" (اش٦٣: ٢). فيجيبها الرب الصاعد إلى السماء "قد دست المعصرة وحدي ومن والشعوب لم يكن معي أحد. فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيضي. فرُشَّ عصيرهم على ثيابي وتلطخت كل ملابسي" (اش٦٣ :٣).

هذه هي الطاقة الفاغية والحنّاء الزاهية التي اصطبغ بها الملك الحبيب المسيح في قتاله ومصارعاته مع "الرؤساء والسلاطين مع ظلمة هذا الدهر وولاة العالم مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف٦ :١٢ـ١٣). والتي فيها حاز المسيح على

الغلبة الحمراء والنصر الأبيض المبين. وذلك ليس لحسابه هو بل لحسابنا نحن. وبهذه الحلّة الحمراء قد رآه الحبيب يوحنا كذلك: "وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله" (رؤ١٩ :١٣).

واليوم هل يرتدي أساقفة الكنيسة الثوب الأرجواني الأحمر تيمّناً بالمسيح يسوع الذي أُلبِس الثوب الأرجواني في المحاكمة استهتاراً وتلطخ جسمه على الصليب بدمه الزكي افتداء؟ فإن كان اليوم الثوب الأرجواني في الأساقفة هذا بهذا المفهوم فنعم اللباس ونعم التقليد. وهل أساقفة الكنيسة اليوم على استعداد ليبذلوا دمائهم القانية الحمراء في سبيل إنجيل المسيح وخرافه شأنهم بذلك شأن الذين سبقوهم في التقليد الأرجواني والعمل الفدائي؟

هل الكنيسة اليوم اكليروساً وشعباً مصبوغة يقيناً بالحناء والطاقة الفاغية الفدائية ومجمّلة بحمرة الحب والحبيب؟ فإن كانت العذراء قد اصطبغت أولاً بهذه الطاقة الفاغية وتجملت هكذا بحناء الحبيب بالتجسد والفداء وإن كانت كنيسة الرسل والقديسين قد اصطبغت هي الأخرى بذات الطاقة والحناء الدموية أفلا يتوجب على الكنيسة اليوم أن تكون هكذا مصطبغة بالحناء ومجملة بدم الفداء؟ لتعمل على صبغة الأمم بصبغة الإنجيل وتجميلهم بحناء التجسد والفداء؟ هل أنت اليوم ايتها الكنيسة نظير كروم عين جدي مياهاً واخضراراً، جبالاً وحصوناً، تتوسطك الطاقة الفاغية والجميل الحبيب، يسوع المسيح؟ شأنك في ذلك شأن كروم رسلك وقديسيك وآبائك، أم انك اليوم كروم مهجورة يتوسطها الشوك والحسك بدل الحناء؟ والبغضاء والصراخ بدل المحبة والحق؟ والثعالب المحتالة بدل الخراف المبتاعة؟ ما هو نوع الحنّاء في يديك اليوم أيتها الكنيسة والصبغة في كفيك يا حبيبة؟ أ هي

حنّاء صليب المسيح أم إنها حنّاء سفك دماء الأبرياء وسلب حقوقهم وقتل نفوسهم؟

فاغسلي يديك أيتها الكنيسة من حناء الجسد وشهواته ومن صبغة العالم ومغرياته. ولكن لا كما غسل بيلاطس يديه من مسؤولية دم المسيح بماء. بل اغسليها بالتوبة القلبية وبالماء والدم الخارجين من القلب والى القلب؟ واذاك "إن كانت خطاياك كالقرمز تبيض كالثلج وان كانت كالدودي حمراء تصير كالصوف"(اش١ :١٨).
نعم اذاك يصبغ المسيح الحبيب يديك بطاقته الفاغية ويجملك بحنّائه الفادية.
أما أنت يا نفسي فلقد صبغك الحبيب بصبغة الحب وحنّاء الخلاص منذ أن خطبك لنفسه بالإنجيل بالمعمودية. لتكوني له عذراء عفيفة وزوجة في عهد الفداء أمينة. ولكن احذري أنت الأخرى من غسل حنائك بوعاء بيلاطس وشهوة الملك. وفي مياه يهوذا طلباً لفضة. وفي مياه ديماس طلباً لثروة. وفي مياه قورح طلباً لرئاسة. وفي كؤوس الفريسيين تعطشاً لزعامة. وفي آبار داؤد القديمة تحرقاً لشهوة، لأن طاقتك الفاغية هي طاقة الصليب وصبغتك هي صبغة الفداء وحنّائك هي حنّاء الخلاص والحياة بل حنّاء الجمال والحب.

١٥- ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة.عيناك حمامتان

كيف لا تكون حبيبة المسيح هكذا جميلة وقد طبع المسيح صورته الجميلة في البر والقداسة عليها طبعاً مؤبداً؟ ومسح جسدها بأدهان القداسة مسحاً وأسكر روحها بخمرة الحب الأزلي وانار عقلها بأنوار الحكمة الإلهية ووضع في فمها جواهر النعمة والحياة كنزا مجدداً ومعتقاً؟

اجل كيف لا تكون عذراء المسيح البكر هكذا حبيبة وجميلة وقد اختارها المسيح له أمّاً مباركة وعذراء ابد الدهور مطوّبة؟ وكيف لا تكون كنيسة القديسين هكذا جميلة بعدما اختارها المسيح من بين الشعوب والقبائل "عذراء عفيفة لا غَضْن فيها ولا عيب أو شئ من مثل ذلك" (اف٥ :٢٧)؟ وكيف لا تكون النفس البشرية هكذا جميلة إن هي قد تقدست بكلمة الله تقديساً وتبررت بدم الحبيب المسيح تبريراً؟ نعم كيف لا تكون العذراء مريم جميلة وقد صارت للمّن الكفاري صرّة وللمن السماوي قسطاً ولسنبل الحياة حقلاً وللنار الإلهية عوسجة وللخروف المذبوح جزّة ولنوح السماوي سفينة بل للإله المتجسد ولرب السماء أماً ووالدة؟ وكيف لا تكون الكنيسة كذلك جميلة وقد صارت للمسيح بالعذراء صرّة وحقلاً وعوسجة وقسطاً وجزّة وسفينة وللإله المتجسد بالروح أمّاً ووالدة؟ وكيف لا تكون النفس البشرية المتجددة أيضاً جميلة وقد صارت هي الأخرى بالعذراء والكنيسة للمسيح صرّة وحقلاً وعوسجاً وقسطاً وجزّة وسفينة وللإله المتجسد يسوع المسيح بالروح ابنة وامّا؟

ولم لا؟ ألم يقل المسيح عن تلاميذه هؤلاء هم أختي وأخي وامي. لان كل من يسمع كلمة الله هو أخي وأختي وامي؟ أولم يصبح المؤمن بالتوبة والإيمان هيكلاً للروح القدس ومنزلاً لمسيح الله ومذبحاً روحياً للفادي الحبيب؟

أو ألم يصير المؤمن المستحق بتناوله جسد الرب ودمه حقلاً لسنبل الحياة وقسطاً للمن السماوي؟ بل كيف لا يصير هكذا في هاتيك المستويات العذراوية والكنسية العالية وبنعمة الروح القدس، إن صارت أعضاؤه أعضاء المسيح، ولحمه من لحم المسيح، وعظامه من عظام المسيح، كقول الرسول بولس "نحن أعضاء جسمه من

لحمه ومن عظامه" (اف٥ :٣٠)؟ أو أليست الكنيسة المقدسة بذاتها هي مجموعة هاتيك النفوس التي تابت عن الخطيئة وتقدست بنعمة الفداء وعطايا الروح القدس؟ أو أليست العذراء مريم نفسها هي النموذج الصالح لهاتيك الكنيسة وهاتيك النفوس؟ فعذراء هذا مركزها وكنيسة بكر هذا مقامها ونفس بشرية مقدسة هذا شأنها، لا بد أن يصفها الحبيب بقوله "ها أنت جميلة يا حبيبتي. ها أنت جميلة. عيناك حمامتان".

وأي جمال هو هذا؟ أهو جمال العينين وقد تجسّد فيهما اللطف والسلام ووداعة الحمام، أم انه جمال الخدّين التفاحتين المرصّعين بحبّات الرمان، خدّي الكتاب وحباته حبات الرحمن؟ أهو جمال الفم والشفتين المصطبغتين بقرمز الفداء وحمرة البشارة، أم انه جمال الأنف المنتصب كبرج إلى فوق وهو يستنشق روائح الحياة؟ أهو جمال الشعر المسترسل على الكتفين قداسةً وتكريساً، أم انه جمال الثديين فوق الصدر وهما رابضان كخشفتي ضبية محبة وتجميلاً؟ أهو جمال الساقين الغزاليين القافزين فوق تلال الطافرين على الجبال روحاً وإيماناً، أم انه جمال القامة الهيفاء وهي كالنخلة تتسامى نحو السماء والسماويات؟ أم انه كل هذا الجمال في الحبيبة التي لا عيب فيها؟

كيف لا تكون حبيبة المسيح هكذا جميلة وقد صارت بالتجسد والفداء مع المسيح واحداً؟ كيف لا وهي تفكر بفكر المسيح الرب وتحيا بقلب المسيح وتنظر بعيون المسيح وتسمع بآذان المسيح وتمشي بأقدام المسيح "بل تحيا وتوجد وتتحرك بالمسيح"؟ كقول الرسول بولس "لي الحياة في المسيح يسوع والموت هو ربح فما

أحيا الآن أحياه في الإيمان. إيمان ابن الله الذي احبني واسلم نفسه لاجلي" (غل٢: ٢١)

أفلا تجسّد الكنيسة إذاً بواقعها الفدائي هذا، يسوع المسيح في حياتها روحاً ونفساً وجسداً، تجسيداً روحياً مطلقاً؟ فتكتسب بذلك جمال العذراء اكتساباً؟ أو لم يجسّد المؤمن القديس كذلك يسوع المسيح في وجوده الذاتي روحاً ونفساً وجسداً، بصفته خلية روحية في كيان العذراء وعضواً إيمانياً في جسم الكنيسة فيكتسب هو الآخر جمال العذراء والكنيسة اكتسابا؟ ولم لا؟ ألم تصبح النفس المؤمنة عذراء للمسيح عندما تتمخض به وتلده بالإنجيل كما تمخض هو بها بالصليب أولا وولدها بالإنجيل؟ أ فما تتمخض النفس المؤمنة بيسوع المسيح وتطوقه بذراعيها وتُطعِمه من أحشائها وعواطفها وعصارة قلبها كعذراء والدة، كما فعلت العذراء مريم أولاً ولكن على الصعيدين الروحي والجسدي؟

إذاً عذراوية العذراء مريم إنما هى أساس لعذراوية الكنيسة والنفس البشرية. من اجل ذلك بات الجمال المطلق للحبيبة، جمالا لا عيب فيه لانه جمال ذياك الإله المطلق ربنا يسوع المسيح، حيث ينمو هذا الجمال في الحبيبة "أولا عشبا ثم سنبلا ثم قمحا ملآن بالسنبل". ذاك التكامل الجمالى الذي أشار إليه الرسول بولس بقوله "الى أن ننتهي جميعا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملئ المسيح" (اف٤ :١٣). هذا الجمال الذي يصل في الحبيبة إلى المستوى المطلق روحاً ونفساً وجسداً أمام حضرته في السماء التي "لا يدخلها شئ نجس أو دنس ولا ما يصنع رجساً أو كذباً إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف" (رؤ٢١ : ٢٧).

نعم انه الجمال المشترك الذي لوح إليه الرسول بولس بقوله "ليس يهودي ولا يوناني. ليس بربري ولا سكيثي. ليس عبد ولا حر. بل المسيح هو الكل وفي الكل" (كو٣ : ١١).

والآن فإن كان جمال العذراء هكذا مجيداً بالتجسد الحرفي والروحي. وإن كان جمال الكنيسة هكذا رفيعاً في التجسد الروحي. فهل هو كذلك فيك يا نفسي ويا وريثة العذراء والكنيسة بالإيمان والمحبة؟ وهل عيناك حمامتان وديعتان حقاً كعيني العذراء والكنيسة أيتها القارئة العزيزة؟

١٦- ها أنت جميل يا حبيبي وحلو وسريرنا اخضر

المسيح العجيب إله في ميلاده. جبار في معجزاته. سلطان في تعاليمه. وحيد في قداسته. حبيب في صليبه. منتصر في قيامته. ملك في صعوده. جميل في حبه. وحبيب في جماله بل اخضر في حبه وجماله.

أفليس كذلك أيها الإنسان المنصف الضعيف المعتدل اينما كنت وحيثما كنت وكيفما كنت؟ بل هل الِفَتْ البشرية الأصيلة العميقة جمالاً رائعاً مطلقاً كهذا الجمال من قريب أو من بعيد؟

فإن كان المسيح هكذا جميلاً جمالاً سرمدياً مطلقاً، فإنه حلو بالضرورة وحلاوته سرمدية مطلقة كذلك. لأنه حيث يكون الجمال هناك تكون الحلاوة ايضاً. معظم الناس يعشقون الجمال ويتلذذون بالحلاوة ولكن البعض فقط يعرفون أين يوجد الجمال الأصيل وأين تستقر الحلاوة الحقيقية. الكثير من الناس يرون الجمال في الخطيئة والحلاوة في مذاقها وذلك ليس عليهم بجديد "لأنه المرأة لا تزال ترى الشجرة جيدة للأكل وبهجة للعيون وان الشجرة شهّية للنظر ولا تزال تمد اليد

وتأخذ من ثمرها وتأكل بل تعطي روحها ليأكل معها" (نش٢: ٦). لكن القليل من الناس فقط يرون الجمال الحقيقي في بر المسيح واللذة الحقيقية في مذاقه.

والآن إن كان الشيطان هو مصدر القبح والمرارة والخطيئة، فيكون المسيح مصدر الجمال والحلاوة بالبر. قبح الشيطان إنما هو قبح مطلق ومرارته مطلقة، أما جمال المسيح فهو جمال مطلق وحلاوته مطلقة. قبح الشيطان قبح عقلي وروحي وذلك بالجهل والخرافات وسائر الفعاليات الشريرة، ولكن جمال المسيح هو جمال روحي وعقلي مليء بالمعرفة والاستنارة الروحية وسائر الفعاليات الخيرية "حيث فيه جميع كنوز العلم والمعرفة" (كو٢ :٣). قبح الشيطان، قبح نفسي وعاطفي وذلك بالحقد والحسد والأنانية، غير ان جمال المسيح هو جمال نفسي وعاطفي مشحون بالمحبة والسلام والتضحية. قبح الشيطان هو قبح جسدي بالأمراض والفساد والعاهات والموت، واما جمال المسيح، فهو جمال جسدي بالصحة والتكامل والتناسق والحياة "حيث انه ابرع جمالاً من بني البشر". والى هذا الجمال الجسدي المتكامل العتيد دلّل المسيح بتجسده واشار إليه الرسول بولس بقوله" لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن انفسنا ايضا نئنّ في انفسنا متوقعين التبني فداء اجسادنا" (رو٨ :٢١-٢٣).

إذاً حيثما نرى قبحاً عقلياً وروحياً ونفسياً وجسدياً فهو من الشيطان اصلاً ومصدراً. وحيثما نرى جمالاً عقلياً وروحياً ونفسياً وجسدياً فهو من المسيح اصلاً ومصدراً" لأن الله يمطر الخيرات ويشرق الله على الصالحين والطالحين" (مت٥ :٤٥). هكذا الشيطان ايضاً يمطر الشرور والسيئات ويبعث الظلمة في الصالحين

والطالحين. لأنه "كما انه كل عطية صالحة وكل موهبة تامة (روحية كانت أم طبيعية) نازلة من فوق من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع١ :١٧) هكذا ايضاً كل نقمة شريرة وضربة مهلكة ومرارة قبيحة صاعدة من اسفل من عند ابي الظلمات إبليس الذي عنده تغيير وظل دوران" لأن ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق، لأن ليس فيه حق" (يو٨ :٤٤).

لذلك قد يضرب الشيطان القديسين كذلك في أموالهم وعيالهم ويشوه ويقبح حتى أجسادهم وهم في هذا العالم كما صنع بأيوب، لكنه لا يستطيع مس أرواحهم لأنها مصانة بجمال المسيح للحياة الأبدية. وهذا ما عناه الرسول يوحنا بقوله "نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ. بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه" (ايو٥ :٨). وهذا عين ما قاله الرب للشيطان عن أيوب "فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه" (أيوب٢ :٦).

اذاً فالشيطان قبيح اصلاً ومصدر القبح في الإنسان. واما المسيح فمصدر الجمال فيه بل هو الجمال بذاته والحلاوة بعينها والحب بأصله والخضرة الحياتية نفسها. لذلك لو جمعنا كل الجمال العقلي للعلماء والفلاسفة، للكتاب والعباقرة، لما جمع اكثر من قطرة واحدة من بحر جمال المسيح العقلي "إذ فيه مذّخر جميع كنوز العلم والمعرفة"(كو٢ :٣). ولو جمعنا كل الجمال الروحي الأدبي في الأنبياء والقديسين، وفي الشهداء والمختارين، لما حسب اكثر من نقطة واحدة في ملك جمال المسيح الروحي "لأنه من ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو١ :١٦). ولو جمعنا كل الجمال الطبيعي القائم في العالم الطبيعي والبشري بما فيه جمال الأفلاك والمجرات والنجوم والكواكب والشموس والأقمار، العيون والينابيع، الجبال والهضاب،

الورود والأزهار، الحمام واليمام والبلابل والعصافير، الحملان والغزلان، الأطفال والرضعان، بل جمال البنات العذارى والنساء الحسان لما شكل لنا اكثر من خيط رفيع في صورة المسيح الجميل وذلك لأن المولود من العذراء هو القدوس وابن العلي يدعى".

أليس كذلك يا جميع مواليد النساء المنحدرين من صلب الرجال والاجداد؟ وهل فيكم جميعاً انتم الذين قد قزّمتهم الخطيئة وقبحت فيهم الصورة والوجوه، تارة بالجهل، وتارة أخرى بالشر، تارة بالأمراض واخرى بالموت؟ ومن يستطيع الوقوف على قدميه أمام ذياك العملاق السماوي يسوع المسيح والذي قد ولدته العذراء من غير رجل؟ نعم قد ولدته هكذا قدوساً سماوياً وإلهاً متجسداً ورسمتا إلهيا وجمالاً مطلقاً وحلاوة غير متناهية.

إن نظرة واحدة إلى مقابر موتاكم ترينا قبح صوركم ونتانة شخصيّاتكم ومرارة حلاوتكم يا جميع بني آدم أقزام حواء. كما أن نظرة واحدة إلى قبر المسيح الفارغ ترينا اصالة جمال المسيح وحقيقة حلاوته.

فإلى هذا الجمال المطلق يا جميع عشّاق البر والفضيلة، بل إلى هذا الجمال الإلهي الإنساني في الإله المتجسد يسوع المسيح يا جميع الذين قد شوهتهم الخطيئة روحياً وعقلياً ونفسياً وجسدياً ومادياً. وليس ذلك فحسب بل إلى سرير المسيح الحبيب، بل صليب المسيح. وهل من سرير آخر وعرش آخر ومقام آخر بقي اخضراً حياً كعرش المسيح وصليب محبته؟

اجل كل الأسرّة قد يبست وبالنار المحرقة اشتعلت. وجميع العروش تضعضعت وفي أعماق الوديان قد تدحرجت. وكافة المقامات قد تلاشت والشخصيات انهارت وفي بطون الأرض ابتلعت وفي أحشاء الهاوية ازدريت. سوى سرير واحد وعرش واحد وصليب واحد، قد لبث هكذا إلى ابد الآبدين اخضراً حياً ومن أعماق الموت نبع للحياة غضاً طرياً، هو سرير يسوع المسيح إلهنا "الذي مات لأجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا. "نعم كل أسرّة المحبين وخدور العاشقين ستشيخ يوماً وتجف بل وتموت موتاً، ولكن سرير المسيح الحبيب وكنيسته الحبيبة سيبقى هكذا أخضراً ليس في هذا الدهر فحسب بل وفي الدهر الآتي ايضاً. وذلك لأنه قائم على المحبة "ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (يو٤ :١٦).

اجل بالموت ستنتهي المضاجع الحبية بين الوالدين وابنائهم بعلة أو بأخرى وستزول المضاجع الخضراء بين الاعراس والعرائس. وانه ليوم تتيبس فيه كل الصِلات الأخوية والمجالس الحبية والاسرة الخضراء العائلية. وبالموت حقاً ستنسى وتضمحل كل العلائق الطبيعية وتفنى سائر الأسرة. وسوف لن يبقى في الأرض الجديدة والسماء الجديدة سوى سرير واحد اخضر للحبيب والحبيبة هو سرير صليب المسيح يسوع.

لقد كان ولا يزال هذا السرير اخضراً بين المسيح والعذراء، وبين المسيح وكنيسة قديسيه. فهل هو كذلك اليوم لك سريراً خشبياً اخضراً ايتها الكنيسة؟ هل تضطجعين اليوم في أحضان المسيح وفوق سريره الخشبي الأخضر يا كنيسة اليوم، أم تضطجعين في أحضان غريبة فوق اسرة الحديد والنحاس الجامدة بل فوق عروش

الذهب والفضة الفانية المائتة؟ حقا إن كلمة الصليب عند الهالكين خشبة جهالة وسرير حماقة، واما عندنا نحن المؤمنون فهي قوة الله وحكمة الله، وخضرة حياة الله.

فإلى ذاك السرير الأخضر الوحيد، حيث تضطجع العذراء العفيفة وسائر العذارى العفيفات القديسات. لانه هكذا مكتوب ايضاً "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ٣ :٢١).
وأما أنت يا نفسي فحذارِ أن تقتربي من عرش بيلاطس وهيرودس ومن أسرة آخاب وإيزابيل، بل اجلسي مع سليمان في عرشه ومع ملك سليمان، يسوع المسيح في عرشه وسريره "لان عرشه احمر وسريره اخضر".

١٧- جوائز بيتنا أرز وروافدنا سرو

جوائز الكنيسة أرز وروافدها سرو. كيف لا وهاتيك الروافد مبعث الجمال في بيتنا وعلة الكمال في كنائسنا، بل مصدر حصانة ومنعة لبيوتنا وكنائسنا؟ فإن كانت جوائز الأرز هذه هي قطع خشبية تربط بين جدران البيت الواحد ليبقى هكذا متيناً وثابتا، فهكذا محبة المسيح يسوع أيضا من فوق الخشبة هي قوة رابطة جدران الكنيسة وواجهاتها لتبقى متينة ثابتة. فمحبة المسيح هذه توحد الإنسان مع خالقه وقريبه وحتى مع نفسه وضميره بل "ترفع السياج المتوسط. أي العداوة لتحلق بذلك إنسانا جديدا صانعا سلاما".

فالمسيح المصلوب إذاً وبأربعة أطراف حبه وواجهات فدائه ليس إلا جوائز من الأرز في بيتنا العالمي والكنسي والنفسي. وهو الذي يطّعم البيوت والكنائس بجوائز صليبه لا من اجل تماسكها ووحدتها فحسب بل من اجل تجميلها أيضاً. ترى متى تصبح الكنائس المنظورة كنيسة واحدة متماسكة بجوائز الأرز هذه، جوائز صليب

المسيح؟ وذلك لتزداد جمالاً وتكثر روعة وجلالاً بل وتتضاعف قوة وتتحدى الشيطان وقواته تحدياً. بل متى تصير روافد الكنيسة سرواً؟ لترفع قلبها إلى السماء وعقلها إلى الله وتطلعاتها إلى فوق حيث المسيح جالس في سماء السماوات. فخشب السرو العالي هذا يذكرنا بسمو محبة الله لنا نحن الخطاة ورفعتها الإلهية من فوق الخشبة "وبأن الذي من فوق هو فوق الجميع ومن فوق يتكلم ويحب". فالكنيسة التي في المسيح لم تُدع لتنظر إلى اسفل، إلى الأعماق حيث الشهوة القبيحة والذهب الفاني بل لتنظر إلى السقوف الخشبية والجبال الدهرية والسماوات العالية والمحبة المرفوعة فوق الخشبة، حيث شهوة الصالحة والمحبة الحية والذهب اللاهوتي الباقي.

قديماً قد تسلق العشار زكا فوق شجرة جميزة فاستطاع بذلك أن يرى من فوقها الحب والحبيب. فكيف إذاً بالذين يتسلقون أشجار السرو العالية فيتمتعون حقاً برؤية الحب والحبيب تمتعاً جسيماً وعميقاً؟

هكذا ينبغي أن تكون جوائز بيتنا أرزاً وروافده سرواً وذلك ليحل فيه الحبيب رباً ومسيحاً. فجميل أن تبنى الكنائس وتشيد الأديرة وتقام مذابح الرب في مشارق الأرض ومغاربها ولكن الأكثر جمالاً أن تجمّل هذه الكنائس والأديرة والمذابح بجوائز الأرز وتقوّى بروافد السرو بل بروح الحب والحبيب. وإلا كيف تستطيع الكنائس الضخمة والأديرة الكبيرة والكاتدرائيات السامية أن تتمتع بحضور المسيح فيها عملياً إن خلت من جوائز الأرز وروافد السرو وروح محبة المصلوب يسوع المسيح؟ كيف تستطيع ذلك إن خلت من روح البر والقداسة وأمست مستعمرات لروح الخطيئة والإثم؟ بل كيف تستطيع هاتيك الكنائس والأديرة أن تكرز بالمسيح مصلوباً حسب وصية الرسول بولس وهي في واقع استعماري حديدي مثقل

بالخطيئة؟ أم أن الله تُقنعه مظاهرنا وتُسكته شكلياتنا وتُخدّر صليبه اشواكنا ومساميرنا وحرابنا؟ فلنسمعن إذا ما يقوله إشعياء النبي في ذلك "السماوات كرسيّ والأرض موطئ قدمي. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي. وكل هذه صنعتها يداي فكانت كل هذه يقول الرب. والى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي. من يذبح ثوراً فهو قاتل إنسان. من يذبح شاة فهو ناحر كلب. من يصعد تقدمة يصعد دم خنزير. من احرق لباناً فهو مبارك وثناً. بل هم اختاروا طرقهم وبمكرهاتهم سُرّت أنفسهم. فأنا أيضاً اختار مصائبهم ومخاوفهم أجلبها عليهم. من أجل أني دعوت فلم يكن مجيب. تكلمت فلم يسمعوا، بل عملوا القبيح في عينّي واختاروا مالم أسّر به" (اش٦٦ : ١ـ٤).

والآن لماذا يحتج الرب هكذا على بناء البيوت لاسمه، ويلعن متوعدا من يتعبد له بذبيحة لمجده؟ أليس لكونه تكلّم فلم يسمعوا ودعا فلم يجيبوا بل عملوا القبيح في عينيه واختاروا مالم يسّر به؟ إذاً يبارك الله الكنائس ويقدس الأديرة ويكرس المذابح وهي تقام بروحه وباسمه وذلك استنكاراً للإثم والقبح واستقطاباً للبر الصريح وذلك تمجيداً لاسمه القدوس وتخليصاً للأرواح والنفوس. وإلاّ هيهات أن تنجو الكنائس والأديرة وتخلص الكاتدرائيات من الغضب الآتي والصواعق النازلة والأعاصير الضاربة مالم تُسقّف معابدها بقطع خشب السرو وألواح من روافد الأرز تسقيفا متيناً، بل تتحصّن بموانع صواعق الصليب تحصيناً قوياً. وإلا كيف نُقض ذياك الهيكل العظيم، هيكل سليمان والذي كان قد بُني بستة واربعين سنة والذي قد سحر حتى تلاميذ الرب سحرا حتى انه لم يترك فيه حجرا على حجر لم ينقض حسب وعد المسيح الصادق الأمين؟ ألم يُبنَ الهيكل هذا بأمر الرب وُيكّرس على اسمه بالنار والدم؟ ألم تقام فيه كل الخدمات القانونية الشرعية الإلهية، ويعلن فيه مجد

الله بين الشعوب والأمم الذين لم يعرفوا الله الإله الحقيقي؟ فعلام إذن ذلك الخراب الكبير للهيكل وللساكنين فيه؟ و لم هاتيك الصواعق الإلهية والبكرات النارية؟ أليس لأنهم تمسكوا بالحرف دون الروح وبالغرض دون الجوهر وبالمظهر دون القلب وفي ذلك قد مجّدوا ذواتهم دون الله؟ أليس لأنهم قد جعلوا الهيكل هذا و"هو بيت الصلاة مغارة للصوص" كتصريح الرب يسوع وذلك طمعاً بالذهب الفاني ومراعاةً للجشع العالي؟ أليس لأنهم عملوا القبيح في عيني الرب واستهتروا بقداسة الحياة والمقدسات استهتاراً مجنوناً شيطانياً؟ أليس لأنهم رفضوا بر المسيح بالصليب واكتفوا ببر أنفسهم القائم أبداً على المظاهر والشكليات "فعشروا النعنع والشبث والكمون وتركوا اثقل الوصايا، الإيمان والرحمة والحق"؟ أليس لكونهم لم يحصّنوا مدينتهم العريقة وهيكلهم العظيم بجوائز الأرز ويسقّفونه بروافد السرو فسقطوا هم وهيكلهم "إذ نزلت الأمطار وهبت الرياح وكان سقوطهم حتى اليوم سقوطاً عظيماً"؟

ولكن هل نحن اليوم احسن حالاً من أولئك الذين سبقونا في الارتداد عن عبادة الله الحي بالروح والحق؟ أنشيّد الكنائس اليوم ونرفع القباب ونرمم الأديرة ونعمّر الكاتدرائيات تمجيداً لاسم الحبيب حقاً، أم لتمجيد أسمائنا يقيناً؟ هل هدفنا أن تكون الكنائس والأديرة والكاتدرائيات اليوم مقرات لإنطلاقات إنجيل المسيح حقاً، أم تكون أبواقاً وطبولاً لإذاعة أسمائنا وأمجادنا الذاتية أكيداً؟ أنبني اليوم هياكل نفوسنا ومذابح أرواحنا ومقادس أفكارنا وكاتدرائيات أجسادنا بالروح القدس وكلمة الله الصالحة كما نبني الكنائس المادية والأديرة التقليدية؟ وأية فائدة نجني يا صاحبي من بناء الكاتدرائيات المادية إن كانت على حساب تخريب الكاتدرائيات البشرية وهلاك الموجودات الحياتية الإنسانية؟ وهل من فرق بين هلاك الناس خارج

الكنائس والأديرة والمذابح وهلاكهم في داخلها؟ اللهم إلا في هذا الأمر الواحد "ان القضاء سيبتدئ في بيت الرب".

وإن كانت عبرة الإنجيل هي في التشكيلات المادية والمظاهر التقليدية المجردة، أفلا يكون العالم الحاضر الشرير احسن حظاً من كنيسة المسيح؟ لأن شكلياته المادية أقوى ومظاهره التقليدية احسن وامتن؟ وإن كان الميزان في التقييم هو الميزان المادي وليس الروحي، إلا تكون الكنائس الفخمة ارفع منزلة واسمى مقاماً من كنيسة الرسل وهي في بيت مرقس؟ أليس كذلك يا جميع وكلاء سرائر ملكوت الله؟

لذلك أنت أيضا أيتها الكنائس المادية. أيتها الأديرة الحرفية. أيتها المذابح الجامدة. أيتها البيوت اللصوصية. أيتها الكاتدرائيات البابلية المنتفخة. أنت أيضاً ستهبطين إلى الجحيم ولا يترك فيك حجر على حجر إلا ويُنقض، إن لم تتوبي من أعماقك وتتركي القبيح من قلبك والكبرياء الذاتية عن عينيك، وتقلّبي موائد الصيارفة في هياكلك وتطردي الثعالب المحتالة من كروم أديرتك وتكسّري بمطرقة الإنجيل الأصنام في معابدك بل تُسقفي كنائسك بألواح أرز المصلوب وتحصّني معابدك بروافد سرو الحبيب يسوع لأن ليس عند الله محاباة "فإن لم تؤمنوا فلا تأمنوا"

من اجل هذا ارجعي يا كنائس اليوم إلى كنيسة الرسل والآباء والقديسين وإلى أديرة العباد الصالحين التي سقّفوا كنائسهم خشب الصليب وزينوها بحجارة الأرز وروافد السرو. بل ارجعي إلى القديسة مريم في جمال أرزها وسمو سروها وحصانة أرزها وسروها لأنكم قد بُشّرتم منذ أمس وما قبل بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. "لأنه قد ولد لكم اليوم في مدينة داؤد من العذراء مخلص هو مسيح الرب"

وأما أنت يا نفسي فتحصّني في فلك نوح الخشبي بل في فلك صليب المسيح من غضب الطوفان والهلاك وادخلي هاتيك البيوت العذراوية والرسولية حيث السقوف الخشبية وجوائز الأرز وروافد السرو وموانع الصواعق في صليب المسيح وانجي بحياتك لأن الصواعق نازلة من السماء على الأرض لا محالة.

الإصحاح الثاني

١- أنا نرجس شارون سوسنة الأودية

والآن إذ يخلع المسيح على حبيبته هكذا حلّة من المجد قشيبة ويطّيب حياتها بالعطور والادهان ذكية، تعلنها وفي نشوة من الفرح والاعتزاز شهادة صارخة "بقولها أنا نرجس شارون سوسنة الأودية".

كيف لا تكون الكنيسة الحبيبة كنرجس شارون المشهور بروائحه الذكية وكسوسنة الأودية بجمالها الفتان بعدما مسحها الحبيب بمسحة الميرون المقدس الذكي مسحاً وبالبر الأبدي جمّلها تجميلاً؟

إن الكنيسة في اصلها الطبيعي ليست سوى شجرة وعر وشوكة برية، غير أنها في المسيح يسوع أمست نرجس شارون وسوسنة الأودية تدهش الأبصار وتنعش القلوب بل تطرد نتانة الأجساد والنفوس. وإلى هذه الحقائق الناطقة وإلى هذه النتانة الكريهة المميتة بل إلى هاتيك الروائح والعطور المحيية أشار الرسول بولس بقوله "وانتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل في أبناء المعصية. الذين نحن

أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا. الله الذي هو غني في الرحمة من اجل محبته الكثيرة التي احبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة انتم مخلصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع" (اف٢: ١-٧).

إذاً في المسيح يسوع قد تحولت الكنيسة الحبيبة من مستنقع فاسد بالخطيئة ومشيئات الجسد وروح العصيان والغضب إلى نرجس شارون وسوسنة الأودية وفي أعماق محبة المسيح قد نمت الكنيسة نرجساً وسوسنة بل أُصعدت من ثم بنعمة القيامة وطاقة الإنماء إلى السماوات مع المسيح حيث الجمال الفتان والروائح الذكية. ولكن ألا يحسب قول الحبيبة هذا "انا نرجس شارون وسوسنة الاودية" ادعاء وافتخاراً وتمجيداً ذاتيا؟ كلا لكنه افتخار بالحبيب الذي مسحها بالجمال وعطرها بالروائح ليس إلا. لأنه اعتراف بحقيقة واعلان لواقع وتبشير بحبيب وافتخار بصليب. لأنه إن كان كل افتخار جسدي هو نجس في ذاته فيكون كل افتخار بصلبب المسيح الحبيب مقدس في ذاته والى هذه الحقيقة أشار الرسول بولس بقوله "أما أنا فحاشا لي أن افتخر إلاَ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلِب العالم لي وأنا للعالم" (غل٦ :١٤).

أفلا يحق إذاً لأعمى ابن طيما أن يقول للفريسيين المتزمتين "كنت أعمى والآن ابصر"(يو٩: ٢٥) ؟ ألا يحق للرسول بولس ونعمه الغنية العجيبة أن يقول "الضرورة موضوعة علي أن ابشر والويل لي إن كنت لا ابشر (١كو٩: ١٧)؟ كيف لا وهو القائل كذلك "لأني لست استحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني" (رو١ :١٦)؟ ألم يقل الرسول

بطرس ويوحنا كذلك لليهود "نحن لا نستطيع إلا أن نتكلم بما رأينا وبما سمعنا" (اع ٢٠:٤)؟ كيف لا والرب قد توعد الحبيبة توعداً بقوله "من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فابن الإنسان يستحي به كذلك إذا جاء مع ملائكته القديسين" (مر٨ :٣٨)؟ بل كيف نعلل قول الرسول بولس وهذا الافتخار "انه لا يوافقني أن افتخر فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. اعرف إنساناً في المسيح قبل أربعة عشرة سنة أفي الجسد لست اعلم أم خارج الجسد لست اعلم. الله يعلم. اختطف هذا إلى السماء الثالثة. واعرف هذا الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست اعلم. الله يعلم. انه اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها. من جهة هذا افتخر. ولكن من جهة نفسي لا افتخر إلا بضعفاتي" (٢كو١٢ :١ــ٥). إذاً الرسول بولس من جهة نفسه لا يفتخر إلا بضعفاته لكنه من نحو المسيح لا يستطيع إلا أن يفتخر بصليب قواته. وليس ذلك فحسب فإذ يرى الرسول الاخوة الكذبة يفسدون عمل نعمة الله بالإنجيل يضطر اضطراراً لسرد سلسلة افتخاراته من اجل إنجيل المسيح وذلك تمجيداً لاسم المسيح في خدماته وتضحياته وتزكية لمجهوداته الرسولية وتحدياً للاخوة الكذبة المندسين خلسة بين صفوف المؤمنين لافساد ضمائرهم وبالتالي اطمئناناً لذوي الضمائر البسيطة واستقرارا لأطفال الإيمان.

فمن اجل هذه الأمور راح يسرد سلسلة افتخاراته هذه قائلاً "في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام لله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في اسهار في أصوام في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبة بل رياء في كلام الحق في قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار بمجد وهوان بصيت رديء وصيت حسن. كمضلين ونحن صادقون

كمجهولين ونحن معروفون. كمائتين وها نحن نحيا. كمؤدبين ونحن غير مقتولين كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغني الكثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء "(٢كو٦: ٤-١٠).

إذاً فمن حق الحبيبة وهذه الوقائع الإلهية والنعم السماوية أن تعلن للعالم أجمع وللخليقة كلها بأنها بإنجيل المسيح هي نرجس شارون وسوسنة الأودية. لأنها وإن كانت تعلن جمال المسيح فيها كنرجس فوق المرتفعات والجبال وكمدينة موضوعة فوق جبل، لكنها من نحو نفسها فهي لا تزال سوسنة في أودية التواضع ونكران الذات وفي أعماق ذياك الوادي السحيق، حيث المكان الذي اضطجع فيه الرب المقام من بين الأموات ليرتفع نرجساً فوق كل جبل عال وفوق كل جبار مرتفع. اجل هناك في أعماق الوادي حيث يرقد المجد عن الخطاة تنبت السواسن الجميلة الفواحة وهي في عمق اتضاعها كما هي في ذروة مجدها "وذلك لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطيئة مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله (رو٥: ١٠). كذلك انتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا".(رو٦: ١١). فتواضع المسيح المصلوب إذاً هو المنطلق الأساس لوجود الحبيبة، الكنيسة ونمو السوسنة وهو علة جمالها وجلالها وطاقة تفاعلها مع الخليقة.

ولكن لكيما تكون الكنيسة حقاً نرجس شارون وسوسنة الأودية عليها أن تضع نصب عينيها المتواضع الأول حبيبها يسوع المصلوب، الذي قد كتب عنه الرسول بولس قائلاً "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت، موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً واعطاه اسماً فوق كل

اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في٢ :٦-١١).

نعم إنها وديان ثم جبال. انه تجسد ثم مجد. انه تواضع ثم صعود. انه إخلاء وصليب وقبر ثم امتلاء وعرش وانتصار. انه شتاء ثم ربيع وسوسنة ونرجس. في هذا المجال الإلهي والوادي الفدائي عاشت كنيسة الرسل وترعرعت نرجساً لشارون وسوسنة للأودية.

فهل أنت كذلك يا حبيبة يسوع في العصر الحديث وقد أخليت نفسك هكذا عن محبة الذات والعالم ونزلت في تواضعك إلى اسفل الوادي حيث يرقد المجد من أجلك مصلوباً، لتموتي وتصلبي وتدفني معه شوكاً فتقومين معه نرجساً وسوسنة؟ ألست تعلمين أن موقعك الصحيح هو في أحضان الحبيب وتحت موطئ أقدامه وليس فوق أكتافه؟ أليس كذلك يا جميع خلفاء رسل ربنا يسوع المسيح؟

يا كنيسة الله، العالم يستطيع أن يخلع عليك حلة من المجد الباطل براقة ويقدر أن يعطرك بالروائح الزائفة الفّواحة ويدهّنك بالأطياب والأدهان المغشوشة سيالة. لكنه يعجز أن يخلق فيك من الشوك تيناً ومن العليق عنباً بل من العليق والشوك نرجساً وسوسناً. وتذكري جيداً هاتيك السوسنة العذراوية البكر، عوسجة الزمان الغير محترقة بنار الروح القدس.

والآن فإن كانت السوسنة الأولى العذراء مريم والسوسنة الثانية كنيسة القديسين تستطيعان أن تقولا "أنا نرجس شارون وسوسنة الأودية". فهل لك أنت أيضاً ايتها

الكنيسة أن تقولي هكذا اليوم؟ وتكوني السوسنة الثالثة، الموحدة بالإيمان والقداسة مع هذه وتلك ؟بل أين أنت أيها القارئ العزيز من ذياك النرجس الجميل ؟ وأين أنت الأخرى ايتها القارئة العزيزة من هاتيك السوسنة، سوسنة الأودية؟ ألك أنت جمال النرجس ورائحته الذكية في المسيح يسوع؟ ألك أنت كذلك رائحة السوسن وجماله الفتان في المسيح يسوع؟ أم أنكما لا تزالان كليكما أشواكا بين النرجس وحسكا بين السوسن؟ أما أنت يا نفسي فإلى اسفل الوادي، وادي التواضع لتكوني بصليب المسيح سوسنة اليوم وبملكه نرجس شارون في الغد.

٢- كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات

نعم إنها سوسنة الوادي السحيق، إنها سوسنة الأعماق والموت، أنها سوسنة آلام الفداء وأوجاع الصليب، إنها سوسنة الحياة والجمال، بل السوسنة العبقة بروائح الطهر وعبير المحبة اختارها المسيح من بين الأشواك اختيارا.

إنها الكنيسة المقدسة والسوسنة النقية التي اختارها رب المجد من بين الشعوب والقبائل والأمم "وذلك ليقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥ :٢٦_٢٧).

ولكن هل كانت الكنيسة حقا في اصلها الجسدي هكذا طاهرة مجيدة ومن دون عيب ؟ حاشا لأنه مكتوب "كأنما بإنسان واحد دخلت العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ اخطأ الجميع" (رو٥ :١٢) ومكتوب أيضاً "انه ليس بار ولا واحد"(رو٣ :٩).

وإلا لو كانت الكنيسة طاهرة في ذاتها نقية في اصلها فما الحاجة بعد إلى إله متجسد ومصلوب هو المسيح يسوع ربنا؟ أفلا تسقط بذلك عثرة الصليب سقوطاً كقول الرسول بولس؟ لأنه إذا ما استطاع الإنسان يوما أن يكون هكذا أمام الله صالحاً ومقبولاً في بره الذاتي وعمله الاستقلالي، لانتهى اذاك يقيناً مفعول إنجيل المسيح و لم يعد صليب المسيح عندئذ صليباً فدائياً حياً بل صليباً انتحارياً وفضولياً. لذلك يحذرنا الرسول بولس تحذيراً من مغبة هذه الانحرافات الجسدية الشيطانية بقوله "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما قبلتم فليكن اناثيما" (غل١ :٨).

إذاً كنيسة المسيح وبكل أعضائها الكبيرة والصغيرة وبسائر مستوياتها العالية منها والواطئة وبجميع أزمنتها الحاضرة منها بل الماضية والمستقبلية هي سوسنة ووليدة صليب المسيح في اسفل الوادي والموت، ليس إلاّ. وإلاّ ما معنى قول الرسول بولس "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. لأننا عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (اف٢ :٨-١٠).

فماذا إذاً، هل عمل نعمة الله هذا واختياره للكنيسة لتكون سوسنة بين الشوك جميلة هو اختيار اعتباطي وتعسفي؟ كما وان رفضه للآخرين ليكونوا أشواكاً هو عمل قسري؟ حاشا بل إنما هو عمل مجيد قائم على أساس من الحق عادل ليس إلا. وإلا علام لا يؤمن الأشرار المبشّرين بالإنجيل هكذا ليتحولوا هم كذلك من أشواك إلى سوسن كما تحول مؤمنو الكنيسة وقديسوها؟ فالله لا يحاسب الخطاة كخطاة وكفى بل لكونهم لم يتوبوا عن خطاياهم ولم يؤمنوا بالمسيح للتبرير والتقديس.

فالمسؤولية في هلاك الأشرار إذاً لا تقع على الله الصالح إطلاقاً والذي يريد وبصليب ابنه يسوع المسيح "أن الجميع يخلصون والى معرفة الحق يقبلون" (١تي٢: ٤)، بل تقع على الأشرار أنفسهم لكونهم اختاروا لهم عمل الظلال طريقاً والشيطان سيداً والخطيئة حياة وبالتالي جهنم نصيباً ومصيراً. كقول البشير يوحنا"وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو٣ :١٩). لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور ائلا توبخ أعماله"(يو٣ :١٩-٢٠).

والآن إن كان التعدي قبل التجسد والفداء قد حسب هكذا خطيئة مميتة لجنس البشر بأكمله موتا مزدوجا كاملا. ترى كم يكون التعدي هذا على الله جسيما وثقيلا بعد تجسد الله وفدائه لجنس البشر وذلك برفض المسيح الحبيب ربا ومخلصا؟ "لأنه من خالف ناموس موسى فعلى فم شاهد وشاهدين يموت بدون رأفة. فكم عقابا هو اشر تظنون انه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة. حقاً مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي" (عب١٠ :٢٨-٣١). لأن الخطيئة اذاك تصير خاطئة جداً ليس بوصية الناموس فحسب بل بوصية الصليب أيضا.

إذاً اختيار الله للكنيسة المقدسة وسوسنتها بعدما كانت أشواكا وحسكا، ناتج عن علمه السابق بقبولها روح التوبة والإيمان بيسوع المسيح المصلوب. الأمر الذي أثبته الرسول بولس بقوله "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين لصورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين والذين سبق فعينهم فهؤلاء

دعاهم أيضاً والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو ٨: ٢٨-٣٠).

والآن هل أنت يا كنيسة اليوم هكذا وبحسب تعليم الروح القدس في الرسولين بولس ويعقوب، سوسنة بين الشوك وحبيبة للمسيح بين البنات؟ شأنك في ذلك شأن القديسة مريم والكنيسة التي للقديسين؟ أيرى العالم فيك اليوم سوسنة جميلة للمسيح بين أشواكه وأشراره وبنات وعره؟ أيستنشق أشجار الوعر وأبناء هذا الدهر منك اليوم رائحة المسيح الذكية في البر وقداسة الحق؟ هل من علامة فارقة بينك وبين الأشواك وهل من رائحة مختلفة بينك وبين الزؤان. وهل من جمال مميز بينك وبين سائر البنات الجسديات العالميات؟ وذلك في الأفكار، في السرائر، في الكلام، في التصرف وفي الأهداف؟

إن الخطاة اليوم لا يخجلون من قبح وجوههم ولا يتقزّزون من روائحهم الكريهة. والأشواك اليوم لا تتورع من أذّية ابرها. والبنات في إسرائيل لا يستحين من عري أجسادهنّ ولا من دوس كرامتهنّ. فعلام إذاً تستحين أنت يا كنيسة الله بسوسنتك في اسفل الوادي حيث يرقد مسيح الله من اجل جمالك وحياتك بل تخجلين من صليبه وهو مصدر كرامتك وعلّة جمالك وانطلاقة سوسنتك؟

فماذا إذن؟ أتخافين الأشراك وتفزعين أشجار الوعر العاليات الباسقات الشائكات؟ أم تنجذبين إلى البنات اللاعبات الغامزات؟ أم تبتغين الكراسي منصباً والأرباح جيباً والدسم بطناً والمديانيات نصيباً ومغنماً؟ فصرت بذلك لأمك التي ولدتك بالروح والحق عكساً وسلباً. لقد تجمّلت بالمعمودية والميلاد الثاني تجميلاً وتدهنت بالميرون والأطياب تدهيناً وتعطرت بدم الفداء وجسد الرب تعطيراً فاكتسبت بذلك كل

مقومات السوسنة الجميلة الذكية اكتساباً. فعلام إذا أنت اليوم وكأنك لست سوسنة بين الشوك بل شوكة بين الأشواك وعوسجة بين البنات؟

اجل انه العالم ومغرياته ياسوسنة الأودية. انه الجسد وشهواته يازنبقة البستان. انه الشيطان يا رعية الله التي اقتناها بدمه. انه ثالوث الشر الذي ما فتئ يناهض فيك ثالوث البر الآب والابن والروح القدس. إنها أرواح الضفادع الثلاث الشيطان والوحش والنبي الكذاب، والتي تنقّ في المستنقعات وحيث تسكنين. فمالك وهذه الضفادع النجسة وتلك المستنقعات القذرة يا حمامة طاهرة؟ومالك وأشجار الوعر الشائكة والأشواك الحادة الدامية يا جميلة؟ ومالك والبنات العابثات الماجنات فوق مرتفعات الشيطان يا ابنة الكريم؟

فإلى السوسنة البكر القديسة مريم يا جميع العذارى وإلى سوسنة الرسل والقديسين يا كنيسة القرن العشرين وإلى هذه السوسنة وتلك ايتها النفس القارئة المفديّة. بل إلى اسفل الوادي حيث يرقد الحب ويضطجع المجد. إلى حيث يصلب المسيح ويموت لتنبتي أنت، سوسنة جميلة فواحة. لأن الشوك والعوسج فالتنور نصيبه. أليس كذلك يا ابيمالك بن جدعون عوسج إسرائيل الدامي وقاضيه السفاح (قض٩: ١ -٥٧)؟

٣- كالتفاح بين أشجار الوعر كذلك حبيبي بين البنين تحت ظلّه اشتهيت أن اجلس وثمرته حلوة لحلقي

نعم هكذا ترى الحبيبة حبيبها الجسدي تفاحاً بين شجر الوعر فيحلو لها الجلوس تحت ظلاله، تشتهي كلامه طعاماً ونفثات قلبه شرابا وكأنها لا تعود ترى فوق كرة

الأرض حبيباً سواه ومخلوقاً ثانيا عداه فتكاد تعمى عن رؤية الرجال الآخرين في منظار الحب. واما من نحو حبيبها فهي بصيرة حقاً وكأنها تتطلع إليه بأعين سبعة.

انه الحب والحب وحده وهو يرى الحياة في التفاح والتفاح في الحياة. وهكذا المسيح أيضاً فهو شجرة التفاح بل شجرة الحياة المجيدة الأزلية في السماء وعلى الأرض يتطلع إليه القديسون بعيون أذهانهم ويجلسون تحت ظلاله بعقولهم ويلتهمون ثماره بقلوبهم. نعم انه الحب والحب الأزلي الفدائي وحده الذي يصنع الحياة بالتفاح والتفاح بالحياة.

تقول التقاليد اللاّ كتابية أن التفاح هو علة الشقاء والموت في مملكة البشر. أما التقاليد الكتابية بل الآيات الإنجيلية والأقوال الإلهية فتقول أن التفاح السماوي يسوع المسيح هو علة الخلاص والحياة لمملكة البشر "لأن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور للناس" (يو ١ : ٤).

ترى من مثل المسيح يسوع هذا جميل في حبه وحبيب في جماله؟ بار في حقه وحق في بره. ميت في قوته وقوي في موته. إله في تجسده وإنسان في لاهوته. حبيب بين أبنائه وابن بين أحبائه؟ تفاح في عيون أحبائه وشجر وعر في عيون أعدائه؟ أليس جميع بني البشر، أشجار وعر وغابات عوسج؟ كقول النبي داؤد "انه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. حنجرتهم قبر مفتوح بألسنتهم قد مكروا. سم الأصلال تحت شفاههم. فمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم في طرقهم اغتصاب وسحق، وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدام عيونهم"

(رو٣: ١٠-١٨). هذه هي صورة الناس طراً الذين لا يعرفون الله ولا يُطعّمون بمحبة المسيح وحياة بره وبر حياته.

اجل قد يظهر الناس غالباً بعضهم افضل من بعض، ولكن إذا ما توسطهم يسوع المسيح انكشف زيفهم وتعرت قلوبهم وتشخصت أعماقهم بل ظهرت اشواكهم وعوسجهم. كيف لا وقد انحدر الناس جميعاً من صلب واحد ساقط هو صلب آدم الخاطئ كقول الرسول بولس "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ اخطأ الجميع"(رو٥: ١٢). فكيف إذاً يجتنون من الشوك تيناً ومن العليق عنبا (مت٧: ١٦)، "أليس كل بزر يبزر بزراً كجنسه"؟ بل كيف تقدر الشجرة الرديئة أن تصنع أثماراً صالحة" بل "الينبوع الواحد أن يخرج منه ماء عذب وماء مالح"(يع٣: ١٢).

وإلا علام يعيش الناس جميعاً في خوف وقلق وشقاء مع أمراض وآلام؟ لماذا يموت الناس جميعاً ليساقوا فيما بعد للقضاء والدينونة الرهيبة؟ أليس كل ذلك لأن أجرة الخطيئة هي موت واما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا"(رو٦: ٢٣)؟

أما يسوع المسيح هذا واما التفاح السماوي هذا، تفاح الحياة فإنه ليس من صلب آدم الساقط أصلاً. ولا من تفاعل إنسان طبيعي مصدراً. بل إنما من اصل ومصدر إلهي يقيناً، هو اصل الوجود ومصدر الأزل ومنبع الحياة. أليس كذلك يا جميع سكان البرية الأحياء فيهم والأموات؟ أليس كذلك يا جميع أشجار الوعر وجماهير العوسج؟ وإلا علام هذا الخروج عن المألوف والتحدي لذياك الناموس المعروف، مألوف الطبيعة وناموس الجسد وذلك بميلاده من عذراء وهي لم تعرف رجلاً؟

والآن فإن كان المسيح هكذا فوق الطبيعة بميلاده فمن البديهي إذاً أن يكون هكذا أعجوبة في معجزاته وتعليمه. في حياته وشخصيته. في صليبه وقيامته. في صعوده وملكه. بل في مجيئه وقضائه. فهل من شخصية كهذه فوق الناموس الطبيعي المطلق غير شخصية الله بالذات؟ إذاً المسيح وهذا الميلاد "هو الله وقد ظهر في الجسد" (١ تي٣: ١٦). انه التباين السافر المطلق بين المسيح هذا والجنس البشري طراً الذي أعلنه المسيح بقوله "انتم من اسفل أما أنا فمن فوق. انتم من هذا العالم واما أنا فلست من هذا العالم"(يو٨: ٢٣). كيف لا يكون إذاً وهذا الوجود الأعلى المطلق شجرة تفاح وحياة مغروسة في قلب الأزل لكنها قد تجسدت وغرست في قلب الأرض رحمة في الناس وشفقة بأشجار الوعر؟

ولكن علام هذا التجسد وذياك التوسط بين الخطاة وسائر أشجار الوعر واللصوص والقتلة وتلك الآلام وهو يصلب مع الأثمة و يحصى؟أ ليس ليحول الأشواك التائبة إلى تين والعليق المؤمن إلى عنب واشجار الوعر التائبة المؤمنة إلى تفاح وذلك تقليماً وتطعيماً ليس إلاّ. لأنه إن كانت الأشجار العقيمة تتحول بالتقليم والتطعيم إلى أشجار مثمرة، فالأشجار البشرية الشريرة كذلك تتحول بالتقليم والتطعيم إلى أشجار بشرية صالحة.

نعم هذه هي الطريقة الوحيدة لتحويل العوسج إلى تفاح والخطاة الأشرار إلى قديسين أخيار. انه التقليم العنيف الحاد بسيف كلمة الله وصليب يسوع المسيح للخطيئة الفاسدة من الأعماق والجذور. انه التطعيم بذياك القلم السماوي الجديد يسوع المسيح. انه التجديد القلبي والتقديس العقلي الذي يصنعه الروح القدس في دائرة النفس والروح والجسد. وذلك لأن كلمة الله يسوع المسيح "حادة وأمضى

من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" (عب٤: ١٢).

ولكن أليس في مقدور الأنبياء والفلاسفة أن يصلحوا الإنسان هكذا جذرياً عميقاً شأنهم في ذلك شأن يسوع المسيح؟ كلا لأن الخطيئة قد أفسدت الإنسان إطلاقا ولم يعد بالإمكان استخراج الحلاوة من الجافي ولا التين من الشوك ولا العنب من العليق ولا التفاح من شجر الوعر ولا الصالح من الطالح ولا الحياة من الموت. لأن عمل المسيح في الإنسان ليس عملا إصلاحيا لواقع الخطيئة فيه ولا تطويرا لها معه، بل عمل المسيح في الإنسان هو عمل تقليم وموت معه بالصليب وعملية تطعيم وحياة معه بالقيامة وهذا عين ما قصده الرسول بولس بقوله "الذي مات لأجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا".

ولكن ما اجمل هذه المقارنة التي كتبها الروح القدس بقلم الرسول بولس بين هاتين الحياتين المتناقضتين في المسيح نسل المرأة وفي الإنسان نسل الرجل بقوله "الإنسان الأول من الأرض ترابي والإنسان الثاني الرب من السماء. كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضا. وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس صورة السماوي. فأقول هذا أيها الاخوة أن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد" (١كو١٥: ٤٧-٥٠).

لذلك إصلاح الفلاسفة للخطاة ليس كإصلاح المسيح الصالح، إصلاحا روحيا أدبيا عميقاً، بل انه إصلاح طبيعي سطحي. انه تنظيف خارج الكؤوس دون داخلها. انه تزيين قبور الموتى دون حياتها. فالمسيح يسوع وحده اصل سماوي ومصدر الهي وينبوع حياتي وفيه تصير أشجار الوعر أشجارا صالحة مثمرة وتفاحا جميلا ذكيا.

هكذا تحولت المجدلية إلى زيتونة مباركة والسامرية إلى تينة حلوة والخاطئة في بيت سمعان إلى كرمة زاهية ولص اليمين إلى تفاح شهي. بل تغيير شاؤل الطرسوسي في طريق دمشق من غابة العوسج إلى بستان من الزيتون والكروم والتفاح. وهكذا بالتقليم والتطعيم تتحول أنت من شجرة وعر رديئة إلى شجرة تفاح في الكنيسة والفردوس صالحة. "وإلا فستنزل نار من السماء لتأكلك مع جميع أنبياء البعل وأشجار الوعر فوق جبل الكرمل" (١مل١٨: ٤).

ولكن هل يحسب تجديد الإنسان في المسيح وقف على إنسان دون آخر وعلى جيل دون آخر؟ كلا لأن المسيح يسوع ذاق ألم الموت لأجل جميع الناس كقول الرسول بولس "لذلك كل من يدعو باسم الرب يخلص". وكل إنسان يتقبل التقليم في خطيئته والتطعيم ببر المسيح يصير في المسيح خليقة جديدة ولا فرق بين إنسان وآخر "حيث انه لا فرق بين يهودي ويوناني وبربري وسكيثي عبد وحر امرأة ورجل لأن المسيح يسوع هو رب واحد للجميع وغني لجميع الذين يدعون به" (رو١٠ :١١-١٢). ولو كان المسيح الآن ميتاً ومدفوناً في التراب كغيره من بني آدم لكان إصلاحه محدوداً في زمن ومحصوراً في جيل. غير أن السماء اليوم بما فيها من عرش للمسيح ممتلئ، والأرض بما فيها من قبر للمسيح فارغ، تصرخ قائلة "المسيح بالحقيقة قد قام وصار باكورة الراقدين".

من اجل هذا سيبقى إنجيله حياً وحبه دافئاً وتجديده للقلوب عميقاً وتفاحه فواحاً لذيذاً. نعم المسيح إنسان ولكنه ليس كبقية الناس. المسيح مصلوب وميت ولكنه ليس كبقية المصلوبين المائتين. المسيح مولود ولكن ليس كمواليد النساء. المسيح سماوي ولكن ليس كبقية السماويين. انه الإله المتجسد. من اجل ذلك ولد بطريقة

خاصة وعاش على الأرض بطريقة خاصة ومات وقام بطريقة خاصة وترك العالم جسدياً بطريقة خاصة وسيأتي في اليوم الأخير أيضا بطريقة خاصة فهو لذلك تفاح خاص بين أشجار الوعر، أشجار بني البشر.

كيف لا تجلس الإنسانية الجديدة هكذا تحت ظلال التفاح المحبوب لتتقي حرقة الشمس صيفا وبرودة الموت شتاء وملاحقات آخاب العالم وزوجته ايزابيل الخطيئة صيفاً وشتاء؟ بل وتعقيبات الإنسانية العتيقة الفاسدة خريفاً وربيعاً كذلك.

اجل كيف لا تستريح الحبيبة تحت ظلال هذه الشجرة السماوية في مسيرتها الضيقة كما استراح ايليا قديما وتتحصن بخشبها ضد الصواعق تحصينا بل تجلس تحت أقدامها جلوساً دهرياً مع مريم ومريم لتختار لها النصيب الصالح الذي لن ينزع منها إطلاقاً. كيف لا وشجرة التفاح هذه إن هي إلا ذات شجرة الحياة المغروسة في وسط فردوس الله، الشجرة التي بات خشبها وورقها شفاء للأمم (رؤ٢٢ : ٢).

والآن إن كان المسيح هو ذات شجرة الحياة والتفاح. أفلا يكون الصليب إذا ثمرة هذه الشجرة وقد صار في فم الحبيبة الكنيسة حلاوة وعذوبة بعد ما نشف فمها من مرارة اللعنة تنشيفا؟ نعم إنها حلاوة الخليقة الجديدة حلاوة البنوة العجيبة حلاوة الملكية الفتية حلاوة المصالحة الجديدة حلاوة الشركة العميقة بل حلاوة القبلات الأُول الدهينة في الحب والسمينة بالفداء.

فكيف لا تجلس الحبيبة إذاً تحت شجرة الحب هذه وقد أينعت صليباً وأثمرت حياة وخلاصاً؟ اجل هكذا أمست العذراء مريم بنعمة الله شجرة تفاح بعدما جسدت

المسيح في أحشائها تجسيدا. وبالتالي قدمته للعالمين طراً فوق صليب الموت عصيراً للحياة مجيدا.

أليس كذلك يا من ولدت نابليون ويا من أنجبت الاسكندر ويا من صارت أماً لسقراط؟ أليس كذلك يا جميع أمهات الجنس البشري قاطبة؟ أين هم هؤلاء العظماء في التاريخ وأين هي أمهاتهم؟ حقاً ستبقى العذراء تتحدى بوليدها المسيح كل امرأة برجل. بل ستقوم في يوم الدين لتحكم على هاتيك الحوّاءات القديمات اللواتي لم يجلسن وابنائهن تحت ظلال شجرة التفاح ويأكلن من ثمره الحبي الفدائي النفيس.
وأنت يا كنيسة اليوم فمن هو حبيبك الأول والآخر؟ اهو المال والثروة والذهب الرنان أم انه يسوع المسيح الكنز الذي لا يبلى ولا يضمحل؟ اهو الصيت العالمي والمجد الباطل والجاه الراحل أم انه رب المجد والخلود يسوع المسيح؟ اهو الإله المجهول اله الفلاسفة الابيقوريون أم انه الإله المعلوم المتجسد اله القديسين المؤمنين يسوع المسيح؟ اهو اله الذات والانا أم انه اله الفداء والتضحية يسوع المسيح؟ اهو اله الشهوة القبيحة وشيطانها وروحها النجس والساكن أولاً في المجدلية سبعة أم هو اله القداسة المجيدة وروحه الصالح والساكن ثانياً في المجدلية سبعة كذلك؟ أين تجلسين اليوم ايتها الكنيسة، أتحت ظلال شجرة التفاح الجديدة مريم تأكلين من ثمرها النفيس يسوع المسيح أم تجلسين تحت ظلال شجرة حواء القديمة وتأكلين من ثمرها الأثيم القبيح؟ أتتفيأيين اليوم حقاً تحت ظلال المصلوب يسوع المسيح كحبيب قدوس أمين وكفى أم انك اليوم جالسة تحت ظلال هيرودس انتيباس وبيبلاطس البنطي وذلك لأجل مركز عالمي باطل وتحت ظلال حنان وقيافا لأجل مركز ديني وكفى؟

وأنت الأخرى يا نفسي ماذا تأكلين اليوم وماذا تشربين وماذا تلبسين؟ أتأكلين التفاح الشهي وتشربين عصيره المنعش وتلبسين فرو الخروف المذبوح المسمر فوق الخشبة، أم تأكلين الخرنوب مع الخنازير في الكورة البعيدة وتشربين عصيره الخانق وتلبسين جلود الخنازير القساة الأشرار؟ أم انك يا نفسى تجلسين تحت ظلال شجرة التفاح، المسيح، حيناً وتحت ظلال أشجار الوعر أحياناً؟ أتأكلين من ثمرة التفاح النفيس زمنا وتأكلين من ثمار شجر الوعر الرديئة أزمانا؟ بل تقطفين من شجرة الحياة المغروسة في وسط الفردوس والكنيسة بيد ومن شجرة معرفة الخير والشر كأمك حواء بيد أخرى؟

ألا كفاك ازدواجيةً يا نفسي ويا كنيستي وتمثّلي بالعذراء جلوساً وبكنيسة القديسين والرسل أكلاً وأذّاك يدخل الحبيب إلى بيت الخمر دخولاً ويضع علمه فوق رأسك محبة.

٤- أدخلني إلى بيت الخمر وعَلَمُه فوقي محبة

إن بيت الخمر هذا هو بيت المحبة بالذات. المحبة التي ظهرت في الأرض متجسدة من عذراء في ملئ الزمان وبالتالي رُفعت مصلوبة في بيت أحبائها. نعم هناك فوق الصليب قد عرفنا الله معرفة حقيقية، عرفناه قداسة نارية مطلقة ومحبة فدائية مطلقة وما تقاطع قطري صليبه إلا تجسيداً لهاتين الصفتين المركزيتين في الذات الإلهي.

على أن هذه المحبة ليست من اجل الناس العاديين الطيبين فحسب بل إنما من اجل الخطاة كذلك "لأن الله بين محبته لنا لأنه وبعد نحن خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥ :٨). فالصليب إذاً هو التعبير المطلق لواقعية الله وحقيقته وعلى ما هو فيه من بر أبدي وحب أزلي. لذلك محبة من دون صليب هي محبة نظرية وأنانية هزيلة ميتة.

والآن إن كانت المحبة النظرية لا تليق بالإنسان المحدود الخاطئ. فكيف تليق إذاً بحق اله لا محدود وباق؟ وإذا كانت تضحية الإنسان الخاطئ وهي لا تخلو إطلاقاً من الدوافع الذاتية تكلّل دوماً بالمجد والكرامة، فكيف بالفدية الإلهية ومن باب أولى لا تكلّل بالمجد والكرامة؟ أم إن الإنسان الخاطئ يغلب إلهه القدوس في مضمار الحب وميدان الفداء؟

لذا لما كان الصليب هو المكان الذي تُصلب فيه الخطية ويُعتق الإنسان من عبودية الشيطان وهو الوسيلة الوحيدة لمصالحة الإنسان مع خالقه والإنسان مع قريبه والإنسان مع ضميره، لذلك بات الصليب وهذه الوقائع الإلهية الحياتية الإنسانية المذخر الأساسي للخمرة الحبية المقدسة. لأنه حيث توجد محبة المصلوب يسوع هناك يوجد بيت الخمر والفرح كذلك. لذلك الرسول بولس عندما يعلن ثمار الروح القدس يستهلها بالمحبة ويعقبها مباشرة بالفرح (غل٥ :٢٢).

أما الإنسان في مسيرته العالمية هذه فلا بد له أن يؤخذ إما بمحبة الشيطان والخطيئة وأفراحه الكاذبة وإما بمحبة المسيح والبر وأفراحه الصادقة الثابته. إما بأفراح العالم الزمنية او بأفراح السماء الأبدية. إما بأفراح الجسد المبكية او بأفراح الروح الخالدة.

ولكن هل تستطيع الخطيئة أن تقدم للإنسان الخمرة الصحيحة النقية؟أيستطيع الجسد يقيناً أن يسكرنا بالفرح الحقيقي الدائم؟ أيستطيع العالم أن ينعشنا بشرابه كمن ينعش النائم؟ إنها خمرة لكنها مغشوشة بماء، وفرحة لكنها حبلى بالدموع والآلام. هي شهوة محرقة تلتهم الآنام.وخمرة محمرّة لكنها في الآخر تلسع شاربيها كالافعوان وفي هذا يقول الحكيم سليمان "لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين. للذين يدمنون الخمر الذين

يدخلون في طلب الشراب الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا إحمرّت حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة. في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان" (ام٢٣ :٢٩-٣٢).

حقاً انه تعبير دقيق وتشخيص موضوعي عميق لواقع الخطيئة في الإنسان بل انه كشف مرعب لنتائج الخطيئة في حياة الناس وما يترتب عليها من سلبيات أدبية وويلات حياتية. أفليس من الغباوة إذاً أن يندفع الناس هكذا ويجنون إلى حانات الخمر ومستودعات الخطيئة ومستنقع الضفادع ليسكروا، وفي أعماق الليل وقلب الظلام يتسكعوا وينطرحوا؟ لكنها ليست سوى لحيظة يصحون بعدها ليواجهوا الواقع صباحاً والحقيقة نوراً. وبعد ذلك أين سيكون المفر؟ بعد قليل ستقفون حفاة وعراة بين يدي الله القدوس العادل والذي في حضرته تلتف السماوات كدرج وتنطوي الأرض كسفر. إلى أين المهرب وقد وقعتم بين يدي الله يا جميع سكارى الشهوات والفجور والموبقات ويا أبناء الخمرة الحمراء ويا بنات الليالي العابثات؟ انتم الذين أبيتم أن تصحوا من خمرتكم وتتخلّصوا من شهواتكم، وها انتم الآن أمام ذياك العرش الأبيض المتفجّر بروقاً ورعوداً وأصواتاً، عرش الحبيب المهيب.

وأما انتم يا جميع سكارى الحب الإلهي، سكارى الصليب الفدائي فقولوا دوماً مع الرسول بولس "قد تناهى الليل وتقارب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة ولنلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما في النهار. لا بالبطر والسكر ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح. ولا تصنعوا تدبيراً للجسد من اجل الشهوات" (رو١٣ :١٢_١٤).

إذاً المطلب الإنجيلي لا يقتصر على تجنب مسكرات الخطايا والذنوب فحسب بل يدعو إلى محاربتها بسلاح البر في حياتنا وحياة الآخرين وذلك "لأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستاسرين كل فكر إلى طاعة المسيح ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم" (٢كو١٠ :٤-٦). وما تلك الخمور والمسكرات سوى تلك التي حددها الرسول بولس وبانقباض روحي بقوله "وأما أعمال الجسد فهي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر" (غل١٩:٥). هذه هي الحانة الجسدية العالمية الدنيئة التي اصدر بحقها الرسول بولس وبسلطان من الروح القدس أمراً قائلاً "إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله (غل٥ :١٩_٢١).

ولِمَ لا؟ أليس بسبب هذه الحانة قد جلب الله طوفاناً على عالم الفجار واهلك الجميع إذ اختلط أبناء الله مع بنات الناس في حانة واحدة كهذه هي حانة الفحشاء؟ أليس بسبب هذه الخمرة المشتعلة إثماً أمطر الله سدوم وعمورا ناراً وكبريتاً من السماء واهلك الجميع ؟ أليس بسبب هذه الخمور قد سقطت جثث بني إسرائيل في البرية سنوطاً مرعباً كقول الرسول بولس "ولا نزن كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً" (١كو١٠ :٨).

اجل بسبب خمور الظلمة هذه وحانات الليل تلك سينسكب جام غضب الله صرفاً من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم والذين يحجزون الحق بالإثم" (رو١ : ١٨). أما انك اليوم تستهين بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ولكنك من اجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر

لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو٢ :٤-٦). بل قل إذا ما أتى المسيح الحق فوق سحاب الدينونة والقضاء، أين ستنتهي تلك المضاجع الطرّية المعطَّرة بروائح النجاسة والعهر والفجور؟ أليس إلى أعماق الجحيم حيث تضطجع شياطين العهر اضطجاعاً أبدياً؟

ان هاتيك الخمور التي سكر بها الناس والأوحال التي اختنق فيها البشر لم تعد تسمى أوحالاً في لغة العصر، بل تسمى مستلزمات وقواعد اجتماعية وضرورات بشرية ومحطات ثقافية. ولكن ليعرف الإنسان أكيداً والعالم والكنيسة يقيناً، أن هذا التخمّر الروحي وذيّاك البطر النفسي وذاك التشحم الجسدي وهذا التوحل الحياتي، إنما هو للسكين وللسكين فقط، لأن فأس القضاء سيظل موضوعاً على اصل شجرة الوعر "وكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار" (مت٧: ١٩). فعلام إذاً هذه الرقصة الماجنة بالشهوات أيتها الإنسانية الثملة بالخمور والسكرى بالقبائح من الفجور؟ وعلام هذا الاستهتار بإنجيل الخلاص وعهد الحبيب يسوع يا ذات الأزواج الخمسة والشياطين السبعة ويا رواد الحانات السبعة عشر؟

حقاً انه الشيطان وأعماقه والعالم وميادينه. انه الجسد ومستنقعاته. يقول السيد المسيح "لو لم أكن قد جئت وكلّمتهم لم تكن لهم خطيئة. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيئتهم. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطيئة وأما الآن فقد رأوا وابغضوني أنا وأبي" (يو١٥ :٢٢_٢٤).

فالمسيح إذاً لم يأت ليمنع الخمور الجسدية من أفواه الناس وقلوبهم وكفى ليتركهم من ثم أوان فارغة حائرة، بل قدم لهم بمعصرة صليبه خمراً جديدة أدبية في زقاق قلبية جديدة غمر بها نفوسهم أفراحا وأفواههم ضحكا مقدّسا. هذه هي الحانة

السماوية الجديدة والدعوة الفدائية المقدسة التي يدخل المسيح بأحبائه إليها دخولاً وذلك ليشربوا حباً كاز. في قلب الأزل مخزوناً ويرتووا براً كان في ضمير السماء مزروعاً ويسكروا فداء جاء فوق الصليب معصوراً.

والآن كما رسم لنا الرسول بولس صورة للشهوة القبيحة في آدم الأول وخمور شهواته وموبقاته رسم لنا كذلك صورة الشهوة الجديدة لعصير الكرمة السماوية بقوله "وأمّا ثمر الروح فهو محبة. فرح. سلام. طول أناة. لطف. صلاح. إيمان. وداعة. تعفف" (غل٥ :٢٢_٢٣).

فصليب المسيح إذاً هو البيت الذي فيه تصنع هذه الخمور الروحية والأفراح السماوية ليشرب منها القديسون ويسكروا، ليس في هذا العالم فقط بل في العالم الآتي أيضاً.

والكنيسة المقدسة هي البيت الإلهي الذي يدخل فيه الأصحاب والمحبون ومن فوق مذبحها يأكلون الحب خبزاً جسداً ويشربون الفداء خمراً دماً. فيسكرون اذاك خلاصاً وحياة. نعم من هذه المائدة المقدسة الروحية تتدفق خمرة الحب الأصيل في أحضان العشّاق تدفقاً وتنسكب أفراح الفداء في القلوب والنفوس انسكاباً. وستبقى خمرة الحب والحبيب هذه مصدراً للحياة والطاقة الروحية والأدبية في الذين يرتشفونها باستحقاق الروح والحق، ليس في هذا اليوم فقط بل في ذلك اليوم أيضاً حينما يشربونها جديدة مع الحبيب الأعلى والأبقى يسوع المسيح ربنا. كما وسيبقى صليب المسيح في البيت هنا وهناك شعاراً مرفوعاً وراية منصوبة وعلماً خفاقاً وشعاراً لعهد الحب مرفوعاً وفوق الحبيبة في بيت الخمر محبة ومظلة. حتى إذا ما دق ناقوس الحب من السماء ثانية في مسامع الأرض تختطف الحبيبة من بيتها

المنظور في هذا العالم، تختطف في أحضان حبيبها إلى ذاك البيت الغير مصنوع بيد. وهناك في أعالي الجبال الدهرية وفوق المرتفعات السماوية حيث الكروم الحبية والخمور الفدائية ترتوي الحبيبة حبا وتسكر خمرا، إذ لنا هذا الوعد الصادق الأمين من الحبيب حينما قال "لأني أقول لكم إني لا اشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله" (لو٢٢ :١٨). وسيبقى الصليب هكذا علم محبة وشعار مملكة، مجداً للحبيب يسوع وخلاصاً للحبيبة الكنيسة وهلاكاً للأشرار المتمردين على الحب.

نعم في هذا البيت الروحي، بيت الخمر والحبيب قد دخلت العذراء مريم سبّاقة وامتّلأت من خمرة الحب، والسلافة الأزلية والروح القدس إلى فوق. يوم حملت في أحشائها ككرمة مختارة من الله كريمة، عنقود الحياة الأبدية يسوع المسيح. ولما عصر هذا العنقود هكذا على الصليب عصراً عنيفاً شربت منه مريم والمريمات، الفداء الأبدي حياة والعصارة الحبية مع باقي الرسل والقديسين باكورة. وليس ذلك فحسب بل راح جميع المصابين بالأمراض المختلفة من عمي وصم وبرص ومجانين يشربون من ذات العصير فيشفون من أمراضهم ويصحون بل يسكرون من بهجة القلب ويطفرون (اع: ٨).

والآن ايتها النفس، هل تقيمين في بيت الخمر والحبيب يسوع وتقولين "أدخلني إلى بيت الخمر وعَلَمُه فوقي محبة"، أم انك تدخلين بيت الخمر الآخر حانة الشيطان وعلمها فوق رأسك عداوة؟ أتسكرين يا نفسي بمحبة المسيح كما فعل الرسل القديسون، أم أنك تسكرين بمحبة ضد المسيح والخطيئة كما يسكر بها رسل ووكلاء الشيطان الفاجرون؟ أتشربين الحب الإلهي داخل مذبح الله وبيوت محبته حيناً، أم تشربين الحب النجس داخل مذابح الشيطان وهياكل أصنامه حيناً آخر؟

أيهما الأصح لك يا نفسي أن تتلذذي اليوم جسدياً بخمرة الشيطان وموبقاته المؤقتة لتتعذبي بعدها إلى الأبد في نار جهنم، أم تقمعين الجسد مع الأهواء لتنعمي إلى الأبد في ملكوت النعم؟

حقاً، إن الخطيئة وقد أعمت فيك البصيرة وافقدت منك الصواب وطوّحت عقلك بالحماقات، بل وقذفت فيك إلى أعماق الموت والمهانة. ومن هناك ومن أعماق خمورك ومجونك وقلب لياليك وحاناتك رحت ترفسين المناخس وتنطحين الصخور وتلعبين بالنار وتتضاربين مع الحب والحبيب فتزدادين بذلك جراحاً.

قولي لي ايتها النفس الماجنة الطائشة، ايتها الزانية والتي لعهد حبها خائنة وبحانات وخمور الشهوات مترنحة سكرى. متى كان الشيطان لك حبيباً أميناً حتى تعشقّت به تعشقاً؟ ألا تعلمين أنه لا يزال يغرر بك تغريراً وذلك بشهوة قبيحة عابرة وبخمرة جهنمية محرقة وبحلّة براقة متعفنة وبكرسي عالية متضعضعة وبأكلة دسمة مسمّمة وبفضة لماعة وبعدها يقلع الشيطان بأصابعه عينيك ويقبض بحفنتيه قلبك وينشّف عصارة الحياة من عاطفتك ويشحن بظلمات الليل عقلك ويمسك بكمّاشة شفتيك بل يضع الشكيمة في منخريك ليجّرك إلى بابل الخاطئة بإنسانيتك. أليس كذلك أيها الملك الخائن صدقيا (٢مل٢٥: ٦-٧)؟ أليس كذلك يا جميع الخونة لعهد الحب والحبيب يسوع المسيح؟

المسيح المصلوب وليس الشيطان هو حبيبك الصادق الأمين ايتها النفس العزيزة. ايتها القارئة العزيزة . المسيح قد احبك ولا يزال حتى الساعة يحبك حتى إذا ما تجاوبت مع حبه الآن بالصليب تدخلين بيته بيت الحب والخمر وسيبقى علم صليبه فوقك محبة فهل تتجاوبين؟

٥- اسندوني بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح. فإني مريضة حباً

اجل المحبون الجسديون والعشاق الطبيعيون يعلمون حسناً عمق الآلام التي يعانوها بفراق الحبيب. ما اعمق العصارات التي يسكبونها فوق مذبح الحب والحبيب وما اكثر الأنات القلبية التي يذرفونها في سبيله. وما أقسى الحياة التي يعيشونها بعيدين عن الحبيب وما اعظم التضحيات التي يمارسونها من اجله.

ولا غرابة في ذلك لأنه لا حياة طبيعية من دون حب طبيعي ولا سعادة من دون حب وحبيب. وهكذا أيضاً لا حياة روحية أدبية من دون حب روحاني ولا سعادة سماوية وارضية من دوز حبيب سماوي ارضي. ولمّا كان السيد المسيح هو الحب الوجودي المطلق فهو لذلك حياة العالمين الروحي والطبيعي كما هو مكتوب "كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو ١ :٣،٤).

وإن كان الحبيب الجسدي على استعداد ليموت عن حبيبته مدفوعاً لذلك بطاقة الحب الجنسي.فكيف لا يموت مصلوباً إذاً الحبيب الإلهي الروحي عن حبيبته وإنسانيته مدفوعاً بذلك، بطاقة الحب الروحي الأدبي؟ فصليب المسيح إذاً كان التعبير المنطقي المطلق لواقع محبة الله تجاه البشرية الحبيبة.

إن كانت الحبيبة الجنسية تذوب ألماً وتنصهر حباً وتشتعل ناراً تجاه حبيبها. فالحبيبة الروحية بل الكنيسة المقدسة هي الأخرى تذوب ألماً وتنصهر حباً وتشتعل ناراً تجاه حبيبها المسيح يسوع. وإن كانت المحبة الجنسية المحدودة تتخطى كافة العراقيل وتكتسح جميع الموانع القائمة سياجاً بين الحبيب والحبيبة. فكيف لا تتخطى المحبة

الإلهية اللامحدودة كل العراقيل وتكتسح جميع الموانع القائمة سياجاً بين الحبيب المسيح وحبيبته الكنيسة.

ولكن ما اعظم الفرق بين الحب الجنسي الطبيعي والحب الإلهي الروحاني. فالحب الجنسي حب وقتي محدود يضعف بالمرض وينحل بالشيخوخة ويموت بالموت كما هو مكتوب "ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الاموات لا يزوجون ولا يزوجون. اذ لا يستطيعون ان يموتوا ايضا لانهم مثل الملائكة وهم ابناء الله اذ هم ابناء القيامة" (لو٢٠: ٣٥-٣٦). وأما الحب الروحاني فهو حب أزلي ابدي سرمدي لا بداية أيام له ولا نهاية حياة. لأنه ذات حب الله في المسيح يسوع.الحب الجنسي مداره الجسد وطاقته شهوة الجنس وغايته إنجاب الأطفال كما هو مكتوب "فقال آدم هذه الآن لحم من لحمي وعظم من عظامي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت. لذلك يترك الرجل أمه واباه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً" (تك٢ :٢٣،٢٤). وكما هو مكتوب كذلك "كما عرف آدم امرأته فحبلت وولدت قائين" (تك٤ :١). أما الحب الإلهي فمداره الروح والعقل والنفس وطاقته شهوة الحياة الأبدية وغايته الاتحاد الروحي مع الحبيب المطلق يسوع المسيح. وهو حب لا تمسه أصابع الخيانة إطلاقاً لانه قائم أصلاً على الحق.

نعم قد يصاب الحب الروحاني بالخيانة من نحو الكنيسة الاسمية فقط لكنه لا يصاب أبداً من نحو كنيسة القديسين وكنيسة المسيح الأمينة كما هو مكتوب "أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها". وقوله

كذلك خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد مني" (يو١٠ :٢٧-٢٨).

والآن يا حبيب الجنس الأمين هل اختبرت لا سمح الله عذاب الخيانة الزوجية وآلام خيانة الحبيبة؟ فلك بالتالي أن تتصور البعض من آلام المسيح الحبيب تجاه خيانة البشرية حبيبته والكنيسة العالمية الزانية عشيقته؟ لعلك أيها القارئ العزيز قد تلذذت بالحب الجنسي الشرعي زمناً وهذا حق لك في الحياة الطبيعية ونصيب. ولكن هل تلذذت بالحب الإلهي الروحي زمناً وزمانين وذلك حق لك في الحياة الروحية ونصيب؟ وهل اكتفيت بحقك الطبيعي ذاك دون الحق الروحاني؟ وإذا كان امتناعك عن الجنس قسراً يحسب لك موتاً، فان الامتناع عن الحب الإلهي بيسوع المسيح يحسب موتاً لموت؟

فإلى الحب الإلهي الفدائي في المسيح يسوع يا جميع من خصاهم الشيطان بالخطيئة من بطون أمهاتهم لأنه "ها انذا بالإثم صورت وبالخطيئة حبلت بي أمي" (مز٥١) "لأنه هكذا احب الله العلم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ :١٦).

كيف لا تمرض الحبيبة الأمينة هكذا وتتألم الكنيسة هكذا على فراق حبيبها المسيح وقد غاب عن عينيها بالجسد بعدما صعد إلى السماء وهي لا تزال على الأرض تعاني من ألم الفراق وحرقة الحبيب ولسان حالها يقول مع الرسول بولس "لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذاك افضل جدا "(في١ :٢٣)؟

ألا ما اقدس هذا المرض في الحبيبة وما أمجده وأسماه لأنه حيث لا وجع وألم وموت في سبيل الحبيب فلا حب حقيقي أصلاً، بل أنانية واستغلال وادعاء واستقلال. فمرض الحبيبة إن دل على شيء فإنه يدل على مدى إخلاص الحبيبة للحبيب وعمق محبتها له وانصهارها في حبه بل ثباتاً منها على عهده وهي في ذياك الفراق الطويل البعيد. وليس ذلك على الكنيسة الحبيبة بكثير. لأن حبيبها المسيح وهو الأعلى منها منزلة وقدراً والأسبق لها في الحب بالتجسد والأقوى منها في الصليب والأعظم منها طاقة وحيوية بالقيامة. وليس ذلك فحسب، بل قد سكب حبه بالروح القدس في أعماقها سكيباً. أفكثير على الحبيبة إذاً أن تعكس بعض هذه الالتزامات الحبية في حياتها من نحو حبيبها الأول والآخر يسوع المسيح؟ فكوني إذاً مريضة حباً للمسيح ايتها الكنيسة وعيشي متألمة لأجله يا حبيبة بل موتي في سبيله يا عشيقة مجيدة لأنه تاج جمال فوق هامتك وصولجان مجد في يمينك وأقراص زبيب في خزانتك وشراب تفاح في قارورتك. كيف لا وأقراص الزبيب هذه هي أسفار الكتاب المقدس الحلوة واسرار الكنيسة السبعة وثمار الفداء الشهية؟ كيف لا والتفاح هذا هو الروح القدس القائم في الكنيسة جمالاً فاتناً رائحته ذكية وشرابه عذب؟

فعبثاً تتلمس لها الكنيسة الحبيبة تعزية على فراق المسيح بغير أقراص الزبيب والفداء ومن دون التفاح والروح القدس المجيد. لذلك كلما تقتات الكنيسة الحبيبة من أقراص الزبيب والتفاح تزداد حباً وتكثر صحة وتتشدد قوة وتعظم جمالاً وفي البر تفوح بالحياة رائحة ذكية، بل تزداد تلهفاً لرؤية الحبيب إلى أن يأتيها فوق سحاب المجد فتراه إذ ذاك وجهاً لوجه كما هو في حبه وبره. حينئذ تشبع من الحب المستمر شبعاً وترتوي من الحبيب ارتواء أبدياً.

هذا هو رجاء الحبيبة المبارك الذي أشار إليه الرسول بولس بقوله "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف يترل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون في كل حين مع الرب لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام" (١تس٤ :١٦-١٨).

لذلك كوني مريضة حباً ايتها الحبيبة على فراق حبيبك يسوع المسيح لأن مرضك هذا دليل المحبة الصحيحة. ولكن تغذي جيداً بأقراص الزبيب والتفاح، لأنه هكذا كانت عذراؤك الأولى مريم مريضة على آلام حبيبها يسوع المسيح وعلى فراقه. حتى بات وجع الحب في نفسها سيفاً كنبوة سمعان. بل هكذا أمست بنعمة الله لأقراص الزبيب خزانة ومائدة وللتفاح السماوي سلة وشجرة.كقول الملاك جبرائيل "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥).

والآن فهل أنت اليوم مريضة حباً ايتها الكنيسة على فراق الحبيب يسوع المسيح وأوجاعه على الصليب من أجلك وقد صار الألم في نفسك سيفاً كالعذراء مريم؟ هل أنت هكذا مريضة حباً على الحبيب ككنيسة القديسين والتي لسان حالها يقول مع الرسول بولس "لان لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (في١ :٢١)؟ هل أنت اليوم يا كنيستي خزانة لأقراص الزبيب وسلة للتفاح شأنك في ذلك شأن القديسة مريم وكنيسة الرسل والقديسين؟هل تتغذين بأقراص الزبيب حقا وتقتاتين من تفاحك يقينا كالعذراوين الأولين؟

وأنت الأخرى يا نفسي أتحبين المسيح حتى المرض والموت، أم انك تحبين العالم والخطيئة؟ هل تأكلين من أقراص الزبيب لاهوتياً وفدائياً ومن التفاح كنسياً روحياً، أم انك تأكلين الثوم والبصل مصرياً عالمياً والخرنوب مع الخنازير في الكورة البعيدة جسدياً؟

المسيح يا نفسي لم يتألم من أجلك حباً فقط بل مات في سبيلك موتاً، فهل أنت اليوم تتوجعين من اجله هكذا وتموتين ؟ ألا فليكن المسيح لك زبيباً أزلياً وتفاحاً أبدياً وحياةً سرمدية.

٦- شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني

لا يشبع الحبيب حقاً إلا بمعانقة الحبيبة ولا ترتوي الحبيبة أكيداً إلا بمعانقة الحبيب ولا يكتفي الطرفان هذان سوى باتحاد قلبي وانسجام عاطفي وتعاطف جنسي.
والآن فإن كان هذا شأن المحبين البشريين. ترى كيف يكون شأن المحبين الروحيين والمحبة هذه إنما هي الروح والحق والحياة؟ بل كيف يكتفي هذان الحدان الروحيان المسيح والكنيسة إلا بالعناق الطويل والتقبيل العميق والاتحاد المتين والتعاطف الحبي الناري الذي شخصه الرب يسوع تشخيصاً بقوله "ليكون الجميع واحداً كما انك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا أيضاً هم واحداً فينا ليؤمن العالم انك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم انك أرسلتني واحببتهم كما أحببتني. أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك أرسلتني. وعرفتهم اسمك

وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم (يو١٧: ٢١_٢٦
؟)

ترى هل من حب قائم في الوجود كله مثل الحب بين المسيح يسوع وبين الكنيسة الحبيبة؟ كما يقول "وأحببتهم كما أحببتني". وهل من اتحاد تحت الشمس وفوقها كاتحاد المسيح مع الكنيسة وقد بلغ هكذا من ذلك الحب الأزلي القائم بين الآب والابن؟ لأنه يقول "ليكونوا واحداً كما نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد". فكيف إذاً لا يكون العناق بين الحبيب والحبيبة دائماً عندما استقى من العناق الأزلي وقبل حياة متقدة؟ ليست حياة الأبدية عينها كامنة أصلاً في ذلك الحب والاتحاد والعناق المتعاطف؟

الحق إنها حياة حقيقية عميقة في الوجودين الروحي والطبيعي. فالصليب يسوع المسيح إذاً إن هو إلا الإعلان الكامل والتعبير الصادق عن ذلك الحب والاتحاد القائم أزلياً بين الآب الأزلي وابنه يسوع المسيح والمنعكس على الكنيسة الحبيبة بالتجسد والفداء. وفي هذه الدائرة بالذات تتحسس الكنيسة تلألؤات الحب وتتلمس الفداء كما تتحسس الحبيبة ملامس حبيبها. وإذ تتضرع الكنيسة لتتمتع بحضن المسيح وتتذوق بأحضان الجسد، وهذه تصرخ قائلة "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني".

وهكذا يسند المسيح كنيسته بشماله اللاهوت ويحتضنها بيمين الناسوت يسند الحب أبدياً بقوله "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يدي. أنا والآب واحد" (يو١٠: ٢٧_٣٠). كيف لا يسند المسيح حبيبته هكذا بيده ويحتضنها بالأخرى وهو كالراعي يرعى قطيعه.

بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات" (أش٤٠ ـ١١)؟ كيف لا وهو قد تعهدها إنساناً جديداً بالصليب قائلا "لا تخف لأني فديتك دعوتك باسمك. أنت لي. إذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الأنهار فلا تغمرك. وإذا مشيت في النار فلا تُلدغ واللهيب لا يحرقك. إذ صرت عزيزاً في عينيّ مكرماً" (أش٤٣ :١ ـ٤)؟

فممن تخاف الكنيسة الحبيبة بعد وقد افتديت هكذا بدم الحبيب فداء ودعيت باسمه دعوة واسندت بقوات لاهوته إسناداً وطوقت كعزيزة محبوبة بأذرع ناسوته تطويقاً عنيفاً.

حقاً إنها لحصانة إلهية عجيبة وحماية فدائية مجيدة تتمتع بها الحبيبة الأمينة تمتعاً أبدياً. وهيهات أن ينال العالم منها شيئاً ما خلا الرداء الخارجي والظلم الشيطاني والسجن الفرعوني وذلك كما صنعت امرأة فوطيفار مع يوسف الصديق. لكنها فترة وجيزة سيخرج منها يوسف الصديق من سجنه ليتبوأ عرش مصر أميراً.

اجل إنها ثلاث أيام وثلاث ليال فقط يخرج فيها المسيح من قبره كخروج يونان من بطن الحوت ليجلس ملكاً للملوك ورباً للأرباب لا على الأرض فقط بل وفي السماوات أيضا. فكيف لا يستطيع حبيب هذا شأنه وتلك طاقاته أن يحفظ حبيبته بحدي لاهوته وناسوته وطرفي جسده ودمه حفظاً ويعانقها من على صليبه معانقة دموية ويشبعها تقبيلاً بكلمات إنجيله وأسرار فدائه وحبه؟

حقاً انه كحبيب يدفؤها في أيام الشتاء القارس تدفئة ويطبع فوق قامتها صورته الحبية الفدائية طبعاً مؤبداً لأنه بات لها كإنسانية جديدة إلهاً بإنسان وإنساناً بإله. حيث صار الكلمة جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملؤا

نعمة وحقاً" (يو١ :١٤). وفي هذا الواقع اللاهوتي التجسدي يقول لتلاميذه "لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه. قال له فيلبس يا سيد ارنا الآب وكفانا. قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب. الست تؤمن أني أنا في الآب والآب في" (يو١٤ :٧-١٠).

إذاً يمثل المسيح إطلاقاً لاهوت الآب بيد وناسوت الإنسان الجديد بيد أخرى. وفي واقع تجسدي كهذا فإنه يوحد الإنسان مع الله والكنيسة الحبيبة مع الآب في ذاته. وفي هذا المفهوم يكتب الرسول بولس قائلاً "ولكن الآن في المسيح يسوع انتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم بسلام انتم القريبين والبعيدين. لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد إذاً غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين واهل بيت الله" (اف٢: ١٣-٢٠).

إذاً اذرع المسيح المنبسطة فوق الصليب ما هي إلا اذرع لاهوته وناسوته وفيهما قد وحد الإنسان مع الله من جهة والإنسان مع أخيه الإنسان من جهة أخرى، وبحجر واحد قد أطاح بالعداوة القائمة في الوسط، وحقق هذين المكسبين الحبيين ما بين الله والإنسان وما بين الإنسان وأخيه الإنسان.

أليس حجر الصليب الحي هذا بقطريه المتقاطعين تعبير كامل عن هذين الحبين والمكسبين الفدائيين؟ أليس الصليب بقطريه المتقاطعين هذين هو الواقع العملي للناموس والأنبياء والذي قد لخصه الرب بوصية واحدة هي "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك وتحب قريبك كنفسك"؟ لأنه إن كان القطر العمودي في الصليب يشير إلى محبة الله للإنسان وبالعكس، فيكون القطر الأفقي فيه يشير إلى محبة الإنسان لأخيه الإنسان. لذلك حيث لا محبة مزدوجة متقاطعة لا صليب للمسيح أصلاً. بل عداوة وسياج بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان وأخيه وبين الإنسان وضميره.

إذاً بذراعي الصليب هذين تُحفظ الحبيبة وتتكئ كمن يتكئ على حجر لاهوتي وصخرة فدائية. ألم يتكئ يعقوب منذ القديم على هذا الحجر في بيت أيل، فرأى بذلك هذين الذراعين للتجسد الإلهي، الشمال واليمين وذلك في هيئة سلم منصوبة رأسها في السماء وقاعدتها على الأرض "حتى انه قال ما هذا الا بيت الله وباب السماء"؟ الحق الذي أشار إليه رب المجد بقوله لنثنائيل" الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يو ١ : ٥١).

نعم بين هاتين اليدين المقدستين ارتمى يوحنا الحبيب وقت العشاء وعند ذاك القلب الكبير في الحب اتكأ. فأستمع إلى دقات الحب الأزلي فيه. فامتلأ منه فرحة وارتوى منه قبلة وشبع منه عناقاً لاهوتياً واحتضاناً فدائياً فراح بالتالي يكتب قصة التجسد والمحبة قائلاً "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً"(يو ١ :١٤).

والآن إن كان الله في المسيح قد عانق الإنسانية بيمينه وشماله، أفلا تعانق الإنسانية هي الأخرى الله في المسيح يسوع وفي شخصية العذراء مريم؟ إذ قد صارت لله مركبة لحمية ملتهبة كرؤيا النبي حزقيال. كيف لا والعذراء مريم قد طوقت الله المتجسد يسوع المسيح بشمالها ويمينها مدلّلة بذلك على تعاطف الإنسانية الجديدة والكنيسة مع المسيح يسوع الحبيب بل مع الله؟

وإن كان الله قد طوّق الإنسانية بلاهوته بالمسيح، أليس على الإنسانية أيضاً أن تطوق الله بناسوتها بالعذراء؟ وإن كان الله قد طوق الإنسانية بلاهوته وناسوته. أفلا يتوجب من الإنسانية أن تطوق الله بروحها وناسوتها وكما طوقت العذراء الإله المتجسد بروحها وناسوتها تطويقاً حبياً كقول الملاك "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله؟

والآن هل يوجد تطويق إلهي إنساني، وإنساني إلهي كهذا التطويق العجيب بين الله والإنسان في المسيح يسوع وما بين الإنسان والله في العذراء؟ فإن كان المسيح قد طوق الكنيسة هكذا أيضاً بلاهوت فدائه وفداء لاهوته، فالكنيسة هي الأخرى كالعذراء تطوق المسيح كما هو مكتوب"انتم هياكل الله وروح الله حال فيكم" (١كو٣: ١٦) وكقول الرسول بولس "نحن أعضاء جسمه من لحمه وعظامه" (أف ٥ : ٣٠).

فما لك إذاً اليوم ايتها الكنيسة تعانقين بني عناق لأنهم عمالقة وبني آشور لأنهم جبابرة، عمالقة في الشر وجبابرة في الإثم وتنفرين من المسيح الحبيب، ملك الحب وسلطان البر نفوراً؟ وعلى أي صدر تتكئين اليوم وقت العشاء وشركة دم المسيح وجسده؟ أعلى ذياك الصدر العامر بالحب مع يوحنا الحبيب، أم على ذياك الصدر

العامر بالخيانة والطمع كيهوذا؟ أترقدين اليوم ايتها الكنيسة فوق ذيّاك الحجر الإلهي بقطري صليبه مع يعقوب رجل الإيمان، أم انك اليوم ترقدين ايتها الكنيسة فوق حجر الرحى بوجهيه العالمي والجسدي مع بلعام بن بعّور رجل العثرات ليترل بك إلى أعماق البحار؟

ألا توبي الآن توبة من القلب يا كنيسة العصر وعانقي الحبيب يسوع المسيح معانقة حبيبة لحبيب وطوقيه تطويق العذراء المجيدة، وإذّاك تفهمين لغة الحب والحبيب، بل أطراف الحب والفداء في صليب الإله المتجسد يسوع المسيح ربنا.

وأما أنت يا نفسي وإن كان لك أحباء كثيرين، لكن ليكون المسيح المصلوب بذراعي قدسه وتقاطع قطريه اللاهوتي والناسوتي حبيبك الأول والأسمى.

٧- أحلفكنّ يا بنات أورشليم، بالظباء وبايائل الحقول ألا تيقّظنَ وتنبّهنَ الحبيب حتى يشاء

لقد تكلم الرب يسوع في حديثه مرة مع اليهود والتلاميذ عن سر جسده ودمه قائلاً للرسل الاثني عشر "العلكم انتم أيضاً تريدون أن تمضوا. فأجابه سمعان بطرس يارب إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي" (يو٦ :٦٧-٦٩).

فالرسل إذاً أبوا مفارقة المسيح لأنهم عرفوه يقيناً بأنه ذات الحياة الأبدية والمحبة الأزلية وهذه الحياة مستقرة إطلاقاً في لاهوت فدائه وفداء لاهوته. كما يشهد بذلك الرسول بولس بقوله لقسس افسس "ارعوا رعية الله التي اقتناها بدمه" (اع ٢٠: ٢٨). فكيف تتجرأ الحبيبة إذاً أن تتخطى محبة الحبيب هذه وهي قائمة هكذا

على قاعدتين من [illegible] قاعدة [illegible]
تستخلص [illegible]

ولكن من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكتاب "اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة". إذاً وهذا التصريح الرسولي الإلهي قد اسقط حق بنات اورشليم الأرضيات المستعبدات للخطيئة من السماء سقوطاً.

إن البنات الأرضيات في أورشليم هن ايضاً أفكار الشيطان الباطلة وأعمال الجسد المظلة وأرواح العالم الظالمة والتي تستهدف دوماً قتل حقوق الحبيبة وسلب ميراثها على الأرض حقداً على خسارة ميراثها هي في السماء. ولكن ما عسى أن تكون الضباء وأيائل الحقول التي تستحلف بها الحبيبة أولئك البنات لكي لا يوقظن الحبيب حتى يشاء؟ أن الضباء وأيائل الحقول هم الأنبياء وقديسو الله الذين تاهوا في البراري والجبال من وجه الجارية وبنات أورشليم(عب١١: ٣٨). أنهم الرسل والشهداء الذين تحرروا من بنات اورشليم الارضيات وتسلقوا جبال الإنجيل العالية في البر وقداسة الحق. أنهم الملافنة العظام والمبشرين الأبطال واللاهوتيين الكبار الذين قفزوا بعقولهم من مستويات الجسد الوضيعة إلى مستويات الروح المجيدة، فراحوا من ثم يرفعون أجنحة كالنسور ويجددون قوة من مجد إلى مجد ومن قوة إلى قوة ويقفزون من جبل إلى جبل ومن صخرة إلى أخرى بسرعتهم ورشاقتهم المعروفة هاربين بجمالهم من سهام الصيادين وفخاخ الأشرار وشباك بنات أورشليم الارضية.

اجل إلى تلك الظباء المباركة والأيائل المقدسة تتطلع الكنيسة في محنتها من بنات أفكار أورشليم المستعبدات حتى اليوم للخطيئة، لكي تبقى هذه الأيائل والظباء في شركة حبيَّة حية مع المسيح الحبيب وهي مستغرقة في أحضان حبه استغراقاً أبدياً.

ولكن هل يشاء الحبيب، حقاً أن يستيقظ ليتخلى بذلك عن حبيبته وثمرة فداء صليبه؟ حاشا لأنه كيف يتخلى عنها وقد نزل من اجلها إلى أعماق الألم والموت

نزولاً؟ وسكب في أحشائها روح قدسه أمطاراً وترك لها أسفار إنجيله أنواراً ووضع فيها تقاليد رسله أسراراً وأسفاراً؟ كلا لن يتخلى المسيح عن كنيسته المحبوبة. "لأن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (عب١٣: ٨) وسيبقى محتضنا حبيبته الأمينة احتضانا أبديا لا يعرف فيها صحوة ولا يقظة.

حل إذا ساعة آتية لا محالة يستيقظ فيها الحبيب كما يستيقظ الأسد على فريسته لدينونة الناس الفجار الذين قد سكروا من دم الشهداء ودم الحمل المذبوح يسوع المسيح وإدانة البنات الجسديات اللواتي سكرن بدم المسيح وشهدائه "فاسلمن أنفسهن إلى الدعارة ليعملن كل نجاسة في الطمع والظلم والاستغلال" (افسس٤ : ١٨-١٩). وكبنات جاهلات هكذا نمن نوما عميقا عن محبة الإنسان وابن الإنسان يسوع المسيح. لكن السماء سوف لن تسكت عن دموع المسيح ودمائه في ذاته وفي حبيبته سوى لفترة وجيزة لتسكب بعدها جامات غضبها السبع على التي "عقدت عهدا مع الموت وميثاقا مع الهاوية".

أما أنت يا كنيسة الله الجديدة، يا حبيبة يسوع المجيدة، ياانسانة الله المحبوبة، فلا ترهبي بنات أورشليم لأنهن مائعات بالشهوة وضعيفات بالحق. ولا تخافي كذلك أسيادها الجبابرة بني عناق الظالمين لأن المسيح الكائن فيك أقوى حقاً وأمضى خيرٌ وأعمق إنسانية من الشيطان الكائن فيها. فأنت لست ابنة الجارية بل ابنة الحرة. فكيف تسمحين إذاً لأسياد ظالمين أن يستعبدوك بعدما حررك المسيح بدم فدائه فوق الصليب؟ بل كيف يسوغ لك أن تستعبدين لأسياد لا زالوا بفجورهم ومظالمهم للشياطين عبيدا؟

"حقاً كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد ولكن إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو٨ :٣٤-٣٦).

فإلى حرية الظباء فوق التلال المرتفعة يا بيعة الله والى انطلاقات الأيائل فوق الجبال السامقة يا حبيبة يسوع والى ظبي العذراء وأيلها السماوي يسوع المسيح يا انسانة الله المحبوبة فعنده سيذبح الظلم والطغيان وتحت قدميه المسمرتين تتعثر بنات أورشليم وأفكار الشيطان الباطلة لأنه ملك الملوك ورب الأرباب.

وأما أنت يا نفسي. أتعيشين أنت الأخرى بحسب بنات أورشليم المستعبدة روحياً وأدبياً، أم تعيشين بحسب بنات أورشليم السماوية المتحررة من الخطيئة روحياً وأدبياً؟ هل أنت ظبية مباركة وفي أعالي الصخور مسكنها، أم أنك اليوم خنزيره مغتسلة والى مراغة الحماة؟ هل أنت ابنة حواء القديمة والجارية الفاسدة، أم انك ابنة حواء الجديدة والحرة الطاهرة مريم؟

ألا فاصلبي يا نفسي، في داخل مدينتك، الجارية مع بناتها الشريرات السبع عشر (غلا٥ :١٩)، لتكوني سيدة حرة ذات البنات الصالحات التسع (غلا٥ :٢٣،٢٢) وذلك لتعيشي مع المسيح الحبيب في شركة روحية عميقة لا تعرف صحواً.

٨--صوت حبيبي آتٍ طافراً على الجبال قافزاً على التلال

فإن كان الحبيب الجنسي يتحدى الصعاب ويتخطى العثرات ويتصارع مع المعوقات التي تعترض طريقه إلى حبيبته فكم بالحري الحبيب الروحاني يسوع المسيح يتحدى الصعاب ويطفر فوق العثرات وصولاً إلى حبيبته الكنيسة وانسانته الجديدة الأصيلة.

أليست الجبال التي يطفر فوقها المسيح والتلال التي يقفز عليها هي جبال خطايا الإنسانية وتلال شرورها؟ تلك الجبال والتلال التي راحت تبني منها عبر الأجيال والقرون وبيديها هي جبالاً من الآثام وآكاماً من المظالم، تقيمها موانع شامخة بينها وبين حبيبها كما هو مكتوب "ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل إذنه عن أن تسمع بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" (اش٥٩ :١-٢).

حقاً لولا محبة الله العظمى والتي قد سقطت من السماء مطرقة، لتهدم الجبال وتكسّر الصخور لبقيت هذه الموانع فواصل أبدية قائمة بين الإنسان وخالقه ولبقي الإنسان هكذا محروماً من الحب وعن مصدر الحياة مفصولاً. لأنه كيف يقدر الإنسان الأعرج أن يمشي ويطفر فوق الجبال، جبال الآثام؟ وهل يقدر الإنسان المخلّع والمقعد أن يقفز فوق المرتفعات، مرتفعات الآثام؟ وهل بإمكان الإنسان الخاطئ المائت بالذنوب والخطايا أن يصعد السماوات ويتلاقى هناك مع البر والحياة والحب؟

لقد اخفق الإنسان الخاطئ في تسلق هذا في الماضي ولا يزال يخفق في طفراته في الحاضر وسيخفق هكذا في المستقبل أيضا طالما الخطيئة قد أعمت عينيه ولم يقدر أن يتفهم واقعه ويتطلع إلى جباله وتلاله.

ولكن الذي يقدر حقاً أن يطفر الجبال ويقفز التلال القائمة بين الأرض والسماء إنما هو المسيح والمسيح وحده "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا

أن يموت ولكن الله بين لنا محبته لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رو٥ :٦ ـ٨).

والآن إن كان الذي له إيمان بقدر حبة خردل ينقل الجبال إلى أعماق البحار. فكم بالحري رئيس الإيمان ومكمله يسوع المسيح له السلطان المطلق أن ينقل جبال الخطايا ويطرحها في أعماق البحار، بحار موته وفدائه؟ نعم هكذا طفر الحبيب يسوع فوق الجبال السبعة القائمة بينه وبين المجدلية مريم شياطيناً. وهكذا قفز فوق الجبال الخمسة القائمة بينه وبين السامرية أزواجاً. وهكذا طفر فوق تلك المظالم القائمة بينه وبين زكا العشار أطماعاً. وبينه وبين لص اليمين فوق الصليب شروراً ودماء. بل وهكذا لا يزال المسيح يقفز بحبه ويطفر ببره فوق جبال العشارين وتلال الزناة ليصل إليهم بحبه ويحييهم ببره. لذلك وان عجزت البشرية المشلولة بالذنوب والمقعدة بالخطايا والميتة بالمظالم عن الصعود إلى الله فوق هذه الجبال والتلال فالمسيح بحبه لم يعجز إطلاقاً عن النزول إليها وهو الأعلى من السماوات مقاماً.

ولكن إلى أين قد نزل المسيح بحبه مع الإنسانية يا ترى؟ ألى مستوى رؤساء الملائكة والملائكة فقط؟ ألى مستوى الملوك والأمراء فقط؟ ألى مستوى الأغنياء والعظماء فحسب؟ ألى مستوى الفلاسفة والعلماء وكفى؟ كلا بل إلى مستوى الإنسان الخاطئ البائس والفقير الشقي والمذنب الهالك قد نزل المسيح بحبه نزولاً عميقاً. نعم إلى مستوى العبيد وعبيد العبيد والى أعماق آلام الصليب والى قلب الأرض وأعماق قلب الإنسان حيث يستقر الشقاء والموت قد نزل المسيح وتجلى. حقاً قد نزل المسيح المطلق المجد إلى درجة الصفر المطلق في الإنسان لأنه حب مطلق منذ الأزل والى الأبد.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لإنسانيته. وان كان المسيح هو القادر الوحيد أن يخلق الإنسان طبيعيا وروحيا وهو على استعداد أن يخلقك الآن خليقة روحية إن أردت. أ فلا يكون وهذه الصلاحيات القاهرة الخاصة هو ذات الله الحي الحقيقي وقد ظهر في الإنسان وهو مولود من عذراء؟

وإلا كيف تريد أن يكون الله يا صاحبي إن لم يكن هكذا كيسوع المسيح؟ ألا يكون الله إذاً خارج مفهوم المسيح إلهاً مجهولاً ليس لديك فحسب بل لدى العالم بأسره؟ أما الآن "فلقد احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ :١٦).

والآن إن كان حبيبكِ ايتها الكنيسة قد جاءك هكذا من السماء طافراً فوق الجبال وقافزاً فوق التلال ليصل إليك. فهل لك أنت أيضاً أن تطفري وتقفزي لتصلي إليه؟ أم انك تطفرين ولكن في الوديان وتقفزين ولكن في الأعماق؟ أين هي معسكراتك الأدبية والروحية اليوم ايتها الكنيسة؟ وأين هي مقراتك الإنجيلية؟ أهي فوق الجبال العالية، جبال اللاهوت وفوق التلال المرتفعة، تلال الفداء؟ أم أنها في وديان الإلحاد ترابط وفي أسافل الموت تجمعاً تتجمع؟ لابد إذن من جبال وتلال تقيمينها ايتها الكنيسة، فإما أن تقيميها جبالاً للإيمان وتلالاً للبر بينك وبين العالم وبينك وبين الجسد وبينك وبين الشيطان. وإما جبال الحاد وتلال شر ومرتفعات إثم تقيمينها بينك وبين حبيبك.

ألا اذكري أن العذراء قد أقامتها جبالاً شاهقة بينها وبين الجسد. وعذراء القديسين قد أقامتها تلالاً عالية بينها وبين العالم. وكنيسة الآباء الأولين قد أقامتها جبالاً شاهقة وتلالاً عالية بل أسراراً سبعة بينها وبين الشيطان. فكيف تتخطين اليوم

هاتيك الجبال السامقة والسلاسل المتعانقة وتتدحرجين بأفكارك ومقاماتك اللاهوتية وعواطفك الفدائية إلى الوديان العميقة الآسنة المياه تدحرجا مميتا؟

ألا فتخطي جبالك أنت، وكسّري فوق المرتفعات أصنامك وأصعدي فوق جبال الحبيب لأنها جبال الأطيب وفوق تلال المسيح لأنها تلال الأحباب، تارة فوق جبل التجلي صحبة الرسل الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا وتارة فوق جبل التعاليم والتطويبات صحبة الرسل الإثني عشر ومرات ومرات فوق تل الجلجثة صحبة المريمات الأمينات. لأن هناك وليس في موضع آخر تسمعين صيحات الحب ورنّات الحبيب.

وأما أنت يا نفسي فعليك بيوحنا الحبيب رفيقاً وصاحباً لأنه يعرف جبال اللاهوت وتلال الفداء وحيث يطفر المسيح ويقفز. حقاً أنه التلميذ الذي يشهد للحب وكتب في الحب. ونعلم أن شهادته في الحب حق (يو ٢١: ٢٤). فإلى إنجيله، إنجيل الحب والحياة يا جميع المحبين والعشّاق لتأكلوا حبا وتشربوا فداء وتشبعوا حياة وتزدادوا جمالا وفنا في الحياة رفيعا.

٩- حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يُوصوص من الشبابيك

اجل المسيح حقاً شبيه الظبي وبغفر الأيائل. وذلك بطهارة حياته. بجمال طلعته. ببعد نظره. برشاقة قفزاته اللاهوتية. بتعاطف حبه. بمرتفعات مسكنه. لذلك بات من الحبيبة الكنيسة قاب قوسين أو أدنى لولا الحائط القائم والسياج المتوسط والذي قد جاء المسيح لهدمه وازاحته كقول لرسول بولس "لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدا. ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة. مبطلا بجسده ناموس

الوصايا. لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" (اف٢ :١٤-١٦). وذلك ليتطلع الحبيب إلى الحبيبة من الكوى ويوصوص لها من الشبابيك.

ولكن من الذي قد أقام حائط السياج المتوسط هكذا بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الإنسان وإنسانيته؟ انه الشيطان أكيداً وبتوافق مع الإنسان يقيناً. ومن اجل هذا قد ظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس ويهدم جدرانه لأنه من يقدر أن ينقض قلاع الخطيئة هذه وحصون العداوة تلك واسوار المظالم هذه وتلك غير القدوس الحق يسوع المسيح؟
فالجنس البشري طراً قد اشترك ويشترك عملياً وادبياً في بناء ذياك الحائط واقامة ذياك السياج المتوسط، أي العداوة وذلك بطريقة مباشرة وغير مباشرة ما خلا المسيح يسوع والذين هم فيه بالروح والحق. فصليب المسيح وواقع السياج هذا في مملكة البشر بات المطرقة السماوية الوحيدة القادرة أن تكسر السياج وتهدم الحائط.

كما وقد دعت الكنيسة المقدسة هي الأخرى بالمعمودية والإيمان، لحمل المطرقة وكما هي في إنجيل المسيح لهدم الحائط القائم بين الله والإنسان ورفع السياج المتوسط بين الشعوب وتكسير الأصنام البشرية والمادية والشيطانية سواء كانت هذه الأصنام داخل الكنيسة أم خارجها كما هو مكتوب "لأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية. بل قادر بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله. ومستاسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كو١٠: ٤-٥). هكذا كان شأن كنيسة الرسل وبيعة قديسي العلي في هدم الحيطان الشريرة القائمة والسياجات العدائية المتوسطة.

فهل هو شأنك اليوم يا كنيسة العصر أم أن كنيسة اليوم تساهم العالم في بناء الجدران العنصرية واقامة السياجات الطائفية التي قد هدمها رسل ربنا أصناما وأوثاناً كقول الرسول بولس "ليس يوناني ويهودي. ختان وغرلة. بربري وسكيثي. عبد وحر بل المسيح الكل وفي الكل" (كو٣: ١١)؟

وإن كانت كنيسة اليوم تبني ما قد هدمته كنيسة القديسين بالأمس. أفلا تظهر نفسها متعدية على إنجيل المسيح كقول الرسول بولس "فإن كنت ابني أيضا هذا الذي قد هدمته فإني اظهر نفسي متعديا" (غل٢: ١٨). وما التعدي هذا والعداوة تلك سوى الخطيئة بكل أشكال حيطانها وسياجاتها والتي تنتصب عازلة بين الإنسان وخالقه من جهة وبين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة ثانية.

والآن كيف يتسنى لكنيسة اليوم كحبيبة للمسيح أن تبشر به هكذا محبة وسلاماً وقد صارت هي نفسها وراء الأسوار والحيطان معادية للحبيب المسيح ببنائها الجدران الناموسية والأسوار الفريسية بل صارت هي بذاتها وسلوكياتها موانع عالية بين الشعوب والمسيح؟ وكيف تنجو حيطان مثل هذه يوم يزعزع الحبيب بصوته اساسات الأرض والسماء زعزعة أبدية؟

ترى ما هي هذه الحيطان التي قد هدمها يسوع بصليبه ودعا حبيبته المقدّسة لهدمها بمطرقة صليب إنجيله وحتى قيام الساعة؟ بل ما هي هذه الحيطان التي راحت الكنيسة تشترك اليوم في إقامتها مع العالم تعدياً على إنجيل المسيح وخيانة له؟ أليست هي جدران الأطماع ومحبة الفضة التي قال عنها الرسول بولس "محبة المال هي اصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١تي٦: ١٠)؟ أليست هي سياجات الرئاسات وتعشّق الكراسي

والصولجانات التي لوح إليها الرسول بطرس بقوله "ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية" (١بط٥ :٢_٣). أليست هي سياجات العداوات والتحزبات والتكتلات التي حذرنا منها الرسول بولس وفي شخصية كنيسة كورنثوس بقوله "لاني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أريد واوجد منكم كما لا تريدون. أن توجد خصومات ومحاسدات وسخطات وتحزبات ومذمات ونميمات وتكبرات وتشويهات (٢كو١٢ :٢٠).

اجل إنها السياجات الفلسفية والتي اشتبكت بها الكنيسة اشتباكاً. الأمر الذي قد حذرنا منه الرسول بولس بقوله "انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح. فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا" (كولو٢ :٨-٩). وهكذا كنيسة القديسين من البدء قد عرفت خطورة هذه الجدران الجسدية القائمة. وشخصت بالروح القدس هاتيك السياجات العالمية المتوسطة. فراحت تهدمها الواحد تلو الآخر ولسان حالها يقول مع الرسول بولس "فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء. مع السلاطين. مع ولاة العالم. على ظلمة هذا الدهر. مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (اف٦ :١٢).

هذه هي الحيطان التي يتوجب على الكنيسة اليوم أن تهدمها لتسمى باسم المسيح حقاً وتنتسب إلى كنيسة الرسل والقديسين. وإلاّ فسيأتي ذلك القدوس الساهر والذي لا يزال يتجول بين كنائس آسيا السبعة وكنائس العالم السبعة والسبعين ليزحزح منائرها من مكانها إن لم تتب ككنيسة افسس توبة" (رؤ٢: ١-٥).

والآن إن كانت هذه هي الجدران التي تعزل الحبيبة عن الحبيب. ترى ما عسى أن تكون الكوى والشبابيك التي يتطلّع من خلالها المسيح الحبيب إلى كنيسته الحبيبة ويوصوص لها وصوصة العاشقين؟ إنها كوى الذبائح والطقوس والرموز وشبابيك النبوات التي تطلع من خلالها المسيح إلى كنيسته كقول الرسول بولس "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شئ الذي به أيضا قد خلق العالمين" (عب١ :١_٢). إنها كوى أسفار الكتاب للعهد القديم وشبابيك الإنجيل للعهد الجديد والتي من خلالها راح الحبيب يوصوص إلى حبيبته وصوصة الحب والفداء كقول الرسول بولس "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر" (٢تيما٣ :١٦). إنها كوى الكنيسة السبعة وشبابيكها والتي يتطلع الحبيب من خلالها إلى حبيبته ويُسمعها وصوصات حبه وفدائه. كما ولا يزال يتطلع إلينا من خلال كوانا وحواسنا الخارجية ويكلمنا عن طريق حواسنا الداخلية وشبابيكنا الروحية، حتى إذا ما فتحنا له منافذ الحياة يدخل إلينا بروحه ويتعشى معنا كقول الملاك إلى راعي كنيسة اللاودكيين "ها انذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل إليه واتعشى معه وهو معي" (رؤ٣ :٢٠)

ولكن من هم الذين يستطيعون إن يشخصوا صورة الحبيب من الكوى هذه ويتحسسوا وصوصته من الشبابيك؟ أ ليس المحبين المتلهفين حقا لرؤيته؟ أليس العاشقين المتعطشين إلى استماع صوته كما هو في الإنجيل؟ بمنظار الحب رأته المجدلية خارجاً من كوى القبر وذلك لأنها أحبته كثيراً. وهكذا استمع كليوباس ورفيقه إلى صوت وصوصته لأنهما اهتما بحبه والحديث عنه" (لو٢٤ :١٣_٣٢). وهكذا رآه الحبيب يو-حنا وهو في جزيرة بطمس إذ انفتح له في السماء باب،

وذلك لأنه احب المسيح كثيراً بعدما أقفل أمام عقله كل الكوى الجسدية والشبابيك العالمية.

والآن إذا ما أرادت الكنيسة أن ترى صورة الحبيب وتسمع وصوصته الفدائية العذبة كالعذراء والقديسين، عليها أن تقفل عينيها عن رؤية ذاتها والعالم. وتركّز النظر في هاتيك الكوى الحبّية والشبابيك الفدائية، التي قد فُتحت في المسيح المصلوب. وان تسد أذنيها عن سماع ضوضاء الذات ووصوصات العالم الشرير لتسمع صوت المسيح الطري ووصوصته الهادئة الناعمة العذبة كما هي في صليبه "لأنه لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ. حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم". وهكذا قد أُعطيت الحبيبة هذه الطوبى بقول الرب "أما انتم فطوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع. لاني أقول لكم أن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما انتم تنظرون ولم ينظروا وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا" (لو١٠ :٢٤،٢٣).

ولكن علام هذه الحيطان الجسدية وهاتيك السياجات العالمية والتي راحت ترتفع وتتأصل بين الكنيسة والحبيب كلما قرب الزمان واوشك على النهاية؟ فهل كان ثمة حائط ما بين العذراء وبين المسيح الحبيب؟ حاشا. بل انسجام كلي واتحاد حبي وتوافق إرادي ولقاء تجسدي وروحي. كما هو مكتوب "لكنك تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمه يسوع لذلك المولود منك قدوس وابن الله يدعى" (لو١: ٣١). لقد طبع المسيح صورته الإلهية على العذراء بالتجسد طبعاً ولم يوصوص لها كحبيب من شبابيك حواسها الروحية فحسب بل جسّد وصوصتة وصوته بصفته كلمة الله الأزلية منها متجسداً. حقاً إنها لم تعرف رجلاً بل لم تقم حائطاً ما خلا ذياك

الحائط الآدمي القديم بينه وبينها والذي هدمه الروح القدس بالتجسد من حياتها هدماً مؤبداً. فباتت العذراء وهذا الاختيار صفحة جديدة بيضاء طبع عليها الحبيب صورته الإلهية بالتجسد وصارت بوقاً بشرياً نفخ فيه وصوصته السماوية الفدائية. وليس ذلك فحسب بل رُفعت العداوة القائمة سياجاً من الوسط بصليب المسيح ما بين الحبيب وكنيسة القديسين وباتت هي الأخرى كإبنة عفيفة للعذراء بالقداسة صفحة مطبوعةً وبوقاً منفوخاً بالصوت مدوياً بالوصوصة. كيف لا والرسول بولس يقول "ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كولو٣: ١٠). كيف لا "والى كل الأرض خرج صوتهم والى أقاصي المسكونة أقوالهم" (رو ١٠ :١٨)، بل وصوصة حبيبهم؟

فأين أنت اليوم ايتها الكنيسة من الأم وبنتها صورة ووصوصة وسياجاتك لا تزال قائمة بينك وبين الحبيب قلاعاً وجبالاً؟

والآن إن كانت للكنيسة كوى خاصة يتطلع منها المسيح إلى حبيبته وإن كان له شبابيك معروفة يوصوص لها من خلالها وصوصة الحب. فهل للشعوب الأخرى الكوى والشبابيك التي يتطلع إليها المسيح من خلالها بصورته ويهمس إليها بوصوصته؟

أجل. إنها الكوة المادية الجميلة والنافذة البشرية العجيبة والتي قال عنها النبي داؤد "السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه". واما الرسول بولس فيقول "لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى انهم بلا عذر. لانهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم واظلم قلبهم الغبي. وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا

جهلاء وابدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات" (رو١: ٢٠-٢٣).

إذاً الخليقة الطبيعية المادية هي الكوة والطاقة التي يطل منها الله على العالم. وتحسب على حد قول القديس اوغسطينوس كتاب الله الثاني التي تعلن حكمة الله وقوته وجماله وحبه. لكن جنوح الأشرار إلى الحكمة البشرية والشهوات الحيوانية والعبادات الصنمية يشكل أقنعة كثيفة على العيون والآذان. فلا يرون اذاك للحبيب المسيح صورة ولا يسمعون له وصوصة. وليس ذلك فقط بل وللأمم كذلك الشبابيك الداخلية العميقة، شبابيك الضمير والتي من خلالها يهمس الحبيب بوصوصته ويتطلع بصورته كقول الرسول بولس "لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء اذ ليس لهم الناموس هم ناموس لانفسهم. الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة. في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح" (رو٢: ١٤-١٦).

أفلا يدل تصريح الرسول بولس هذا على أن الأمم الذين بلا ناموس مكتوب، يحملون شرعية الناموس على ألواح قلوبهم وضمائرهم؟ أفلا تشهد عليهم ضمائرهم وتحتج مشتكية بكونهم خطاة وتحت قصاص من الله رهيب؟ ألا يشعرون بذلك في أعماق سرهم بحاجتهم إلى مخلص قوي وحبيب أمين؟ وإلا علام يتعبدون لله باطلاً بطريقة أو بأخرى وعلام يتضرعون لصنم أو لآخر؟ ألا تبرهن كل هذه المحاولات الأممية بإجماعها وبصورة قاطعة على الشعور بالذنب ومن ثم الحاجة إلى شفيع ومخلص؟ لذلك يعلنها الرسول بولس حقيقة صارخة ملتهبة ويقول "في اليوم الذي

فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح" (رو٢: ١٦). فمن اجل هذا كل إنسان يميل بضميره إلى الحق ويفرح ذهنه بالخير ويسكر بالمحبة وتنتعش نفسه بالبر، إذا ما رأى صورة المسيح في الإنجيل وسمع وصوصته فيه وينجذب إليه بالتوبة والإيمان كانجذاب الحديد إلى المغناطيس لأن عالم الخير يحب من هو منه. وكل إنسان يجنح ضميره للشر ويفرح ذهنه بالإثم وتنفر نفسه من البر وتنكمش روحه من المحبة، إذا ما رأى صورة المسيح في الإنجيل وسمع صوته فيه فسرعان ما ينفر منه وذلك لأن العالم الشرير يحب من هو منه كذلك.

لذا بات على كل نفس ظهرت في العالم ظهوراً، أن ترى صورة المسيح من الكوة وتسمع صوته ووصوصته من الشبابيك وذلك تقريراً للمصير، إما للحياة الأبدية أو للموت الأبدي كما هو مكتوب "تأتي ساعة فيها يسمع جميع من في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو٥ :٢٩). فالذين يعملون الصالحات هم الذين يحيا فيهم المسيح أصلاً. واما الذين يفعلون السيئات فهم الذين يحيا فيهم الشيطان حقاً.

ولكن رب قائل يقول، ترى ما هو مصير اؤلئك الذين لم يروا صورة المسيح أبداً ولم يسمعوا صوت وصوصته إطلاقا كما هو الواقع في الأمم البائدة والشعوب المتخلفة والقاصرين والمجانين المعتوهين؟ هل سيدين الله مثل هؤلاء دينونة هلاك وهو القدوس الحق، إن لم يروه أصلاً ولم يسمعوه إطلاقاً؟ حاشا أن يدين المسيح الحبيب هؤلاء الناس دينونة اعتباطية لأنه يقول لليهود "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطيئة. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيئتهم. لو لم اكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها احد غيري لم تكن لهم خطيئة. وأما الآن فقد رأوا وابغضوني أنا وأبي" (يو١٥ :٢٢_٢٤). وقوله كذلك "ملكة التيمن ستقوم في يوم

الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهوذا اعظم من سليمان ههنا. رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بكرازة يونان وهوذا اعظم من يونان ههنا" (لو١١ :٣١ _٣٢) وفي هذا المعنى يقول الرسول بولس "كيف يدعون بمن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به وكيف يسمعون بلا كارز" (رو١٠ :١٤).

إذاً ووقائع الإنجيل هذه. لابد للإنسان مهما كان مستواه الحياتي والعقلي والصحي والزمني أن يرى صورة المسيح من الكوة ويسمع وصوصته من الشباك ليتخذ اليمين حياة إيجابية أو اليسار جهنماً سلبياً. وذلك إما أن تُعطى له الفرصة للرؤية والسماع هنا في العالم الطبيعي واما هناك في العالم الروحاني. وإلا ما الذي يقصده الرسول بطرس بقوله "الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن. إذ عصت قديماً حين كانت أناة لله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يبنى الذي خلص قليلون أي ثمان انفس بالماء" (١بط٣: ١٩-٢٠). أليس المقصود هنا نزول المسيح إلى الهاوية بعد صلبه وكرازته بالفداء للأرواح التي قد عصت قديماً؟ وإن كان المسيح بدالة محبته قد بشر الموتى في عصر نوح هكذا. أفلا يبشر كذلك جميع الموتى الذين لم يبشروا في عالم الأحياء وهو الذي "قد احب العالم هكذا حتى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له حياة أبدية" (يو٣: ١٦). وإلا كيف نوفق بين قوله "من ليس له ابن الله ليس له حياة أبدية" وبين واقع الذين لم يرو صورته في الإنجيل أصلاً ولم يسمعوا صوته إطلاقاً؟ وهو الذي يقول كذلك "لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني. أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الآخر" (يو٦: ٤٠).

والآن فهل من المحبة والحق إذاً أن يرى إنسان صورة يسوع ويسمع صوته ويؤمن ويخلص، وإنسان آخر لا يرى ولا يسمع فيدان ويهلك؟ كلاّ. فلماذا يحسب أمر تبشير هؤلاء الذين لم يروا ولم يسمعوا اليوم غريبا، إن جرى ذلك في عالم الموتى ونحن نعلم أن القائمين في العالمين هم أموات بالذنوب والخطايا؟ بل ما الذي يقصده الرسول بولس كذلك بقوله "وان يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم في السماوات" (كو١ :٢٠)؟ أليس المقصود هو مصالحة العالمين الطبيعي والروحي بصليب يسوع المسيح؟ لأنه يقول "سواء كان ما على الأرض أم في ما في السموات". فهل يقصد الرسول بولس بعبارة ما في السموات الملائكة الساقطة وقد أصبحت شياطين؟ حاشا لأن تلك لا مكانة للتوبة والفداء في جواهرها الشيطانية الشريرة. بل إنما المقصود هي النفوس البشرية المحتبسة في السجن والهاوية والتي لم تحظَ برؤية المسيح وسماعه. وفي هذا المفهوم يكون الله حقاً قدوساً عادلاً وحبيباً أميناً مطلقاً كما هو مكتوب أيضاً "فانه لأجل هذا بشر الموتى أيضا لكي يدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح" (١بط٤ :٦). وهكذا يكون المسيح منذ الأزل والى الأبد ظبياً لاهوتياً وأيلاً فدائياً والهاً متجسداً وهو يقف وراء حائطنا الجسدي وخلف سياجاتنا المادية يتطلع على الجميع من الكوى ويوصوص لهم من الشبابيك. لأن الكتاب يقول "كل من يؤمن به لا يخزى لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعونه به" (رو١٠ :١١-١٢). فهل أنت أيها القارئ العزيز قد بُشرت بالمسيح مصلوبا في الإنجيل فرأيت صورته وسمعت صوته وقبلته في القلب رباً ومخلّصا؟

١٠- أجاب حبيبي وقال، قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي

١١- لأن الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال

بهذه الكلمات الوديّة والعبارات المشحونة حباً ورقة ينادي المسيح الحبيب كنيسته الجميلة لتقوم عاجلاً وتأتي إليه. فهي حبيبته التي اختارها بدم حياته وحب فدائه من بين الشعوب والأمم اختياراً "لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أفس٥ :٢٧).

والكنيسة المختارة هذه كانت مخزونة في قلب الله منذ الأزل وذلك لأن الله محبة أزلية في ذاته. ولما كانت الكنيسة في ذاتها ثمرة لهاتيك المحبة وابنة مولودة منها بالفداء، فهي لذلك فكرة أزلية بالضرورة. اجل إنها الحقيقة التي أشار إليها الرسول بولس بقوله "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده. لأن الذي سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً". (رو٨ :٢٨_٣٠).

لذلك كانت صورة الحبيبة مطبوعة على قلب الله منذ الأزل بيسوع المسيح لأنه مكتوب "معلومة عند الله جميع أعماله منذ الأزل". وما التجسد والفداء في المسيح يسوع سوى الوسيلة الوحيدة لاستعلان صورة الكنيسة التي للرسل والقديسين. فمن اجل هذا أمست الحبيبة هذه للمسيح مختارة منذ الأزل لأنها ثمرة حبه وحصيلة صليبه. فلا عجب إذا ما سمعناه يخاطبها قائلا" قومي يا جميلتي يا حبيبتي وتعالي".

فالكنيسة هي حبيبة المسيح وهي جميلة نظيره وان لم تكن مثله جميلة فليست بحبيبته أصلاً. غير أن جمالها هذا ليس جمالاً ذاتياً بل مكتسباً من الحبيب يسوع. ذاته الذي قد طبع عليها قبلة محبته بالفداء المجيد طبعاً ونقشه في أعماقها نقشاً. ولولا هذا الجمال المنعم عليها لكانت هي الأخرى كالشعوب قبيحة المنظر بالخطيئة. وإلا فهل نزلت الكنيسة مع المسيح من السماء نزولاً أم انها اختيرت فيه من بين الأمم اختياراً؟ لم تنزل الكنيسة مع المسيح نزولاً من السماء لأنها خاطئة في طبعها أصلاً، بل إنها اختيرت بنعمة الفداء اختياراً. إذاً القضية ليست قضية الكنيسة ذاتها بل إنما قضية محبة المسيح في الكنيسة ومدى تفاعل هذه المحبة المتجسدة في الكنيسة. فعليه كلما تجاوبت الكنيسة مع متطلبات الحب هذا وتفاعلت مع طاقات الفداء ذاك كلما زاد فيها جمال المسيح الحبيب وتسامى بها. وكلما ابتعدت الكنيسة عن المسيح كحبيب لتستقل بذاتها وتعيش لنفسها كلما تلاشى الجمال عنها وتشوه بالتجاعيد وجهها. لذلك يثير المسيح حساسيتها الروحية بهمسات الحب الرقيقة قائلا "قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى" (اش٦٠ :١-٢). كيف لا يناديها هكذا والرسول بولس يحذرها من مغبة النوم تحذيراً مخيفاً بقوله "هذا وأنكم عارفون الوقت. إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا اقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة. ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما في النهار. لا بالبطر والسكر. لا بالمضاجع والعهر. لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع. ولا تصنعوا تدبيراً للجسد من اجل الشهوات" (رو١٣: ١١-١٤). وذلك "لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون. واما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص" (١تس٥ :٧-٨).

والكنيسة التي ينفصل قلبها عن المسيح بسبب التصلب في الخطيئة والتقسي في العصيان قد لا تنام حيث لا ينبغي فحسب. بل قد تموت وتسقط جثثها في القفر كذلك وتتبعثر حياتها في حفر الإثم عظاماً يابسة وتتناثر أعضاؤها في الكورة البعيدة وفي بابل أشلاء ممزقة" (حز٣٧ :١_١٤).

غير أن المسيح الحبيب رغم جلوس الكنيسة في الظلام تارة ونومها في العتام تارة أخرى وموتها في العتام والظلام تارة ثالثة، لا يزال يدعوها بحبه لليقظة والحياة بقوله لها "قومي يا حبيبتي يا جميلتي تعالي". حتى إذا ما استجابت لنداءات حبه هذه، تتجمع عناصر عظامها الباردة ببرودة الموت والشتاء وتتدفأ بحرارة الحب والفداء فتحيا بقوة الروح القدس ورياح السماوات حياة وتخرج من ظلمة الشتاء إلى إشراقة الربيع خروجاً حياً متوالياً."قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي لأن الشتاء قد مضى والمطر مر وزال". كيف لا يدعوها الحبيب هكذا في الشتاء، والشتاء هو رمز الخطيئة ببرودته القارسة وظلماته الدامسة وسحبه الداكنة ورعوده المرعبة وأعاصيره المجنونة؟ أفلا تشير برودته إلى برودة الموت وظلماته إلى ظلمات الخطيئة وسحبه إلى سحب الآثام ورعوده إلى مخاوف الأشرار وأعاصيره إلى تعاليم الغرباء؟

نعم الشتاء رمز للأزمنة الصعبة والأيام المظلمة العسيرة والأوقات الضيقة المزمع أن تقع على المسكونة كلها. الأزمنة التي قد اخبر عنها الرسول بولس بقوله "ولكن اعلم هذا انه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة. لأن الناس يكونون محبين لانفسهم محبين لمال. متعظمين مستكبرين مجدفين غير طائعين للوالدين غير شاكرين دنسين بلا حنو بلا رضا ثالبين عديمي النزاهة شرسين غير محبين للصلاح خائنين

مقتحمين متصلفين محبين للذات دون محبة الله لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها" (٢تي٣ :١-٥).

هذا هو الشتاء المظلم بغيومه والمميت ببرودته والمفزع برعوده والمقصف برياحه. لذلك يوصينا الرب بقوله "صلوا لئلا يكون هربكم في شتاء" (مر١٣: ١٨). نعم في الشتاء هرب لوط من سدوم وعموره حيث النار والكبريت والهلاك المريع. وفي الشتاء هرب نوح بعائلته وتحصّن بالفلك من غضب الطوفان وهلاك الناس الفجّار. وفي الشتاء، في الأزمنة الأخيرة، سيهرب المختارين إلى الجبال ليتحصنوا والى الفداء لينجوا. حقاً شتاء كهذا لم يكن مثله منذ ابتداء العالم ولن يكون ولو لم تقصر تلك الأيام لما خلص جسد ما. ولكن لاجل المختارين تقصر تلك الأيام" (مت٢٤: ٢١ _٢٢).

ولكن ما اعظم الفرق بين كنيسة وكنيسة من هذا الشتاء المرعب؟ فكنيسة القديسين تشبه رجلاً عاقلاً قد بنى بيته على الصخر حتى إذا ما حل الشتاء ونزلت الأمطار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر" (مت٧ :٢٤_٢٥). فكنيسة كهذه أساسها صخر الدهور يسوع المسيح وبناؤها ذهب وفضة وحجارة كريمة تتحدى الأمطار وتهزأ بالرياح وتشق قلب الشتاء وستائره شقاً.لأن الذي فيها أقوى من الذي في العالم وابواب الجحيم لن تقوى عليها. لذلك بعدما تصرع الشتاء في عقر داره تخرج إلى ربيع للحياة في المسيح يسوع مجيداً.

أما الكنيسة الجسدية العالمية واما الكنيسة الاسمية الصورية فهي تشبه رجلاً جاهلا بنى بيته على الرمل، فترل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت

فسقط سقوطاً عظيماً (مت٧ :٢٦_٢٧). لأن هذه الكنيسة قد بنت بيتها ليس على الصخرة "يسوع المسيح" (١كو١٠: ٥)، بل على الإنسان المزمع أن يكون هو بذاته رملاً وتراباً. فكنيسة أساسها هكذا رمل وبناؤها خشب وعشب وقش كيف لا تشتعل بالبروق والرعود اشتعالاً وتسقط بالأنهار والرياح سقوطاً عظيما؟

ولكن هل من كنيسة في موقف وسط بين كنيسة القديسين تلك والكنيسة الجسدية هذه؟ اجل ثمة كنائس اليوم أساسها صخر هو المسيح وبناؤها خشب وعشب وقش. والى هذا النوع من الكنائس أشار الرسول بولس بقوله "فانه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح. ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً. فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه. لأن بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقى عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر واما هو فسيخلص ولكن كما بنار" (١كو٣ :١١_١٥).

ألا يدل كلام الرسول بولس هذا على وحدة الأساس الصخري في الكنيسة مع اختلاف في البناء ومنذ العصر الرسولي؟ الا يشير الذهب والفضة والحجارة الكريمة المستخدمة في البناء إلى التعاليم والتقاليد الرسولية النقّية وأعمال البر الفدائية النفيسة والتي تستهدف إطلاقاً تمجيد الحجر الأساسي في مواد البناء؟ ألا يشير الخشب والقش والعشب فوق الأساس إلى التعاليم الرخيصة والمحرّفة للإيمان والتقاليد الإنسانية الحيوانية والأعمال الجسدية المحرقة والتي لا تنسجم مع طبيعة الأساس الصخري يسوع المسيح بل تستقطب تمجيد الإنسان الباطل وعلى حساب ابن الإنسان الأساس؟

فكيف لا يحترق إذاً هذا البناء الخشبي العشبي القشي في اليوم الأخير بنار غضب الله وروح قدسه احتراقاً أبدياً كما احترق كل ما للوط من مواد بناء في سدوم وعمورا والذي قد خلص هو ولكن كما بنار بدالة صحة الأساس. الواقع الذي أشار اله الرسول بطرس بقوله "وانقذ لوطا البار بالأساس مغلوبا من سيرة الاردياء في الدعارة. إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوما نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٢: ٧-٨).

واما الآن فنشكر الله لأن الكنيسة اليوم مبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع وحده حجر الزاوية فيها" (اف٢: ٢٠) وبأن تعاليمها ذهب وتقاليدها فضة وحجارة كريمة. ولكن لتكن أعمالك ايتها الكنيسة ذهب وفضة وحجارة كريمة تزداد لمعة وجوهراً بنار الروح القدس بمجد ذاك الأساس الواحد المجيد يسوع المسيح. انك ايتها الكنيسة قد دعيت لتكوني سارة وسيدة، سارة إيمان وسيدة بر وقداسة. نعم تمثلي بسارة تمثلا إذ كانت تدعو إبراهيم، رجل الإيمان وزوجها سيداً لها. فكذلك أنت أيضاً نظير سارة، كوني لرئيس الإيمان ومكمله يسوع المسيح زوجة روحية أمينة واتخذيه لك سيداً ورباً. تشبهي بالعذراء وهي تقول " ها انذا أمة الرب فليكن لي بحسب قولك"، فاستحقت بذلك أن تجسد الله في حياتها تجسيداً روحيا وجسديا وهي تتحدى الصواعق الشيطانية والرياح الجسدية والأنهار العالمية بل تتخطى شتاء الأشرار والظالمين لتحيا في ربيع المجد بين الزهور والقديسين سرمدياً. بل تشبهي بالكنيسة الأولى. كنيسة القديسين تلك التي أبت أن يكون لها سيداً في روما أو شابوراً في فارس. بل مسيحاً مصلوباً في أورشليم. وبه قد تحدت هي الأخرى كالعذراء مريم صواعق اليهودية والرياح الرومانية والأنهار الفارسية بل راحت تجسد بينها المسيح تجسيداً روحيا وفدائيا. فعبرت هكذا الشتاء القارس المريع عبوراً ودخلت ربيع الحياة في المسيح المقام من بين الأموات عبوراً أبدياً

ولسان حالها يقول مع الرسول بولس " من سيفصلنا عن محبة المسيح اشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف. فاني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله في المسيح يسوع"(رو٨: ٣٥-٣٩).

أما أنت أيتها النفس البشرية. أين أنت الآن وأين تعيشين؟ أفي الشتاء البارد أم في ربيع الحياة الدافئ؟ بين أمواج الطوفان أم في قلب الفلك؟ أفي سدوم وعمورا وسط كبريت الفساد ونار الشهوات أم فوق الجبل المقدس، جبل التطويبات والإعلانات؟ لمن تجسدين الآن وبمن تتمخضين؟ أتجسدين المسيح بالإيمان وتتمخضين به بآلام الفداء والصليب ليكون، لك وهو السيد المطلق ابناً مكملاً وللشعوب مخلصاً ومقدساً؟ أم انك تجسدين الإثم تجسيداً وتتمخضين بالشهوات القبيحة تمخضاً. حقاً الشهوة إذا حبلت تلد خطيئة والخطيئة إذا كملت تنتج موتاً. ألا إلى ربيع الحبيب المسيح يا جميع بنات الشتاء والى ازاهير الحب والفداء يا جميع أشواك الشر والعداء والى حياة الحياة يا جميع أبناء الموت والى المسيح الدافئ الحي يا عبيد الشرور والفجور.

١٢- الزهور ظهرت في الأرض. بلغ أوان القضب وصوت اليمامة سمع في أرضنا

اجل في ملء الزمان ألقت السماء ببذرها في قلب الأرض إلقاء. فنمت فيها زهوراً جميلة ووروداً في حقل اعذراء فواحة. فتدفقت بذلك الحياة خصباً وتوشحت بحقل البر جمالاً وجلالاً. لأن السماء في المسيح راحت تضحك في وجه الأرض ضحكاً. وذلك بعد شتاء عابس بالموت رهيب وسحاب بالآثام والشرور كثيف. فحل

الربيع محل الشتاء القارس حلولاً وطلعت الأزهار بدل الأشواك في البرية طلوعاً وسمع صوت اليمامة في أرضنا في الصباح سمعا مطربا.

ولكن ما عسى أن تكون الزهور وقد نمت في حقلنا وصوت اليمامة وقد سمع في أرضنا؟ أليست الأزهار هذه هي روائح ميلاد المسيح العذراوي كقول الرب للنبي ارمياء "قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبياً للشعوب" (أر١ :٤-٥)؟ أليست هي أزهار تعاليم المسيح التي تنعش العقول وتزكي الأفكار كما هو مكتوب "فلما اكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧ :٢٨-٢٩)؟ أليست هي معجزات المسيح التي أحيت بروائحها الذكية حياة الإنسان، أعضاء وجملة وكما هو مكتوب، "العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون" (مت١١: ٥)؟ أليست هي أزهار محبة المسيح الحبيب وروائح موته على الصليب كقول الرسول بولس "اسلكوا بالمحبة كما احبنا المسيح أيضاً واسلم نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (اف٥: ١-٢)؟ أليست هي أزهار قيامة المسيح حيث قد دفن في قبر منحوت وفي وسط البستان كقول النبي داؤد"لانك لم تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً عرفتني سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك" (اع٢: ٢٧-٢٨)؟

إذاً فكيف لا يكون المسيح في وجوده الأزلي والتاريخي التجسدي خميلة طيب وأقلام رياحين ذكية بل علة الربيع بأزهاره المنعشة الذكية "لأن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١: ٤)؟ اجل انه ربيع مطلق لا يسبقه شتاء ولا يعقبه

صيف "لأنه الحب الأزلي والبر السرمدي منذ الأزل والى الأبد" لذلك زهوره لا تجف وأوراقه لا تذبل طالما "لايعرف خطية ولا وجد في فمه مكر" (١بط٢: ٢٣). واما الآن فإن كان المسيح هكذا حياة أزلية فكيف صلب إذاً ومات؟ وهل جف ربيعه في موته وذبلت الأزهار بصلبه؟ كلا بل اخضر الربيع في موته وفاحت الأزهار رائحة بصلبه. وذلك لأن موته لم يكن موتاً قسرياً بل اختيارياً كقوله "لهذا يحبني الآب لاني أضع نفسي لآخذها أيضاً ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يو١٠ :١٧-١٨). كما ولم يمت المسيح كإنسان خاطئ ولم يخضع للقول "أجرة الخطيئة هي موت" (رو٦ :٢٣) والمعطوف على القول "لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك٢: ١٧). لأن المسيح يسوع قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات". لكنه شاء حقاً أن يموت موتاً كفارياً فدائياً ليس إلا. وذلك لأنه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦). فمن اجل هذا لا يعتبر موت المسيح هذا موتاً إنسانياً عادياً مجرداً بل موتاً إلهياً تجسديا لكون المسيح إنما هو إله بإنسان وإنسان بإله. حياة بموت وموت بحياة. وإلا لماذا جاء المسيح من عذراء دون بقية الناس وخلافاً للطبيعة؟ فإن كان بدء إعلانه من عذراء هكذاً عجيباً فإنه سيكون في موته ونهاية حياته الجسدية على الأرض عجيبا أيضاً.

كان المسيح في الصليب ميتاً حقاً إذ نكس رأسه واسلم الروح بيد أبيه وخرج من جنبه ماء رمزاً للموت. ومن ثم دفن وقبر وضُبِطَ قبره بالختوم والحراس. كما انه كان في صليبه حياً حيث قد خرج من جنبه دم رمزاً للحياة. كما وتزلزلت الأرض

وتشققت الصخور وتفتحت القبور وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى اسفل وقام كثير من أجساد الراقدين.

والآن فإن كان موت المسيح يعطي الحياة للذين في القبور. فكيف بحياته وقيامته هو من بين الأموات؟ أفلا تكون حياته اذاك حياة بحياة؟ وكما يكتب الرسول بولس قائلاً "الله بين محبته لنا لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا. فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥ :٨-١٠).

والآن فإن كان المسيح فوق الصليب إلهاً متجسداً وبالتالي حياً وميتا في آن واحد. فهل كان صليب المسيح عملاً فجائياً نفذ في ملء الزمان، أم انه كان فكرة مستقرة في قلب الله منذ الأزل؟ إن كان الله محبة أزلية في ذاته فكيف إذاً لا يكون الصليب أيضاً فكرة أزلية في ذاتية الله؟ وإن لم يكن الصليب فكرة أزلية فلا يكون الله محبة أزلية أيضاً. لانه ليس محبة مطلقة إلا بفداء مطلق. وان لم يكن الله في جوهره محبة مطلقة وفداء مطلق فلا يكون إلهاً مطلقاً أصلاً بل إلهاً مجهولاً ودكتاتوراً قاسياً تتقيه شعوب الأرض في معبد الفلسفة، معبد آريوس باكوس (اع١٧: ٢٣-٢٤). فكيف إذاً لا يتعطل الإنجيل وهذا المفهوم السلبي عن الله تعطيلاً ويسقط صليب المسيح وحبه من ذروته الأزلية سقوطاً؟ إذاً نحن نؤمن بأن موت المسيح يسوع هو فكرة أزلية وحقيقة لاهوتية أصيلة مستقرة في العقلية الإلهية المطلقة استقرارا أزلياً. وما التجسد الواقع في الزمن والتاريخ بل في الإنسان وفي شخصية العذراء سوى إعلاناً تجسدياً لفكرة الفداء الأزلية هذه. وإلا ما معنى قول الرسول بولس " فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم

من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب٩ :١٤). وما معنى قول الرسول بطرس كذلك "بل بدم كبير كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس لعالم ولكن قد اظهر في الأزمنة الأخيرة لأجلكم" (١بط١: ١٩–٢٠).

والآن إن لم يكن الصليب في ذاته فكرة أزلية. فكيف يسوغ إذاً للرسول بولس أن يقول "الذي بروح أزلي قدم نفسه"؟ بل كيف يجوز للرسول بطرس هو الآخر أن يقول "معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم"؟ إذن كما أن الله في جوهره محبة مطلقة فإنه كذلك صليب في جوهره. وحيث ينتزع عنه الصليب فإنه لا يعود إلها حقيقياً أصيلاً بل صنماً مجهولاً. أليس كذلك يا جميع قديسي إلهنا المستنيرين بنور محبة يسوع المسيح؟ أليس كذلك يا جميع الناس المعتدلين المنصفين؟ ولكن إن كان الله صليباً في جوهره. أفلا يتألم إذاً منذ أزليته كما تألم في أيام تجسده؟ اجل كان الله منذ أزليته وسيكون هكذا حتى أبديته متألما من اجل إنسانه الخاطئ طالما هو محبة في ذاته والإنسان شقي في خطيئته. وان لم يكن الله هكذا متألما، فليس هو محبة في ذاته بل كائناً منطوياً وبذاته مشغولاً منصرفاً عن آلام البشر ومستأنساً بشقائهم وهلاكهم. غير أن آلام الله الأزلية ليست آلام شأن الآلام التجسدية الفدائية والواقعة في الزمن لانه مكتوب "عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد" (رو٦: ٩). بل إنها آلام معنوية أدبية. وما آلام الصليب سوى الصورة الحسية المنظورة لهاتيك الآلام الأزلية المعنوية وغير المنظورة. وما انكسار قلب المسيح فوق الصليب سوى التعبير العملي المنظور لواقع الحزن القائم أزلياً في قلب الله غير المنظور من نحو الإنسان. وان كان الله يفرح بالحق والبر والحب، فإنه بالضرورة يحزن كذلك للباطل والإثم والعداء.

اجل في الصليب تمت عملية القضب المطلق والقطع الكامل للخطيئة وفي جسم بشرية المسيح، كقول الرسول بولس "وانتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين واعداء بالفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو١: ٢١-٢٢). إذاً وواقع صليب المسيح قد قضبت الخطيئة من حيث المبدأ قضباً أساسياً مؤبداً وذلك بالنسبة للأغصان المتحدة بالكرمة الحقيقية بالتوبة والإيمان. هذا هو إنجيل المسيح في عملية القضب والتقليم القائل "توبوا وآمنوا بالإنجيل". "توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم". "توبوا لانه قد اقترب ملكوت السماوات". "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتقبلوا عطية الروح القدس شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (اع٢٠: ٢١). وما الصليب المغلف بغمد الإنجيل سوى السيف البتار للأفكار الجاهلة والأعمال الشريرة والغزل القلبية والشهوات الجسدية في حياة التائبين المؤمنين. إذاً بات أمرا مستحيلاً أن تنمو الأزهار وتثمر الأشجار ما لم تقضب وتقلم هكذا بصليب المسيح. وما سبب هلاك الناس الأشرار إلا تمربهم من عملية القضب في صليب المسيح للاحتفاظ بأفكارهم الباطلة وشهواتهم الجسدية ومطامعهم العالمية وأعمالهم الشريرة ومظالمهم البشرية.

غير أن عملية القضب دذه وان كانت في ذاتها عملية جارحة مؤلمة لكنها الطريقة الوحيدة للخلاص والحياة وذلك ليس في المجال الروحي والأدبي فحسب بل وفي المجال الجسدي الطبيعي كذلك. فالعمليات الجراحية والعلاجات المرّة هي علة الشفاء من الأمراض والأوجاع والعاهات. فلماذا لا يكون صليب المسيح إذاً العملية الجراحية الأدبية المؤلمة للشفاء من كافة الأمراض الروحية والبشرية، والمسيح هو المطلق في الصلاح والحب والقوة؟ كل نسمة تتألم في الوجود وهيهات أن ينفك

عنها الألم حتى يواريها التراب. فعلام إذاً يعد الأمر بعيداً إن شارك الله خليقته بالآلام وهو يحبها محبة أزلية؟ فإن كانت مشاركة صديق لآلام صديقه تحسب كرامة، ومشاركة حبيب لحبيب تحسب ضرورة، ومشاركة جندي في تضحيات وطنه تحسب مجداً، فكيف لا تحسب إذاً آلام الله المتجسد من نحو كنيسته وانسانه اكثر مجداً واعظم فخراً؟ ترى هل يسبق الإنسان الخاطئ، الأناني بطبعه، إلهه الصالح المحب في جوهره في مجال الحب والتضحيات؟ فعلام إذاً تحسب التضحيات البشرية كرامة ويحسب الفداء الإلهي في المسيح جهالة؟ الا يتوجب والمغالطة هذه أن يكون الإنسان معبوداً والله عبداً؟ لأن المجد يرافق طرا الفداء والتضحية، والعار يلازم اطلاقاً الأنانية.

نحن لم نألف إلهاً ناشفاً أنانياً منطوياً على ذاته يعزز مقامه على آلام الآخرين وويلاتهم كما هو شأن آلهة الشعوب وأصنامهم الجامدة بل إلهاً محباً شارك الإنسانية آلامها واضطجع في قلب أوجاعها. وإن كانت الشعوب تريد حقاً نصيراً لها والهاً شعبياً ينزل إليها ويدخل وسط آنائها فهو يسوع المسيح بذاته وليس آخر. ذاك الذي لم يكتف بالمشاركة الفعلية في آلام الإنسانية بالصليب فحسب بل أخرجها من نيران الآلام الكاوية بقيامته كذلك. ليس في العالم الحاضر فقط بل وفي المزمع أيضاً. ولهذا من حق الكنيسة المقدسة أن تقول وبلسان الرسول يوحنا "هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١يو٥: ٢٠).

إذاً بات صليب المسيح وهذه الوقائع الأصلية المشرط السماوي للتقليم وقضب علل الخطيئة من الأشجار البشرية كقول الرسول بولس "لانه إن كان دم تيوس وثيران ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحري يكون

دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب٩: ١٣-١٤)؟ وهكذا سيبقى صليب الله في المسيح يسوع الخنجر الساقط من السماء إلى الأرض منغرزاً في قلب البشرية الفاسدة يستأصل منها الجهالات والخرافات العجائزية والشهوات القبيحة والنجاسات الجسدية والتقاليد الجامدة ويقضب البدع المهلكة والفريسية المدعية والصدوقية الملحدة والمادية العالمية. وإلاّ سينقلب هذا الخنجر الروحي هذا حدّه الآخر على البشرية ليذبحها ذبحاً إن أبت أن تُقتَلع الخطيئة فيها. نعم منذ بشرت السماء الأرض بميلاد الخلاص سقط هذا الصليب الحيد في أحشاء العذراء مريم سيفاً يقضب منها الخطيئة الموروثة قضباً تمهيداً للتجسد وميلاد القدوس في مملكة الإثم. وفي هذا يقول سمعان الشيخ للعذراء متنبئاً "وأما أنت يجوز في نفسك سيف لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" (لو٢: ٣٥).

ولكن أكانت الخطيئة الأصلية في العذراء حتى وقع السيف في أحشائها ليستأصلها استئصالاً. نعم لأنه مكتوب "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (رو٥: ١٢). أترى هل يستثني الرسول بولس بكلامه هذا القديسة مريم من الخطيئة الجدية وهي ابنة يوياقيم زرعاً وأصلاً؟ كلا بل العذراء كانت هي حلقة من هاتيك الحلقات البشرية التناسلية وإنها وليدة رجل بامرأة وخاضعة بأصلها إلى ذلك القانون الأساسي "كل بزر كجنسه" (تك١: ١٢) وكانت "المولود من الجسد جسد هو" (يو٣: ٦).

والآن إن خلت العذراء مريم من الخطيئة الأصلية حقاً. أفما تحسب بذلك صالحة صلاحاً مطلقاً؟ ومخلصة للجنس البشري أكيداً؟ وإلهة في العالمين حقاً ويقيناً؟ وذلك

لأنه مكتوب "ليس صالحاً إلا واحد وهو الله" (مت١٩: ١٧). فما الحاجة بعد إلى تجسد الله في المسيح وارتفاعه فوق الخشبة مصلوباً، إذا كان بالإمكان أن تقوم العذراء بنفسها بهذا الفداء وذلك لتمتعها بصلاحيات إلهية فدائية. ألا يكون اذاك فداء المسيح وهذا المفهوم العذراوي المغلوط تطفلاً وتفريطاً؟ بل جهالة حقاً وحماقة؟ وما عسى أن يكون امتياز يسوع المسيح الإلهي الفدائي اذاك. إن وجد ثمة مجال آخر يخلص الإنسان من الخطيئة ويتحرر به من الآثم؟ والرسول بطرس يقول "لأنه ليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء به ينبغي أن نخلص" (اع٤: ١٢).

ألا فليمضي الزمان الذي، كنا فيه نتعدى هكذا على حقوق المسيح الإلهية وامتيازاته الفدائية وليمت الوقت الذي فيه كنا نحرج هكذا مشاعر العذراء تحرجاً. قولوا لي أيها الاثينيون المتفلسفون، أ ذاقت القديسة مريم طعم الموت أم لا؟ فإن ماتت هكذا فهي تخضع للقانون الساري والقائل يوم تأكل منها موتاً تموت؟ أم كيف يسوغ لنا أن نجعله موتاً كفارياً كموت المسيح فوق الصليب؟ وان لم يكن موتها كفارياً فبأية علّة إذاً قد ماتت؟ أليس بالعلّة القائلة يوم تأكل منها موتاً تموت وان أجرة الخطيئة هي الموت؟ وان كانت الطوباوية مجردة عن الخطيئة أصلاً لاقتضت الضرورة ألا تموت إطلاقاً. وهكذا نصطدم وبعنف بكل الحقائق الكتابية والقوانين الإلهية. والجواب القاطع الفاصل في هذه القضية إنما هو للعذراء القديسة نفسها وهي تقول" يفرح قلبي بالرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى اتضاع أمته".

ترى من أية خطيئة قد خلص الرب العذراء مريم حتى تبتهج به هكذا؟ أمن خطيئة خاصة معينة؟ حاشا بل من الخطيئة الموروثة والتي قد قطعت بسيف الكلمة المتجسد

يسوع المسيح ربنا وبنار الروح القدس احتراقاً قد احترقت. حيث قد تطهرت من هذه الخطيئة تطهيراً مطلقاً لكون المولود منها هو القدوس الأزلي يسوع المسيح. وبهذه العملية الإلهية التقديسية أيضا استحقت أن تنقل إلى الفردوس بعدما ذاقت الموت خضوعاً للناموس القائل "أجرة الخطيئة هي موت". نعم بهذا القضب القاسي والتقليم العميق للطبيعة العتيقة أمست العذراء زهرة الحقول وسوسنة الأودية وذلك لحلول الروح القدس فيها بنعمته المباركة وتجسد المسيح في أحشائها إنسانيا.

وإذا ما أرادت الكنيسة هي الأخرى أن تكون زهرة نظير العذراء عليها أن تمتلئ من الروح القدس وتجسّد المسيح بالإنجيل في حياتها وبسيف كلمته تقلّم عنها الطبيعة العتيقة تقليما. وان كانت الزهور النامية في الأرض هي العذراء والقديسين. فما عسى أن تكون اليمامة التي راحت تغني بصوتها العذب معلنة انتهاء الليل وبزوغ النهار؟

أهي كذلك العذراء مريم؟ والتي راحت ترّنم ترنيمتها الجديدة في صباح الحياة والتجسّد وهي تقول "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني. لأن القدير صنع بي عظائم. واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه. صنع قوة بذراعه شتت المستكبرين بفكر قلوبهم انزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين. اشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين. عضد إسرائيل (الروحي) فتاه ليذكر رحمة كما كلم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد" (لو ١: ٤٦-٥٥). أم أن صوت اليمامة هو صوت الأنبياء؟ والذين كانت شفاههم ترنيمة صباح وخلاص بقدوم المسيا المنتظر والذين راحوا يرنمون بلسان إمامهم إشعياء قائلين "قومي استنيري لأنه قد جاء

نورك ومجد الرب قد أشرق عليك. لان الظلمة تغطي الأرض. والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى" (اش٦٠: ١-٢). تلك الترنيمة التي قال عنها الرسول بطرس "إنها سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم" (٢بط١ :١٩)؟ أهو صوت الملائكة والجند السماويين والذين قالوا للرعاة عن الميلاد "ها نحن نبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. انه ولد لكم اليوم في مدينة داؤد مخلص هو المسيح الرب" (لو٢: ١٠). أم أنه صوت يوحنا المعمدان وقد راح في برية التوبة يصرخ قائلاً "توبوا لانه قد اقترب منكم ملكوت الله وهوذا حمل الله الرافع خطيئة العالم" (يو١ :٢٩)؟ أهو صوت الكنيسة إطلاقاً؟ وقد راحت تكرز بالإنجيل للخليقة كلها حيث قد خرج إلى جميع الأرض صوتهم والى أقاصي المسكونة كلماتهم" (رو١٠: ٨) وهي ترنم ترنيمة الحَمَل في أفواه قديسيها وهم يرنمون قائلين "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك قد ذبحت واشتريتنا لله بدمك"(رؤ٥ :٩)؟ أم انه صوت الروح القدس الهادئ اللطيف والناطق بكل هذه العناصر البشرية المختارة معلناً انتهاء الشتاء وحلول الربيع؟

حقاً أن المسيح بميلاده العذراوي قد فصل بين مساء وصباح وبين ليل ونهار وبين ظلمة ونور وبين شتاء وربيع وبين الخطيئة والبر وبين الموت والحياة. غير أن الناس حتى يومنا هذا رغم سماعهم صوت اليمامة في إنجيل الربيع ورؤيتهم أزهار الحياة فيه لا يزالون يفضّلون البقاء في الشتاء وهم يرتجفون برداً ويصغون إلى البوم والكركي صوتاً. وكأنهم قد عقدوا عهداً مع الموت وميثاقاً مع الهاوية قائلين لأسياد الليل وأرباب الشتاء "كلّمونا بالناعمات. انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق. ميلوا عن السبيل. اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل" (اش٣٠ : ١٠_١١).

أما أنت أيها القارئ العزيز أسمعت حقا صوت اليمامة في الإنجيل؟ وفي صراخ الشهداء؟ وفي صيحات الرسل؟ وفي حياة القديسين؟ وفي زئير الوعاظ؟ وفي صرير أقلام الكتّاب؟ وفي همسات الأسرار؟ أم أنك لا تزال تستمع إلى أصوات الثعالب في الأوجرة وعواء الذئاب في الأودية؟ هل أنت زهرة في الأرض الجديدة أيتها النفس أم أنك لا تزالين شوكة في الأرض القديمة وقد وضعت تحت اللّعنة وضعا مؤبداً؟ فإلى الزيتونة الدسمة والكرمة الحقيقية والتينة الحلوة حيث الربيع الأخضر يا جميع أبناء الشتاء، لأن الشتاء قد مضى وظهرت الزهور في الأرض وصوت اليمامة سمع في أرضنا.

١٣- التينة أخرجت فجّها وقعال الكروم تفيح رائحتها قومي يا حبيبتي. يا جميلتي وتعالي

أليست التينة هذه هي العذراء مريم وقد أخرجت في الربيع فجّها وأينعت في الحياة ثمرها؟ كيف لا وقد بشرت بالقول "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك لذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله". ولكن كيف يكون وليد العذراء هذا ثمرة فجّة وهو عين ثمرة الحياة الحلوة المجيدة؟ أليس هو فجّ في أفواه الخطاة الآكلين الثوم والبصل والكرّات في أرض العبودية والخطيئة؟ أليس هو فجّ في أفواه متناولي الخرنوب طعاماً مع الخنازير في الكورة البعيدة؟ نعم يسوع المسيح هو خشبة في عيون العميان المدّعين وضجّة في آذان الصم المتكبرين ومنخس في أقدام المقاومين وحجر صدمة وصخرة عثرة للناطحين. ورغم كل ذلك فهو حلو المذاق في أفواه القديسين ونور إشعاع في عيون المؤمنين وأنشودة حياة عند المحبين وبلسم شفاء في جراحات التائبين وحجر زاوية وصخرة خلاص للأبناء المختارين. انه الحق في ميلاده العذراوي في نظر القديسين، لكنه فج باطل في نظر الطبيعيين. انه نور

وحياة بتعاليمه في نظر المؤمنين، لكنه خيالي في نظر الماديين. انه حقيقة اختبارية لدى القديسين، لكنه أسطورة تاريخية لدى المتفلسفين. هو قوة وحكمة بصليبه في المختارين، لكنه جهالة عند الهالكين. هو حقيقة صارخة بقيامته في حياة المؤمنين، لكنه خرافة مصنّعة عند الصدوقيين الملحدين.

كيف لا وقد قال لإخوته حسب الجسد "انتم لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه ابغضني أنا لأني اشهد أن أعماله شريرة" (يو٧ :٧)؟ كيف لا وقد قال لتلاميذه الاثني عشر "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد ابغضني قبلكم، لأنكم لستم من العالم كما أني أيضاً لست من العالم من اجل ذلك يبغضكم العالم ولأن العالم يحب من هو منه"؟ كيف لا والشعب المتعاقد مع الخطيئة لا يزال يطالب بيلاطس بإطلاق سراح باراباس اللص الشرير وتسليم يسوع المسيح للصلب؟ أجل سيبقى المسيح هكذا فجاً في أفواه الزناة الفجار وفي أفواه المتغطرسين المتكبرين وفي أفواه الماديين الطامعين وفي أفواه الكتبة الفريسيين المرائين طالما هؤلاء جميعاً والمسيح على طرفي نقيض جوهراً وواقعاً وحياةً.

ولكن ما الذي يقوله الكتاب من نحو شجرة التين هذه وقد أخرجت فجها؟ انه يقول "من شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب (مت٢٤ :٣٢). ترى أي عقل بشري كان يتوقع أنّ أرضاً يابسة أو عرقاً يابساً كهذه التينة ستنبت عرقاً وتفرّخ فرخاً؟ وان تينة غير ملقّحة كالعذراء تخرج غصناً رخصاً للبر وتلد ابناً وتدعوا اسمه عمانوئيل (أش٧ : ١٤)؟ ألا فليعلم العالم بأسره أن صيف الحقيقة بقوة شمسه لقريب وان ثمرة التين الحلوة على الأبواب، أبواب النفوس والقلوب، حين يرمي من هو جالس فوق العرش منجله الحاد على الأرض ليحصد حصيدها ويُلقي السيف من السماء

ليقطف عناقيد الكرم. لأن العنب قد نضج وصيف الدينونة المحرق قد حل. نعم إذّاك تتفتح عيون الأشرار جيداً لترى ثمرة العذراء يسوع. ولكن بعدما يكونوا قد حُصدوا بمنجل القضاء وديسوا بمعصرة الدينونة. وذلك بعد ما داسوا هُم ابن الله تعجرفاً وازدروا بروح النعمة تعالياً وحسبوا دم العهد الأبدي بلا ثمن تقسّيا. من اجل ذلك وبحق سيحترقون كتبن بنار لا تطفأ وسيصعد دخان عذاباتهم عاليا.

واما الآن فإن كانت العذراء شجرة تين قد أخرجت فجّها يسوع ليكون هكذا لأسقامنا ضبيبا وفي أفواهنا حلاوة ولأرواحنا بسمة ولعيوننا استنارة ولأجسادنا طاقة وقداسة فكروم القديسين هي الأخرى تفيح رائحة قعاها في السلة العذراوية فوحاً. كيف لا والكروم هذه إنما هي كنيسة المسيح الواحدة ذات الأوجه المختلفة والأشكال المتنوعة كما هو الشأن في اوجه الحيوانات القائمة في المركبة التي رآها النبي حزقيال؟ تلك الحقيقة التي أشار إليها الرسول بولس بقوله" حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبني عليه ولكن لينظر كل واحد كيف يبني عليه" (١كو٣: ١٠). أفلا يدل هذا القول الرسولي بوضوح أن أساس الكنيسة واحد وهو المسيح يسوع وان الأبنية التي تقام عليه إنما هي عديدة الأشكال متنوعة الوجود؟ أفلا يشير هذا التنويع في البناء إلى حكمة الروح القدس وفيض مواهبه؟ وإلا كيف نفهم المواهب الإلهية والنشاطات المكتسبة إن كان البناء كله صحيحا واحدا متشابها؟ أفلا تقفل اذاك وهذا الواقع المواهب الروحية وتتعطل الكفاءات العقلية وينتابها الكساد والجمود؟ ولكن من المهم بمكان أن تكون هذه الأبنية العديدة في تصاميمها ذهبا وفضة وحجارة كريمة وذلك لتنسجم مع جوهر الأساس فداءً ولاهوتاً وإنجيلاً لتعكس من ثم مجد وقوة الأساس ولمعانه على العالم

المظلم بالخطيئة انعكاسا سواء كان ذلك في تعاليمها وحياتها، في تقاليدها وطقوسها، في هندستها وتدبيرها، في نظامها وقياداتها.

أما إن كانت الأبنية هذه خشباً وعشباً وقشاً فسرعان ما تشتعل أمام النار الإلهية اشتعالاً مرعباً وتصير كالعصافة التي تذريها الريح إذا ما هبت. فكروم المسيح إذن هي كنائس الله المختلفة الأشكال والمتحدة الأساس والصخرة. ولكن على الكروم كافة أن تكون مطعمة بكرمة السماء الحقيقية يسوع المسيح لتكون كروم سورق حقاً. الأمر الذي أشار إليه الرب بقوله "أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام كل غصن في لا يأتي بثمر يترعه. وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر اكثر" (يو١٥ :١-٢).

ولكن يا ترى. هل هذا هو كل شي في حياة الكرم ومستلزماته الإلهية؟ أفلا يتوجب على الكرامين أن يكافحوا ضد الثعالب الصغيرة التي تفسد الكروم؟ أليست هذه الثعالب الصغيرة هي الخطايا الصغيرة والشرور المتخفّية والتي كخميرة للخبث والفساد تُفسد الكروم في الكنيسة؟ أليست هذه الثعالب الصغيرة ذاتها اليوم ستصير كبيرة غداً؟ من اجل ذلك راح الحكيم سليمان يحذرنا منها تحذيراً بالقول "خذوا خذوا لنا الثعالب الصغيرة المفسدة الكروم لان كرومنا قد أقعلت".

إذاً بات لزاماً على الكرامين والحالة هذه أن يكافحوا الثعالب من داخل الكروم قبل أن تخرّب وليس ذلك فحسب بل عليها أن تنقب الكرم بمحراث الإنجيل وتسقيه بمياه الروح القدس وتقلّمه بكلمة الله الحادة تقليماً شديداً، وذلك لتعطي كرماً جيداً. وإلا فسيترع السياج من الكرم ويصير للرعي وتهدم جدرانه فيصير للدوس ويُجعل خراباً لا يُقضَب ولايُنقب فيطلع الشوك والحسك ويوصي الرب

الغيم أن لا يمطر عليه مطراً (أش ٥ : ١ـ٦). لماذا ؟ لأن الكرام السماوي يسوع المسيح انتظر من الكرم عنباً فصنع عنباً رديئاً.

أليست هذه هي حالة كرومنا اليوم يا جميع الكرامين ؟ أليست كرومنا اليوم مشحونة بالثعالب الصغيرة والكبيرة على حد سواء؟ أليست خدمة الكرامين اليوم تكاد تكون مشلولة بل ميتة بعلة محبة الفضة وبسبب التعطش للرئاسة الجردة؟ أليس التقليم اليوم في الكروم يكاد يكون غير معروف بسبب المصالح الذاتية والمجاملات العالمية والمخاوف العائلية؟ فهل من عجب اذا ما جفت كرومنا وذبلت عناقيدنا وصارت بالتالي مداسا لعابري الطريق؟

حقاً نحتاج اليوم شعباً واكليرساً إلى ذيّاك الكرام الأول الإلهي يسوع المسيح ليغرسنا جديداً كرماً سورقاً فوق أكمة الصبيب الخصبة (أش ٥: ١) كما غرس الذين سبقونا من قديسين مختارين ومؤمنين مدعوين. لأنه كما أن التينة العذراوية تقدّم لنا في الربيع ثمرة الحياة الحلوة بعد شتاء للخطيئة قارس ومرير، هكذا كروم القديسين أيضاً تقدم لنا هي الأخرى في الربيع رائحة فعال المسيح الذكية، لأن القديسين هم كروم المسيح الحقيقية الذين قد تقمّت حياتهم بمقص الإنجيل تقليماً وحُرثت بسكته حرثاً عميقاً وقتلت فيهم الثعالب الصغيرة والكبيرة وسقيت حياتهم بماء الروح القدس فأزهروا من ثم زهراً معطراً واينعوا ثمراً في العنقود زاهياً. فليستهتر العالم بعقال الكرم هذا وليدُس بأقدامه الثقيلة هاتيك الورود المتناثرة دوسا عنيفاً لأن في ذلك للقديسين رائحة وللمؤمنين حياة.

وأما أنت أيتها الحبيبة المجيدة، أيتها النفس الإنسانية، ايتها القارئة العزيزة هل تذوّقت حلاوة التين أم مازلت تلعقين مرارة الافسنتين؟ أأنت غصن ثابت في كرمة

المسيح الحقيقية تمتصين منه عصارة الحياة لتثمرين عنقوداً لملكوت الحبيب زاهياً مجيداً؟ أم أنك غصن مقطوع بالخطيئة عن الكرمة ومطروح في ارض الكرمة مداساً من الناس ومهيئاً لملك الشيطان وقوداً؟ ما هي الروائح التي تنبعث منك؟ أهي روائح البركة أم روائح اللعنة، روائح الإيمان أم الشك، روائح الشكر أم التذمر، روائح التسبيح أم التجديف، روائح المحبة والغفران أم النقمة والانتقام؟ فإن كانت روائحك هي روائح القديسين وقعاهم فالمسيح الحبيب إذّاك يناديك قائلاً "قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي". ولكن إلى أين؟ إلى محاجئ الصخر وستر المعاقل.

١٤- يا حمامتي في محاجي الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك أسمعيني صوتك لان صوتك لطيف ووجهك جميل

اجل هكذا يشتاق الحبيب الجنسي للانفراد بحبيبته في الخلوات. تارة في البساتين بين أشجار التفاح وتارة في الكروم حيث الأعناب. تارة فوق الهضاب حيث النسيم العبير وتارة فوق الجبال حيث الهدوء العميق الجليل. نعم هناك في أعماق الطبيعة بل في أعماق الحب ينفرد الحبيب بالحبيبة بعيداً عن فضول الناس ورصد عيون الحسّاد. وفي عزلة الحب الرهيبة هذه ينسى كل من الحبيبين نفسه ويتخطى منطقة الذات ليتحد مع رفيقه اتحاداً قلبياً عجيباً. وبطاقة الحب هذه يصير كل طرف وكأنه حياة ونَفس للطرف الآخر. وفي الخلوة الحبية المقدسة هذه يترل كل من الاثنين إلى أعماق الآخر ويتعرف اكثر فاكثر الواحد إلى حقيقة الآخر ولا يخرجان من عزلتهما الحبية هذه حتى تنطبع بالحب شخصية كل واحد على وجه رفيقه وإذاك يصيران واجهتين لشخصية واحدة.

وهكذا دعا المسيح الحبيب إسابته وفي شخصية العذراء مريم إلى غربة فدائية رهيبة في محاجئ الصخر اللاهوتية وفي ستر المعاقل الخلاصية، لكيما يغرد هنا بوقائع سماوية عالية لا تسمعها أذن الآدميين ولم تقع عليها تصنعات البشريين. لأنه ليس من ملجأ صخري الهي متين كالملجأ الذي قد تحصنت به العذراء تحصينا وليس من مستوى رفيع كهذا قد بلغته إمرأة كالمستوى الذي بلغته هذه المركبة الإلهية المتصاعدة إلى محاجئ صخر اللاهوت وستر معاقل الفداء. كما هو مكتوب "لأنه نظر إلى أتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني لأن القدير صنع لي عظائم واسمه قدوس" (لو١ :٤٨-٤٩). كما وليس من ستر روحي وغطاء ذاتي إلتحف به مخلوق على الأرض كالغطاء الذي إلتحفت به العذراء مريم. كما هو مكتوب "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١ :٣٤-٣٥). بل وليس من معقل حصين كالمعقل الذي تحصنت به العذراء مريم من سهام الشياطين الصيادين. كيف لا والقديسة مريم هي الأطهر بين نساء العالمين طرا وقد جسدت في أحشائها قدوس القديسين جسيدا فصارت له بذلك مركبة من نار ارتفع بها إلى قمم الجبال العالية وذرى السماوات ارتفاعا متواليا؟ كيف لا وقد انفردت بتجسد الحب وعذراوية الفداء انفرادا؟

نعم في هذه المحاجئ ومن وراء هاتيك التصنعات ومن وراء ستر المعاقل نسمع الحبيب من السماء إلى الأرض ودنى في بساطته الجسدية وعذريته الأصيلة حمامة صوتها لطيف ووجهها جميل. لأن صوتها إنما هو صوته ووجهها إنما هو وجهه. إنه صوت السلام وقد نطق في الحمامة العذراوية نطقا وجمال البر وقد طبع في وجه الحمامة العذراوية انطباعا. حقا "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة نازلة من فوق من عند الله أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع١: ١٧). وذلك

ليس ببعيد عن المسيح الحبيب الغني بُحبه والسخي بعطائه والجبار بفدائه أن يعطى للإنسانية وفي شخص العذراء صوته اللطيف ووجهه الجميل. الواقع الإلهي الذي اختبره القديسون في حياتهم لما حّل الروح القدس عليهم كالعذراء وجسّد فيهم المسيح تجسيداً روحياً كما يقول الرسول بولس "ونحن جميعاً ناظرين مجد الله بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو٣: ١٨).

ولكن أين يا ترى سيرى المسيح صورته الجميلة مطبوعة في وجه الكنيسة ويسمع صوته العذب من فمها؟ أليس في محاجئ الصخر اللاهوتية وستر المعاقل الفدائية "حيث تتغير الكنيسة عن شكلها الخاطئ لتشابه صورة مجده في البر وقداسة الحق" (اف٤ :٢٤). وحيث تجلس الكنيسة عند قدميه لتتعلم لغته وتطلق من الأعماق صوته؟

أجل في هاتيك العزلة المقدسة والتكريس اللاهوتي الفدائي تتخلّق الكنيسة كالعذراء بأخلاقية المسيح وتتطبّع بطبائعه كما هو واقع الرسل والقديسين الذين قد لبسوا المسيح هكذا عقلاً وروحاً بالتجسد فصار لهم بذلك حياة ووجوداً وقواماً وكقول الرسول بولس "لي الحياة في المسيح يسوع والموت هو ربح (في١: ٢١). فما أحياه الآن أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي احبني واسلم نفسه لأجلي" (غل٢: ٢٠).

فهل يا ترى كنيسة اليوم هي هكذا كالحمامة لطيفة بصوتها، جميلة بوجهها مقدسة بعزلتها شأن القديسة مريم وشأن كنيسة الرسل والقديسين الأولين؟ هل الكنيسة اليوم هي حقا حمامة لطيفة وديعة تبشّر من في السفينة وخارجها بالسلام وهي

تُعشِّش في محاجئ صخر اللاهوت كبطرس وفي ستر المعاقل كتوما؟ هل صوت الكنيسة اليوم هو صوت الحمامة الروح القدس ووجهها وجه الجمال والفداء؟

هناك وهناك فقط في خلوة القديسين وصومعة المتعبدين ومخدع العاشقين تمتلك الكنيسة صوت المسيح اللطيف ووجهه الجميل.

ألا فإلى محاجئ صخر لاهوت المسيح يا جميع المتشككين الملحدين وإلى ستر معاقل فداء المسيح يا جميع المبتدعين وإلى هاتيك المصحات الإنجيلية يا جميع المصابين بالأسقام الكثيرة وإلى الشركة الحبية المقدسة يا جميع شركاء الفساد العالمي والنجاسة الجسدية. بل إلى يسوع المسيح اللطيف بصوته والجميل بوجهه يا جميع عبّاد الشيطان الخشن بصوته والقبيح بوجهه. وإلى هاتيك حمامة العذراوية الطاهرة يا جميع النسوة اللواتي قد تدنّست بالخطيئة أذيالهن. وإلى الحمامة الروحية في عليّة القديسين ياجميع الكنائس. نعم إلى تلك الحمامة السماوية طيري يا حمامة نفسي ليسمع الحبيب صوتك اللطيف ويرى وجهك الجميل وذلك في محاجئ صخره، صخر اللاهوت وستر معاقله، معاقل الفداء. فهل تطيرين الآن إليه بعد العربان تنفضين؟

١٥- خذوا خذوا لنا الثعالب الصغار المفسدة الكروم لأن كرومنا قد أقعلت

آه كم يحز في قلب كنيسة القديسين وجود الثعالب الصغيرة فيها وهي تفسد كرومها. وكم كنا نتمنى لو خَلَت الكروم هذه من الثعالب وفرغت الحظيرة من الجداء وتنقّى الحقل من الزوان وتطهّرت الشبكة من السمك الرديء إرضاء لقلب يسوع القدوس واستراحة لأحشاء قديسيه. ولكن قد أجبنا من الرب هكذا "دعوهما ينميان إلى وقت الحصاد حينئذ يجمع الزوان حزماً ليلقى في النار" (مت١٣

: ٣٠) بل وتُوضع الجداء عن اليسار ويُلقى السمك الرديء في بحر الهلاك وتُطرح الثعالب ومجموعات الهيرودسيين في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت.

ولكن ما عسى أن تكون الحكمة من بقاء الثعالب وسط الكروم اليوم وترك الزوان مع القمح واختلاط الأسماك الرديئة مع الأسماك الجيدة داخل شبكة الكنيسة الواحدة؟ أليست الحكمة في ذلك تكمن في القول "كالتفاح بين أشجار الوعر هكذا حبيبي بين البنين"؟.أليس لنعمل على تلمذة هؤلاء الأشرار والإتيان بهم إلى المسيح بالتوبة والإيمان؟ أليس للمشاركة الفعلية في صليب المسيح واحتمال الآلام والموت على يد هؤلاء الأشرار الصالبين؟ أليس لأجل تنقية المؤمنين وتصفيتهم بنار الآلام قد سمح الله ببقاء القمح بين الزوان والخرفان بين الجداء؟ وإلا لو فصل الأخيار عن الأشرار منذ اليوم فصلاً مؤبداً لتعطل إنجيل المسيح في الخليقة والكنيسة تعطيلاً وجمّد مفعول الصليب في الكنيسة وبالتالي هلكت النفوس وبلا حساب هلاكاً جسيماً. لأنه حيث لا مصارعة بين قوى الشر وقوى الخير لا حياة في الكنيسة ولا ثورة روحية ولا خلاص للنفوس، بل جمود وعبودية وموت بروح الشيطان.

فمن هذا المنطلق الروحي الإلهي أوصى الرب رسله قائلاً "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨ :١٩). وتدوسون على العقارب والحيّات ولا تضرّكم شيئاً (لو١٠: ١٩). ويقيني أنه لا فرق بين الحيات والعقارب داخل الكنيسة وخارجها. إذ الجميع يحتاجون إلى التبشير بالإنجيل للتوبة والإيمان.ولم لا؟ ألم يكن جميع القديسين والمؤمنين خطاة وعشارين في أصلهم ولكن بعمل النعمة قد صاروا مدعوين ومختارين؟ أو ألم يغلق الكتاب على الجميع تحت الخطيئة وبأنه ليس بين البشر صالح واحد؟

ولو بقي المسيح هكذا في عزلته الإلهية الأزلية بعيداً عن الجسد لانتفى ملكوت المسيح في مملكة الناس انتفاء أبديا ولانعدم ذكر القديسين من قاموس السماء. ولذلك كما حشر الرب ذاته القدسية بالتجسد والفداء بين الخطاة والعشارين، هكذا على كنيسة القديسين أيضا أن تمثل نفس الدور للمسيح يسوع بين الزؤان والحنطة وبين الأسماك الرديئة والسمك الجيد. ولكن لا لتصطبغ بطبائعهم وتنزل إلى مستوياتهم الوضيعة، مستويات الخطيئة كما قد حصل للكنيسة الجسدية في قرونها المتأخرة، بل لتعمل على رفعهم إلى مستوى قداستها هي في المسيح يسوع وتحويلهم بذلك من جداء إلى خرفان ومن سمك رديء إلى سمك جيد ومن تبن للنار إلى قمح للمخزن بل من ثعالب مفسدة للكروم إلى اسود حراسة الكروم. ذلك الأمر الجليل الجيد الذي يتطلب صراعا مستميتا وتسلحا في المسيح كاملا وحملا للصليب ثقيلا. وإلى هذا الصراع العنيف ما بين اليمين واليسار وما بين الجداء والخراف وما بين الأخيار والأشرار داخل الشبكة والحظيرة وفي وسط الكنيسة والعالم، قد أشار الرب بقوله "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها واعداء الإنسان أهل بيته" (مت١٠: ٣٤_٣٦).

نعم سيفاً لا سلاماً قد ألقى المسيح على الأرض بتجسده وصلبيه ولكن ليس مع دم ولحم بل "مع الرؤساء والسلاطين وولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر ومع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف٦ :١٢). فصليب المسيح اذن سيف ذو حدين قد سقط من السماء إلى الأرض هكذا مفروض لا ليذبح الإنسان الذي قد خلق على صورة الله أصلاً بل ليذبح الخطيئة المستعمرة للإنسان وليذبح الشيطان الرابض بقوة الشر على قلب الإنسان وحياته.

أجل سيف المسيح هذا بطرفيه وحديه هو علة الخلاف بين الإنسان وأبيه والابنة وأمها وحسب النزاع بين الإنسان وقريبه وحسب الانتقام بين بيت وآخر وبين كنيسة وأخرى. لأنه من دون يسوع المسيح جميع الناس متفقون بالخطيئة ومتساوون بالباطل ومشتركون بأعمال الظلمة وإن اختلفوا في ذلك نوعاً ودرجة. ولكن في صليب يسوع المسيح ينشق أبناء النور عن أبناء الظلمة ويتمرد أبناء الله على عبودية الشيطان ويثور أتباع الحق على روح الباطل فتنشأ ما بين المعسكرين الروحي والجسدي والسماوي والعالمي حرباً روحية أدبية يقوم فيها أتباع الشيطان على أتباع يسوع ويقتلوهم، كما قتلوا المسيح من قبلهم. والى هذه الحرب الروحية الضارية أشار المسيح بقوله لرسله "ستأتي أيام يظن فيها أن كل من يقتلكم يقدم قرباناً لله" (يو١٦: ٢٠). وسيف المسيح هذا لا يثير حرباً بين الإنسان وأبيه فحسب بل بين الإنسان وذاته كذلك. الحرب النفسية التي أشار إليها الرسول بولس بقوله "وإنما أقول اسلكوا بالروح ولا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح يشتهي ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون" (غل٥ :١٦_١٧).

ولكن ما اعظم الفرق بين سيف وسيف وبين حرب وحرب. بين سيف المسيح وحرب المسيح وثورته وبين حرب العالم وثورته. سيف المسيح يستقطب قطع الخطيئة عن الإنسان لخلاصه وسيف العالم يستقطب قتل الإنسان وابقاء لخطيئته. سيف المسيح يقوم على صلبه هو واستشهاد قديسيه حياة وخلاصاً للإنسان. وسيف العالم يقوم على قتل الإنسان أحياء لذاتية الإنسان وأنانيته. سيف المسيح يستهدف قتل الخطيئة في النفس أولاً وفي الآخرين ثانياً. وذلك حرية للنفس

وللآخرين. واما سيف العالم فيستهدف قتل النفوس والأجساد في الخطيئة مع ترك الخطيئة حية في النفس وفي الآخرين.

ولكن إن كان سيف بل صليب المسيح هذا هو ذات سلام الله الحقيقي على الأرض وفي السماء. فمن هو المسؤول أذن عن هاتيك الحروب الشخصية والعائلية والكنسية وحتى الدولية؟ اهو المسيح حقاً بسيف صليبه؟ أم انه الإنسان بسيف شيطانه؟ ليس المسيح هو المسؤول إطلاقاً عن ذلك بل إنما الإنسان وعلى وجه الإطلاق. لأن المسيح قد احب الإنسان حتى انه قد مات من اجله مصلوباً. ولا اتباعه وقديسوه هم المسؤولين عن هاتيك الخلافات البشرية والمنازعات الإنسانية لانهم في المسيح يسوع قد احبوا حتى أعداؤهم. إنما المسؤول عن كل هاتيك الحروب القائمة بين الإنسان واخيه الإنسان وبين الإنسان وخالقه وبين الإنسان وذاته. إنما هو الشيطان العامل في الإنسان ليس إلا. ذلك الإنسان الذي أمسى بدافع الشهوة آلة مسخرة بيد الشيطان تسخيرا. الواقع العميق الذي شخصه الرب يسوع بقوله لليهود "انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تفعلوا ذاك كان قتالاً للناس من البدء" (يو ٨: ٤٤).

لأنه ما هو ذنب النور إذا ما كشف واقع الظلمة؟ وما هو ذنب الحق إذا ما فضح أمر الباطل؟ وما هو ذنب المسيح إذا ما اشهر الشيطان بصليبه وعرّى الخطيئة بتعريته وبعثر بزلزال قيامته عظام الموتى وكسّر الأقفال عن نتانة الذين في القبور؟ ومتى كان لمملكة الشيطان والأشرار سلاماً حقاً ؟ وهل تسمى تجمعات الشياطين محبة؟ واتفاق الحيات والعقارب سلاماً؟ ومجاملات الفتنة وإرصاد النفاقاً؟ ومعاهدات المستغلين الظالمين خيراً؟ امثل هذا تسميه سلاماً وتدعوه عرفاً ومظهراً إنسانيا

مقبولاً؟ حقاً قد تم فيهم قول الرب بلسان النبي ارمياء "يقولون سلام سلام وليس سلام" (ار٦: ١٤).

واما الآن فالمسيح سيفنا وسلامنا. لأنه نقض سياج العداوة بيننا وبين إلهنا فصنع المصالحة. وبيننا وبين ذواتنا فصنع السلام الداخلي. وبيننا وبين بعضنا فصنع الاخوّة. هذا هو السلام الذي قال عنه رب المجد "سلامي خاصة أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا." (يو١٤: ٢٧). انه سلام روحي قائم على المصالحة مع الله بغفران الخطايا. انه سلام داخلي قائم على انتزاع شوكة الخطيئة من القلب. انه سلام خارجي قائم على رفع سياج العداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان بالمحبة. انه سلام التحرر أدبياً من سيادة الشيطان الظالمة. انه سلام التحدي للضيقات والآلام والاضطهادات والميتات. انه سلام الانتصار في الحروب الروحية والثورات الأدبية على الرؤساء الروحيين والولاة الظالمين والشياطين الماردين. بل انه سلام الامتلاك لملكوت الله واطمئنان الميراث للحياة الأبدية. فمن اجل ذلك حق للرسول بولس أن يقول عن هذا السلام "وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (في٤ :٧).

كم كنا نود أن يقلع الزؤان من بين القمح منذ اليوم وتصفى الكروم من الثعالب منذ الآن، سلاماً للحقول وطمأنينة للكروم. غير أن مشيئة الله اقتضت أن يختلط هذا بذاك اختلاطاً محلياً وجغرافياً، رحمة للأشرار وجهاداً للأخيار. فالمؤمنون بالمسيح وان كانوا قد انفصلوا عن الأشرار بعقولهم بالحكمة وبقلوبهم بالمحبة وفي أجسادهم بالقداسة، لكنهم لا يزالون يعيشون معهم بالطبيعة البشرية. والى هذا التخطيط الإنجيلي أشار الرب بصلاته إلى الآب من اجل القديسين بقوله "لا اطلب

أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير" (يو١٧: ١٥). ولقد استهدف المسيح من ذلك أن يبشر القديسون هؤلاء الخطاة الأشرار بالتوبة والإيمان ليحصلوا هم أيضاً على الخلاص المعد للجميع بالفداء. لذلك أرسلهم إلى العالم اجمع قائلاً "اذهبوا وبشروا الخليقة كلها بالإنجيل. من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن" (مر١٦: ١٥،١٦). إن التزاما سماويا كهذا في وسط عالم شرير يوقع الرسل القديسين في ضيقات ومضايقات كثيرة وملاحقات عديدة واضطهادات عنيفة وميتات متنوعة وذلك ثمنا لحياتهم الجديدة وثورتهم الروحية الهادفة ومملكتهم السماوية المنيرة. ولكن هل تحسب هذه المضايقات والاضطهادات التي يشنها الشيطان بواسطة الأشرار على القديسين بعلة قدوسهم يسوع المسيح خسارة؟ أبدا بل ربحاً مضاعفاً واجراً مثقلاً وبركة من الله غنية. والى مكاسب الآلام هذه أشار الرسول بولس بقوله "فاني احسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو٨ :١٨).

كيف لا وقد قبض المؤمنون بيسوع المسيح على الحياة الأبدية قبضاً مؤبداً؟ وتمتعوا منذ اليوم عربوناً "بما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على بال إنسان" (١ كو٢: ٩). كيف لا وقد شاركوا المسيح أمجاده السماوية ميراثاً وسلطاناً وعلى الشياطين والأشرار دينونة وقضاء؟ فهل يحسب إذاً تألم القديسين على يد الأشرار فترة زمنية عابرة تجاه هاتيك المكاسب الفدائية الخالدة غبناً لهم وإجحافاً؟ أم انه تجارة رابحة ومكاسب مضاعفة؟ وهذا عين ما عناه الرسول بولس بقوله "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا اكثر فاكثر ثقل مجد أبدياً" (٢كو٤: ١٧). لا سيما أن آلام القديسين هذه هي مشاركة مقدسة لآلام المسيح وامتداد لفداء صليبه بين الخطاة والأشرار. فكم من شرير قد تاب عن شره بسبب وداعة مؤمن وكم من

زانية قد تجددت بسبب صبر قديس وكم من ظالم قد باع ملكه وحقله بسبب تضحيات رسول وكم من دنس شرس قد صار حروفاً بسبب صلوات شهيد.

أليس كذلك يا يوسف برسابا؟ أليس كذلك ايتها المجدلية؟ أليس كذلك يا شاول الطرسوسي؟ اجل سيبقى هكذا في حقل العالم، الزؤان مع القمح إلى وقت الحصاد للنمو والتكامل. والجداء مع الخراف للتلمذة والتبشير.والسمك الرديء مع السمك الجيد للصبر والصلاة. وستبقى الثعالب الصغيرة بين الكروم للحراسة والقتال. ألم يكن يهوذا الاسخريوطي ثعلباً ماكراً في معيّة المسيح وفي داخل كرمه؟ ألم يكن هيميانس وهرمجانس وديماس والنحاس اسكندر ثعالباً في كرم الرسل؟ ألم يكن آريوس ومقدونيوس ثعالباً في كروم الآباء والقديسين؟ أو ألم يكن الفريسيون والصديقيون والهيرودسيون اليوم ثعالباً صغيرة ماكرة داخل الكروم لصنع ألاوجرة وعمليات التخريب؟ الواقع المرير الذي تنبأ عنه الرسول بولس بقوله "لأني اعلم هذا انه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية. ومنكم انتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم" (اعما٢٠ :١٩-٢٠).

فمن هم هؤلاء الذئاب الخاطفة وقد أتوا بثياب الحملان ولا يشفقون على الرعية؟ومن هم الثعالب الذين يتكلمون بأمور ملتوية عن لاهوت السيد وفدائه وقد دخلوا خلسة إلى الكروم لتخريبها والسيطرة بالدهاء الشيطاني على مقدراتها؟ أليس الذين شخّصهم الرسول بولس بأشعة الروح القدس تشخيصاً دقيقاً بقوله عنهم "أن مثل هؤلاء هم رسل كذبة. فعلة ماكرون. مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً ان كان

خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخداه لبر الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم (٢كو١١ :١٣_١٥).

من بين ثعالب الكروم اليوم الفريسيون والناموسيون الذين يستهدفون تحويل إنجيل المسيح من النعمة إلى الناموس لا تقديساً للناموس ذاته بل تقديساً لكراسيهم وتمجيداً لمقاماتهم. من أجل ذلك لا يزالون تحت ويلات من الرب عنيفة "لأنهم يعشرون النعنع والشبت والكمون وتركون أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان. فينقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة لذلك يشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة" (مت٢٣: ١-٣٩).

إن الرسول بولس قد عانى الآلام من هؤلاء الثعالب الفريسية الذين راحوا يدسّون سمومهم بين صفوف المؤمنين قائلين "إن لم تختتنوا لا يمكنكم أن تخلصوا. لأنه كان قد قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا انه ينبغي أن يختنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى" (اع١٥ :١-٥). الأمر الذي قد فتن الكنيسة كلّها حتى اضطرّ الرسل بسبب هذا التشويه إلى عقد مجمع رسولي في أورشليم لوضع حد لهذا الروح التعبي الضيق. وهكذا طلع علينا المجمع الرسولي البكر والناطق بالروح القدس بقرار ضد هذه الفريسية (اع١٥: ١-٣٠). وهكذا وبقوة الروح القدس وحكمته خرجت الكنيسة الرسولية الأولى من الردة الفريسية والثعلبة المحتالة منتصرة في كرومها. غير أن هذا الروح الفريسي لم يكفّ عن ملاحقة الرسل وإفساد الكروم بل راح يضطهد إنجيل بولس، إنجيل النعمة والخلاص وعلى المدى القريب والبعيد. ولا عجب في ذلك لأنه كما كان الذي

ولد حسب الجسد (عيسو) يضطهد الذي ولد حسب الروح (يعقوب)، هكذا راحت الفريسية والتي حسب حرفية الناموس تضطهد الكنيسة الرسولية الانجيلية والتي هي حسب حرية الروح. وإلاّ من الذي أثار اضطهاداً ضارياً ضد اسطيفانوس رئيس الشمامسة ورجمه بالحجارة رجماً ؟أليس الروح الفريسي العامل في مجمع الليبرتيين والقيروانيين والاسكندريين (اع٦ :٩)؟ ومن الذي زجّ الرسل في سجن العامة؟ أليس رؤساء الكهنة وقائد جند الهيكل بالتحالف مع الصدوقيين (اع٥: ١-٢)؟

نعم بسبب هذه الضغوط الفريسية، قتل هيرودس يعقوب أخا يوحنا بالسيف والقى الرسول بطرس في سجن، ناوياً أن يقدمه للشعب ليقتلوه (أع١: ١٩). وهكذا راحت هذه الثعلبة الفريسية الشريرة المحتالة تعمل على سرقة أمجاد الفداء واللاهوت الذي لربنا يسوع المسيح وتلاحق الضربات لإنجيل الرسل غيرة عمياء على الناموس. وتركّز ضرباتها هذه على مركز الثقل الرسولي والذي هو الرسول بولس اذ تشاوروا ليقتلوه (اع٩: ٢٣-٢٥). واثاروا عليه وبرنابا اضطهاداً في انطاكية بيسيدية مناقضين ومجدفين ورجموهما في برجه. واهاجوا اورشليم كلها على الرسول بولس (اع٢٢ :٣-٢٣).

وهكذا ظلّت الفريسية الحاقدة هذه تتعقب خطوات إنجيل بولس وتثير الفتن ضد إنجيله وُتذري التراب فوق عيون الرعاع لكي لا يبصروا إنجيل بولس وتتملق فيلكس والحكام وتداهن اغريباس وزوجته برنيكي وتستعطف القيصر لانتزاع إنجيل بولس من ارض الأحياء. وهي لا تزال هكذا ثعالباً محتالة في الكنائس تفسد الكروم باسم الناموس وتغتال الإنجيل بدالة التقليد.

ولكن لتعلم جميع الكنائس اليوم أنه في طريق دمشق حيث النور الباهر الذي ليسوع الناصري، قد انتصر إنجيل بولس الطرسوسي على ناموس شاؤل الطرسوسي. وأبتُلع الناموس بالنعمة. وابتُلعت الغيرة البشرية العمياء بالحقيقة الإلهية السمحاء. ولكن كما في داخل الكروم ثعالب فريسية كهذه تفسد الكروم بمقاومتها لانجيل يسوع المسيح وأخرى صدوقية تخرب الكروم، هكذا أيضاً خارج الكروم ثعالب هيروديسية تفسد الكروم وتخربها بمعاداتها لانجيل المسيح. ففي الداخل تستهدف الفريسية مجد ذاتها باسم الناموس واما في الخارج فتستهدف الهيرودسية مجد ذاتها باسم القانون. وهكذا قد شخص الرب الروح الهيرودسية في الخارج بقوله عن هيرودس "اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب. أنا اعمل اليوم وغداً ما دام نهار. حين يأتي ليل لا يقدر أحد أن يعمل". لأن هيرودس هذا كان يريد قتل المسيح إبقاء على سلطانه. على أن الثعالب الهيرودسية هذه مهما كانت فاسدة فهي اقل خطراً على الكروم من الثعالب الفريسية الداخلية. لانها ثعالب خارجية واما تلك فداخلية. هذه مكشوفة وتلك متخفية. لذلك يحذرنا الرسول بولس من الثعالب الداخلية بين الكروم بقوله "اني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة الله إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما قبلتم فليكن اناثيما" (غل١ :٦_٨). لذلك يوصي الرسول بولس قائلاً "خميرة صغيرة تخمر العجين كله. اعزلوا الخبيث من وسطكم".

اجل هكذا ستبقى هذه الثعالب الفريسية الصغيرة مناوئة لإنجيل المسيح داخل الكنيسة والثعالب الهيرودسية الكبيرة مهاجمة لإنجيل يسوع خارجها حتى تؤخذ الثعالب هذه وتلك بفخ اليوم العظيم الرهيب.

والآن إن كانت الفريسية هذا شأنها في عصر الرسل وهو عصر الإيمان وقوة الروح القدس. فكيف هو شأنها اليوم في الكنيسة وهي في عصر الخطيئة والارتداد؟ أجل سيطرة ظالمة قد سيطرت الفريسية على مقدرات الكنيسة اليوم. لأنه كيف للكنيسة اليوم أن تصوم وتصلي وتتصدق؟ أتصلي بروح العشار الخاطئ القائل "اللهم ارحمني أنا الخاطئ" أم بروح الفريسي القائل "أنا لست كباقي الناس الظالمين الخاطفين ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر جميع أموالي"؟ أتصوم الكنيسة اليوم بروح الرسل والقديسين الذين يغسلون وجوههم ويدهنون رؤوسهم لكي لا يظهروا للناس أنهم صائمين بل للآب الذي يرى في الخفاء؟ أم أنها تصوم كالفريسيين المرائين الذين يظهرون للناس أنهم صائمين؟ أتتصدق الكنيسة اليوم في الخفاء لكي لا تعرف شمالها ما تفعله يمينها شأن القديسين المصلوبين مع المسيح والمقتولين مع هابيل، أم أنها في تصدقها تضرب الأبواق وتقرع الأجراس وتدق بصنج الهتاف؟

أجل الكنيسة اليوم لا تعمل دوماً بروح المسيح المصلوب بل تعمل أحياناً بروح الذات. وبعض رجالاتها يجلسون ليس تحت أقدام الصليب وعتباته بل فوق الكراسي التي لموسى وناموسه. أولئك الذين قد وصفهم النبي حزقيال بقوله "تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم. المريض لم تقووه. والمجروح لم تعصبوه. والمكسور لم تجبروه. والمطرود لم تستردوه والضال لم تطلبوه. بل بشدة وعنف تسلطتم عليهم. فتشتتت بلا راعٍ وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقل. وتشتتت وضلّت غنمي في كل الجبال وعلى كل تل عالٍ وعلى كل وجه الأرض تشتت غنمي. ولم يكن من يسأل أو يفتش" (حز٣٤ :٣_٦).

نعم هؤلاء هم الفريسيون الذين استنزل عليهم رب المجد يسوع الويلات المتلاحقة كما وردت في الإصحاح الثالث والعشرين من بشارة متى بسبب ريائهم وخبثهم ودخالتهم على الدين سراقاً ولصوصاً. أما الصدوقيون الملحدون والذين ينكرون السيد المسيح لاهوتاً وقيامة وفداء. فهم الآخرون ثعالب صغيرة مفسدة للكروم ومخرّبة للكنائس وذلك تسلّطهم على الكروم سعياً وراء عطاياهم للكنيسة ومنّة هداياهم للكرّامين. وإلا فأي دافع يعطش هؤلاء المال الوفير على الكروم والكرّامين وهم الذين لا يؤمنون بيسوع المسيح رب الكنيسة أصلاً؟ أليس لغاية بسط نفوذهم على مقدرات الكنيسة واستعمارها اكليروساً وشعباً وكرازة بقوة المال؟ أليس لغاية ارتفاعهم فوق أكتاف الكنيسة رؤساء وعظماء وفي محافلها أسياداً وأمراء؟ فأخضعوا بذلك إخوة الرب لكبريائهم وأمسكوا فمها الناطق بكمّاشتهم الذهبية؟

أين هي الكنيسة الرسولية لتقول كلمتها في حق هؤلاء الثعالب السمينة وقد حوّلوا كروم الكنائس إلى أوكار لهم ولأحزابهم من بعدهم؟ بل أين هو صوت المسيح وكلمة إنجيله ليقضّ على هؤلاء الثعالب الفريسية والصدوقية في كرمه وهيكل صلاته ويقلب موائد صيرفتهم عليهم لكروم ولقدسها هياكل؟ فماذا إذن أصارت الكنيسة اليوم تهاب الثعالب حرصاً منها على قوة الفضة وضعفاً منها في الحق الناطق؟ أو أليس من غرائب الأمور أن تصير أشبال الأسود عبيد الثعالب؟ وإلا أين هي اليوم شخصية الكنيسة الروحية اليوم وأين هي رسالتها؟ وكيف هي وقائع كرومها؟ أجل يزودنا الصديقيون بالمال الفاني لتعمير الكنائس المادية الجامدة. لكنّهم كثعالب محتالة يسلبون منا المال الباقي الإيمان والذي هو أثمن من الذهب الفاني. وذلك تخريباً للكنائس الروحية وإماتة لنفوس أبنائها الحيّة. يدهنون وجوه الكرامين بالمجاملات الطرية وعيونهم بالتملقات الزيتية وفي قفائهم يملأون كرامتهم

تجريحاً وإذلالاً. يقيمون لهم المآدب الدسمة طعاماً دهيناً لكنهم يرفعون من أمامهم أرغفة الإنجيل وأقراص الخبز النازل من السماء تجويعاً للقلوب وإماتة للأرواح. انهم كحكماء عالميين وخبراء جسديين وثعالب ماكرين يكرمون الكنيسة ورجالاتها مادياً وذلك لكيما يستعبدونها روحياً وحياتياً.

ألا بوركت كنيسة رئيسها الحياتي يسوع المسيح وبانيها الروح القدس وعمادها رسل وقديسون وآباء متبررون وطلائعها أحرار مجاهدون. وإلا من كان يقوم ببناء الكنيسة في أجيالها المباركة الأولى؟ الصديقيون بثرواتهم أم الفريسيون بدهائهم؟ لا هؤلاء ولا أولئك بل الروح القدس هو الذي كان يبني الكنيسة ويغطي كل احتياجاتها. أو ألم يحرك الروح القدس يوسف المدعو من الرسل برنابا ليبيع حقله ويضع ثمنه عند أرجل الرسل (اع٤ :٣٦-٣٧)؟ أو ألم يبع أصحاب البيوت والحقول أملاكهم ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج (اع٤ :٣٤-٣٥)؟ مدفوعين بذلك بمحبة المسيح وعمل الروح القدس فأعطوا بذلك المسيح لا الأموال الفانية فحسب بل القلوب الباقية أيضاً. فلو كان المال المجرد هو أساس بناء الكنيسة فعلام رفض الرسول بطرس فضة سيمون الساحر داعياً إياه ابن الهلاك بقوله "لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أنك تقتني موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر. لان قلبك ليس مستقيماً أمام الله" (أع٨ :٢٠_٢١)؟ ترى لماذا لم يستلم الرسول بطرس هذه الفضة ليسد بها حاجة الكنيسة وإعواز القديسين وهي في أمس الحاجة إلى المال من بدء نشأتها وميلادها وفي أتون اضطهاداتها؟ بل أين الكنيسة اليوم وأين هم كرّاموها ليقولوا للصدوقيين الذين يسيطرون على مقدرات

الكنيسة بدالة الفضة" لتكن فضتكم معكم للهلاك"؟ أم أن الروح القدس قد طار كحمامة إلى السماء وحلّت محله غربان الصدوقيين ولقالق الفريسيين؟

ولكن ما هو وجه الثعلبة والاحتيال في الطغمة الملكية الحاكمة الهيروديسية؟ ان وجه الإحتيال في هذه الطغمة هو ادعاؤها الكاذب في خدمة مصالح الشعب. في حين إنها راحت تبني أمجاد ملكها وتقيم صرح سلطانها على أكتاف الشعب ودموعه ودمائه. وإلا علام راح هيرودس الملك وذريته من بعده يتعقب خطوات المسيح للإيقاع به وقتله؟ والمسيح جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس؟ فإن كان المسيح قد جاء هكذا نصيراً للإنسان حتى الموت بالصليب. وإن كان هيرودس حقاً هو الآخر قد ملك لخدمة ذات الإنسان، فكيف ووحدة الهدف هذا يحاول هيرودس قتل المسيح والتخلص منه؟ أفلا يبرهن تصرف هيرودس هذا مع المسيح على ثعلبته واحتياله وخداعه لشعبه إبقاء على سلطانه وحفاظا على ملكه؟

فإلى الكرّامين الأولين ورسل ربنا وقديسيه يا جميع الكرّامين المتأخرين والى سلاح الإنجيل لتصفية الثعالب بأنواعها يا وكلاء سرائر ملكوت الله. والى الثورة الروحية ضد الفريسيين المرائين والصدوقيين الملحدين والهيروديسيين المستغلين يا أبناء الأسود الأحرار.

وأنت أيها القارئ العزيز هل للثعالب أوجرة في قلبك ولطيور السماء الساقطة (الشياطين) أوكار في عقلك؟ وليس لابن الإنسان أين يسند رأسه في حياتك؟ هل الثعالب المستوطنة فيك هي ثعالب كبيرة "الزنى العهارة النجاسة الدعارة عبادة الأوثان السحر العداوة الخصام الغيرة السخط التحزب الشقاق البدعة الحسد القتل

السكر البطر" (غلو: ١٩-٢٠)؟ أم أنها ثعالب صغيرة كنظرة شريرة في العين وشهوة في القلب كامنة وكلمة في اللسان بطالة ونية في الفكر مظلمة. فسواء كانت ثعالبك هذه أم تلك. فكَرْمُ حياتك روحاً ونفساً وجسداً سيخرب خراباً ما لم تدعو صاحب الكرم الأصيل يسوع المسيح ليقتل فيه الثعالب بأنوار حقه ويطرد الباعة من الهيكل بسوط إنجيله ويجلس في هذا وذاك كراماً سماوياً مجيداً وسيداً إلهياً عزيزاً. أليس كذلك يا جميع أحرار يسوع المسيح؟

١٦- حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن

هذا هو حال القديسة مريم بعدما اختصها الرب يسوع لنفسه أمّاً دون سائر العالمين طراً. وذلك لكي يكون لها بذاته ابناً ووحيداً. كقول النبي اشعياء "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (اش٧ :١٤).

كيف لا يكون المسيح للعذراء حبيباً هكذا وهو القدوس المولود منها ولادة (لو١ : ٣٥)؟ وهل من قدوس بين الكائنات طراً سوى من هو الله بالذات؟

إذاً العذراء مريم وهذا الواقع لم تلد ابناً حبيباً بشرياً مجرداً بل إلهاً متجسداً قدوساً، هو ذات عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. وليس ذلك فحسب بل قد ولدت العذراء ذاك الذي قد دعاه الملاك جبرائيل، يسوع (لو١ :٣١). لانه يخلص شعبه من خطاياهم. المسؤولية الأساسية الكبرى التي لا يستطيع أحد تبنيها سوى الله نفسه. ومن هذه الوقائع الإلهية بات المسيح المولود للعذراء حبيباً ورباً ومخلصاً. فراحت لذلك تقول "حبيبي لي وأنا لحبيبي الراعي بين السوسن". ومن فرط هذه المحبة كادت العذراء ترى في المسيح حبيباً ذاتياً لها ومخلصاً خاصاً بها ورباً معنياً وحالاً فيها. ولماذا لا؟ والحب الأزلي فيها قد بلغ الذروة حلولاً وفيضاناً وتجسيداً؟

وقد لا يحسب هذا استغلالاً ذاتيا وواقعا أنانيا، بل حقا من الله ثابتاً وعجباً وحبا للمسيح عميقاً راسخاً. وإلا هل يحسب الرسول بولس في ذلك أنانيا حينما يقول عن المسيح "الذي احبني واسلم نفسه لأجلي"؟ كلا بل يحسب ذلك للرسول بولس ملئاً إلهياً مباركاً وحباً للمسيح الفادي متيناً. وهذا هو لسان حال جميع عاشقي المسيح يسوع الذين يحسبونه وكأنه قد مات من أجلهم شخصياً مصلوباً ليس إلاّ.

والآن إن كان يحق للمؤمن أن يقول وبداءة الحب "حبيبي لي وأنا لحبيبي" وإن كان يحق للرسول بولس أن يقول "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول، أن يسوع المسيح قد جاء ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا" (١تي١: ١٥). فمن باب أولى إذاً يحق للعذراء أن تقول عن المسيح "حبيبي لي وأنا لحبيبي". فهو لها بروحه وحياته. بلاهوته وناسوته. بأزليته وأبديته. بتعاليمه ومعجزاته. بفدائه وقيامته وتملكه وقضائه. فكيف لا تكون هي له كذلك تجاه هذه العطايا العظمى والثمينة بروحها ونفسها وجسدها؟ وهي في أصلها منه وبه وله؟ لذلك أمست له عوسجة ملتهبة فوق جبل ومركبة مشتعلة عند نهر وجزة مصوفة في وسط بيدر وعصاً مخضرة في وسط تابوت وقسطاً لمن داخل صندوق وقدس أقداس للقدوس الأزلي في قبة الزمن.

على أن المسيح وإن كان للعذراء مولودا فهو لها قدوس ومخلص كذلك "لأن المولود منها هو القدوس وابن الله يدعى". من اجل ذلك راحت العذراء تسبح لله قائلة "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لو١: ٤٦). فأمسى بذلك لها راعيا صالحا بين السوسن. كيف لا وهو الذي رعاها بروح قدسه فوق جبال القداسة وهضاب البر؟ كيف لا وهو الذي رعاها بين سوسن المحبة وحمائل الفداء؟

وذلك ليس لها فحسب بل لجميع العذارى اللواتي قد انحدرن من صُلبها بالإيمان انحداراً. نعم هناك في الأعالي حيث حدائق السوسن وبساتين النرجس ورياض القديسين، يرعى المسيح حبيبته وعذراءه ليجني منها العواطف الحبية صافيةً والأفكار العقلية نقية والتضحيات الجسدية ذبيحة. ويجمع ثمره النفيس. وان كانت العذراء مريم بدالة التجسّد تقول "حبيبي لي وأنا لحبيبي"، فلكنيسة العذراء التي للقديسين أيضاً الحق أن تقول "حبيبي لي وأنا لحبيبي " لأنها هي الأخرى عذراء وابنة العذراء بالإيمان والقداسة.

لذلك على الكنيسة وهذه المقامات الإلهية أن تتخلى أولاً عن عشاقها الأولين واصحابها الاسبقين. لانه كيف يتسنى للكنيسة أن تكون للمسيح حبيبة وسوسنة ما لم تجسد المسيح كالعذراء في احشائها تجسيداً روحياً ولاهوتيا؟ كيف يتسنى لها ذلك مالم تتمخض بالمسيح تمخّضاً وتلده بالإنجيل والروح القدس للعالم ابناً مكملاً ومخلصاً تماماً؟ فالكنيسة العذراء المقدسة إذاً هي الكنيسة التي قد انفصلت عن الخطية وروح العالم انفصالاً. وصلبت الجسد وأهوائه وشهواته وخُتنت بالمعمودية والإيمان ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم بشريتها (كو٢ :١١).

نعم الكنيسة العذراوية هي الكنيسة التي تسلك بحسب الروح القدس وليس بحسب روح العالم. وهي التي تتقدس بالروح القدس والكلمة الأزلية يسوع المسيح كالعذراء بشارة وحبلاً وميلاداً. لتكون بحق كنيسة نقية تعاليمها. إنجيلية عقائدها. أصيلة تقاليدها. أبوية طقوسها. إلهية أسرارها. روحية مسالكها. فدائية رسالتها. كنيسة هذه هي شخصيتها يحق لها كالعذراء أن تقول عن المسيح "حبيبي لي وأنا لحبيبي الراعي بين السوسن".

أما الكنيسة الاسمية التي حسب العالم والجسد. فهي كنيسة زانية عن محبة المسيح. مُضلّة تعاليمها. خرافية عقائدها. مستحدثة تقاليدها. بشرية طقوسها. فريسية ديانتها. جسدية مسالكها. ناموسية رسالتها. صدوقية عقليتها. هيروديسية أحكامها. كيف لا وهي لا تمتلك من المسيح المصلوب سوى القميص المنسوج ومن الإنجيل إلا الغلاف الذهبي ومن الصليب الشعار الشكلي المسبوك فقط. وما الفائدة من كنيسة تقّبل المسيح مع الاسخريوطي في البستان ثم تبيعه بثلاثين من الفضة وتسلمه بسبعة عشر شهوة جسدية ملتهبة بين النيران (غل٥: ١٩) وتنكره بثلاث قبلات عالمية هي شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة في عالم الشيطان (١يو٢: ١٦)؟ وهل من خير يرجى من زوجة تتملق زوجها نهاراً وتخونه ليلاً ؟تكرمه صباحاً وتهينه مساء؟ تتودده علانية وتزني عنه خلسة؟ ليتم فيها قول النبي ارمياء "أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين... فامتنع الغيث و لم يكن مطر متأخر. وجبهة امرأة زانية كانت لك. أبيت أن تخجلي"(ار٣: ١-٣).

ترى من هم هؤلاء الأصحاب الذين قد زنت معهم الكنيسة الاسمية هكذا؟ أليسوا أصحاب البدع والهرطقات والتعاليم الغريبة المتنوعة المميتة؟ أليسوا أرباب الخرافات العجائزية والمنازعات الناموسية والأرواح الفريسية؟ أليسوا معلمي الصدوقية والفلسفات الابيقورية والنظريات المضلة؟ أليسوا الفراعنة المستعبدين والبابليين المسبيين والملوك الظالمين الخليعين وعظماء هذا الدهر الباطلين؟

نعم انه عبادة المال بصنمه المنصوب في دوارة بابل العالمية. انه تمجيد العرش حيث يجلس هيرودس خطيباً في حلته الملوكية. إنها الحلة البراقة التي قد طمع فيها جحزي خادم اليشاع النبي فأخذها من يد نعمان السرياني. إنها أجرة الإثم التي أخذها بلعام

من بالإثم راشية (٢بط٢: ١٥). اجل إنها الشهوات الشبابية المحرقة والانحرافات الحسية المشتهية والمغريات العالمية المثيرة. هذه هي الأصحاب التي راحت الكنيسة اليوم تزني معها في الخفاء زنى وتتعامل معها تحت جنح الليل تعاملا تاركة يسوع المصلوب معلقاً لذاته وعارياً. فكيف إذاً لا يمتنع غيث النعمة عن القلوب وينعدم مطر الروح عن النفوس؟ بل كيف لا تتقسى كنيسة هذا شأنها وتتلك جبهتها؟

حقا لقد حان الوقت لتخجل الكنيسة خجلاً من عريها واستهتارها وخياناتها مع هذا وذاك في اسفل الوادي. لقد حان الوقت للكنيسة أن تمزق القلوب لا الثياب في حضرة المسيح وكمجدلية ذات سبعة أصحاب تكسر القارورة وتبلل قدمي يسوع بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها. اجل لقد حان الوقت للكنيسة الشكلية أن ترجع إلى الوراء وتتطلع إلى كنيسة آبائها لترى كيف كانت. وتتأمل كنيسة قديسيها لتعرف كيف عاشت. وتخطط حياتها اليوم بمقتضاها. قولي لي فقط يا كنيسة القرن العشرين. "كيف صارت القرية الأمينة زانية. كان العدل يبيت فيها. أما الآن فالقاتلون. صارت فضتك زغلاً وخمرك مغشوشة بماء ورؤساؤك لغفاء اللصوص. كل واحد منهم يحب الرشوة ويطلب العطايا" (اش١: ٢١-٢٣).

ولكن كيف تصير الزوجة خائنة لبعلها؟ أليس بضحالة حبها لزوجها. بجهلها لمحبة حبيبها. بعدم اكتفائها بمحبة حبيبها. بميوعة عواطفها وانحلال أحزمة شخصيتها. بسهولة انقيادها لاعداء حبيبها؟ أليس لاجل شهوة شيطانية جاثمة في القلب؟ وجهل مخيم على العقل؟ ومرض مستفحل في الروح؟ أليس لاجل أكلة عدس؟ لاجل قميص شعاري؟ لاجل ثلاثين من الفضة؟ لاجل قدر من اللحم؟ لاجل طعام خرنوب مع الخنازير؟ لاجل عرش متضعضع للهيروديسيين وعصابة عريضة

للفريسيين؟ اجل لاجل هذه الاعتبارات الرخيصة باتت الكنيسة الاسمية زانية عن محبة المسيح. فصارت بذلك ملحاً فاسداً مداساً من الناس ومهاناً.

ألا فلتسمع كل امرأة زانية بل كل كنيسة خائنة صوت الروح القدس الناطق في الرسول يوحنا وهو يتمول "سقطت سقطت بابل العظيمة. وصارت مسكناً للشياطين. ومحرساً لكل روح نجس. ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت لأنه من غضب خمر زناها قد شرب جميع الأمم. وملوك الأرض زنوا معها. تجار الأرض استغنوا من وفرة نعيمها. من اجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها. موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الذي يدينها قوي" (رؤ١٨: ١-٨).

والآن أليست بابل هذه هي رمز للكنيسة الاسمية والتي تسلك بحسب الجسد واركان العالم الباطلة؟ حيث السبي بالخطيئة والتعبد العقلي والروحي والحياتي لسيادة الشياطين. لأن كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد" (يو٨: ٣٤،٣٥).أو أليس سقوط بابل هو رمز لسقوط الكنيسة المسبيّة من النعمة إلى النقمة ومن القداسة إلى النجاسة ومن الإيمان إلى الإلحاد ومن الحق إلى الباطل ومن قمم الفداء إلى منخفضات الأنانية؟ أليست الشياطين والأرواح النجسة والطيور النجسة المتجمعة في بابل حيث الخرب هي رمز لعبادة الأصنام المادية والروحية والبشرية ومثال للتعاليم الغريبة المتنوعة والبدع والهرطقات الخبيثة المهلكة وشبيهة بالأعمال الشريرة والأفكار الخبيثة المميتة وعنوان للخيانات الزوجية والكنسية؟ أو لم تكن بابل هذه رمزاً للكنيسة الزانية؟ فعلام إذاً تسمى امرأة ونحن نعلم أن الكنيسة الحقيقية الروحية تسمى امرأة الخروف (رؤ١٩: ٧)؟

أما أنت يا امرأة الخروف المذبوح ويا وعلته الأمينة الزاهية وحبيبته الأمينة الثابتة وكنيسة إبكاره ورسله وقديسيه. إنك وبحق مركبة من نار تحمل كالعذراء في أحشائها ملك الملوك إلى الخليقة كلّها. إنك شجرة الملكوت المغروسة في قلب الأرض تتحدين الشيطان. ومع كونك صغيرة كحبّة خردل في أصلك ولكنك قد كبُرت حتى أن طيور السماء قد استظّلت بين أغصانك. اجل وان كنت في اصلك عصا يابسة وأممية ناشفة ولكنك كالعذراء في تابوت المسيح وقبره الجديد، قد اخضررت واينعت واثمرت لوزاً شهياً للحياة. نعم إنك الجزة الصوفية وقد أخذت من الخروف المذبوح لتكوني للعراة ثوباً وللمرتجفين من برد الشتاء والخطيئة غطاءً ودفئاً. وليس ذلك فحسب بل ولا يزال يُعصر منك ماء للحياة عذباً يسقي جميع عطاش البيادر والحقول الذين كادوا يموتون عطشاً من حرارة الصيف ويبوسة القيظ (قض٦ :٣٧).

وأما أنت يا كنيسة الدهر. ياسليلة الآباء القديسين. ويا ابنة العذراء والعذارى الحكيمات المدعوات. إن لم تعرفي الطريق اليوم من كثرة الضباب والغيم فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة.إن لم تعرفي الطريق اليوم، قفي على الطريق واسألي عن السبل القديمة واتّبعي ما هو الطريق الصالح فتجدي راحة لنفسك. ولا تقولي اليوم ايتها الكنيسة كما قال بالأمس الذين سبقوك في العصيان "لا نسير" (ار٦: ١٦). وحذار أن تقولي أيضاً "للرائين لا تروا. وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات. كلّمونا بالناعمات. انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق. ميلوا عن السبيل. اعزلوا من امامنا قدوس القديسين" (أش٣٠ :١٠_١١). ولكن ليكن كلامك أبداً "حبيبي لي وانا لحبيبي الراعي بين السوسن" يرعاك بين سوسن

قديسيه ويقودك بين خمائل مختاريه. فتهتفين مع داؤد قائلة "الرب راعي فلا يعوزني شئ في مراع خضر يربضني والى مياه الراحة يوردني" (مز٢٣ :١١).

وأنت أيها القارئ العزيز. أتحب المسيح كوحيد لك في الحياة الحاضرة والعتيدة شأنك في ذلك شأن العذراء مريم وكنيسة القديسين؟ أم انك تبغضه كما أبغضته حواء القديمة الساقطة وسائر النسوة اللواتي لا يلدن إلا نغولاً وخطاة واشرارا؟ اتتعشق المسيح الآن أيها القارئ العزيز كما تعشقه القديسون في الحياة وحيداً وحبيباً؟ أم انك تزني عن محبته لاهوتاً وفداء كما زنى عن محبته الذين سبقوك في الخيانة والارتداد وعمل الشيطان؟ من هو حبيبك الأول اليوم؟ الجمال والجنس أم المسيح؟ المقام والمركز أم المسيح؟ الجيب والبطن أم المسيح؟ المكياج والزينة الخارجية أم المسيح؟ الثياب والأزياء أم المسيح؟ البيت والسيارة أم المسيح؟

أيها الإنسان تعشق المسيح الذي فيه "مذخر جميع كنوز المعرفة والعلم" (كو٢ :٣). "ومصدر كل فن وجمال" (مز٤٥ :٢). "وعلّة كل مركز أصيل ومقام رفيع" (في٢ :٩_١١).

وأنت ايتها النفس، هل تسلّقت جبل سيناء وخلعت عن قدميك النعلين الجسدي والعالمي ورأيت من ثم بالروح التجسد الإلهي خلال القديسة مريم وذلك كما رآها موسى النبي من قبلك؟
هل ذهبت إلى نهر خابور ورأيت هناك رؤى القدير والمسيح مُمجّد فوق مركبة العذراء النارية وعلى المركبة الرسولية الملتهبة وذلك كما رآها النبي حزقيال من قبلك (حز١ :١_٢٨).

هل أنت يا نفسي عصاً يابسة نظير عصا قورح وداثان وابيرام وعصابتهم وهي مهيأة لحريق النار أم انك عصاً خضراء مثمرة داخل تابوت الفداء كعصا موسى وهرون التي أفرخت وأثمرت لوزاً هو المسيح يسوع؟ هل تدفأت حقاً بجزة الصوف اللين للحمل المذبوح من قشعريرة الخطيئة ورجفة الموت وصرير الأسنان في أعماق الهاوية؟ أم انك لا تزالين عريانة وعارية ترتجفين برداً وتترنخين خطيئة وترتعبين دينونة وتتلوين عذاباً وقلقاً؟ هل شربت من الماء المعصور من جزة الخروف المذبوح يسوع المسيح يا ساكنة البيادر والحقول لترتوين وتحيين وتخلصين أم أنك لا تزالين تستقين مع السامرية الجامحة والمجدلية الخاطئة ماء من الآبار الجسدية آسناً وشهوة من مستنقعات الضفادع ملّوثة؟ اجل يا نفسي هل أنت للحبيب والحبيب لك يرعاك بين السوسن أم انك للشيطان والشيطان لك وهو يرعاك بين الحنظل؟ ولكن تذكري فقط يا نفسي أن كل من يشرب من ماء السامرية والحب الرخيص يعطش أيضاً ومن يشرب من الماء الذي يعطيه يسوع المسيح وهو الحب الثمين لا يعطش إلى الأبد.

١٧- إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع واشبه ياحبيبي الظبي أو غفر الأيائل على الجبال المشعبة

اجل في الصليب قد صار المسيح للعذراء رباً وللكنيسة مخلصاً وللنفس البشرية رباً ومخلصاً. لأن صليب المسيح قد صار الحد الفاصل بين الظلام والنور. بين الموت والحياة. بين الباطل والحق. وبين العلالي والمواخير المظلمة التي تخبطت فيها البشرية قروناً وتلوثت بين شعابها عصوراً.

ولكن كيف يتسنى للمسيح الحبيب أن يخلص حبيبته الإنسانية من هذه الورطة ويخرجها من هاتيك الظلمات الكثيفة العميقة، ما لم يتمتع بامتيازات إلهية خاصة وصلاحيات سماوية معينة؟ بل كيف يتبنى المسيح مسؤولية خلاص البشرية بأسرها، إن كان هو مجرد نبي من الله ورسول؟ والله قد اغلق حتى على الأنبياء بالخطيئة؟

هل مثل المسيح في مملكة البشر ميلاداً وقداسة. إعجازاً وتعليماً. شخصية وفداء. وقيامة وقضاء؟ وان كان المسيح هكذا اكثر من إنسان كما انه اكثر من ملاك (عب١: ٤-٥). فهو لذلك الله وقد ظهر في الجسد ليخلص الشعب الجالس في الظلمة والجالسين في وادي ظل الموت"

فالمسيح بصفته اله تام وإنسان تام قد جمع في ذاتية تجسده وفدائه، الحدين الإلهي والإنساني ليوحدهما في ذاته صانعاً سلاماً. من اجل هذا بات المسيح وهذه الصلاحيات الفدائية مذخراً سماوياً مفتوحاً في الأرض ورصيداً إلهياً موضوعاً بين الناس وهو يتمتع بالمكاسب التي قد جاءت حصيلة لتجسده العجيب وفدائه المجيد. بل جاءت حصيلة لانتصاراته على قوات الظلمة، لا لحسابه هو بل لحساب الإنسان. حتى أن جميع مكاسبه باتت ملكاً شرعياً ورصيداً قانونياً لجميع أولاد الله المؤمنين باسم ابن الله الوحيد يسوع المسيح. الميراث الذي أشار إليه الرسول بولس بقوله "فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً. ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو٨: ١٧). حيث لا انتصار من غير حروب ولا مكاسب من غير انتصار. أما المسيح فلقد حارب الشيطان والجسد والعالم وانتصر بحروبه على ثالوث الشر هذا وبانتصاراته هذه قد غنم ملكاً لا في السماء فحسب بل وفي الأرض أيضاً. لا لنفسه فحسب بل ولانسانه الجديد كذلك. من اجل ذلك ترى الكنيسة نفسها وهذه الوقائع

ملزمة بالتبشير مع الرسول بطرس قائلة "لأنه ليس بأحد غيره الخلاص. لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (اع٤: ١٢).

غير أن المسيح في خلاصه للإنسان قد هبط كظبي من فوق الجبال المشعَّبة والسماوات العالية إلى الوديان السحيقة حيث تئن الإنسانية أنيناً عميقاً بعدما سقطت بآدم من أورشليم العالية إلى أريحا الواطئة لتكون فريسة بين اللصوص والشياطين. وبهبوط المسيح هذا قد لامس بأشعة لاهوته السّنية وأنوار فدائه المجيدة هاتيك القلوب المظلمة والعقول المتعفّنة والعظام البالية، ففاح النهار وانهزمت الظلال عن جميع الذين يحبون العيش في النهار. والآن هل يحسب نزول المسيح هذا من فوق الجبال السماوية المشعبة إلى أعماق وادي الموت امتهاناً له واستنقاصاً؟ اجل يحسب صليب المسيح هكذا في نظر سكان الأرض الخطاة وفي نظر الشياطين القساة " لأن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصون في قوة الله وحكمته" (١كو١ :١٨). لأنه متى كانت أحكام الشياطين أحكاماً حقة. ومقررات أبنائهم مقررات عدل. فمن اجل ذلك لا يمكن البتة اعتماد الشياطين في الأحكام "لأن الشيطان كذاب وأبو الكذاب وليس فيه حق".ولا اعتماد العالم الشرير في الموازين "لأن كل ما في العالم شهوة جسد وشهوة عيون وتعظم معيشة". ولا اعتماد الجسد الخاطئ في المقائيس لأن أعمال الجسد ظاهرة والتي هي "زنى. عهارة. نجاسة. دعارة. عباد أوثان. سحر. عداوة. خصام. غيرة. سخط. تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل. سكر. بطر" (غلا٥: ٢٠،١٩). ولا اعتماد أبناء هذا الدهر الذين يبطلون في المقررات "لأن الله قد اغلق على الجميع تحت الخطيئة. ليس بار ولا واحد" (رو٣: ١٠). بل الاعتماد المطلق في أحكام السماء وموازين الحياة ومقاييس الخلاص ومقررات الحق، مناط في البر الأزلي وقد تجسد

والحق الأبدي وقد تأنس. والحب السرمدي وقد تسمر، يسوع المسيح ربنا ومخلصنا.

وإن كان الآب من السماء يقول "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". وإن قالت الملائكة بلسان جبرائيل للعذراء "لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" وإن قال الآب بلسان داؤد "أنت ابني أنا اليوم ولدتك. اسألني فاعطيك الأمم ميراثاً واقاصي الأرض ملكاً لك" (مز٢: ٧). وإن قالت الكنيسة بلسان الرسول بولس "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد. تبرر بالروح تراءى لملائكة. كرز به بين الأمم اومن به في العالم رفع في المجد" (١تي٣: ١٦)، فمن هو الإنسان الخاطئ مولود المرأة برجل، حتى يتحدى إعلانات السماء هذه وينسب لله حماقة في صليبه؟ فصليب الله إذاً هو إعلان عملي لطبيعة جوهره والتي هي "محبة وقداسة وحكمة وحق. فهو لذلك ليس ضعفاً بل قوة. ليس جهالة بل حكمة. ليس عداوة بل محبة. ليس خطيئة بل قداسة. وليس الصليب موتاً كذلك كما قد ألفناه فينا نحن البشر الخطاة. بل موتاً كفاريا وفداء إلهياً وحياة في مملكة الروح أبدية. وإلا هل يحسب تنازل الملك الجليل إلى مستوى شعبه مذلة واحتقاراً؟ أم إجلالاً وتعظيماً؟ وهل يُحسب تنازل المعلم إلى مستوى طلابه جهالة أم رفعة وكرامة؟ وهل يحسب تعاطف الطبيب مع مريضه حقارة أم رحمة وإنسانية ؟ وهل يعتبر استشهاد القائد في سبيل كرامة وطنه غباوة وجهالة أم يحسب ذلك شرفاً وكرامة ومفخرة؟ أفلا ترى معي أيها القارئ العزيز من خلال هذه العينات الحياتية والمستويات الإنسانية الكريمة، أن الصليب في جوهره حب والم وفداء وبالتالي حياة وحرية وانتصار ومجد. وان فكرة استنكار الصليب في الوجود الطبيعي والروحاني إنما هي فكرة شريرة؟ وإلا كيف يسوغ للإنسان الخاطئ الأناني أن يتمجد بالتضحية وهي ملوثة غالباً بالغايات

والمصالح، بينما نحسب ابن الله القدوس يهان بفداء الصليب لأجل الإنسانية؟ اللهم إلا إذا كان الإنسان في مضمار المحبة والتضحية، لإلهه سباقاً. حينئذ يكون الإنسان والواقع هذا هو الأولى بالألوهية والعبادة. ويمسي الإله الحقيقي وكما هو في يسوع المسيح إلهاً مجهولاً وربا ناشفاً وعلى ذاته في أنانيته منطوياً معزولاً. أليس كذلك يا جميع من تململت ضمائرهم في الحق وانتعشت أذهانهم بالروح وتفتحت عيونهم على النور وتحسست أنفاسهم بالحياة وتدغدغت أحشاؤهم بالحب واستنارت عقولهم بشعلة اللاهوت؟

وهكذا نرى الظبي السماوي هذا، بعدما طُعن بسهام إبليس ونبالهم على الصليب وذاق بذاك ألم الموت لأجل كل إنسان، قام من بين القبور منتفضاً في فجر اليوم الثالث وراح يقفز فوق الجبال المشعبة والسماوات المرتفعة من مجد لآخر ومن قوة إلى أخرى قفزات الغالب المنتصر ولم يتوقف عن قفزات بره ونطّات فدائه وتحليقات لاهوته حتى بلغ العرش بجسم بشريتنا وجلس عن يمين الله أبيه ملكاً بإنسانيتنا وسلطاناً في بشريتنا.

والى تحركات هذا الظبي الفدائي المجيد يسوع المسيح أشار الرسول بولس بقوله "واما انه صعد فما هو إلا الذي نزل أيضاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل" (اف٣: ٩-١٠).

فإلى تلك الجبال المشعّبة والسماوات العالية تطلّعت القديسة مريم بعين الروح فتسلقتها روحاً وجسداً لتلتحق بظبيها الوحيد يسوع المسيح كما تلتحق الآيلة بغفر أحشائها. والى ذات الجبال السماوية تطلّعت كنيسة الأبكار فتسلقتها بالروح لتتسلقها بالجسد أيضاً وتلتحق هي الأخرى بالظبي الفدائي السماوي يسوع. والى

هذا الالتحاق الحبي بالظبي الجميل أشار الرسول يوحنا في رؤياه قائلاً "وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة قائلة هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شئ. لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها. واعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً لأن البز هو تبررات القديسين" (رؤ ١٩ :٦ـ٨). أجل إلى ذات الجبال السماوية والقمم الفدائية ينبغي أن تتطلّع الإنسانية لترى الظبي مذبوحاً فوق جبل الجلجثة من اجلها وحياً من اجل حياتها بالقيامة من بين الأموات وجالساً فوق العرش الرفيع لتجليسها. كلّ ذلك لكي يهزم عنها الظلال ويفيح في عينيها النهار لأنه قد أحبها بأنوار نهاره أنهاراً (يو ٧ :٣٨).

أما أنت أيها القارئ العزيز فأين أنت الآن. أفي الوديان السحيقة حيث تكمن اللصوص بين الظلال أم انك فوق الجبال المشعبة حيث يتربع ظبي الفداء بين الأنوار؟ أيها القارئ العزيز أرأيت الظبي المسيح حقاً وتأملت جماله وأقمت فوق جباله المشعبة وعاينت قفزاته اللاهوتية ونطّاته الفدائية فوق العروش في السماوات روحياً؟ أم أن عينيك الشريرة لم تألف إلاّ رؤية الخنازير في الكورة البعيدة وذئاب المساء في الوديان السحيقة والثعالب المحتالة في ألأوجرة العميقة والحيّات والعقارب في الخرب المهجورة؟

ألا إلى ظبي الجبال السماوية يسوع المسيح يا عشّاق الجمال والجلال والى لاهوت المسيح وفدائه يا جميع عطاش الحق والفضيلة والى مقامات المسيح الرفيعة الأبدية يا جميع جياع الحياة والخلود. والى هذا الظبي العجيب يناشدكم الرسول بولس قائلاً "إن كنتم قد متم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين

الله.اهتموا بما فوق لا بما على الارض لانكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله متى اظهر المسيح حيتنا فحينئذ تظهرون انتم أيضاً معه في المجد"(كو٣ :١_٤).

الاصحاح الثالث

١- في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته

إيه، ايتها الكنيسة المحبوبة أيتها الوعلة الزاهية، يا عمود الحق وقاعدته. كيف تتوقعين رؤية المسيح هكذا في الليل وأنت نائمة فوق الفراش نوماً ثقيلاً وعميقاً؟ أهكذا نسيت سريعاً قول الرسول بولس "وانتم أيها الاخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وابناء نهار. لسنا من ليل ولا من ظلمة. فلا ننم كالباقين. بل لنسهر ونصح لان الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون واما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص" (١تس٤ :٨). فكيف تتوقعين إذاً رؤية الحبيب وانت هكذا نائمة وسكرانة في الليل وفوق المضاجع تغطين غطيطاً وتشخرين بالخطيئة شخيراً؟

لقد اختارك الرب منذ البدء لتسلكي لا في الليل بل في النهار. ولتسكري لا بالشهوة القبيحة بل بشهوة البر الصالحة. ولتنامي لا في قلب الليل حيث شياطين الجحيم بل بالنهار حيث قديسي النعيم. وليكن شعارك ذات شعار الرسول بولس القائل "هكذا وانكم عارفون الوقت. إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن اقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما في النهار. لا بالبطر

والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً للجسد من اجل الشهوات" (رو١٣ :١١-١٤).

غير أن الخطيئة إطلاقاً هي التي تشل العصب الروحي في الكنيسة وتميت أحاسيسها وتثقل قلبها بالهموم وعقلها بالخرافات وجسدها بالشهوات والفجور، وذلك لتنام في الليل نوم الموت وترقد رقدتها المهلكة بين القبور. اجل كل الخطايا تميت وتشل الأعصاب وتصلّب الشرايين في الكنيسة. غير أن خطيئة حب الرئاسة هي الخطيئة الأم والمنحدر الأساس والمورفين القتال لأعصاب الكنيسة الروحية وأحاسيسها والتي لا تزال الكنيسة تعاني من أوجاع هذه اللكمة حتى الساعة. كيف لا؟ ومحبة الرئاسة هذه قد أسقطت ملائكة من السماء وجعلتهم شياطين وطردت آدم وحواء من الفردوس وجعلتهما شقيّين وهوت بهيرودس من فوق عرش المُلك وملأته بالدود وتركته بين النتنين، وليس ذلك فحسب بل راحت هذه الحية الرقطاء القديمة تمد رأسها بين تلاميذ الرب وتنفث سمومها بينهم فيتشاجروا، ليكون كل واحد منهم هو الأعظم في ملكوت السيد. الأمر الذي احزن قلب الرب فصار يوبخهم بقوله "أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. واما أنتم فلا يكون فيكم هكذا. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ومن أراد أن يكون فيكم اولاً فليكن لكم عبداً" (يو٢٠ :٢٥). وسيبقى هذا الروح الشيطاني مصدر شقاء الإنسانية وعلّة مشاجرة وانشقاق في الكنيسة وسبب تعطيل الكرازة الإنجيلية وعلّة نوم في ليل الخطيئة، مادامت قلوب التلاميذ غير معمَّرة بمحبة المسيح وغير ممتلئة من روح قدسه وغير معبّأة من كلمات إنجيله شأن الرسل في يوم الخمسين.

وأما كنيسة اليوم فهي تُنشِد سلوكاً وسطاً بين الليل والنهار، بين النوم والسهر، بين النجاسة والقداسة، بين الباطل والحق، بين الإلحاد والإيمان، بين الشيطان والمسيح، بين كبرياء هذا ووداعة ذاك. من اجل هذا راحت الكنيسة اليوم ترتدي ثوباً منسوجاً من الصوف والكتان وتزرع حقلها الكهنوتي قمحاً وشعيراً بعدما حرثته بالثور والحمار فداناً(تث٢٢: ١٠-١١). وبهذا تحيا الكنيسة حياة مزدوجة متناقضة، في القداسة والنجاسة وتقتات القمح والشعير طعاماً مختلطاً وتعمل بالثور والحمار عملاً فدائياً وذاتياً متناقضاً وتلبس الكتان والصوف بل البر والإثم رداء منسوجاً موحداً، متناسبة بل متنكرة لكلمات الرسول بولس القائلة "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لانه أية خلطة للبر مع الإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأي اتفاق للمسيح مع بليعال وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان" (٢كو٦ :١٤_١٦).

ولكن، ألا تتسابق كنيسة اليوم وبكل طاقاتها ومستوياتها على ارتداء الثوب الصوفي المعرّق والمتسخ وتتناول خبز الشعير الحيواني وتحرث الحقول بروح الحمار والذات؟ أفلا تلبس الكنيسة الرئاسة اليوم صوفاً وتقتاتها شعيراً وتمارسها غباوة حيوانية؟ وإلا علام تركت الكتان ثوباً نقياً ابيضاً وبراً مجيداً صالحاً وعافت خبز القمح السماوي الروحي طعاماً وتخلّت عن ذبيحة الثور والفداء حياة وعملاً؟ بل علام هذا التناحر على المناصب والكراسي والتعطّش المحرق للكبرياء الروحية في كنيسة المصلوب يسوع؟ أهذا هو روح يسوع المصلوب؟ أهذا هو الإنجيل الذي كرز به مار بولس أسير يسوع المسيح والمقيد في سلاسل؟ أهذا هو واقع كنيسة القديسين والآباء الذين منذ الدهر؟ فكيف لا تنام الكنيسة وتتخدر عصباً وتتصلّب شرياناً وقلباً وتفقد الحس، لتلبس ما لا يليق وتأكل ما لا ينفع وتعمل ما لا يجب؟ بل وكيف

إذاً تتوقع الكنيسة رؤية الحبيب المسيح.وهي نائمة هكذا بين ظلمات كهذه؟ لأنها وبكل غباوة تقول "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته" وفوق كل هذه الغباوة لا تزال الكنيسة تتبجح بقوة المال والرجال مع الأعمال تبجحاً وتفتخر بملائين الأتباع تفاخراً.

ولكن أيهم الله المال حقاً، إن كرِّس للأمجاد الذاتية؟ أيهم الله الرجال، إن باتوا رجالاً في الشر وعمالقة في الأنانية والاستغلال والمظالم وعمل الشيطان؟ أتهم الله الأعمال وقد تكدّست كالجبال، إن استهدفت تأليه الإنسان وعلى حساب أمجاد الله، أمجاد الفداء؟ أم يهمه تعداد النفوس وإحصاء الملائين من الأتباع إن عاشوا عبيداً للخطيئة وأكواماً من العظام اليابسة بين القبور؟ وإلا أين هي اليوم المحبة الدافئة التي كانت تحصر الرسل حصراً في أحشاء يسوع المسيح؟ أين هي اليوم قوة وطاقة الروح القدس العاملة في القديسين و المختارين؟ أين هي سفارة إنجيل يسوع المسيح في الصعيدين الكنسي والعالمي ولو من دون سلاسل؟

حقاً محبة الرئاسة في الكنيسة هي التي قد نزعت المحبة من القلوب والحياة من النفوس وأنوار الحكمة من العقول وأطفأت من الموقد نيران الوقود بل حوّلت سفارات المسيح المصلوب من السلاسل والسجون إلى إمارات وعروش. وعبثاً تحاول الكنيسة اليوم الخروج من الظلام والنهوض من الحفرة والإفلات من الفخ، إن لم تكسّر هذا الصنم الذهبي الأساس "الكبرياء" الذي قد نصبه الشيطان، وذلك بمطرقة الإنجيل وطاقة الروح القدس وتنصب لها مكانه مسيحاً حياً مصلوباً فوق خشبة تتعبّد له بالروح والحق تعبداً وترنّم له بالروح والنفس ترنماً.

حقاً أيامنا، أيام شتاء وقشعريرة وسبوتنا سبوت نوم وجمود. وأزمتنا أزمنة إرتداد وخطيئة. ولكن يا ترى كيف سينتهي هذا الإرتداد المرعب في الكنيسة، والكنيسة بسبب النوم الطويل لا تشخّص إرتدادها هذا ولا ترى طوفانها؟ أينتهي الارتداد هذا بمبدأ الحادي ينتزع الإيمان من القلوب بقوة الحديد والنار؟ أينتهي الارتداد هذا بظهور شخصية سياسية تقيم من نفسها وصّية على الكنيسة بل حاكمة؟ أينتهي الارتداد هذا بظهور شخصية شيطانية دانيّة تستعين بالسلطات الدولية لاستئناف تجربتها من جديد في صلب المسيح ودفنه في القبر والختم عليه وحراسته بذات الأختام والسلطات وذلك بحسب نبوة يعقوب ابن اسحق القائلة "يكون دان (ابن يعقوب) حية على الطريق. افعواناً على السبيل يلسع عقبي الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء" (تك٤٩ :١٧)؟ أم أن الارتداد سينتهي بظهور شخصية كنسية تنافس المسيح لاهوته وفداءه وسلطاته كقول الرسول بولس "لا يخدعنكم أحد على طريقة ما: لأنه لا يأتي إن لم يات الإرتداد أولاً ويستعلن إنسان الخطيئة إبن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله". إلى أن يقول "حينئذ سيستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه. الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا" (٢تس٢: ٣_١٢).

وبالإجماع، إنه لارتداد مرعب خطير قد وقعت فيه الكنيسة الإسمية وستقع، ولا فرق إن كان الإرتداد هذا عن محبة المصلوب يسوع المسيح، جزئياً أم كلياً، كنسياً أم سياسياً، دينياً أم مدنياً، قريباً أم بعيداً. طالما راحت الإنسانية تتنكر لخالقها تنكراً وتزني الكنيسة عن فاديها زنى. من اجل ذلك بات لزاماً على الكنيسة اليوم وكل مظاهر الرِدّة والظلمات المدلهمة هذه، أن تتوب اليوم من القلب وتتحصّن بفلك

النجاة مع نوح، لأنه بعد قليل سيفيض الطوفان وينفجر البركان وتلتهم نيران الإرتداد ولو أمكن حتى المختارين ايضاً.

أجل على الكنيسة اليوم أن تسحق بقوة يسوع الحيّة الدانيةالمتسترة على طريق الكنيسة والافعوان الداني على السبيل والغطرسة الشيطانية من الطريق والسبيل، قبلما تلسع الفرس وتُسقِط الراكبين بالارتداد إلى الوراء. وان تتمثل بالعذراء مريم تواضعاً وبكنيسة القديسين إيماناً وجهاداً واستشهاداً. وان تطلب الحبيب المسيح فيما بعد لا في الليل حيث ظلام الخطيئة بل في النهار حيث أنوار القداسة ولا على فراش الكسل والنوم بل في حقول المزارعين وبيادر الفلاحين.

نعم في المصانع والمعامل، في المعاهد والمكاتب، في المدارس والكنائس، في مفترق الطرق والساحات، في السجون والمعتقلات، في المصحات والمستشفيات لا بل في الصرائف وأكواخ الفقراء. أجل هناك ترى الكنيسة حبيبها، وليس فوق الأسّرة الوفيرة الناعمة حيث القصور والمقامات وحيث البطر والدلال وتشحُّم أصحاب الذوات.

والآن أيتها النفس البشرية أين تنامين وفي أحضان من تضطجعين؟ أتنامين داخل الكنيسة في أحضان المسيح بالمحبة والإيمان أم خارجها في أحضان الشيطان بالنجاسة والإلحاد؟ أتتكئين في بيت أبيك فوق صدر المسيح مع يوحنا الحبيب أم خارج بيت أبيك فوق صدر الشيطان وأنت تحتضنين أزواجاً خمسة كالسامرية وسبعة كالمجدلية؟ أتتوسدين المسيح صخرة مع يعقوب في بيت إيل وتفترشين صليب المسيح فراشاً وتلتحفين أكفان الفداء لحافاً أم انك تتوسدين الشيطان وتفترشين العالم وتلتحفين بالجسد وأعماله التحافاً؟

أيتها النفس، انك تقدرين اليوم أن تنامي كما يحلو لك ان تنامي وتضطجعي بالخمر والموبقات ماشاء لك ان تضطجعي وتتعرّي عن كل ثوب للكرامة كما أردت أن تتعرّي وتأكلي من كل وعاء نجس كما ترغبي ان تأكلي. أجل تستطيعين كل ذلك وتزيدي لأنك في الظلمات تقيمين وفي أعماق الليالي تنامين. ولكن اعلمي هذا فقط يا إبنة الليالي وعروسة الظلمات، إنه بعد قليل سيفيح النهار ويشرق كوكب الصبح المنير يسوع، وتُمسكين بكمّاشة بره وفخ فدائه ومصيدة لاهوته. فأين ستختبئين يانفسي بعدما تُمسكين عريانة وعارية. حقاً "مخيف هو الوقوع بين يدي الله القدوس" (عب١٠: ٣١). لذلك كل ما يقوله لك الحبيب الآن هو "يا طابيثا قومي" (لو٨: ٥٤).

٢- إنيّ أقوم أطوف في المدينة. في الأسواق. وفي الشوارع اطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته

يالها من غباوة دكناء وحماقة في الحب عمياء ومحاولة في رؤية الحقيقة بلهاء، تتوسلها الكنيسة وسيلة في إيجاد الحبيب، في مدينة العالم المظلمة تارة وفي أسواق أباطيلها وشوارع شرورها تارة أخرى. لأنه متى كانت مخارج المسيح القدوس من عالم خاطئ كهذا وفي مدينة مُعتمة بالمظالم كهذه؟ ألم يقل النبي ميخا عن المسيح "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخاه :٢)؟ ألم يشهد له يوحنا المعمدان قائلاً "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. والذي من الأرض هو ارضي ومن الأرض يتكلّم. والذي يأتي من السماء هو فوق الجميع" (يو٣: ٣١)؟ ألم يقل المسيح عن نفسه "خرجت من عند الآب. وأتيت إلى العالم. وأيضاً اترك العالم واذهب إلى الآب" (يو٣: ٢٨)؟ فكيف ينجب عالم شرير كعالمنا شخصية قُدسية كشخصية المسيح. وتنبت في مدينة ميتة كمدينتنا شخصية حيّة كشخصية المسيح؟

فهل يحق للكنيسة أن تفنش عن حبيبها في عالم شرير كهذا وفي مدينة ميتة كهذه؟ لأنه كما أن السماء لا تقدر أن تقدم من عندها إلا ما كان صالحاً وباراً وحقاً ابيضاً وحباً احمراً وخيراً مطلقاً كالمسيح يسوع، هكذا المدينة الأرضية ايضاً لا تستطيع أن تقدم من عندها إلا ما كان شريراً آثماً وباطلاً وعداء وشراً مطلقاً كروح الشيطان لان كل ما في هذه المدينة العالمية هو شهوة للجسد وشهوة للعيون وتعظم للمعيشة (١يو٢ :١٦).

ألست تعلمين أيتها الكنيسة أن المدينة العالمية الخاطئة وإن ارتفعت مثل كفرناحوم إلى السماء ستهبط إلى الهاوية. وإن أقامت برجاً رأسه يلامس السماء فمن هناك سيهوى إلى الأعماق ولا يترك فيه حجر على حجر لا ينقض، كهيكل سليمان؟ كيف لا، والشيطان كالأفعوان لا يزال يربض في هذه المدينة ويزحف في أسواقها ويتلوى في شوارعها بل ينفث السموم والموت في كل مجالاتها وأصعدتها؟ اذا لا يجنون من الشوك تيناً ولا من العليق عنباً ولا من العالم الشرير مسيحاً كالمسيح يسوع باراً. وإلا هل لمسيح السماء صوت في مؤتمرات هذه المدينة العالمية؟ وهل لأسمه الجليل ذكر ما في مقررات رؤساء هذه المدينة؟ وهل لإنجيل المسيح هذا مكانة ما في معاهد هذه المدينة وجامعاتها وهل هو شعار فوق هيئات أممها؟ وهل صليب المسيح هذا علم يرفرف فوق دوائر وزاراتها؟ وهو في الواقع من مات من اجل كرامتها وعزتها. فمن أين إذاً قد جاءنا العالم بالسلام، والشيطان قد كسر ظهره بسيف الانتقام. ومن اين اتانا العالم بالحرية، وابليس قد أسر هذا العالم بسلاسل العبودية والخطيئة. وكيف يبشّرنا هذا العالم بالحق والمساواة والعدل وهو نفسه مستعبد للباطل وبالمظالم أسير؟

ولكن ما للكنيسة والعالم بعدما قد وُضعَ كله في الشرير هكذا (١يو٢: ١٦)؟ ومالنا نحن المؤمنون باسم ابن الله والعالم هذا قد حفظ لدينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام (يه٦: ٧). لانه هكذا مكتوب في كتاب الله عن هذه المدينة العالمية الشريرة "تتحول أنهارها زفتاً. وترابها كبريتاً. وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً، لا تنطفئ. إلى الأبد يصعد دخانها. من دور لدور تخرب. إلى ابد الآبدين، لا يكون من يجتاز فيها. ويرثها القوق والقنفذ. والكركي والغراب يسكنان فيها. ويمد عليها خيط الخراب، ومطمار الخلاء. أشرافها ليس هناك من يدعونه الملك. وكل رؤسائها يكونون عدماً. ويطلع في قصورها الشوك. والقريص والعوسج في حصونها. فتكون مسكناً للذئاب. وداراً لبنات النعام. وتلاقي وحوش القفر، بنات آوى. ومعز الوحش يدعو صاحبه. هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً. هناك تحجز النكازة وتبيض وتفرخ وتربي تحت ظلها. وهناك تجتمع الشواهين بعضها ببعض" (اش٣٤ :٩_١٥)؟ أليست بابل هذه بخرابها صورة فوتوغرافية لخراب المدينة العالمية المظلمة؟ أليست حيوانات بابل الشرسة هذه وزواحفها السامة هذه وطيورها الكاسرة هذه، مثالاً للأشرار القائمين طراً على وجه الأرض؟

فكيف اذاً لا تصير الكنيسة الاسمية، كنيسة جاهلة وهي تتلمس من عالم هذه هي حيواناته وزواحفه وطيوره، سلاماً؟ وكيف تتلمس الكنيسة من عالم تلك شروره وأشراره، مسيحاً حبيباً قدوساً؟ وعلام لا تطلب الكنيسة مسيحها من مصادره السماوية الأزلية ومن إعلاناته التجسّدية العذراوية ومن باكورة كنيسته الرسولية لتراه جيداً وتسمعه واضحاً وتلمسه يقيناً، بل راحت تطلبه اليوم من العالم، لا مسيحا يسوعاً ومصلوباً بل مسيحا كذاباً؟ وليس ذلك فحسب بل راحت تزداد جهالة وتكثر ضلالة بتلمسها رؤية الحبيب عن طريق الحرس الطائف في المدينة بقولها "وجدني الحرس الطائف في المدينة. فقلت أرايتم من تحبه نفسي".

٣- وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرايتم من تحبه نفسي

والآن ايتها الكنيسة التي حسب الجسد، يا هاجراً تائهة في البرية. من هم هؤلاء الحراس الطائفون في المدبنة حتى تسألينهم عن الحبيب هكذا؟ أليسوا جميعاً من أبناء هذه المدينة المظلمة بالخطيئة والمنذرة بالهلاك؟ ألم يتربى هؤلاء الحراس في هذه الأسواق، اسواق الأباطيل ويتخطوا في هاتيك الشوارع الواسعة المؤدية إلى الهلاك؟

اجل إنهم حراس، ولكن حراس من عسى أن يكون هؤلاء الطائفون في اسواق المدينة وشوارعها؟ أليسوا هم حراس أرواح العالم النجسة الثلاثة، شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة؟ أليسوا هم حراسا لمقرات الخطيئة وثكنات الظلم ومعسكرات الشهوة؟

نعم انهم حراس وقد تسلحوا حقا بالحديد والنار وحصنوا مدينتهم لكي لا يطأ فيها قدم رسول ولا يسمع فيها بوق إنجيل ولا توقد في ساحاتها شمعة مسيح. أليس كذلك يا هيرودس وبيلاطس؟ أليس كذلك يا نيرون ويوليانس؟ أليس كذلك يا جميع هؤلاء الحراس الطائفين السفاحين، دينيين كانوا أم مدنيين، عسكريين كانوا أم سياسيين، إسرائيليين كانوا أم امميين.

حقا إن هؤلاء الطغاة هم حراس، ولكن للباطل وليس للحق. ورعاة، ولكن للشر لا للخير ونواطير، ولكن للذئاب لا للأغنام. وقوّامين، ولكن للمظالم وليس للعدل. وتجار ولكن للرذيلة والنجاسة وليس للفضيلة. كل ذلك حفاظاً على عروشهم وقد تمرّأت ومراعاةً لجيوبهم وقد تثقّبت وتشحماً لبطونهم وقد أُتخمت وحراسة لشهواتهم وقد أُنتنت وتمّجرت. وعلى مذبح شهواتهم هذه ومعابد مظالمهم هذه وعتبات أصنامهم هذه لا يزال أحفاد هؤلاء الحراس الجهنميون يذبحون الأطفال في

بيت لحم مع هيرودس لعلهم في ذلك للمسيح يذبحون. ويحكمون بالصلب على الأبرياء لعلهم في ذلك ثانية للمسيح يصلبون. وينحرون رسل وأولاد المسيح مالاً وحياة وعيالاً لعلهم في ذلك لإنجيل المسيح لاهوتاً وفداء ينحرون. ولا حرج في ذلك عليهم لأنهم حراس مدينة وحكام مملكة وآلهة شعوب.

فما الخير الذي ترجوه الكنيسة من حراس هذا شأنهم وهذه مقاماتهم وتلك شرورهم ومظالمهم وفجورهم؟ وما الحق الذي تتوسمه الكنيسة من حراس لا تزال أيديهم تنضح دماً للمسيح وشهدائه واخوته ومساكين الأرض حتى أن مياه نهر الأردن برمتها لا تستطيع أن تبيّضها. اليس كذلك يا بيلاطس البنطي رئيس هؤلاء الحراس المجرمين؟

أيها الحراس المحتالون والبيلاطسيون المجرمون، إن كنتم للعدل حراساً وللقانون حكاماً فعلام تسلمون المسيح للصلب كل يوم بمظالمكم وتطلقون اللص باراباس حراً تكميلاً لشروركم؟ أفلا تحكمون بذلك على ذواتكم قبلما يدينكم الحق بأنكم حراس باطل ونواطير شرور؟

أما انتم أيها الحراس فإنكم لمعذورون فيما انتم تفعلون لأن هذه هي مسئوليتكم وتلك هي دعوتكم وهذا هو شان مدينتكم. ولكن ما لك أنت اليوم أيتها الكنيسة الاسمية وهؤلاء الحراس وقد ظلموا وهؤلاء الرعاة وقد تطمعوا وهؤلاء الأصحاب وقد زنوا؟

ألا اسمعي أيتها السكرى مع الحراس بالشهوات ما قاله رسلك القديسين، إن كانوا حقاً لك اليوم رسلاً وقديسين. وهم يقولون في اولئك الحراس الذين قد باتوا منذ

امس وما قبل لك أصناماً وسادة وحراساً. إنهم يقولون "أيها السيد أنت صانع السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها القائل بفم داؤد فتاك. لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل. قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه. لانه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته. هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل" (أع٤ :٢٣_٢٧).

والآن وبعد هذا التشخص الروحي العميق لحراس المدينة المظلمة. كيف تتوقعين رؤية المسيح بينهم وجميعهم عليه متآمرون ولحياته السماوية المباركة على الأرض، ارض الخطيئة، منتزعون؟ حقاً إنه لغباء روحي ثقيل وانحراف عن محبة المسيح المصلوب كبير واندفاع نحو أعمال الجسد والعالم خطير. قد أبتُليت به الكنيسة الاسمية بلاء وأبتُلعت بآباره العميقة الخانقة ابتلاعاً حتى أنها في كل خياناتها هذه قد تغافلت عن حراسها الأمناء (رسلها) تغافلاً وتناست قديسيها تناسياً واستهترت بآبائها استهتاراً.

إذاً فجميل بك أن تفتشي عن حبيبك المسيح ايتها الكنيسة، ولكن ليس في مدينة الظلمة والعصيان بل في مدينة النور والطاعة. وليس في مدينة الارتداد والإلحاد بل في مدينة الثبات والإيمان. وليس في مدينة الظلم والاستغلال بل في مدينة الحق والاسترحام. وليس في مدينة الحراس الفاسقين بل في مدينة الحراس التائبين القديسين. فإلى أورشليم السماوية، لا الأرضية أيتها الكنيسة الشكلية والى كنيسة الروح والأبكار ايتها الكنيسة العالمية والى أرواح الأبرار المكملين ايتها الكنيسة الاسمية والى الرسل حراس الإنجيل والى القديسين حراس كلمة الله والى الآباء حراس مدينة الله على الأرض ايتها الكنيسة الجسدية. هناك اسألي عن المسيح

حبيبك فترينه وأنت تجتازين حراس مدينة الظلمة وتعبرين معاقلهم عبوراً وتتخطين أسوارهم تخطياً.

٤- فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي فامسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي

نعم في تجاوز كهذا لمدينة الظلمة والخطيئة وفي عبور كهذا لشوارعها وأسواقها وأباطيلها وبتحدي كهذا لحراسها وفراعنتها واشرارها، تحظى الكنيسة حقاً برؤية الحبيب كما يقول الرسول بولس ايضاً "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم. وأكون لكم أباً. وانتم تكونون لي بنين وبنات. يقول الرب القادر على كل شيء" (٢كو٦ :١٧_١٨).

ولكن ليكن لك ايتها الكنيسة الحبيبة آذاناً للاستماع وعيوناً للأبصار وعقلاً للتفهم وقلباً للحب وإرادة للتصميم، لكي تمسكي بالحبيب ولا ترخيه فيما بعد. لانه ليس من حبيب بين الأحباء كحبيبك وليس اله بين الآلهة كإلهك وليس بين الرعاة والحراس كراعيك وحارسك أنت. كيف لا وقد احبك حتى الدم، دم الصليب وساد عليك سيادة الحب والحياة ورعاك في السماوات عينها رعاية أبدية صالحة وحرسك من كل ثعلب محتال يعوي في ألاوجرة ومن كل ذئب شرس يفترس في الأودية ومن كل ثعبان شيطان يزحف في الأفئدة. من اجل ذلك يحق له أن يقول "أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠: ١١). ويقول أيضاً "خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياةً أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي" (يو١٠ :٢٧_٢٨). اجل إنها الحراسة الأمينة الصالحة والحياة الأبدية المجيدة والمدينة السماوية المنيرة العجيبة التي قد امتلكناها امتلاكاً بيسوع المسيح.

فإن كان هذا هو شان حارسك وشان مدينة حبيبك، يسوع المسيح. فعلام إذا قد تخليّت عنه أجيالاً أيتها الكنيسة الكورنثية وتناسيته قروناً أيتها الكنيسة الغلاطية؟ حتى انك قد غُرر بك تغريرا في مدينة الخطيئة واستعمرت ثقيلا لحراس الشرور؟ فمن هم هؤلاء ومن أين جاؤا؟ الست تعلمين إن هؤلاء هم سراق ولصوص ولم يدخلوا كنيستك من الأبواب بل طلعوا عليها من موضع آخر بروح الرياء والتجسس والغرض. كيف لا والسارق لا يأتي إلا ليذبح ويقتل ويهلك؟ يذبح الحق في محكمة الباطل ويهلك الإنسان في إمبريالية الشيطان ويقتل الخير في مملكة الشر. كيف لا يكون هؤلاء الحراس المأجورون لصوصا وقد جاؤا ليسرقوا حق الإنسان وابن الإنسان على حد سواء؟ وهل هناك فرق بين السراق، إن كانوا فريسيين وصدوقيين داخل الكنيسة أو هيرودسيين وبيلاطسيين خارجها طالما الكل متفقون على صلب المسيح وقتل البشر البائسين فيه وقتله فيهم؟ لذلك تجاوزي الحراس داخلاً وخارجاً ايتها الكنيسة، إن أردت يقيناً أن تكوني للمسيح كنيسة حبيبة وسفيرة، لأنهم حراس هيرودسيون وبيلاطسيون ورعاة قيافيون وحنانيون مأجورون، وتجاوزي مدينتهم لأنها مدينة سدوم وعمورة وهي تعج بالفساد وتفيض بالخلاعات وتتفجر بالظلمات، واخرجي من أسواقها لان أسواقها أسواق كذب وغش، بل أسواق باطل وتيهان. اعبري شوارعها وأزقتها لأنها شوارع زفت وأزقة كبريت. حقاً قد ارتد الحق فيها إلى الوراء والعدل يقف بعيدا، لان الصدق قد سقط في شوارعها والاستقامة لا تستطيع الدخول وصار الصدق معدوما والحائد عن الشر يسلب (اش٥٩ :١٤_١٥).

ألا لنخرجن إذاً ايتها الحبيبة خارج مدينة الظلمة هذه، بل خارج أورشليم الزانية والصالبة ونحمل عار المسيح الحبيب، بل مجده لان ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة (عب١٣ :١٣_١٤).

نعم هناك ترين الحبيب معلقاً بين الأرض والسماء مصلوباً. فامسكيه ولا ترخيه بعدما جرّحك الحراس القساة دهراً وأذلّك الرعاة الأشرار زمناً. اثبتي فيه واحذري الردة الجامحة ثانية، ولا ترجعي بقلبك إلى المدينة التي صلب فيها ربّنا والتي في شوارعها تطرح جثث قديسي إلهنا ،والتي تدعى روحياً سدوم ومصر (رؤ١١ :٨). أجل أيتها الكنيسة امسكي بالمسيح حبيباً ورباً وادخليه إلى بيت أمّك وحجرة من حبلت بك. ولكن ما عسى أن يكون بيت أمّك وحجرة من حبلت بك حتى تُدخلي الحبيب فيها هكذا؟ أليست هي المعمودية حيث تخطط الكنيسة حياتها بمقتضاها توبة وإيماناً؟ أليست المعمودية هي البطن الروحية المولّدة للكنيسة التائبة المؤمنة؟ أليست المعمودية هي المرآة العاكسة لصورة صليب المسيح من فوق خشبة؟ فكيف لا تكون المعمودية إذاً وهذا الواقع التجسدي الفدائي للمسيح الأم السماوية والوالدة المتمخضة بقديسي الكنسية ومؤمنيها وذلك بتقديسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة (اف٥ :٢٦). فإن كانت أحشاء العذراء مريم قد تمخضت يوماً بولادة الرب يسوع، فالمعمودية لا تزال تتمخض إلى الآن بالآم المسيح روحياً لتلد للكنيسة نفوساً جديدة وللسماء أرواحاً مقدسة. اجل في هذا المقام صوّرت الكنيسة المقدسة تصويراً وكوّنت تكويناً، وبهذا المعنى يقول الرسول بولس "إني أتمخض فيكم إلى أن يتصور المسيح في قلوبكم" ويقول "إني قد ولدتكم بالإنجيل".

فإن كانت المعمودية في جوهرها توبة في القلب وإيماناً في البر واعترافاً بالخلاص، فهي بهذا المعنى إنجيل ليسوع المسيح متمخّض لولادة الأولاد. بل من أين للرسول بولس هذا المخاض الروحي الذي راح يتمخّض به لولادة المسيح في الكنيسة؟ أليس من الآلام التي زرعت فيه بالمعمودية والتي راح يجسّدها في حياته ويعكسها بالتالي على الآخرين مسيحاً مصلوباً.

إذاً آلام الرسول بولس ومخاض القديسين، إن هي إلا امتداد لآلام المسيح ومخاضه فوق الجلجثة. ولما كانت المعمودية تجسيداً وإعلاناً لهاتيك الآلام، روحياً وطقسياً،فإنها أمست البطن التي تحبل بالكنيسة والحجرة التي تلدها. وهكذا كان المسيح واقعاً حياتياً في أحشاء العذراء وواقعاً روحياً في أحشاء كنيسة القديسين. وهكذا ينبغي أن يكون في أحشاء كنيسة اليوم. الأمر الذي يتم بالتوبة والإيمان والخروج من مدينة الحراس وأباطيلهم، لان الحبيب لا يزال ينادي قائلاً "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حية تنبع إلى حياة أبدية" (يو٧ :٣٧_٣٨).

والآن قد جاوزت العذراء مريم مدينة الظلمة وعبر القديسون أسواقها وشوارعها والتحقوا بالمسيح راعياً وتمسكوا به حبيباً وتعبدوا له رباً وصاروا له بذلك هياكل وحجرات ومقادس. هكذا على كنيسة اليوم، أن تتمخض بالمسيح تمخضاً وتلده بإنجيل الحياة ميلاداً وتكرز به بين الشعوب كرازة.

وأما أنت ايتها النفس، فأين أنت الآن وبمن تتمسكين وتحبلين؟ أفي مدينة الظلمة الآن تقيمين وفي أسواقها وشوارعها تسيرين وتعبثين لتحبلين إثماً وتلدين خطية؟ أم انك الآن في مدينة النور والحياة تقيمين وفي أسواقها النقية الذهبية تخدمين وفي شوارعها البلورية الطاهرة تتعبدين، لتحبلين برا وتلدين لك وللآخرين مسيحا قدوساً. فإن كنت يا نفسي هكذا في المسيح والمسيح فيك فيحق لك اذاك أن تقولي

٥- أحلّفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألاّ تيقظنّ ولا تنبهنّ الحبيب حتى يشاء

هذه هي أمنية الكنيسة في مسيرتها على الأرض وغاية الحبيبة في جهادها المرير مع شيطان الأرض، وشهوة العذراء في عشرة الحبيب مخلص الأرض. طالما هي في العالم قائمة وفي شوارع مدينته وأسواقها عابرة. ولكن إذ تجاهد هكذا حتى الدم ضد الرؤساء والسلاطين وولاة العالم وأجناد الشر الروحية في السماويات وضد الحراس تعلن وبصورة عملية موالاتها للحبيب المسيح فتحوز النصر بذراع حبيبها القادر على كل شئ. وهي في كل مجالاتها الحبية تنسى نفسها نسياناً، لان الحبيب المسيح قد ساد عليها سيادة وليس ذلك بغريب. لانه إن كانت الحبيبة الجسدية تتخلى عن الذات وماله وتنسى العالم وما فيه، فكم بالحري الحبيبة الروحية، كنيسة القديسين تنسى نفسها نسياناً وتصلب جسدها مع أهوائه صلباً وتتعامى عن العالم ومن فيه تعامياً؟

غير أن انصهار الحبيبة في قلب المسيح هكذا لا يحسب البتة إلغاء لها وضياعاً، بل وجوداً حقاً وحياة فعلاً. لانه انصهار في الوجود ذاته وذوبان في الحياة نفسها. ذلك الواقع الوجودي الذي لوح إليه الرسول يوحنا بقوله "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١ :٤). واختبر ذلك الرسول بولس نفسه قائلاً "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ". وأما الضياع حقاً والهلاك يقيناً فهو في الانصهار الشيطاني والذوبان في الواقع السلبي كقول الكتاب عنهم "غيوم بلا ماء تحملها الرياح. أشجار خريفية بلا ثمر ميتة مضاعفاً مقتلعة. أمواج بحر هائجة مزبدة بخزيهم. نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد" (يه١ :١٢_١٣).

فالكنيسة إذا ما رغبت في رؤية حبيبها المسيح حقاً وباتت في أحضانه يقيناً، عليها أن تتوب عن أصنامها، مادية كانت أم روحية وتقطع بقوة الروح القدس صلاتها مع الغرباء وتهجر مدينة الظلمة وتترك السلوك في أسواقها والسير في شوارعها والتحالف مع حراسها. حينئذ تحظى برؤية الحبيب فتمسكه ولا ترخيه، بل بالمحبة والإيمان تحتضنه احتضاناً إلى أن يشاء الحبيب. كيف لا وقد تمزّقت بكلمات الشرير أحشاؤها وتجرّحت بحجارة الخطيئة أقدامها وتقطعت بسهام الحراس أوصالها وفي برية التيه، في كورة الخنازير قد سقطت جثتها؟

اجل هناك بعيداً حيث لا حب ولا حبيب قد جربت الكنيسة الجسد وأعماله فرأت فيه عدواً لها داخلياً وجربت العالم فرأت فيه عدواً لها خارجياً بل جربت الشيطان ذاته في هذا وذاك فرأت فيه عدواً أولاً وقاتلاً أساساً. فمن اجل هذه الاختبارات الواسعة لسلبيات الحياة وعلى كافة الأصعدة تعلمت الكنيسة الحياة عميقة فتخلت من اجلها عن كل شهوة للجسد عزيزة وتركت كل أمنية لها في العالم حبيبة وثارت في وجه كل خطيئة للشيطان كبيرة، بل تمسكت بكل ما للمسيح من حياة مجيدة.

إذاً انفصال الكنيسة عن المسيح روحاً ونفساً يحسب موتاً وهلاكاً، لانه اتصال مع الخطيئة والشيطان. وانفصال الكنيسة عن الشيطان روحاً ونفساً يُحسب حياة وخلاصاً لانه اتصال مع المسيح وهذا هو الاتصال بل الاتحاد الذي شبّهه الرسول بولس باتحاد الرجل مع المرأة.

وأما من جهتي فيقيني أن الحب الجسدي القائم بين الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة وكما هو الإيمان في المسيح يسوع، إن هو إلا انعكاس ومظهر حسي لذياك الحب

السماوي الروحي القائم أزلاً بين المسيح وكنيسته كقول الرسول بولس "أيها الرجال احبوا نسائكم كما احب المسيح الكنيسة واسلم نفسه من اجلها" (اف١٥ :٢٥). ويا حبذا لو أعادت الكنيسة المنظورة اليوم من جديد النظر في واقع رهبانيتها وحرمان اكليروسها من نعمة الحب الجسدي المقدس هذه. وذلك تخطيطاً بمقتضى قانون الرسول بولس القائل "ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لان التزوج اصلح من التحرق" (١كو٧ :٩).

وأما الآن ففي أحضان المسيح الدافئة ترتمي الكنيسة التي للقديسين وفوق صدره الكبير تتوسد وتستريح لتشبع وداً إلهياً حتى الصباح، صباح القيامة وترتوي حباً حتى الظهيرة، ظهيرة الحياة. فكيف إذاً وهذه الأحضان الإلهية الأزلية الفدائية في المسيح يسوع، لا تستحلف الكنيسة بنات أورشليم قائلة "أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء"؟

ولكن ترى من تكون هذه الظباء وتلك الأيائل التي تُستحلف بها بنات أورشليم هكذا ومن عسى أن تكنَّ بنات أورشليم أنفسهن؟ أليست الظباء والأيائل هم الرسل الذين قد تبعوا الخروف المسيح إلى ينابيع ماء الحياة العميقة الباردة والذين قد خرجوا من الضيقة العظيمة والمدينة المظلمة ولم يتنجسوا مع النساء نجاسة، بل صعدوا المرتفعات الإلهية وتسلقوا الجبال الفدائية وتحصنوا بالمعاقل السماوية، والذين طافوا في جلود غنم وماعز معتازين مكروبين مُذلّين تائهين في البراري والجبال ومغاير وشقوق الأرض (عب١١: ٣٧_٣٨)، بل هاربين من هجمات الحراس الصيادين كما هو مكتوب أيضاً "من أجلك نمات اليوم كله قد حسبنا كغنم للذبح" (رو٨ :٣٦).

اجل الظباء وأيائل الحقول هم الآباء المختارون والرهبان المتعبدون والمبشرون المرسلون الذين أشعلوا شموعهم في مدينة الظلمة فعرّوا أباطيل أسواقها وتحدّوا حراس شوارعها وراحوا يقفزون بقوة الإنجيل كالأيائل قفزات الحرية فوق الجبال "وهم يرفعون أجنحة كالنسور. يمشون ولا يتعبون. يركضون ولا يعيون. يمشون من قوة إلى قوة. ويصعدون من مجد إلى مجد". أجل هناك من علاليهم ومن على قمم جبالهم راحوا يستنشقون الروح القدس رائحة ذكية، ويتنفسونه حياة في القلب والشرايين، وفي العقل حكمة من السماء، وفي الأجساد طاقة من القداسة ملتهبة. حقاً هؤلاء هم الغزلان في الجبال، والظباء في الوديان، والأيائل في الحقول والكروم، الذين عاشوا للمسيح الحبيب وذُبحوا هكذا بسكين الحراس القصابين لأجل الحبيب. فلا عجب والواقع الظبائي والأيائلي القدسي هذا، أن تقتفي الكنيسة بكل قطاعاتها ومستوياتها واتجاهاتها وادوارها اثر أولئك الظباء والأيائل وتتمثل بإيمانهم متجاوبة مع وصية الرسول بولس القائلة "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم"(عب١٣ :٧). وإلا كيف تستطيع الكنيسة أن تتخلص في مسيرتها الضيقة من مغريات بنات أورشليم وفاتنات مدينة صهيون، مدينة الظلمة والحراس، إن عاشت لوحدها بدون ظباء ومن غير أيائل؟ ذلك الالتزام الروحي الذي عززه الرسول بولس بقوله "لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" (عب١٢ :١). اجل من هذا المنطلق، منطلق يسوع المسيح في قديسيه وسحابة شهوده تطرح الكنيسة كل ثقل والخطيئة المحيطة بها من بنات صهيون اللواتي يتشامخنّ ويمشين ممدودات الأعناق غامزات بعيونهنّ وخاطرات بمشيهنّ ومخشخشات بأرجلهنّ (اش٣ :١٦). كيف لا وبنات أورشليم الزواني هنّ بنات الجسد الشريرات وشهواته الخبيثات

اللائي قال عنهن الرسول بولس "واما أعمال الجسد فظاهرة التي هي زنى. عهارة. نجاسة دعارة. عبادة الأوثان. سحر. عداوة. خصام. غيرة. سخط. تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل سكر. بطر" (غل٥ :١٩_٢١).

إذاً فهل تستطيع الكنيسه أن تكون في سلام مع حبيبها المسيح إن تحالفت مع بنات أورشليم تحالفاً قلبياً وروحياً؟ بل كيف تقدر رجالات الكنيسة وقادتها وكهنتها أن تكون في وسطها ظباء وفي حقولها ايائلاً، إن أُخذت هي كذلك في مصائد بنات أورشليم وأُمسكت بفخاخهنَّ واُستعبدت لغمزات عيونهنَّ؟ ولكن كما أن الحبيبة الجسدية تريد المبيت في أحضان حبيبها حتى يشاء، هكذا كنيسة الروح والحق، كنيسة القديسين كذلك تريد الحياة في أحضان حبيبها حتى يشاء. ولما كان المسيح في جوهره الأزلي حب وفي طبيعته الإلهية فداء فهو لذلك لا يشاء التخلي عن جبيبته طالما هي في أحضانه بالتوبة وفي قلبه بالمحبة والإيمان.

إذاً اتحاد الحبيب بالحبيبة هو اتحاد ابدي لا يعرف ضعفاً وشيخوخةً ولا موتاً وانعداماً، كما هو مكتوب "الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (١ يو٤ :١٦). وهكذا قد احتضن المسيح إنسانيته الجديدة وفي شخص العذراء مريم احتضاناً مؤبداً يوم تجسّد منها تجسداً وطعن على الصليب من اجلها طعناً. وهكذا أيضاً احتضنت العذراء مريم المسيح احتضاناً جسدياً واحتضاناً روحياً يوم جسَّدته في أحشائها وولدته بالروح القدس ميلاداً.

نعم في هذا اللقاء التجسدي الفدائي المطلق، اتحد المسيح بإنسانيته والإنسانية بمسيحها. واحتضن المسيح عذراءه والعذراء مسيحها. واحب المسيح حبيبته الكنيسة والكنيسة مسيحها. من اجل ذلك راحت كنيسة المسيح هذه تستحلف

بنات أورشليم الجسديات المائعات وباسم الحب والفداء ألا تيقظنَّ وتنبهنّ الحبيب على خطاياها الماضية لأنها قد تابت وعلى جهالتها الحاضرة لأنها قد آمنت وعلى ضعفاتها المستقبلية لأنها بالفداء قد تقدست. وبسلطان الفداء هذا راح الرسول بولس يتحدى الشيطان في بنات أورشليم قائلاً "من سيشتكي على مختاري الله. الله هو الذي هو يبرر. من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا" (رو٨ :٣٣-٣٤). لان الشيطان مع كل قواته وسلطانه قد طرح بالفداء إلى الأعماق طرحاً وسقطت معه كل بناته وأفكاره وشكاويه واحتجاجاته وتعييراته ضد المختارين المفديين، الأمر الذي أشار إليه الرسول يوحنا قائلاً "وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء "الآن قد صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لانه قد طرح المشتكي على اخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهارا وليلا وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ١٢ :١٠_١١).

وأما أنت يا نفسي فأين أنت من هذا الاحتضان الحبي والاتحاد الفدائي والتطعيم التجسّدي العذراوي؟ أانت في المسيح والمسيح فيك أم أنت في الشيطان والشيطان فيك؟ أأنت ظبية تطفر فوق تلال الفداء وأيلة تقفز فوق جبال اللاهوت وغزالة بين قطعان الغزلان وحضائر القديسين أم انك بنت من بنات أورشليم الساقطات وشهوة من شهوات بنات صهيون العاهرات الغامزات المخشخشات؟ حقاً ايتها النفس إن عشت حسب الجسد فستموتين ولكن إن كنت بالروح تميتين أعمال الجسد فستحيين (رو٨ :١٣) فما الذي تختارين وتحبين وتحتضنين؟

٦- من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان وبكل أذرة التاجر

إنها كنيسة المسيح يسوع المختارة من بين الشعوب والأمم والقبائل. إنها المعدن الحديدي البارد الذي قد انجذب إلى مغناطيس المصلوب انجذاباً إلهياً عنيفاً. لكيما تصير فيه فيما بعد، لا حديداً جامداً صلباً متأكسداً بل ذهباً مصفى بنار. إنها عواميد الدخان والبخور المعطّر وقد انتصبت هكذا بين الأرض والسماء عواميداً للحق وهي تتحدى العواصف وتهزأ بالرياح لتصعد للسماوات صلاة وللأعالي قرباناً وأمام العرش الرفيع رائحة في الحياة طيبة. فكنيسة المسيح هذه وان كانت في جوهرها عموداً واحداً للحق وقاعدة واحدة للبر لكنها كبيت روحي مشيدة على اثني عشر عموداً من البخور معطراً بالمر واللبان وبكل اذرة التاجر هي أعمدة الرسل الاثني عشر التي قد صعدت من الأرض إلى السماء سحباً وبخوراً وعواميداً.

إن كانت الكنيسة في واقعها مدينة مقدسة مبنية على جبل عال هو المسيح. وإن كانت هذه المدينة ذات اثني عشر أساساً مكتوباً، هي أسماء رسل الخروف ألاثني عشر. وإن كان في هذه المدينة إثني عشر باباً لؤلؤياً هي رسل ربنا الاثني عشر. فكيف لا تكون إذن الأعمدة الطالعة من البرية هذه، هي ذات الاثني عشر رسولاً لربنا يسوع المسيح؟ وإن كانت الكنيسة هي المبخرة الذهبية وقد مُلأت بنار الروح القدس كالعذراء مريم. أفلا يكون رسل ربنا يسوع المسيح أعمدة الدخان والبخور المتصاعدة من هذه المبخرة نحو السماء والسماويات؟ وإن كانت البخور هذه هي صلوات الرسل والقديسين جميعهم كقول سفر الرؤيا وإن كان النبي داؤد يقول عن نفسه "أما أنا فصلاة"، أفلا تكون هذه الأعمدة البخورية هي أعمدة الصلاة

لسحابة المؤمنين والقديسين الذين يشكلون ذرات هذه البخور وطاقات تلك الأعمدة؟

أجل هكذا يسمي الرسول بولس، الرسل أعمدة بقوله "فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون إنهم أعمدة. أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان" (غل٢ :٩). وهكذا يدعو الرسول بولس الكنيسة عموماً بقوله "ولكن إن كنت أبطئ فلكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته" (١تي٣ :١٥).

والآن فإن كان الرسل يشكلون إثني عشر عموداً في كنيسة الله وذلك تمثيلاً لأسباط إسرائيل الإثني عشر، أفلا يكون الرسول بولس وحده العمود المركزي في الكنيسة تمثيلاً لكنيسة الأمم؟ وإن كانت الهيئة الرسولية بعواميدها الإثني عشر تلتزم تبشير أسباط إسرائيل بالمسيح يسوع، فيكون الرسول بولس هو الرسول الآخر الأساس الذي يلتزم تبشير كافة الشعوب الأممية بالمسيح يسوع. وإن كانت الهيئة الرسولية كعواميد تحمل بنيان الكنيسة في جناحها الإسرائيلي الروحي، فيكون الرسول بولس وحده العمود الحامل لبنيان الكنيسة في جناحها الاممي، وكأن مركز الثقل في بنيان الكنيسة هذا قد ارتكز على الرسول بولس بنفس الدرجة التي ارتكز فيها على الرسل الاثني عشر. من أجل ذلك يُحسب جميع المختارين والمؤمنين والقديسين الكبار والصغار وعبر الأجيال كلها شركاء حقيقيين في هذه العمارة الرسولية بجناحيها البطرسي الختاني والبولسي الغرلي.

ولكن، كيف تصعد هذه الاعمدة دخاناً وبخوراً من الأرض إلى السماء وهي معطرة بالمر واللبان وكل اذرة التاجر؟ أليس بانفلاتها من جاذبية الخطيئة القائمة في

الأرض ودخولها في مدار جاذبية القداسة القائمة في السماء؟ أليس بخروجها من ستراتيجية الشيطان ودخولها في ستراتيجية المسيح؟ أليس بذوبانها الذاتي كالبخور فوق جمرات المبخرة، جمرات الروح القدس ليخف وزنها وتتصاعد من ثم إلى السماوات أعمدة من دخان وبخوراً من إيمان" (اف٢ :٤-٦)؟

فالكنيسة إذاً لا تستطيع التحرر من قوة جاذبية الخطيئة بذاتها والتي هي طبيعتها، لكنها تستطيع ذلك في لمسيح يسوع، قاتل الخطيئة وغالب الشيطان. ولهذا وعدنا بالقول "وأنا إن ارتفعت عن الأرض اجذب إلى الجميع". فمركز الثقل في الكنيسة إذاً لم يعد في الأرض حيث الخطيئة بل في السماء حيث البر الأبدي يسوع المسيح. وبهذه القوة المغناطيسية اللاهوتية الفدائية تصعد الكنيسة من الأرض إلى السماء دخاناً وبخوراً وذلك بعدما تنصهر بنار الروح القدس عطوراً. أن صعود الكنيسة هكذا أعمدة ليس في حد ذاته حدساً وتخميناً بل واقعاً اختبارياً تتحسسه الكنيسة روحاً وقلباً. ولذلك وإن كانت الكنيسة اليوم تحيا جسدياً في عالم منظور، لكنها في الوقت ذاته تحيا روحياً فيما وراء الحجاب في عالم غير منظور. ذاك الواقع الروحي المجيد الذي دعا إليه الرسول بولس بقوله "إن قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى اظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون انتم أيضاً معه في المجد" (كو٣ :١ ـ٤).

إذاً لما كانت الكنيسة مرتبطة هكذا مع المسيح روحاً وحياةً. ولما كان المسيح الآن قائم في السماء عن يمين العظمة ملكاً وسلطاناً، فهي بذلك في السماء قائمة كما هو مكتوب "فإن سيرتنا نحن هي في السماويات والتي منها ننتظر مخلصاً هو الرب

يسوع المسيح" (في٤ :٢٠). وما بقاء الكنيسة على الأرض ومستوياتها السماوية هذه، إلا لتكون فيها للمسيح سفيرة ولإنجيله مبشرة ولمعالم ملكوته مخططة، حتى إذا ما أكملت رسالتها ودقت ساعة الصفر واطلقت السماء أبواقها، سرعان ما تُختطف إلى السماء تواً كأعمدة من البخور والدخان، لا روحياً فحسب بل جسدياً أيضاً. والى صعود الكنيسة الكامل هذا أشار الرسول بولس قائلاً "لان الرب نفسه بهتاف. بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف يترل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولا ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١تس٤ :١٦_١٧).

ولكن لماذا تُشبّه الكنيسة بأعمدة من دخان والدخان في ذاته عنصر مزعج وخانق؟ ولم لا؟ أليست الكنيسة دخاناً خانقاً للأرواح الشريرة الطائرة في الجو، أرواحاً وأفكاراً. أليست هي عمود بخور للأرواح الصالحة ملائكية كانت أم بشرية، الأمر الذي أشار إليه الرسول بولس بقوله "نحن رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون والذين يهلكون. لهؤلاء رائحة حياة لحياة ولأولئك رائحة موت لموت". واما الآن كيف تصعد الكنيسة من البرية إلى السماء أعمدة من بخور وهي معطرة بالمر واللبان وبكل اذرة التاجر؟ أليس بمعموديتها وموتها مع المسيح عن الخطيئة ومسحها بالميرون المعطر، ميرون الروح القدس؟ أليس بميلادها الثاني هذا وتجديدها بالروح القدس وتقديسها؟ أليس باحتراقها في نار آلام المسيح وجمرات صليبه ووضعها كبخور فوق جمرات المبخرة، حيث الذوبان والانصهار والاحتراق الذاتي؟ هكذا المسيح أيضاً لم يظهر جماله وتفوح رائحته الذكية وتتصاعد بخور أعمدة فدائه، إلا بموته فوق الصليب وذوبان قلبه بالآلام. فاشتراك الكنيسة العملي بهذا هو الكفيل بتصاعدها من البرية أعمدة معطرة. وإلا فستبقى الكنيسة بخورا يابسا وناشفا، لا

أعمدة فيها ولا عطوراً. ففي المر تُعلن الكنيسة رائحة موت المسيح الكفاري فيها وانتزاع مرارة الخطيئة عنها انتزاعاً. وفي اللبان تُعلن الكنيسة رائحة لاهوت المسيح فيها وتبخير نتانة الخطيئة عنها. وأما في أذرة التاجر فإنها تدلل على خلاص الإله المتجسد يسوع المسيح لحياتها روحاً ونفساً وجسداً وشفائه لجروحها وتقيحاتها من ضربات الخطيئة ولكمات الإثم. وهكذا بطاقات فداء المسيح ونيران روح قدسه تصعد كنيسة القديسين هذه من البرية كأعمدة دخان وهي معطرة بالمر واللبان وباذرة التاجر ذاك الواقع الذي أشار إليه الرسول يوحنا في رؤياه قائلاً "وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطي بخوراً كثيراً لكي يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله" (رؤ٨ :٣ــ٤).

والآن فإن كانت العذراء مريم هي المبخرة الذهبية هذه أصلاً وقد امتلأت بالروح القدس وفاحت منها بالتجسد والميلاد رائحة المسيح الذكية. أفلا تكون كنيسة الرسل والقديسين أيضاً هي المبخرة الذهبية عينها وقد امتلأت هي الأخرى بالروح القدس يوم الخمسين وصعدت بخور صلواتها وحياتها إلى عرش الرب الرفيع أعمدة؟

ألا ما أجمل مبخرة الكنيسة الطقسية اليوم وما أجل المعاني التي تحمل بين قطعها. فهي تشير وعلى وجه الإطلاق إلى العذراء مريم والى الكنيسة بواجهتيها المنظورة وغير المنظورة على حد سواء. وأما النار فيها فتشير إلى نار الروح القدس وقد حل في أحشائها حلولاً والبخور المتصاعد عنها يشير إلى رائحة المسيح الذكية التي تطرد نتانة الخطيئة عن الذين يستنشقونه بالروح والحق استنشاقاً، وتشير أيضاً إلى صلوات القديسين جميعهم. ولكونها صلوات الروح القدس في القديسين تصعد

كأعمدة من دخان وهي تخترق الغطاء الكثيف وتدخل إلى ما وراء الحجاب أمام العرش وهي محمّلة بالصلوات الشفاعية والطاقات الفدائية. بينما الزناجيل الأربعة في المبخرة تشير إلى البشيرين الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وذلك كأربعة أركان في الكنيسة. في حين أن الأجراس الاثني عشر تشير إلى الرسل الاثني عشر والذين كالأجراس "إلى كل الأرض خرج صوقم والى أقاص المسكونة كلماقم"(رو١٠ : ١٨).

ولكن هل الكنيسة اليوم هي مبخرة ذهبية على الصعيد الروحي وملتهبة بالنار على الصعيد الإنجيلي؟ أم أنها اليوم مبخرة من رصاص قد تأكسدت بروح العالم تأكسداً وحُفظت لدينونة اليوم ارهيب حفظاً؟ هل كنيسة اليوم ممتلئة من نار الرح القدس، نار العذراء والقديسين أم أنها ممتلئة من النار الغريبة نار أبيهو ويوناداب للقضاء والهلاك؟ أتقوم الكنيسة اليوم على أركان أنجيليه أربعة، أم أنها تقوم على زناجيل العالم الأربعة وهي الفريسية والناموسية والصدوقية والهيرودسية؟ هل أجراس الكنيسة اليوم هي أجراس رسولية حقاً تقرع مسامع العالم كله بالإنجيل ليستيقظ من النوم أم أنها أصوات طبول ورنين صنج وصيحات جسد وجعجعة عالم، تنزع الراحة من النفوس والسلام من القلوب بل تصرع الناس أمواتاً بالخطايا والذنوب؟ هل الكنيسة اليوم هي عمود بخور بصلواتها وأصوامها وصدقاتها بل بروحها ونفسها وجسدها وبمحبتها ورجائها وإيمانها؟ أم أنها سحب دخّان خانق بأنانيتها وأطماعها، بكبريائها وتشامخها، بجمودها وتصلبها، بجسدياتها وعلمانياتها؟ هل الكنيسة اليوم نظير العذراء مريم وكنيسة الآباء القديسين معطرة بمر الفداء ولبان اللاهوت وأذرة الخلاص التي لا تعد ولا تستقصى، أم أنها قد اتسخت بالشهوة وتلطخت بالخطيئة ونتنت بالموت وفسدت؟

فإلى هاتيك المبخرة العذراوية الرسولية الذهبية أيّتها الكنيسة الرصاصية والى هاتيك النار الهابطة من فوق أيّتها المبخرة المنطفئة والى الزناجيل الأربعة الموحّدة أيتّها الكنيسة المبعثرة والى هاتيك الأجراس الرسولية الصافية أيتها الكنيسة التي قد ملأت صرخات العالم مسامعها، بل إلى أذرّة التاجر السماوي يسوع أيتها المجدلية المتقرّحة بالخطيئة، واذاك يُقال عنك كما قيل عن أمّك من قبلك "من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان وبكل أذرة التاجر".

أما أنت يا إنسان الله فليكن قلبك مبخرةً معبأةً بنار الروح القدس وكلامك عمود بخور معطر بالكرازة والصلوات وعقلك حلقة متّصلة بالزناجيل الأربعة ولسانك جرس صارخ ببشارة الحياة وحياتك صاعدة من برية الخطيئة بالتوبة والإيمان وهي معطّرة بالمّر واللبان بلاهوت فداء المسيح الرحمن.

٧- هوذا تخت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة إسرائيل

٨- كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل

إن كان تخت الملك سليمان هكذا محاطاً بستين جباراً من جبابرة إسرائيل وهو ذاك الملك الزائل المائت. ترى كم عدد الجبابرة الذين يحيطون تخت وعرش من هو أعظم من سليمان، بل اله سليمان يسوع المسيح، ملك الحياة والوجود؟ وإن كان حراس تخت سليمان هم من بني إسرائيل. فإن الحراس الذين يحيطون تخت المسيح وعرشه هم من الملائكة والقديسين الأطهار والمختارين العمالقة الذين رآهم القديس يوحنا حول العرش فكتب يقول فيهم "ونظرت وسمعت صوت ملائكة

كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف" (رؤ٥ :١١).

إذاً حراس تخت سليمان حراس إسرائيليون. أما حراس تخت المسيح فهم ملائكيون وقديسون. حراس سليمان ضعفاء مائتون وخطاة قد وضعوا لحراسة ملك ضعيف وخاطئ ميت. أما حراس تخت المسيح أقوياء وأحياء أبرار ومتبررون، قد وضعوا لحراسة وخدمة ملك قدوس وحي وقوي. أجل خدام تخت المسيح وحراس عرشه هم الكروبيم الذين رآهم النبي حزقيال في المركبة حيث ينتصب المسيح (حز١٠ :١_٩) وهم السرافيم الذين رآهم النبي اشعياء حيث يجلس السيد المسيح (اش٦ :١_٧) وهم السيادات والسلاطين والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة الذين تكلم عنهم الرسول بولس بقوله "فإنه فيه أي المسيح قد خلق الكل. ما في السماوات وما على الأرض. ما يرى وما لا يرى. سواء كان عروشاً أم سادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق" (كو١ :١٦) وهم شيوخ الكنيسة من أنبياء ورسل وقديسين مختارين كقول الرسول بولس أيضاً "بل قد أتيتم إلى جبل الخلاص والى مدينة الله الحي أورشليم السماوية والى ربوات، هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات. والى الله ديان الجميع. والى أرواح أبرار مكملين. والى وسيط العهد الجديد يسوع المسيح. والى دم رش يتكلم افضل من هابيل." (عب ١٢: ٢٢_٢٤). لذلك راح الرسول بولس يميز بين تخت المسيح وعرشه وبين عروش الملوك البشر الزائلين بقوله "واما عن الابن فيقول كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وابغضت الإثم، من اجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج اكثر من شركائك. وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى. وكلها

كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى." (عب١ :٨ ـ١٢). وإذ يقارن الرسول بولس بين عرش المسيح وتخته وبين مقامات الملائكة فيقول "الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته. بعدما صنع لنفسه تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة في الأعالي صائراً اعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً افضل منهم. لانه لمن من الملائكة قال قط. أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. وأيضاً متى ادخل البكر إلى العالم يقول لتسجد له كل ملائكة الله. وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار. ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك؟ أليس جميعهم أرواحاً خادمة ومرسلة للخدمة لاجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١ :٣ـ١٤).

إذاً عرش المسيح ارفع من عرش سليمان وسائر ملوك الأرض واعظم من عروش الملائكة، لانه ملك الملوك ورب الأرباب ولكون مملكته ليست من هذا العالم كما صرح المسيح إلى الوالي بيلاطس حيث قال "مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون عني لكي لا اسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هذا العالم" (يو١٨ :٣٦). وكما قد صرح كذلك لبطرس قائلا "ا تظن أني لا أستطيع الآن أن اطلب إلى أبي فيقدم لي اكثر من اثنتي عشر جيشاً من الملائكة" (مت٢٦: ٥٣).

أجل هكذا جعل المسيح حراسه رياحاً وخدامه لهيب نار كقول سفر المزامير ويشارك في هذه الخدمة الجليلة أيضا شيوخ أطهار ورسل أخيار وقديسون أبرار.فالملك سليمان ذاك اختار له ستين جباراً لحماية ضعفه وإسناد عجزه وأما

سليماننا وسلامنا، المسيح فاختار له حراساً لعرشه لا لعلة ضعف في شخصه ولا خوفاً على مُلكِه، لانه القادر على كل شئ بل تلطفاً منه بملائكته ومحبة منه لقديسيه ولكونه محبة في جوهره اختار أن يشاركه عبيده المُلك والميراث. وإلا هل يخاف ملك الكائنات خلائقه؟

أجل قد حدثت يوماً مؤامرة شيطانية في السماء استهدفت تخت المسيح وعرش لاهوته ولكنها وبطرفة عين وبنفخة القدوس الحق يسوع المسيح، انطفأت تلك المؤامرة في السماء انطفاءً أبدياً. تلك المؤامرة التي أشار إليها سفر الرؤيا بقوله "وحدثت حرب في السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين. وحارب التنين وملائكته. ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضل العالم كله، طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته" (رؤ١٢: ٧_٩). وأذ أخفق الشيطان في النيل من عرش المسيح في السماء راح يستهدف عرش خلاصه وتخت صليبه على الأرض. الأمر الذي قد لوح إليه سفر الرؤيا بقوله "ويل لساكني الأرض والبحر لان إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالما أن له زماناً قليلاً" (رؤ١٢ :١٢). ولكن رغم قوته الشريرة هذه لايزال مندحراً أمام قديسي إلهنا ومصروعاً تحت أقدامهم، حيث قد غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم و لم يحبوا حياتهم حتى الموت (رؤ١٢ :١١).

فأين إذاً تخت سليمان بحراسه من تخت المسيح بخدامه وملائكته. بل أين تخوت ملوك الأرض وحراس جيوشهم من تخت صليب المسيح وخدام قديسيه؟ حقاً قد ابتلع تخت المسيح الخشبي، تخت المحبة والفداء وسيبلع تخت سليمان الحديدي تماماً كما ابتلعت حية موسى النحاسية حيات السحرة والعرافين. وكما كان حراس

تخت سليمان جبابرة قوة وحق وكلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب من هول الليل. هكذا حراس تخت المسيح جبابرة قوة روحية وكلهم قابضون سيوف الروح ومتعلمون الحرب ضد الشيطان من هول الشر والخطيئة. حراس سليمان يقبضون السيوف بأيديهم ليقتلوا الناس الآخرين، أما حراس المسيح فيقبضون سيوف الإنجيل بأيديهم ليقتلوا الخطايا والشياطين المستعبدة للآخرين. ألا ما أعظم الفرق بين الحرب المادية في حراس تخت سليمان وبين الحرب الروحية الأدبية الإنسانية في حراس تخت المسيح. الحرب المادية يثيرها الشيطان لأغراض ذاتية ضد الإنسان وابن الإنسان. أما الحرب الروحية فيثيرها المسيح ضد الشيطان وبنات أفكاره. الحرب المادية تنتزع السلام والسعادة من الأرض وتملؤها بالمجاعات والأمراض والويلات. أما الحرب الروحية فتنتزع الخطيئة والشقاء من الأرض وتحوِّلها جنة للمسرات وفردوس للحياة. الحرب المادية تستهدف استعباد شعب لآخر وتحكم أمة بأخرى وابتلاع قوة ظالمة لقوة حق. أما الحرب الروحية فتستهدف تحرر شعب من نير شعب وتعاطف أمة مع أمة ومحبة ملك لآخر وابتلاع قوة الحق لقوة الباطل وتنازل الملوك والعظماء عن تأليهاتهم الذاتية إلى ذاك الملك الحق ومن هو على عرش الحياة جالس وفوق تخت المحبة مضطجع. نعم في الحرب الروحية والأسلحة الأدبية وكما هي في إنجيل المسيح "يقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً. ولا يتعلمون الحرب فيما بعد" (أش٢: ٤). "لان المسيح الجالس فوق التخت الخشبي والقضيب الخارج من جذع يسي، يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه. والأمانة منطقة حقويه. فيسكن الذئب مع الخروف. ويربض النمر مع الجدي. والعجل والشبل المسمن معا وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما

معا. والأسد كالبقر يأكل تبنا. ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على جحر الافعوان. لا يسوؤن ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لان الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر. ويكون في ذلك اليوم أن اصل يسّى (المسيح) القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً." (اش١١ :١-١٠).

لذلك إذا ما أُعتبر الشيطان المحارب الدموي الأول والقاتل الأساس كقول الرب "ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لان ليس فيه حق". فيكون المسيح هو المحارب الروحي الأول والقاتل الأساس للشيطان، لأنّه جاء لينقض أعمال إبليس. وإذا ما كان الشيطان القوة المركزية لقتل الإنسانية بجملتها بالشر وأنانية الخطيئة. فالمسيح يسوع هو القوة المركزية المخلّصة لحياة الإنسان كلها من هاتيك القوة الشريرة المركزية كقول الرسول بطرس "لانه ليس بأحد غيره الخلاص. لانه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص." (أع٤ :١٢). ولكن من المؤسف حقاً أن البشرية حتى الساعة لا تزال تجهل ولا تريد أن تعرف أن الشيطان هو قاتلها والمسيح هو مخلصها. وفي جهلها هذا راحت تتعبد للشيطان بالشرور والخطايا، بالفجور والمظالم والرزايا وتتنكر للمسيح وتصلبه روحياً ثانية وثالثة بالقساوة. وحيث لا تشخيص للمسيح وللشيطان، تظل الإنسانية في عبوديتها الثقيلة هذه وفي شقاوتها العميقة تلك منتحرة مذبوحة بسكاكين أفكارها وخناجر أعمالها وميكروبات أمراضها. هذا المصير المريع الذي يسعى من اجله الشيطان، سعياً حثيثاً من البدء والى النهاية. حيث قد وضع الحجر في يد قائين لقتل أخيه هابيل حسداً. ووضع السيف بيد ابيمالك لذبح اخوته السبعين على حجر واحد طمعا في رئاسة وسلطان. ووضع حجارة في يد رجال آخاب، الملك الظالم لرجم نابوت اليزرعيلي البائس طمعاً في كروم. ووضع روح

الغيرة والحسد في قلوب اخوة يوسف لبيع أخيهم وإتلافه. ووضع مشاجرة شريرة في قلوب قورح وداثان وابيرام ضد موسى عبد الرب طمعاً في كهنوت ورئاسة. بل دق ووضع مساميراً وحراباً وأشواكاً في شخصية يسوع المسيح على أيدي كهنة اليهود حقداً دفيناً وحسداً مريراً وروحاً شيطانياً خبيثاً. ولا يزال وسيظل الشيطان يقتل الناس هكذا "لانه كان من البدء قتالا للناس.". ولا يزال المسيح وسيظل يقتل بصليب حبه وبدماء فدائه عدو الإنسان الأول، الشيطان ويخلص الناس منه هكذا. وذلك بموته فوق تخته الخشبي الدامي وقيامته للجلوس فوق عرشه السماوي. حقاً في إنجيل الله وحده يشخص كل من المسيح والشيطان تشخيصاً عميقاً ودقيقاً. الشيطان ظلمة والمسيح نور لكشف هذه الظلمة. الشيطان باطل والمسيح حق لتعرية هذا الباطل. والشيطان مكروب لا يرى بالعين المجردة والمسيح ميكروسكوب لرؤية هذا المكروب. الشيطان روح قاتل للإنسان روحاً وجسداً في الخفاء والمسيح روح قاتل للشيطان ومخلص للإنسان روحاً وجسداً في العراء.

فلا عجب إذا مارأينا هذا العدو، الشيطان يتضجر من إنجيل المسيح المقدس تضجراً ويسعى لإبعاده عن الإنسان وتكسيره تحت الأقدام، لأن في ذلك تعزيزاً لسلطانه الذي هو سلطان الموت وإبقاء على الناس في الهلاك. الأمر الذي قد تحدث عنه الرسول بولس بقوله "ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنه هو مكتوم في الهالكين، الذي فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله" (٢كو٤ :٣_٤). وما إله هذا الدهر سوى الشيطان الذي يعمل في أبناء المعصية لهلاكهم بمكروباتهم وأمراضهم. من اجل ذلك لا نعجب إذا ما رأينا العالم وقد وضع في الشرير هكذا أن يتيه في كورة الجدريين مجنوناً يمزق ثياب البر ويجرح حياته بحجارة الإثم ويقطع سلاسل الأخلاقيات، بل ويرعب عابري الطريق من عقلاء الأرض وقديسي العلي بلجيئون شياطينه. فكيف

إذاً لا يحتاج العالم هذا إلى المسيح يسوع ليخرج شياطينه بسلطان لاهوته وقوة بره وطاقة حبه ولكي يجلس من ثم عند موطئ قدمي المسيح لابساً وجالساً وعاقلاً؟

إذاً في هذا الوجود وعلى وجه الإطلاق قوتان مركزيتان، واحدة للشيطان تحيطه أجناد الشر الروحية في السماويات وكلهم قابضون سيوفاً بأيديهم ومتعلمون الحرب لهلاك الناس. وقوة أخرى للمسيح يسوع تحيطه الملائكة والعروش والسيادات والرئاسات وسلاطين (كولوا ١٦:١) وشيوخ مفديون ورسل مختارون وقديسون معينون وشهداء مكللون ومؤمنون سماويون وكلهم يحملون بأيديهم سيف كلمة الله وإنجيل يسوع، وهم متدربون على الحرب الروحية وقتال الشياطين. فهؤلاء الحراس الأمناء قد أثاروها حرباً ضروساً ضد الشيطان وثكناته والعالم ومظالمه والجسد وشهواته، بل نصبوا في العالم للمسيح تختاً وأقاموا له عرشاً وبنوا له ملكوتاً وذلك ليس بالسيف والحراب وقتل الآخرين بل بدموعهم ودمائهم واستشهادهم وقطع جماجمهم ورقابهم. من اجل ذلك اقتضت هذه الحرب الروحية ضد الشيطان أن تكون في جبهات ثلاث، تجنيداً للمسيح صالحاً وتسلحاً إنجيلياً كاملاً وتقوية بالروح القدس مركزة مع تخطيط سماوي صحيح، هذه التعبئة التي أشار إليها الرسول بولس بقوله "أخيراً يا اخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس. فان مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماوات. من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين احقائكم بالحق. لابسين درع البر الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله" (اف٦ :١٠-١٧).

فالرسول بولس إذاً يعلن بهذا العرض ماهية تخت يسوع المصلوب ونوعية حراسه وهوية أسلحته وطبيعة حروبه وميادين قتالاته وثوراته. اجل بهذه الوقائع الرسولية تحركت قطعات القديسين نحو معاقل الشيطان وهياكله فدكتها دكاً وأقامت على أنقاضها للمسيح يسوع معابداً. وغزت مواخير الفجور والخلاعة فحولتها إلى صوامع وللمسيح القدوس مذابحاً. واقتحمت أوجرة الذئاب الشرسة المتعطشة للدماء فحولتها للمسيح حظائر للحملان. وصرخت في وجه الأباطرة الظالمين والكواسر المتغطرسين فهزت من تحتهم العروش وأسقطت من أيديهم الصولجانات ودحرجت من فوق رؤوسهم التيجان. كل ذلك لان الحق الذي فيهم وكما هو في المسيح يسوع، اعظم من الباطل الذي في العالم وكما هو في الشيطان. لذلك راح الرسول بولس يكتب قائلاً "إن أسلحة محاربتنا قادرة بالله على هدم حصون ومستاسرين كل فكر يرتفع ضد معرفة الله متى كملت طاعتكم" وذلك من اجل تبشير المساكين وشفاء منكسري القلوب والمناداة للماسورين بالإطلاق وللعميان بالبصر وللأموات بالقيامة.

وستبقى رحى هذه الحرب قائمة بين المسيح والشيطان في المجالات الإنسانية وحتى قيام الساعة، حينما ينطلق ثانية ذلك الحجر الحي الكريم من السماء يسوع المسيح، لينغرس في رأس الشيطان كما انغرز قديماً حجر داؤد في راس جليات وليقطع بسيفه العظيم الشديد رأسه ويقتل لويثان الحية المتحوية ويقتل التنين الذي في البحر(اش٢٧ : ١).

وأما الآن أتشكل الكنيسة حقاً حراسة هكذا حول العرش ورجالها قابضون السيوف في أيديهم من هول الليل ومتعلمون الحرب، أم انهم ضباط مسرَّحون وجنود في ميادين المسيح متقهقرون؟ ترى هل حراسة الكنيسة اليوم تقوم على

تثبيت ملكوت الله على الأرض ومطاردة الخطيئة والفساد في العالم، أم أن الحراسة اليوم تشبه حراسة جنود الرومان لقبر المسيح لكي لا يقوم من بين الأموات وليبقى بإنجيل فدائه بين القبور؟

فإلى أولئك الحراس الأمناء والرسل الكرماء والشهداء النجباء يا جميع الحراس النائمين. بل إلى أولئك الآباء المجاهدين يا جميع الآباء الجسديين. والى ذاك التخت الخشبي يا جميع عباد التخت السليماني الذهبي.

قل لي أيها الكاهن الحبيب أتحتمل المشقات كجندي صالح للمسيح يسوع، أم انك تتهرب من حمل مشقات الصليب بسبب محبتك للعالم كديماس؟ وما عسى أن يكون هدفك الأول من الخدمة الكهنوتية؟ أهو حراسة تخت المسيح وتثبيت إنجيله ونشر مبادئ ملكوته وحمل صليبه وخلاص اخوته، أم انه تثبيت ذاتك وإشباع مسرّاتك وتحقيق مطامعك وتركيز زعامتك؟ أتخدم مذبح الله داخل الكنيسة ومذبح البعل العالمي والداجون الجسدي خارجها؟ اترتدي الثياب البيض داخل الكنيسة والثياب السود خارجها؟ أتتعمم بالعمامة النظيفة الجميلة داخل المقادس وبالعقلية الباطلة خارج الكنائس؟ أتتمنطق بشبه منطقة البر داخل الكنيسة وبمنطقة الخطيئة وقد فسدت عند نهر الفرات خارجها (ار١٣ :١-١٠)؟ أتتغطى بالبدلة الحبرية داخل المعابد وبالبدلة العالمية خارجها؟

أيها الكاهن العزيز. ألست تعلم بأنك حارس بين حراس تخت المسيح وخادم مذبح صليبه وكاهن أسرار لاهوته ورقيب مبادئ ملكوته وسفير لحق إنجيله. فإن كنت لا تحرس التخت حراسة جيدة وتستل سيف إنجيلك من هول الليل وتجاهد الجهاد الحسن وتكمّل السعي، فسيقدم عليك المسيح كلص وفي ساعة لا تظنها، يقطعك

ويجعل نصيبك مع المرائين حقاً، هناك يكون بكاؤك وفي هاتيك الظلمات يتم صرير أسنانك.

٩- الملك سليمان عمل لنفسه تختاً من خشب لبنان

الملك سليمان، ملك إسرائيل فقط ولأجل مُسمّى ولفترة محدودة، ملكه مادي بحت شأن كل الملوك. أما الملك المسيح الذي من نسل سليمان حسب الجسد فقد ملك على إسرائيل وعلى كل الأمم معاً. لا لأجل مُسمّى بل إلى الدهر والأبد، لكون ملكوته ابدياً لا ينقرض وسلطانه سرمدياً لا ينتهي. الملك سليمان كان ملكاً مادياً عالمياً شأن جميع ملوك الأرض. أما الملك المسيح فهو ملك روحي سماوي ورئيس ملوك الأرض. نعم الملك المسيح اليوم ليس معروف إلاّ "عند المؤمنين بإسمه والذين ولدوا ليس من دم ولحم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو ١ :١٣)، لكنه مزمع أن يعلن هذا الملك من السماء لجميع سكان الأرض، لا للخلاص فيما بعد بل للدينونة والحساب وذلك يوم يأتي فوق سحاب السماء (المجد) لتراه كل عين وتنوح عليه جميع قبائل الأرض، نوح اليأس والانتحار والهلاك.

غير أن هذا الملك السماوي الأزلي المسيح لفرط محبته للإنسان تجسّد إنسانياً في ملء الزمان واتخذ له كجده سليمان تختاً من خشب وجلس عليه جلوس الألم واضطجع عليه اضطجاع الموت، فبات هذا التخت الخشن للمسيح ولكنيسته مضجعاً حبياً أبدياً وخدراً فدائياً مجيداً.

ولكن أكان تخت المسيح الخشبي هذا كتخت سليمان من أرز لبنان وذلك شعاراً لعروش الملوك والسلاطين (ام٦ :٩)؟ أو كان من خشب السنط كخشب تابوت

عهد الرب رمزاً لتابوت العظماء والملوك؟ أم من خشب الجفر (السرو) كخشب سفينة نوح رمزاً لملجأ الصديقين الذين منذ الدهر؟ أم كان تخت المسيح هذا وعرش صليبه رمزاً لكل هذه المفاهيم الخشبية سوية؟

نعم كان صليب المسيح أرزاً كتخت سليمان، جمالاً ومتانة. والمسيح الذي اتكأ على هذا التخت السماوي تحمّل كل الآلام بصبر ووداعة ومسامحة، وذلك ليس من اجل ذنب اقترفه هو بل من أجل ذنوب اقترفتها البشرية جمعاء. واستطاع بقوة أرزه بل بقوة بره، أن ينتصر على أعداء الحياة الأصليين الذين هم الشيطان والخطية والعالم. ومن استطاع كالمسيح أن يملك ملكاً هذه أبعاده وتلك آفاقه ومن فوق خشبة وصليب؟ وهل ألفت البشرية يقيناً صليباً خشبيا يفتت عروش حديد وصولجانات فولاذ وكخشبة اليشاع يرفع الحديد فوق سطح الماء رفعاً؟ أفلا يشعر العالم في أعماق ضميره حقاً يقيناً أن ملكاً مصلوباً فوق الخشبة كالمسيح قد تحدى ولا يزال يتحدى جميع ملوك الأرض وان ملكوا فوق عروش من ذهب وتخوت من حديد وسيوف من فولاذ وتيجان من الماس وصولجانات من نحاس لان هذا التخت الخشبي البسيط في مادته والعظيم في معانيه لا يزال يضعضع العروش للملوك ويكسر السيوف للطغاة. وهو وإن كان يرى أمام الناس هكذا بسيطاً تافهاً لكنه في نظر الله والحقيقة هو ذات قوة الله ومحبته وحكمته (١كو١ :٢٤)؟

ولكن لماذا يرى تخت المسيح هذا بسيطاً تافهاً وجهالة في نظر الأرض وأبناء الأرض وقوياً مجيداً في نظر السماء وأبناء السماء؟ وجهالة في نظر الأشرار وحكمة في نظر الأخيار؟ وموتاً في نظر الأموات وحياة في نظر الأحياء؟ أليس لأن للتخت هذا واجهتان اثنتان واجهة للضعف والموت تطل على عالمنا المنظور وواجهة أخرى للقوة والحياة تطل على عالمنا الغير المنظور؟ واجهة إنسانية تطل على إنسانيتنا

وأخرى لاهوتية تطل على الله؟ ألم يُشر تابوت عهد الرب في القديم إلى هاتين الواجهتين في الإله المتجسد يسوع المسيح وذلك لأن التابوت كان مصنوعاً من خشب السنط وهو مُغلّف بذهب نقي من داخل ومن خارج وفيه أربع حلقات من ذهب وهو يحمل في عصاوين على أكتاف رجال أربعة وفي داخله لوحي الحجارة وشهادة الله وكلمة عهده؟ والآن ألا يشير تابوت العهد هذا بخشبه وعصارة صمغه إلى ناسوت الرب يسوع وقد عصر على الصليب عصراً حتى جرى منه براً وفداء وحياة؟ ألا يشير التابوت بذهبه إلى عنصر اللاهوت في المسيح يسوع وإلى سلطان مُلكه في السماء وعلى الأرض؟ أفلا يشير تغليف خشب التابوت بالذهب النقي من الداخل والخارج إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح يسوع. الحقيقة اللاهوتية التي اثبتها الرسول بولس بقوله الى رعاة كنيسة افسس "احترزوا لانفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه"(اع٢٠ :٢٨)؟ فإن لم يكن المسيح هكذا فكيف يسوغ للرسول بولس وهو الناطق بالروح القدس أن يُنسب الدم لله والله للدم والله في ذاته روح كقول الرب للسامرية (يو٤ :٢٤)؟ أليس لأن خشب التابوت مغلف بالذهب داخلاً وخارجاً وناسوت الرب المصلوب كذلك مغلف باللاهوت داخلاً وخارجاً؟ بل ما الذي يقصد الرب يسوع من كلامه "الذي رآني فقد رأى الآب"؟ أفلا يقصد من قوله هذا بأن الخشب متحد بالذهب والموت متحد بالحياة والقبر متحد بالعرش والناسوت متحد باللاهوت؟ وما هي قيمة التابوت هذا وقيمة التخت ذاك وقيمة الصليب هذا وذاك، إن لم يكن المعلق فوق خشب الأرز، والمدفون في تابوت خشب السنط، وقائد سفينة خشب الجفر حيث الطوفان والموت، هو ذات الله وقد ظهر في الجسد؟

فالمسيح إذن بخشبه وذهبه بلاهوته وناسوته قد وحّد الإنسان بالله توحيداً، فمن اجل ذلك بات التابوت، هذا مستحقاً أن يُحمل كمصلوب وحي مقام من بين الأموات بعصوين أي عهدين قديم وجديد وفي حلقات أربعة هم الأربعة مبشرين ليطاف بالتابوت الحي والمصلوب الحي يسوع في أربع زوايا الأرض وأركان المسكونة تنفيذاً للوصية القائلة "اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر١٦ :١٥).

فخلاصة إنجيل المسيح إذاً إنما هي تخت في تابوت وتابوت في تخت. خشب بذهب وذهب بخشب. ناسوت بلاهوت ولاهوت بناسوت. قبر بعرش وعرش بقبر. موت بحياة وحياة بموت. أليس كذلك يا جميع كنائس الله التي أمسى المسيح لها عقلاً والروح القدس فيها حيا: وانجيل الله لها دستوراً لاهوتياً ومنطلقاً روحياً؟

والآن إن كان خشب تخت المسيح أرزاً وهو رمزاً للقوة والمتانة في البر وقداسة الحق وان كان خشب تابوته عهدا سنطاً رمزاً لناسوت المسيح وعصره على الصليب صمغاً محيياً. أفلا يكون خشب الجفر (السرو) في سفينة نوح هو الآخر رمزاً للخلاص من غضبة الطوفان وهلاك الناس الفجّار؟ فسفينة نوح إذاً كانت للكنيسة رمزاً حيث استطاعت ولا تزال أن تطفو بقوة الخشب المطلي بالقار فوق أمواج الطوفان المجنونة وأمواج الشهوات الصاخبة بل بقوة ذاك المصلوب المعلق فوق الخشبة يسوع والذي صار لاجلنا نحن الخطاة الاثمة لعنة وخطيئة وقاراً.
والآن إن كانت سفينة نوح قد استطاعت هكذا أن تتحدى أمواج الطوفان العاتية وتطفو فوق مياهه الضاربة المجنونة طبقاً لقوانين الطبيعة، هكذا كانت كنيسة المسيح كذلك تتحدى وبقوة الصليب المقاومة الشيطانية الشريرة وذلك طبقاً

لقوانين المسيح الروحية القائلة "أجرة الخطيئة هي موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع" (رو٦ :٣). أفليس من عجيب الأمور أن يتحول الخشب والقار هذا وهي مواد اشتعال وعناصر حريق وتعذيب كقول الكتاب "تتحول انهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير ارضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً لا تنطفئ إلى الأبد يصعد دخانها" (أش٣٤ :٩_١٠)، إلى عناصر خلاص في سفينة نوح ومواد نجاة في فلكه، بل عناصر حياة وخلاص في سفينة يسوع وفلك كنيسته بعدما قد صارت آلام المسيح وعذاباته قاراً فوق الخشبة لخلاصنا بدلاً من آلامنا وعذاباتنا بنيران الخشب والقار في جهنم؟ فهل من محبة أكثر من هذه بين جميع الكائنات السماوية منها والأرضية والتي صار فيها المسيح قاراً وذبيحة إثم لأجلنا وزفتاً مشتعلاً بدلاً عنا. كقول الرسول بولس"لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فيما كان ضعيفاً بالجسد. فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ولأجل الخطيئة دان الخطيئة في الجسد" (رو٨ :٣)؟ "ألا يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً" (رو١١ :٣٣-٣٤).

فإلى هذا الفُلك الإلهي الحصين يا أبناء الطوفان الغارقين بالخطايا والذنوب وإلى تخت المسيح الخشبي وتابوت صليبه يا جميع حراس تخت سليمان وحاملي تابوته بل إلى الإله المتجسد يسوع المسيح الذهبي الخشبي يا جميع أغنياء الأرض وفقرائها.

وأما أنت يا إنسان الله. فكن للمسيح بقلبك تختاً وبإنسانك العتيق تابوتاً وبإنسانك الجديد عرشاً وفوق أمواج الطبيعة العتيقة الصاخبة فلكاً لتنجوا من الغضب يوم ينفجر ومن النار يوم يندلع.

١٠أ- عمل أعمدته فضة

والآن إن كان تخت سليمان من خشب فإن أعمدته قد صنعت من فضة. ولكن ما عسى أن تكون هذه الاعمدة الفضية في تخت سليمان أيها القارئ العزيز؟ أليست هي جماعة الرسل والآباء والقديسين والمعتبرين أعمدة فضية نقية في تخت المسيح وصليبه الخشبي؟ فإن كانت كنيسة الله في جوهرها "عموداً للحق وقاعدة له" كقول الرسول بولس، فتكون رجالاتها إذاً هي ذات أعمدة الكنيسة وعين قاعدتها. كيف لا والكنيسة هي مختارة ربنا ومحفل قديسي إلهنا كقول الرسول بولس "فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون انهم أعمدة. أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للامم واما هم فللختان" (غل٢ :٩).

اذاً كيف لا يكون رسل ربنا بشقيهم اليهودي والاممي أعمدة فضية في عرش المسيح وفي تخت صليبه؟ لانه إن كانت الفضة تستعمل للحلي والزينة فالرسل وقديسو ربنا ايضاً قد صاروا في المسيح حلّة للكنيسة وزينة. وكما تصنّع المرايا من الفضة لتعكس الصور لطبيعية والمشاهد البشرية، هكذا بات رسل ربنا يسوع المسيح المرايا النقية التي تعكس الصور الإلهية في المسيح يسوع ومشاهد العالم الروحاني. وكما أنّ الفضة عنصر موصل للحرارة والكهرباء، فالقديسون كذلك واعمدة الكنيسة الفضية هي عناصر موصلة لحرارة الحب والفداء وكهرباء الروح القدس للجالسين في الظلمات من بني البشر. ومثلما يصنّع من الفضة ونتراتها اقلاما لمعالجة أمراض العيون، هكذا أمسى القديسون أقلاماً فضية طاهرة ونترات روحية في يد المسيح لإزالة تراخوما عيون القلوب والأذهان كقول الرسول يوحنا إلى ملاك كنيسة اللاودكيين "انك أعمى واشير أن تكحّل بكحل لكي تبصر" (رؤ٣ : ١٧_١٨). تلك المعالجة الفضية التي كان يسعى من اجلها الرسول بولس بصلواته

قائلا "لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً اياكم في صلواتي كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (اف١ :١٦ــ١٨).

وكما أن الفضة لا تتأكسد في الهواء إلا إذا اختلطت بكبريتيد الهيدروجين إذاك يتغير شكلها ويسودّ لونها، فكذلك الكنيسة ايضاً هي فضة نقية بيضاء طالما تتشبّع بأكسجين الحياة والوجود يسوع، ولكنها سرعان ما تتغير عن شكلها النقي هذا إذا ما امتزجت بروح العالم وكبريتيد الخطيئة. اجل الشمس الطبيعية تسوِّد الفضة بأشعتها وحرارتها، أما الشمس الروحية يسوع والذي هو "شمس البر والشفاء في أجنحتها" (مل٤ :٢) فهي تبيِّض أعمدة الفضة في التخت والقديسين في العرش تبييضاً وتزيدها لمعة واشعاعاً كقول الرسول بولس "لكي يقدسها مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥ :٢٦ــ٢٧).

فالكنيسة الفضية هذه ليست اذا عامود الحق فحسب بل قاعدته ايضاً. ألم تكن قواعد ألواح المسكن السنطية قواعد فضية ايضاً؟ وأعمدة هذا الدار موصِلة بقضبان من فضة كذلك؟ أفلا تدل هاتيك القواعد الفضية على سلامة الأساس الحامل للألواح والذي هو يسوع المسيح ذاته؟ كقول الرسول بولس "ليس أحد يقدر أن يضع اساساً آخر غير الذي وضع، والذي هو المسيح يسوع". أفلا تكون القضبان الفضية كذلك والموصلة بين الأعمدة هي ذات روح المسيح الفضي النقي الذي يوحد العواميد ويربط أعمدة الكنيسة ورسلها مع بعضها برباط القداسة النقي

كقول الرسول بولس "وغير متمسك بالرأس الذي فيه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله"(كولو٢ :١٩).

اذاً كنيسة يسوع المسيح الأصيلة هي فضة مختارة نقية، قواعداً وعواميداً. وإن كانت هي هكذا فضية نقية في اساسها وبنيالها، في قواعدها وعواميدها، في إيمالها وسلوكها، في كتّاها وتقاليدها، وفي خشبها وفضتها. فكيف لا تكون العذراء مريم هي الأخرى هكذا فضة نقية في التخت قاعدة وعموداً وسلكاً مركزياً فضياً موصلاً للطاقات الروحية للآخرين ومرآة فضية مصقولة تعكس صورة يسوع المجيدة أمام عيون الكثيرين وقلماً فضياً روحياً لمعالجة العيون وتكحيلها بجمال النور واليقين؟ كيف لا تكون العذراء هكذا وقد اختيرت من الله اختياراً لكي لا تختلط بكبريتيد الهيدروجين وفساد الدنيويين، لان الروح القدس قد حل عليها وقوة العلي قد ظللتها لذلك المولود منها هو القدوس وابن الله يدعى؟

والآن فإن كانت العذراء هكذا فضة مختارة وأريكة للمسيح عجيبة وإن كانت الكنيسة الرسولية كذلك هكذا فضة نقية قاعدة وعموداً، فهل أنت كذلك يا كنيسة القرن العشرين؟ هل أنت فضة في تخت المسيح وصليبه؟ وكذا مرآة عاكسة لصورته على الآخرين براً وقداسة؟ أسلكٌ فضي أنت موصل للكهرباء الروحية من مصدر الطاقة (الصليب) إلى الملائين الجالسين في ظلال الخطيئة ووادي ظلمات الموت؟أأنتِ قلم نتري تشفين الأذهان وتكحلين العيون والأجفان؟ أم أنك اليوم قد امتزجت مع روح العالم وكبريتيد الخطيئة ففقدت لمعانك وخصائص جوهرك ولم تعودي تمثلين المسيح قاعدة وعاموداً ولا خشباً ولا فضة؟

فإلى كُوَر النار ايتها الكنيسة العالمية وإلى جمرات الروح القدس ايتها الكنيسة الجسدية بل إلى مطارق الإنجيل أيتها الفضة المختلطة، حيث مطارق الصائغ السماوي يسوع المسيح، ذاك الذي لم يكف عن طرقك بالمطرقة صحيفةً حتى تتنقين وتتطهرين ليرى نيك صورته الملكية. وإذاك تكونين انت الأخرى للمسيح عموداً من فضة فيتم فيك اذاك قول الرسول بولس " كنيسة المسيح عامود الحق وقاعدته"

أما أنت ايتها القارئة العزيزة وايتها النفس البشرية، هل أنتِ عمود فضة نقي في تخت إله سليمان هل أنت عملة نادرة من الفضة النقية والدرهم الثمين وقد طبعت عليك صورة الملك المسيح وكتابة إنجيله، أم انك درهم فضي مغشوش ضائع بين قذارات الجسد ومزابل العالم وقد محيت عنك صورة الملك المسيح وكتابته أو تكاد؟ أسلك كهربائي انت اليوم يا كنيسة الله مرتبط بمصدر القوة لإنارة جميع من في البيت، أم انك سلك منطوع بشفرة الخطيئة ولم يعد فيك كهرباء ولا نور؟ أقلم فضي انت يستأصل تراخوما العيون والقلوب، أم انك قلم من حديد براس من الماس يستأصل من الناس العيون مع القلوب؟ هل أنك أوانٍ فضية مقدسة فوق المذبح وفي دار هيكل الرب، أم أنك أوانٍ مسبيّة خارج المذبح والهيكل وقد سُبيت بيد نبوخذنصر سبياً وتنجسّت بيد بيلشاصر وبخمر مشروبه نجاسة (دا١: ٢)، (دا٥ : ١-٤)؟

ألا يا أساقفة الكنائس وكهنة المذابح ويا رؤساء المجالس ووجهاء المحافل والمجامع، أحقاً أنتم اليوم عواميد فضية مستقيمة للمسيح وتخته في السماء، أم أنكم عواميد رصاص معوجّة تستقطب ضد المسيح وتخته في الجحيم؟ أأنتم عواميد فضة نقية في قلوبكم وأفكاركم وأجسادكم وعيون أذهانكم، أم أنه اصبح في قلوبكم خبثاً وفي

أفكاركم باطلاً وفي أجسادكم ظلاماً وصارت فضتكم زغلاً (أش١ :٢٢)؟ أأنتم قواعد قداسة وعواميد -تق كقول الرسول بولس "وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (اف٤ :٢٤)، أم أنكم اليوم قواعد رمال وعواميد مال وبنيان جاه ورجال؟

فإلى التوبة أيتها العواميد المنحنية بالخطيئة وإلى الإيمان أيتها الأركان العالمية الضعيفة وإلى جمرات النار أيتها الفضة المختلطة وإلى مخزن طاقة إنجيل الروح القدس يا أعمدة الكنائس السبعة في آسيا لتكوني كالذين سبقوك في الإيمان، لا أعمدة فضة في تخت سليمان المسيح فحسب بل روافد ذهب فيه كذلك.

١٠ب- وروافده ذهبا

فإن كان التخت هذا في ذاته مقعداً للراحة وخدراً للحب وعرشاً للمُلك وإن كانت أعمدته الفضية رمزاً للرسل والأنبياء والقديسين والشهداء. أفلا تكون أيضا روافده الذهبية رمزاً لمجامع الكنسية الرسولية المقدسة؟ كيف لا والمجامع الكنسية هي المتكآت التي يستريح فيها ملك المجد يسوع المسيح وذلك بعدما تتنقّى هذه المجامع والكنيسة من البدع وتتصفّى من الهرطقات وسائر التعاليم الغريبة؟ لأن الروافد الذهبية هذه هيهات أن تصير هكذا روافد من ذهب في التخت ما لم تكوى بلهيب النار كيّاً وتتنقى من الشوائب والزغل تنقية وتطرق فوق السندان بالمطارق طرقاً، فيرى فيها الصائغ الإلهي المسيح صورته المجيدة في البر والفداء رؤية ويعاينها معاينة.

اجل بالأعمدة الفضية هذه، أعمدة القديسين وبالروافد الذهبية الثمينة هذه، روافد مجامع الرسوليين يتكامل تخت المسيح على الأرض تكاملاً ويتجسد في العالم تجسداً

كاملاً وذلك كما هو في إنجيل الخلاص والنعمة. لأنه منذ الأيام الأولى وقمح الملكوت ينمو جديداً، راح الشيطان يبذر الزؤان بين القمح ويضرب تحت المسيح في عرش صليبه وقواعد اعمدته، حيث هيَّج قوماً من اليهودية (أع١٥: ١_٥). فأحدثوا بذلك منازعة في الكنيسة حتى اضطر الرسل إلى عقد أول مجمع رسولي ليدينوا هذا الروح الفريسي.

أفليست الفريسية الضيقة هذه، هي المطرقة الداخلية الأولى والبدعة الأولى التي وقعت على التخت، تحت صليب المسيح؟ ألم يكن المجمع الرسولي الأول هذا والذي عقد في أورشليم والمكون من الرسل بولس وبطرس وبرنابا ويعقوب، أعمدة الكنيسة الفضية النقية وسائر الرسل والمشايخ، هو المتكأ الأول والرافد الأول الأساس في تخت الصليب الخشبي المقدّس وذلك ضد أول بدعة فريسية في الكنيسة تعتمد الناموس والختان خلاصاً؟ فمن أين إذن قد طلع علينا احفاد هؤلاء القوم المنحدرين من اليهودية قلباً ومن الفريسية عقلاً حتى يقولوا لنا "إن لم تحفظوا الناموس والسبت لا يمكنكم أن تخلصوا" فيجددون بذلك منازعة أجدادهم في الكنيسة ويجرحون ضمائر البسطاء بمناخس سبتهم وحربة ناموسهم فيسيئون بذلك إلى تخت المسيح، أعمدة وروافداً؟ وهل نحتاج اليوم إلى مجمع جديد أعلى صعيد واعمق مسؤولية واشد روحانية من مجمع الرسل أنفسهم ضد تعاليم هؤلاء القوم ليوبخوا الأحفاد كما قيل للأجداد (اع١ :١-١١). أيها الفريسيون المراؤون من كان العامل في هذا المجمع الرسولي، أكان بولس أو بطرس فقط أم الروح القدس كذلك؟ أو.ألم يدعوا لروح القدس آباءكم الفريسيين لكي يمتنعوا عن حرفية الناموس والذبائح ونير السبت والختان؟ فعلام إذن رحتم اليوم تملأون هكذا مكيال آبائكم وتسيئون إلى التخت، تخت الفداء والصليب وتعتبرونه عاجزاً عن الخلاص

من دون سبتكم؟أريد أن أتعلم منكم فقط أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا بعدما ابتدأتم بالروح تكملون بالجسد؟ أيها القادة العميان، أتحت تخت المسيح ونعمته انتم اليوم أم تحت تخت الناموس ونقمته لأنه مكتوب "لان جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ومكتوب أيضاً ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به"(غل٣ :١-١٠)؟

والآن إن كان في السبت والناموس براً، فالمسيح إذن قد مات بلا سبب وعثرة الصليب قد بطلت وتخت المسيح قد تضعضع كذلك. وعلام راح الرسول بولس يكرز بالمسيح مصلوباً ولا يكرز بإنجيل آخر كإنجيل الناموس بل يكتفي بإنجيل الصليب حياة وبشارة؟ وان كان الرسول بولس يؤمن بالسبت والناموس كعلة أساسية للخلاص، فعلام أحجم كلياً عن التبشير بالسبت هذا والكرازة بالناموس ذاك، أم أن الرسول بولس هو الآخر قد انحرف عن عبادة السبت إلى جهالة الصليب وجر بالتالي معه، إلى هذه الظلالة ليس الملائين المسيحيين العاديين فحسب بل وسحابة القديسين والشهداء كذلك؟

أليس لأن الناموس والختان والذبائح والسبت وبكل عناصره الرمزية ومستوياته الحرفية واعماله الثقيلة عاجز بالتمام عن تطهير قلب الإنسان العميق أصلاً وتقديس روحه جوهراً؟ أفلا يسمي الرسول بولس أعمال الناموس هذه، الأركان الضعيفة ويحكم عليها بالتالي بالعجز والهرم والاضمحلال. "واما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب٨، :١٣)؟

ولكن رب قائلاً يقول، كيف يشيخ السبت ويضمحل ووصيته هي إحدى وصايا الله العشر الأساسية وهو القائل "ما جئت لانقض الناموس والأنبياء بل جئت

لاكمل"؟ أيها الغلاطي الأعمى، ألم يلخص الرب الوصايا العشر هذه بوصيتين اثنتين وهما محبة الله ومحبة القريب واللتان بهما يتعلق الناموس والأنبياء. فروح الناموس محفوظ وروح السبت قائم وذلك بتلك المحبة الأزلية الحية والتي قد استعلنت وتجسدت في صليب المسيح استعلاناً وتجسيداً؟ أفلا تحسب محبة الله إذاً من كل القلب ومن كل النفس ومن كل القدرة وكما هي في أبعاد الصليب وأعماقه تقييماً للسبت الروحي ذاته وتثميناً للناموس الأدبي عينه؟ أم أن الله تهمه الأيام والشهور والسنين والسبوت؟ فأين هي الذبائح الحيوانية القديمة؟ وأين هي اليوم الذبائح الحيوانية الرمزية بكل أشكالها وأنواعها ودرجاتها؟ ألم تُبطل بذبيحة المسيح يسوع على الصليب بطلاناً؟ وإلا أين هو اليوم عهد الختان الرمزي الجسدي والذي قد قطع مع إبراهيم ونسله عهداً أبدياً حتى أن كل نفس لا تختتن تقطع من شعبها؟ أو ألم يضمحل اضمحلالاً أبدياً بختان القلب والروح، لا بالكتاب والحرف بل بصليب المسيح والروح القدس؟ وأين هو السبت اليهودي الظلي وكذا السبت اللوحي الناموسي؟ وأين هو تشخيصه في تعداد الأيام والسنين؟ ألم يُبتلع هذا السبت المائت العاجز برب السبت الحي المقام من بين الأموات يسوع المسيح ربنا؟ إذاً الناموس حي ولكن ليس في طقسيته وحرفيته وسبته بل بصليب المسيح ليس إلاّ والختان نافذ ولكن ليس في ذاته الرمزية بل في صليب المسيح. أفلا يحسب الإيمان بصليب المسيح إذاً بعدما اكمل الناموس كله والأنبياء، سبتاً أساساً وراحة حقاً بل ناموساً مقدساً ووصية صالحة وختاناً فعلاً وذبيحة يقيناً؟

ترى من أين تأتينا الراحة نحن البشر، أمن المسيح المصلوب الأزلي، أم من السبت الزمني؟ ومن الذي نادى "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"؟ اهو المسيح يسوع أم السبت في الأسبوع؟ بل من الذي صرخ على الصليب قد

اكمل اهو المسيح أم السبت؟ أحتى الآن لم تسمعوا تحذيرات الرسول بولس القائلة "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما قبلتم فليكن اناثيما" (غل١ :٨)؟ واما الآن فعلى من تقع مسؤولية هلاكنا نحن غير المؤمنين بالسبت والناموس، أعلينا نحن العصاة على حرفية الناموس ونير السبت أم على عاتق الرسول بولس والذي قد أحجم عن ذكر وصية السبت كدالة أساسية للخلاص؟ لا علينا نحن ولا على حتى الرسول بولس تقع هذه المسؤولية الخطيرة الثقيلة بل إنما على الروح القدس الناطق في الرسول بولس تقع هذه المسؤولية وقوعاً. وإلا لما سأل السجان في فيليبي الرسولين بولس وسيلا قائلاً "يا سيدي ماذا ينبغي أن افعل لكي اخلص، فأجابه الرسول بولس آمن بالرب يسوع فتخلص أنت واهل بيتك" (اع١٦ :٣١)؟

وإلاّ كيف سها الرسول بولس عن السبت فجاء بذلك إعلانه الخلاصي ناقصاً ومبتوراً؟ أم تعمد الرسول ذلك انتقاماً من اليهود الذين يقدسون السبت ومن ثم راحوا يضطهدونه بسبب ذلك اضطهاداً؟ أم أن الرسول بولس راح يبشر برياء فيكرز للأمم بالخلاص في المسيح ولليهود بالخلاص بالمسيح والسبت؟ أفهذا هو إنجيلك حقاً أيها الرسول بولس؟ أهذا هو التخت الذي ثبّته للمسيح عرشاً أيها الرسول بولس الأسير، أم هذه هي سفارتك للمسيح على الأرض؟ حقاً "إنهم كلاب قد عادت إلى قيئها وخنازير مغتسلة إلى مراغة الحمأة" (٢بط٢: ٢٢).

فماذا إذاً، أيكون الرسول بطرس وهو رسول اليهود والختان والأكثر تساهلاً مع الناموس واحكامه من زميله الرسول بولس كما قد ألفناه وهو يفرز نفسه عن الأمم أمام اليهود (غل٢ :١٢)؟ لقد أجاب عن تساؤلات الأمم عن كيفية الخلاص بقوله"توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتقبلوا عطية الروح

القدس. فأين الاعتماد في السبت إذاً؟ الرسول بطرس يقول أيضاً للفريسيين والناموسيين والسبتيين" ليس بأحد غيره الخلاص. لانه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به يبغي أن نخلص".

إذاً أمسى الناموس بحرفيته والسبت بنيره إلهاً ثانياً لابنائه ومعبوداً آخر لعبيده مع العلم "انه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والبشر، الإنسان يسوع المسيح البار" (١تي٢ :٥).

أما الآن فإن كان يحق لليهودي أن يقدس السبت الحرفي لأنه سبت حريته العالمية ويوم راحته الجسدية. أفلا يحق للمسيحي من باب أولى أن يقدس سبته الروحي ويومه الخلاصي. إذ فيه قد تحرر ليس من عبودية فرعون، بل من عبودية الشيطان وذلك بقيامة الرب من بين الأموات كما هو مكتوب "وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر حيث كان المسيح قد قام" (يو٢٠ :١)؟ فما لنا نحن اليوم إذاً من حرية اليهود السياسية الماضية؟ وما لنا والسبت اليهودي وهاتيك الذكرى المادية المائته بعدما قد أُنقذنا نحن اليوم هكذا من سلطان الشيطان وتحررنا من الخطايا والشرور بموت الرب وقيامته؟ أيها الغلاطيون الأغبياء مهما قدستم السبت اليوم لتعبدوه فإنكم لا تقدرون أن تقدسوه وتعبدوه اكثر من اجدادكم الفريسيين وآبائكم الناموسيين الذين بسببه قد صلبوا رب المجد كما انتم اليوم تفعلون.

ولكن ما الذي قد انتفع منه هؤلاء الجدود من تقديسهم يوم السبت على ذاك النحو؟ هل قادهم ذلك إلى معرفة يسوع المسيح ومحبته، أم قادهم ذلك التزمت الناموسي السبتي إلى جهل المسيح ومقاومته وصلبه؟ أقادهم سبتهم إلى الحرية

الروحية ومغفرة الخطايا والمصالحة مع الله، أم قادهم إلى العبودية الروحية وإمساك الخطايا والعداوة مع الله؟ أقادهم السبت يقيناً إلى الراحة النفسية والفكرية، أم قادهم اكيداً إلى التعب النفسي والقلق الروحي والفكري؟ أفليس جميع هؤلاء الفريسيين المرائين إلى اليوم قديمهم وحديثهم هم تحت لعنة الناموس وويلات يسوع المسيح الثمانية (مت٢٣ :١٣-٢٩)، بل وتحت غضب الخروف في السماء وعلى الأرض يوم الغضب (رؤ٦ :١٦-١٧).

ولكن رب قائل منهم يقول أما نحن فإنما نؤمن بفداء المسيح وقيامته ولذلك لسنا كهؤلاء الفريسيين الذين اكتفوا بالسبت عبادة من دون المسيح. إننا نتعبد للمسيح تعبداً ونقدس السبت خاطر المسيح تقديساً. حسناً أيها العميان أما قرأتم انه لا يقدر أحد أن يعبد ربين الله والمال وبالتالي الله والسبت؟ أم أن المسيح نصف خلاصه في ذاته والنصف الآخر في السبت فيكون مجموع النصفين خلاصاً واحداً كاملاً؟

ولكن إن كانت محبة المسيح وعبادته دون محبة السبت وعبادته تشكل هكذا خلاصاً ناقصاً ومبتوراً، أفلا يكون المسيح والحالة هذه خافقاً في عملية خلاصه وصليبه؟ فكيف يمسي المسيح إذاك إلهاً حقيقياً ومخلصاً إلى التمام كقول الرسول بولس "فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب٧ :٢). وإن كنتم تؤمنون بالراحة الفدائية حقاً وتتمتعون بالغفران الإلهي يقيناً وكما هو في إنجيل يسوع المسيح الذي يكرز به بولس. فعلام إذاً تتلمسون لكم الناموس غفراناً والسبت راحة، بل كيف تقدرون أن تضعوا رقعة جديدة على ثوب عتيق وتسكبوا خمراً جديداً في زقاق عتيقة؟ أفلا

يتمزق الثوب وتنشق ا زقاق وتنسكب الخمر، بل ويتمزق ثوب خلاص المسيح بالفداء ويتلف روح قدسه وخمرة خلاصه وحبه؟

احل إنكم قد مزقتم رداء المسيح الفدائي بمقص ناموسكم وشقيتم زقاق صليبه بشفرة سبتكم أما قرأتم حتى الآن أيها الذين لا يزالوا يتبرقعون بحجاب الناموس قول الرسول بولس "لا يحكم عليكم أحد في أكل وشرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة واما الجسد فللمسيح" (كو٢ :١٦)؟

ولكنهم قد يقولون إنن لسنا فريسيين ولا نتعبد للسبت الإسرائيلي، بل نقدس سبت الخليقة والذي فيه، قد استراح الله استراحة، لذلك علينا أن نكمل الوصية القائلة "احفظ يوم السبت وقدسه". حسناً ولكن أيهما الأفضل، الخليقة الطبيعية الفاسدة بالخطيئة أم الخلقة الروحية المتجددة بالبر والقائمة أصلاً على موت المسيح وقيامته؟ وكيف يسوغ لنا أن نشارك الله راحته في خليقته الطبيعية ولا نشاركه من باب أولى في خليقته الروحية بالقيامة من الأموات والواقع في اليوم الأول من الأسبوع وليس في يوم السبت الذي فيه كان الرب مقبوراً بين الأموات؟ حقاً "هلم نرجع إلى الرب لانه افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا. يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هو٦ :١-٢). وذلك على رجاء قيامتنا جسدياً في اليوم الأخير كما هو مكتوب "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو٨ :١١).

إذاً أمسى سبت الله الحقيقي وراحته الحقيقية ليس في السبت الطبيعي الرمزي بل في السبت الروحي والذي فيه قد استراح الله حقاً من بناء خليقته الروحية بالصليب

بعدما كانت الخطيئة قد أفسدتها فسادا. أفلا تستهدف إرادة الله إطلاقا خلاص الإنسان من سلطة الشيطان وعذاباته الجهنمية الأبدية؟

إذا الخليقة الروحية هذه والتي قد كملت بموت المسيح وقيامته في اليوم الأول من الأسبوع اعظم مجداً بكثير من الخليقة الطبيعية بعدما فسدت بالخطيئة والموت فساداً. فالحرية الروحية والراحة الأبدية إذاً لم تصر ملكا للإنسان اليهودي غير المؤمن والمتمسك بناموسه وسبته سواء كان سبته سبت خليقة أم سبت خروج، بل إنما قد صارتا ملكا حقا لليهودي المؤمن والمتمسك بناموس نعمته وسبت فدائه وقيامته. وليس للمؤمن اليهودي فحسب بل وللمؤمن الأممي كذلك لأنه مكتوب "كل من يؤمن به لا يخزى لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني. لأن ربا واحدا للجميع. غنيا لجميع الذين يدعون به. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص" (رو ١٠: ١١-١٣).

أيها الرسول بولس، إن كان لك ولرفاقك رجاء في هذه الحياة فقط فإنكم بالحق أشقى جميع الناس. وأما الآن ففي سبيل من قد تألمت هكذا وجاهدت هكذا واستشهدت هكذا أيضا؟ أكان ذلك في سبيل إنجيل يسوع المسيح أم في سبيل إنجيل آخر، إنجيل الناموس والسبت (غل١: ٦-٧)؟ ثم متى كان يا صاحبي في عبادة السبت والناموس اضطهاد وصلب؟ أليس جميع عباد الناموس ومشرعي السبت لا يزالون يجلسون على كرسي موسى أمراء وقديسين؟ فتقديس يوم الصليب والقيامة هو وحده، وليس غيره، يوم الآلام والاضطهادات والميتات. وهذا عين ما صرح به الرسول بولس قائلا "واما أنا ايها الاخوة فإن كنت بعد اكرز بالختان فلماذا اضطهد بعد؟ اذا عثرة الصليب بطلت" (غل٥-١١).

والآن ما عسى أن يكون حكم هؤلاء الفريسيين الحرفيين والسبتيين المتزمتين على الرسول بولس والذي راح يكرز بالمسيح مصلوباً وليس بالسبت ويتعبد للمسيح في يوم الأحد وليس في يوم السبت ويضطهد ويموت في سبيل المسيح وليس في سبيل السبت؟ فهل يكون الرسول بولس هو أول من خالف الوصية القائلة "اذكر يوم السبت وقدسه" حتى جاء الفريسيون والناموسيون ليعدلوا الاعوجاج ويدينوا الرسول بولس مع جميع قديسي العصور الأولى على انحرافهم وكسرهم للوصية؟

حقاً دينونتهم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس وهم في الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة (٢بط٢: ٣). لأنه أية علاقة بقيت للرسول بولس مع السبت اليهودي بعدما رأى يسوع المسيح في طريق دمشق (اع٩ :٣-٦)، اللهم سوى تقديم إنجيل المسيح لليهود في السبوت حيث يجتمع اليهود (اع١٧: ١٢-٣)؟

وإلاّ علام راح الرسول بولس يوصي بجمع الإحسانات في يوم الرب هذا وليس في يوم السبت كما هو مكتوب "في كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسّر حتى اذا جئت لا يكون جمع حينئذ" (١كو١٦ :٢)؟ وعلام يجتمع الرسل والتلاميذ "في أول الأسبوع لأجل كسر الخبز وحيث يخطب الرسول بولس ويطيل الكلام إلى نصف الليل" (اع٢٠ :٧)؟ وعلام "صار الرسول يوحنا في الروح في يوم الرب وهو في جزيرة بطمس يعاين ذاك الألف والياء والأول والآخر" (رؤ١ :١٠)؟ ولم قام المسيح الرب من بين الأموات في أول الأسبوع "حيث جائت المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر" (يو٢٠ :١)؟. ولم يقم في يوم السبت بل ظل فيه في عداد الموتى؟

ولم راح الرب يسوع بظهر للتلاميذ في هذا اليوم المجيد لا مرة بل مرات عديدة كقول الكتاب "ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود" (يو٢٠ :١٩) وكذلك قول الكتاب "وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ أيضاً داخلاً وتوما معهم فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال سلام لكم" (يو٢٠: ٢٦). بل وقد حل الروح القدس في هذا اليوم بالذات على الرسل قوة من السماء وسلطاناً (اع٢ :١-٢)؟

فهل قد وقعت هذه الأحداث الإلهية الخطيرة جميعها عفواً وصدفة أم بتخطيط وعناية؟ لم تقع هذه الأحداث بصورة عفوية إطلاقاً بل كان ذلك تخطيطاً خلاصياً وتصميماً إنجيلياً.

واما الآن من الذي قد كسر الوصية الناموسية وغير عهد السبت؟ أهو يسوع المسيح أم الروح القدس الناطق في الرسل والقديسين أم الشهداء الذين قدسوا يوم الأحد وليس السبت أم هؤلاء جميعاً بالاتفاق؟ "حقاً كان خير لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من إنهم بعدما عرفوه ارتدوا عن الوصية المقدسة المسلمة لهم". لقد أصابهم ما في المثل الصادق "كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة" (٢بط٢١ :٢٢)."

وهكذا بات قرار المجمع الرسولي الأول، الرافد الذهبي في تخت المسيح وعرش صليبه وقد أراح قلب المسيح وأحشاء قديسيه من فريسيتكم وسبت ناموسكم أيها الغلاطيون المعاصرون.واعقب مجمع اورشليم مجامع مسكونية ثبتت لاهوت المسيح

ولاهوت الروح القدس. هذه هي الروافد الذهبية والمتكآت الأساسية في تخت إنجيل المسيح لدحض كل بدع، شيطانية تحاول النيل من كرامة لاهوت المسيح وفدائه

اذاً الكنيسة الرسولية الجامعة المقدسة الواحدة بقديسيها ومجامعها، بعواميدها وروافدها بل بإنجيلها وتقاليدها، بأسرارها وصلواتها، بجهادها وانتصاراتها، بخشبها ومساميرها. تشكل وبحق تخت المسيح وعرش صليبه. ولكن المهم أن تكون أنت أيها القارئ العزيز عموداً بين هاتيك الأعمدة ورافداً بين تلك الروافد، لان هذا التخت قد نصب في قلب الأرض من أجلك لكي تقف في حضرته وتنحني عند رجليه وترث من ثم عواميد تخته وروافد عرشه.

١٠ ج- ومقعده ارجوان ووسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم

نعم كان مقعد تخت سليمان ارجواناً ووسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم. هكذا الأمر أيضاً في مقعد تخت المسيح فإنه ارجوان ووسطه مرصوف محبة. فالمسيح كملك للسلام وكسلطان للبر قد لبس ارجواناً وجلس فوق عرش ارجواني دموي. وكما كان تخت سليمان من خشب لبنان وقد توسطه مقعد الأرجوان، هكذا صليب المسيح أيضاً كان من خشب وقد توسطه مقعد الأرجوان والدم.

ولكن أين تخت سليمان من تخت المسيح وأين مقعد ارجوانه من مقعد صليب المسيح؟ إن تخت سليمان وارجوانه كان رمزاً مجرداً لسلطان الفداء. وأما تخت المسيح وارجوانه فكان حقيقة فدائية وذبيحة دموية واقعية. وقلما يوجد تخت بدون ارجوان وعرش بدون دم سواء كان ذلك على الأرض أم في السماء. فتخوت العالم وعروشه مصبوغة بدماء الناس. بينما عرش المسيح على الأرض وصليبه مصبوغ بدمه كقول سفر الرؤيا عنه "وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة

الله" (رؤ١٩ :١٣). فارجوان العالم غالباً ما يكون مزيّفا يقوم على روح الأنانية والمظالم والتحكم. ولكن أرجوان المسيح هو ارجوان سماوي يقوم إطلاقا على روح الفداء، لحمته الصليب وسداه خلاص النفوس. من أجل ذلك كانت عروش الملوك ولا تزال في طريقها إلى التضعضع والتدحرج إلى اسفل الوديان طالما هي قائمة على تاليه الذات وعلى دماء البائسين من بني البشر. أما تخت المسيح وعرش صليبه فسيبقى هكذا متحدياً نائماً في وسط العروش والعواصف لانه في طبيعته صخرة للحق وتخت للأرجوان الفداء.

إذاً في الوجود قوتان وروحان بل تختان وعرشان. تخت يتربع فوقه الشر بكل أشكاله وواجهاته يستهدف الذات إلهاً والمصلحة إطلاقاً وكما هو في إبليس والشيطان الذي يضل العالم بأسره والذي يعمل حتى الآن في أبناء المعصية قتلاً وسلباً وظلماً وشقاء وهلاكاً وتخت خشبي آخر يتربع فوقه الحق متجسداً والخير معلناً والحب متانساً ومذبوحاً هو المسيح يسوع ربنا.

فملوك الأرض الظالمين وطغاتها الدكتاتوريين غالبا ما يبنون عروشهم فوق جماجم الآخرين ويلطخونها بدماء البائسين وذلك طموحاً بالأمجاد وتعطشاً للعروش والمقامات. فاعلين ذلك باسم المصلحة العامة تارة وبمتطلبات المُلك والسلطان تارة أخرى، حتى إذا ما بلغوا الغاية وتربعوا فوق التخوت وحكموا على العروش راحوا يندفعون لعمل الموبقات والفجور فيملأون بطونهم من المآكل الدسمة اللذيذة ويشحمونها كما إلى يوم الذبح ويملأون جيوبهم ومخازنهم بالذهب بل ويتحكمون في مصائر الشعوب تحكماً ويذلّونها بعدما بلغوا على أكتافها الناصية بلوغاً. أجل إنها تخوت الطغاة الظالمين وكراسي الحكام الدكتاتوريين الغاشمين. إنها عروش

المستعمرين الذين قد تلطخت عروشهم بدماء الأبرياء من بني البشر فتمت فيهم نبوة اشعياء القائلة "صارت فضتك زغلاً. وخمرك مغشوشة بماء. رؤساؤك متمردون. ولغفاء اللصوص كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم" (أش١ :٢٢_٢٣).

ولكن ما عسى أن تكون عاقبة هؤلاء الظالمين الذين قد أكلوا لحوم الفقراء وشربوا دماء البائسين وصبغوا بها عروشهم ارجواناً وغسلوا بدموع النائحين من بني جنسهم لهم أقداماً؟
أليست عاقبتهم هي دينونة من الله الحق عادلة ورهيبة وقضاء من القدوس العادل مفزعاً وهلاكاً من الديان مريعاً كقول النبي اشعياء "قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم وأنتم قد أكلتم الكرم. سُلب البائس في بيوتكم. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين يقول السيد رب الجنود" (أش٣ :١٣_١٥). لذلك رجالك يسقطون بالسيف وابطالك في الحرب فتئن وتنوح أبوابها وهي فارغة تجلس على الارض" (أش٤ :٢٥_٢٦).

أما عرش المسيح هذا فهو عرش ملك الملوك ورب الأرباب. إنه تخت المحبة والفداء والسلام. إنه كرسي البر والحياة والخلاص. إنه تخت خشبي بسيط لكنه مرعب في ذاته لكل العروش الحديدية والتخوت الذهبية والكراسي الفضية. وذلك لأنه يمثل الخير أبداً ويجسِّد الحق إطلاقاً ويؤنس الحب فداء. فلا عجب إذا ما ترنّحت عروش الظالمين في حضرته ترنحاً وهي لا تزال تمثل الظلم والباطل تمثيلاً. وستبقى الحرب قائمة سجالاً بين عرش المسيح الخشبي وعروش الظالمين طالما الحق حق والبر بر

والباطل باطل والشر شر. ولما كان الحق أقوى من الباطل أصلاً والحب اشد من العداء جوهراً والفداء اصلح من الأنانية طبعاً والخير أمضى من الشيطان قوة والحياة اصلب من الموت عوداً والله اثبت من الشيطان عرشاً فسيبقى المسيح يتحدى بتخته كل التخوت السليمانية الملكية الممجدة وينتصر عليها الواحد بعد الآخر انتصاراً.

لذلك كل يد تتطاول على هذا التخت ستشل شللاً وكل لسان ينطق ضده يُبكم بكماً وكل قلم يتحرك عليه سينكسر انكساراً، بل كل تخت يتضارب معه سيتدحرج إلى الأعماق تدحرجاً، لان النور يطارد الظلمة والحق ينتصر على الباطل والخير يمسك دوماً بخناق الشر والمحبة تبتلع دوماً وابداً العداوة والمسيح إطلاقاً يسحق تحت الأقدام، الشيطان.

إذاً فمقعد تخت المسيح ارجواناً حقاً وفداء يقيناً ومُلكاً أزلياً أصيلاً ووسطه مرصوف محبة من بنات أورشليم. فالحب الإلهي هذا والفداء السماوي هذا والأرجوان الروحي هذا هو الذي قد رصف فوق التخت من بنات أورشليم محبة.

فبنات أورشليم إذن لسنا بنات الجسد والعالم والعائشات دوماً حسب الهوى وهن يتشامخن ويمشين ممدوات الأعناق غامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن، بل هن بنات أورشليم السماوية والتي هي أمنا جميعاً (غل٤ :٢٦). أنهن بنات الموعد والتي هنّ بالإيمان صرن بنات روحيات عفيفات وعذارى حكيمات يدخلن كالوارثات مع الحبيب إلى العرس. اجل إنهنّ البنات الجديدات المختارات، ليس من أورشليم فحسب، بل من الخليقة كلّها اللائى يتشامخن ليس بقامتهنَّ بل بقامة المسيح ويمددن أعناقهنّ لا للترفع على الناس بل للتطلع نحو العرش السماوي ويغمزن بعيونهنَّ لا لاصطياد قلوب البسطاء وإيقاعهم في فخ

الشيطان والشهوات بل لاصطيادهم والإيقاع بهم في محبة المسيح وقداسته ويخشخشن لا بأرجلهنّ وجمالهنّ وزينتهنّ وقوهّنّ بل بإنجيل يسوع وأجراس بره وجناجل فدائه وكمالات تحته. لذلك لا يطلبن البنات الروحيات مُلكاً في العالم ولا يبتغين على الأرض تختاً لان ملكهنّ في الأعالي قائم وتختهنّ في السماوات منصوب.

فبنات اورشليم الروحيات ايضاً هنّ الكنيسة الروحية التي قد اشتريت من الشيطان والعالم والجسد، لا بذهب وفضة بل بدم المسيح البار منذ أيام الأزل (١بط١ :١٨ _٢٠).

لذلك فإياك أيتها الكنيسة المقدسة وعرش سليمان الزائل وحذارِ من أرجوانه المزّيف وبناته الغامزات المخشخشات. بل عليك بعرش المسيح مقاماً وبارجوانه الفدائي حياة وبناته الطاهرات الحكيمات مثالاً. فما لك أيتها الكنيسة وعروش العالم بعواميدها وروافدها ومقاعدها وارجوانها وقد بات المسيح لك من السماء وعلى الأرض عرشاً وفي حياته ارجواناً وفداء وفي قديسيه عاموداً وفي مجمع رسله رافداً ومتكأ؟ أتنحرفين عن تخت المسِيح الخشبي وتستهوين تخت سليمان الذهبي لمراعاة مركز وطمعاً في منصب وتعطشاً لمقام؟ أتتخلين اليوم ايتها الكنيسة عن تخت المسيح وصليبه خوفاً من الشيطان وتحاشياً من تعييرات العالم وتسكيتاً لاحتياجات الجسد. فعلام لا تلبسين اليوم الارجوان الفدائي روحاً وحياة كالقديسين الذين سبقوك في الإيمان "أولئك المتسربلين بالثياب البيض وقد خرجوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها بدم الخروف. من اجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه ليلاً ونهاراً في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم" (رؤ٧ :١٣-١٥

). بل اكتفيت بلبس الأرجوان رمزا ومفخرة عالمية وزينة جسدية؟ أتجتازين حقاً الضيقة العظيمة، ضيقة الناصري المصلوب، بإيمان وغلبة وانتصار؟ أيقف اليوم بنيك يقيناً كالشيوخ أمام عرش الله وتخت الفداء ليلاً ونهارا في الصلاة والشهادة والخدمة والحياة. وهل بناتك اليوم هم بنات روحيات مقدسات ومرصوفات في عرش المسيح محبة؟

إن العذراء مريم وكنيسة القديسين بالتكريس والإيمان، بالتواضع والطاعة، بالعواميد والروافد بالارجوان والبنات قد صارتا للمسيح تختاً وعرشاً ومتكأ، بل هيكلاً ومذبحاً ومنزلاً. وهكذا قد جلست العذراء وكنيسة القديسين في وسط التخت (الصليب) جلوساً أبدياً.

وأنت أيها القارئ العزيز، أين أنت مرصوف ومنظَم، في عرش المسيح الخشبي، أم في عرش سليمان الذهبي؟ هل بنات أفكارك كبنات أورشليم السماوية مستقرة في عرش المسيح الأبيض الدامي، أم كبنات أورشليم الأرضية مستقرة في عرش سليمان الدامي؟ بل من الذي يتربع على عرش قلبك الآن؟ المسيح المصلوب والحي المقام من بين الأموات أم الشيطان الصالب الميت تحت أقدام المصلوب؟ الخطيئة القاتلة أم القداسة المحيية؟ الباطل الذابح للإنسان أم الحق الذابح للباطل؟ أسليمان بتخته الذهبي المادي أم المسيح بتخته الخشبي الفدائي؟

ولكن فوق كل شيء أرجو أن تعلم يا صاحبي أن التخت الخشبي في صليب المسيح وحده يحفظ من غضبة الصواعق والتفريغ الكهربائي الفدائي، لذلك تمسك به تمسكاً جيداً واجلس فوقه بالإيمان والمحبة جلوساً حسناً لانه عما قريب سيأتي يوم غضب الخروف ومن يستطيع الوقوف" (رؤ٦ :١٧).

١١- أخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته به أمه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه

نعم اخرجنّ يا بنات صهيون من دائرة الجسد وأعماله المميتة وادخلن منطقة الروح وثماره المجيدة. اخرجن من دائرة العالم ومغرياته الشريرة وادخلن دائرة السماء ومشتهياتها السنيّة. اخرجن من ستراتيجية الشيطان وسلطاته المهلكة وأنفذنّ إلى دائرة المسيح وسلطاته المخلصة. أخرجن من مصر الخطيئة وسدوم الروحية حيث صُلِب ربنا يسوع وحبث التآمر وروح الاغتيال والمظالم والاستغلال والمفاسد والانحلال والتجبر وروح الاستهتار واصعدن إلى الجبل المقدس، يسوع حيث المشاهد النيرة والإعلانات الإلهية وحيث القداسة والتجليات ومظاهر الحب والكرامات وحيث النعمة تتجلى والحق يتربع فوق قمم الجبال المقدسة والسماويات.

أجل أخرجن يا بنات أورشليم السماوية من أورشليم الأرضية ومن صهيون العالمية حيث الظلم والتآمر في الظلام وحيث الغش والرياء في الخفاء وحيث القتل وسفك الدماء في العتام وحيث السيطرة والتحكم مع الاستعمار وحيث اللا أخلاقيات واللا إنسانيات واللا الاهيات مع الشيطان بل حيث يقتل المسيح مصلوبا واخرجن خارج هذه المحلة القاتلة نحو ذياك التل العجيب حيث الغفران والفداء. وهناك تنظرن الملك السماوي المسيح وقد توجته أمّه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه.

ألا ما ابعد أحكام الرب عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لأنه كيف بات الموت بالصليب سبب فرح ويوم عرس وانتصار وهتاف؟ وإن كان الموت الطبيعي المألوف يوم حزن وبكاء ونحيب، فكيف يكون الحزن عميقاً والغم جسيماً إن كان

الموت موتاً بالصليب؟ ألا من حق الناس أن يحزنوا في موت أحبائهم. أما كارثة الصليب هذه بل فدية الصليب هذه فإنها تختلف عن كل ميتة بشرية مادة وجوهراً وغاية. لان موت المسيح هذا ليس في ذاته موتاً للإنسان وآماله وتطلعاته بل موتاً لخطيئة الإنسان وشره وانحرافاته وسلبياته وبالتالي بعثاً لحياته وتطلعاته وآماله.

إذاً فآلام المسيح وإن كانت آلاماً مركزة خاصة، عميقة جذورها واسعة اقطابها بعيدة اتجاهاتها، لكنها باتت في قلبه فرحة وفي يوم موته عرساً وهتافاً وتتويجاً، طالما في الأمر للإنسان حياة وللنفس البشرية خلاصٌ. كيف لا والصليب هذا إنما هو الواسطة الوحيدة لإستعلان جوهر الله للإنسان وهو الوسيلة الوحيدة لتمجيد اسم الله على الأرض وخلاص الإنسان بهذا المجد الفدائي الدموي. فإن كان الصليب في ذاته سيفاً قد سقط هكذا من السماء على الأرض ليقطع رأس الحية ويسحق روح الشيطان وعقله ويبلع الموت وشراهته. فكيف لا يكون يومه فرحاً والموت فيه قد ابتلع ابتلاعاً والإنسان الحبيب قد انعتق من الفساد والموت انعتاقاً؟

اذاً من الطبيعي أن تخرج بنات صهيون الروحيات لتنظرن الملك المسيح بالتاج الذي توجته به أمه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه. حقاً المسيح ملك غريب في هذا العالم. فهو غريب بميلاده العذراوي، في تجسّده الإنساني، في تعليمه السماوي، في شخصه اللاهوتي، في خلقه الحياتي، في صليبه الفدائي، في قيامه الناسوتي، في صعوده البشري، في قضائه الرجائي وفي بره السرمدي.

اجل ملوك الأرض كلهم يتربعون فوق عروش من العاج تربعاً وقد رصّعت بالذهب والماس ترصيعاً. أما هذا الملك الغريب، المسيح فإنه وإن كان أعلى من السماوات مقاماً فقد اضطجع فوق الخشب الخشن اضطجاعاً وسمّر فيه تسميراً.

ملوك الأرض كلهم يتوّجون بتيجان من ذهب وقد تطعمت بالجواهر الغالية والآلئ الثمينة. أما هذا الملك العجيب فلقد توّج بإكليل من الشوك الدامي بعدما قد تطعّم بقطرات الدم وجواهر الحياة. أعراس الملوك إنما هي أعراس أمجاد وكرامات واحتفالات جلال ومسرات وولائم شهوات ومسكرات وايقاعات كمان وسيمفونيات ومجالس انس ونشوة قيثارات. أما عرس المسيح، ملك السماء فإنما هو عرس توبة ودموع وحفلة عبادة وخشوع ووليمة حياة وخلود ومجلس إله في وسط جموع ومخلّص عزيز في وسط الربوع. ملوك الأرض يختارون لهم في أعراسهم حبيبة وحبيبات، ملكة وسريات، سيدة وجاريات. أما الملك المسيح البار هذا فلقد اختار له الإنسانية الجديدة حبيبة واحدة وعشيقة روحية فريدة، وعند موته تعيش الحبيبة هذه والكنيسة تلك، لأن موت المسيح في ذاته حياة وحياته هي حياة بحياة. في موت الملك تنحل عنهم قوتهم ويموت معهم السلطان ويدفن بجانبهم الصولجان. أما في موت المسيح، ملك الحياة فتظهر فيه قوته ويستعلن معه السلطان وينبت معه في القبر الصولجان. ملوك الأرض، في حياتهم تلتف حولهم الملائين ويتعبد لهم البشريون وينطرح عند أقدامهم الآشوريون والبابليون، بل تأليهاً تؤلههم أسباط الإسرائيليين، ولكن عند موتهم سرعان ما يتخلون عنهم تخلية وينفضّون عنهم إنفضاضاً. أما هذا الملك الغريب العجيب، يسوع المسيح فهو على العكس والنقيض تماماً، فعند حيته التجسدية قد تخلى عنه الجميع تخلية بل فوق صليب من العار قد رفعوه رفعاً، واما بعد موته فلقد تجمعت البشرية من حوله جماهيراً وتعبدت له الوفاً وفي قيامته من بين الأموات ربوات وملائين تتبعه.

من أجل ذلك سرعان ما تتدحرج تيجان ملوك إلى الوادي السحيق تدحرجاً ويثبت تاج المسيح في ذرى السماوات ثباتاً أبدياً. فإكليل المسيح وإن كان في ذاته

علة ألم، لكنه في الوقت، ذاته منطلق فرح ومفجر عرس طالما قد أعلن مجد الآب السماوي للإنسان الأرضي أعلانا ورفع الإنسان الأرضي إلى الآب السماوي رفعاً. والى هذه اللذة الأزلية الخلاصية والكامنة في قلب الأزل أشار الحكيم سليمان بقوله"منذ الأزل مُسحت. منذ البدء. منذ أوائل الأرض. كنت عنده صانعاً. وكنت كل يوم لذته. فرحة دائما قدامه. فرحة في مسكونة أرضه. ولذاتي مع بني آدم" (أم٨: ٢٣_٣١).

إذاً فصليب المسيح وإكليل شوك المسيح هو موضوع لذة الآب السماوي والإنسان البشري على حد سواء طالما المصلوب هذا والمتوج بالشوك هو ذات الله المتجسِّد والموحد في ذاته. ولكن إن كان المسيح قد كلّل بالشوك تكليلاً، فعلام يهابه ملوك الأرض مهابة ويرتعبوا منه ارتعاباً ويقاومونه بوحي من الشيطان مقاومة ويصلبونه من جديد صلباً، في الوقت الذي هم فيه أرباب العروش وملوك التيجان وسادة الصولجانات وعظماء القوات؟ أليس، لان ضمائرهم تخبرهم في أعماقهم وبصوت خافت بأن المسيح هو ملك الملوك ورب الأرباب، بل أنه الإله الحقيقي الذي ظهر في الجسد؟

ولكن رغم أحاسيس الملوك هذه ورغم نخسات قلوبهم من نحو المسيح هكذا ما برحوا يجنّدون كل الطاقات ويعبئون كل القوات ويتحصنون بكل التحصينات لمقاومة المسيح واستئصاله من ارض الأحياء. الواقع الذي أشار إليه النبي داؤد بقوله "لماذا ارتجت الأمم وتنكر الشعوب في الباطل. قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه. بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل" (أع٤ :٢٥_

٢٧). "أما الآن أيها الملوك تعقلوا ويا قضاة الأرض تأدبوا اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة .قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا عن الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه طوبى لجميع المتكلين عليه" (مز٢ :١٠-١٢).

نعم سيبقى هيرودس الثعلب المحتال وبيلاطس المغرض مع شعوب إسرائيل، عشّاق الظلام، بعروشهم الحديدية وتيجانهم الذهبية وصولجاناتهم الفضية، هكذا يناصبون العداء للمسيح بتاج شوكه وعرش صليبه وقصبة صولجانه ومسامير أوسمته وحربة قلبه وانفجارات حبه وحتى قيام الساعة، ساعة القيامة. وذلك حسداً لسلطانه ومنافسة لملكه وعداءً لفدائه ونفوراً من بره وتخوفاً من قضائه. لان المسيح سيأتي ثانية لا فوق صليب من العار أليم، بل فوق سحاب من المجد عظيم ويتوّج ليس بإكليل من الشوك بل بإكليل من الشمس وليمسك بيده ليس صولجان من قصب مرضوض بل صولجان من حديد. وذلك ليرعب الأرض والساكنين فيها رعباً. ويدينها كما بقضيب من حديد وشرها في أحضانها يلتهب لهيباً. فإن كان الوالي فيلكس قد ارتعب أمام الرسول بولس وهو يكلمه عن البر والتعفف والدينونة كلاماً، ترى كم يكون ارتعاب فيلكس هذا جسيماً وارتعاب سائر ملوك الأرض عظيماً أمام قدوس ورب، بولس، يسوع المسيح حين يأتي من السماء للأحياء دياناً وللأموات قاضياً عادلاً؟

أمّا أنتنّ يا بنات صهيون الروحيات التائبات ويا بنات أورشليم السماويات العاليات ويا بنات الكنيسة القديسات المختارات، فاخرجن من صهيونَ الصالبة وأورشليم القاتلة والكنيسة الجسدية الزانية وانظرن إلى ملك السلام يسوع المسيح وهو متوّج بتاج من الشوك في يوم عرسه وفرح قلبه. لانه ما لكن ايتها العذارى

الحكيمات وأورشليم الفريسية القاتلة والكنيسة الجاهلة بعدما قد اخترتكن المسيح الحبيب اختياراً وملأ آنيتكن زيتاً ومصابيحكن نوراً وادخلكن في يوم عرسه إلى الخدر السماوي دخولاً؟ فلا تنظرن فيما بعد إلى عروش الملوك الزائلة حسداً وصولجاناتهم البراقة المتأكسدة غيرة وتيجانهم المتدحرجة اشتياقاً، بعدما قد رأيتم للمسيح ولكم عرشاً في السموات رفيعاً ثابتاً وصولجاناً في الأعالي قائماً وتاجاً من المجد وبالأقمار والشموس مرصعاً.

ألا فهنيئاً لك أيتها العذراء مريم زفاف وحيدك المسيح ويوم عرسه، عرس الصليب. وهنيئاً لك يوم تتويجه بتيجان الشوك والشموس. فهل لك أن تقولي اليوم "ليس لهم خمراً" كما قلتها مرة في عرس قانا الجليل ليصنع المعجزة في الكنيسة ويحول ماءها خمراً في الأحواض والقلوب فائضة؟ بل هل لك أن تقولي اليوم للخدام والكهنة "مهما قال لكم فإفعلوه "(يو٢: ٥)، ليملأوا أجران النفوس ماء؟ أم أن الخدام اليوم لم يعد لهم من الإنجيل ماء ولا من الفداء خمرة ولا من الخدمة طاقة ليملأوا بها الأحواض ويعمّروا بها الأفكار.

أما أنت يا نفسي فبالمعمودية قد دعيت مع من دعيوا إلى عرس قانا الجليل، فكوني لذلك جرّة مليئة بماء كلمة الله الحية وزقاً مملوءاً من الخمرة المعتقة، خمرة الفداء والروح القدس لان لك في العرس حبيب مصلوب وعنقود معصور وحب من السماء في القلوب مسكر.

الاصحاح الرابع

١أ- ها أنت جميلة يا حبيبتي. ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك

إيه ايتها الكنيسة المحبوبة والوعلة الزاهية. أ هكذا يراك المسيح جميلة حتى يتغنى بجمالك غناءً وأنت البرصاء من اسفل القدم إلى قمة الرأس والمضروبة بالقروح والعيوب؟ ولكن ما عسى أن يكون جمالك بالقروح الجديد هذا حتى أُخِذ به الجميل الأزلي المسيح أخذاً؟ أ هو جمال تجسد المسيح فيك وفداؤه وقد غطّاك به تغطية؟ أهو جمال قداسة المسيح عليك وقد مسحك به مسحاً؟ أ هو جمال تعاليم المسيح وحكمته وقد زيَّنك وعقلك بهم زينة؟ أم انه جمال أسرارك وجلال طقوسك وذوق آدابك وهندام تقاليدك وقد تسربلت بهم ثوباً فازددّت جمالاً وعظمت جلالاً؟ أم أن جمالك هو كل هذا فكثُرت بذلك جمالاً فوق جمال ونعمة فوق نعمة. فتحليت كثيراً وصرت هكذا جميلة، حتى أنَّ المسيح الجميل سرمداً تعشَّقك بالفداء تعشقاً؟

نعم أيتها الكنيسة، جميلة أنت بالأساس والبناء لأن أساسك مسيح جميل وبناءك ذهب وفضة وحجارة كريمة (١كو٣ :١١_١٢). إنك جميلة الرأس والأعضاء، لأن رأسك هو المسيح الجميل وأعضاءك هم رسل وقديسون ومؤمنون مختارون. إنك جميلة في الداخل والخارج. إنك جميلة في إيمانك الخفي واعترافك العلني وفي روحك الداخلي وجسدك الخارجي.حقاً يا كنيسة القديسين إنك جميلة بقامتك الروحية والعقلية والنفسية والجسدية، لأنك وليدة تلك القامة السماوية، قامة المسيح وتخططين قامتك هذه بمقتضى تلك القامة الإلهية حياةً وتعليماً عقلاً وعاطفة وسلوكاً، حتى باتت عيناك وهم سرج حياتك، حمامتين من تحت نقابك.

ولكن ما عسى أن تكون عينا الكنيسة الحمامتان هاتان؟ أ ليست جسد الرب ودمه من على المذبح هما هاتان العينان الحمامتان ومن تحت النقاب المادي والغطاء الطبيعي؟ لأنه إن كانت العينان الطبيعيتان للجسد سراجاً ونوراً كقول الرب يسوع، فيكون جسد الرب ودمه هذان العينين النيرتين للكنيسة. وإن كان القلب هو علّة للحياة الطبيعية وهو مصدر الطاقة والحب والحياة طبيعياً، فسر الفداء كذلك، سر جسد الرب ودمه إنما هو علّة الحياة الروحية وهو مصدر الطاقة والحب والحياة إلهياً.

أجل بهاتين العينين ترى الكنيسة المستنيرة بالروح القدس ذاك الإله المجهول الذي لم يره أحد من الناس حتى فلاسفة أثينا. وبهاتين العينين الحمامتين وبجسد الرب ودمه تتحسس الكنيسة ذيّاك الحب الإلهي الفدائي الخافق والمخزون أزلاً في قلب المسيح الحبيب، قلب الحياة. ومن تحت نقاب الخبز والخمر ترى الكنيسة المسيح وقد مات لأجل خطاياها وقام لأجل تبريرها، بل ترى بالإيمان من تحت هذا الغطاء الطبيعي الإله المتجسد ذاته وقد رفع فوق الخشبة مصلوباً.

غير أن الكنيسة التي للقديسين لا تمتلك هاتين العينين الحمامتين على الصعيد اللاهوتي فحسب، بل على الصعيد الروحاني الحياتي أيضاً، لانه بامتلاكها الروح القدس قد إمتلكت روح الحمام والسلام، روح الوداعة واللطف روح النقاء والقداسة. فصارت عيناها بذلك حمامتين ليس أمام الله فحسب بل وأمام الناس كذلك، وليس مع القديسين الصالحين فحسب، بل مع الأشرار أيضاً مكمّلة وصية الرب القائلة "كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام".

ولكن كيف تمتلك الكنيسة هذه الأعين الحمامية في مجالها الحياتي هذا، وعيناها في الأصل هما عينا الغربان والذئاب الشرسة؟ أ ليس بقلع عينيها الغرابية أولاً وبالتالي

زرعها بالعينين الحمامتين، هذه العملية الروحية التي أشار إليها الرب يسوع بقوله "لأنّه إن أعثرتك عينك فاقلعها والقها عنك، خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كلّه في جهنم"؟ ماذا إذن؟ أ قصد المسيح بكلامه هذا قلع العيون الجسدية الطبيعية؟ كلا، بل قصد قلع الشهوة الشريرة المنحرفة الجاثمة في العينين وإلاّ لصار المؤمنون والقديسون إطلاقاً عمياناً ومن دون عيون.

إذاً لتُقلع العيون العتيقة الفاسدة الشريرة للكنيسة ولتُزرع محلها العيون البسيطة الطاهرة. لتُقلع فيها العيون المستعلية ولتزرع لها العيون المتواضعة. لتُقلع منها العيون القاسية ولتزرع لها العيون الرحيمة. لتُقلع عيونها الزانية الفاجرة وتزرع لها العيون المقدسة الطاهرة. لتُقلع عنها العيون الشرسة الحاقدة ولتزرع لها العيون المسالمة المُحبِّة، لتُقلع عنها عيون الذئاب المنتقمة وتزرع لها عيون الحمام الوديع. لتُقلع عيون الإنسان العتيق وتزرع عيون الإنسان الجديد، يسوع المسيح وذلك لأنه الوديع والمتواضع القلب.

ولكن من الذي يقدر أن يقلع العيون الشريرة ويزرع محلها العيون الصالحة؟ أليس خالق الأجساد والأعضاء؟ أليس الطبيب القادر أن يشفي كل مرض في الشعب؟ أليس المسيح خالق العيون للعميان بعدما ولدوا من بطون أمهاتهم عمياناً هكذا؟ أليس المسيح القادر أن يخلق للعميان عيوناً للجسد وعيوناً للروح؟أجل أصابع المسيح وكما هي في كلمات إنجيله لقادرة أن تقلع من الإنسان العيون الشريرة لتزرع فيه العيون الصالحة الوديعة وبأشعة روح قدسه يُكحل هذه العيون فتزداد جمالاً وحُسناً ووداعةً.

نعم بهاتين العينين الجديدتين تستطيع الكنيسة أن ترى ذاك الإله الذي لا يُرى، يسوع المسيح ربنا. تراه فوق جبين خليقته الطبيعية المادية وتراه فوق صفحات إنجيله وكلماته الحية الباقية وتراه في قداسة قديسيه وصرخات دماء شهدائه وكرازة مبشريه ومعجزات رسله وتراه في أسرار كنيسته وطقوس بيعته، بل تراه تحت أعراض الخبز والخمر في جسم بشريته ودمه وطاقة لاهوته وفدائه.

هذه هي العدسات الروحية التي تستطيع الكنيسة أن ترى من خلالها ذاك الذي اشتهى أن يراه ملوك ولم يروه. وترى الكنيسة مسيحها وحبيبها، بعينيه الناريتين الوديعتين ناراً محرقة للخطيئة وحلفائها ووداعةً ورحمةً للإنسانية الجريحة. وهكذا تمتلك الكنيسة العينين الحمامتين طالما تتطلع إلى المسيح تطلعاً وتخفي ذاتها تحت نقاب التواضع إخفاءً وتلف نفسها بلفائف الفداء لفاً وتتغطى بمنديل المصلوب على وجهها تغطيةً. ولكن إذا ما حاولت الكنيسة كما هو شأنها اليوم أن ترفع عنها برقع التواضع ونقاب الصليب وتتخلى عن لفائف الفداء والمنديل لتظهر بذاتيتها فوق المسرح، فللحال ستمرض عيناها وتغلُظ أجفانها وتعتُم بصيرتها ويتغير شكل عينيها ومنظر وجهها، وإذّاك لا تستطيع أن تشخِّص للمسيح الحبيب صورة صحيحة بل ترى حقائقه اشجاراً وأشباحاً وترى الحق باطلاً والباطل حقاً، فتتلمس الحائط كالعميان وكالتي بلا أعين تتحسس (أش٥٩ : ١٠).

والآن من أية فئة أنت اليوم ايتها الكنيسة؟
أ أنت من فئة العذراء مريم والكنيسة الأولى وسائر الحمام القديسين، حيث العيون الحمامية الوديعة المقدسة الهادئة، أم انك من فئة كفرناحوم المرتفعة بقلبها وإسرائيل الفاسقة الشريرة بعيونها والظالمة بأحكامها والشمشونة بمدارها؟ أو لم تمنحك

المعمودية الروحية عيوناً جديدةً أيتها الكنيسة وتكحِّلها بمسحة الميرون المقدس تكحيلاً وبجسد الرب ودمه تنيرها تنويراً؟ فعلامَ اذاً هذا العمى في عيونك اليوم وهذا التقيح في قرنيتك والتراخوما في جفنيك، حتى أنك لم تعودي ترين لا المسيح فحسب بل أيضاً نفسك وقريبك كذلك؟

حقاً قذى الذات بين أجفانكَ بل خشبة الأنانية في عينيك وهذان هما عِلّة العمى في روحك وسبب الظلام في عقلك والتقسي في قلبك. وإلاّ أين هي عيونك الطاهرة الوديعة الأولى أيتها الكنيسة البابلية؟ أين هي عيون قديسيك فيك وعيون عذرائك فيك يا عديمة الكحل والنقاب؟ هل قد أصابك اليوم العمى الأدبي الذي أصاب قديماً ملاك كنيسة اللاودكيين؟ وهل اصابك اليوم عمى الذات والاكتفاء الذاتي والاستغناء الذهبي؟ هل أصابك العمى النصفي الذي قد أصاب ذاك الأعمى الذي أخرجه المسيح خارج المدينة وكان يرى الناس كالأشباح بسبب شكوكه وإلحاده؟ أم أنَّك اليوم أيتها الكنيسة التي لم يعد في وسطها طبيب قد اصبت بالعمى الكلّي كبرتيماوس؟

ألا عليك بالمسيح طبيباً خبيراً، أيتها الكنيسة ليُخرِج القذى من بين أجفانك والخشبة المحرقة من عينيك وليخلق فيك العينين النيرتين والحمامتين الوديعتين وبأصابع إنجيله يكحلهم بكحل الروح القدس تكحيلاً.

وأما أنت يا إنسان الله فان شككت عينك واعثرتك شهوتك وأغرتك ثروتك وأوقعت بك صديقتك واستعبدتك عادتك، فاقلعها واقطعها عنك. وعليك بعيون المسيح سراجاً وبقداسة عينيه منظاراً وبوداعته تطعيماً.

١ب- شعرك كقطيع ماعز رابض على جبل جلعاد

أجل كنيسة المسيح قد وجدت لتربض فوق جبل جلعاد حيث المراعي الدسمة الخضراء والمياه الباردة العميقة ومراعي الفداء المشبعة ومياه الروح القدس المروية. ولم توجد قط لتربض مع الخنازير في الكورة البعيدة ومع الشياطين بين القبور الجدرية. والى هاتيك المراعي الإنجيلية الدسمة في الحب والسمينة في البر حيث تربض كنيسة القديسين أشار النبي داؤد بقوله "في مراع خضر يربضني والى مياه الراحة يورديني" (مز٢٣ :٢). بل إلى هذه الجبال الإلهية تطلع هذا النبي فقال "اني رافع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني" (مز١٢١ :١).

إذاً فكيف لا تربض الكنيسة فوق جبل جلعاد وهي قد تلقت تعاليم سيدها من فوق جبل وعاينت إشعاعات لاهوته من فوق جبل وتبصرت أشراقات فدائه من على جبل بل أمست هي الأخرى مدينة مبنية وموضوعة فوق جبل؟ وما الجبل هذا وذاك سوى الرب يسوع المسيح.

حقاً المسيح جبل ثابت في بره وراسخ في حبه وقوي بسلطانه ومرتفع بلاهوته ومنبع بفدائه وجبار في تحدياته وغني في خيراته ولبنان في مشاهد جباله. كيف لا والكتاب يقول عنه "إنه حجر قطع بغير يدين". أي من دون قوة بشرية وزرع طبيعي. وضرب تمثال نبوخذنصر الذي قد رآه في حلمه في قدميه فسحق فيه الحديد والنحاس والفضة والذهب وسائر ممالك العالم المتنوعة والمتعاقبة. واما الحجر هذا والذي هو المسيح فصار جبلاً عظيماً كبيراً وملأ الأرض كلها (دا٢: ٣١-٣٧).

إذاً فعلى هذا الجبل السماوي الأشم (المسيح) قد استقرت الكنيسة كما استقرت سفينة نوح فوق جبل آراراط. فراحت من ثم تربض فوقه كقطيع معز لابسة مسوحاً وذلك كما هي في واقعها الكهنوتي وفي شخص صموئيل وفي واقعها النبوي كما هي في شخص ايليا واخنوخ وفي شخصيات رجالاتها المختارين الذين طافوا بجلود غنم ومعز معتازين ومذلين" (عب١١ :٣٧). فالكنيسة ستبقى حاملة في ذاتها روح الندم على الخطيئة وتلبس مسوحاً روحياً، ذاك الحزن المقدس والمطهر والذي يقول عنه الرسول بولس "أما الحزن الذي بحسب مشيئة الله فينتج توبة للخلاص". وإلا كيف تقدر الكنيسة أن تكون لله نذيرة وللفادي كشمشون مُكرَّسة وكصموئيل مقدسة لابسة مسوحاً، مالم تكن هكذا على جبل جلعاد رابضة وفوق جبل الجلجثة راعية؟ وأين تقدر الكنيسة أن تتقدس حقاً وتلبس المسوح يقيناً وتربض كقطيع معز فوق جبل جلعاد أكيداً؟ أليس فوق ذياك الجبل السماوي الأشم يسوع المسيح حيث تداس خطاياها تحت أقدام الناصري المصلوب دوساً؟ بل أين تستطيع الكنيسة أن تغلب غلبة وتهتف هتافاً؟ أليس بنقطة السيطرة هذه وقلعة الفداء تلك وجبال اللاهوت هذه وتلك؟

اجل هكذا كانت الكنيسة في أجيالها الأولى قطعاناً من المعز المكرسة فوق ذياك الجبل الفدائي وبين مراعي قداسته تربض ربضاً لذلك لم يعلُ رأسها موس ولم يذق فمها خمرة لأنها باتت للمسيح نذيرة وفي عقليته اللاهوتية الفدائية كالشعيرات ثابتة. وهكذا أيضاً قد صارت الكنيسة بأفرادها شعيرات نابتة في راس المسيح وهي تتدلى على كتفيه لتعلن هاتيك العقلية الإلهية الفدائية بصفتها جسد المسيح، تلك العقلية المجيدة التي راحت تتدلى على كتفي المسيح، الكتف اليهودي الروحي والاممي الروحي. وستبقى هذه الخصل هكذا جميلة مهيبة طالما هي في راس المسيح

ثابتة وفي فكره وعقله منجذرة ومتأصلة تستمد منه الطاقة الوجودية والقوة الحياتية والحكمة الأزلية.

لكن أن انفصلت الكنيسة عن المسيح يوماً، انفصال الشعر عن الرأس وكما بموس، موس الشيطان الذابحة فللحال كشمشون المقصوص الخصل ينفك عنها نذرها وتفارقها قوتها بل وتفقد عقلها وبصيرتها. فلا ترى نفسها إلا وقد صارت في مدار العالم مربوطة ومشدود: (قض١٦: ١٦-٢٣). حقاً أحضان دليلة ومستودعات الشهوة هي الموس الشيطاني الذي يفصل الشعر عن الرأس والمؤمنين عن المسيح والقلب عن الله. كيف لا واحضان دليلة هذه هي الموضع الذي منه سقط الإنسان الأول نحو الحضيض ولا يزال؟ أليس من هذا الموضع قد تدحرج التاج عن راس سليمان وتدحرج معه عقله فراح من ثم يسجد لنسائه ودليلاته سجوداً ويخر لأصنامهن خروراً؟

ألا بالحق كانت كنيسة القديسين تمثل تكريس شمشون في طول شعره ومقاطعة خمره وقوة حروبه وطاقة انتصاراته. وباليقين كذلك كنيسة اليوم، كنيسة الجسد والعالم، باتت تمثل شمشون في نومه وقص شعره وحلق رأسه وفقدان قوته وقلع عينيه وضياع شخصيته. كيف لا وكنيسة القديسين قد ربضت كقطيع من معز فوق الجبال ولبست المسوح فوق الأبدان والأذهان وتدلت خصائل الشعر والأفكار فوق الأكتاف وقطعت لرجال مديان الأوتاد واقتلعت المصاريع من الحيطان وصار لها اكثر من جولة مع الشيطان. بينما كنيسة الجسديين اليوم راحت تربض في اسفل الوادي وترقد الليل البهيم بين الأحضان وتحلق الرأس مع الأذهان وتثمل بالخمر مع السكران وتفقد البصر والبصيرة على أيدي مديان بل تجر المدار بمذلة

وهوان مع الحيوان. وستبقى الكنيسة هكذا طائشة في أعمالها وذليلة في مدارها حتى تتوب عن دليلتها توبة وتسترجع نذرها وتطيل شعرها وتصعد إلى الجبل لتربض في مراعيه ربضاً مشبعاً دسماً لتتم فيها الكلمة المكتوبة "شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد".

هكذا كان التكريس في العذراء مريم وكذا في الكنيسة الأولى تكريساً روحياً نفسياً وجسدياً مطلقاً، حتى أنها كانت وكأنها قطيع معز رابض على جبل جلعاد، جبل الصليب فقطعت بسوعد إنجيلها الأوتاد الجسدية وكسرت بطاقات الروح المصاريع العالمية وطهرت، من كرومها وحقولها بنات آوى وكافة الثعالب المحتالة بل راحت هذه وتلك تدور لا كشمشون في مدارات عالمية بل تدور كمركبات للمسيح في مدارات روحية ومجالات إنجيلية وهي تعلن لشعوب الأرض قاطبة قوة الله وقداسة المكرس الفدائي الأزلي يسوع المسيح.

واما أنت أيها القارئ العزيز. فأين تربض الآن واين ترعى؟ أ تربض فوق جبل الصليب حيث المسوح الإلهية والتكريس الفدائي أم في أورشليم الجسدية حيث التآمر على صلب المسيح في الظلام؟ أ ترعى فوق جبال إنجيل المسيح السامقة إيماناً ورجاءً ومحبةً أم ترعى الخرنوب في الكورة البعيدة مع البصل والثوم في مصر الخطيئة؟ أ تتغذى من على قمم الكنيسة، جسد الرب ودمه عربوناً للحياة الأبدية أم انك في المستنقعات ومع اللقالق تلتقط الضفادع طعاماً ومع الكراكي الجيف غذاء؟ أين ترقد يا شماس الكنيسة وأين تضطجع يا كاهن الرعية؟ أ في أحضان حواء الأم القديمة أم في أحضان العذراء الأم الجديدة؟ أ في أحضان كنيسة القديسين، دليلة قاضي القضاة المجيد يسوع المسيح أم في أحضان كنيسة الجسديين،

دليلة عبد العبيد شمشون البليد؟ بمن تعتز اليوم وتتفاخر؟ أ بالقديسين ذوي المسوح والشعر الطويل وبالعمالقة الروحيين وذوي القامات العالية والذين بالإيمان قهروا ممالك وسدوا أفواه اسرد واطفأوا قوة النار وهزموا جيوش وفوق الجبال الإلهية كقطيع من معز باتوا بربضون أم انك اليوم تتفاخر بالأقزام الذين حلقت بموس دليلة شعور رؤوسهم ولحائهم ولعبت خمرة الخلاعة في قلوبهم ورؤوسهم وعرّت الخطيئة أجسادهم وقيّدت بأوتاد الجسد واعماله سواعدهم بل أذلّت دليلة رجولتهم وقضاء نذرهم وكهنوتهم؟

واما الآن فاشكر يسوع المسيح الذي باحتضانه الصليب قد طعن دليلة قلبنا وشهوته في الصميم وصار لنا بذلك قاضياً قدوساً ومخلصاً عزيزاً ونذيراً في السماوات اميناً وهو يترسط قطيع قديسيه وشعره كقطيع معز رابض فوق جبل الخلاص.

٢- أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيهن عقيم

ترى ما عسى أن تكون أسنان الكنيسة هذه والتي هي كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل؟ أليست هي القديسون الذين تناولوا إنجيل المسيح غذاء، فامتصوا منه الحقائق اللاهوتية وأكلوا فيه الوقائع الفدائية وهضموا منه الإعلانات السماوية وراحوا من ثم يحوِّلونه في ذواتهم دماً للحياة وعقلاً للتفكير وقلباً للمحبة؟ وإلا ما معنى قول الرب في مزامير داؤد "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" بل قول المسيح لتلاميذه "لأن الذي يأكلني فهو يحيا بي" (يو٦ :٥٧).

فمن هم الذين يأكلون المسيح جسداً ويشربونه دماً ويقتاتونه لاهوتاً وفداءً بل ويمضغونه روحاً وحياة؟ إنهم القديسون المتجدِّدون والمؤمنون المختارون والآباء اللاهوتيون والملافنة البعيون والمبشرون الكارزون والأساقفة الملهمون والنساك المتعبدون والذين بسبب الخبرة قد صارت لهم قدرة روحية على التمييز بين الخير والشر، حيث أن أسنانهم قوية لأكل الطعام القوي الذي للبالغين كقول الرسول بولس "لأن اللبن هو طعام الأطفال العديمي الخبرة وأما الطعام القوي فإنما هو للرجال البالغين" وكقوله كذلك "لما كنت طفلاً، كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل" (١كو ١٣ : ١١).

فلا بد إذن من سقوط الأسنان اللبنية في الكنيسة وانتهاء دور الطفولة فيها لتنموا فيها الأسنان الدائمية وابتداء دور الرجولة فيها لتتمكن من هضم الحقائق الإلهية العظمى واستيعاب القضايا اللاهوتية الكبرى. وإن كان المسيح هو رأس الكنيسة فإن قديسوه هم الأسنان المنظَّمة في ذياك الرأس التي تتبنّى مهمة مضغ الطعام القوي وتقديمه للجسم وأعضائه طعاماً وحياة. كيف لا والرب قد خول أسنانه هذه بل تلاميذه الحق بقوله "قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله واما هؤلاء فبالأمثال" وإلا من استطاع أن يفهم تعليم الرب عن سر جسده ودمه ما خلا الإثني عشر رسولاً؟ حيث راح اليهود بخصوصه يخاصم بعضهم بعضاً قائلين " كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل"؟ وحيث قد رجع الكثير من التلاميذ من ورائه بسبب ذلك قائلين " إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه".

إذاً فالرسل الإثني عشر ومن كان بمستواهم الروحي، هم الذين قد تفهّموا كلام الرب وصاروا له بذلك أسنانا تأكل كلامه أكلاً وتستوعب عقليته اللاهوتية والفدائية استيعاباً ولسان حالهم يقول مع الرسول بطرس "إلى من نذهب يارب وكلام الحياة الأبدية عندك ونحن قد آمنا وعلمنا بأنك أنت المسيح ابن الله الحي" (يو٦ :٦٠_٦٩).

على أن أسنان المسيح وقديسي كنيسته ليسوا على نوع واحد بل على أنواع وأشكال كقول الرسول بولس "وهو قد أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين" (أف٤ :١١). ولكن الجميع يعملون بروح واحدة هو هضم الحق المتجسد في المسيح وتقديمه لأعضاء الجسم طاقةً حيةً. وإلى هذه المهمة قد أشار الرسول بولس بالقول "لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (إف٤ :١٢_١٣).

إذاً باتت هذه الأسنان في حظيرة الكنيسة وفي فمها وفي راس رئيسها المسيح صفوفاً وقطعاناً وهي تتراصف وتتعاون هكذا لإعداد الطعام ومضغه وتقديمه لجسم المسيح (الكنيسة) قوتاً وقوة، حتى باتت الأسنان هذه ضرورة حياتية لجسم الكنيسة لا يمكن الاستغناء عنها إطلاقاً. لأنه كما أن الجسم المادي لا يقدر أن يستغني عن الأسنان المادية، هكذا الجسم الروحاني (الكنيسة) لا يقدر أن يستغني عن القديسين كأسنان فيها إطلاقاً. لأن الاستغناء عن هذه الأسنان في المجالين الروحي والمادي يعني تقبُّل الأمراض عينها.

والآن فكيف لا يمسي القديسون وهذا الواقع في الكنيسة كقطيع جزائر صادرة من الغسل وقد تطهَّرت بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، بل تنقت هذه الأسنان بكلمة الله الحية تنقية كقول الرب لقديسيه" أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به" (يو ١ :٣)؟ كيف لا وقد تقدَّست هذه الأسنان بالماء والروح كقول الرب لنيقوديموس "الحق الحق اقول لك إن كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣ :٥) وكقول الرسول بولس "لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة" (أف٥ :٢٦)؟

إذاً قد صار القديسون في جسد الرب وكنيسته اسناناً ووُضِعوا بيديه فيها، أي في الكنيسة أنبياء ورسلاً ومبشرين ورعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين في أجيالها الأولى إذ كانت الكنيسة حينذاك كاملةً بأسنانها قويةً بقواطعها وحادةً بأنيابها متينةً بأضراسها بيضاء بحياتها طاهرةً بجوهرها صحيحةً بمادتها. لذلك كان الغذاء دسماً والجسم قوياً والدم سلبماً والعقل مفكراً مبدعاً. واما في أيامنا هذه، أيام الردة والخيانة فقد تهرَّمت الكنيسة هرماً وتسوَّست بالعفونة أسنانها وتمرَّضت أعضاؤها بالقذارة تمرضاً. حيث لا كلمة للمسيح بين الأسنان ولا عسل له في القلوب والدماء، لا بل توشك الكنيسة أن تموت موتاً أو تكاد. أليس كذلك يا جسم الكنيسة العليل وجميع أعضائه الصغار والكبار؟ أليس كذلك يا جميع قديسي ربنا واسنانه الأنقياء؟ أليس كذلك أيَّتها العذراء المختارة؟ والتي قد باتت للأسنان منبتاً وللقديسيين فكاً ومنطلقاً، بل باتت فكّين للاسنان كاملين، هضمت الله في روحها وجسدها بعدما صار فيها إنساناً وقدمته من ثم للعالم أجمع خبزاً من السماء نازلاً وحياة في النفس البشرية هابطة؟

وأنت يا قارئي العزيز. ما هو مكانك بين فكوك الأسنان هذه بل بين صفوف القديسين؟ أسن ابيض طاهر صحيح أنت أم سن اسود نجس ومريض؟ هل أنت ضرس متجذر وفي أعماق الفم ثابت، أم أنك ضرس متقلقل لا يستطيع أن يأكل إلاّ لبن الأطفال الصغار؟ أتنظف أسنانك يا صاحبي كل يوم بفرشاة الإنجيل ومعجون الروح القدس، أم أنك لا تعرف عن هذه الفرشاة شيئاً وعن هذا المعجون أمراً وكل ما تعرفه أن تأكل الثوم والبصل أكلاً وتنهش لحوم الجيف نهشاً؟

وأمّا أنت أيتها الكنيسة فطهّري شمامستك قواطعاً وقدّسي قسوسك أنياباً وصحّحي أساقفتك أضراساً، ليرجع إليك شبابك الأول وجمال وجهك البكر، فتتذوقين أذّاك المسيح -تلاوة وكلمة إنجيله شهداً وعسلاً ومن ثم تقدمينه لأعضاء خليتك دماً في الشرائيين نقياً وقلباً في الأعماق نقياً وعقلاً في الحكمة الإلهية سليماً. فهل تفعلين؟

٣أ- شفتاك كسلسلة من القرمز وفمك حلو

هكذا يتغنى الحبيب الطبيعي بجمال شفتي حبيبته وهو يراهما وقد احمرتا وتوردتا توردا، لأن في ذلك جمالها وطاقة حبها. الأمر الذي يملأ قلب الحبيب بالبهجة ويغمر عواطفه بالمودة والحب. لذلك إذا ما انعدمت الحُمرة الطبيعية من شفتي الحبيبة، سرعان ما تصبغ شفتيها بالحُمرة المصطنعة لتلفت بها أنظار الحبيب التفاتة وتجذب قلبه إليها جذباً.

وهكذا أيضاً الحبيب الأول يسوع المسيح ربنا يتغنى بجمال شفتي حبيبته (الكنيسة) غناء، وهو يراها مصبوغة بصبغة الحب ومحمرة بحمرة الفداء، فيلتفت إليها عند ذاك التفاتة وينجذب إليها قلبه انجذاباً.

ولكن ما اعظم الفرق بين شفاه وشفاه وبين حمرة وأخرى؟
فالشفاه الجسدية وإن كانت تصبغ بصبغة الحب والجنس ولكنها غالبا ما تكون ملوثة بالخطايا والشرور والكلمات الرديئة الباطلة كقول النبي اشعياء "ويل لي قد هلكت. لأني إنسان نجس الشفتين واسكن بين شعب نجس الشفتين. لأن عيني قد رأت الملك رب الجنود' (اش٦ :٥)؟ وكقول النبي داؤد "حنجرهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سم الاصلال تحت شفاههم. وفمهم مملوء لعنة ومرارة" (رو٣ :١٣-١٤)؟ ألا تتنجس هذه الشفاه بكلمات التعالي والتفاخر الروحي والمادي تارة على الله وأخرى على الناس. وكما هو مكتوب عن الشيطان وفي شخص ملك بابل والقائل في قلبه "اصعد إلى السماوات وارفع كرسي فوق كواكب الله. واجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. اصعد فوق مرتفعات السحاب. اصير مثل العلي." (اش١٤ :١٣-١٤)؟ بل ألا تتنجس شفاه المحبين أحياناً نجاسة وتتبرص برصاً بقذفها لاهوت المسيح وتطاولها على فداء الحبيب واستهنارها بأمجاد من هو المجيد العزيز وافتراءاهما على القديسين.

اجل بهذه الخطايا تتنجس شفاه العاشقين الجنسيين وتزول عنها حمرهما ويفنى شباها وجمالها، حيث تبتلع نجاسة النفس جمال الجسد وجمال الشفتين ابتلاعاً.

واما شفتا الكنيسة، كنيسة القديسين وحبيبة المسيح وعشيقة قلبه المطعون فهي بحق سلسلة من القرمز لأنها بدم المسيح الذكي قد تطهرت وبجمرة فدائه قد اصطبغت وبمسحة ميرونه قد تعطَّرت وبجمرة قربانه قد تقدَّست وبكلمة إنجيله قد تعقلت وتحلّت. كقول النبي اشعياء "فطار إلي واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمي وقال، إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك

وكفر عن خطيتك" (اش٦ :٦-٧). كيف لا "وإلى كل الأرض قد خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة قد نفذت كلمتهم" (رو١٠ :١٨)؟ كيف لا ولسان حاهم راح يقول مع الرسل "لأننا نحن لا يمكننا أن نتكلم إلا بما رأينا وبما سمعنا" (اع٤ : ١٩-٢٠)؟ ولا عجب في ذلك طالما قد اعطوا من المسيح فماً جديداً وشفاه جديدةً ولساناً من النار جديداً، عجز العالم وبكل فلسفاته أن يقف على قدميه قبالتهم ووصلت بذلك كلمة الحياة إلى أقاصي الأرض. أليس كذلك يا جميع أعضاء مجمع الليبرتين والقيروانيين والإسكندريين والذين عجزوا عن مقاومة الحكمة والروح الذي كان يتكلم فيه أستيفانوس (أع٦ :١٠)؟ أليس كذلك يا فيليكس وأنت ترتعد خوفاً في حضرة بولس وهو يكلمك عن البر والتعفف والدينونة (اع٢٤ :٢٥)؟ أو ليس كذلك يا جميع سلاطين الباطل وانتم تمتلأون فزعاً في قلوبكم أمام اصغر تلميذ قد تتلمذ تحت أقدام الناصري يسوع؟

أجل إنها غلبة الفم وقد امتلأ من السماء قوة. انه نار اللسان وقد التهب من الأعالي حقاً. انه قرمز الشفتين وقد اصطبغت به الكنيسة فداء. انه قوة الروح القدس التي لا تزال تطوّح بتيجان الشيطان من على الرؤوس وتضعضع العروش من تحت عبيد الخطيئة وتكسّر الصولجانات من أيدي عملائها ومأجوريها تكسيراً. كل ذلك يكمن في ذاك السلطان القائل "فانظروا إلى نفوسكم لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وتجلدون في مجامع وتقفون أمام ولاة وملوك من اجلي شهادة لهم. وينبغي أن يكرز اولا بالإنجيل في جميع الأمم. فمتى ساقوكم ليسلمونكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا. بل مهما اعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس" (مر١٣ :٩-١١). هذا هو فم الكنيسة الملتهب وهذا هو لسان إنجيلها المشتعل وهذه هي شفاهها وسلسلتها من القرمز.

إذاً رسالة شفتي الكنيسة ليست كلمة بل كلمات ولا بركة بل بركات وليست حلقة واحدة وحسب بل حلقات إنها سلسلة ذهبية فدائية قرمزية لا تنتهي ورسالة خلاصية لاهوتية لا تنثني وبشارة إنجيلية لا تلتوي ومسرحية للمسيح دموية لا تنطوي. نعم هذه هي شفتا الكنيسة القرمزية بل شفتا العذراء التجسّدية بعدما قد احمرَّت بقرمز الفداء احمراراً واصطبغت بدم ابن الله اصطباغاً، يوم تجسد منها بالروح القدس تجسيداً فصارت له بذلك الاتحاد اللاهوتي الناسوتي فماً ولساناً وشفاهاً وبميثاق الدم محمرّة.

ولم لا؟ فإن كان الرسول بولس يقول اصالة عن نفسه ونيابة عن المؤمنين "نحن أعضاء جسمه من لحمه وعظامه" (اف٥ :٣٠). فكيف لا تكون له العذراء ومن باب أولى جسداً وأعضاءً وشفاهاً كما هو مكتوب "ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع" (لو١: ٣١). وما تسبحتها المعروفة والتي تستهلها بالقول "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لو١ :٤٦) سوى سلسلة شفتيها وقد اصطبغت بقرمز الفداء صبغة مؤبدة.

والآن إن كانت العذراء في القرمز سلسلة وكنيسة القديسين في الفداء قلادة، فهل كنيسة اليوم هي نظير هذه وتلك في شفتي بشارتها وقرمز تضحياتها في شفتي خلاصها وقرمز حياتها؟ فهل كنيسة اليوم صبغت شفتيها بقرمز الخلاص كما فعلت من قبل كنيسة الرسل أم انها عديمة الشفاه ؟ هل شفاه الكنيسة اليوم محمَّرة بالفداء ومصبوغة بالدم، دم الحمل الإلهي المذبوح ومحمَّلة بالشهادة والاستشهاد أم أنها اليوم مصبوغة بصبغة الإلحاد ودم الإنسان؟

كذلك أيتها الكنيسة في جسد المخلص حمرة وفي العالم الخطاة صبغة للشيطان وفي بابل ارجواناً وقرمزاً، طالما لك في مصنع الفداء حمرة من الله مجيدة وفي معمل الصليب قرمزاً من السماء جميلاً وفي المسيح يسوع سلسلة من الحياة أبدية.

وأما أنت الأخرى يا نفسي، فإلى المقادس مع اشعياء حيث السيد يجلس فوق جمرات المذبح، لتتطهري من نجاسات شفتيك بطهارة نار مذبح الصليب مع السرافيم، حيث تتحول السلسلة الفدائية فوق مذبح الحياة جمرة من نار إلهية، حيث تنسكب النار الإلهية على الرسل ألسنة وشفاها ملتهبة، فتصير بذلك كلمات شفتيك لا حلقات متقطعة فيما بعد بل سلسلة من الشهادة القرمزية الفدائية وفمك نفسه أحمر هذا حتى الاستشهاد.

٣ب- خدك كفلقة رمانة تحت نقابك

من اللائق أن يكون خدا الكنيسة جميلين وقد رصّعا كما حبات الرمان ترصيعاً، البيضاء منها والحمراء وهي تلامس بعضها بعضاً بشفافية بلورية نقية لتكشف وجه الكنيسة من تحت النقاب حسناً وجمالاً.

وإذا ما كانت فلقتي الرمانة هذه رمزاً لوجهي الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فحبات الرمان فيه هي آياته وكلماته وألفاظه بل معجزاته الإلهية وأخلاقياته السماوية وعقائده الخلاصية وسلطانه الحياتية، بل ثماره الروحية الشهية، تلك التي قد عدد الرسول بولس حباتها بقوله "وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل ٥: ٢٢)

كيف لا؟ والمسيح في أزليته هو رمانة للحياة شهية. وفي شطر قلبه فوق الصليب شطرين ظهرت حبات حياته من تحت النقاب الجسدي وجرى عصير حبه وسلاف رمانه في النفوس الظمأى ترياقاً؟ فجمال وجه الحبيبة إذاً إن هو إلا انعكاس لجمال المسيح حبيبها، ذلك الكريم الذي راح يزرع في وجه كنيسته حبّات حبه وجواهر جماله. أجل أنه الحب العنيد الجارف الذي لا يعرف سوى العطاء والبذل والتضحية والذي لا يعطي سوى القلب بخفقته والحب بانطلاقاته والحياة بتفجيراتها. انها محبة الله من نحو إنسانيته وكنيسته ونفس بشريته والتي بعلة ذلك قد ارتفعت فوق صليب الموت جريحة وفوق العود مصلوبة ومسمَّرة مطعونة. فأعطت بعملها هذا للعشّاق جمالاً وللمتلهفين حياةً ورماناً.

ألا ما اعظم الفرق بين المحبة البشرية الجنسية والمحبة الإلهية الروحية. هذه محبة وقتية محدودة وتلك محبة أبدية غير محدودة. هذه عاطفة غريزية عابرة وتلك عاطفة فدائية وعقلية أزلية ثابتة. هذه محبة أنانية مُستغِلَّة وتلك محبة فدائية مُضحّية. هذه كثيراً ما تتضعضع إذا ما هبت أعاصير المرض وثارت عواصف المحن ونزلت أمطار الشيخوخة وإذاك تسقط سقوطاً عظيماً كبيت مبني على الرمل واما تلك فهي محبة سماوية تهزأ بالأعاصير ضاحكة وتتحدى التجارب القاسية تحدياً وقط لا تسقط يوماً لأنها مبنية على الصخرة والصخرة هي المسيح (١كو١٠ :٤). والى هذه المحبة أشار الرسول بولس بقوله "المحبة لا تسقط أبداً واما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهي والعالم فسيبطل (١كو١٣ :٨).

ألا ما اسعد حياة هؤلاء الناس المختارين الذين تقدس حبهم الجنسي بالحب الفدائي وأصعدوه إلى ذياك الصعيد، صعيد محبة المسيح للكنيسة، حيث تزرع حبّات الحب

والحياة كحبّات رمان في وجوههم فيزدادون جمالاً ويكثرون لؤلؤاً. وما أشقى حياة هؤلاء القوم الأشرار الذين خلت محبتهم الجنسية من محبة المسيح بل وقد تنجس فيهم الجنس بعمل الشيطان نجاسة وأمست وجوههم بفلقتيها الروحية والجسدية لا كفلقتي رمانة بل كفلقتي حنظل وكحبات الزؤان السبعة عشر. والتي عدها الرسول بولس بقوله "واعمال الجسد ظاهرة والتي هي زنى. عهارة. نجاسة. دعارة. عبادة اوثان. سحر. عداوة. خصام. غيرة. سخط. تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل. سكر. بطر" (غل٥ :١٩ـ٢٠).

اجل هذه هي فاكهة الشيطان وفلقتي حنظله وهذه هي حبات خطيئته وزؤانه. حيث راح هو الآخر يزرعها في وجه الإنسانية عدوته فيكسبها قبحاً وقذارة. من اجل ذلك جاء المسيح لينقض أعمال إبليس ويفدي كل وجه من القبح بجمال وجهه وحبات أفكاره وقطرات دمائه. غير أن الإنسانية لا تزال تتجاهل قبح الشيطان فيها وتتنكر لجمال المسيح في قديسيه بل وتعتمد الخطيئة جمالاً والشيطان حبيباً وحبات الزؤان في وجهها زرعاً حسناً.

اجل، ترى الإنسانية الزؤان في قلبها ووجهها مزروعاً والقبح والتجعيد في خديها مرسوماً. غير انها لا تلجأ للمسيح الجميل مكابرة بل تلجأ إلى شياطينها عناداً وتجبراً. وهكذا تحرث في وجهها خدوداً إضافية وفي حياتها أخاديد للقبح والبشاعة عميقة فيزداد فيها القبح كثافة والفراغ عمقاً والقامة الروحية هرماً وبالتالي يصير شق الحياة اردأ. وإذاك تجنح الإنسانية للخروج من الورطة بالأصباغ المادية تارة وبالمساحيق السياسية تارة أخرى وبالتكنيك المادي تارة وبالتخطيط البشري تارة

أخرى. ولكن كل المحاولات البشرية هذه والتجارب الإنسانية تلك ليست سوى أقنعة لتغطية ذيّاك الوجه الذي قد شوهته جدري الخطيئة تشويهاً.

لذلك إذا ما أرادت البشرية حقاً أن تتجمل بالحكمة السماوية عقلياً وبالمحبة الفدائية روحياً وبالقداسة الإلهية جسدياً، عليها بالمسيح حباً وجمالاً وحياة. إذ فيه صارت الكنيسة المقدسة بوجهها جميلة وبفلقتي رمانتها اليهودية والأممية حسينة، بل هكذا قد صار المؤمنون بالمسيح في وسط الرمانة حبات من اللؤلؤ نضيد ومن الماس لميع وقد صاغها المسيح في وجه الكنيسة صياغة إلهية وخليقة في رمانة الملكوت جديدة.

والآن فإن كان خدا وجه الكنيسة بفلقتيه يشيران إلى الكنيسة اليهودية والى الكنيسة الأممية وحبات الرمان هذه في الخدين تشير إلى المؤمنين والمقدسين الذين نظمهم الروح القدس هكذا أفراداً وجماعات. فيشير اللون الأحمر واللون الأبيض في هذه الحبات إلى حب المسيح في دمه والى بره في بياضه. وهذا هو جمال المسيح الأزلي المطلق والذي قد خلعه على مؤمني الكنيسة بفداء تجسده وتجسد لاهوته فأكسبها هذا الجمال الفتان الرائع. أليس كذلك يا رسول الأمم بولس وأنت تقول "لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أف ٢٧:)؟ أو أليس كذلك يا رسول الختان مار بطرس وأنت تقول "واما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بط٢: ٩)؟ أليس كذلك يا جميع قديسي إلهنا وحبات رمانته الشفافة الصغار منهم والكبار. لأنه مكتوب "لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها واعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً لأن البز هو تبررات القديسين" (رؤ١٩ :٧)؟

ولكن رغم هذه العطية العظمى واللطافة البلورية الشفافة التي أعطاها المسيح بفدائه وتجسده للإنسانية لا تزال هذه الأخيرة تتجاهل فيه هذا الجمال تجاهلاً، لا لشيء إلا لكونه جمال قداسة ليس إلا. لذلك راحت تنشد لها مساحيق الجسد وأعماله جمالاً وأدهان العالم ومعرياته حسناً. ولكن أين مساحيق الجسد هذه من مساحيق الروح تلك وادهان العالم الحاضر الشرير من ادهان العالم العتيد المجيد؟
هذه مساحيق للشيطان وقد صنعت في مصانعه، مصانع الذات والخطيئة، واستخلصت من سحق حقوق الآخرين مسحوقاً نجساً. وتلك مساحيق المسيح وادهانه وقد صنعت في مصانعه، مصانع البر والفداء واستخلصت من سحق ذاته كمصلوب، مسحوقاً مقدساً وباخق جميلاً ومجمّلاً.

ولكن ما الذي سيفعله أولئك الذين قد ستروا قبح وجوههم بمساحيق العالم زمناً وبادهان الجسد يوماً، إذا ما انكشفت وجوههم في حضرة المسيح على حقيقتها انكشافاً وبرزت فيها حبات الشهوات القبيحة بروزاً وظهرت عليها أخاديد الآثام ظهوراً وتجعدات البشرة بالنجاسة قبيحة؟

أ إلى حبل المشنقة والانتحار مع يهوذا، أم إلى الدود والنتانة مع هيرودس؟ أ إلى التيهان على الوجوه كالثعابين، أم إلى البرص كجيحزي في حضرة اليشع؟ أم إلى الظلمة البرانية حيث البكاء وصرير الأسنان مع الجاهلات الخمس وهن في حضرة عريس الحكيمات الخمس؟
لكن مالنا نحن اليوم وهؤلاء وقد تقنّعوا بالشهوة فحسبوها لطيفة وتمرغوا في الحمأة كخنزيرة واعتبروها نظيفة، طالما لنا في المسيح يسوع جمالاً في الوجه وحسناً في الخدين أبيضاً وأحمراً جليلاً؟ بل ومالك أنت أيتها الكنيسة وقد رحت تتشبّهين

بحنظل العالم وتتمثّلين بحبات الجسد ورمانه تمثيلاً لذلك قد جفّت الحبات فيك جفافاً وتيبست فيك الفلقتين تيبساً وانعدم فيك الجمال انعداماً لأنك جنحت إلى أمك الأولى الساقطة -حواء جنوحاً وجددت تجربتها الأولى وأنت بين أشجار الفردوس تجديداً.

فإلى ذياك الوجه العذراوي وجه أمك الثانية الجديدة ايتها الكنيسة وإلى وجه اسطيفانوس الملائكي ي شمامسة البيعة (اع٦: ١٥). بل إلى تلك الرمانة البكر والعذراء، يا جميع حبات بيعة الله، كبارها وصغارها اكليروسها وشعبها.

أما أنت يا نفسي فحذارِ أن تخرجي من الرمانة العذراوية الرسولية، بل أثبتي فيها بالروح القدس ثباتاً وأصطفي بقوة الحب بين حباتها المقدسة اصطفافاً لان في ذلك جمالك وشفافيتك.

٤- عنقك كبرج داؤد المبني للأسلحة، ألف مجن عُلّق عليه كلّها أتراس الجبابرة

كم يتباهى الحبيب الجنسي بحبيبته وهو يراها تتمتع بعنق يرتفع نحو الفضاء طويلاً ويتطلع كعنق الريم بعيداً. وكم يتباهى الحبيب الروحي يسوع المسيح هو الآخر بحبيبته الكنيسة عندما يراها تتمتع بعنق يرتفع نحو سماواته طويلاً ويتطلع كعنق الريم نحو أمجاده الإلهية بعيداً وكبرج داؤد يتسامى نحو قواته الدهرية قوياً. فكيف لا يفرح قلب المسيح بهذ، العروسة ويتباهى بعنقها وهو يراه مُحكَم الإيمان قوياً وشديد الرجاء متيناً وملتهب الكلام كارزاً ومثبت إنجيل الفداء معزّزاً؟

اجل عنق الكنيسة وكما يجب أن تكون الكنيسة، برج يتحدى ظروف الزمن وأعاصير الدهر ويتسامى بأهدافه نحو الأعالي مستمداً طاقته وثباته من ذياك العرش الرفيع، حيث المسيح جالس سيداً للعرش ورباً للبرج (أع٧ :٥٥). وإلى تسامي

عنق الكنيسة هذا أشار الرسول بولس بقوله "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح الله" (كو٣ :١).

هكذا ارتفعت كنيسة القديسين والرسل من البدء بعنق حياتها وطاقات عقليتها وكلمات كرازتها وعواطف أحشائها وسلوكية حياتها نحو المسيح مركز الحب فيها والحياة. كيف لا وقد أخذت من بين أضلاعه وجنبه المطعون أخذاً وخلقت من أحشائه كحواء خلقاً وصورت تصويراً ؟ لذلك لم تخلق الكنيسة في المسيح السماوي لتزحف فيما بعد ذلك على الأرض وبين الأقذار زحفاً ولا لتحبو فوق النجاسات. بل لتستقيم بقامتها وتتسامى بعنقها كبرج داؤد نحو السماوات تسامياً. وما برج داؤد هذا سوى الرب يسوع المسيح القوي "الذي صار من نسل داؤد حسب الجسد" (رو١ :٣-٤) .وبتجسّده صار برجاً للمراقبة في ممالك البشر ومنطلق أصوات وبروق ورعود فيها بالإنجيل. وراح يغمر العالم بثورة روحية عملاقة بواسطة أناس الله القديسون الذين باتوا حراساً مسلَّحين من هول الليل. فكيف إذاً لا يعشّش الحمام الزاجل المبشر في هذا البرج ويتحصن به اليمام الطاهر من سهام الصيادين الأشرار وشباك الشياطين.

ولكن أين هو برج داؤد ذاك من برج المسيح هذا وأين أسلحته من أسلحة المسيح؟ برج داؤد بني بأيدي الناس، أما برج المسيح فبني بيد الله. برج داؤد بني لأسلحة حديدية مادية، أما برج المسيح بني لأسلحة روحية وأدبية. برج داؤد علق عليه ألف مجن، أما برج المسبح فعلق عليه ملايين المجنات (القديسين). جبابرة برج داؤد زالوا وانقرضوا، وأما جبابرة برج المسيح فخالدون إلى الأبد .أسلحة برج داؤد

صدأت وتثلّمت برقاب الكباش والأغنام والخرفان وستطبع عما قريب سككاً ومناجل، أما أسلحة برج المسيح الروحية فهي أسلحة إنجيلية ذات الحدين الإلهية والتجسّدية وهي لا تزل "ماضية واحد من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفارق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته"(عب٤ :١٢). وهي تشق قلب الشيطان إلى شقين اثنين تحت أقدام هؤلاء الحراس القديسين والعمالقة المختارين، وهم كاتراس للجبابرة معلقة هكذا في برج المسيح تعليقاً. فلا عجب إذا ما أخاف البرج السماوي هذا، العالم الشرير خوفاً وارتعبت منه الشياطين ارتعاباً وحسبت له ملوك الأرض حساباً، طالما البرج هذا هو برج مراقبة وتحدي. هذا الواقع الذي لوح اليه الرب إلهنا بقوله لإخوته الذين حسب الجسد "لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضني أنا، لأني اشهد عليه إن أعماله شريرة" (يو٧ :٧). ومن هذا المنطلق راح الرسول بولس يكتب قائلاً "أن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون وهادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستاسرين كل فكر إلى طاعة المسيح ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم" (٢كو١٠ :٤-٦).

إذاً أسلحتنا الحديثة والثقيلة هذه ليست جسدية ضد الإنسان بل روحية ضد الشيطان وقواته واعماله. وقد علقت في مشجب البرج كقوة سماوية وقواعد إلهية أدبية يتسلح بها القديسون ضد الأرواح الشريرة تسلحاً. وإلى هذا التسلح الروحي والترال الإنجيلي اشار الرسول بولس قائلاً "فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمّموا كل شئ أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين

احقائكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين ارجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله" (اف٦ :١٢-١٧)

فأين إذن برج داؤد من برج بني داؤد. يسوع المسيح وأين هي اسلحته من اسلحتة وجبابرته من جبابرته. حقاً "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع" (يو٣ :٣١). وليس ذلك فحسب بل اين البرج البابلي من هذا البرج السماوي؟ نعم لا يزال الناس يقولون لبعضهم "هلم نصنع لبناً ونشويه شياً فيكون لهم اللبن مكان الحجر والحمر مكان الطين. فيبنون لأنفسهم مدينةً وبرجاً رأسه إلى السماء. وذلك لكيما يصنعوا لهم إسماً لئلا يتبددوا على وجه الأرض. ليكفوا عن بناء مدينتهم الشريرة تلك "(تك١١ :١_٩).

والآن لم وقف الرب الإله لبناة البرج البابلي بالمرصاد وافسد عليهم عملهم؟ ولم لا يزال يقف هكذا تجاه الكثيرين من أعمال البشر ونحن نعلم يقيناً أن الله بطبيعته إله بناء وتصميم وتقدم؟ أليس لأن اولئك وهؤلاء يعملون مستقلين عن مشورة الله وإرادته؟ أليس لأنهم يكتفون بحكمة عقولهم وشدة سواعدهم وباطل أعمالهم؟ أليس لكونهم يصنعون لأنفسهم على الأرض إسماً دون الرب ويسعون لتأليه ذواتهم دون تمجيد لاهوت الله فكيف إذن لا يفسد الرب أعمالهم هذه وأبراجهم تلك، وهي أعمال وأبراج ذاتية بل أبراج لبنية وحجرية طينية؟ حقاً خراباً يخرِّب الرب أبراجهم وبلبلة يبلبل لسانهم الباطل الشرير.

إذاً فبرج داؤد الإسرائيلي وبرج بابل العالمي يستهدفان دوماً الإنسان قوة وعظمة وتاليهاً. وأما برج المسيح يستهدف إطلاقاً الله قوة وعظمة ولاهوتاً. البرج البابلي والإسرائيلي يستقطبان بر الإنسان الذاتي. أما برج المسيح يستقطب بر الله الفدائي. البرج الإسرائيلي والبابلي يعملان على تصعيد أنانية الإنسان الخاطئ وكبريائه من الأرض إلى السماء، ليجلسوها فوق العرش داؤداً ونبوخذنصراً. وأما برج المسيح فيترل بالفداء من السماء إلى الأرض.ومن العرش الإلهي إلى المذود ومن الكرسي إلى الصليب، تتريلاً لأنانية الإنسان وإماتة ورفع الإنسانية من الأرض إلى السماء بالقيامة والصعود، برجاً روحياً متعالياً.

وهكذا يهدم الرب الأبراج الإسرائيلية الداؤدية ليبني أخرى كنسية، ويهدم أبراجاً بابلية عالمية ليبني أخرى، قدسية سماوية، ويتلف الأسلحة الحديدية ليسبك عوضاً عنها أسلحة روحية فدائية نورانية، ويسرّح جبابرة لداؤد وعمالقة لنبوخذنصر ليجنّد بدلها قديسين مكرسين وشهداء مفديين. "لانه هكذا سيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين. فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً. ولا يتعامون الحرب فيما بعد" (اش٢ :٤). بل يسكن الذئب مع الخروف. ويربض النمر مع الجدي. والعجل والشبل والمسمن معاً وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما معاً. والأسد كالبقر يأكل تبناً. ويلعب الرضيع على سرب الصل. ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان. لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر" (اش١١ :٦_٩).

آه كم يحلو لنا أن نتطلع إلى هذا البرج العاجي الرسولي وهو يرتفع بمنسوبه الروحي نحو السيد فوق عرش القوة ومصدر الطاقة ويتحدى الأعاصير الزمنية والعواصف التاريخية والبدع الشيطانية. أجل يطيب لنا أن نتأمل هاتيك المجان الرسولية والتروس الروحية والسيوف الإنجيلية وهي معلقة هكذا في مشجب البرج وفي قامة الكنيسة قوة لها وطاقة. ترى أية قوة تكون هذه التي تستطيع أن تنال من هذا البرج مغنماً ومن هذه القاعدة الصاروخية الفدائية مأربا؟ بل أي شيطان أخرس وأصم وأعمى يقدر أن ينطح هكذا برج، وكما هو في يسوع المسيح ولا تتكسر قرونه السبعة الوحد بعد الآخر؟

أجل قدر العالم اليوم أن يبني له أبراجاً وقلاعاً وحصوناً جديدةً ولا يزال في البناء هذا يؤله ذاته تاليهاً وينطق بلغة واحدة هي لغة الدم نطقاً. كما أن المسيح أيضاً لا يزال ينزل إلى الأرض بنخيل جسده وفدائه ليهدم هاتيك الأبراج هدماً ويبني على أنقاضها للحق كنيسة. وستبقى الحرب هكذا سجالاً بين هذا البرج وتلك، ما دام البرج العاجي هكذا هو ذات الحق والبر والخلاص وما دامت تلك الأخرى أبراجا بابلية ذاتية صنمية وأبراجا داؤدية إسرائيلية دموية. أجل تستطيع هاتيك الأبراج الشريرة أن تهدم كنائس جسدية عديدة وتستأصل بيعاً اسمية كثيرة وتحطم أبراجا صورية في الكنيسة المنظورة كبيرة. لكنها لا تستطيع النيل من كنيسة المسيح الروحية إطلاقا طالما البرج هذا مشيد على المسيح يسوع ابن الله الوحيد قاعدة وركيزة. لأنه مكتوب "أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لا تقو عليها" بل كيف تنال الشياطين منها مأربا وهي عمل يدي الله أصلاً؟ حقاً يا كنيسة القديسين "كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه" (اش٥٤ :١٧).

والآن هل ألِفَ التاريخ برجاً كهذا وسلماً، قاعدته البشرية في الأرض وقمته في السماء كالإله المتجسد يسوع المسيح (يو١: ١٤)؟ هل أختبر التاريخ جبابرة كشهداء يسوع، أثلمت رقابهم السيوف الإسرائيلية الفريسية والرماح البابلية الصنمية بالحدين؟ نعم انه برج المسيح وما يحدثه في مملكة البشر من بروق ورعود وأصوات وبالإنجيل ثورات وانتفاضات وانتصارات. حتى أن الشياطين في قطعان الخنازير وفي حضرة ذياك الناصري العملاق تهرب مذعورة. ولكن إلى أين؟ ليس إلى بحيرة الجدريين لتغرق وتموت، بل إلى بحيرة الجهنميين لتغرق في نار خطاياها وفي عذابات شرورها وظالمها لتموت موتاً أبدياً (لو٨ :٣٣).

حقاً قد تحدت الكنيسة بسلاح البر شياطيناً طالما كانت في مستنقعات النجاسة كالضفادع مرتطمة. وهدمت بسيف الإيمان معابداً للبعل طالما تكرست لعبادة الأصنام، ونقضت بأسلحة الروح القدس الثقيلة أبراجاً طالما ترفعت فوق إنجيل المسيح ترفعاً، وكسرت بمطرقة الكلمة الازلية يسوع المسيح تيجاناً وعروشاً وصولجانات لملوك طغاة وأباطرة عتاة وأكاسرة جلاد طالما تعالت فوق أبراج المظالم تعالياً وتعاونت مع كتائب الشيطان وافترست خرفان المسيح كالذئاب وأذلت تحت أقدامها بؤساء الأرض إذلالاً.

أجل بقوة المسيح استطاع هؤلاء الجبابرة أن يقتحموا للأباطرة قصوراً ويهزوا للملوك عروشاً ويدحرجوا للأمراء تيجاناً ويهزأوا بأيدي العظماء صولجاناً بل ويزلزلوا لهيرودس سجناً ويهدموا لذرية داؤد ابراجاً. كل ذلك لان يسوع المسيح، رئيس جبابرة الأرض والسماء "قد جاء راكباً فوق فرس أبيض ومعه بشارة أبديةً وقد أعطي قوساً وجاء غالباً ولكي يغلب" (رؤ٦ :٢). غالباً روحياً بصليبه وغالباً جسدياً بمجيئه. لذلك فليعلم إسرائيل اليوم أن ابن داؤد حسب الجسد

والذي قد رفعوه فوق خشبة مصلوباً قد صار للقديسين رباً ومسيحاً وبرجاً للحياة حصيناً، واما للإسرائيليين ولجبابرة داؤد الجسديين والبابليين العالميين المكابرين فقد صار حجر صدمة وصخرة عثرة وبرج دينونة مخيفة

ترى هل كنيسة اليوم هي في مستوى الإنجيل برجاً وجبابرةً ومُجاناً؟ هل تبني الكنيسة اليوم برج ملكوت الله فوق الأرض بلغة واحدة هي لغة المحبة والروح القدس؟ هل حراس الكنيسة اليوم رسل عمالقة وقديسون جبابرة وحراس مجنَّدون وكهنة مكرَّسون ؟ أم أن الكنيسة اليوم راحت هي الأخرى تشترك في بناء برج البابليين وتتملق جبابرتهم وتتكلم لغتهم فباتت رجالاتها بذلك ليست عمالقة وجبابرة بل أقزاماً جبناء وعلى البرج الإنجيلي دخلاء ومأجورين ومرتزقة طماعين؟

فإلى برج الحياة ومعقل الخلاص أيتها الكنيسة البابلية العالمية وإلى ذياك البرج الرسولي يا جميع خلفاء الرسل وإلى أسلحة ابن داؤد الروحية يا جميع الحرّاس النائمين والكهنة المسرَّحين وإلى لغة المسيح في الإنجيل يا جميع الذين أخرستهم الخطيئة ولم يعودوا يتكلمون إلاَّ بلغة بابل والبابليين بل الى المقصورة السماوية والمدينة العذراوية والأسلحة البتولية والأبراج التجسّدية يا جميع مدن شنعار.
أمّا أنت يا إنسان الله، فإلى ذياك البرج بقاعدة تجسده وعمارة فدائه وذروة قيامته وجبابرة رسله. نعم إلى "المسيح الذي صار من نسل داؤد حسب الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو١ :٣_٣)

٥ -ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن

اجل هكذا تغنى المسيح بجمال حبيبته بعدما خلع عليها الجمال بالتجسد خلعاً، فراح يشبهها بالظبية الزاهية وثدياها بالخشفتين. كيف لا وثديا هذه الكنيسة هما

جسد الرب ودمه وقد نبعا في صدرها روحاً وحياةً، فصارا بذلك موضع جمال للكنيسة ومصدر حياة وطاقة، بل قبلة أنظار المؤمنين ومركز تجمع القديسين العاشقين.

نعم بهذين الثديين الإلهين يتعلّق الأبناء فيمتصون منهما العصارة حياةً والحليب غذاءً. كيف لا والرب يقول "من يأكل جسدي ويشرب دمي له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير"؟ ولكن بأي روح قدم المسيح ذاته هكذا للآب ذبيحة؟ أ بروح جسدي محض أم بروح الهي مطلق؟ ليس بروح جسدي فحسب بل بروح الهي كذلك كما يقول الرسول بولس "فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب٩ :١٤). وإلاّ إن كان تقديم دم المسيح عملاً إنسانياً صرفاً، فعلام يقول الرسول بولس "الذي بروح أزلي". ونحن نعلم أن الروح الأزلي هذا هو ذات الله؟. بل كيف يستطيع دم المسيح أن يطهر الضمائر هكذا من الأعمال الميتة والذنوب إن كان دماً إنسانياً مجرداً وعملاً بشرياً بحتاً؟ ونحن نعلم أنه لا يقدر أحد أن يطهر إلاّ من كان صالحاً وبأنه ليس صالح إلاّ واحداً هو الله وحده؟
إذاً المُقدَّم فوق الصليب هو ذات كلمة الله الأزلي يسوع المسيح وقد صار إنساناً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو١ :١٤). وهذا ما قد صرح به الرب يسوع بقوله "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي ابذله من أجل حياة العالم" (يو٦ :٥١). وما الذي يعنيه الرب بقوله "لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (يو٦ :٥)؟ أفلا يعني بأن ذبيحته التي قدمت بروح أزلي إنما هي ذبيحة الحق ذاتها وان ذبيحة الحق هذه هي ذبيحة الله عينها لأن الحق

لله؟ وإن قال المسيح "أنا هو الطريق والحق والحياة" أفلا يكون إذاً ذات الله الحق؟ وإن كانت ذبيحة المسيح بجسده ودمه حقاً والمسيح الحق هو الله. أفلا تكون إذاً ذبيحته، ذبيحة إله متجسد كذلك؟ وإلا كيف يستقيم المعنى في قول الرب "لان جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ونحن نؤمن بأن الله إنما هو الحق؟ بل كيف يستطيع من لم يكن هو ذات الله بموته الكفاري وفي ذبيحة جسده ودمه، أن يمنح الحياة لآكليه وشاربيه (يو٦ :٥٧)؟

لذلك فإن هذان الثديان والخشفان النابتان في صدر الكنيسة الحبيبة، هما جسد الرب ودمه وقد قدمهما المسيح بروح أزلي تقديماً إلهياً وإنسانياً عجيباً.

واما الآن فما أبشع صدر الحبيبة إن كانت هكذا من دون ثديين، بل ما أردأهما إن تلاعبت بهما أصابع الهوى وعبثت بهما أيادي الإثم. فكيف يرتاح الحبيب لصدر قد خلا هكذا من الثديين أو يطمئن لأحباب خائنين؟ أفلا يهجر الحبيب الشريف الحساس الحبيبة هذه مع الثديين وطلاقاً يطلقهما؟ وعلى العكس من ذلك إن كان صدر الحبيبة ممتلئاً وثدياها خصبان وبالحب والشباب طاهران وعامران، فالحبيب إنما يتكئ عليهما اتكاء ويحتضنهما احتضاناً وبين السوسن يداعب خشفتيه وهو يتنسم فيهما رائحة الحب والسوسن.

فإن كانت الكنيسة اليوم هكذا جميلة الصدر والثديين لاهوتياً، فهل هي كذلك روحياً وحياتياً؟ بل من الذي يسود على قلب الكنيسة اليوم، الروح القدس وروح السماء أم روح الجسد وروح العالم؟ ومن الذي يرقد بين ثديي الكنيسة اليوم ويبيت، المسيح بجسده ودمه بروح حقه وحق روحه أم الشيطان بجسده وعالمه وروح باطله وباطل روحه؟ كيف هما حال ثديي الكنيسة اليوم وكيف هي

أحشاؤها، أممتلئة أم عقيمة هي؟ أ شابة جميلة هي؟ أ نقية طاهرة، أم وسخة نجسة هي؟ أترعيان بين السوسن، أم بين الخرنوب والحنظل؟

فإلى الظبية البكر العذراء والى جسد ودم ابنها الإلهي أيتها الكنيسة. وإلى الكنيسة الرسولية ألام ذات الحليب الطازج والحب المتدفق والجمال الرائع والشباب الفاتن والثديين اللاهوتيين الروحيين أيتها الكنيسة الشكلية ذات الحليب الساذج والحب المتقطع والجمال المشوه والشباب المائع والثديين اللا روحيين. فما لك تتقربين اليوم هكذا من جسد الرب ودمه بنعليك الاثنين، الجسد والعالم وتتناسين قول الرسول بولس "اذاً أيٌ من أكل هذا الخبز أو شرب كاس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه. وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١كو١١ :٢٧_٢٩)؟

فمن هم أولئك المجرمون بحق جسد المسيح ودمه؟ أليس الذين يتناولونهما من غير استحقاق وهم لا يمتحنون أنفسهم ولا يميزون جسد الرب؟ ومن هم كذلك الغير مستحقين؟ أليس الذين لم يتوبوا من القلب عن خطاياهم بل يتقدمون إلى مائدة الرب بروح العالم وبروح العادة المجردة والشكليات؟ فهؤلاء اذاً هم الذين لا يميزون جسد الرب ودمه وكأنهم لا يأكلون إلا خبزاً مجرداً ولا يشربون سوى خمراً عادياً؟ من اجل ذلك يحكم عليهم الرسول بولس بالضعف والمرض والموت بقوله "من أجل هذا، فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون" (١كو١١ :٣٠). أليس كذلك يا جميع الكهنة ويا جميع الذين يتقدمون إلى المذبح الكبار منهم والصغار؟

ألا حقاً ما يقوله الرسول بولس "لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا. ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم. اذاً يا اخوتي حين تجتمعون للأكل انتظروا بعضكم بعضاً. إن كان أحد يجوع فليأكل في البيت لكي لا تجتمعوا للدينونة. واما الأمور الباقية فعندما أجيء ارتبها" (١كو١١: ٣٣). إذاً "اغتسلوا وتنقوا يا كهنة المذبح. واعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني يسوع المسيح واللتين هما جسده ودمه ولاهوته وناسوته. وكفوا عن فعل الشر. وتعلموا فعل الخير. واطلبوا الحق. وانصفوا المظلوم. واقضوا لليتيم. وحاموا عن الأرملة. حينئذ إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (أش١ :١٦_١٩). وموقع روحي كهذا فقط تتقدمون إلى الظبية الإلهية خشفتيها لتأكلوا جسد الرب ودمه وتمتصوا من ثدييها حياة أبدية وخلاصاً.

واما انتم يا قديسي إلهنا يا اناس الله ومحبي يسوع المسيح فعليكم بالظبية العذراوية أماً والظبية الرسولية والدة وبخشفتيها. جسداً ودماً. قلباً وعقلاً. روحاً وجسداً.

٦- إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهب إلى جبل المر والى تل اللّبان

ولكن كيف يفيح النهار لتنهزم الظلال؟ أليس "يسوع شمس البر (المسيح) والشفاء في أجنحتها" (ملا٤ :٢) وحيث ينحصر ظلمات حصنة وتولي الأدبار؟

اجل بأشعة المحبة الإلهية بالفداء تنهزم العداوة البشرية بالأنانية. وبالتواضع الإلهي في التجسد تتمزق الكبرياء العالمية في التأله. وبالحق السماوي المعلن بالصليب يزهق الباطل الأرضي المعلن بقتل الشيطان. وبالحكمة الروحية المتأنسة في الكلمة الأزلية المسيح تتهاوى الخرافات العجائزية المتأنسة في الشيطان وكما هي في كلماته الباطلة وآلات إثمه الشريرة وعملائه الفاسدين. وبنور الإيمان وكما هو في رئيسه يسوع

المسيح تنقشع الظلمات وتخرس السنة الإلحاد. كيف لا والنبي اشعياء يقول "الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في ارض ظلال الموت أشرق عليهم نور" (أش٩ :٢)؟

فمن هو الشعب الجالس في الظلمة وفي أرض ظلال الموت وقد اشرق عليه من السماء نور؟ إنهم البشر الخطاة الذين أجلستهم الخطيئة في الظلمات جلوساً وأقعدتهم في ظلال الموت والهلاك واهلكتهم هلاكاً، إلاّ الذين قد استنيروا هكذا بالمسيح يسوع وتعقموا بإشعاعاته السنية كقول الرسول بولس "جميعكم ابناء نور وابناء نهار. لسنا من ليل ولا من ظلمة. فلا ننم اذاً كالباقين بل لنسهر ولنصح. لأن الذين ينامون فباليل ينامون. والذين يسكرون فالليل يسكرون. واما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص" (١تس٥ :٥-٨).

والآن فكيف يستطيع أبناء الليل أن يتسلقوا جبل المر وهم في الليل يمشون وفي ظلماته الدامسة يتعثرون؟ وكيف يتمكن العميان من تسلق تل اللّبان وفي وديانهم يدورون؟ فإن كان الباب هكذا ضيقاً والطريق إلى السماء وعرة لأبناء النور أنفسهم كقول الرب يسوع "إن كان البار بالجهد يخلص"، فأبناء الظلام والعميان والفجار والخطاة أين يصيرون وكيف يخلصون؟

فالعميان اذاً يحتاجون إلى نور العينين أولاً لكي يستطيعوا ان يبصروا والعرج إلى رجلين لكي يمشوا ويصعدوا والموتى إلى حياة لكي يحيوا وفي ناموس الرب يلهجوا. والمسيح وحده هو القادر أن يمنح البصر للعميان لكي يروا الله ومعالم ملكوته ويعطي مسامع للطرش ليسمعوا إلى صوت كلماته ويعطي السنة للخرس لتنطق

بعظائم أعماله وايدياً تنبسط لخدمة اخوته وأرجلاً للسير في سبل شرائعه ودروب سماواته بل ويعطي حياة لتخفق بنسمات روحه وتصعد من الأعماق إلى جبل المر وتل اللبان.

أما الفلسفة البشرية وأما الحكمة الإنسانية فهي لا تزال تطالب الإنسان بالأمر المستحيل، فهي تطالب العميان بالبصر والصم بالاستماع والخرس بالكلام والعرج بالمشي والبرص بالصحة والموتى بالحياة والمفلوجين بالذنوب والخطايا بالصعود إلى جبل المر وتل اللبان. ولكن قد فاتها وهي العمياء والصماء والخرساء والمشلولة والميتة بأن الحاجة هي إلى طبيب قدير ومحب يقدر أن يخلق العيون والآذان ويصنع الألسنة والأيدي والأرجل مع العقول ويعطي حياة للذين في القبور. اجل الحاجة إلى مسيح يقدر أن يقول لتلاميذ الفلسفة الاثينيين ولتلاميذ الشريعة والناموس المعمدانيين "اذهبوا واخبروا ابيقور ويوحنا بما رأيتما وسمعتما، أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فيّ" (لو٧ :٢٢_٢٣). ففي المسيح إذاً يفيح النهار وتنهزم عن الإنسان الظلال ويصعد إلى جبل المر وتل اللبان.

ولكن أي جبل هو هذا وأي تل هو ذاك حتى راحت الكنيسة المستنيرة بالطاقات تتسلقهما تسلقاً؟ انه جبل الفداء وتل اللاهوت. انه الاله المتجسد يسوع المسيح ربنا والذي راحت كنيسة القديسين بعدما عبرت مناطق الظلام والليل والموت تتسلق فوق درجاته ومدرجاته تسلقاً حتى إذا ما بلغت الذروة فيه لاهوتياً وفدائياً استقرت فيه استقراراً أبديا كمدينة موضوعة على جبل.

فمن يستطيع أن يتفهم حقائق المسيح اللاهوتية هذه ووقائعه الفدائية تلك غير الذين انهزموا من ظلال الخطيئة انهزاماً واستناروا بروح قدس المسيح استنارة وتسلقوا بالتالي جبال مرِّه وتلال لبانه تسلقاً؟

ولكن إن كان المسيح حلو بحياته كالشهد، فكيف يمثَّل بجبل المر وتل اللبان هكذا تمثيلاً؟ أليس لكون المسيح حلو في أفواه مؤمنيه وقديسيه المطعمين بطبيعته الصالحة ومرٌّ كالاسفنتين في أفواه الأشرار ذوي الطبيعة الشيطانية الشريرة والتي لا تستطيب الشهد والعسل وإنما تستطيب الثوم والبصل مع الفراعنة طعاماً والخرنوب مع الخنازير في الكورة البعيدة غذاء؟

اذاً المسيح بات يقوم في حياة محبيه عملاً مزدوجاً. ففي مرارة فدائه وآلام صليبه ينتزع مرارة الخطيئة من افواههم انتزاعاً ويملأها بالحلاوة والصحة مناً مباركاً. واما في حياة مبغضيه الأشرار فيكون مرارة لموت وموتاً بمرارة. فجبل المر هذا إنما هو جبل الصليب، جبل المرارة والألم والموت والذي فيه قد صار المسيح لأجلنا مرارة ولعنة وموتاً لنصير نحن فيه حلاوة ونعمة وفداء وذلك بالخروج من الظلال والدخول في الأنوار والتسلق لجبال المر وتل اللبان.

وأما الذين يفضلون البقاء في ظلماتهم فسيأكلون مرارة خطاياهم ويشربون علقم شرورهم ويشبعون من افسنتين شياطينهم حتى يغطسوا في بحر موتهم ويحترقوا في جهنمهم احتراقاً مؤبداً وعميقاً. كل ذلك لأنهم لم يسمحوا للمسيح أن ينتزع مرارتهم بمرارة صليبه ويفدي موتهم بموت فدائه ويعصر حلاوة حبه وبره في أفواه قلوبهم وبين شفاه عقولهم وثنايا أرواحهم. واما تل اللبان فهو الآخر رمزاً للاهوت

المسيح وسمود اللاهوتي طالما هو رمز للصفات الحسنة والكمالات الإلهية وهو يقدم للآلهة والملوك قرباناً كما قدم للمسيح يوم ميلاده بواسطة المجوس تقديماً.

والآن فأي قيمة لجبل مر من دون تل لبان وأي نفع من تل لبان من دون جبل مر وأي مكسب يكون للإنسان من فداء بغير لاهوت أو لاهوت بغير فداء؟ ففداء من غير لاهوت، فداء ميت وتحت القبور مسكنه. ولاهوت من دون فداء إنما هو لاهوت ناشف وبين الصخور مقره. واما مر بلبان وفداء بلاهوت فهو فداء حي وحياة بفداء. وهكذا قد جمع المسيح في ذاته منذ الأزل روح الفداء وطاقة اللاهوت ليكون فداؤه قوياً ولاهوته فادياً. حتى بات المسيح ومن منطلق لاهوته وفدائه وبواقع مره ولبانه يتحدى كل جبل عال وكل تل مرتفع، وذلك لأن جباله، جبال حب وفداء وتلاله، تلال لاهوت وحق.

إذاً فحاجة الناس ليست إلى مبادئ بشرية جديدة وفلسفات مادية معاصرة ونظريات علمية متطورة. بل إلى جبل الصليب المر الشافي وإلى تل اللبان واللاهوت الحافظ. نعم حاجة الإنسانية اليوم هي إلى مسيح تجد فيه الحياة الجديدة حتى لتتسلق الجبال الجديدة قلباً والتلال السماوية عقلاً. فهناك فوق جبل المر وتل اللبان فقط تتعرف الإنسانية إلى نفسها وإلى حياتها. بل وتجد نفسها بعد الضياع وتكتسب حياتها بعد الموت. وهناك فقط تتعرف على المسيح نور الحياة وسر الوجود. أليس كذلك يا جميع الذين قد تركوا ظلال الخطيئة بالتوبة واستضاءوا بأنوار الإيمان؟ أليس كذلك يا جميع قديسي إلهنا الذين تسلقوا الصليب جبلاً ولاهوت المسيح تلاً؟

فأين أنت الآن ايتها الكنيسة المعاصرة من جبل المر هذا ومن تل اللبان ذاك؟

أفي أسفله أم في وسطه أم فوق قمته أنت؟ تشبهي بالعذراء تشبهاً ايتها الكنيسة سواء بانهزامها من ظلال الخطيئة الأصلية واستنارتها بنور الروح القدس وشمس النهار الإلهية أو بتسلقها جبال المر واللبان الدهرية، حيث استقرت فوق ذاك الجبل الفدائي اللاهوتي أبداً بالروح والجسد. بل وتمثلي كذلك بالكنيسة الرسولية الأولى تمثلاً والتي هي الأخرى كالعذراء قد انهزمت من ظلمات الإثم انهزاماً واستضاءت بنور المسيح استضاءة وصعدت بروحها إلى جبل المر وتل اللبان صعوداً فاستحقت بذلك أن تتربع كمدينة لله فوق قمم الجبال تربعاً دهرياً.

وأما أنت اليوم يا كنيستي فقد صرت عكس هذه العذراء وتلك. لقد تدحرجت بقلبك من على جبل المر وبعقلك من فوق تل اللبان، فسقطت في وديان الجسد السحيقة ودهاليز العالم العميقة ولم تعد تصل إليك أشعة النهار لأنك في ظلمات الليل تجلسين وفي ظلال الموت تنطرحين. كل ذلك لأنك من مرارة الصليب تتقززين ومن روائح لبانه تتضجرين بل بمرارة الخطيئة وروائحها الكريهة تستطيبين وتستأنسين.

وأما أنت يا إنسان الله فانهزم من الفساد الذي في العالم واهرب منه هروباً واستضئ بنور المسيح كما هو في إنجيله واصعد إلى جبل المر كما هو في صليبه وتسلق تل اللبان كما هو بلاهوته حيث هناك يستقر البر وهناك تجد لنفسك مسكنًا ومحلاً ومنزلاً.

٧- كلّكِ جميل يا حبيبتي، ليس فيك عيبة

يالها من نعمة سماوية غنية وقوة في الحياة عجيبة. وياله من مسيح سماوي فريد ومخلص الهي وحيد. قد اختار لنفسه الكنيسة هكذا من الشعوب والأمم لتكون له حبيبة جميلة "لا عيب فيها ولا غضن أو شي من ذلك".

نعم بنعمته التجسّدية قد اختارها وبرحمته الفدائية تعيناً قد عينها وهي جالسة في الظلال جلوساً مرعباً سحيقاً وزاحفة على ركبتيها ومتعبدة لملوك ومستعبدة لداجون وخاشعة لهرمز وزفس خشوعاً ذليلاً وساجدة لإله الذهب والفضة والنحاس والحديد والخزف الذي في تمثال نبوخذنصر، بل كانت في اصلها الآدمي العتيق أفسسية تذري التراب إلى فوق وتصيح ساعات طويلة ولسنين طويلة "عظيمة هي أرطاميس الافسسيين" (أع١٩ :٣٤). كيف لا وهي في الأصل مجدلية تحتضن الشياطين السبعة وسامرية تتعشق بالأزواج الخمسة.

حقاً لو جاء الرب من اجل الأبرار فقط لكان مجيئه طبيعياً وأما أن يأتي هكذا مصلوباً من اجل الأثمة فذلك ليس أمر طبيعي بل سماوي بحت. ذاك الواقع الغريب الذي تكلم عنه الرسول بولس بقوله "لأن المسيح وبعد نحن ضعفاء مات في الوقت المعين من اجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أن يموت. ولكن الله بين لنا محبته لنا. لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا" (رو٥ :٦-٨). فالمفتاح السري الخفي لحل هذا اللغز الحياتي كائن في جوهر الله القائم على المحبة أصلاً. لذلك يحسب موته عن الإنسان الخاطئ أمراً طبيعياً بالنسبة لذاتيته وحصيلة لجوهر محبته. ويحسب بالنسبة لنا نحن البشر المحرومون غالباً من هذه المحبة أمراً غريباً ومستحيلاً. وقد لا يوجد تعبير عن حقيقة

هذه المحبة أدق من تعبير يوحنا الإنجيلي القائل "لأنه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"(يو٣ :١٦).

غير أن العقبة الكأداء في هذه الحقيقة هي هذه. إن كان الله يحب الإنسان الخاطئ بحكم طبيعة المحبة الكامنة فيه أزلياً وإن كان الله في ذات الوقت يكره الخطيئة بحكم القداسة الكامنة فيه أزلياً كذلك. فكيف السبيل إذاً لتسوية قضية الإنسان هذه والتوافق بين محبته وقداسته؟ وبين رحمة الله وحقه. وبين نعمة الله وعدله من نحو تسوية مشكلة الخطيئة في الإنسان وخلاصه؟ لأن الله بعلة محبته ينشد الخلاص للإنسان من الخطيئة وبحكم قداسته يلتزم هلاك الإنسان لخطيئته. فإذا ما استخدم محبته للإنسان الخاطئ مجردة عن الحق والبر تعطل فيه الحق تعطيلاً وفي ذلك تعطيل الذات الإلهي.وان هو استخدم بحق الإنسان قداسته مجردة عن المحبة تعطل فيه الحب تعطيلاً وفي ذلك تعطيل للذات الإلهي ايضاً. فكيف السبيل إذن لتنفيذ إرادة الله هذه، إرادة المحبة والقداسة في حياة الإنسان؟

فالصليب هو السبيل الوحيد للتوفيق بين محبة الله وقداسته، بين رحمته وحقه، بين نعمته وعدله. إذ فيه قد تمثلت محبة الله وقداسته تمثيلاً عملياً مطلقاً. فأخذت المحبة مجراها في خلاص الإنسان من خطيئته. كما ونفذت العدالة الإلهية سهامها وأحكامها في المسيح المصلوب كفارة عن خطايا الإنسان. وهكذا كان الصليب التعبير المطلق عن جوهر الله في المحبة والعدالة، حتى بات الصليب وهذا الإعلان المنظار السماوي الوحيد لرؤية الله والوقوف على حقيقته.

إذاً كان الله بصليب محبتة وقداسته نقطة تلاق واتحاد ومصالحة مع الإنسان وعلة تلاق الإنسان مع أخيه الإنسان .كما وكان علة افتراق وانفصال بين الإنسان

وخطيئته. هذا هو إنجيل يسوع المسيح. بل صليب إنجيل يسوع المسيح. إنجيل المحبة والقداسة وبالتالي إنجيل الجمال الإلهي الذي قد تجسد في الإنسان فجعل منه حلة من المجد قشيبة.

إن الكنيسة جميلة حقاً وكاملة يقيناً طالما هي في المسيح والمسيح فيها ولكنها قبيحة حقاً ومعيبة أكيداً طالما العالم فيها وهي في العالم وطالما هي في الجسد والجسد فيها وطالما هي في الخطيئة والخطيئة فيها. فصليب المسيح إذاً هو العلامة الفارقة بينهما وبين هذا وذاك. لأن الصليب يوحدها بالله في القداسة والمحبة وبالتالي عزلاً بعيداً عن الجسد والعالم وشيطانهما وهكذا تكون الكنيسة جميلة لا عيب فيها. ولكن إن لم يكن صليب المحبة والقداسة فيهما عملياً وحياتياً فهي انفصالاً تنفصل عن الله واتحاداً تتحد مع الخطيئة. وهكذا تكون الكنيسة قبيحة ومعيبة مطلقة.

إذاً إن كان في الكنيسة قبح وعيب فهو منها هي. وإن كان فيها الجمال والكمال فهو من حبيبها المسيح. ولكن أليس من الحماقة أن تقول الكنيسة اليوم أن قباحة الخطيئة فيها إنما هي ضرورة حتمية وحاجة لا بد منها. بينما تعتبر جمال المسيح في المحبة والقداسة نظرية غير واقعية فتخطئ بذلك خطيئة مزدوجة ومضاعفة؟ لأنه كلما ابتعدت الكنيسة عن المسيح في جمال حبه وقداسته كلما التصقت أكثر وأكثر بشناعة الخطيئة. وكلما اتحدت مع ناموس روح الحياة في المسيح يسوع كلما ابتعدت أكثر فأكثر عن الخطيئة. وهذا هو قانون إلهي ثابت وناموس أبدي راسخ مادام المسيح في ذاته جمال والخطيئة في ذاتها قباحة.

لذلك قد صار عزل الكنيسة عن الخطيئة بالصليب ضرورة حتمية لشفائها وصحتها روحياً بينما عزلها عن المسيح قد صار علة مرضها وموتها. وذلك في الوجود الحالي

روحان متناقضان، روح إلهي إيجابي يعمل في الكنيسة المقدسة وآخر شيطاني سلبي يعمل في العالم. وكلما رأينا مقاومة عالمية عنيفة للكنيسة كلما تيقنا إقامة روح المسيح فيها. وكلما رأينا مهادنة العالم ومصالحته للكنيسة كلما تأكدنا من مغادرة روح المسيح عنها. وهذا هو قانون سماوي آخر لا يقبل الجدل إطلاقاً، القانون الذي سجله الرسول يوحنا في بشارته هكذا "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد ابغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته.ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم (يو١٥ :١٨-١٩).

إذاً إن كان المسيح وروح العالم على طرفي نقيض هكذا، فكيف لا تكون كنيسة المسيح والعالم على طرفي نقيض كذلك إن كان المسيح فيها حقاً؟ كيف لا والرب يسوع يقول " وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله (يو٣ :١٩-٢٠).

فالكنيسة إذاً في اصلها العتيق قبيحة ومعيبة لكنها في المسيح جميلة غير معيبة كقول الرسول بولس أيضاً "لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥ :٢٧). وهكذا تمسي الكنيسة التي في المسيح جميلة بعقلها بعدما استنارت من حكمة الروح القدس. جميلة بقلبها وعواطفها بعدما تبررت بمحبة القدوس. جميلة بإرادتها وتصميمها بعدما صارت أرادتها إرادة رب الناموس. جميلة بجسدها بعدما تجسد فيها خالق الأجساد والنفوس. اجل تصير الكنيسة جميلة لأنها بالتوبة والإيمان أمست للمسيح وليدة وحبيبة وصورة.

لذلك راح الحبيب يتغنى بجمالها قائلاً" ها انت جميلة يا حبيبتي. ها انت جميلة. عيناك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع ماعز رابض على جبل جلعاد. اسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتي كل واحد متئم وليس فيهن عقيم. شفتاك كالسلسلة من القرمز وفمك حلو. خدك كفلقة رمانة من تحت نقابك. عنقك كبرج داؤد المبنى للاسلحة... ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن "(نش٤: ١-٥).

ولكن رغم كل جمال الكنيسة الرائع هذا فإن الشيطان لا يتركها وشأنها وهي بعد في العالم. بل بدافع الغيرة والحسد والحقد لا يزال يذري غبار الجهل والخرافات في عيونها العقلية ويزرع زؤان الحسد والبغضاء والأطماع في قلبها ويغرز أشواك الشهوة المرّة في جسم شريتها ويزرع التجارب والعثرات ألغاماً في طريقها من باللطمات المتلاحقة يشبع أكتافها ويصفع خدودها وذلك ليسقطها ارضاً وبالآثام يجرح حياتها ويشوه جمالها. والشيطان بكل ما فيه من قوة شريرة وخبرة بالخطايا أثيمة. لا يقدر أن ينال من جمالها وكرامتها شيئاً طالما هي ثابتة في المسيح والمسيح فيها، وهو لن يجهل هذه الحقيقة. فهو يعلم جيداً بأن لا طاقة له على الكنيسة طالما هي في المسيح ثابتة. المسيح الذي سبق فصرعه تحت أقدامه كمصلوب وكحي مقام من بين الأموات. كما وهو يعلم جيدا أن السبيل الوحيد للنيل من الكنيسة هو بانفصالها عن المسيح بالخطيئة. وهذه نقطة ضعف الكنيسة التي راح الشيطان يركز عليها الضربات منذ ميلادها في العهد الرسولي وإلى الآن. اذاً بات جمال الكنيسة يكمن بثباتها في المسيح بطاقة الروح القدس وقبح الكنيسة يكمن بانفصالها عن المسيح بالخطيئة وبطاقة الشيطان. وهذا هو قانون سماوي روحي لا يقبل التعديل والتحوير.

ولكن الكنيسة وهي في صراع دموي مستميت مع الشيطان هكذا وهي في هذا الجسد الثقيل المعطّل لانطلاقتها وفي العالم الذي يشل حركتها، لا تزال تنتظر المسيح ثانية ليحررها من شوكة الجسد وروح العالم، لا روحياً فقط والذي قد تم على الصليب بل وجسدياً أيضاً والمزمع أن يتم بالقيامة العامة والدينونة "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت ملائكة وبوق الله، سوف يترل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١تس٤ :١٦-١٧). فكيف إذاً وهذه الوقائع الإلهية المجيدة من قيامة واختطاف وملاقاة مع الرب وقيامة أبدية، لا تفتدى الكنيسة الحبيبة من مظاهر القبح العقلي والروحي والجسدي فداء ابدياً مطلقاً لتكون بلا عيب كالمسيح؟ كيف لا والرسول بولس يقول "لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن .وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا ايضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا" (رو٨ :٢١-٢٣). فالإنعتاق هذا إنما هو الإنعتاق من فساد الأجساد وقبحها وعاهاتها وأمراضها وموتها.

والآن فما نوع الفداء الذي يتوخاه الرسول بولس في اليوم الأخير؟ اهو فداء روحي؟ كلا لأن الفداء الروحي من الخطيئة قد تم على الصليب وإلا عثرة الصليب قد بطلت. لكنه فداء جسدي حقاً وذلك لأن الرسول بولس يقول "نحن أيضاً أنفسنا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا". إذن نحن اليوم بالتوبة والإيمان حصلنا على الجمال الروحي والنفسي بالمسيح يسوع والذي ينعكس ظله على الجسد، وأما في ذلك اليوم فبالرجاء سنحصل على الجمال الجسدي أيضاً وذلك في

المسيح يسوع لأن الروح الذي أقام يسوع من الأموات سيقيم أجسادنا المائتة أيضا بروحه الساكن فينا" (رو ٨ : ١١).

نعم هذا هو الجمال الجسدي المرتقب والذي قد تنبأ به الرسول بولس حينما قال "أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفاسد عدم فساد. هوذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت" (١كو ١٥ : ٤٩_٥٣).

فالكنيسة إذن قد حصلت على جمال المسيح عربونا على أن تحصل عليه كاملا في اليوم الأخير. وهكذا تتم الكلمة المكتوبة "كلّك جميل يا حبيبتي. ليس فيك عيبة". هذا هو واقع الكنيسة في القديسين جوهرا ودعوة ورجاء، وهو العيش المقتضي جمال إنجيل مجد المسيح محبة وقداسة. ولكن هل واقع القديسين وجمالهم هذا هو واقع جمال الكنيسة اليوم؟ في البر وقداسة الحق روحا ونفسا وجسدا؟ هل الكنيسة اليوم جميلة بعقليتها الإنجيلية أم أنها قبيحة بعقليتها الفريسية؟ أجميلة هي بقلبها الجديد أم قبيحة هي بقلبها العتيق والذي هو حسب شهوات الغرور؟ أجميلة هي بجسدها وقد صار للروح القدس هيكلا أم أنها قبيحة بجسدها وقد صار لكل طائر نجس وممقوت وكرا؟

لم تعد الكنيسة اليوم تتمثل بالمسيح وتقف في حضرته كمن يقف أمام مرآة لتكون جميلة مثله، بل صارت تتمثل ببيلاطس مرة وبقيافا مرة أخرى وبهيرودس تارة وبحنان تارة أخرى وتقف أمام مرآة نبوخذنصر حينا وتضع نفسها في ميزان بيلشاصر حينا آخر. وبذلك ازدادت في الجسد وأعماله قبحا وفي العالم وروحه

بشاعة، حتى لم يعد يرى، المسيح فيها اليوم ما يسر القلب، لان كل ما يراه فيها إنما هو القبور المبيضة والكؤوس المذهبة والهياكل المزينة والأصنام البشرية المؤلهة. فهذا كاهن يجلس في هيكل الله مظهراً نفسه انه إله. وذاك كاهن آخر قد ابتلى بداء العظمة والمجد الباطل. وهذا آخر ناقم وحاقد بل متملق مشاغب يطلب المزيد وقد عقد عهداً مع الفضة وميثاقاً مع الذهب. وذاك شماس ينفش ريشه في مذبح الله كالطاؤوس ويغني فيه كالنموس ويزرع خصومات بين الأخوة ويشق الصفوف. وهذا وذاك مبشر يحتضر الإنجيل رياء لهلاك النفوس. بل هذه فئات كنسية ومجالس ملية ومجامع أسقفية وإرساليات إنجيلية ورسامات كهنوتية قد أقامت من نفسها حكماً وسلطاناً وهي لا تزال في سيرها وليلها تتآمر مع حنان وقيافا على قتل المسيح تآمراً خسيساً وذلك لأجل منصب متزعزع ومال في الأرض متاكسد وإثم في القلب متحرق.

فأين جمال الكنيسة اليوم اذاً من جمال حبيبها المسيح يسوع والذي قال فيه النبي داؤد "أنت أبرع جمالاً من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك"؟ أين جمال الكنيسة اليوم من جمال الكنيسة بالأمس والتي قد تغّنى المسيح بجمالها قائلاً "كلّك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة"؟ أين جمال الكنيسة اليوم من جمال المسيح في عذرائه الجديدة مريم بعدما سكب عليها روح قدسه سكيباً وتجسد فيها تجسيداً وولد منها قدوساً ولله ابناً ميلاداً عذراوياً عجيباً؟

ألا فإلى ذياك الجمال المتجسّد في العذراء والقديسين أيتها الكنيسة الهرمة لعل شباب الحياة يرجع إليك وجمال المسيح يزين وجهك. واما أنت يا زكا فستظل قزماً فضاً حتى تتسلق الجميز وبالإنجيل ترتفع بقامتك عن الأرض وترى المسيح

وتدعوه إلى بيتك بل إلى قلبك(لو١٩: ٤). وأنت الآخر يابلشاصر فستبقى هكذا بالموازين ناقصاً (دا٥: ٢٧) طالما أنت تعبث بآنية بيت الرب عبثا وبخمر مشروبك تدنس أعضاءك وآنية حياتك تدنيساً.

أيتها الكنيسة، يا امرأة القرن العشرين الزانية بالأزواج الخمسة والسبعة. توبي من القلب توبة وارجعي إلى عهد صباك وميثاق حبيبك الأول المسيح ليرجع إليك شبابك وجمالك، واذاك يشتهي الملك السماوي حُسنك ويتغَّنى فيك قائلا "كلُّك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة".

٨- هلمّي معي من لبنان. يا عروس معي من لبنان. انظري من راس أمانة. من راس شنير وحرمون من خدور الأسود. من جبال النمور

نعم في لبنان تتعرف الكنيسة على المسيح الحبيب. وهناك فوق هاتيك الجبال المقدسة العالية ترى لباسه يلمع كالثلج وتعاليمه تتناثر صفاء كالبلور وحبه يتدفق كالينبوع وجماله يسطع بدراً كالقمر. هناك فوق جبال لبنان تتمتع الكنيسة بمشاهد المسيح العجيبة وتستنشق روائحه الذكية وتشرب من ينابيعه العميقة وتأكل من مخازنه الوفيرة بل وتسكر من خمرة معصرته العميقة الدهينة.

فلا عجب إذا ما رسم الأنبياء صورة لبنان هذه بل صورة المسيح، تارة بنبؤاتهم وتارة بشهادتهم وتارة بحياتهم وأخرى باستشهادهم، وذلك كمن يرسم صورة لبنان الجميل المجيد. فلبنان الروحي اذاً بات المنطلق الأساس لكنيسة القديسين والمحل الذي فيه ترى الكنيسة حبيبها في بهاء مجده ورسم جوهره وتشترك معه في أمجاده وكمالاته لتنطلق بعدها وتبشر سكان الوديان بروائحه العطرة ومناظره الخلاّبة

وخيراته الوفيرة ومياهه العذبة وخمرته المعتقة النقية وذلك لا في أورشليم فحسب بل وفي الخليقة كلها.

فالعروس الحبيبة اذاً الطالعة من لبنان هي الكنيسة المسؤولة عن رسم صورة الحبيب المسيح أمام عيون البشر وأبصارهم سواء عن طريق كتابة الأسفار لأنه قد كتب "انه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط١ :٢١). وإما عن طريق الكرازة والشهادة بالأسفار للخليقة كلها حيث قد كتب "وان كان لي كثير لأكتب إليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأني رجو أن آتي إليكم واتكلم فما لفم لكي يكون فرحنا كاملاً" (٢يو١: ١٢).

وما الإنجيل بواجهتيه التعليمية والكتابية الرسولية إلا صورة المسيح الجميلة التي رسمها رسل ربنا وأنبيائه بالروح وكمن يرسم صورة لبنان الجميل. لذلك راح يناشد المسيح حبيبته بالقول يا حبيبة هلمي معي من لبنان. وانظري يا عروس إلى العالم. من رأس رمانة الجلجثة. وتطلعي يا حبيبة إلى الخطاة من رأس شنير الصليب. وتأملي واقعهم المرير من فوق جبل حرمون، جبل النمور لكي تنطلقي من هاتيك المواقع كانطلاقة النمور والأسود، لتفترسي لا بشراً فيما بعد بل شياطين طالما افترست بشراً. وتمزقي بأنياب إنجيلك لا اناساً بل شروراً طالما جرحت حياة الناس تجريحاً في القلوب أليماً. وتسحقي بأقدام المسيح أسود الليل ونمور الظلام التي طالما قد سحقت نفوساً للملايين سحقاً ضارياً مرعباً.

آخر المسيح هو الأسد الخارج من سبط يهوذا حسب جسده وجاء من السماء بلاهوته راكباً فوق فرس أبيض ومعه قوس وقد جاء غالباً ولكي يغلب. كما ان الشيطان هو الآخر قد خرج من الهاوية ايضاً أسداً ليغلب ولكن ليغلب الإنسان.

واما المسيح فإنه جاء ليغلب الشيطان وأعماله. والى هذا الصراع ما بين الأسدين هذين بخصوص الإنسان وغلبة يسوع قد أشار الرب يسوع نفسه بقوله "حينما يحفظ القوي داره متسلحاً تكون أمواله في أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فانه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه" (لو١١ :٢١). افلا يدل هذا التصريح إذاً على ان الرب يسوع المسيح قد جاء أسداً أقوى من الشيطان حيث قد غلبه في معركة التجربة والصليب غلبة ساحقة مطلقة فجرد رئاساته وسياداته وسلاطينه بعدما نزع عنه سلاحه الكامل في الشر ووزع كل غنائمه.

أجل لقد غلب المسيح المجيد ذاك الشيطان الذي قد كتب عنه يوحنا الرسول في رؤياه قائلاً "ويل لساكني الأرض والبحر لأن ابليس نزل اليكم وبه غضب عظيم عالماً ان له زماناً قليلاً" (رؤ١٢ :١٢). بل غلب الأسد السماوي هذا والنمر الإلهي هذا (المسيح)، ذاك الأسد الشيطاني والنمر الجهنمي الذي قد اشار اليه الرسول بطرس قائلاً "اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو" (١بط٥ :٨).

والآن إن كان المسيح هكذا أسداً ونمراً سماوياً، أفلا يكون أولاده بل رسله وقديسوه الخارجون من لبنان اسوداً ونموراً كذلك قد انطلقوا لإفتراس الأسود الشيطانيين والنمور الجهنميين ورؤساء وحداتهم الشريرين انطلاقاً؟ فعلى هذه الأسود والنمور السماوية أن تنتفض من خدور الإنجيل وتنطلق من جبال لبنان وعلالي الرسل "وتتجنّد هكذا تجنيداً قانونياً وتجاهد الجهاد الحسن وتكمل السعي وتحفظ الإيمان. بل تتصارع مع الرؤساء ومع السلاطين ومع ولاة العالم على ظلمة

هذا الدهر ومع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف٦ :١٢) مصارعة روحية إنجيلية، لكي تتمكن من الشياطين الأسود ومن الأرواح الشريرة النمور وتفوز بالغلبة والنصرة على مدى الدهور معتمدة بذلك على الأسد الخارج من سبط يهوذا وعلى روحه القدوس، وإلا فالفشل حليفها لا محالة طالما لم تعتمد المسيح قوة والروح القدس في العلية انطلاقة ولبنان لاسود الانجيل ونموره خدوراً. كيف لا والرب قد حذر رسله من مغبة الخروج من الخدور والنزول من العلية والانحدار من الجبال من غير قوة من الأعالي بقوله "لا تخرجوا من اورشليم حتى تلبسوا قوة من الاعالي" (أع١ :٤).

والآن فما عسى ان يكون مصير الرسل لو لم يطيعوا هذه الوصية وبرحوا العلية مبشرين بالمسيح ؟حقاً كان مصيرهم الفشل والانحدار أمام أسود العالم ونمور الجسد. واين كانت تنتهي الكنيسة ونحن نحن لولا قوة الاسود في لبنان وطاقة النمور في الرحمان؟ أ ليس الى الموت الانتحاري في شوارع اورشليم حيث تبتلعنا مقبرة اسرائيل ابتلاعاً دهرياً؟

فأين نحن الآن من لبنان ومن خدور اسوده وجبال نموره وقوات قديسيه؟ أنحن اليوم أسود ونمور في الإيمان لقهر ممالك وسد أفواه أسود الشر وإطفاء قوة نارهم (عب١١ :٣٣-٣٤)، أم نحن اليوم أسود الحاد ونمور زندقة نتناطح مع رئيس الإيمان ومكمله يسوع المسيح؟ أنحن اليوم أسود محبة وبر ونمور سلام وحق، أم أسود عداوة وإثم ونمور خصام وباطل؟ هل نحن اليوم أسود إنجيل ونمور بشارة، أم إننا اليوم أسود عالم ونمور شهوة؟ أين نتربى اليوم واين نترعرع؟ أفي خدور الآباء وجبال القديسين، اسود للحق ونموراً للبر، أم في أوكار الغربان وأوجرة الثعالب

ومستنقعات الضفادع؟ بل من أين ننطلق اليوم للعمل الكهنوتي؟ أمن لبنان حيث مرتفعات المسيح، أم من كنعان حيث المنخفضات الشيطانية؟ أمن علية الاسود وجبال النمور ام من وديان الشرور؟ أمن خدور بولس وجبال بطرس أم من هاوية سيمون ومنزلقات ديوتريفس" (٣يو١ :٩-١٠) وآبار ديماس؟
فإلى خدور الاسود وجبال النمور في لبنان العالي، لبنان القديسين، لبنان الجمال والحب يا جميع ثعالب البر وبنات آوى والى الكنيسة الجبلية الرسولية يا كنائس المنخفضات والى خدور الآباء وجبال الأتقياء يا اكليروس الكنائس وقادة الكنيسة، بل إلى السيدة العذراء، لبنان المسيح الشهي يا جميع العذارى الجاهلات الجالسات في الظلمات.

واما انت يا نفسي يا عروس المسيح من لبنان فتطلعي مع حبيبك إلى الضالين من فوق رأس أمانة الصليب وهم يموتون جوعاً في الكورة البعيدة، وأخرجي معه من لبنان، من خدور الأسود ومن جبال النمور لتنقذي خرافا قد تاهت عن القطيع وصارت مأكلاً لوحوش الحقل في أيام الغيم والضباب الكثيف (حز٣٤ :٥_١٢).

٩- قد سبيت قلبي يا أختي العروس. قد سبيت قلبي باحدى عينيك.بقلادة واحدة من عنقك

لكنيسة المسيح عينان اثنتان ترى بهما صورة المسيح وامجاد ملكوته. عينها اليمنى هي الكتاب المقدس والعين اليسرى هي التقليد الرسولي. اجل بهاتين العينين ترى العروس قامة المسيح المباركة كما هي في حبها وصلاحها. والكنيسة التي تستغني عن الكتاب المقدس وبصورة لاهوتية وعملية كأنها تستغني عن عينها اليمنى، لذلك تتعثر في مسيرتها السماوية تعثرا ولا تعود ترى صورة المسيح إلا أشباحا. واما

الكنيسة التي تستغني عن التقاليد الرسولية الأصلية فإنما تستغني عن عينها اليسرى، فتتعثر هي الأخرى في مشيتها لكثرة آرائها وكثافة بدعها ولا تعود ترى شمس المسيح وصورته كما هي في لاهوته. الأمر الذي حذرنا منه الرسول بطرس قائلاً "واحسبوا أناة ربنا خلاصاً كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس ايضاً بحسب الحكمة المعطاة له كما في الرسائل كلها ايضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضاً لهلاك أنفسهم" (٢بط٣: ١٥-١٦).

أما الحبيبة المخلصة والأمينة للرب ذات العينين الاثنتين فهي تعتمد الكتاب المقدس أساساً والتقليد بناء ذهباً وفضة وحجارة كريمة (١كو٣ :٢). وكل عين من عيني الكنيسة تستهوي قلب المسيح الحبيب استهواء وتسبي قلبه المحب سبياً. وإن كان الكتاب المقدس هو صورة المسيح فالتقليد إطاره. وإن كان هذا الكتاب أساس ملكوت الله فالتقليد بناؤه. وإن كان الكتاب المقدس ينبوع الحياة فالتقليد مجراه. وإن كان الكتاب المقدس للإنسان قلباً فالتقليد هيكله. وإن كان الكتاب للحياة دماً فالتقليد شريانه. لذلك بات الكتاب المقدس والتقليد الرسولي الصحيح للكنيسة، العينين الجميلتين البصيرتين. لذلك لا تستهوي الكنيسة ذات العين الواحدة قلب يسوع اطلاقاً بل تحزنه حزناً جسيماً، كما تحزن الحبيبة الجسدية والكريمة العين قلب حبيبها الجسدي.

فالكنيسة التي تفرح قلب الحبيب المسيح حقاً هي الكنيسة التي قد زرعت في وجهها هاتان العينان الجميلتان (الكتاب والتقليد) والتي راحت بجمال عينيها هاتين

تستهوي قلب المسيح الجميل وتبهج أحشاؤه. فعروس هكذا جميلة بعينيها تليق لها وبحق أن تلبس قلادة بعنقها لتستهوي بها قلب الحبيب استهواءً.

ولكن ما عسى أن تكون القلادة هذه وقد وضعت في عنق الكنيسة زينة ووديعة؟ أليست هي ليتروجية الكنيسة بأسرارها السبعة وقد طوّق بها الحبيب المسيح جيدها وبحلقات سبع هي المعمودية والميرون والتوبة والاعتراف والقربان والكهنوت ومسحة المرضى والزواج؟ نعم هذه هي السلسلة الذهبية بجواهرها السبعة والتي قد طوّق بها المسيح عنق الكنيسة تطويقاً فازدادت بذلك جمالاً وعظُمَت جلالاً حتى استهوت قلب الحبيب المسيح الحبيب استهواءً.

اذاً فالقلادة ليست من صنع الناس بل صنعها ابن الإنسان ولم تصاغ في هياكل ارطاميس بل صيغت في هياكل الروح القدس وليست من وحي نبوخذنصر واحلامه، بل هي من وحي ملك الملوك وفدائه. فكانت بذلك من المسيح للكنيسة هدية وعربوناً حبياً لحبيته. والقلادة هذه ليست سوى واجهات سبع لصليب المسيح يسوع وما في هذا الصليب من محبة وحياة وقوة وقداسة وتجسد وفداء وقيامة. من اجل ذلك تحسب هذه القلادة في عنق الكنيسة إنجيلاً وفوق صدرها بشارة.

فعن الحلقة الأولى في هذه القلادة، المعمودية يقول الكتاب "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨ :١٩).

وعن الميرون الحلقة الثانية يقول الكتاب "وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً وكما علمتكم تثبتون فيه" (١يو٢ :٢٧).

وعن الكهنوت الحلقة الثالثة يقول الكتاب "وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس، افرز لي شاؤل وبرنابا للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الايادي وأطلقوهما" (أع١٣ :٢_٣). وقوله كذلك "ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت" (يو٢٠ :٢٢) وكذلك قول الرسول بولس "حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مبشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح الفدس" (رو١٥ :١٦).

وعن الاعتراف والتوبة الحلقة الرابعة يقول الكتاب "وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين بخطاياهم" (اع١٩: ١٨) وكذلك القول "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا الروح القدس" (أع٢ :٣٨).

وعن القربان المقدس الحلقة الخامسة يقول "وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً، هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (لو٢٢ :١٩_٢٠).

وعن مسحة المرضى الحلقة السادسة يقول "أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصَّلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له" (يع٥ :١٤_١٥).

أما عن الزواج الحلقة السابعة فيقول "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، هذا السر عظيم ولكني أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف٥ :٣١_٣٢).

وهكذا باتت القلادة الذهبية هذه ذات الحلقات الإنجيلية السبعة، حلة الحبيبة القشيبة وموضوع جمالها وزينتها، حتى أن الكنيسة التي تستغني عن هذه القلادة تكون عارية وفقيرة لا جلال فيها ولا جمال لتستهوي قلب الحبيب المسيح كما يليق. واما الكنيسة التي بات إنجيل المسيح لها قلادة لاهوتياً وروحياً وعقلياً وقلبياً وتعليماً وسلوكاً فهي الكنيسة الجميلة حقاً ولاسيما ذات العينين الحمامتين الوديعتين وذات العهدين الكتابين المجيدين.

فإلى عيني الكنيسة الرسولية في جسد الرب ودمه يا جميع العميان والكريمي العيون. وإلى قلادة الكنيسة الرسولية بحلقاتها السبع يا جميع الكنائس العارية الأعناق والصدور. بل إلى القديسة مريم ذات القلادة الذهبية المصاغة بالروح القدس يا جميع الكنائس التي أظلمت فيهم العيون وأُغلِظَت منهم الرقاب وتحجرت فيهم الصدور والقلوب.

وأنت أيها القارئ العزيز أتؤمن حقاً بالكتاب والتقليد الرسولي فتكون لك بذلك العينين الجميلتين؟ أم انك تؤمن بالكتاب دون التقليد وبذلك يكون لك عين واحدة؟ أم انك لا تؤمن اصلاً لا بالكتاب ولا بالتقليد وبذلك تكون أعمى لا تبصر؟ هل طوقت عنقك بالقلادة الإنجيلية ذات السبع حلقات ورحت تلهج بإنجيل المسيح وتبشر بجمالاته وكمالاته ليلاً ونهاراً وبذلك تكون شجرة مغروسة عند مجاري المياه وتعطي ثمرها في أوانه، أم أنك قد طوقت عنقك بقلادة من نحاس وبحلقات من رصاص فرحت تلهج بالخطيئة ليلاً ونهاراً وبذلك تكون عاقولةً في البيداء مهيأة لحريق النار في حينه؟

حقاً إن كنت في المسيح والمسيح فيك، فستكون حلقة في تلك القلادة المجيدة التي صانعها وبارئها هو الله؟ فهل أنت كذلك أيها القارئ العزيز؟

١٠- ما أحسن حبك يا أختي العروس. كم محبتك أطيب من الخمر كم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب

إن كانت الكنيسة عروس المسيح فكيف تكون أخته وإن كان المسيح هو ذات الله فكيف تكون الكنيسة عروسه؟ فهل لله عروس وأخت؟ نعم إن القول هذا يحسب من جانب الإنسان السطحي حماقة وجهالة، واما من جانب الله فيحسب حقاً. كيف لا يسوغ تسمية الكنيسة بعروس المسيح وهو يكن لها محبة أزلية وقد صار لها في ملء الزمان فداء على الصليب أبدياً؟ لذلك حيثما نجد محبة طاهرة سواء في المجال الروحي أو الطبيعي فلنعلم يقيناً أن يسوع المسيح هو علتها سواء علمنا بذلك أم لم نعلم.

ولو افترضنا عدم وجود الله أصلاً. فهل في مقدورنا والنكران هذا، التنكر للمحبة الطبيعية والقائمة إطلاقاً في دنيانا وفي كل الميادين؟ أ فلا تحتم علينا هذه الظاهرة الحبية في الكائنات الحية وجود قوة حبية مركزية في الوجود وعلى الصعيدين الطبيعي المادي والروحاني الأدبي، وان هذه القوة الحبية الأزلية هي ذاتية الله وقد ظهرت في الجسد والروح، بل هي قوة الحب وطاقة للحياة؟

وإلا لو اقتصرت هذه المحبة على العالم الطبيعي فقط لكانت المحبة اذاك ضعيفة ومحدودة، بل وفي موت الإنسان بالجسد والروح تموت موتاً. ولكن أ فلا تستلزم الضرورة الحياتية والواقع الوجودي المطلق وجود محبة أدبية حية وكما هي في الله تخرج بطاقاتها الأزلية الوجودين الطبيعي والروحاني إلى حيز الوجود وذلك تجسيداً

للمحبة واعلاناً للطاقة؟ وإن لم يكن المسيح هو هذه الطاقة الحبية كما قد ألفناه في التجسد والفداء. ترى من يكون إذاً؟ وإن كان الله ذاتاً مستقلة عن يسوع المسيح وكما هو في حبه وبره وسلطانه. أ فلا يكون الله بذلك فرضية وهمية مجردة وإلها للفلاسفة الطبيعيين والاثينيين مجهولاً (اع١٧: ٢٣)؟

واما الآن فالمسيح هو ذات الله وذات المحبة والحياة وخالق الوجودين الطبيعي الجسدي والسماوي الروحاني كقول الرسول يوحنا "في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان. وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو ١ :١-٣). من أجل ذلك ارتأىٰ الله أن يكون هو ذاته للإنسانية الجديدة حبيباً وللكنيسة عريساً وللإنسانية والكنيسة المقدسة بالتجسد والفداء أخاً وقريباً. لأنه في التجسّد تصير الكلمة جسداً والله إنساناً واخاً، وتصير الكنيسة هي الأخرى لله حبيبة وعروساً وللمسيح أختاً ورضيعة.

نعم هذه هي المفاهيم الأعمق في جوهر الله من نحو الإنسان وهي ألامتن من حيث العلاقة بين الله والإنسان وكما تحسسناها بالتجسّد والفداء وعنها تنحدر كل علاقة حبية صالحة في مملكة البشر وفي المجالين الروحي والجسدي. لكون الله وإن كان روحاً محضاً وفي ذاته مطلقاً، لكنه "في ملء الزمان قد صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو١: ١٤).
وإن كانت الحياة الطبيعية من دون حب طبيعي تحسب جحيماً لا يطاق كما يشهد بذلك فقراء الحب ومنتحريه، فكم بالحري يكون هذا الواقع أتوناً محمياً سبعة

أضعاف بالنسبة لفقراء الحب الفدائي ومنتحريه "حقاً الله محبة. ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (١يو٤ :١٦).

فبالصليب أعطى الله المجال للإنسان ليتعرف عليه أكثر فأكثر كإله محب وقد إتحد بإنسانيته بالتجسد العذراوي إتحاداً فصار له بذلك محباً الصق من اخ. ففي صليب المسيح وحيث يغلي الحب الإلهي بالآلام غلياناً يلتقي الله القدوس مع الإنسان الخاطئ لتسوية قضية الخطيئة والمصالحة معه وذلك بالتوبة والإيمان من جانب الإنسان وبالمغفرة ورد الاعتبار وإعادة البنوة والميراث من جانب الله. كقول الرسول بولس "فإن كنا اولاداً فإننا ورثة ايضاً. ورثة لله. ووارثون مع المسيح." (رو٨ :١٧). لأنه كما أن للحب الطبيعي الطاقة لولادة الأبناء والبنات جسدياً كذلك ومن باب اولى للحب الروحي الطاقة لولادة الأبناء والبنات روحياً. وحيث يكون الحب فهناك يكون الخلق والإبداع والحياة، وحيث ينعدم الحب فهناك ينعدم الخلق والإبداع والحياة ويخيم العُقم والموت والفناء.

اذاً الحب أزلي أصلاً وأبدي غاية وسرمدي ضرورة ووجوداً. أنه المسيح في أزلية حبه وأبدية فدائه وسرمدية حياته "لأن به كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١ :٤). فلم يعد لمفهوم الحب والفداء والحياة في مفهوم الله هذا مكانة للدكتاتورية ولا مقراً للغطرسة او مجالاً للأنانية وبقعة للتعالي. لا إذلال للإنسان فيما بعد ولا إستعباد ولا تحطيم، بل إنما لرب الإنسان إذلال وإستعباد وإفتقار وألم وصليب. وذلك محبة للإنسان وخلاصاً له وتثبيتاً لإنسانيته وتاليهاً. ولهذا إما أن يكون الله هكذا محبة وفداء وحياة للإنسان وكما هو في تجسده وصليبه واما أن لا يكون ثمة حاجة إليه إطلاقاً. لأن الله عندئذ سيكون ديكتاتوراً منتقماً أو شبحاً

وهمياً أو صنماً مجهولاً يعكس شخصية الإنسان بأفكاره الخاصة وشهواته الباطلة ومخاوفه العابثة.

واما إنجيل المسيح فقد طلع علينا بحقيقة المسيح وجوهره عندما أخبرنا قائلا "هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١يوه :٢٠_٢١). فالرسول يوحنا اذا يقدم لنا المسيح كإله وحق وحياة أبدية. ومن هذا المنطلق الحبي صار المسيح للكنيسة وللإنسانية الجديدة عريساً واحداً وستبقى هذه العلاقة والرابطة قائمة حقا وثابتة أزلاً طالما الكنيسة هكذا في هذا الجوهر الحبي ثابتة زمنياً.

ولكن من عسى ان يكون البادئ في هذا الحب المبارك المسيح أم الكنيسة؟ في العلاقات الجنسية غالباً ما يكون الحبيب هو البادئ، أما في العلاقة الإلهية الروحية فإطلاقاً يكون المسيح يسوع هو البادئ.بالحب كقول الرسول يوحنا في هذا "المحبة ليس اننا نحن احببنا الله بل إنه هو احبنا وارسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو٤ :١٠). وهكذا قد تغاضى المسيح عن جهالات الكنيسة للأزمنة الماضية يوم كانت مجدلية ذات سبعة شياطين وسامرية ذات خمسة ازواج وفينيقية ذات لجئون من الأرواح. لكونه محبة اصلاً وفداء فعلا لسائر لخطاة من بني البشر. وذلك إذا ما تابوا عن الخطيئة وعمل الشيطان وآمنوا بحبه إيماناً راسخاً. حيث أن المسيح الحبيب لا يُسَّر بموت الخاطئ. إلا إذا ما اختار الشرير لنفسه الموت مقرا والهلاك نصيبا بعناد قلبه وتقسّي نفسه ومناطحة رأسه وقرونه مع ذياك الحب وفداء يسوع المسيح. وإذاك ينفلت الإنسان الشرير من جاذبية الحب ومركزية الفداء والحياة وينجذب من إرادة شريرة سلبية إلى مركزية أخرى هي مركزية الشيطان. وعن هؤلاء قال الرسول يهوذا "هؤلاء صخور في ولائمكم المحبية صانعين ولائم معاً بلا خوف راعين

أنفسهم. غيوم بلا ماء تحملها الرياح. اشجار خريفية بلا ثمر ميتة مضاعفا مقتلعة. امواج بحر هائجة مزبدة بخزيهم. نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام الى الابد" (يه١: ١٢-١٣).

ولكن كم هو فرح المسيح كبير من نحو إنسانيته الجديدة وكنيسته المقدسة وهو يراها تتحرر من سادتها وتتوب عن خطاياها وتكسر أصنامها وتلتحف به التحاف العروس بالعريس. حقاً تكون محبته لها أطيب من الخمر ورائحة ادهانها في انفه أطيب من كل الأطايب. اجل يفرح المسيح بعبادة أخته العروس ويسر بخدمتها كما بآلامها شريطة أن تكون تلك الخدمة والآلام من أجله ومن أجل أسمه. لتكون حقاً أدهاناً طيبة واطيب من كل ألاطايب العالمية.

ولكن أفلا يحسب فرح المسيح بآلام عروسه هذه أنانية وذاتية؟ حاشا لأن آلام العروس هذه ليست آلاماً قد جاءت حصيلة للخطايا والشرور بل كنتيجة حتمية لالتحاف العروس بالعريس المصلوب. فآلامها هذه إن هي إلا امتداد لآلامه الفدائية لتقديس حياة الكنيسة وتمجيدها. كقول الرسول بولس "ان كنا نتالم معه لكي نتمجد معه ايضاً" (رو٨ :١٧). فكيف لا يفرح المسيح بآلام كنيسته الفدائية هذه والآلام هي مخاض ولادتها وعلة شفائها ومنطلق حياتها وعربون ملكوتها؟

إذاً أفراح المسيح بآلام أخته العروس ليست أفراح أنانية بل أفراح مقدسة جاءت لخير الكنيسة وتقويمها وميراث ملكوتها. بل كيف تجد الأنانية لنفسها مقراً في حياة ذاك الذي ارتفع بإرادته حملاً مذبوحاً فوق الصليب لاجل حياة الإنسان الخاطئ؟ نعم فوق الصليب تذبح أنانية الإنسان ذبحاً عظيماً كاملاً حتى الموت.

ولكن لما كان بعد آلام الصليب هذه أفراح قيامة وبعد أنّات الموت هتاف حياة وبعد الشتاء العابس ربيع ضاحك، لم تعد تُحسب آلام الكنيسة وموتها في المسيح ضياعاً بل زرعاً في قلب الأرض لحصاد عتيد ورصيد مجد في المخزن جسيم وحياة سماوية مثقلة بالأمجاد والمسرات. كقول الرسول بولس "فاني احسب ان آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد ان يستعلن فينا" (رو٨ :١٨).

فالمسيح إذاً لم يدفع عروسه للآلام ليتغوى بآلامها وهو الرجل المتألم المصلوب. لأن آلام المسيح لم تكن آلاما قسرية جبرية بل اختيارية إرادية. ولم تكن ورطة ومجازفة بل تخطيطاً إلهياً مسبقاً وتصميماً سماوياً. كقوله لتلاميذه "لهذا يحبني الآب لأني اضع نفسي لآخذها ايضاً. ليس احد ياخذها مني. بل اضعها انا من ذاتي. لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها" (يو١٠ :١٧-١٨). كما أن المسيح ليس كغيره من العظماء قد دفع اتباعه للآلام لأجل مواعيد كاذبة وليغريهم بأباطيل نافلة ولكي يبني له مجداً بآلامهم وسلطاناً فوق جماجمهم، بل قد صار المسيح لاتباعه واخوته في الآلام إماماً وفي موت الصليب رائداً وأميراً وملكاً. "ولكونه هكذا قد أطاع حتى الموت موتاً بالصليب، أعطاه الله إسماً فوق كل اسم لكي تجثو بإسم يسوع كل ركبة في السماء وعلى الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الآب" (في٢: ٨-١١).

لذلك ليس المسيح هو الذي يبني سلطانه وملكه على آلام القديسين، لكنه يبني سلطانه الإلهي في مملكة البشر على آلام صليبه هو. من اجل ذلك لا تحسب مواعيد المسيح لعروسه، مواعيد أوهام بل مواعيد حقيقية لأنها محصلة حب وفداء وموت. وهذا هو وعد المسيح الصادق الأمين لاخوته وابنائه حينما قال "في بيت ابي منازل كثيرة. وإلا فإني كنت قد قلت لكم انا امضي لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت

واعددت لكم مكاناً. آتي وآخذكم إلي. حتى حيث اكون انا تكونون انتم ايضاً (يو١٤ :٢-٣). ونحن نعلم يقيناً أن المسيح هذا ليس هو الآن بين القبور عظاماً بالية بل هو بين السماويين فوق الصخور الدهرية حياة باقية وفوق عروش المجد ملكاً خالداً. وهناك أيضاً وحسب وعده ستكون عروسه معه. لأنه يقول "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ٣ :٢١). لذلك فدعوة الكنيسة للإشتراك في آلام المسيح لا تحسب لها آلام بل أفراح وليس موتاً بل حياةً ولا خسارةً وضياعاً بل ربحاً ووجوداً، طالما هي آلام مطعمة بالبر وأوجاع مقدسة بالحق وموت مغلف بالحياة.

إذاً فعلى الكنيسة العروس أن تعي مسوؤلية صليب المسيح هذه وتحسب أن مشاركتها لآلام المسيح ليست عليها ثقلاً تحمله بانين وتذمر، بل نيراً خفيفاً وحياة في المسيح مجيدة وتجارة في أسواق ملكوته الذهبية رابحة. فلائق من ثم كثيراً بالمسيح أن يفرح بآلام قديسيه لتقديسهم وتمجيدهم لا سيما ان آلام كهذه هي آلامه الفدائية في قديسيه وشهدائه والذين يتقبلونها لا عن اضطرار بل بفرح "احسبوه كل فرح يا اخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة عالمين ان الضيق ينشئ صبراً" (يع١ :٢-٣).

فإلى ادهان الكنيسة الأولى ايتها العذارى الجميلات الذابلات والى خمور الرسل أيها الفتيان الخلفاء، بل إلى معصرة خمر الإنجيل وقارورة ادهانه واطيابه يا جميع العشاق المحبين. فمالك ايتها الكنيسة اليوم والقساوة القلبية هذه وأنت ترين الجريح بين اللصوص يئن أنين الموت ولا تبالين ولا تنظرين ولا تسمعين، بل مروراً من جانبه تمرين؟ أ ورثت قساوتك الفريسية هذه من الكهنوت الهاروني أم من الطقس

اللاوي الذي جاز هو الآخر من جانب الجريح غير مبال؟ أين أنت اليوم من الروح السامري الصالح والذي عمل بقوة رسلك وقديسيك فراحوا يسكبون في جراحات الإنسان الجريح خمرة الفداء شفاء للنفس ودهنة الزيت، زيت الروح القدس شفاء للنفس والجسد، بل راحوا يحملونه روحاً وجسداً من وديان الشياطين ولصوص الأرض إلى فنادق الراحة ومنازل الحياة ومصحات السماء؟
لذلك إما أن تكون الكنيسة إنجيلاً للمسيح مقروءاً ومسموعاً من الناس محيياً وعلى الصعيدين الروحي والجسدي. وإما أن تكون هي الأخرى فلسفة يونانية ونظرية ديناميكية ومنظمة اجتماعية وهيئة سياسية أو قل طبقة أرستقراطية. فكيف لا تخجل كنيسة اليوم وهي ترى الآخرين سواء بحق أم بعلة يبنون الإنجيل اجتماعياً ويضمدون الجريح سامرياً ويشبعون الجائع اشتراكياً ويذوقون أصناف العذاب عقائدياً، بينما هي سفيرة المسيح على الأرض باتت تتربع فوق العروش تربعاً وتتمطى فوق أسرة الدلال تمطياً؟ بل كيف تقدر الكنيسة اليوم وبواقع قلبي كهذا أن تتحسس آلام البؤساء وان تسمع أنين الفقراء وان ترى دموع التعساء؟

ألا كفاك بزاً وارجواناً وتنعماً ودلالاً ايتها الكنيسة وكفاك تعالياً وترفعاً وتجبراً على اليعازر وهو جالس بين الكلاب قدام أبوابك، لأنك إذلالاً وكالملح الفاسد ستذلين تحت الأقدام، إن لم تتوبي عن بطرك وفي العذاب ستكونين مع ذياك الغني البخيل إن لم ترجعي إلى المسيح وتتريضين. واما انتم يا أبناء بلشاصر فكفاكم عبثاً بآنية المذبح وكفاكم استهتاراً في النفوس المقدسة لأن يد المسيح لا تزال تكتب إليكم الإنجيل فوق قلوبكم وأمام عيون أذهانكم وألواح ضمائركم تحذيراً ووعيداً وإنذاراً.

والآن أيتها الكنيسة قومي واستنيري مع الحكيمات الخمس واخرجي لإستقبال العريس. وهناك بين أورشليم وأريحا ترينه منحنياً فوق إنسان جريح يضمد جراحه بخمرة دمه وبادهان الروح القدس واطياب الرحمة. وهناك ترين المسيح المحب مريضاً في المستشفيات ,معتقلاً في السجون وجائعاً في أكواخ الفقراء وعرياناً بين المشردين ومنبوذاً اسوداً بين الزنوج والملونين. اجل في هذا الموقع اسكبي خمرة فدائك سكيباً واعصري قارورة أدهانك وأنجيل أطيابك عصيراً وإذّاك يتم فيك قول الرب "ما أحسن حبَّك يا أختي العروس. كم محبتك أطيب من الخمر وكم رائحة ادهانك أطيب من كل الأطياب".

هكذا قد باتت العذراء للرب يسوع بالتجسّد أختاً وعروساً وأماً معطّرة بالمُر واللبان وبكل أذرة التاجر، خمرها معصرة حب وادهانها ينبوع حنان طالما الروح القدس قد حل عليها وقوة العلي ظللتها والمولود منها هو القدوس ابن الله يدعى. ففيها قد تجسد إنجيل الله والحياة بواجهتيه واستعلن استعلاناً. من اجل ذلك استحقت العذراء الطوبى أجيالاً والذكر العطر قروناً كما هو مكتوب "هوذا منذ الآن جميع الاجيال تطوبني لأن القدير صنع بي عظائم واسمه القدوس". وهكذا أمست العذراء نموذجاً أساساً لمقام الكنيسة ومركزها التجسدي الفدائي المرتقب والتي راحت هي الأخرى ومن هذا المنطلق العذراوي تجسد إنجيل الله في حياتها تجسيداً وتعلنه للعالم رباً ومسيحاً أعلاناً، وذلك بذات الروح القدس الواحد المخصِّب والمجسِّد والمولِّد، الواقع الكنسي الذي اشار اليه الرسول بولس بقوله "اني اتمخض بكم الى ان يتصور المسيح في قلوبكم" (غلا٤ :١٩).

واما الآن فهل الكنيسة اليوم تتمتع بقبول الروح القدس وحلوله وتظلل بقوة الله لتجسيد المسيح في حياتها كالعذراء مريم وكنيسة القديسين؟ أ حبلى هي اليوم هكذا بكلمة الله الأزلي يسوع المسيح وهي تتمخض بآلام الصليب لتلده من ثم للعالم ابناً لله قدوساً؟ هل كنيسة اليوم هي أخت للمسيح بالتجسد وعروس له بالفداء ومحبتها إليه أطيب من الخمر وروائح قداستها ادهان اطيب من كل أطياب العالم شانها في ذلك شان العذراء البكر وسائر العذارى الحكيمات الطاهرات أم أن الكنيسة اليوم قد حل فيها روح آخر هو روح المعصية وظللتها قوات الدهر الحاضر وهي تتمخض بالإثم لتلد خطيئة "لأن الشهوة إذا حبلت تنتج خطيئة والخطيئة إذا كملت تنتج موتاً". حقاً خمرتك اليوم ايتها الكنيسة مغشوشة بماء العالم وادهانك بأعمال الجسد "لأنك امرأة صخابة وجامحة أنت. فاحتضنت العالم كزانية. وقبلت الجسد عند كل زاوية. وفرشت سريرك لهما بموشىً كتان من مصر. وعطرت لهما الفراش بمر وعود وقرفة. لترتوي وداً مع العالم إلى الصباح. وتتلذذي بالحب مع الجسد. كل ذلك لان الرجل ليس في البيت. ذهب في طريق بعيدة(أم٧ :٩-١٩)؟ ألا اذكري من أين سقطت ايتها الكنيسة وتوبي واعملي الأعمال الأولى. اجل اسكري بخمرتك الفدائية الأولى وتدهني باطيابك التجسدية الأولى لتكوني للمسيح كالعذراء والقديسين أختاً وعروساً لأنه مكتوب "كل من يسمع كلمة الله ويعمل بها هو أخي وأختي وأمي".

أما أنت يا إنسانة الله. فكوني للمسيح أختاً بالتجسد. وعروساً له بالفداء. واسكري بخمرة حبه وفدائه ما شاء لك أن تسكري. وتدهني بأطياب انجيله ما شاء لك أن تتدهني. لأنه من السماء الى اعماق وديانك قد انحنى اليك. وبخمرة صليبه ضمّد جراحاتك. وبأدهان روح قدسه قد عطّر ثيابك وحياتك. وفوق أكتاف رحمته قد حملك. وبديناري جسده ودمه قد افتداك. ولفندق سمائه ومنزل كنيسته

دخولاً قد أدخلك. فحذار إذاً يا نفسي أن تنسي حبه إليك، لأن في ذلك خسارة لك وللحياة. أفلا تتفكرين وتتعقلين وتتحسسين؟

١١ -شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان

كنيسة المسيح خلية نحل قد وضعها الله في قلب العالم لتصنع فيه عسلاً، وذلك بتفاعلها الحياتي مع علة الحياة يسوع المسيح. كما هو مكتوب "طعام الرب أشهى من الذهب والإبريز الكثير. وأحلى من العسل وقطر الشهاد" (مز١٩ :١٠). وبهذا العسل تنتزع الكنيسة مرارة الخطيئة من أفواه الناس وقلوبهم انتزاعاً لتملأها بحلاوة الحياة وكما هي في الرب يسوع المسيح "طالما إجرة الخطيئة هي موت وهبة الله هي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو٦ :٢٣).

نعم الخطيئة هي كالمرأة الأجنبية التي تقطر شفتاها عسلاً وحنكها زيتاً ولكن عاقبتها مرة كالاسفنتين وقدماها تنحدران إلى الموت وخطواتها تتمسك بالهاوية (أم ٥ :٣_٥). وأما الكنيسة فهي كالعروس الأصيلة تقطر شفتاها شهداً وتحت لسانها عسل ولبن ورائحة ثيابها كرائحة لبنان.

ولكن ما أعظم الفرق بين الكنيسة هذه والخطيئة تلك وبين المرأة الأجنبية والعروس الأصلية وبين عسل هذه وعسل تلك؟ المرأة الأجنبية، خليتها خلية زنابير وعسلها هو أعمال الجسد المميتة (غل٥ :١٩-٢١) وفيها يكمن الموت، حيث يتلذذ الفاجر بالشهوة القبيحة. والطامع بالفضة الثقيلة. والطامح بالرتبة الرديئة. ولكن كل ذلك إنما هو في الشفتين والى حين. لان عاقبة كل ذلك لا محالة مرة كالاسفنتين وحادة كسيف ذي حدين "لان يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك٢: ١٧) وكما هو

مكتوب "فرأت المرأة أن الشجرة الجيدة للأكل وإنها بهجة للعيون وإنها شهية للنظر" (تك٣ :٦). ترى ماذا كانت عاقبة هذه الشهوة الحلوة في الفم والشفتين؟ أليس موتاً مزدوجاً للجنس البشري بأسره؟.أليس خوفا وتيهاناً ورعبا لقايين القاتل الحاسد؟ أليست طوفاناً لجيل نوح الفاجر؟ أليست ناراً وكبريتاً لأهل سدوم وعمورا الفاسق الطامع؟ أليست شقاء كوارث لداؤد الزاني القاتل؟ أليست هلاكاً لآخاب الظالم المغتصب وبرصاً لجيحزي الطامع المرتشي وابتلاعاً أرضياً لقورح المشاغب الطامح وانتحاراً للاسخريوطي الخائن الطامع .بل ما هي علّة خراب أمم واضمحلال دول وابتلاع حضارات؟ أليست هي تلك المرأة الأجنبية والخطيئة الدسمة في الشفتين والمُرّة في القلب والروح؟ بل ما هو سبب انقسام الكنيسة نفسها واحتراب بعضها لبعض؟ أليست هي ذات الخطيئة التي أقامت من نفسها كرسياً منصوبة في وسط الكنائس وفاكهة بهجة للعيون وشهية للنظر في وسط الجنان .هذا هو عسل الخطيئة وهذه هي عواقبه. انه عسل الموت لانه عسل الزنابير.

أما عسل الكنيسة، عسل المسيح فهو عسل الحياة الأصيل وقد صُنع من رحيق شجرة الحياة (الصليب) المغروسة في وسط الفردوس ليكون في الفم والقلب حلاوة، ليس للحياة العتيدة فحسب بل للحياة الحاضرة أيضا، لا لأوقات الراحة فقط بل لأوقات الشدة كذلك، لا للأحياء فقط بل للأموات أيضاً كقوله لمرتا "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو١١ :٢٥_٢٦). من اجل ذلك راح داؤد النبي يتغنّى بحلاوة المسيح قائلاً "أمر الرب طاهر ينير العينين خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد، أحكام الرب عادلة كلها أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهاد

(مز١٩ :٧_١٠). وبعد اختبار عميق راح داؤد يبشر بهذه الحلاوة الجديدة قائلاً "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب"
انه ذات العسل الذي استذوقه الرسل فراحوا يقولون للرب وبلسان بطرس "إلى من نذهب يا رب وكلام الحياة عندك ونحن قد آمنّا وعرفنا انك أنت المسيح ابن الله الحي" (يو٦ :٦٨_٦٩). انه العسل الحبي الفدائي والذي بعدما استذوقه الرسول بولس صار يكتب ويقول "من سيفصلنا عن محبة المسيح اشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم سيف أم خطر" (رو٨ :٣٥). ففي هذا العسل بات القديسون شبعى وهم الجائعون وصاروا أغنياء وهم الفقراء وأمسوا ملوكاً وهم المأسورون وأصبحوا أحياء وهم المائتون وصاروا ضاحكين وهم الباكون وآكلين حلاوة بعد ما كانوا في المرارة مقيمين. أليس كذلك ياشاؤل الطرسوسي؟ أليس كذلك يا متى الناصري وزكا القيصري؟ أليس كذلك يا اغسطينوس الأفريقي؟ أليس كذلك يا جميع محبي يسوع في كل زمان ومكان؟

حقاً كنيسة القديسين إن هي إلا خلية روحية لا تزال تصنع فوق المذبح عسلاً وشهداً بقوة الروح القدس لتقدمه من ثم للتائبين عن المعصية حلاوة وحياة أبدية. وذلك من فم إنجيلها وشفتي جسدها ودمها.

والآن ما عسى أن تكون شفتا الكنيسة هذه وهما تقطران شهداً ولسانها هذا ومن تحته عسلاً ولبناً ورائحة ثيابها كرائحة لبنان؟ أليست هما جسد الرب ودمه كقول الرب "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب. فمن يأكلني فهو يحيا بي" (يو

٦ :٥٤_٥٧)؟ أليس لسان الكنيسة التي يجري من تحته عسلاً ولبناً هو إنجيل المسيح الذي بات في فم الكنيسة عسل حب وفداء ولبن بر وصلاح. وراحت الكنيسة تقدم هذا العسل وهذا اللبن إلى الخليقة الفاسدة حلاوة للحياة طاهرة وبشارة للإنجيل مخلّصة؟ أليست رائحة ثياب الكنيسة اللبنانية هذه إن هي إلا رائحة أسرارها السبعة الكاملة ورائحة الطقوس الكتابية المبجّلة وتقاليدها الرسولية المعتّقة ورائحة أعمالها الإنجيلية المكرّسة. فباتت هذه المقومات الأساسية لكنيسة المسيح يسوع مبعث جمالها وكمالها، لانه كيف تقدر عروس المسيح أن تكون جميلة من دون هاتين الشفتين ومن غير ذياك اللسان وما عدا هاتيك الثياب؟

ألا ما ابشع وجه الكنيسة إذا ما خلت من الشفتين هاتين. وما أقبح الكنيسة واقعاً إن كانت خرساء من دون لسان وانجيل. وما أتعسها حالاً إذا ما تعرت عن ثياب لبنان المعطرة هذه. وتباً لكنيسة من دون شفتين ولسان وثياب وبوركت كنيسة للمسيح بات جسده ودمه لها شفتين وإنجيله في فمها لسان وأسراره لها ثياباً وعطوراً كلبنان. هذا هو واقع خلية المسيح وكنيسة قديسيه منذ الدهر بل واقع العذراء مريم، خلية الروح القدس، والتي أمست بأقراص العسل معبأة وباتت شفتاها بالتجسّد تخمّران جسد الرب ودمه ولسانها يتمخض عن إنجيل عتيد ينبع عسلاً حلواً ولبناً طاهراً ورائحة ثيابها تفوح ذكية كرائحة لبنان. فباتت العذراء هذا إنجيلاً حياتياً مقروءاً من الناس ومسموعاً. ولم لا؟ أليس الإنجيل في جوهره تجسيد لحياة الله في حياة الإنسان وكما حصل روحياً وعملياً في شخصية العذراء وذلك تقديساً لحياة الإنسان بحياة الله؟ لأنه حيث لا تجسيد إلهي في الإنسان، لا إنجيل خلاص وحياة أيضاً، بل قطيعة وغضب من الله على الإنسان رهيب. إذاً العذراء

مريم هي إنجيل عملي قد جسدت لنا عمانوئيل عسلاً أزلياً حبياً ولبناً وزبدة منذ البدء برياً (أش٧ :١٥)

والآن هل أنت على هذا المستوى العذراوي والصعيد الرسولي في تجسيد المسيح وولادته للشعوب عسلاً ولبناً ورائحة كلبنان ذكية يا كنيسة القرن العشرين، أم أنك تجسدين الخطيئة في حياتك والمرأة الأجنبية في أفكارك وتقدميها للشعوب شهوة خليعة وثياباً معفنة بالنجاسة كرائحة أبناء الطوفان؟ فتوبي بشفتيك ايتها الكنيسة وانطلاقة انطلقي بلسان إنجيلك في الخليقة كلّها ايتها السفيرة الخرساء وقداسة تقدّسي بثيابك وسلوكياتك يا جامحة في الوديان.

وأما أنت يا نفسي فليكن لك فداء المسيح بشقيه اللاهوتي والناسوتي، الجسدي والدموي، شفتين تقطران في الحياة شهداً وإنجيله لساناً يقطر في الخلاص عسلاً ولبناً ولبنانه رائحة وثياباً وحياة بل "اخلعي يا نفسي الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتجددي بروح ذهنك والبسي الإنسان الجديد المخلوق بحسب البر وقداسة الحق" (اف٤ :٢٢_٢٣).

١٢- أختي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم

فمن عسى أن تكون الجنة المغلقة والعين المقفلة والينبوع المختوم بعدما صارت هكذا أختاً للمسيح بالتجسد وعروسا له بالفداء؟ أليست هي الكنيسة المقدسة والجامعة الرسولية الواحدة والتي اختارها الآب من بين الشعوب وغسلها الابن بدم الفداء وقدّسها الروح القدس تقديساً؟ فكيف إذاً لا تمسي الكنيسة هذه للمسيح أختاً وقد تشبه المسيح بها في كل شئ عدا الخطيئة، "لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يكفر خطايا الشعب" (عب٢ :١٧)؟ وكذلك لتكون له

عروساً بعدما "خطبها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥ :٢٧)؟

وهكذا بالتجسد والصليب اكتسبت الكنيسة خصائص المسيح وصفاته فصارت بذلك جنّة مغلقة ومفتوحة وعين مقفلة ومفكوكة وينبوع مختوم ومفتوح. فهي كالمسيح باتت جنة مغلقة أمام الحكماء والفهماء ومعلنة مفتوحة أمام الأطفال والبسطاء. وهي عين مقفلة أمام الذين حسب الجسد وعين مفكوكة أمام الذين حسب الروح. وهي ينبوع مختوم أمام عشّاق الخطيئة ومحبيها وينبوع مفتوح أمام عشّاق القداسة ومحبيها. الحقيقة الصارخة التي أعلنها رب المجد بقوله "أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذا عن الحكماء والفهماء وأعلنته للأطفال. نعم يا أبتاه لأنه هكذا قد صارت المسرة أمامك". من اجل هذا راح الرسول بولس يكتب في ذلك قائلاً "لأننا نتكلم بحكمة الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون بل نتكلم بحكمة الله في سر. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع إذن ولم يخطر على بال بشر ما أعده الله للذين يحبونه فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١كو٢ :٩-١٠).

لذلك إن كانت الكنيسة جنة مغلقة فذلك ليس في وجه المسيح الحبيب بل في وجه الشيطان الغريب وإن كانت عين مغلقة فليس في وجه البر بل في وجه الإثم وإن كانت الكنيسة ينبوع مختوم فليس في وجه الروح القدس وثماره بل في وجه الجسد وأعماله. وليس في وجه قوات الدهر الآتي بل في وجه قوات الدهر الحاضر "لأن هذه المدينة لايدخلها شئ نجس أو دنس أو كل من يصنع كذباً إلا المكتوبين في

سفر حياة الخروف. لأن الخائفين وغير المؤمنين والرجسين والقاتلين والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤ٢١ :٨). "وإن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً" (رؤ٢٢_١٥). فكيف لا تقفل الكنيسة أبوابها هكذا في وجه الخطيئة والشيطان وقد اختارها المسيح اختياراً أزلياً، وطهرها تطهيراً دموياً فدائياً وقدسها بروح قدسه تقديساً فصارت له بذلك "عروساً مهيأة ومزينة ومدينة نازلة من السماء من عند الله" (رؤ٢١ :٢)؟

حقاً القداسة إطلاقاً هي موطن القديسين ومربض المؤمنين والنجاسة أبداً هي موطن الشياطين ومزبلة الآثمين وقط لا تختلط هذه بتلك طالما لا يلتصق الحديد بالخزف (دا٢ :٤٣) ولأنه "أية خلطة للبر ولاثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأي اتفاق للمسيح مع بليعال وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان (٢كو٦ :١٤)؟

إذاً في المسيح صارت الكنيسة التي للقديسين مقفلة في الشياطين ومفتوحة في وجه القديسين كما أن مدينة الشياطين هي الأخرى مقفلة في وجه القديسين ومفتوحة في وجه الشياطين. وإلا لو فتحت أبواب الجنة هذه وأبواب الجحيم تلك على بعضها فتحاً واختلط سكان هذه بسكان تلك اختلاطاً. أفلا يصير الظلام نوراً والنور ظلاماً ويمسي الحق باطلاً والباطل حقاً ويصبح الخير شراً والشر خيراً والفضيلة نجاسة والنجاسة فضيلة؟ أفلا تتضعضع اذاك وهذه الفرضية اللاموضوعية أساسات الحياة تضعضعاً وتنهار مقومات الوجود انهياراً؟ أفلا يصلب المسيح بذلك صلباً ويذبح الحق ذبحاً ويموت الخير موتاً ويرقص الشيطان رقصاً ويهتف هتافاً؟

أفليست مسرة الشيطان دوماً أن يعرج الناس بين الفرقتين ويرقصوا فوق الحبلين ويدخلوا أبواب المدينتين ويلبسوا الثوبين؟ أليست مشيئة الشيطان أن يصدق الناس مرة ويكذبوا مرات وان يتبرروا مرة ويتنجسوا مرات وان يحبوا يوما ويبغضوا أياما وان يؤمنوا ساعة ويلحدوا ساعات وان يتوبوا حينا ويأثموا أحيانا؟ أفليست إرادة الشيطان أن تدخل الملائين أبواب مدينته واسعة وتسلك طرقه رحبة وبالتالي لتدخل جهنمه أعماقاً؟

اجل هذا هو واقع الكثير من المسيحيين تماما اليوم، بل واقع الكنيسة الجسدية الآن. بل كيف تكون الكنيسة في هذا العصر وواقع الاختلاط والتلوث هذا، جنة مغلقة وعين مقفلة وينبوع مختوم؟
قديماً فتحت الأبواب واختلط أبناء الله مع بنات الناس فجاء الطوفان بسبب ذلك واهلك الجميع. ورفعت الحواجز بين أولئك وهؤلاء في سدوم وعمورا فأمطرت السماء ناراً وكبريتاً وأحرقت الجميع. وزنى الشعب مع بنات موآب الحسان فسقط منهم في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفا (١كو١٠ :٨). واختلط أبناء العهد مع شعوب الأرض وزنوا بأوثانهم فسُبيوا بسبب ذلك على أيدي نبوخذنصر إلى ما وراء بابل سبياً ثقيلاً وعنيفاً. ترى هل الكنيسة الجسدية في واقعها اليوم احسن حالاً من هؤلاء الذين سبقونا في الدخول إلى هاتيك الأبواب الجهنمية والتلوث بهاتيك المستنقعات؟ أو ألم يختلط أبناء المعمودية اليوم ببنات الشعوب اختلاطا مشبوهاً ممزقين بذلك ثوب المعمودية المقدس تمزيقاً ومتعرين عن بر المسيح تعرية؟ أو ألم نأكل اليوم الإثم أكلاً ونلتهم الخطيئة فوق موائد العالم التهاما، بل ونرتشف الشهوة القبيحة في كؤوس الذهب ارتشافا؟

فنحن اليوم نأكل الخرنوب مع الخنازير في الكورة البعيدة والذنوب والخطايا مع الشياطين في الكورة الجهنمية أكلاً قبيحاً وشرهاً. نحن اليوم نفضل الثوم والبصل والكراث على الخبز النازل من السماوات غذاءً وطعام الجسد بروائحه الكريهة على المسيح طعام الروح بروائحه الذكية قوتاً. فلا عجب إذا ما بعنا البكورية وبركة يسوع بأكلة عدس وشهوة جسد وتنكرنا وبعنا خلاص المسيح بثلاثين من الفضة؟ حقا قد فتحنا اليوم الأبواب، ولكن لا لإنجيل المسيح بل لانجيل العالم الآخر القبيح كما ودخلنا اليوم أبواباً لم يدخلها قديسوا إلهنا من قبل لذلك "صارت قرانا ومدننا زانية وفضتنا زغلاً وخمرتنا مغشوشة بماء. أما رؤساؤنا متمردون ولغفاء اللصوص كل واحد يحب الرشوة ويتبع العطايا لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم" (اش١: ٢١-٢٣).

والآن كيف صارت القرية الأمينة زانية والكنيسة الجسدية فاجرة؟ أليس بفتح أبوابها بوجه الكنعاني والكلداني؟ أليس بدخول الثعالب إلى الكروم والطيور الكواسر إلى الجنات؟ أليس بدخول الذئاب إلى الحظيرة ومياه الطوفان إلى السفينة؟ فما لك ايتها الكنيسة وبنات الناس الحسان؟ وأية شركة لك مع بنات موآب ونصيب مع بنات مديان؟ أين أنت اليوم من مدينة الرسل الذين لم يفتحوا باباً إلا للحبيب يسوع والقائل "ها انذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل إليه واتعشى معه وهو معي" (رؤ٣ :٢٠)؟ بل أين نحن اليوم من تحذيرات الرسول بولس القائلة "اكتب إليكم إن لا تخالطوا الزناة وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فليلزمكم أن تخرجوا من العالم. واما الآن فكتبت إليكم أن كان أحد مدعوا أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً، أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا. لأنه ماذا

لي أن أدين الذين من خارج. ألستم انتم تدينون الذين من داخل. أما الذين من خارج فالله يدينهم. فاعزلوا الخبيث من بينكم" (١كو٥ :٩-١٣).

واما الآن فليقل لنا رؤساء الكنيسة اليوم بأي دافع قد كتب لنا الرسول بولس هذه الكلمات محذراً؟ أبدافع التزمت العقلي والانطواء الحياتي، أم بدافع الخبل والجهل الفكري؟ حاشا لا بهذا ولا بذاك، لأن الرسول بولس كان ذكياً وفي طليعة أذكياء عصره وكان مثقفاً ومتعلماً وخريج جامعة طرسوس ومتقدما في ذلك على كل أترابه واجتماعياً كان نظيفا إلى ابعد الحدود. لكنه كتب لنا هذه التحذيرات بدافع الروح القدس الحال فيه ليس إلا، وذلك حفاظا على قداسة الكنيسة ومناعتها ضد عدوى الخطيئة وبالتالي تأديبا حبيا للاخوة الخطاة حتى يرجعوا بالتوبة إلى الله ويشفوا من أمراضهم بالمسيح يسوع. فماذا إذاً من جانب الكنيسة اليوم، أتلتزم بهذه التوصيات الرسولية وتعمل على تصفية جناحها وتسعى للقداسة أم قد باتت هي الأخرى وفي شخصيات رؤسائها في هاتيك المنخفضات الجسدية الواطئة وباتت آمة مستعبدة لشخصيات عالمية في الكنيسة زانية سكيرة وطماعة خاطفة وذلك طمعاً في ربح قبيح وسعيا في مجد اثيل؟ أتسمى العبودية لهاتيك الشخصيات العالمية الفاسدة حكمة عالمية وادارة كنسية ومجاملة اجتماعية بل ضرورة كهنوتية أم انك تسميها وفي أعماق ضميرك انحرافا عن إنجيل المسيح وجموحا نحو الخطيئة التي في العالم وكفى؟ اللهم إلا إن كنا اليوم اصلح رأيا واسمى لاهوتا وابعد حبا واعمق إنسانية من الرسول بولس وهو يقول "إن كان أحد مدعوا أخاً زانياً أو طماعا أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفا أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا" (١كو ٥ :١١).

فماذا إذاً، أنغيّر الإنجيل بتغيّر أوضاع المجتمع كأن نتزل بالإنجيل اليوم من مستوى قداسة فدائه إلى مستوى الفساد الذي في هذا الدهر وذلك مجاراة للأوضاع وتمشياً مع الظروف ومداهنة لملوك الخطيئة وامراء الآثام؟ حاشا، بل ليكن الله صادقاً في إنجيله أمس واليوم والى الأبد والعالم كاذباً في خطيئته أمس واليوم والى الأبد.

اجل حينما كتب الرسول بولس توصياته هذه في قداسة الكنيسة .كانت الكنيسة عصرئذ مجمعاً للقديسين حقاً والروح القدس قائماً في وسطها يقيناً. لذلك حينما كان يظهر فيها أخاً زانياً أو سكيراً أو طماعاً كان يُحسب ذلك أمراً غريباً ومزعجاً، سرعان ما كان يفرز عن الجماعة المقدسة فرزاً لكي لا يتنجس الجسد كله. الأمر الذي نلحظه في الإجراء الرسولي الذي اتخذه الرسول بولس بخصوص الأخ الزاني بامرأة أبيه بقوله "باسم ربنا يسوع المسيح إذ انتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب (١كوه :٤-٥).

واما الآن فإن أرادت الكنيسة اليوم أن تنفذ قانون الرسول بولس بحق الزاني والطماع والسكير والشتام وسائر الخطاة. أفلا تفرغ بالتأكيد من الاتباع تفريغاً كاملاً أو تكاد؟ فكيف لا يبرهن إذاً واقع الكنيسة هذا على أن الكنيسة اليوم ليست ككنيسة ألامس ،كنيسة الرسول بولس وسائر الرسل أصحابه؟

إذاً لنا في المسالة واحد من أمرين. فإما أن نلغي إنجيل الرسول بولس هذا من واقعنا الكنسي لكونه لا يلائم العصر الحديث، عصر الارتداد عن الله الحي، وإما أن تعلن الكنيسة انحرافها عن خط القداسة أعلاناً رسمياً وعلى الصعيدين الاكليريكي والشعبي والكنسي والعالمي وذلك توبة منها في مواقع خطيئتها وتزكية لها في إنجيل

قداستها. وإلا فانجيل الرسول بولس هذا لا يزال حتى الساعة يضع الكنيسة إطلاقاً تحت المحك بقوله "أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" (١كو٦ :٩-١٠). أ فلا ينطبق هذا الواقع اليوم على واقع المسيحيين انطباقاً كلياً؟ أ فلا تحتاج الكنيسة وبكل قطاعاتها إلى التوبة والاغتسال وعملية التطهير التي أشار إليها الرسول بولس بقوله أيضاً "هكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا" (١كو٦ :١١)؟

ألا إلى الحمامات الدموية الفدائية يا جميع القطعان غنماً وكباشاً خرافاً وجداء. والى جمرات النار والقداسة في بيت المقدس يا جميع رعاة القطعان الذين كاشعياء قد تنجست شفاههم بين شعب نجس الشفتين أيضاً (اش٦ :٥). والى قداسة إنجيل بولس والرسل القديسين يا من قد ابتكروا لهم عجلاً من ذهب في وسط البرية ليأكلوا وليشربوا من حوله ثم يقوموا للعب والرقص قدامه. بل إلى هاتيك الجنّات المغلقة والعيون المقفلة والينابيع المختومة في وجه كل ثعلب محتال وذئب شرس وخترير في مراغة الحمأة يا جميع كنائس العصر.

١٣- أغراسك فردوس رمان مع أثمار نفيسة فاغية وناردين

١٤- ناردين وكركم وقصب الذريرة وقرفة مع كل عود اللبان. مر وعود مع كل أنفس الاطياب

أغراس الرمان هذه هم الرسل والمؤمنون والمختارون والقديسون والشهداء والمعترفون المغروسون في تربة الكنيسة المنظورة. وهم الاغراس المقدّسة ذات الثمار

النفيسة التي غرست بيد الله والتي سرعان ما تنتقل إلى الفردوس إذا ما تكاملت بالنعمة وأثمرت بالروح القدس ثمراً نفيساً، لا اغراس صغيرة فيما بعد بل كأشجار عملاقة في ثمر البر لمجد داك الذي هو شمس البر والشفاء في أجنحته يسوع المسيح ربنا والى هذه الحقيقة التي لإنسان الله أشار النبي داؤد بقوله "فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل. وكل ما تصنعه ينجح" (مز ١ :٣).

ولكن كيف تنمو وتنضج يا ترى اغراس الرمان هذه، اغراس يسوع المسيح؟ النبي داؤد ذاته يشرح لنا كيفية ذلك بقوله طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. ولكن في ناموس الرب مسرّته. وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً. فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لايذبل وكل ما يصنعه ينجح (مز ١ :١-٣). وهنا نلاحظ النبي داؤد يحذر الأغراس من مغبة العيش في البيئة اللاكنسية والمناخ اللاانجيلي حيث أن السلوك في مشورة الأشرار والوقوف في طريق الخطاة والجلوس في مجلس المستهزئين، هي المجالات الرديئة والمناخات السلبية الثلاثة التي تمرض أغراس الفردوس وتقتل شتلات الرمان.

كيف لا وثالوث الشر هذا الشيطان والجسد والعالم، إنما هو ثالوث الموت والهلاك؟ وان الروح العامل في هذه العناصر الثلاثة إنما هو روح الضفادع الثلاث النجسة تلك التي أشار إليها الرسول يوحنا بقوله "ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع. فإنهم أرواح

شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شئ" (رؤ١٦ :١٣_١٤).

فمشورة الأشرار هو روح الضفدع الأول الذي يقتل السلام في القلب. وطريق الخطاة هو روح الضفدع الثاني الذي يقتل البر في القلب. ومجلس المستهزئين هو روح الضفدع الثالث الذي يقتل الحق في القلب. نعم إنه روح الشيطان بواجهاته الثلاث وهو يستقطب قتل الإنسان بروحه وقلبه وجسده. لأن مشورة الأشرار تبعث دوماً روح الحقد والبغضاء في القلب وطريق الخطاة يقود إطلاقاً للاستغراق في الشهوات والموبقات ومجلس المستهزئين يؤدي إلى حياة الاستهتار والإلحاد حتى بات الإنسان الجاهل يقول في قلبه ليس اله.

لذلك كما لأشجار العوسج المهيأة للحريق بيئتها الخاصة هذه وهي مشورة الأشرار وطريق الخطاة ومجلس المستهزئين، فكذلك لأغراس الرمان المهيأة للسماء بيئتها الخاصة بها أيضاً والتي هي ناموس الرب ومجاري المياه. حيث أن هذه الأغراس التي تتربى في ناموس روح الحياة في يسوع المسيح وهي تمتص ماء الحياة من مجاري الروح القدس هي أغراس الكنيسة المباركة وشتلاتها الحية النامية والتي تعطي ثمارها في أوانه وورقها لا يذبل.

احل في ذياك المناخ الروحي حيث المياه اللطيفة المنعشة وأشعة الشمس المنيرة يترعرع الأبرار ويتكامل القديسون، أولاً عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن بالسنبل، بل ينمون اغراس رمان مع أثمار نفيسة فاغية وناردين وكركم وقصب الذريرة وقرفة مع كل عود اللبان مر وعود مع كل انفس الاطياب.

والآن أليست هذه الأصناف والاطياب في ذاتها رمزاً ومثالا للمؤمنين والقديسين الذين انسكبت عليهم مواهب الروح القدس اطياباً كقول الرسول بولس "وهو

أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين" (اف٤ :١١). كما وقد وضع الله في الكنيسة أولاً رسلاً وثانياً أنبياء وثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء وأعوان تدابير وأنواع ألسنة" (١ كو١٢ :٢٨). لأنه "أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد. وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد. وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد. الذي يعمل الكل في الكل. ولكنه لكل واحد يعطي إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطي بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح. ولآخر أنواع السنة. ولآخر ترجمة السنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء"
(١كو١٢ :٤_١١). أو أليست هذه العطور والأطايب هي رمزاً لثمار الروح القدس في حياة المؤمنين والقديسين، رمان الفردوس والتي قد أتى على تعدادها الرسول بولس بقوله" واما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" (غل٥ :٢٢).

اجل الكنيسة المقدسة منذ القديم كوَّنت مسحة الميرون من هذه الأطياب لتمسح بها الإنسان المعتمد وكمن يمسح بالروح القدس والتثبيت في الإيمان. ولكن هل الأغراس التي قد زرعت في تربة الكنيسة بالمعمودية هي أغراس نامية مثمرة وحية، أم أنها وبعمل الخطيئة قد باتت أغراساً مريضة عقيمة وميتة مهيأة لحريق النار؟ هل اغراس الكنسية اليوم تثبت هكذا في المناخ الروحي مناخ الإيمان والمحبة والقداسة، أم أنها قد انتقلت بإرادتها بعد المعمودية إلى ذياك المناخ الجسدي والى حيث مشورة الأشرار وطريق الخطاة ومجلس المستهزئين بل حيث الزنى والاستهتار والإلحاد

وعمل الشياطين؟ هل جميع الذين مُسِحوا بمسحة الميرون المقدس هم الآن ممسوحين من الروح القدس حقاً، أم الهم باتوا مرتدين عن الله الحي وممسوحين بالخطيئة وعمل والإثم؟ وما هو نفع المعمودية إذاً، وما هو فضل الميرون؟

هكذا باتت المعمودية والميرون للمختارين مناخس حياة ومنطلقات قوة وطاقات روح، وأما للمرتدين فمناخس قضاء ودينونة. ذاك الواقع المرير الذي أشار إليه الرسول بولس بقوله "لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لانفسهم ابن الإنسان ثانية ويشهرونه. لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً للذين فلحت من أجلهم تنال بركة من الله. ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق" (عب٦ :٤ـ٨).

فالكنيسة إذاً ليست كنيسة المسيح بحجم أموالها بل بحجم مواهبها ولا بزينتها الخارجية بل بزينتها الداخلية، زينة الروح التي قدام الله كثير الثمن (١بط٣ :٤) ولا بمجرد الشكليات الكنسية والهيئات الطائفية بل باغراس الرمان والأثمار النفيسة ولا بأبواق أعمالها الذاتية المنتفخة بل بروائح عطورها وأطايب روحانياتها ولا بضخامة عماراتها وعلو كاتدرائياتها بل بضخامة قديسيها وعملقة رسلها وعلو أفكار مؤمنيها ولا بمواهبها الطبيعية المجردة بل بناردين إنجيلها وفاغية فدائها وقرفة روحها وعود فدائها وكركم كلمتها ومُرّ صليبها، بل قارورة اطيابها وأغراس رمانها ونفائس ثمارها.

فإلى تلك القارورة الرسولية أيتها الكنيسة التي لم يعد في قارورتها أطياب والى أغراس القديسين حيث مجاري الروح القدس أيتها الأشجار الخريفية الميتة المقتلعة (يه١ :١٢) والى ثمار الروح القدس المحيية يا جميع عبيد الجسد وأعماله المميتة (رو٨ :٦) والى العذراء مريم قارورة التجسّد والأطياب يا جميع العذارى الحكيمات والجاهلات على حد سواء بل إلى يسوع المسيح في تجسده وفدائه وفي قارورة اطيابه ومستودعات مواهبه ومخازن أسراره يا أغنياء الأرض وفقرائها سواسية.

وأما أنت يا مجدلية نفسي فعند أقدام الناصري المصلوب، اكسري قارورة القلب واسكبي عصارة الحياة واذبحي الأزواج السبعة شياطيناً لتصيري أنت ايضاً في المسيح يسوع غرسة رمان وروائح ناردين في فردوس يسوع.

١٥- ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول لبنان

هكذا قد جعل المسيح كنيسته لا أغراس رمان فقط ولا قارورة طيب فحسب بل ينبوع جنّات كذلك وذلك لكونه قد احبها منذ الأزل وبالصليب قد افتداها إلى الأبد وسخا عليها بالجنّات سخاء وفي فردوسه غرسها رماناً وفي مذبحه قارورة اطياب وضعها بل وفي وسط البرية ينبوع جنّات وحياة قد زرعها وفجرها.

لذا قد صارت الكنيسة في المسيح يسوع لا ينبوعاً واحداً في الحياة بل ينابيع خيرات ولا قارورة طيب في الروح بل اطياباً ولا ينبوع جنة في الخيرات بل ينبوع جنّات إنجيلية فدائية أربعة. كيف لا والمسيح قد وعد محبيه قائلاً "من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حية تنبع إلى حياة أبدية" (يو٧ :٣٨). هكذا بات المؤمنون بالمسيح رباً ومخلصاً ينبوع جنات يتدفق الروح القدس فيها جداولاً

وأنهاراً كقول النبي اشعياء "إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً ويكون البستان وعرا" (اش٣٢ :١٥).

نعم في قلب المسيح المطعون فوق الخشبة تتربى أغراس الرمان تربياً وتفيض قارورة الأطياب في الكنيسة فيضاناً ويتدفق ينبوع جنانها تدفقاً. لأنه من يستطيع أن ينمي الأغراس لتثمر أثماراً نفيسة في فردوس الله، إلا من كان هو الحياة؟ ومن يقدر أن يملأ القارورة بالأطياب إلا الذي عصر فوق الصليب لأجل حياة الحياة؟ ومن يقدر أن يفجر عيوناً في الأودية ويحول السراب اجماً والمعطشة ينابيع ماء حية إلا المبدع الحي بل ويفجر في قلب الموت الحياة؟

انه يسوع المسيح "الذي به كانت الحياة والحياة نور الناس" (يو١ :٤). انه يسوع الذي قال عنه اشعياء "إني اسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة. اسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك فينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجاري المياه" (اش٤٤ :٣-٤). انه الينبوع الفدائي العظيم والخلاص السماوي المجيد الذي أفاضته السماء على الأرض اليابسة في العلية يوم الخمسين. فكانت بذلك اغراس الرمان وقارورة الاطياب بل كانت الجنّات الإلهية في وسط برية العالم وكانت الينابيع والجداول والأنهار على الأمم والشعوب، تلك الأراضي العطشانة، فيضاناً للمياه والحب وسيولا من لبنان.

وهكذا ارتفعت أمواج الإنجيل بالروح القدس فوق التلال المرتفعة والجبال العالية. لتبتلع أمواج الطوفان والخطيئة والتي قد ارتفعت فوق العظماء تلالاً وفوق الجبابرة جبالاً. وذلك ليس في أورشليم فحسب بل وفي اليهودية والسامرة والى أقاصي الأرض (اع١ :٨). اجل بهذا الروح الجارف الفائض وبهذه القوة النازلة من فوق

تحدّت كنيسة القديسين قوات الجحيم ووطأت بأقدامها كل علو شيطاني يرتفع ضد معرفة الله وتستاسر كل فكر إلى طاعة الله. بأية قوة وسلطان؟ هل كان ذلك بقوة الجاه والمال وسلطان الدينار؟ أكان ذلك بقوة الخيل والمركبات وسلطان الحديد والنار؟ أكان ذلك بقوة الفلسفة وطاقة العقل واللسان، لسان الخطيئة والعار؟ أم كان ذلك الانتصار الساحق والفيضان الماحق بسلطان حكم ونفوذ واستعمار؟

كلا لم يكن انتصار الكنيسة على الشر في أجيالها الأولى بقوة هذه أو بعلة تلك، بل بقوة لسان النار الذي سقط من السماء فوق رؤوس الرسل الأطهار، فأحرقوا به زواناً للجهل طالما قد تحكم في العقول أجيالاً وشوكاً للعداء طالما لفَّ النفوس قروناً وعوسجاً للفجور طالما نشب في الأجساد دهوراً.

وهكذا بات لسان الرسل الناري هذا للتائبين عن المعصية وللمؤمنين بالقداسة الفادية ناراً للحياة مطهرة، واما للعصاة والمتحصنين بالنجاسة ناراً محرقة وماحقة. بل ولا تزال هذه القوة تفيض على العالم ينابيعاً وجداولاً وانهاراً لهؤلاء التائبين المؤمنين رواءً وشبعاً وحياةً. واما لأولئك الذين لا يطيعون إنجيل المسيح فطوفاناً واختناقاً وهلاكاً. كيف، لا والمسيح قد وقف في اليوم الأخير العظيم من العيد ونادى قائلاً "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد. لأن المسيح لم يكن قد مُجِّد بعد" (يو٧: ٣٧-٣٩).

نعم بقوة الروح القدس هذه استطاعت كنيسة القديسين أن تميت شهواتها الجسدية وتتحدى مغرياتها العالمية وتتخلى عن مصالحها المادية وتحتمل عذاباتها الجسدية وبالتالي تفرض وبسلطان على العالم إنجيل بشارتها. فكنيسة هذا واقعها وتلك قوتها، كيف لا تكون بحق ينبوع جنات وبئر مياه حية وسيول من لبنان، جبالها رسل ومرتفعاتها قديسون واشجارها مؤمنون مختارون وسروّها لاهوتيون وأرزها أساقفة كارزون ومنعطفاتها طقوس وهضباتها أسرار ونسمات، روائحها مبشرون وبروح الله ينطقون، واما سيولها فرسل وأنبياء معلمون ورعاة ممتلئون وفائضون؟

هذه هي جنّات لبنان، جنات قديسي يسوع المسيح وقد أسست فوقه كمدينة موضوعة فوق جبل. ومن هذه المدينة حيث نهر الحياة يسوع المسيح انحدرت المياه كما من لبنان إلى أورشليم والسامرة واليهودية وإلى كلّ الخليقة انحداراً متوالياً. أليس كذلك يا أورشليم حيث انفجر منك ينبوع الجنات يسوع المسيح فارتوى منه رسل مختارون واختنق به كهنة فريسيون وناموسيون صديقون وهيرودسيون سياسيون وبيلاطسيون حاكمون بل يهوداً قوميون متزمتون؟ أليس كذلك ايتها السامرة التي قد غمرتها مياه الروح القدس والفرح العظيم بكرازة فيليبس غمراً مباركاً (اع٨ :٨)؟ أليس كذلك يا مدينة انطاكية، عروس الشرق وحيث دعي التلاميذ فيها أولاً مسيحيين؟ أليس كذلك يا مدينة الإسكندرية مدينة مرقس والأسد؟ أليس كذلك يا رومية مدينة الاستشهاد؟ أليس كذلك يا جميع وديان العالم وحيثما جرت سيول النعمة والخلاص من جبل لبنان في السماء؟
ولكن من أين جاءتنا هاتيك الينابيع الحية أيها القارئ العزيز؟ أمن السماء أم من الأرض؟ أمن فوق أم من اسفل؟ أمن الأعالي أم من الأعماق؟ أم من بني الإنسان ام من بني الله؟

لقد جاءتنا من السماء حيث انسكبت علينا أمطار الروح القدس انسكاباً ومن فوق هطل علينا الغيث هطولاً ومن الأعالي نزلت إلينا بركات الحياة نزولاً. ولكن الأمطار والغيوث والبركات هذه صارت لنا في قبر المسيح بئر ماء حية وسيولاً من لبنان. كيف لا والرب يسوع يقول للمرأة السامرية عند بئر يعقوب "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٥ :١٣_١٤).

كيف لا وقد صار موت المسيح هذا حلقة وصل بين قبره على الأرض وبين عرشه في السماء؟ وهل من عرش في السماء من دون قبر في الأرض؟ وهل من قبر فدائي في الأرض من دون عرش حبي في السماء؟ ألم يكن عرش المسيح منذ الأزل عرش محبة (١يو٤ :١٦)؟ فإن كان عرش المسيح هكذا محبة في جوهره وطبيعته وأزليته، أفلا يحمل بذلك روح الفداء والموت بالصليب (في٢ :٨)؟ بل كيف يكون عرش الله عرش محبة مطلقة كاملة ما لم ينته بالموت والقبر حقاً؟ إذاً هكذا تنبع ينابيع الحياة والجنات من قبر وبئر فدائي يتصل بعرش الهي اتصالاً أزلياً.

والآن إن كانت السماء هي عرش الله كقول الرب "لا تحلف بالسماء لأنها عرش الله" وان كان الرب قد اضطجع في القبر متجسداً. أفلا يكون قبر المسيح وهذا الواقع سماءً ذاتياً طالما السماء هي حيث يوجد المسيح بملء لاهوته؟ لأنه إن كانت جهنم هي حيث لا يو-حد المسيح في حبه وفدائه، فتكون السماء بالضرورة هي حيث يوجد المسيح بحبه وفدائه وبات قبر المسيح على الأرض وعرشه في السماء مركزاً سماوياً للحياة وقاعدة انطلاق للوجود. لأنه حيث لا قبر فدائي على الأرض

لا عرش حي في السماء كذلك. وحيث لا عرش حي في السماء لا اله حقيقي أيضاً، بل إله مجهول وديكتاتور موهوم ومزعوم بل فراغ في السماء والأرض.

فإلى مياه المسيح وينابيع جناته في الأرض والسماء يا جميع عطاش البرية الملهوفين والى ذياك القبر العميق المرتفع والمرتبط بالعرش يا جميع سكان الأرض والسماء، الأحياء منهم والأموات بل إلى ينابيع حب المسيح وحياته في قبره وعرشه يا جميع عشاق الحب والحياة.

ولكن أين نحن الآن من ينبوع الجنّات هذا ومن بئر المياه الحية ومن سيول لبنان؟ وأين نحن الآن من يسوع المسيح وإنجيله ومياه روح قدسه؟ أين نحن اليوم من لبنان جبال رسله العالية وسرو قديسيه الباسقة وارز شهدائه المباركة ونسمات وانفاس لاهوتييه المنعشة بل أين نحن اليوم من اغراس رمانه وينبوع جناته وسيول لبنانه؟ ترى هل نحن اليوم في بابل حيث السبي وقد جلسنا هناك على الأنهار العالمية الغربية وقد علّقنا الأعواد ونبكي لبناننا ومدينة قدسنا وكنيسة قديسينا (مز١٣٧ :١)؟ كيف جفّت فينا ينابيع الجنّات وجفّت معها مياه البئر الحية وانعدمت السيول من لبنان؟ بل كيف صارت القرية الأمينة زانية (الكنيسة الأمينة خائنة) حيث كان الحق يبيت فيها (المسيح يتوسط معابدها) وأما الآن فالقاتلون (أش١ :٢١)؟

حقاً انه الجسد بشهواته المميتة والعالم بمغرياته المهلكة بل الشيطان ببدعه المظلمة وارواح تعاليمه الخبيثة هي التي قد سدت المجاري فتحولت جناتنا بذلك إلى صحاري وينابيعنا إلى آبار مشققة لا تضبط ماء (أر٢ :١٣)؟

نعم انه روح حزقيا وهو يفرّط بنعمة الشفاء والخلاص تمجيداً لملكه أمام رسل سنحاريب. انه روح نبوخذنصر وهو يتمشى فوق شرفات أمجاد قصره وعظمة سلطانه. انه روح هيرودس وقد أقام من نفسه إلهاً خطيباً فوق عرشه. بل انه روح ابيمالك العوسج الطامع والقاتل للكرمة والتينة والزيتونة وهو الذي قد حول اليوم جنّاتنا إلى غابات عوسج وينابيعنا إلى يبوسة قيظ ومستنقع ضفادع. لذلك لم يعد الآن في البستان ينبوع للجنات ولا أغراس للرمّان الشهي ولا للكرمة المنعشة ولا للتينة الحلوة ولا للزيتونة الدهينة، بل قرّيص هيرودسي وعاقول صدوقي وعوسج فريسي؟ وهكذا عُلّقت الأعواد على الصفصاف، لانه لم يعد للبلابل ترنيمة وللحمامة هديل بل لليمامة نوح وللكنيسة رثاء ونحيب.

وأما أنت يا أورشليم الروحية وأما أنت يا لبنان الجميل وأما أنت يا كنيسة الله المختارة واما أنت يا شولميث، فأرجعي إلى السبل الإلهية القديمة وانظري الطريق الصالح لتسلكي فيه وإن لم تعرفي الطريق فاخرجي على آثار الغنم، آثار الشهداء وارعي جداءك التائهة هناك عند مساكن الرعاة الآباء.
نعم هناك فوق الجبال العالية حيث العرش وهناك في أعماق الحب حيث القبر وينابيع الجنات، اربضي يا ناقة خفيفة جامحة تائهة في الصحراء. اجل هناك في الجنة المغلقة والعين المقفلة والينبوع المختوم حيث العذراء مريم وسائر العذارى الحكيمات، ادخلي يا حواء القرن العشرين لانه كفاك الأزواج الخمسة في السامرة ماء معطشاً ومذيباً. وهلمّي إلى من على البئر جالس (يو٤: ٦)وعلى العرش قائم وفي القبر مضطجع، إلى المسيح الذي يعطي العطشان ماء الحياة مجاناً (رؤ٢١ :٦).
فهل تستقين وتشربين وترتوين؟

١٦- استيقظي يا ريح الشمال وتعالي ياريح الجنوب هبي على جنتي فتقطر أطيابها ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس

كنيسة القديسين هي بالحق جنّة الله على الأرض، أغراسها فردوس منوّرة. أشجارها وأوراقها وارفة. وثمارها في كل شهر يانعة ونفيسة. خمائلها أطياب وأتلامها رياحين ذكية(نش٥: ١٣). ينبوعها جنّات مياه وجمالها في الأعالي سرو. وأمّا أرزها فكالنبات يزهو. ففي جنة كهذه مياهها عميقة صافية باردة وأشجارها مثمرة خضراء يانعة وجبالها عالية سامقة ورياحها لطيفة عليلة، يتمشى فيها المسيح الحبيب مع ريح النهار تمشياً ليلتقي مع حبيبته، الإنسانية الجديدة وكنيسته المختارة وعروسه الجميلة تلاقياً.

نعم هناك ما بين رياح الشمال ورياح الجنوب قد أقام المسيح عروسه الحسناء إقامة وما بين شجرة الحياة وشجرة الموت قد غرسها وفي وسط قبر الآلام وعرش الأمجاد قد وضعها بل على المحك وميزان الاختبار والحقيقة وزناً قد وزنها. وذلك لكيما تخرج من وسط الأتون ذهباً مصفى بالنار إبريزاً وحبيبة تثبت على عهد الحب أمينة ذكية فتستحق إذاك شركة مع قدوس القديسين أبدية عميقة وأمجاداً مع أبو الكرامات الأزلية جسيمة.

ولكن ما عسى أن تكون الرياح الشمالية والرياح الجنوبية التي تهب على جنة الحبيب وكنيسة عهده لتقطر هكذا أطيابها؟ أليست رياح الشمال هي الرياح الحزينة والتي هبّت على حواء القديمة وتهب الآن على حواء الجديدة؟ أليست هي رياح البحيرات والبحار التي تعصف بسفينة الرسل وكنيسة القديسين ذات اليمين وذات الشمال لتغرقها في أعماق الموت والهاوية؟ أليست هي رياح الطوفان التي أطاحت

بالعالم الفاجر كله ولا تزال بالجهد تنجو من غضبتها سفينة نوح وكنيسة يسوع المسيح؟ أليست هي رياح الشك والقلق والخوف التي تهاجم الكنيسة في بحيرة طبرية تارة وفي بحر الادرياتيك كاوروكليدون تارة أخرى (أع٢٧ :١٤)؟ أو أليست الرياح الشمالية هذه التي تصدم البيوت الإلهية والكنائس المقدّسة لتُسقط من كان منها مؤسساً على الرمل سقوطاً عظيماً (مت٧ :٢٦_٢٧)؟

إذاً رياح الشمال هذه إن هي إلا نفخات الشيطان التي ينفثها تهديداً وقتلاً على بيت الله عامود الحق وقاعدته (أع٩ :١). كيف لا والرسول بولس قد أشار إلى هذه الرياح الشمالية المتنوعة متحدياً بقوله "من سيفصلنا عن محبة المسيح. اشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف" (رو٨ :٣٥)؟ نعم إنها الرياح التي عصفت بأيوب بيوتاً وأموالاً وعيالاً وجسداً (أي١ :١٩). إنها رياح الغيظ التي هاجمت اسطيفانوس فاقتلعت الحجارة ورجتمه رجماً. إنها الرياح التي هاجت على اغناطيوس النوراني وسحقت منه العظام بأسنان السباع سحقاً. إنها رياح الشمال الشيطانية والتي هبت على جنات الحبيب ولا تزال لتكسّر فيها الأشجار وتقتلع منها الاغراس وتغرق فيها السفن والأفلاك بل ولتسقط إلى الأعماق بيوت الله مع الأقداس مستهدفة من في جنات الله مغروسين ومن في السفينة جاذفين ومن في بيوت الله حجارة مبنيين وفي مقادس فدائه عابدين ولبشارة إنجيله معلنين وكارزين. "أولئك الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه اسود اطفاوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا في ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء"(عب١١ :٣٣-٣٤).

فالى هذه الرياح الشمالية العاتية وأرواح الشياطين الظالمة أشار الرب للنبي أرميا بالقول "ماذا أنت راءٍ" فأجبت إني راءٍ قِدراً منفوخه أوجهها من جهة الشمال فقال لي الرب لان من الشمال ينفتح الشر على كل سكان الأرض" (أر١ :١٤،١٣). وإلى ذات الرياح الشمالية هذه أشار الرب للنبي حزقيال بقوله "تأتي من موضعك من أقاصي الشمال أنت وشعوب كثيرون معك كلهم راكبون خيلاً جماعة عظيمة وجيش كثير" (حز٣٨ :١٥). بل من هذه الرياح الخانقة الفاسدة حذر الرسول بولس المؤمنين اغراس الجنات بقوله "كي لا نكون فيما بعد أطفالا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس وبمكر إلى مكيدة الضلال" (اف٤ :١٤).

والآن أفليس من المدهش حقاً أن كنيسة القديسين هذه تقطر جناتها أطيابا كلما هبّت عليها رياح الشمال هكذا غضوبة مجنونة؟ أو أليست الكنيسة هذه هي من جوهر المسيح ومن قلبه، والذي لا يزال يقطر الأطياب، اطياب الحب والسلام والغفران تجاه صالبيه والذين يقذفون حجارة والصائرين مساميرا وحرابا وللشوك أكاليلاً وبيد الشيطان أعبياء وجهالا؟ لذلك هبّي يا رياح الشمال على الجنّات ما شاء لك أن تهبي والجنّات لا تقطر سوى أطياب، لأنها جنّات. وافركي الأزهار بأصابعك الخشنة ماشاء لك أن تفركي والأزهار لا تفوح إلا عطوراً ذكية، لأنها أزهار. واعصري الرمّان تحت اقدامك القاسية ماشاء لك أن تعصري. والرمّان لا يسكب إلا عصيراً حلوا وشراباً عذبا، لأنه رمان. اجل يا ريح الشمال دوسي الزيتون دوساً واسحقي التين سحقاً واعصري العنب عصراً فالزيتون لا يعطي للسرج إلاّ زيتاً والتين لا يعطي الأفواه إلاّ حلاوة والعنب لا يسكب في القلوب إلاّ انتعاشاً وفرحاً. أجل يا رياح الشمال موطنك جبال عالية وارواحك ملائكة ساقطة

ومقراتك عقول للفلاسفة كبيرة، لذلك جاءت رياحك بدعاً مهلكة وتعاليمك مُضِلّة ونفخاتك سموماً في الشرايين خانقة.

أليس كذلك يا آريوس ويا مقدونيوس؟ أليس كذلك يا فولتير وأنتم الآخرين أبناء الرياح الشمالية؟ ولكن اعلمي يا رياح الشمال وليعلم أبناؤك وآلآت أصابعك، إن في وسط الفلك وفوق مياه الطوفان نوحاً سماوياً قاهراً وفي وسط سفينة الرسل مسيحاً مُهدئاً وللأمواج مُسكِتاً وإن في أساس البيت حجراً حياً أزلياً دهرياً وإن في وسط الجنّات إلهاً متجسداً ماشياً في وسط الرياح ليقطع أنفاسك وفي يوم قضائه يذبح فيك الرقاب مع الأوصال. وليست أنت الوحيدة يا رياح الشمال بل أنت الأخرى يا رياح الجنوب هبي على جنة الله والجنة لا تزال تقطر الأطياب.

والآن فما عسى أن تكون الرياح الجنوبية الأخرى أيها القارئ العزيز؟ أليست هي رياح الجسد الداخلية كما كانت تلك رياح العالم الخارجية؟ أليست هي رياح قلبية كما كانت تلك رياح عقلية؟ "لأنه من مصادر القلب تخرج الأفكار الشريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف" (مت١٥ :١٩). هذه هي تيارات الرياح الجنوبية التي تحارب النفس وتنجّس الإنسان. وهكذا باتت الكنيسة التي للقديسين محصورة بين ريحين اثنين شمالية وجنوبية. فكيف لا تحتاج الكنيسة إذاً وهذا الواقع المحرج والضيق الخانق إلى قوة سماوية ورياح عاصفة مقدسّة تهب عليها من فوق لكيما تختطفها من وسط الضيق وتنتشلها من الرياح العالمية الشمالية والرياح الجنوبية الجسدية؟ أفلا تحتاج الجنّات إلى ريح النهار وقوة الروح القدس لتشق رياح الليالي العاتية شمالها وجنوبها؟ أفلا تحتاج الكنيسة ولا سيما في أيامنا هذه إلى هاتيك الرياح العلوية والتي هبت على الرسل يوماً في العليّة؟ لتهب على جبال الخطايا

الصلبة لتزعزعها وعلى صخور الشرور الصلدة لتشققها وعلى الأشجار الباسقة والأفكار الباطلة لتكسرها ولتهب على الرياح الشمالية العالمية لتدحرها وعلى الرياح الجنوبية الجسدية لتقمعها وتميتها. كما فعلت في جبل الكرمل حيث يختفي النبي ايليا عن وجه آخب ملك إسرائيل العاتي. بل أليست الكنيسة اليوم بحاجة ملحة إلى رياح المسيح المصلوب وتيارات محبته وطاقات قداسته لتهب على مدينتنا المتغطرسة الصالبة هبوباً عنيفاً فتزلزل الأرض من تحتنا تزلزلاً وتشقق القلوب الصخرية فينا تشققاً وتفتح قبور الموت والخطيئة في أعماق نفوسنا فتحاً مبيناً، بل تطوح بقوات الشيطان خارجها وداخلها، شمالها وجنوبها تطويحاً أبدياً (مت٢٧ : ٥١_٥٣)؟

والآن نقول كيف قدرت الكنيسة الأولى أن تتحدى الرياح اليهودية الظالمة وتشق الرياح الوثنية العاتية، فارسية كانت أم رومانية؟ أليس بقوة الرياح السماوية وتيارات الروح القدس التي قد نفخها رب المجد يسوع المسيح من السماء في الرسل قوة فدائية وطاقة روحية وحياة لاهوتية؟ فأين هي اليوم تلك القوة لتشق الرياح الشمالية وتقاطع رياح الجنوب وتصلب الرياح الشيطانية؟

حقاً لم يعد اليوم في الكنيسة من السماء ريحاً عاصفة لتملأ البيت، لأنه لم يعد فيها صليب ولا علّية بل ريح شمالية تارة وريح جنوبية تارة أخرى. مسايرة لروح الجسد حيناً وتماشياً مع روح العالم ورياحه حيناً آخر. فماذا إذن اليوم؟ أتلتزم الكنيسة صليب المسيح وتياراته السماوية بيد والتيارات الجسدية والعالمية بيد أخرى وتحتضن المسيح ونفخات روح قدسه نهاراً وتحتضن الشيطان وشخير رياحه ليلاً؟ بل كيف تستطيع الكنيسة أن توفق هكذا بين الريحين الضدين وتحتضن الروحين المتعاكسين

وتبشر بإنجيلين متناقضين؟ أفليس ازدواج الشخصية هذا في الكنيسة هو علّة ضعفها وقلقها واندحارها أمام تيارات الشمال والجنوب لأنه "أي خلطة للبر والاثم. وأي شركة للنور مع الظلمة. وأي اتفاق للمسيح مع بليعال. وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان" (٢كو٦ :١٤_١٦)؟

فعلى الكنيسة أن تختار لها واحداً من اثنين، فإما أن تختار لها المسيح مصلوباً لأجل خطاياها ومقامًا من بين الأموات لأجل تبريرها وإما أن تختار لها الرياح الجسدية والرياح العالمية أو أن تساوم هكذا على إنجيل يسوع المسيح وتخادع، لتجمع الروحين الضدين هذين، وهذا لا يمكن واقعيته إطلاقاً. ولكون الكنيسة هي هكذا، ليست باردة ولا حارة بل فاترة، كاد المسيح أن يتقيأها من فمه(رؤ٣ :١٥_١٦).

ولكن قد تقول الكنيسة اليوم كيف لها أن تُطالب بمعاكسة التيار وهي هيئة بشرية ضعيفة تتكون من لحم ودم وتعيش في الجسد والعالم وفي وسط الرياح الشمالية والجنوبية؟ فهل يُنتظر منها وهذا الواقع الطبيعي البشري أن تكون قوية كالمسيح وقد نزل إليها رباً ومخلصاً؟ ليس المطلوب أن تكون الكنيسة يوماً مسيحاً يسوعاً بل المفروض أن تكون وعلى وجه الإطلاق كالمسيح يسوع وأن تتمثل بالمسيح تمثيلاً "كونوا متمثلين بي لأني أنا أيضاً متمثل بالمسيح" وعليها بالتالي أن تعاكس التيار نظير بولس وهو يقول" من سيفصلنا عن محبة المسيح اشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم سيف أم خطر" (رو٨ :٣٥). "فإني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو٨ : ٣٨_٣٩).

نعم الكنيسة في ذاتها ضعيفة خاطئة وفي واقع جسدها وعالمها ورياحها، فهي كالمجدلية مشحونة بسبعة تيارات عاصفة وسبعة أرواح رديئة. ولكنها كالمجدلية كذلك عليها أن تجلس طويلاً تحت أقدام يسوع للتعلم. وتتبعه إلى الصليب وتعاكس تيارات الخطيئة لتتطهّر. وتبكر إلى القبر تعاكس التيارات اليهودية لتحيا. وتصعد العلّية حيث الروح القدس بملئه وتعاكس الرياح العالمية لتتقدس. وتنطلق من العلّية مدرّعة بريح السماء تعاكس ريح الأرض وهي مُبشِّرة بالمسيح المصلوب وقد قام من بين الأموات لتتمجد. لذلك فحيث لا مجدلية تائبة وحيث لا كنيسة تقاطع التيار وتصلبه في ذاتها، لا إنجيل للحياة أصلاً ولا خلاص للنفس طراً، لأنه ما الغاية من عملية التجسّد والفداء؟ ومن اجل من قد مات المسيح هكذا مصلوباً فوق خشبة؟ أمن اجل ذاته وكمن يدفع عن نفسه ديناً للخطيئة؟ حاشا، لكن من أجلنا نحن الخطاة قد مات المسيح هكذا جريحاً ليدفع عنا ديناً للخطيئة ثقيلاً وجسيماً. لذلك إن لم نكن نحن اليوم في درب صليبه سائرين ولا لآلامه الفدائية معاينين وبطاقات روحه ممتلئين ولرياح الشيطان شمالها وجنوبها معاكسين ومقاطعين، فنحن لا نمثل كنيسة المسيح الرسولية المقدسة تمثيلاً، بل فريسية حقاً يقيناً نحن ممتلئين. وكيف ننجو نحن المرتدين عن الذي نزل من السماء. والذي صوته زعزع الأرض حينئذ والمزمع أن يزلزل الأرض والسماء كذلك (عب١٢ : ٢٥_٢٦)؟

أجل كنيسة القديسين لاتزال تعاكس التيار وتتضارب مع الرياح ولكن تيار من ورياح من؟ إنها تعاكس وتتضارب مع رياح الجسد وتياراته والتي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر" (غلاه :١٩-٢٠). كما أن كنيسة اليوم هي الأخرى تعاكس

التيار وتتضارب مع الرياح ولكن مع تيار السماء ورياح الروح القدس والتي هي "محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" (غلا٥ :٢٢_٢٣).
فأي موقف هو الموقف الإلهي الصحيح؟ موقف كنيسة القديسين بالأمس أم موقف كنيسة الجسديين اليوم. فماذا إذاً ؟ هل تغير عالم اليوم عن عالم الأمس ليحق للكنيسة اليوم أن تغير اتجاه إنجيلها لتساير به التيار؟ هل تغير الجسد بأعماله والعالم بمغرياته والشيطان بمبادئه لتعقد الكنيسة صلحاً بين هذه الأطراف وطرف إنجيلها، إنجيل المسيح؟ أفليست الدعوة اليوم لتنزيل إنجيل المسيح إلى مستوى العالم بحجة تغييرات الزمان والأوقات وزيادة المعرفة والعلم هي حيلة شيطانية تستهدف وضع الإنجيل ما بين الرياح الشمالية والرياح الجنوبية لأجل ابتلاعه؟ كيف لا والروح العامل في الكنيسة اليوم ينطق قائلاً "كلمونا بالناعمات. انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق .ميلوا عن السبيل. اعزلوا من أمامنا قدوس القديسين" (أش٣٠ :١١). وبتعبير آخر سيروا مع النيار العالمي وتضاربوا مع التيار السماوي وتلذّذوا بالخطيئة؟

فإلى هاتيك الكنيسة العملاقة ايتها الكنيسة القزمة وإلى هاتيك الجنّات التي تجري من تحتها الأنهار يا كنائس الصحارى القاحلة بل إلى جنّة الله البكر والعذراء الطهور ايتها المجدليات والفينيقيات. اجل إلى هناك حيث المقادس العالية والنيران الملتهبة والبشائر المفرحة والرياح السماوية الخالقة يا جميع أشجار الوعر التي قد تكسّرت برياح الشمال واحترقت برياح الجنوب، بل اختنقت بدخان بئر الهاوية الصاعد من أعماق الشيطان كالأتون. نعم إلى هاتيك العلّية العالية والمقصورة الممجَّدة والعذراء المطوَّبة والتي بنفخة فم مسيحها تطفئ رياح الشمال وتخنق رياح الجنوب وتغلق وكما في بئر على نفخات الشر، أرواح الشياطين. وأما أنتم أيها الأحباء "فلا تكونوا أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس، بمكر

إلى مكيدة الظلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح" (اف٤ :١٤_١٥). فحينئذ فقط سيأتي المسيح بالروح القدس إلى جنته ويأكل من ثمرها النفيس.

واما الآن فما هي الجنات التي يدخلها المسيح الحبيب ليأكل منها ثمره النفيس؟ أليست هي قلوب النديسين ونفوس المخلَّصين وعقول اللاهوتيين وضمائر المختارين وأذهان المؤمنين؟ أليست هي في علالي الرسل المرتفعة وصوامع الرهبان النقية ومخادع القديسين الطاهرة وسراديب الشهداء الصارخة ومنابر الوعاظ الملتهبة ومكاتب الكتاب المتفجرة وحقول الحصادين المبيضّة؟ أليست جنات الحبيب هي أكواخ الفقراء ودهاليز البؤساء وزنزانات المسجونين ومستشفيات المرضى ومصحَّات الجرحى بل مقابر القتلى والموتى؟ نعم من هاتيك الجنّات الغريبة والعجيبة يجمع الحبيب المسيح الثمر النفيس قلوباً منكسرة طاهرة وأرواحاً متواضعة وادعة (اش٦٦ :٢) وذبائح عقلية نيرة وأجساداً حية مقدسة (رو١٢ :١) واعترافات باسمة شاهدة وتسابيح لمجده صاعدة (عب١٣ :١٥) وخيرات في التوزيع قائمة وذبائح مثل هذه تسر قلب الله جارية" (عب١٣ :١٦).

حقاً ثمر المسيح النفيس هذا والذي يجمعه من الجنّات هو ثمر روحه في كنيسته (غل ٥ :٢٢). لأن الثمر الصالح هذا ليس إطلاقاً ثمر الإنسان العتيق الفاسد بل ثمر الإنسان الجديد المخلوق في الإنسان بحسب بر الله وقداسة الحق(اف٤ :٢٢_٢٤). فأين الافتخار الذاتي إذاً؟ لذلك علينا أن ننتبه اليوم إلى ما نحن عليه من تعديات على المسيح في حقوقه طالما الجنّات جنّاته هو والثمار ثمار روحه هو. الجنّات التي لا يزال يتمشى فيها المسيح الحبيب كمن يتمشى بين كنائس آسيا السبعة ليجمع

ثمره النفيس. نعم في إنجيله يحرثها مثنى وثلاث ليقتلع عنها الأدغال ويستأصل منها الأشواك والزؤان. وفي إنجيله يزرع حقولها بقمح الملكوت وبزور الحياة الأبدية. وبإنجيله يسقيها من أمطار سمائه وينابيع حياته، ينابيع الروح القدس لتنبت أولاً عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن بالسنبل. بل أغراس رمّان وجنّات وارفة هي جنّات الحبيب والتي يأخذ من ثمارها ويأكل.

أليس كذلك ايتها المرأة المجدلية وأنت تكسرين في حضرته قارورة الطيب والقلب؟ أليس كذلك أيها العشار زكا وأنت توزع في حضرته نصف أموالك للمساكين؟ أليس كذلك يا جميع رسل فادينا وانتم بمحبة تبيعون الأموال والمقتنيات والعالم والمسرات والأرواح والأجساد؟

ولكن أين نحن الآن من هذه الجنّات ومن هذه الثمار، بل من الروح القدس وثماره الشهية؟ ألم تتكسّر أشجارنا الباسقة بالرياح الشمالية تكسراً أو تكاد؟ أو ألم تذبل أزهارنا وأطفالنا وغرسات رماننا مع شبابنا بالرياح الجنوبية ذبولاً؟ إن كرم سورق قد غرس المسيح كنيسته فوق أكَمة الصليب العالية غرساً ومن أضاليل الوثنية قد نقى حجارته وبرجاً عالياً قد توسطه ومعصرة معمودية وفداء تخلله. فعلام إذاً انتظر الكرام من الكرم عنباً فصنع عنباً ردياً؟ وما عسى أن يحكم الرب على كرم رديء كهذا؟ انه ينتزع سياجه فيصير للرعي ويهدم جدرانه فيصير للدوس ويجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك ويوصي الغيم أن لايمطر عليه مطراً (اش٥ : ١ -٦).

فإلى كروم الرسل المجيدة الأمينة أيتها الكنيسة المتصحّرة والى جنّات القديسين المثمرة أيتها الكنيسة الناشفة القاحلة والى جنّات الحبيب حيث الثمر النفيس أيتها

الأشجار الوعرة العقيمة، بل إلى هاتيك الرياح السماوية العالية ياجميع بنات الرياح الشمالية وأمهات الرياح الجنوبية لتكوننَّ بالحق جنات للحبيب ومنكن يأكل ثمره النفيس.

وأما أنت يا نفسي فحذارِ أن تفتحي نافذتك لريح الشمال وتفتحي بابك لريح الجنوب، بل افتحي الطاقة في سفينتك إلى فوق، لتهّب فيك ريح من السماء وروح وحياة من العلاء فتخصب اذاك جنَّاتك وتنمو أغراسك وتحيا أشجار حياتك وتثمر للحبيب أفكارك وعصارات قلبك، بل وتكوني إذاك وبحق شجرة مغروسة عند مجاري المياه وتعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل (مز١ :٣).

الإصحاح الخامس

١- قد دخلت جنتي يا أختي العروس، قطفت مّري مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي.شربت خمري مع لبني. كلوا أيّها الأصحاب. اشربوا واسكروا أيّها الأحباء

اجل قد دخل المسيح إلى جنّته البشرية في ملء الزمان دخولاً. وذلك يوم صار الكلمة جسداً وحلّ بيننا. ويوم اشترك الله في اللحم والدم والطبيعة البشرية ماعدا الخطيئة اشتراكاً. وهكذا قد دخل المسيح إلى جنته بفداء تجسده وتجسد فدائه فائضاً عليها من روحه يوم الخمسين من الحب فيضاناً ومن البر أنهارا وذلك لانه قد احب بشريته هذه محبة أزلية. لذلك جاء ليفتديها فداءً أبدياً.

إذاً باتت البشرية الجديدة هذه والكنيسة المقدّسة هذه وبحق للمسيح الحبيب جنّة وللإله المتجسد فردوساً. فراح من ثم يتمشى فيها مع ريح النهار حيث النور

والحياة تمشياً. كيف لا والإنسانية الأصيلة هذه مخلوقة على صورته ومثاله خلقاً؟ ذكراً وأنثى، لا مرة فحسب بل مرتين؟ وليس بنفخة واحدة، بل بنفختين؟ وذلك بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس.

نعم بذات الجنّة البشرية هذه والفردوس الكنسية هذه، أنبت المسيح كلّ شجرة شهيَّة للنظر وجيدة للأكل وشهيَّة للعيون وشجرة الحياة في وسطها وشجرة معرفة الخير والشر كذلك. وثمَّ نهر يخرج من عدن ليسقي الجنَّة وهو ينقسم فيها إلى أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد وهناك المقل وحجر الجزع أي البلور. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع ارض كوش. واسم النهر الثالث حداقل وهو دجلة وهو الجاري شرق آشور. والنهر الرابع الفرات (تك٢: ٩-١٥).
والآن أفليست الأشجار الشهيَّة هذه، هي البركات السماوية والنعم الكنسية التي غرسها الرب الإله في بيعته غرساً كقول الرسول بولس "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات" (اف١ :٣). أليست الأشجار البهيَّة للعيون هذه، هي الرسل القديسون وسائر المؤمنون بالمسيح والمغروسون أصلاً على ضفاف نهر الحياة من هنا ومن هناك؟ أليست شجرة الحياة المغروسة في وسط الفردوس هذه، هي ذات المسيح يسوع كما يشهد الحبيب يوحنا بقوله "وفي وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة وتعطي كل شهر ثمرها وورق الشفاء إلى جميع الأمم"(رؤ٢٢ :٢).

أليست شجرة معرفة الخير والشر هذه، هي محاولة التطاول على هذه المقادس الإلهية وسلب ما لله من حقوق وأمجاد، كما هو مكتوب "لأنَّكم متى أكلتم منها تنفتح

أعينكما وتصيران كالله عارفين الخير والشر (تك٣: ٥)"؟.أفلا تعيد الكنيسة اليوم ذات التجربة الأولى وهي في فردوسها قائمة لتختلس ما للمسيح من أمجاد في التجسد والفداء وباسمه؟ حيث قد جنحت هي الأخرى كأمها الساقطة حواء إلى الكبرياء الذاتية والتشامخ الروحي والانتفاخ الفريسي والتطمع اللاهوتي؟ او ليس النهر الذي يخرج من عدن ليسقي جنَّة الكنيسة وينقسم إلى أربعة رؤوس، هو إنجيل يسوع المسيح برؤوسه الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا؟ فكيف اذاً لا يدخل المسيح الحبيب كحبيب إلى جنتَّة هذه ويتمشى فيها، وهي تخطيط يمينه وتصميم روحه؟

حقا إلى جنات كهذه يدخل المسيح ليقطف منها مرّه مع الطيب ويأكل شهده مع العسل ويشرب خمره مع اللبن. كيف لا وآلامه في قديسيه إنما هي المر الذي راح يقطفه من الجنَّات قطفاً وطيبه في مختاريه راح يجنيه جنياً وشهد عسله في إنجيل تلاميذه راح يأكله أكلاً ولبن لاهوته وخمرة فدائه في قديسيه راح يشربه شرباً ويسكر به سكراً. نعم إلى هذه الذبائح الروحية يتطلع المسيح في كنيسته دوما ويحنُّ إلى هاتيك العواطف حنيناً وإلى ملذات روحه في انسانه يتشوق شوقاً كقول سليمان" كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذته. فرحه دائما قدامه. فرحه في مسكونة أرضه ولذاتي مع بني آدم" (أم٨ :٣٠). إذاً بمرارة الصليب وطيب فدائه وشهد كلمته وعسل إنجيله وخمرة روحه ولبن لاهوته ترتاح أحشاء المسيح في جنَّاته ارتياحاً. كما وفي ذات الجنَّات يأكل المؤمنون الإنجيل عسلاً ولبناً ويقطف المعذَّبون مراً وطيباً ويسكر القديسون خمراً.كيف لا وقد صاروا مع المسيح بالتجسد والفداء واحداً وفي الكرمة الحقيقية للمسيح أغصاناً؟

فإلى هذه الكرمة الأزلية والى هذه الخلية المباركة والمعصرة الفائضة بل إلى هاتيك الجنات المثمرة العجيبة يدعو المسيح أصحابه ورسله قائلاً "كلوا أيُّها الأصحاب واشربوا واسكروا أيُّها الأحباء". كيف لا والأصحاب لا يزالون يقطفون المرَّ والطيب في البستان، بستان القبر والفداء ويأكلون من خلية الكتاب المقدس الشهد أكلاً ويشربون من عصير الكرمة خمراً معتقاً ويرتشفون من الثديين والعهدين اللبن العديم الغش ارتشافاً. ففي يوم الخمسين يأكل الأصحاب حتى الشبع ويشربون حتى الارتواء ويرتشفون حتى السكر لبناً وعسلاً وخمراً، حتى غدا المسيح في ذلك للقديسين والأصحاب روحاً وحياةً، بل لحماً ودماً وعظاماً وأعصاباً.

فأين هي إذاً كنيسة اليوم من كنيسة ألامس بمرها وطيبها بشهدها وعسلها بخمرها ولبنها؟ وكيف تحولت فيها مرارة الصليب إلى حلاوة الشهوة القبيحة وطيب الفداء إلى عفونة الذات وعسل الإنجيل إلى إفسنتين العالم وخمرة الروح إلى خمرة الجسد ولبن البر إلى إفرازات للإثم؟ بل أين هي الجنّات اليوم، بأشجارها المثمرة وينابيعها الصافية وروافدها الأربعة؟ ومتى كانت جنَّات المسيح، بنايات ضخمة مجردة وهياكل سليمانية مذهَّبة وكاتدرائيات سامقة مفرغة وقباب عالية مبيضَّة؟ بل متى كانت جنَّات الحبيب المسيح هذه، رئاسات ذاتية منتفخة وزعامات عالمية مطِّبلة وقيادات جسدية مظلّلة ومظاهر فريسية مكفّنة؟ أفليست جنَّات المسيح هذه، هي بنايات نفوس وقباب أرواح وكاتدرائيات عقول قد بناها السيد المسيح هكذا بفدائه بنياناً جديداً مُخلداً؟ أليست الجنات هذه، هي قيادات روحية ووقائع حياتية ومحصلات فدائية ومكاسب سماوية، قد مارسها الأصحاب في الجنّات ممارسات إنجيلية؟

ولكن كيف تحولت فينا الجنّات إلى صحارى؟

أليس بالطموحات اللاهوتية والاختلاسات الفدائية ومد الأيدي إلى شجرة معرفة الخير والشر وقطف ثمار التأله والسيادات الجهنمية؟ من اجل ذلك قد جفت الينابيع من الجنات وذبُلت الأزهار ويبست الأشجار من على الضفاف ولم يعد يسمع لِلقبّرَة صوت ولا لليمامة ترنيم، بل نوح وبكاء وعويل عظيم لأن راحيل تبكي على بنيها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (مت ٢: ١٨). اجل وستبقى راحيل الكنيسة الرسولية الجميلة هكذا تبكي قتلاها وبنيها بل أبناء ضرّتها ليئة، الضعيفة العينين وأبناء الكنيسة الجسدية وهي تُصرع بيد الشيطان، لا خارج الجنّات فحسب بل في داخلها أيضاً كما صُرع آدم وحواء قبل ذلك. لذلك لم تعد كنائس اليوم جنات للحبيب حقاً. بل معارض للأزياء يقيناً ودوراً للتمثيل أكيداً واعشاشاً للّقالق وبنات النعام صحيحاً وللثعالب والكواسر اوجرة وأوكاراً تماماً، بل للصوص والطامعين مغائراً حقاً ويقيناً.

وإلا إن كانت كنائس ايوم هي ذات جنّات الحبيب وذات مقرات القديسين، فأين هو المرّ فيها وأين الطيب؟ وأين الشهد والعسل؟ وأين اللبن والخمر؟ أ مُتنا اليوم مع المسيح عن الخطيئة حقاً وصُلب الإثم فينا يقيناً، ليقطف منّا الحبيب مر الصليب أكيداً؟ أ قُمنا اليوم مع المسيح في البر والقداسة، ليستنشق فينا المسيح رائحة الطيب؟ أ نأكل اليوم الإنجيل عسلاً ونشرب اللاهوت لبناً والخمر فداءً ليتحول المسيح فينا روحاً وحياةً وعقلاً؟

فإن كنا اليوم هكذا حقاً فنعماً لنا جناتنا وبوركت لنا كنائسنا لان المسيح يدخل إلينا دخولاً ويقيم في وسط جناتنا إقامة وكأصحاب يسكر معنا بمسرات فدائه

وحبه سكراً. وإلاّ فسوف لا تترك شجرة في جناتنا بفأس قضاء الله لا تقطع وبنار غضبه لا تحرق ولا يترك حجر على حجر في هياكلنا لا ينقض. وعندها هل تقدر المسيحية الاسمية والتقاليد المجردة والطقوس الآلية أن تحفظ الجنّات من الجفاف والحريق والهياكل من الخراب، إن جفَّ الينبوع برؤوسه الأربعة في جناتها جفافاً وأُقصي المسيح بروح قدسه من وسط هيكلها إقصاءً؟ ألم يعتمد الشعب لموسى قديماً في السحاب وفي البحر؟ ألم يأكل جميعهم طعاماً روحياً واحداً؟ ألم يشرب شراباً واحداً روحياً؟ ولكنَّ علام لم يُسَّر الله بأكثرهم بل في البرية قد طُرِحت جثثهم طرحاً؟ أليس لكونهم قد إشتهوا الشرور وعبدوا الأوثان وزنوا وجرَّبوا الله وتذمروا عليه (١كو١٠ :١ـ١٠)؟

فهل نحن اليوم يا صاحبي أصلح حالاً وأعمق محبة وأشد براً وأثبت إيماناً وأبعد رجاءً من هؤلاء؟ كلا، لانه لولا أن الرب قد أبقى لنا بقية لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة. ولم لا؟ ألا نشتهي شروراً اليوم كما اشتهى أولئك بالأمس؟ ألا نزني اليوم مضاعفاً جسدياً وروحياً كما زنى أولئك بالأمس فسقط منهم في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً؟ ألا نجرب المسيح اليوم كما فعل أولئك فأهلكتهم الحيّات؟ ألا نتذمر اليوم كما تذمر أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك؟

حقاً إن هذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهورُ (١كو١٠ :٦ـ١١). فكيف وهذا الواقع لا تذبل اليوم جناتنا وتجف أشجارنا وتتحول رطوبتنا إلى يبوسة القيظ؟حقاً سنبقى هكذا ضالين في الكورة البعيدة ومسبيين في الأراضي البابلية تائهين بين المغاير الجدرية حتى يكون لنا لقاء

صحيح مع الحبيب. حينئذ ينسكب علينا روح من العلاء وتتحول البرية إلى بستان ويدخل المسيح إلى الجنات.

فإلى جنَّات الرسل بأشجارها المثمرة وينابيعها المتفجِّرة الأربعة ياساكنة البوادي والى خلية النحل حيث الشهد والعسل يامن أُتخمت بالخرنوب بطونهم. والى مرِّ الصليب في شهدائه وطيب الحياة في قديسيه يا من أُنتنت جثثهم في القفر. والى لبن الأبرار وخمر الأخيار يامن بالشهوات الجسدية والفجور قد سكروا. بل إلى القديسة مريم جنَّة الله البكر يا جميع الفتيات الطائشات والكنائس الجاهلات والى خليتها العذراوية حيث لعسل وقارورة اطيابها حيث المر وزق لبنها ومعصرة خمرها حيث الإله المتجسد يسوع المسيح يا جميع سكان البرية. كيف لا وفي حقل العذراء قد نبتت شجرة الحياة المغروسة في وسط فردوس الله؟ وجرى منها نهر الحياة برؤوسه الأربعة إنجيلاً واستؤصلت منها شجرة معرفة الخير والشر استاصالاً؟.فصارت وهذه الوقائع بذلك جنة لله مجيدة لا يتمشى فيها الحبيب فحسب بل ويجلس متعسدا فيها جلوسا؟ بل وككبش إبراهيم وخروف ذبيحته يلد منها كشجرة ميلاداً (تك٢٢: ١٣).

أمَّا أنتِ يا نفسي فكوني للمسيح الحبيب هيكلاً ومنزلاً وجنةً بأشجار أفكارك وثمار تصرفاتك ومياه عواطفك وخمر فدائك وعسل إنجيلك وحذار أن تكوني صاحبة للمسيح كيهوذا الإسخريوطي أو زنبوراً في الخلية وبثلاثين من الفضة تنتحرين وتهلكين (مت٢٧: ٥). بل كوني في الخلية نحلة وفي الجنّة شجرةً وفي المعصرة خمرةً وفي الزّق لبناً وفي المسيح يسوع عسلاً وشهداً. فهل تحبين؟

٢أ- انا نائمة وقلبي مستيقظ

ألا ما أعظم الفرق بين نوم ونوم بين نوم الروح ونوم الجسد. بين نوم المؤمن ونوم غير المؤمن. بين النوم فوق صدر المسيح وآخر فوق صدر الشيطان. بين نوم الكنيسة وقلبها مستيقظ وهي بين أحضان الحبيب يسوع القدوس وبين نومها وقلبها نائم وهي في أحضان اللاحبيب المنحوس.

نعم العذراء العفيفة تنام ومصباحها بالزيت ممتلئ وسراجها بالنور موقد وقلبها في داخلها مستيقظ. بينما المرأة النجسة والزوجة الزانية تنام ومصباحها من الزيت فارغ وسراجها في قلب الليل منطفئ وقلبها في أعماقها نائم نوم الموت. اجل العذراء الطاهرة تنام بالجسد ولكن بعد مشقّات في إنجيل المسيح عنيفة وجراحات في سجن فيليبي والعالم عميقة وضربات في سجن هيرودس والشيطان ثقيلة. أما المرأة الزانية ذات الأزواج الخمسة بل السبعة فتنام بالروح ولكن بعد منادمات في شهوات الجسد محرقة وفجور في عمل الشيطان قبيحة وتطمعات بجمع الفضة مجنونة ومنافسات للأمجاد العالمية محمومة. كل ذلك "لان الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون" (١تس٥: ٧).

فمن هم الذين ينامون هكذا بالليل ويسكرون وبالتالي يهلكون؟ أليس الذين قد شلت فيهم الخطيئة العصب والضمير "ففقدوا بذلك الحس واسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع" (اف٤: ١٩)؟ أليس الذين قد اقفلوا الأبواب واحكموا الأقفال وسدوا المنافذ لكي لا تدخل إليهم أشعة المسيح بل يبقوا هكذا في قلب الظلام قائمين وجالسين ونائمين بل مائتين؟ ومن هم الذين ينامون بالنهار وبالنهار يسلكون وبالتالي يخلصون؟ أليس الذين قد فتحوا بواب القلوب للمسيح

على مصراعيها ومنافذ العقول لإنجيله على طاقاتها فامتلكوا بذلك الحس ليميزوا بين الخير والشر ويعيشوا كما يحق لانجيل المسيح؟ أليس الذين قد ناموا حقاً عن الجسد واعماله وماتوا يقيناً عن العالم وأفكاره ودُفِنوا عن الشيطان واحكامه ومن ثم أبوا السهر إلا للمسيح وللمسيح وحده؟ "ألا طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم هكذا ساهرين. الحق أقول لكم انه يقيمهم على جميع أمواله. لذلك فلا ننم كالباقين بل لنسهر ونصح" (١تس٥: ٦). وهكذا يحق للكنيسة أن تنام بالجسد وتستريح مع يعقوب وهو يهرب من وجه أخيه الجسدي عيسو. وان تتوسد صخر الدهور المسيح لتنام نوم السلام من ملاحقات الجسد وأعماله القاتلة. وتنام تحت الشجرة الخضراء (المسيح) بجانب إيليا من ملاحقات آخاب وسلطات العالم الظالمة. وتنام في وسط السفينة المسماة بالجوزاء مع الرسول بولس من تيارات أروكليدون المجنونة(اع٢٧: ١٤). وتنام مع الرسول بطرس في سجن هيرودس. ومع الرسولين بولس وسيلا في سجن فيلبي. وهي فوق ذلك في سلام الله الذي يفوق كل عقل.

أجل لتنم الكنيسة نوم السلام والطمأنينة طالما في سفينتها مسيح نائم يهزأ بالأمواج ويضحك على الرياح (لو٨: ٢٤). وطالما قلبها بمحبة المسيح عامر. وعقلها بلاهوته منشغل وضميرها بفدائه مستيقظ. بل طالما المصابيح في القلوب مشتعلة والسروج في الأيادي محمولة والحكمة السماوية في عقول العذارى مستحكمة. واما أن تنام الكنيسة نوم الجاهلات في قلب الظلمات فهذا أمر لا يحتمله الحبيب الساهر إطلاقاً

كيف لا والكنيسة اليوم قد نامت نوماً روحياً عميقاً وثقيلاً تجاه إنجيل الرسول بولس والذي هو إنجيل لمسيح. فسقطت بسببه هكذا من الطاقة العليا مع افتيخوس وحُملت ميتة (اع٧:٢٠-٩). فالكنيسة اليوم وان كانت ابنة رؤساء المجامع ومن السلالة العليا. لكنها قد ماتت وفي شخص طابيثا ابنة يا يرس رئيس المجمع (مت٩: ٢٥). ووضعت هكذا في العلية ميتة تحتاج إلى إنجيل بطرس والختان ليبعث فيها الحياة ويوقظها من النوم المزمن الثقيل (اع٩: ٣٦-٤٢). وذلك ليستيقظ بالروح القدس قلبها ويجري دم الحياة في عروقها جديداً وتتفتح على النور السماوي عيونها. حينئذ تستطيع الكنيسة حقاً أن تشخص الأنبياء الكذبة والمعلمين الكذبة الذين يأتوها بثياب الحملان تشخيصاً وتعزل الخميرة الفريسية من داخلها عزلاً وتقطع روح الزنى الحاصل في كنيسة كورنثوس قطعاً مؤبداً (١كو٥: ١). اجل بهذا القلب المستيقظ المستنير ترى قلب سيمون في مرارة المر ورباط الظلم (اع٨: ٢٣). وتجديف هيمينايس والاسكندر (١تي١: ٢٠). ومقاومة ينيس ونيباريس (٢ تي٣: ٨). وتزعم ديوتريفيس (٣يو١ :٩ ـ١٠). وشرور النحاس (٢تي٤ :١٤ ـ ١٥). بل ترى بدعة آريوس وهرطقة مقدونيوس وظلالة الآخرين. كلّ هذا ليبقى في الكنيسة حق الإنجيل بدراً منيراً وشمساً في كبد السماء بالبر مضيئةً.

ولكن، هل للكنيسة ايوم قلب مستيقظ بالروح القدس نظير الكنيسة الأولى لتشخص أولئك الرسل الكذبة والماكرين الذين يغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح (٢كو١١ :٣)؟ وتسّمي الذين قد أبكوا الرسول بولس لتعبّدهم لبطونهم وتفكيرهم في الأرضيات، (في٣ :١٨)؟ وذلك لتصحو من غفوتها وتستعيد شبابها وتسترجع طاقاتها وتُصفّي حظائر أغنامها ورعاتها. متمثلة بذاك الساهر القدوس المسيح الذي وإن كان نائماً بالجسد داخل السفينة لكنه كان يرى البحر يضج

والريح تعج والظلام يلج. لكنها كلمة واحدة فقط وقد خرجت من فمه فلم يكن للبحر أن يتململ والريح أن يتنفس والظلام أن يتحرك. اجل إنما اليقظة الروحية التي قد منحها الرب لكنيسته باضطجاعه داخل السفينة بل فوق الخشبة. لانه كما كانت حواء قديماً قد خلقت واستيقظت بسبات آدم هكذا الكنيسة أيضاً قد خلقت واستيقظت من سبات العدم والموت باضطجاع المسيح فوق خشبة الصليب. وذلك لتمتلك كل سلطات الحياة الجديدة في المسيح يسوع. حتى إذا ما نامت الكنيسة مع المسيح عن الخطيئة بل ماتت وقامت من ثم معه بالبر تقدر هي الأخرى أن تُبكِم بحر الخطيئة ليسكت وتنتهر رياح الإثم لتهدأ وتُبدِّد ظلام الليالي ليهرب وتشقَّ بحر الخطايا والشرور كعصا موسى شقاً. ولكن إن لم تكن الكنيسة في المسيح يسوع، فالعالم بأمواج جسده وتيارات شهوات عيونه ولُجج تعظُّم معيشته يشقُّها من المؤخرة كسفينة بولس الجوزاء في بحر الادرياتيك شقاً مرعباً (اع٢٧: ٤١).

ولكن نريد أن نعرف: هل قلب الكنيسة اليوم مستيقظ بكلمة الإنجيل لترعى النفوس وقد هلكت وتجمع الخرفان من فوق الجبال وفي أيام الغيم والضباب وقد تاهت؟ هل للكنيسة اليوم عيون أذهان مستنيرة بالروح القدس لترى البدع في حقول الكنيسة وقد نَمَت والأفكار الإلحادية بين صفوف أبنائها وقد تفشَّت ورعاة أغنامها عن كل ذلك قد نامت وغفت؟ هل لكنيسة اليوم ضمير في حق المسيح مُتحرك وفي نار الروح القدس مُتفتح ومُندفع لترى روح الجمود والضجر في مقادس العبادة قد خيَّم وبذور الشك في قلوب الرعية والرعاة قد نثر ولمعالم يسوع المسيح في حياة الناس قد طمس؟

فقفي فقط أمام مرآة إنجيل المسيح أيتها الكنيسة المعاصرة وإذاك ترين الخدود وقد تجعّدت. والعيون بالنظرات المنحرفة قد ذوت. والشفاه بالقبلات الخائنة قد تشقّقت. والأسنان بأكل حصرم الخطيئة قد تساقطت. والخصائل بأصابع الشيخوخة والشهوة قد ابيضّت. والقامة بأعمال الجسد قد تقوّست. كل ذلك لأنها قد نامت هكذا نوماً روحياً ونام قلبها نوماً عميقاً مرعباً.

ولكن من عسى أن يكون المسؤول عن تفاقم الشر والظلم والاستغلال في العالم؟ومن المسؤول عن الويلات التي راحت تغرق العالم في العطب والهلاك؟ ومن المسؤول عن انتشار روح الإلحاد وردود الفعل والسلبيات؟ ومن المسؤول عن هلاك الناس الأشرار كتلاً بشرية محرومة من المسيح مصدر الحياة؟ بل من هو المسؤول عن هاتيك المجاعات التي قد غطت البشريه بغطاء أهل القبور والأموات؟ أهو طمع الإنسان بأخيه الإنسان كقول الرسول يعقوب "من أين الحروب والخصومات بينكم. أليست من هنا من لذاتكم المحاربة في أعضائكم. تشتهون ولستم تمتلكون. تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا. تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون. تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديئاً لكي تنفقوا في لذاتكم" (يع٤ :١-٣). أم انه الشيطان العامل في أبناء هذا الدهر كقول الرب "انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء.ولم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب يتكلم. لانه كذاب وأبو الكذاب" (يو٨ _٤٤). أم أن المسؤول عن كل ذلك إنما هو الكنيسة بنومها العميق ورقادها المميت واستهتارها العريض؟ لأنه ما لنا نحن والإنسان العتيق الفاسد وقد ولد للخطيئة والموت؟ وما لنا وللشيطان وقد كان من البدء عدواً للإنسان والله قاتلاً لهذا وصالباً لذاك؟ أليست الكنيسة هي رجاء عالمنا

الوحيد في السلام والحب والحياة وذلك بصفتها سفيرة المسيح على الأرض والملح الذي بها يملح العالم والمدينة الموضوعة على جبل لتضيء لجميع الذين في البيت؟

ولكن إن خانت السفيرة هذه ملكها فمن الذي سيمثل البر؟وإن فسد الملح هذا فمن الذي سيملح بالسلام ويحفظ من الفساد؟ وإن انطفأ النور في هذه المدينة فمن الذي سينير الطريق المؤدي إلى الحياة؟ وإذا كان النور الذي فيكم ظلاماً فالظلام كم يكون؟ من اجل ذلك أمست الكنيسة وهذه المسؤولية السماوية هي المسؤولة عن تفاقم الشرور وهلاك الخطاة وتفشي كافة سلبيات الجسد والروح طالما هي عن إنجيل المسيح قد نامت وعن حياته قد ماتت. لانه متى اختار المسيح له كنيسة مزيَّنة بالبز والأرجوان ومتحلّية بالذهب واللؤلؤ وهي تتفرّج من فوق شرفاتها العاجية على الخطاة وهم يهلكون والبائسون وهم يموتون والعراة وهم يرتجفون والجياع وهم في الأزقة ينطرحون والمظلومين وهم يئنّون وينتحبون؟

فأين الكنيسة اليوم من متطلبات إنجيل المسيح؟ بل أين هي من كنيسة ألامس، كنيسة الرسل والقديسين؟ في توبتها وتجديدها. في تقديسها وتمجيدها. في تكريسها وتضحياتها. في حمل صليبها وميتاتها. في بشاراتها وثورات إنجيلها. في جهادها ومصارعاتها. في تحدياتها وانتصاراتها. بل في يقظتها وقوة حراستها؟

حقاً لو ثبتت الكنيسة هكذا في إنجيل يسوع المسيح كالكنيسة الأولى لكان العالم اليوم لملكوت المسيح أقرب منه لملكوت الشيطان. ولكن خيانة الكنيسة للإنجيل وانحرافها نحو العالم الخاطئ والجسد الفاسد قد جعل العالم يعيش هكذا في الخطيئة والموت. فعمَّت بذلك الفوضى وصار الظلم والاستغلال وكانت ردود الفعل والسلبيات وفاض الإلحاد في الناس فيضاناً وارتفع منسوب الشهوة القبيحة فوق

الجبال والتلال طوفاناً عارماً يغرق العباد. كل ذلك لانه لم يعد في الميادين كنيسة روحية تتصارع ولا كنيسة في الملاعب تتسابق وفوق المسرح مع الشيطان تتلاكم ولا إنجيل في الكنيسة للمظالم يتحدى. بل شيطان في كل الميادين يسرح ويمرح.

ألا كفاك نوماً بالدلال أيتها الكنيسة القيصرية وسباتاً متشحماً بالشهوة أيتها الكنيسة الرومانية ورقاداً بالفجور والخمور أيتها الكنائس البابلية بل موتاً بالذنوب والخطايا والمظالم والرزايا أيتها الكنائس العالمية. بل رجوعاً أرجعي إلى المسيح الساهر القدوس. لانك في إنسانيتك الجديدة مريم ترينه متجسداً ومن أجلك فوق العود مرفوعاً وفي قديسيه حياً ومتجلياً وعند الفجر باكراً والظلام باق مع المجدلية الساهرة ترينه حبيباً حياً ومعبوداً عزيزاً.

وأمّا أنت يا نفسي فقومي من نومك لأنه "قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك. هاهي الظلمة تغّطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أمّا عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى" (أش٦٠ :١_٢).

٢ب- صوت حبيبي قارعاً افتحي لي يا اختي يا حمامتي يا كاملتي

نعم بأصابع الإنجيل وكلماته يقرع المسيح أبواب الحبيبة. وبمناخس الأسرار السبعة ينخس جوانبها. وبمقررات مجامعها الرسولية يدق عقلها وكما بمطرقة دقاً. اجل المسيح لا يزال يقرع مسامع الكنيسة كنواقيس بكرازة مبشريها والسنة وعاظها. بأقلام كتابها ومباحث لاهوتييها. بشهادة آبائها وصلاح قديسيها. بل ويستصرخ بدماء الشهداء ضميرها وذلك لتستيقظ من نومها وتنهض من سباتها. وكأني بالمسيح الحبيب يناديها بقوله "قومي استنيري لانه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق

الرب. ومجده عليك يرى، فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك" (اش٦٠ : ١-٣).

فهل للحبيبة اليوم أن تستمع إلى هذه القرعات التجسدية وتصغي إلى هاتيك الطرقات الفدائية وتستجيب لهاتيك النخسات اللاهوتية؟ أم إنَّها اليوم قد ثُقِّلت بالشيب مسامعها وبالخمور أحاسيسها وبمورفين الجسد والعالم قلبها وعصب تفكيرها؟ أفلا تخجل الكنيسة، حبيبة المسيح الروحية من الحبيبة الجنسية وهي لا تتغافل قط عن الاستماع لصوت حبيبها وهو ينبس ببنت شفه؟ بل إنما كلاقطة تلتقط كلماته وكمغناطيس تجذب ألفاظه. بل من بين أصوات الغرباء وعواء الثعالب والذئاب تميز نبراته وبشاعرية الحب وقوته تتحسس أنفاسه.
كيف لا يقرع المسيح الحبيب الأبواب الروحية والعقلية هكذا وبصوته لا يزال يزلزل الجبال البشرية ويشقق الصخور القلبية ويفتح القلوب النفسية ويبعث الحياة للذين في القبور الجهنمية؟ ألا يُسكت الحبيب العزيز حتى الآن العواصف البحرية العالمية ويُبكِم الشهوات الجسدية المحرقة ويلقي الرعب في قلوب الحيتان القوية؟ كيف لا وقد افزع الشياطين في المجانين ولا يزال وارعب الخنازير البشرية المتشيطنة ولا يزال؟ وهيهات أن يكف عن ملاحقتها بالحق حتى ترمي بذواتها في أعماق البحار النارية منتحرة. بل وبصوته هذا سقط والى الأرض شاؤل الطرسوسي ليكون عبرة لمن اعتبر. ومن ثم "أرعب فيليكس" وفي شخص الرسول بولس "وهو يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة" (اع٢٤: ٢٥).
فأين هي الكنيسة اليوم من هذا الصوت وهو يزلزل الأرض ويشقق الصخر ويفتح القبر من فوق الصليب؟ بل أين هي اليوم من ذاك الصوت وهو يسقط من السماء في العلّية كما من هبوب، ريح عاصفة ليملأ كل البيت حيث التلاميذ والأصحاب

جالسين (أع٢ :٢)؟ أهي محبة الذات والرئاسة وتاليه للأنانية؟ أهي عبادة المال والفضة الصنمية؟ أهي الشهوات الجسدية والمنادمات العالمية؟ أم إنها كل هذه معاً التي انامت الكنيسة هكذا لكي لا تسمع للحبيب صوتاً وللمسيح إنجيلاً؟

فما هو إذاً ايتها الكنيسة النامية المسترخية فوق فراش الجسد الناعم؟ أهو استهتار بصوت الحبيب وقد ذبح من أجلك فوق الصليب ذبحاً؟ أهو استضعاف عندما ترينه قد ظهر في الجسد مصلوباً؟ أهو تجاهل لحبيب قد غاب عن العين في السماوات بعيداً؟ كيف ينجو أبناؤك المرتدّين عن الذي من السماء يتكلم وصوته يزعزع السماء والأرض؟ "بل كم عقاباً أشَّد تظنّون يستحق من داس أبن الله وحسب دم العهد الأبدي بلا ثمن وأزدرى بروح النعمة " (عب١٠ :٢٦ _٣١)؟ فمالك إذاً تتمطّين هكذا فوق أسرّة الدلال تمطياً وتفترشين فراش الجسد افتراشاً وتلتحفين العالم التحافاً. فيتثاقل قلبك بشحمة البطر وخمرة الشهوة تثاقلاً فتغوصين لذلك في أعماق الليل وتنامين نوم الموت ثقيلاً وعميقاً؟ بينما حبيبك يُترك هكذا مضطجعاً من أجلك فوق الصليب: يفترش خشباً خشناً ويلتحف حديداً جارحاً دامياً؟

حقاً إن لم تتوبي يا كنيسة جامحة فهلاكاً ستهلكين. وان لم تسمعي صوت الحبيب فبسهام الشياطين واللصوص في اسفل الوادي تُصرعين. وان لم تصغي لصوت المسيح المقام من بين الأموات ففي الأعماق من الموت تشبعين "لانه قد تأتى ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥: ٢٥). لذلك فاسمعي له ايتها الكنيسة وهو يقول لك "افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي". افتحي لي الأبواب الحياتية يا أختي الكنيسة، لأني أنا هو الأزلي وقد صُرتُ لك بالتجسد أخاً. افتحي لي المنافذ القلبية يا كنيستي الحبيبة، لأني أنا

هو الإله السرمدي وقد صُرتُ لك بالفداء حبيباً. بل افتحي لي المنقار يا حمامتي الوديعة، لأني قد صُرتُ لك وأنا الحب والحنان للحياة الأبدية من السماء حبة. نعم افتحي لي الحواس والعواطف مع الأفكار يا كاملتي الكنيسة، لاني أنا الكامل المطلق وقد جئتك من أعماق الأزل لأنزع عنك العيب وابعث فيك البر والكمال مع الجمال.

والآن فكيف لا تفتحين لي الأبواب واسعة يا أختي وأنا قد فتحت لك القلب والحب فوق الصليب واسعاً؟ كيف لا تفتحين لي الطاقة أيتها الحمامة وأنا قد فتحت لك فوق الخشبه وسفينة الحياة الطاقات الخمس فتحاً فدائياً مبيناً؟ ألا افتحي لي يا اختي بوابات الروح لأدخل ومنافذ النفس لأعبر وطاقات القلب لأنفُذ ومغاليق العقل لأحُلَّ. نعم لأدخل واتكئ وأتعشى فأعصر بذلك في نفسك المتضايقة روحاً من السماء جديداً وأسكب في قلبك حباً من قلب الأزل معتقاً وأشحن عقلك المنكمش حكمة من فوق مجنّحة، بل ازرع في جسدك المتشقّق براً كالثلج أبيضاً.

والآن أعلمي أنّ الحبيبة البكرية العذراء، قد فتحت لي جميع الأبواب فملأت قلبها حباً وخمّرت جسدها قداسة وألهبت عقلها من الأعالي حكمة. فصارت لي بإنسانيتها الجديدة أختاً وبين الشعوب حبيبة وفي وسط الغربان حمامة وبين الأقزام كاملة عملاقة. بل هذا هو شأن كنيسة الرسل القديسين التي انحدرت بالروح والحق من صلب العذراء انحداراً. فصارت هي الأخرى للإله المتجسد أختاً وللمصلوب البار حبيبة وللمسيح المقام من بين الأموات كاملة وللروح القدس الحال في العلّية حمامة. فكيف لا تفتحين الأبواب يا كنيستي لذاك الذي قد صار لك بالتجسد محباً الصق من أخ وبالصليب حبيباً أقوى من كل حبيب وبالإنجيل

صيادا سماوياً اكثر أماناً من كل صياد. وبالروح القدس والحق اكمل من كل كامل؟ نعم افتحي له القلب والحياة لانه قلب القلب وحياة الحياة.

وأما أنت يا نفسي فافتحي الأبواب للحبيب المصلوب لأن رأسه قد امتلأ من الطل وقصصه من ندى السماء.

٢ج_ لأن رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل

إنّها المحبة التي تصبر على كل شيء وتحتمل كل شئ. ترجو للحبيبة كل شيء. فهي تصبر على الجوع والفقر والحرمان. وتحتمل المحن والبلايا والضيقات. بل من اجل الحبيبة تحمل الصليب والميتات "لان المحبة قوية كالموت. قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. ومياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة. والسيول لا تغمرها. أن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً" (نش٨ :٦-٧)

وهكذا باتت المحبة وكما هي بيسوع المسيح "تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء وترجو كل شيء وهي لا تسقط أبداً" (١كو١٣ :٧_٨). "مادام الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (١يو٤ :١٦). والآن إن كان الأب يحتمل أتعاباً في سبيل أبنائه والأم تصبر على الآلام في سبيل أولادها والراعي يعاني الشيء الكثير من اجل رعيته والقائد الأمين يموت من اجل بناء وطنه. أفكثير على الله وهو مصدر المحبة الصالحة أن يصبر هكذا على جهالات شعبه ويحتمل متاعب إنسانيته ويموت متجسداً في سبيل حبيبته؟ومتى كان الإنسان الخاطئ الأناني في المحبة والتضحية سبّاقاً لإلهه الصالح القدوس؟

اجل صليب المسيح هو التعبير الكامل المطلق لمحبة الله للخطاة. بل فيه تتجلّى محبة الله وهي تتحدى عداوة الإنسان وجهالاته وتبرز قداسة الله قبالة نجاسة الإنسان. ويتجسد الحق تجاه باطل الإنسان وإثمه. وهكذا بات المسيح بصليبه نوراً كاشفاً للواقع الإلهي والإنساني: في ذاك للحياة وهذا للموت. وفي تقاطع قطري الصليب يتقاطع الواقع الإلهي ذاك بالواقع الإنساني هذا، كتقاطع الحياة للموت والحق للباطل والمحبة للعداوة والقداسة للنجاسة والرحمة للقساوة والنور للظلمة.

والآن لما كان الله في ذاته محبة فهو بالضرورة إذاً تضحية وفداء. لأنّه حيث لا تضحية وفداء لا محبة كذلك إطلاقاً. ولّما كان الله في ذاته روح أزلي وقوة وجودية مطلقة لا يمكن أن يتألم ويموت فدخل في الإنسان مع التاريخ بالتجسّد "صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيأة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موتاً بالصليب" (في٢ :٧_٨). وهكذا قدرت المحبة الإلهية المطلقة أن تأخذ مكانتها في الإنسان وتشق لها طريقاً إليه بالألم والموت والفداء. لانه إن كان الله كامل مطلق في جوهره فهو كذلك في حبه ورحمته. والحب المطلق لابد أن يتوّج بالموت والفداء وإلاّ فانه ليس حباً مطلقاً بل ناقصاً مبتوراً. واذاك سيمسي الله ناقصاً في حبه مبتوراً في رحمته. وبالتالي لا يعود الله إلهاً حقيقياً بل إلهاً مجهولاً ومعبوداً ناقصاً. وهكذا لا إله حقيقي من دون محبة حقيقية ولا محبة حقيقية من دون صليب حقيقي. وبالتالي لا اله حقيقي من دون صليب حقيقي. إذاً فصليب المسيح هو الدالة الدافعة والبينة القاطعة على لاهوته طالما الله هكذا في ذاته محبة وفي جوهره نعمة ورحمة. فلا غرابة إذا ما احب الله الإنسان هكذا مشاركاً آلامه وجراحاته ومصادر شقائه وموته وهو لا يزال يناشد كما يناشد حبيبة له قائلاً "افتحي لي لان رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل".

فالمسيح إطلاقاً هو البادئ بالحب وليست الحبيبة. لذلك فهو الأكثر تحرقاً بالحب وتألماً بالفداء. وبقوة الحب هذا راح يصارع أعداء الحب، لا في السماء فحسب بل على الأرض أيضاً، لا من نحو ذاته وجوهره هو بل من نحو ملاكه وانسانه أيضاً. فاجتاز بذلك شتاء للصليب قارصاً وعبر لاجل الحبيبة ليلاً هكذا كثيفاً مظلماً. لأنه فوق الصليب امتلأ راس المسيح بالدموع وقصصه بالدماء وندى الليل. وهناك حيث علّق الحب بين الأرض والسماء راح يبكي حبيبته بكاءً مراً ويُجرَّح لأجلها تجريحاً وعن ذنوبها وخطاياها يموت موتاً. وهو يصارع أعداء الحبيبة (الشيطان والخطيئة والموت)، لا في ربيع ضاحك بل في شتاء باكٍ، وليس في نهار مشرق بل في ليل بهيم مُعتم وهكذا ابتلع المسيح شتاء الخطيئة بربيع البر وخنق المعاصي ليلاً بنهار القيامة بل اختطف الحبيبة من قلب الشتاء وأعماق الليل اختطاف حبيبٍ أمين وعزيز.

أ لا ما اعظم المسافة التي قطعها هذا الحبيب المجيد في سبيل خلاص الحبيبة. فهي بحق ذات المسافة القائمة بين السماء كقمة وبين الأرض كحضيض. وبين السماء كحق وبين الأرض كباطل. وبين الله كمحبة وبين الإنسان كعداوة. وبين الآب اللامحدود وبين آدم المحدود. إن مسافة أدبية روحية كهذه قد لا تستوعبها العقول ولا تحصيها المقاييس. ولكن من الذي بالحق يقدر أن يقطع هاتيك المسافات ويجتاز ذيّاك الشتاء ويعبر الليل؟ الإنسان العاجز الضعيف المائت؟ أم الله العزيز الحي؟ ليس الإنسان إطلاقاً بل إنما هو الله القادر على كل شئ. لان الإنسان كان عاجزاً ولا يزال عن الصعود من الحضيض إلى القمة والأعمى عن رؤية معالم الطريق المؤدي إلى الحياة. كيف يستطيع الانسان المشلول بالخطايا والمقعد بالآثام والمخلع بالأنانية

والمطمور بالشرور والمدفون في الشتاء والظلام أن يقطع المسافة من الحضيض إلى القمة ليتقابل مع الله ويتحد بالحب وبالتالي يخلص من جحيم ألانا؟

حقاً إنها تجربة الإنسان المريرة الفاشلة حتى الساعة بل تجربة الشيطان الخادعة في الإنسان حتى اللحظة. واما الحقيقة الناصعة المنتصرة فهي حقيقة الله في الحب "لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦). لانه إن كان الإنسان عاجزاً عن قطع المسافة إلى الله لعجزه الروحي وإفلاسه الأدبي فالله هو الذي قد تبنى قطع المسافة هذه وذلك بقوة لاهوته وطاقة حبه. إذاً ليس باستطاعة الإنسان الساقط أن يصل إلى الله وهو في الصلاح المطلق. بل باستطاعة الله أن يترل إلى الإنسان الساقط والموت بالصليب وذلك بطاقة الحب الأزلي ليس إلاّ. وفي هذا يقول الرسول بولس أيضاً "الله الذي هو غني في الرحمة من اجل محبته الكثيرة التي احبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة انتم مخلصون. وأقامنا معه واجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (اف٢: ٤-٥).

حقاً إنها لمعجزة الحب والتي فيها يحتمل الله جهالات الناس الأغبياء وشتاء آثامهم وليالي خطاياهم ويشق صليب شرورهم بصليب محبته من فوق إلى اسفل شقاً. وهكذا لو لم يكن المسيح هو ذات الله لما قدر إطلاقاً أن يحب البشر الخطاة وكأعداء يموت من أجلهم فوق الصليب موتاً. لانه لا يوجد إنسان مجرد يقدر أن يحب أعداءه هكذا حتى يموت في سبيلهم هكذا. اجل يستطيع الإنسان الطيب والمفكر أن يحب أنساناً قد احسن إليه وكذلك أنساناً لم يسيء إليه. واما أن يحب من يسيء إليه حتى يموت في سبيله فذلك ليس من الواقع البشري الطبيعي بشيء.

بل انه لواقع الهي سماوي. انه واقع يسوع المسيح وكما هو في صليبه ليس إلاّ. "لان المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لاجل الفجار. فانه بالجهد يموت أحد لاجل بار. ربما لاجل الصالح يجسر أحد أن يموت ولكن الله بين محبته لنا ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لانه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥: ٦-١٠). إذاً يحسب صليب المسيح المجيد هذا دليلاً قاطعاً على لاهوته وقد ظهر في الجسد مصلوباً هكذا من أعدائه وخطاة بشره.

والآن لما كان كل إنسان آتيا إلى العالم عدوا لله بالخطيئة. فالمسيح إذاً قد مات مصلوباً بدافع حبه من اجل كل إنسان. ومن ثم صار ضامناً لحياة كل إنسان "لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ :١٥). ولو لم يكن المسيح هكذا إلهاً فبأي صلاحية قد تبنى خلاص الإنسان بصليبه كفرد والعالم كمجموع؟ ومَن غير الله يقدر أن يلتزم هكذا مسؤولية تجاه حياة الإنسانية؟ ولكن قد يقول قائل أين هي أهمية صليب المسيح وملائين البشر يعيشون في الشر والشقاء والموت؟ أما نحن فنقول لمثل هؤلاء أن العجز في ذلك ليس في صليب المسيح ليلغى إلغاء. بل العجز يكمن في حياة هؤلاء الملائين الذين يرفضون الحب في النهار والربيع ويعيشون في الشتاء والليل البهيم. فالذي سيلغى يقيناً من صفحة الوجود إذاً ليس صليب المسيح حيث الحب والحياة بل إنما هم الملائين الذين قد تمردوا على الحب وتضاربوا مع الحق وانقلبوا على الحياة وتعاقدوا مع الشيطان. الواقع الذي قد شخصه الرب بقوله "وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة لان من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله. واما من يعمل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يو٣: ٢٠-٢١) ولهذا نرى الملائين من الناس

المتعاقدين مع الشيطان تفضلون الظلام على النور والباطل على الحق والخطيئة على البر والأنانية على التضحية والعداوة على المحبة. كل ذلك لان أعمالهم كانت ولا زالت شريرة. أليس كذلك يا يهوذا الاسخريوطي وجيحزي وديماس وسيمون، عباد المال وعشاق الفضة؟ أليس كذلك يا امنون وابيشالم والزاني بامرأة أبيه (١كو ٥: ١)، عشاق الفجور والموبقات؟ أليس كذلك يا بيلاطس البنطي وهيرودس وابيمالك وديوتريفوس عشاق المناصب والكراسي؟ أليس كذلك أيها الصديقيون والابيقوريون الاثينيون، عباد الفلسفة الإلحادية والإله المجهول (اع١٧: ٢٣)؟ أليس كذلك يا آخاب الظالم المغتصب وحنانيا الطامع المختلس والغني الجاهل المختزن، عباد الملك وعباد الفضة والذين لا يرثون ملكوت الله (١كو٦: ٩-١٠)؟

فإن كان المسيح قد احبكم هكذا حتى الموت، موتاً بالصليب. فعلام تبغضونه انتم هكذا؟ أليس لكونكم قد عقدتم عهداً مع الموت وميثاقا مع الهاوية؟ ولسان حالكم يقول "كلمونا بالناعمات. انظروا مخادعات حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل" (اش٣٠: ١٠-١١)؟ "يا قساة الرقاب والغير المختونين بالقلوب والآذان. انتم دائماً تقاومون الروح القدس (الفداء). كما كان آباؤكم كذلك انتم" (اع٧: ٥١). أفلا تحكمون على نفوسكم وفي سركم على ظلمة عقولكم وخبث قلوبكم وفساد أجسادكم وسوء افعالكم؟ الا تعلمون بصليب مسيحكم ومحبة خالقكم وصلاح فاديكم وقوة مخلصكم؟ فعلام إذن الانقلاب هكذا عليه والتحالف مع الشيطان ضده؟ بل علام الاحتجاج عليه قائلين، لو كان المسيح يحبنا حقاً فعلام يتركنا هكذا في خطايانا وفي شقائنا وهلاكاً نهلك؟ دينونتكم أيها المراؤون لا تتوانى وهلاككم لا ينعس لأنكم كنتم ولا تزالون "غيوماً بلا ماء تحملها ارياح، أشجاراً خريفية بلا ثمر ميتة مضاعفة مقتلعة، أمواج

بحر هائجة مزبدة مضاعماً بخزيهم، نجوماً تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد" (يه ١: ١٢-١٣).

ولكن رغم كل سلبيات، هؤلاء الملائين الهالكين لا يزال المسيح بإنجيله واقفاً يقرع فيهم الأبواب زناة كانوا أم فاسقين. ظالمين كانوا أم مستغلين. متعجرفين كانوا أم ملحدين. فريسيين كانوا أم صدوقيين. بيلاطسيون كانوا أم هيروديسيين. خطاة كانوا أم عشارين. مجدليين كانوا أم سامريين. وهو يقول افتحوا لي القلوب مع العقول "لان رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل".

اجل أيتها الإنسانية المظلمة افتحي لي أبواب ثكناتك لأسرح جيوشك ولأطبع سيوفك سككاً ورماحك مناجل لكي لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد (اش٢ :٤). لأنّي أنا هو سلام الله إليك. افتحي لي أبواب جامعاتك لانتزع منها عجرفة العلم الكاذب وشوكة الريب والشك والإلحاد ولأزرع في قلوب أبنائك اليقين وفي عقولهم النجم الصبيح، لأنّي قد جئتك من السماء نوراً اكثر لمعاناً من الشمس ولكي أنير بالبر كل إنسان آتيا إلى العالم. افتحي لي أبواب مؤتمراتك لأشحن رعاتك بل سادتك روح الرعاية الحقة، لأني قد جئتك من فوق راعياً صالحاً لأبذل نفسي عن الخراف. افتحي لي متاريس سجونك وأقفال معتقلاتك، لأنزل إليها بإنجيلي وأزعزع أساساها، بل وبسلطان الحب والبر أُطلق كافة مأسوريها، بل لأحوّلها إلى معابد لله ومقادس جنّات(اع١٦ :١٩_٣٤

نعم افتحي لي الأبواب واسعة ايتها الإنسانية المخدَّرة بالبطر والسكر، لأنتزع من داخل قصورك روح الظلم والخطيئة ولأزرع فيها كلمة الله الحية نعمةً من الله لك وإيماناً وخلاصاً. افتحي أيتها الذليلة البائسة منافذ دهاليزك وطاقات أكواخك

وشقق خيامك وقلوب فقرائك لأزرعها بغنى السماء الذي لا يحد ولا يستقصى وبنور الإنجيل اقتل الجند الدفين من بين جدرانك ومن بين ثقوب حصرانك وألبسك القداسة فوق أجسامك العارية مطرزة وبخبز من السماء نازلاً أملأ أفواه بنيك وقلوب بناتك. بل وفي روحي افجّر ينابيع الخلاص في أوديتك واحول أكواخك قصوراً ومغائرك جنات. كيف لا وقد جئت من قلب الأزل ومن ماوراء الدهور لافتح السفر وافك الأسرار "فابشر المساكين بالسلام واشفي منكسري القلوب وأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعميان بالبصر واكرز بسنة الله المقبولة" (لو ٤ :١٧_١٩). فأشفقي على نفسك أيتها الإنسانية المجرَّحة بأنياب الشيطان والمكسَّرة بكلمات كبريائه والمختنقة بأصابع شهواته طالما أمام أبوابك مسيح حبيب يقرع وفي شوارعك بكلمة إنجيله يتجول وفي منحدراتك العميقة بسلطان لاهوته يُطبِّب وفوق مرتفعاتك وخارج أسوارك يُصلب. بل وفي بساتينك حيث النهار في الربيع يُبعث وينتصر والى السماوات عن يمين الله يصعد ويجلس.

واما أنت ايتها الكنيسة ،أين المسيح منك اليوم وأين أنت من المسيح؟ افتحت له أبوابك السبعة ليدخل إيك كرب المجد وهو متوَّج بتيجان الخلود؟ أم انك أقفلت بوجه إنجيله الأبواب كلّها وتركتيه خارجاً ليمتلأ رأسه من الطل وقصصه من ندى الليل ورأسه وقصصه من الدماء والدموع وذلك لتحتفظي له بأصنام ذهبية في الكنائس وبأوثان فضية في المعابد وبأصنام وأوثان بشرية في الهياكل؟ أنسيت عهد صباك ونزعت عنك خاتم خطوبتك ومزقت ميثاق فدائك ورحت من ثم تضطجعين عند كل زاوية مع الفاسقين؟ تاركة الحبيب خارج الأبواب يقرع باكياً وينصرف على وجهه منتحباً بل وترفعيه فوق العود دامياً.

إيه ايتها الكنيسة اليوم. أين أنت من هاتيك الكنيسة الرسولية التي لم تترك باباً واحداً من أبوابها مغلقاً في وجه الحبيب ولا باباً واحداً مفتوحاً في وجه الشيطان. وليس ذلك فحسب بل راحت تغلق لمعابد الشيطان أبواباً وتفتح للمسيح وفي قلب الليالي وحيث الشيطان يسكن أقفالاً وأبواباً. أو ألم تدخل بالمسيح إلى قصور الملوك كسفيرة في سلاسل وتخلق من أبنائها مؤمنين وقديسين (في٤ :٢٢). أو ألم تدخل معتقلات الأمم وتسكب على قوات مئاتهم موهبة الروح القدس (اع١٠ :٢٥ـ ٤٦)؟ أو ألم تزعزع أساسات السجون بقوة الصلاة وتفتح أبوابها الحديدية المحروسة وتحرِّر من أبنائها عبيداً طالما استعبدوا للخطيئة والجريمة (اع١٦: ٢٥-٢٦)؟ بل وتدخل بيوت الفقراء وحيث يجتمع التلاميذ في بيت مريم أم مرقس فتحولها بقوة الصلاة إلى سماء غنية بالقوات (اع١٢ :٣ـ١٧)؟

فهل أنت هكذا ايتها الكنيسة تفتحين للمسيح في العالم أبواباً طالما قد أُقفلت ولإنجيله أسواقاً من ذهب نقي طالما قد أُغلقت؟ أم انك اليوم صرت بالعكس تفتحين للشيطان أبواباً؟ أفلا تعلمين أن الكنيسة التي للقديسين قد تمتعت بقوة الروح القدس لكونها قد سدت كافة الأبواب السفلية والمنافذ الجانبية ولم تفتح على ذاتها سوى طاقة واحدة من فوق نفذت من خلالها قوة الله. فكيف تتوقعين اليوم أنت ذات القوة وقد أقفلت هاتيك الطاقة العلوية في السفينة بعدما فتحت كل الأبواب الجانبية والسفلية لفيضان الجسد وطوفان العالم فتحاً جسيما مرعباً؟

فإلى هاتيك الكنيسة الرسولية والسفينة الإلهية يا جميع كنائس العالم وسفن البحار، بل إلى العذراء مريم لبنة الكنيسة الأولى والسفينة المشرَّعة برياح الروح القدس يا جميع السفن اللاشراعية.

وأمّا أنت يا نفسي فافتحي مسامعك لأجراس الإنجيل وهي تجلجل في مخادعك عميقاً وقلبك لأشعة الحب وهي تُدغدغ أحشائك خفياً وعقلك لحكمة الروح القدس وهي ترفرف فوق هامتك حمامة وديعة، لأن رأسه من أجلك قد امتلأ بالطل وقصصه من ندى الليل.

١٣أ- قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه

قد تدخل الكنيسة الحبيبة شتاءً للخطيئة قارصاً. وتسبُت في ليل للناموس ثقيلاً. وتجلس في ظلمة للشهوات محرقة. بل وتنام في وديان العالم السحيقة عهوداً. فتترك إذّاك المسيح خارج الأبواب يقرع ورأسه وقصصه بندى الليل والطل ممتلئة. وهي في غمرة شهواتها وفيضان خمورها وكثافة بطرها وعمق سباتها تقول "قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه".

حقاً إنّها لردة جامحة وخيانة ماجنة إذ تخلع فيها الكنيسة ثوب الروح وتلبس ثوب الجسد. فكيف تقدر الكنيسة إذاً أن تعيش في واقع كهذا عارية وفي شتاء قارص وحيث لا ثوب للدفئ ولا نار في الموقد للحرارة والحياة؟ بل كيف تقدر أن تهرب من الغضب وهو ينسكب من السماء على الأرض ناراً وكبريتاً وهي عارية هكذا مرتجفة في أيام للشتاء باردة وسبوت للناموس حروفاً قاتلة؟ كما قد حذرنا الرب بقوله "صلّوا لئلا يكون هربكم في شتاء أو سبت" ولاسيما إذا ما كانت الكنيسة العارية المرتجفة هذه حبلى تتمخض بالخطايا ومرضعة لبناتها وأولادها الشرور؟

حقاً في عري كهذا. بل في سبت وشتاء كهذا. راحت الكنيسة، حواء الجديدة تعيد التجربة الأولى ثانية لتتعرى بل وهي في حضرة القدوس وبأوراق التين تتغطّى وبأوراق البر الذاتي وأعمال الناموس تستراً تتستر. ولكن، إذا ما أشرقت الشمس

فسرعان ما تذبل الأوراق وتتساقط الأعمال. ويظهر العري في حواء الكنيسة أشنع وارداً. كيف لا، والكنيسة اليوم باتت وبفعل الرجوع إلى شجرة الخطيئة متعرية عن البر المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (اف٤: ٢٤) وهي تعتمد أوراق التين ثوباً وأعمال البر الذاتي غطاءً؟ ولسان حالها يقول "اللهم إني لست كباقي الناس الظالمين الخاطفين ولا كمثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسبوع وأعشّر جميع أموالي"؟. أو ألم تنام الكنيسة اليوم في أرض بابل وأرض الكلدانيين عريانة عن البر وعارية عن المحبة وهي تحاول التهرب من وجه الرب ومواجهة الحقيقة السافرة؟ أهكذا بلغت بها الحماقة حداً حتى لم تعد تعرف كيف تلبس الثوب الذي قد نسجه لها الرب الحبيب يسوع في مصنع صليبه؟ وكأني بها كداؤد راحت تقول "أين أذهب من روحك. ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك. وان فرشت في الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدك وتمسكني يمينك. قلت إنما الظلمة تغشاني فالليل يضيء حولي. الظلمة أيضاً لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضيء. كالظلمة هكذا النور. لانك أنت اقتنيت كليتي نسجتني من بطن أمي" (مز١٣٩: ٨-١٣)؟ وباطلاً تحاول الكنيسة اليوم خلاصاً من عار خطيئتها مالم تتواجه بواقعها مع المسيح في إنجيله. لترى الأوراق قد تساقطت. والأعمال كالعشب والقش والخشب قد احترقت. والخطايا في الأعضاء قد ظهرت وتعرَّت. بل لترى البر الأبدي وقد أعِّد لها في صليب المسيح إعداداً أزلياً كقول الرسول بولس "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم أمامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته" (أف١ :٤-٥).

أ لا إلى هذا الثوب الفدائي الأحمر والأبيض أيتها الكنائس المتعرية وفي قلب الشتاء وأيام السبوت مرتجفة. وإلى هاتيك الجلود وفرو كبش الكباش الدافئ يا ابنة الشتاء والناموس المرتعدة قامتها والمصرّة بأسنانها والمخلّعة ركبها والمجمَّدة ببرودة الموت أوصالها وأنفاسها.

فأين الكنيسة اليوم من عهدها المقدس وقد قطعته على نفسها بالمعمودية والإيمان؟ وأين هي أزياؤها الروحبة وثيابها السماوية وأخلاقياتها الإنجيلية؟ بل أين هو طعامها السميذ النظيف والعسل والزيت والخبز النازل من السماء؟ أن كنيسة الدهر اتكالاً قد اتكلت على جمالها اليوم. فتناست حالتها المشينة الأولى يوم كانت في اصلها أُممية تخر للأصنام وتبخّر للبعليم. يوم لم تقطع فيه سرّتها وتغسل بالماء وتملّح بالملح وتقمَّط بقماط (حز١٦ :٤). بل تناسياً قد تناست المسيح الحبيب وقد حمَّمها بمياه المعمودية ودهنها بزيت، الميرون والمسحة المقدسة. وألبسها زينة الروح القدس مطرَّزة. ونعَّلها بتخس السلام تنعيلاً. ووضع اسورة الخدمة الكهنوتية في يديها وضعاً. وبالإنجيل قد طوّق عنقها تطويقاً. وعطّر بروائح الحياة الذكية انفها. وختن بأقراط الكلمة الإلهية أذنيها ختناً روحياً. ووضع فكر الإله المتجسِّد تاج جمال فوق رأسها. وسكب سميذ البر وعسل الحب وزيت الروح القدس في فمها وحلقها طعاماً. فخرج لذلك بين الأمم اسمها وعرف بين شعوب الأرض جمالها (حز١٦ :٦ ـ١٤).

والآن فكيف لا تغدو الوم الكنيسة العالمية وهذه الخيانة السافرة زوجة روحية زانية ولعهد مسيحها بالفداء ناسقة؟ كيف لا والكنيسة اليوم راحت تتعبد لأصنام الفضة والذهب وفي شخص ديمتريوس وصناعه تعبداً وهي تصيح في الذهب لا ساعتين بل

دهرين "عظيمة هي ارطاميس الافسسيين" (أع١٩ :٢٣-٤١)؟ كيف لا وهي تُبخر اليوم أمام تمثال الذهب الذي قد نصبه نبوخذنصر في بابل ما خلا شدراخ وميشاخ وعبدنغو البقية الباقية ممن شعب الله (دا٣ :١-٣٠)؟ كيف لا وهي تتعبد اليوم لداجون الذاتي وعجلها الصنمي الأناني في صومها تارة وفي صلاتها تارة أخرى وفي صدقتها مرة وفي خدماتها مرة اخرى ولسان حالها يقول مع المسيح لم اصلب ليحيا المسيح بل الذات ليحيا فيّ. وهكذا راحت الكنيسة العالمية اليوم تتعبّد للعظمة الدينية في شخوص أنبيائها ومعلميها الكذبة ماعدا نيقوديموس حيناً وتتعبد للعظمة العالمية وفي شخص داريوس ما خلا دانيال حيناً آخر (دا٦ :١_٢٨) بل تتعبد لشهوة الجنس وفي شخص حواء جليسة الحية احياناً؟ فكيف لا تكون اذن كنيسة اليوم عن محبة المسيح زانية وعن إنجيل الخلاص جامحة؟

اجَل إن كنيسة اليوم قد زنت بالفلسفات الإلحادية في عقلها وبأعمال الجسد في قلبها وبأصنام العالم في ضميرها وذلك ليس بالسيف والاضطهاد ولا بدافع الفقر والمجاعات وسائر الاحتياجات، شأن بعض الزواني الجسديات. بل بدافع البطر والدلال والتشحّم بالشهوة القبيحة في الليل والنهار. والتحرق المذيب للخطيئة طعمة النار. من اجل ذلك راحت كنيسة الجسد اليوم تفرِّط بمقادس التجسد والفداء لاجل أكلة عدس ولاجل قميص شنعاري ولاجل لسان من ذهب، بل من اجل ثلاثين من الفضة. ولهذا قد تمَّت بحقها الكلمة المكتوبة "فزنيت مع جيرانك ولم تشبعي. إذ فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة. لم تكوني كزانية بل محتقرة الأجرة"(حز١٦: ١٥-٥٠). لذلك اسمعي اليوم ايتها الكنيسة كلمة الرب لعلك تتوبين وهو يقول لك 'ولكني اذكر عهدي معك في أيام صباك واقيم لك عهداً أبدياً. فتذكرين طرقك وتخجلين إذ تقبلين أخواتك الكبر والصغر واجعلهن لك

بنات ولكن لا بعهدك ,أنا أقيم عهدي معك فتعلمين ابي أنا الرب لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فالـ. بعد بسبب خزيك حين اغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب" (حز١٦ :٦٠_٦٣). وهكذا تهتفين مع النبي اشعياء قائلة "فرحاً افرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي. لانه قد ألبسني ثياب الخلاص وكساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزيَّن بحليها (اش٦١ :١٠).

وامّا أنت يا هوشع الكاهن العظيم الواقف أمام مذبح الله والشيطان قائم عن يمينك ليقاومك. فأنزع أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك بالتوبة الثياب القذرة والبسوا بالقداسة ثياباً مزخرفةً وعمامةً على الرؤوس طاهرة. ذلك لأنكم رجال آية وقضاة بيت وحافظوا ديار (زك٣ :٣_١٠). ولسان حالكم يقول مع الرسول بولس "إنّها ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا قد تناهى الليل وتقارب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر. لا بالمضاجع والعهر. لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لاجل الشهوات" (رو١٣: ١١-١٤). وإلا إن لم تتوبوا فجميعكم تهلكون".

٣ب- قد غسلت رجليّ فكيف أوسخهما

يالها من مغالطة للكنيسة سافرة وحجّة لها في الحياة ساقطة وفريسية في الرياء كاذبة. لأنه من الذي يغسل قذارة الرجلين؟ المسيح أم الكنيسة؟ ليست الكنيسة بل المسيح هو الذي يغسل أقدام تلاميذه منذ أمس وما قبل. ليكونوا هكذا أنقياء ما خلا ابن الهلاك. فبأي حق إذاً غدت الكنيسة اليوم تدعي بهذا الحق وهي تقول "قد غسلت رجليّ فكيف أوسخهما"؟ اهو غسل من أعمال الجسد حقاً. اهو غسل من الفساد الذي في العالم يقيناً؟ اهو غسل من الذنوب والخطايا التي حسب اله هذا

الدهر حسب رئيس سلطان الهواء الذي يعمل في أبناء المعصية أكيداً (اف٢: ١-٢
)؟ أم أن غسلك اليوم ايتها الكنيسة إنما هو غسل أباريق وكؤوس وتنظيف
خارجي للكأس والصفحة وتبييض لقبور لموتى (مت٢٣: ٢٥-٢٦). أتسمين مثل
هذا غسلاً وتنظيفاً ايتها الكنيسة؟

اجل قد غسلت رجليك اليوم ولكن ليس من الإثم بل من البر. ليس من كسل
النوم بل من غبار الجهاد. ليس من تملقات الأغنياء بل من أتربة أكواخ الفقراء.
ليس من روح الدلال والبطر بل من روح التضحية (روح المسيح المصلوب). ليس
من روح الرياء والمحاباة والأخذ بالوجوه بل من روح الحق. أليس كذلك يا قادة
كنيسة الدهر الصغار منهم والكبار؟ لذلك لنسمعن إنذارات الروح القدس إليك
بلسان الرسول يعقوب وهو يقول "لانه إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب في
لباس بهي ودخل أيضاً فقير بلباس وسخ فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم له
اجلس أنت هنا حسناً وقلتم للفقير قف أنت هناك أو اجلس تحت مؤطي قدمي
فهل لا ترتابون في أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة. اسمعوا يا اخوتي الأحباء.
أما اختار الله فقراء العالم أغنياء في الإيمان وورثة الملكوت الذي وعد به الذين
يحبونه؟ واما انتم فاهنتم الفقير. أليس الأغنياء يتسلطون عليكم وهم يجرونكم إلى
المحاكم؟ واما هم يجدفون على الاسم الحسن الذي دعي به عليكم. فإن كنتم
تكملون الناموس الملوكي حسب الكتاب "تحب قريبك كنفسك فحسناً تفعلون
ولكن إن كنتم تحابون تفعلون خطيئة موبخين من الناموس كمتعدين" (يع١٢: ١-
٩).

"واما أنت يا كفرناحوم المرتفعة بكبريائها إلى السماء ستهبطين هكذا إلى الهاوية إن لم تتوبي إلى المسيح بقلبك وتعرفي زمان افتقادك. نعم في يوم واحد ستأتي ضرباتك يا بابل العصور المتأخرة. "موت وحزن وجوع واحتراق بالنار. لانك تقولين في قلبك. أنا جالسة ملكة ولست أرملة ولن أرى حزناً" رؤ١٨: ٧-٨). "فمجدت نفسك تمجيداً" ولبست الأرجوان والبز وأنت تتنعمين كل يوم بالدلال مترفهة" (لو ١٦: ١٩). وليس ذلك فحسب بل تقزّزاً تتقززين من اليعازر المسكين وقد طرح عند أبوابك النحاسية والفضية طرح الكلاب مضروباً بالقروح وهو يعوي من الجوع والمرض والجروح عواء مرعباً(لو١٦: ٢١).

قولي لي ايتها الكنيسة المترفهة ما الذي تقولينه اليوم لأولئك المطروحين قدام أبوابك كالكلاب وهم يئنون أنين الجوع والحرمان وليس في مقدورهم أن يشبعوا حتى من الفتات الساقطة من موائدك الدسمة؟ إلاّ كفاك سمنةً وتشحماً يا دليلة وبطراً وسكراً يا بيزنطينية واضطجاعاً وفسقاً يا بابلية بل كذباً ورياءً يافريسية. لانه سيكون لسدوم وعمورا يوم الدين حالة اكثر احتمالاً منك إن لم تعرفي اليوم إثمك ويغسل المسيح قدميك ولتغسلي بالتالي أنت أقدام اخوانك وأخواتك. وإلاّ فاعلمي بأن الخطاة والعشارين سيسبقونك إلى ملكوت الله لا محالة.

ألا تذكري أيتها الكنيسة أقدام المسيح وقد جالت تصنع خيراً وتشفي جميع المتسلط عليهم إبليس. اذكريها وقد عَلَت فوقها الأتربة في طريق عمواس وفي ارض جنيسارت وفي كورة الجدريين وربوع الجليل وأزقة كفرناحوم وفي قرى السامريين وأخيراً الدماء في طريق الجلجثة. اذكري أقدام المسيح الملطخة بالدماء والدموع والمغبرة بأتربة أكواخ الفقراء في اقدام رسله القديسين وهي تسير في طريق دمشق

والسامرة. في العربية وانطاكية. في كورنثوس واثينا. بل في مشارق الأرض ومغاربها.

ألا بوركت يا اقدام رسل فادينا لانك فتحت للمسيح بلداناً طالما كانت للشياطين قلاعاً وامتلكت أمماً طالما كانت لملك الظلام ميراثاً وسلكت طرقاً كانت بالحيّات والعقارب مزروعةً. اقدام لم تعرف للراحة في سبيل الإنجيل معنى ولا للنوم من اجل الكلمة فحوى بل راحت تفتح طرقاً وعرةً كانت ولا تزال بالشدائد ملغومةً وبالاضطرابات والأتعاب والاسهار مشحونةً (٢كو٦ :٤ـ٨).

إيه أيتها الكنيسة الرسولية المحبوبة "ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيك مثل الحليّ. صنعة يدي صنّاع" (نش٧ :١). كيف لا وقد جُلتِ برجليك هاتين في البر تارة وفي البحر تارة أخرى. في السجون مرة وفي الآتون مرة أخرى. في القصور فترة وبين شقوق الصخور فترة أخرى وأنت زاهية كالوعلة فوق الجبال وفي قفزاتك جميلة وكالآيلة محبوبة فكيف لا يحلو لنا الجلوس عند اقدامك اليوم واقدامك إنما هي اقدام المسيح؟

فماذا اليوم ايتها الكنيسة المعاصرة؟أيحسب غبار أقدام الرسل قذارة وجراحات أجسادهم حماقة وصليب يسوع في قديسيه عاراً وشناراً؟ أتحسبين نظافة أقدامك اليوم عن الخدمة وتنصُّلها عن التضحية طهارة وثقافة وكرامة؟ حقاً قد تمت فيك أقوال النبي اشعياء "ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً. الجاعلين الظلام نورا ًوالنور ظلاماً. الجاعلين المُر حلواً والحلو مراً. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم (اش٥ :٢٠).

فإلى مغسل المسيح أيتها الكنيسة المتّسخة بالبر الذاتي أقدامها. والى حمامات الدم الفدائي في المسيح ايتها التي تترف على رجليها وأقدامها كنازفة الدم. والى برك الروح القدس وأنهاره العميقة يامن باتت اليوم لنعمان الأبرص السرياني سليلة وخليلة. لانه كفاك أن تتولي مع بطرس "لن تغسل رجلي أبداً" بل بالحري قولي مع داؤد انكساراً "اغسلني يا رب من اثمي ومن خطيئتي طهرني".

واما أنت يا بطرس لا تقل لرب المجد "يا سيد أأنت تغسل رجلي؟ (يو١٣: ٦). لن تغسل رجلي أبداً (يو١٢: ٨)... يا سيد ليس رجلي فقط بل أيضاً يدي ورأسي(يو١٣: ٩). بل إلى هاتيك الحمامات القدمية والمغاسل الإنجيلية والتطهيرات الفدائية يا جميع خدام كنائس الله فتتعلموا أن تدخلوا بيت سمعان الدباغ (اع١٠-٣٢) حيث الفقر والحرمان وبيت كرنيليوس قائد المئة حيث الغنى والجاه (اع ١٠ : ٢٥) بأقدام جديدة ومسالك طاهرة على حد سواء. نعم بهذه الأقدام الطاهرة الجديدة وليس بغيرها تقدرون أن تنحدروا إلى السامرة مع فيليبس لتكرزوا لهم بالمسيح وتترلوا إلى غزة لتبشروا وتعمّدوا الخصي الحبشي (اع٨ :٥-٤٠) وتدخلوا بيت ليديا بياعة الأرجوان في ثياتيرا مع الرسولين بولس وسيلا (اع٦ :١٤_١٥) بل تطوفوا الخليقة كلها بروح الرسل بعدما يغسل المسيح أقدامكم من الخطيئة ويُنعلها بالتخس. أذن فحذارِ ايتها الكنيسة من أن تغسلي اقدامك بيديك أنت. لانّ بذلك تغسلين بر المسيح ببرك الذاتي فبالأكثر تتنجسين.

وأما أنتِ يا نفسي فرافقي أقدام المسيح في عذرائه فوق الجبال وهي في طريقها إلى بيت زكريا لتسلم على اليصابات نسيبتها. واغسلي أقدام المسيح في قديسيه وقد وصلت إليك مبشرة بالمسيح مصلوباً. بل تسميراً تسمري عند هاتيك القاعدة

حيث قد سُمِّرت هاتيك الأقدام الإلهية بالصليب لكي تُغسلي من أتربة خطاياك ليس أقداماً فحسب بل رأساً وأيدياً كذلك.

٤- حبيبي مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائي

الخطيئة دائماً تقفل الأبواب السماوية والبر يفتحها. الشر يسدَّ المنافذ الروحية والخير يفكها. والعداء يغلق الكوى والحب يفتحها. وهل من شقاء أكثف من سد الأبواب الإلهية وإقفال المنافذ السماوية واحكام الكوى؟ الواقع الذي قد حصل للإنسان منذ البدء بالخطيئة التي لا تزال تسد الأبواب الإلهية في وجه الإنسان وتفتح له أبواباً سفلية سحيقة هي أبواب الموت وكوى القبور.

على أن ثمة كوة سماوية قد فُتحت للحبيب من العالم الاسنى لتطل على العالم الأدنى(عالم الإنسان). هي كوى الحب بالصليب ومنها قد مدَّ المسيح الحبيب يده للإنسان فأنّت له الأحشاء. كان ذلك يوم انفتحت في جسم بشرية المسيح المصلوب اكثر من كوة حبية ونافذة فدائية راحت تبتلع بدورها كوى الموت ومنافذ الخطيئة وابواب الجحيم وتطلق بالقيامة المأسورين أحراراً. فمن خلال كوة قلبه تطلع المسيح إلى قلب الإنسان فافتداه من الإثم فداء. ومن كوى يديه نظر المسيح إلى يدي الإنسان فافتداها من الطمع والغش والاستغلال. ومن كوى رجليه تطلع المسيح إلى رجلي الإنسان فافتداها من مسالك الشر وسفك الدماء. ومن كوى رأسه ومنافذ شوكه تطلع المسيح إلى أفكار الإنسان فافتداها من الجهل والأباطيل فداء. كلّ ذلك "لأنه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣ :١٦).

وهكذا بات الإنسان وهذا الواقع الإلهي الفدائي ملزماً هو الآخر أن يتطلع إلى المسيح من خلال هذه الكوى الحبيّة ليتوب عن الخطيئة في قلبه ورجليه ويديه وعقله وجميع عناصر حياته ومكونات وجوده، طالما لاجله "واحد من العسكر قد طعن جنب المسيح بحربة وللوقت خرج دم وماء والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم" (يو١٩: ٢٤-٢٥).

إذاً المسيح هو وحده القادر أن يفتح في السماء باباً وفي السفينة طاقةً وللإنسان الخاطئ منفذاً ليطل من خلالها على عالم الفجّار وقد أخذهم الطوفان أخذاً مرعباً (تك٨ :٦). وهو الوحيد العزيز القادر أن يفتح سفر الحياة المقفل ويفكَّ ختومه السبعة فكاً كاملاً (رؤ٥ :٥). كيف لا وهو القابض على مفاتيح العلو والعمق والهاوية والموت؟ لأنه يفتح وليس من يغلق ويغلق وليس من يفتح. كيف لا وهو بالصليب قد فتح للإنسان قلبه ليرى من خلاله الله كما هو في حبِّه وحنانه والسماء كما هي في مجدها؟ بل من خلال كوة قلبه هذه راح المسيح ولا يزال يمد يده إلى قلوب البشر الجامدة بالخطيئة والمائتة بالشر ليحركها بالحب والحياة. وبأصابع حبِّه العشرة راح يفتح عيون الذهن فيرى الإنسان النافذة وقد فُتِحت والطاقة وقد ثُلمت والكوة القلبية الحياتية وقد ثُقبت.

إذاً لا بد للإنسان من كوة بينه وبين خالقه. وباب مفتوح بينه وبين فاديه. وذلك ليخلص من جحيمه ويخرج من عزلته ويتطلع إلى غير نفسه. ولكن مما يزيد في جحيم الإنسان وشقائه هو عدم قناعته بأهمية الكوة الفدائية هذه باعتبارها جهالة وحماقة كقول الرسول بولس "لان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة. وأما عندنا نحن المؤمنون فهي قوة الله". لذلك راح هؤلاء المؤمنون الهالكون يفتحون لانفسهم

كوى ذاتية وأبواباً عالمية سفلية ومنافذ جسدية جانبية، أضاعوا فيها حياتهم وخسروا بين عتباتها إنسانيتهم. ولكن رغم إنسانيتهم الممزقة وكرامتهم المجرحة وحياتهم المبعثرة ما بين الأبواب البشرية، لا يزالون يتعامون عن رؤية الكوة الفدائية في المسيح. ولسان حالهم يقول مع ملاك كنيسة اللاودكيين "أنا غني وقد استغنيت ولاحاجة لي إلى شئ". وأمّا الرب فيجيبهم قائلاً " أنتم الشقاة والبؤساء والفقراء والعميان والعراة. أشير عليكم أن تشتروا مني ذهباً مصفى بنار لكي تستغنوا. وثياباً بيضاً لكي تلبسوا. فلا يظهر خزي عورتكم. وكحلوا عيونكم بكحل لكي تبصروا. لاني كل من احبه أوبخه واودبه. فكونوا غيورين وتوبوا. ها أنذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل إليه واتعشى معه وهو معي" (رؤ٣: ١٧-٢٠)

والآن من عسى أن يكون الصادق في أبوابه.الأمين في كواه.العزيز في طاقاته؟ الإنسان الخاطئ بأفكاره، أم ابن الإنسان (المسيح) البار بأفكاره والكامل بأحكامه؟ إن وقائع الحياة بأسرها تدلّل ولكل العصور والظروف على إخفاق الإنسان في فتحه لأبواب الحياة وتشخيصه لكوى الحب والحقيقة، طالما هو يعتمد الذوات البشرية أبواباً والأفكار الإنسانية المجردة والمبعثرة منافذاً. كما أن اختبارات القديسين هي الأخرى تدلّل وبصورة قاطعة على الحياة بملئها طالما تعتمد المسيح الحبيب في صليبه باباً وفي جراحاته للمحبة كوىً. فالإنسان إذاً هو هو بمرارة حياته وضربة قلبه وجراحات ضميره وثلم أبوابه . والمسيح كذلك هو هو بمرارة صليبه وطعنة قلبه وفتح جراحاته وأبوابه. ولكن تلك أبواب شيطانية تطل على الجحيم بعذاباتها. وهذه أبواب إلهية تطل على السماء بملذاتها. لذلك أمسى المسيح بإنجيله يدعو إليه كل حفاري القبور وجميع فاتحي كوى الجحيم بقوله "تأتي ساعة حين يسمع جميع من في القبور صوت ابن الله والسامعون يحيون. فيخرج الذين فعلوا

الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو٥: ٢٨-٢٩).

حقاً المسيح باب، إن دخل به أحد يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى (يو١٠ :٩). ففيه يخلص الإنسان من عقد خطاياه وسلاسل شروره وسجون انانياته ومعتقلات أباطيله ويخرج من حفر قلبه وابواب شهواته وكوى عالمه وجسده وهو يتطلع إلى كوى المسيح الحبية وجراحاته الحياتية، لينتفض من هاتيك الكوة المفتوحة في قبر المسيح بقيامته من الأموات ويدخل ذياك الباب المفتوح في السماء بصعوده. أجل هناك وفي ما وراء هاتيك الأبواب الفدائية والشبابيك الإنجيلية والكوى الخلاصية يجد الإنسان الجائع الشبع والمرعى والماء والدواء والاكتفاء. والى هاتيك الكوى بنوعيها الجهنمية الذاتية والسماوية الفدائية أشار الرسول بولس بقوله "وانتم إذ كنتم أموات بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء. الروح الذي يعمل في أبناء المعصية. الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم بشهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً. الله الذي هو غني في الرحمة من اجل محبته الكثيرة التي احبنا ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة انتم مخلصون واقامنا معه واجلسنا معه في السماوات في المسيح يسوع" (اف٢: ١-٦).

واما الآن فكما أن للمسيح أبواباً يدخل من خلالها الإنسان، هي جراحات رأسه وقلبه ويديه ورجليه ومنطلقات موته وقيامته وصعوده. فللإنسان كذلك أبواباً وكوىً يدخل منها المسيح إليه وهي أبواب عقله وقلبه وضميره وذهنه وحواس جسده وروحه ونفسه. أفليس قلب الإنسان باب رئيسي يدخل منه المسيح للإنسان لإحيائه كما هو مكتوب "ها انذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد

صوتي وفتح الباب ادخل إليه واتعشى معه" (رؤ٣ :٢٠). أليس العقل هو النافذة التي يدخل منها المسيح للإنسان ليمنحه النور والحكمة كقول الرسول بطرس "وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنمو به" (١بط٢ : ٢). أليس ذهن الإنسان هو الكوة التي من خلالها تنفذ أشعة إنجيل المسيح كقول الرسول بولس "كي يعطينا اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (اف١ :١٨)؟ أليس ضمير الإنسان هو الطاقة التي يزرع فيها المسيح بذور الحق والإيمان والمحبة كقول الرسول بولس "أما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء " (١تي١ :٥). أليست إرادة الإنسان هي المفتاح الخفي لهاتيك الأبواب وان الإنسان بعقله وروحه ونفسه وجسده وذهنه هو موضوع اهتمامات الله كقول الرسول بولس "فاطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو١٢ :١_٢). حقاً من خلال هاتيك المنافذ الحياتية والحواس البشرية والكوى الإنسانية يمد المسيح الحبيب يده للإنسان فتئن عليه أحشاؤه بل يدخل بروحه إلى أعماق الإنسان ليشدده بالقوة ويعمره بالإيمان ويؤسسه بالمحبة كقول الرسول بولس "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتايدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وانتم متاصلون ومتاسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (اف٣: ١٦-١٩). فالمسيح إذن لا يزال يمد يده للإنسان كحبيب من خلال

هذه الكوى بإنجيله ويدغدغ أحشاءه بأصابع كلماته وينخس جنباته بأسرار كنيسته ليفتح الأبواب ويفك الكوى ويرفع الطاقات.

والآن ايتها الكنيسة اتئنين اليوم بأحشائك أنين الحب والفرح للمسيح الحبيب كانين العذراء حينما دغدغ الروح القدس قلبها وتحرك جنين الحياة الأبدية (المسيح) في أحشائها فراحت من ثم تقول "يفرح قلبي بالرب وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لو١: ٤٦). أتئنّين اليوم أنين كنيسة الرسل والقديسين وتقولين معهم "نحن أنفسنا نئنّ متوقعين التبني فداء أجسادنا" (رو٨ :٢٣). اتئنين اليوم أنين كنيسة القديسين كقول الرسول بولس "وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا" (رو٨: ٢٣). وهل لك اليوم حقاً أن تقولي مع تلميذي عمواس "ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا. إذ كان يكلّمنا بالطريق ويوضح لنا الكتب" (لو٢٤ :٣٢). فإن كان قلبك اليوم مشتعلاً بمحبة المسيح وأحشاؤك هكذا تئنّ بروحه أنينا، فأنت بحق ابنة العذراء مريم وسائر العذارى الحكيمات الرسوليات. وإن لم تكوني كذلك فلا تكذبي على الحق لانك لست كنيسة المسيح المقصودة بل كنيسة العالم المزعومة .فلك صورة التقوى ولكنك ناكرة لقوتها ولك مصابيحك الشكلية ولكن من دون زيت.

فمن هو حبيبك الأول اليوم ايتها الكنيسة، المسيح أم العالم أم الجسد أم الناس؟ ومن هو الذي يمد اليوم يده إلى كواك ليتعامل مع أحشائك، المسيح أم ضد المسيح. البر أم الإثم. الحب أم العداء. ابن الإنسان أم الإنسان. المال الباقي أم المال الفاني؟

فأين نحن اليوم أيّتها الكنيسة الجامدة أحشاؤها من هاتيك العوسجة العذراوية المشتعلة أحشاؤها والعوسجة الرسولية الملتهبة عواطفها؟ حقاً تنطفئ اليوم من الموقد

جمراتنا وتخمد في القلوب نيراننا إن أقفلنا الطاقة العليا في السفينة والكوة الفدائ
في الكنيسة.

وأمّا أنت يا دانيال الكنيسة المسبيّة فأصعد إلى العليّة وكوِاك مفتوحة نحو أورشلي
السماوية واجثو للرب على ركبتيك في اليوم ثلاث مرات ليمد الحبيب اليد إ
أحشائك وإذاّك تستطيعُ أن تتحدى داريوس في سلطانه وتبكم أفواه الأسود
أعوانه (دا٦: ١٠-٢٨). وتخبر عن مجيء الحبيب بين أسرار نبواته.

٥- قمت لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مراً وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل

نعم الكنيسة المختارة مطبوعة في قلب الله منذ الأزل البعيد. لذلك ما أن استمعـ
إلى صوته الحبي من فوق الصليب حتى استفاقت من نومها العميق وبادر
لاستقباله تفتح الأبواب. ففتحت له القلب ليجلس عليه ملكاً متوجاً. والضمـ
ليقدسه بالحق معززاً. والعقل ليحصنه بالعلم منوراً. والإنسان الباطن والإنسا
الظاهر، الروحي والجسدي فيبنيه بالفداء والقيامة حصناً منيعاً. حتى غدت الكنيس
وهذا الاختبار الأزلي الفدائي مُلزَمة بسد كافة هذه الأبواب في وجه الغرباء وعد
فتحها إلا للمسيح وللمسيح وحده. وذلك لتكون بالحق كنيسة أمينة. واما أ
فتحت الكنيسة الأبواب هكذا للجواسيس والمنافذ هكذا للصوص والكوى هكذ
للقتلة ليسرقوا ويقتلوا ويذبحوا (يو١٠: ١٠) فلم تعد تسمى للمسيح زوجة أمين
بل زوجة خائنة وخطيبة جامحة.

فماذا إذاً أتفتح الكنيسة الأبواب الحياتية للزوج الشرعي (المسيح)حيناً وللأزوا
الخمسة والسبعة أحياناً؟ أفلا تتنجس تلك الأرض نجاسة وتطلق طلاقاً؟ أما الزوج
الحرة سارة إبراهيم والتي هي أمنا جميعاً، كنيسة الأبكار المكتوبين، فلقد أبت أ

تفتح باباً واحداً من أبواب مدينتها لبابلي وتفك كوة لآشوري ونافذة لفينيقي، بل وطاقة لمدياني، طالما المسيح قد دخل المدينة بالحب وسادها بالحق واقفل وراءه الأبواب. فلا عجب إذا ما رأينا الكنيسة الأمينة هذه تفتح الأبواب للحبيب مصلوباً ويداها تقطران مراً وأصابعها مر قاطر على مقبض القفل. لأنه كيف استطاعت كنيسة القديسين هذه أن تسدَّ الأبواب في وجه هيرودس ونيرون ودقلديانوس وشابور وجميع أعوان الشيطان؟ وتقفل المنافذ في وجه اليهودية الغاشمة والفريسية المحتالة والصدوقية الملحدة وتنزل الطاقة في وجه الوثنية العاتية وتكسِّر فوق العتبات أصنامها وداجونها؟ بل كيف قدرت الكنيسة المقدسة هذه أن تترك فيما وراء أسوارها "الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً" (رؤ٢٢ :١٥)؟ أليس بقوة المسيح قد استطاعت الكنيسة كل ذلك وتستطيع طالما هو في وسطها قائم ولأبوابها فاتح وغالق وعلى مقدراتها سيد وسلطان طالما الكنيسة تفتح له الأبواب وحيداً ويداها تقطران مراً وأصابعها مر قاطر على مقبض القفل.

ولكن ما عسى أن تكون يدا الكنيسة هذه وهما تقطران مراً؟ أليست يدا الكنيسة هذه هما كتفي الكنيسة الختانية والاممية؟ كقول الرسول بولس "لانه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحد. ونقض حائط السياج المتوسط أي (العداوة). مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه أنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم بسلام انتم البعيدين والقريبين لانه به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاء. بل رعية مع القديسين واهل بيت الله مبنيين على أساس الرسل والأنبياء. ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء

مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب الذي فيه انتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح القدس" (اف٢: ١٤-٢٢)؟

أليست يدا الكنيسة هذه هي جسد الرب ودمه وهما يقطران مراً مائعاً وغفراناً منسكباً كقول الرب "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية"؟ أليست أصابع الكنيسة وهي على مقبض القفل تقطر مراً هي أنابيب نعمها وأصابع تعليمها ووصايا ناموسها والتي قد وضعها الرب في وصيتين اثنتين ويدين اثنتين هما "أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وان تحب قريبك كنفسك" (لو١٠ :٢٧)؟ لانه بهاتين الوصيتين بل اليدين "يتعلق الناموس كلّه والأنبياء". بل أليست أصابع الكنيسة العشرة هذه والتي تقطر مراً على مقبض القفل (قفل الحياة المسيح) هي مطلق جماهير القديسين وهي تشير مع يوحنا المعمدان كأصابع حية إلى ذاك الحمل المذبوح وهو يرفع خطية العالم؟ لإنه إن كانت الكنيسة المقدسة هي جسد المسيح السري كقول الرسول بولس فيكون القديسون أصابع هذا الجسد بالضرورة بل عينيه وأذنيه ويديه ورجليه(١كو١٢: ١٣-٢١).

إذاً القديسون وهم قد باتوا هكذا للكنيسة ايدياً وأصابع يقطرون مراً وروحاً مقدساً هم القابضون على المفاتيح ليفتحوا للمسيح قلوباً طالما قد أُقفلت ونفوساً طالما قد سُدَّت، بل كيف تقدر الكنيسة حقاً أن تبشر بالإنجيل وتفتح به قلوب الخطاة وقد سدها الشيطان سداً ومن دون هذه الأصابع وقد غطست في المر والروح القدس غطساً؟ أليس كذلك يا جميع الذين قد صعدوا إلى العلية يوم الخمسين (اع٢: ١-٤) كيدٍ ختانية؟ أليس كذلك يا جميع الذين قد اجتمعوا في بيت كرنيليوس في قيصرية كيدٍ أممية (اع١٠: ٤٤-٤٥)؟ أليس كذلك أيها الرسول بولس وأنت في طريقك إلى دمشق لتقطع اليدين وتقص الأصابع ولكنك

بعدما قابلت المسيح لم تعد يداك تقطران دماً بل مراً على مقبض القفل (اع٩: ١-١٩)؟

والآن فأين هي الكنيسة اليوم من هاتيك الكنيسة ومن يديها وأصابعها ومرها؟ بل وأين نحن اليوم من المفاتيح الروحية لتفتح قلوب الخطاة بالتوبة والإيمان بالمسيح؟ ولكن الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلاِ تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت٢٣ : ١٣). لانه هكذا قد صرنا اليوم كالفريسين نسد أبواب ملكوت الله في وجوه الناس بدل أن نفتحها لهم كقديسين بالإنجيل وذلك بتعبدنا للفضة وتطمعنا للشهرة وتحرقنا للشهوة، بل بانقسامنا شيعاً ونومنا رعاة وإعثارنا للبسطاء كهنة وإلحادنا بإنجيل المسيح اكليروساً وشعباً، بل بقيامنا بممارسات دينية وتحت غطاء من الطقس رياء.

نعم أيتها الكنيسة. لك اليوم اليدين ولكنهما متهدلتان ولك كذلك أصابعك لكنها من عظام لا ميرون فيها ولا مر. فكيف تفتحين إذاً الأقفال والأبواب بيدين مرتجفتين وبأصابع متيبسة؟ فالى الكنيسة ألام ذات السواعد الفتية والأصابع العشرة المدهونة بالمر والروح القدس ايتها الكنيسة العجوز والى العذراء مريم بأيديها المطوَّقة للبر الأبدي وأصابعها الماسكة بالمر السرمدي ايتها الكنيسة المسترخية الأيدي والمحلولة الأصابع، بل إلى قارورة الطيب في هذه وتلك يا قارورة عند المعصرة فارغة وجرَّة سامرية عند البئر منكسرة.

واما أنت أيها الإصبع وأمّا أنت يا بطرس، فأفتح القفل الداخلي للمسيح الحبيب ولكن ليس من دون مر وروح قدس لئلا ينكسر القفل ويتعسر فتح الباب إلى الأبد كما هو مكتوب "لأنه لا يقدر أحد أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس".

فقال لهم أيضاً "وانتم من تقولون إني أنا. فاجاب سمعان بطرس وقال أنت المسيح ابن الله الحي فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السماوات... واعطيك مفاتيح ملكوت السماوات" (مت١٦ :١٥_١٩). إذاً يا بطرس الإصبع، لك أن تفتح الأبواب ولك أن تغلقها، ولكن ليكن هذا وذاك بإصبع قاطر بالمر على مقبض القفل وبالروح القدس الفاتح الأبواب.

٦- فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر. نفسي خرجت عندما أدبر. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابني

"يا لعمق غنى الله وحكمته. ما ابعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لأنه من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً" (رو١١: ٣٣-٣٤). لأننا نرى الحبيبة تقوم من نومها وتفتح الباب للحبيب وذلك بعدما طرق على أبوابها الحياتية طويلاً. ولكن رغم فتحها الباب نرى الحبيب المسيح يتحول عنها ويعبر ويغيب عن أبصارها صامتاً متخفياً رغم طلبات الحبيبة وتوسلاتها الأخيرة. وذلك كله لغاية هي في قلب المسيح مجيدة ولغة في حياة المحبين حكيمة. لأننا كثيراً ما نرى الحبيب الجنسي يجافي حبيبته لا لكونه لا يحبها بل لكي يؤدبها تأديباً بسبب انحرافاتها الجنسية الناجمة عن الجهل تارة وعن الضعف تارة أخرى وبقصد شيطاني مباشر تارة ثالثة. وفي سلبيات للحبيبة كهذه يلجا الحبيب إلى التأديب بأنواع وطرق كثيرة ليوقظ في الحبيبة ضميراً ويبعث فيها الحب الأول نقياً طاهراً ولتقطع علاقاتها المشبوهة مع الآخرين. وهذا عين ما يتصرف به المسيح من نحو كنيسته وهي تزني بأصنام الشعوب روحياً وتستهتر بتوسلاته على الأبواب أياماً. لذلك حينما تقوم بالتالي لتفتح له الباب نراه يتحول عنها ويدبر. لا لكونه لا يحبها بل ليذكرها

بخيانتها ويؤدِّبها بعصا الحب والفداء تأديباً وهكذا يقطع عنها آخر خيط يشدّها مع المحبين الفاسقين.

حقاً لا يوجد في الوجود ألم يضاهي ألم الحبيب الكريم الناجم عن خيانة الحبيبة. كما ولا يوجد في الحياة ألم أدق من ألم المسيح لاجل خيانة الكنيسة. وما صليب المسيح بكل أبعاده سوى التعبير المطلق عن هذا الألم المروع. فكيف لا تستحق الكنيسة إذاً وآلام الصليب هذه تأديبات قاسية لتقويمها؟ لذلك يتحول المسيح عنها ويدبر لتتمخض بالآلام وتختبر عملياً نخسات الحب وحرقات الفراق وان تمر في دور الفطام هذا وتعبر المحن وتجتاز التجارب وتكتوي بالنار وتشبع من مرارة الفراق وترتوي من حرمان الحب.

اجل هذه هي برية الكنيسة القاحلة وتجربتها التأديبية القاسية وسيناؤها الناشفة، حيث تختبر ضعفاتها وتتحسس نقائصها وتشخص عيوبها وترى من غير حبيبها جحيمها. فتنهال عليها المطارق تباعاً وتكوي النار جنباتها احتراقاً وينقلب عليها العاشقون انقلاباً حتى إذا ما عرفت نفسها بالتجربة معرفة وثمنت الحب الفدائي تثميناً تعود فتراه فتمسكه ولا ترخه فيما بعد.

ولكن ما اعظم الفرق بين آلام الحبيبة الخائنة هذه وآلام الحبيبة الأمينة تلك؟ هذه ألام تأديبية وسياط حديدية وجمرات نارية كاوية تقع على الكنيسة بسبب العصيان. واما تلك فآلام مقدسة وميتات مشرّفة تقع على الكنيسة بسبب الإيمان وراحت تعكسها على العالم الشرير بخوراً معطرة بالمر واللبان وبكل اذرة التاجر وهكذا بات لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة (رو٨ :١٨). أما آلام الكنيسة الزانية فهي آلام تيهان في الصحارى وفطام في الشتاء وعُشرة مع خنازير البيداء. إنها آلام

لمصابيح من الزيت في وسط الليالي فارغة، ومذلة بيد نبوخذنصر ثقيلة، وعزلة في قلب البرية موحشة، وميتة في روائح سدوم وعمورا رديئة. إنَّها آلام ارتداد وخيانة للمسيح سافرة حتى راح النبي ارمياء يرثيها رثاء قائلاً "كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب. كيف صارت أرملة العظيمة بين الأمم. السيدة في البلدان. صارت تحت الجزية تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها. ليس من معزٍّ من كل محبيها. كل أصحابها غدروا بها. صاروا لها أعداء. قد أخطأت أورشليم خطيئة. من اجل ذلك صارت رجسة. كل مكرميها يحتقرونها لانهم رأوا عورتها. وهي أيضاً تتنهد وترجع إلى الوراء. نجاساتها في أذيالها. لم تذكر آخرتها. وقد انحطت انحطاطاً عجيباً" (مرا١ :٨_٩).

إذاً آلام الكنيسة اليوم ليست بسبب الإيمان بل بسبب عدم الإيمان، بسبب الخطيئة. من اجل هذا لم يعد المسيح يسمع لها صوتاً وهي تطرق الأبواب بصلواتها، لأنها فريسية بأصوامها، لأنها ناموسية بعشورها، لأنها ريائية بطقوسها، لأنها شكلية برجالاتها، لأنها صنمية. وأمّا عقلها ففي أباطيل العالم مشغول وقلبها في مستنقعات الجسد مرتطم ومفتاح مدينتها في أيدي عظماء هذا الدهر موضوع.فكيف لا والرب يحتج على الشعب قديماً ويقول "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان تيوس ما أُسر. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هي مكرهة لي، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي صارت علي ثقلاً مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم استر عيني عنكم. وإن كثرتم الصلاة لا اسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أعمالكم من أمام عيني وكفوا عن فعل الشر" (اش١ :١٠_١٦).

إذاً على الكنيسة وهذا الواقع السلبي وهي في عزلتها الرهيبة هذه، أن تغتسل من الدنس وتتنقّى من الزؤان وتكفّ عن فعل الشر، بل تتوب إلى الحبيب من القلب. وإذاك ترى حبيبها كما هو في حبّه ومجده. وإلاّ فمن المستحيل عليها أن تنجو من الألم طالما هي في الخطيئة قائمة وفي ظلال الشرور جالسة. لأنه قد كتب عليها الألم حياة. فإما أن تتألم من أجل المسيح للمجد أو تتألم بسبب الخطيئة للهوان.

أما الكنيسة الأولى كنيسة الشهداء والقديسين فلقد تألّمت بأنواع وطرق كثيرة ولكن من اجل شهادة يسوع المسيح حتى راح الرسول بولس يصرخ من هول هاتيك الآلام قائلاً "أننا من أجلك نمات اليوم كله قد حسبنا مثل غنم للذبح" (رو ٨ : ٣٦).

فإلى الكنيسة الأولى حيث يتربع الحق ايتها الكنيسة المنحرفة نحو الباطل. وإلى العذراء مريم حيث يستقر الروح القدس ايتها الكنيسة التي قد رفعت عنها نذر عذراويتها باستقرار روح العالم فيها. بل إلى الحبيب الأول يسوع المسيح الذي قد امتلأ رأسه من الطل وقصصه من ندى الليل وهو يقرع فيك الأبواب ايتها السامريه المتعلقة بالأزواج الخمسة والمتعشقة كالمجدلية بالأصحاب السبعة. وإلاّ فآلام الموت والخطيئة تدمي كأشواك إقدامك وتكوي كجمرات اجنابك وتكسّر كما بمطارق سيقانك وتطعن كما بحراب أحشاءك بل وتذيب فرقة الحبيب المسيح قلبك بين ظلوعك وتقطع عنك الأنفاس.

وأمّا أنت يا نفسي فحذار أن تستهتري بصوت المسيح إليك في إنجيله. في رعود لاهوته. في أصوات فدائه. وفي بروق قيامته. في إشعاعات أسراره. في أنات

قديسيه. وفي صرخات شهدائه. لئلا يتحول هكذا عنك ويعبر فتتحول معه الحياة. حينئذ تشربين الألم افسنتيناً وتأكلين العذاب علقماً.
فهل تتحذرين وتتعقلين؟

٧- وجدني الحرس الطائف في المدينة. ضربوني جرحوني. حفظة الأسوار رفعوا الإزار عني

حقاً إنها لفترة مقاطعة وجفاف ويبوسة قيظ تجتازها الكنيسة اجتيازاً. إنها موقع امتحان وتمحيص وتصفية وبرية تأديب وتدريب. بل أتون بابلي وكأنه محمي بالنار سبعة أضعاف. حينئذ تختبر الكنيسة ضعفاتها وترى نواقصها وتشخص عِللها وتوزن كما في ميزان دقيق شخصيتها بل تتعرف إلى طبيعة نضالها وشخصيات أعدائها. لذلك نراها تجوع تارة وتعطش أخرى ولكن ليس للخبز والماء فحسب، بل لكلمة الله الحيَّة الباقية. وتارة تحارب إبليس ولكن ليس لحماً ودماً. بل رؤساء وسلاطين وأجناد الشر انروحية في السماويات (اف٦ :١٢).

اجل في هذه البرية حيث لا ماء ولا عشب اخضر، يتجمهر حراس المدينة المظلمة على الكنيسة ويضربونها بالسياط ضرباً موجعاً قاسياً، بل يرفعوا عنها الازرار ويكشفوا عورتها كشفاً ويذلونها إذلالاً، وذلك لخلافٍ أصيل بين الحرس الطائف في المدينة والكنيسة أساساً وهدفاً.فكيف لا ينتقم الحرس من الكنيسة هكذا بعدما أعلنت عليه العصيان في المعمودية والإيمان واسقطت عنها جنسية مملكة الشيطان وتجنَّست بجنسية ملكوت الله والمسيح؟

نعم انه ينتقم منها وهيهات أن يكف عن ملاحقتها حتى يوقعها وهي تئن أنين الموت مجرحة بسهام اللصوص في الطريق الواقعة بين أورشليم وأريحا. كيف لا

والشيطان وفي شخصيات أعوانه وحراسه يكره الكنيسة طالما تنتسب إلى المسيح حتى الموت موتاً بالصليب تارة وبالسيف أخرى. غير أن عداوة الحرس هذه للكنيسة تتضاعف كلما عاشت الكنيسة كما يحق لانجيل المسيح. والى هذه العداوة أشار سفر الرؤيا بقوله "ولما رأى التنين انه طرح إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الابن الذكر. فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح" (رؤ١٢ :١٣_١٧). وذلك لان الشيطان يعلم جيدا أن وجود الكنيسة في العالم بل وجود المسيح في الكنيسة يشكّل خطراً مباشراً على مملكته ويطوّح بالتالي إلى الأعماق بتاجه وعرشه وصولجانه. واما الحرب الروحية هذه فستبقى هكذا قائمة طالما هناك مسيح في الكنيسة وشيطان في الحراس والمدينة.

ولكن ما اعظم الفرق بين حرب وحرب وبين روح وروح وبين سلاح وسلاح. فالشيطان يحارب الكنيسة في مواقعه المعروفة، الجسد والعالم وفي حراسه المعينين من رؤساء وسلاطين وولاة وأجناد شر (اف٦ :١٢). ففي حرب له كهذه يرفع فيها رؤساء الكنيسة فوق المشانق ويلقى بأبطالها في وسط الأتون ويزج قادتها في أعماق السجون ويُكبل أمّتها بالقيود والسلاسل ويلقى أساقفتها طعاماً للأسود ويذبح أطفالها بحراب الجنود، بل ويلقى من أعالي الجبال نساؤها بين الحراس أبناء المجون. هذا هو الشيطان وتلك حراسه وهذا هو روحه وتلك أسلحته وأهدافه. ولا عجب في ذلك لان الشيطان كان من البدء قتالاً للناس ولم يثبت في الحق لان ليس فيه حق" (يو٨ :٤٤). وأمّا المسيح فقد جاء ليحارب الشيطان في مواقع الجسد والعالم كذلك. فقد جاء نصره محققاً للإنسان في ألم الصليب وصليب الألم. لانه في الصليب قد أعلن الله مغلوبية الشيطان وذلك لا في المجال الإلهي فحسب بل وفي

المجال الإنساني أيضاً، مجال قديسيه. لذلك فحرب المسيح مع الشيطان وان كانت قد انتهت من حيث المبدأ والمصير وبانتصار المسيح، لكنها ما تزال قائمة هكذا بين الشيطان والكنيسة بصفتها جسد المسيح وتابعاً وذلك تمجيداً للمسيح في جسم بشريته (الكنيسة) وإذلالاً للشيطان فيها. لذلك بات لزاماً على الكنيسة وهي في البرية أن تحارب الشيطان في معركة جسدية داخلية وأخري عالمية خارجية. لانه إن لم تكن الكنيسة في مستوى القديسين وهي متحررة بالمسيح من القوة الشريرة الكامنة في داخلها وتتخلص من شوكة عماليقها الجسديين والتي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان، سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر" (غل٥: ١٩-٢١). فكيف تستطيع أن تغلب الشيطان في ميدانه الآخر، ميدان العالم وتنتصر على ثالوثه الشرير والذي هو "شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة" (لو٢: ١٦). وبتعبير آخر إن لم تكن الكنيسة قد صلبت الجسد مع الأهواء عملياً في حياها بقوة الروح القدس العامل فيها فكيف تقدر أن تصلب ذاها عن العالم وحراسه وحفظة أسواره؟. وإن لم تكن قد تحررت من الذات في داخلها بل عبودية تتعبد له، فكيف تقدر أن تتحرر من سلطة العالم وتسود عليه بالإنجيل سيادة؟

لذلك نقول أن الكنيسة التي تنتصر على الشيطان حقاً هي الكنيسة التي تنتصر عليه في معركة الجسد أولاً وفي معركة العالم ثانياً واما الكنيسة التي تُغلب أمام الشيطان في معركة الجسد فهي مغلوبة له يقيناً في معركة العالم كذلك. اجل الكنيسة لا تقدر يوماً أن تكون في قداستها مسيحاً قدوساً لكنَّها قد دُعيت فيه للقداسة دعوة سماوية كما هو مكتوب "كونوا قديسين كما إنني أيضا قدوس" ولا تقدر أن تكون مسيحاً مصلوباً لكنَّها مدعوة للمشاركة العملية بهذا الصليب كقول الرسول بولس

"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ". كما لا تقدر أن تكون مسيحاً حياً لكنَّها دُعيت إلى هذه الحياة كقول الرسول بولس "لي الحياة في المسيح يسوع والموت هو ربح فما أحياه الآن أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي احبني واسلم نفسه لاجلي" (غل٢ :٢٠). ولا تقدر الكنيسة كذلك أن تكون مسيحاً على الشيطان منتصرة لكنها مدعوة لمحاربة الشيطان في معية المسيح وتحت أمرته كما هو مكتوب "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضا وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ٣ :٢١).

أ فليس من العجب أن يتعبد الناس للشيطان وهو يهدم إنسانيتهم ويتخلون عن المسيح وهو يبني انسانيتهم؟ بل ويشتركون مع الشيطان بقتل إنسانيتهم الجديدة الكريمة بصليب الإله المتجسد يسوع المسيح؟ اجل البشرية غالباً ما تلعن الشيطان بالشفتين لكنها تباركه وتتحالف معه بالكيانين الخفيين العقلي والروحي. وليس ذلك فقط بل غالباً ما تبارك المسيح بالشفتين وتصلبه بهذين الصعيدين الداخليين. وإلا من أين تأتينا الحماقات والجهالات الفكرية انهاراً والعداوات والنجاسات بحاراً؟ أليس من الشيطان العامل في جميع الأعوان والحراس وحفظة الأسوار؟

إذاً المسيح وحده هو حامي إنسانية الإنسان وممجِّدها ومثمِّنها وليس الإنسان العتيق الخاطئ المتحالف مع الشيطان على حساب بشريته. أو أليس من الغريب أن تنتفض الشعوب اليوم ضد الاستعمار البشري وتتغافل عن مظالم الاستعمار الشيطاني الأدبي والذي هو أساس الاستعمار البشري وعلة وجوده؟ بل كيف يحاول هؤلاء المستعمرون الظالمون استعباد الناس وهم أنفسهم عبيد الشيطان؟ حقاً لا الظالمون ولا المستعمرون يرثون ملكوت الله سواء كانوا بشراً حراساً أو شياطيناً أفكاراً

وأرواحاً الأمر الذي قد أعلنه الرسول بولس بقوله "لكن انتم تظلمون وتسلبون وذلك للاخوة أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟ لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مابونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" (١كو٦ :٨ ـ١٠).

ولكن الشيطان الظالم والمستعمر الأول لا يُظهِر عداءه من نحو العالم الشرير طالما العالم خاضعاً له بالشر ومستعمراً له بالخطيئة ولا ينوي الثورة والاستقلال عن مملكته، لكنَّه يركِّز العداء حقاً نحو الكنيسة الروحية التي في المسيح لأنها قامت بثورة أدبية ضده وانسلخت عن مملكته الشريرة انسلاخاً روحياً وتحررت بالمسيح البار من سلطانه، سلطان الظلمة لتعيش باستقلال ذاتي كما يحق لإنجيل المسيح في البر وقداسة الحق. لذلك راح الحراس الظالمون وحفظة الأسوار المأجورون والإمبرياليون المستعمرون الروحيون يلاحقون كنيسة القديسين منذ ألامس البعيد ويضربونها بالسيف ويجرِّحونها باللِّسان ويرفعون أزارها عنها بالقلم. غير أنَّ بحر القلزم، بل بحر الفداء، سيكون مقبرة لمركبات هؤلاء الحراس وهاوية لحفظة الأسوار وفخاً ومصيدة لهؤلاء الإمبرياليين المستعمرين شياطيناً روحيين كانوا أم بشريين طبيعيين. لان كنيسة ثائرة على الشيطان متحررة بسلطان الرحمن ومتبررة بدم حمل الحملان ومقدسة بروح المسيح الديان ومبشرة بإنجيل ابن الإنسان، لا تقدر جميع جحافل الشيطان وحفظة أسواره أن توقفها عن مسيرتها وتُخمِد ثورتها وتستأنف استعمارها، طالما بينها وبين الشيطان والحراس مسيح قائم وعازل. الأمر الذي قد أشار إليه الرسول بولس بقوله "فاني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة

أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله في المسيح يسوع ربنا" (رو٨ :٣٥_٣٩).
وهكذا أمسى للكنيسة المختارة سلطان من المسيح مجيد لتدوس الحيات والعقارب ولتتحدى شياطين الظلمة وبإنجيل المسيح تقتحم مدينة الحراس وحفظة أسواره ومبادئه اقتحاماً سافراً وذلك لان الذي في الكنيسة (المسيح) أقوى حباً وحقاً من الشيطان الشرير الذي في العالم الحاضر.

وهكذا كان شأن الكنيسة يوم انطلاقاتها الأولى، يوم خرجت من العليّة بروقا وأصواتاً ورعوداً وزلازلاً. يوم اقتحمت للشيطان حصوناً وللحراس معاقلاً ولحفظة الأسوار قلاعاً. اجل هكذا كانت الكنيسة وهكذا يجب أن تكون جبارة انطلاقتها، شمشونة قوتها، عملاقة ثوراتها، مصلوبة عن الخطيئة أفكارها، مدعومة بالروح القدس رسالتها، مضروبة بسياط الحراس أكتافها، مجرَّحة بسهام الشياطين أعضاؤها، مجلجلة في كل المسامع نواقيس إنجيلها ومصروعة كل قوات الشر تحت أقدامها.
ولكن هل كنيسة اليوم ككنيسة الأمس ثورةً واستقلالاً وانتصاراً، بل لملكوت الله على الأرض سفيرةً وسفارةً ؟ وإن كانت الكنيسة اليوم في ذات المواقع التي كانت فيها كنيسة القديسين، فعلام إذا قد كفَّ حراس الشيطان عن ملاحقتها وضربها ورفع الإزار عنها لإذلالها؟ بل على النقيض راح الحراس اليوم يمجدونها تمجيداً. فماذا إذن هل قد تاب الحراس اليوم مع شياطينهم توبة وأعلنوا ولاءهم وإيمانهم بالمسيح حتى راحوا يتصادحوا هكذا مع الكنيسة؟ هل كانت كنيسة الرسل القديمة مغالية في رسالتها، متطرفة في إنجيلها، رجعية في عقليتها، متعصبة في عقيدتها، حتى أرغمت الحراس إرغاماً على مقاطعتها ومقاومتها؟ أم أنَّ كنيسة اليوم انحرافاً قد انحرفت عن مسيرة الإنجيل ودعوته، فراح العالم لذلك يتهاون معها ويتعاقد؟

لم يتب الحراس وشياطينهم توبة و لم تكن كنيسة القديسين يوماً في عقليتها رجعية وفي عقيدتها متزمتة، بل بالحقيقة السماوية كارزة ومبشرة. لكن الكنيسة المعاصرة هي التي قد خانت عهد الحبيب في إنجيل البر خيانة. من اجل ذلك راح العالم الخاطئ يحتضنها احتضاناً ويمجدها تمجيداً. فماذا إذاً؟ أتعتذر الكنيسة المعاصرة اليوم بالظروف وقد تغيرت والناس وقد تبدلوا والقوانين وقد تطورت وبالحياة وقد تعقَّدت. ومن اجل ذلك توجب عليها أن تُصحِّح موقفها من العالم وتتهادن مع الحراس وتتصافح مع حفظة الأسوار بل وترمي أسلحة ثورتها ضد الخطيئة جانباً مكتفية بعقيدة في اللاهوت نظرية وبفرائض وطقوس في العبادة محمَّدة وبشكليات في لمسيحية مزيَّفة. من اجل ذلك راح العالم يحتضنها احتضاناً ويمجدها تمجيداً؟

حقاً لو سلكت الكنيسة اليوم بمقتضى القانون الملوكي "تحب قريبك كنفسك" فنعماً ما تفعل ولو سلكت الكنيسة اليوم بمقتضى حكمة الرسول بولس القائلة "صرت مع الفريسي كالفريسي لاربح الفريسي ومع العشار كالعشار لأربح العشار" فحسناً ما تصرفت وسلكت. وأمّا أنها تصير كالعالم في شرِّه ومظالمه وسلبياته لتهلك معه فبئس ما سلكت وتصرفت. لذلك لم يعد في ينبوعها ماء متدفق ولا على مائدتها خبز للحياة متوفر ولا في موقدها نار للدفئ متقد بل عطش وجوع في الروح مذيب وقشعريرة في الحياة مميتة ومرعبة.

والآن هل الكنيسة اليوم شيء وإنجيل يسوع المسيح شيء آخر؟ أم أنّ إنجيل اليوم في الكنيسة شيء وفي كنيسة القديسين شيء آخر؟ انعيش اليوم أياماً معقدة اكثر من الذين سبقونا في الإيمان؟ كلا، لان هؤلاء كان شرابهم بؤساً وفقراً وحرماناً وخبزهم سجناً وعذاباً واستشهاداً. وأمّا نحن فإن عُقَدنا اليوم إنما هي عقد نفسية

بالخطايا ومركبات نقص روحية بالأنانية، بتنا نعكسها على مجتمعاتنا ونعقدها بسلبياتنا تعقيداً مريراً وكان على الكنيسة أن تستعين بالمسيح وليس بحراس الشيطان على تسوية هذه العقد وإزاحة هاتيك المتاعب وقد جثمت على قلب البشرية بوزن ثقيل اثقل من الجبال الراسيات عالمة بأن هؤلاء الحراس وحفظة الأسوار بشياطين أفكارهم وقلوبهم هم مصدر تلك المتاعب والعقد الاجتماعية والمضاعفات الإنسانية. ولكن الكنيسة في عصورها المتأخرة راحت تتناسى موطن الداء (الخطيئة) وعلاج الداء (المسيح)، وتتعاون مع الحراس في الظلام وفي ذلك زادت في الطين بلة وفي العلة بلوى. فلم تعد العقيدة اللاهوتية المجردة تصلح لثورة ضد الشيطان ولا الفرائض الطقسية الجليلة تصلح لحرية واستقلال عن الحراس، طالما الرجل اللاهوتي يعيش زانياً والإنسان الطقسي يعيش سكيراً والكاهن الكنسي يعيش طماعاً. أفلا يموت اللاهوتي هذا ويهلك الطقسي ذاك ويدان الكاهن الكنسي هذا وذاك وكما يهلك سائر الخطاة والعشارين؟ أم أن الخطاة والعشارين يسبقونكم إلى ملكوت الله؟ حقاً إن لم تتوبوا فجميعكم تهلكون.

ألا فاعرفي أيتها الكنيسة المعاصرة إثمك وشخصي فقط موطن خيانتك ومع الحراس موقع تحالفك بل صممي بمقتضى إنجيل القديسين أهدافك وخططي بمقتضى العذراء حياتك وهي تُلاحَق وفي شخص ابنها من قبل الحارس هيرودس ملاحقة لكي تتم فيك الكلمة المكتوبة "وجدني الحارس الطائف في المدينة ضربوني جرحوني حفظة الأسوار رفعوا الإزار عني".

وأما أنت يا نفسي فليضربك حراس المدينة العالمية ما شاء لهم أن يضربوا ويجرحونك ما شاء لهم أن يجرحوا. ولكن احذري فقط ضربات الحراس في داخل

مدينتك ولطمات القلب في أعماقك وجراحات الضمير واحتجاجات العقل داخل أسوارك والبسي المسيح إزاراً لكي لا توجدي في ذلك اليوم عريانة وعارية.فهل تتعظين؟ وبالبر الأبدي (المسيح) تكتسين؟

٨ -أحلفكن يا بنات أورشليم إن وجدتن حبيبي أن تخبرنه باني مريضة حباً

اجل انه الحب في اشتعاله والهيام باندفاعه والاختبار بأعماقه بل الجهاد بضخامة حجمه.تجتازه الكنيسة وهي مريضة حباً تفتش عن الحبيب المسيح تفتيشاً حثيثاً. كيف لا ومرض الحبيب مرض ثقيل حقاً ووجعه وجع اليم يقيناً؟ لذلك راح الحب الثائر بثورته العارمة يتخطى العثرات ويجتاز العبرات ويقتلع سائر المحصّنات وصولاً إلى الحبيب. من اجل ذلك بات الحبيب في سبيل الحبيبة يستخف بالصعاب ويتحمل المشقات، وفي عزيمة في القلب وتصميم في الإرادة يواجه الميتات.

والآن وان كان الواقع هذا هو واقع المحبين الجنسيين وحبهم هذا مقيد في المكان ومحدود في الزمان، فكم يكون بالحري واقع المحبين الروحيين وحبهم معلق بالمسيح المصلوب منذ الأزل والى الأبد؟

بل كيف لا يكون هذا الحب من جانب الله صليباً ومن جانب الكنيسة الحبيبة استشهاداً؟ وهل من حب اعظم من هذا والذي فيه يموت الإله المتجسد من اجل الإنسان ويصلب فيه البار من اجل الانسان الأثيم كقول الرسول بولس "الله بين محبته لنا لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا (رو٥ :٨)؟ فلذا لاتزال السماء وحتى الساعة تعلن للانسان ما في جوهرها في المسيح من حب وحياة والارض هي الاخرى لا تزال تعلن للمسيح ما في جوهرها الشيطاني من عداء وموت وصليب "لأن كل بزر يبزر بزراً كجنسه". وما صليب المسيح بقطريه المتقاطعين الا عنوان لذياك الصراع المستميت القائم اطلاقاً في الأرض والسماء بين الإنسان العتيق وابن

الإنسان الجديد، بين العداء والحب، بين الظلمة والنور، بين الحق والباطل بل بين الشيطان العامل في الإنسان العتيق والمسيح العامل في الإنسان الجديد. وهكذا أمسى صليب يسوع المسيح البطن الماخض المولّد للإنسانية الجديدة والكنيسة المقدسة "لأنه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له لحياة الابدية" (يو٣ :١٦).

والكنيسة وهي تتدفأ هكذا باحشاء محبة الحبيب تنطلق من مخابئها القديمة ودياميسها المظلمة وقبورها النتنه، ممزقة الأكفان ومكسِّرة السلاسل ومدحرجة الصخور بل متحدية للحراس وحفظة الأسوار، تعلن حياة لها في المسيح جديدة ومحبة لها فيه منتصرة .فلا عجب وفي غمرة حبها هذه ان تهيم على وجهها تطلب الحبيب وهي تقول "أحلّفكن يا بنات أورشليم إن وجدتّن الحبيب أن تخبّرنه باني مريضة حباً".

ولكن علام راحت الكنيسة تسال بنات أورشليم عن المسيح وهن قد زنين عن محبة المسيح منذ الامس البعيد وتعشقن بمسحاء كذبة قد اتوا إليها من اعماق الجحيم؟ كيف لا واسرائيل كأم قديمة قد زنت بسنحاريب ونبوخذنصر وفرعون وداريوس؟ وكبنات قد زنين هكذا مع هيرودس وبيلاطس عن الحق ورفعن المسيح فوق الصليب مصلوباً؟
ألا اصلبي يا إسرائيل ويا بنات أورشليم يسوع المسيح ما شاء لك أن تصلبي. اصلبيه في جسم بشريته وفي جسم كنيسته بل وفي جسم إنسانيته كما هي ساعة ظلمتك وكما هو ديدن شياطينك. ولكن اعلمي أنت وحراسك معك أنه بعد كل صليب للمسيح قيامة وبعد كل شتاء لكنيسته ربيع وبعد كل ضيقة لإنسانيته

فرحه. الا حسنا قد تنبأ عليكن النبي اشعياء بقوله "من اجل ان بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الاعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بارجلهن يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة وعوض الديباج زنار مسح وعوض الجمال كي. رجالك يسقطون بالسيف في الحرب" (اش٣ :١٦ ـ٢٥). وليس ذلك فحسب بل توعداً يتوعدكن رب المجد بقوله "يا بنات أورشليم لا تبكين على بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن لأنه هوذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد وللثدي التي لم ترضع حينئذ تبتدئون تقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس" (لو٢٣ :٢٧–٣١).

ولكن إن كان هذا هو واقع بنات اورشليم مع المسيح وذاك هو مصيرهن. فكيف تلتمس الكنيسة منهنّ اذاً رؤية المسيح وتستعطفهن فيه؟ نعم لقد افرز الله بنعمته من بنات أورشليم نفوساً قد تعرّفت على المسيح وآمنت به وبشرت بل على اسمه قد استشهدت استشهاداً وذلك كان من الله اختياراً كاختيار الرسل الاثني عشر والتلاميذ ومن لف لفهم في التوبة والإيمان. ولكن الاختيار هذا لم يكن بروح بنات أورشليم الجسديات والنائم على النزعة القومية بل بروح النزعة الروحية. وليس بالروح الناموسية والفريسية بل بالروح العشّارية. ولا بروح السيطرة والإستعلاء بل بالروح الوديعة المتواضعة.

لذلك اسألي الأنبياء عن حبيبك ايتها الكنيسة وقد نُشروا بمناشير إسرائيل واسألي الرسل وقد ذبحوا بحراب إسرائيل واسألي الشهداء وقد رجموا بحجارة إسرائيل

واسالي بنات أورشليم الروحيات وقد أعدمن فوق مشانق إسرائيل. فإن كنت ايتها الكنيسة اليوم مريضة حباً وللمسيح تشتاقين حقاً فلديك الكلمة النبوية وهي اثبت ان تنتبهي اليها كما الى سراج منير في موضع مظلم (٢بط١: ١٩)
واما انت يا نفسي فما هو نوع مرضك الآن؟ اهو مرض الفضة والجيب؟ امرض الخبز والبطن؟ امرض المركز والجاه؟ امرض العداوة وسفك الدماء؟ امرض الشهوة وسائر الموبقات؟ أم انه مرض العطش إلى المسيح والجوع إلى كلمة حبه في الإنجيل؟

٩ -ما حبيبك من حبيب ايَّتها الجميلة بين النساء ما حبيبك من حبيب حتى تحلّفينا هكذا

إنه الواقع السلبي الذي ذكرناه. فإن بنات أورشليم ككل لا يعرفنّ شيئاً عن المسيح الحبيب ولذلك صرنّ يسألن الكنيسة قائلات "ما حبيبك من حبيب أيتها الجميلة بين النساء"
اجل بسبب عبرة العصيان والتقسّي والاعتماد على البر الذاتي وحرفية الناموس والطموحات القومية والسياسية والاستسلام للشهوات الجسدية والعقلية المادية للحياة. بات إسرائيل مع بناته المتشامخات في معزل عن الحق الذي في المسيح يسوع. وليس إسرائيل وحده قد رفض المسيح هكذا وبفعل هاتيك العلل بل رفضه العالم هكذا والكنيسة الجسدية قد رفضته هكذا وكما هو في إنجيله، إنجيل البر والحياة.

ولكن إن كان رفض العالم للمسيح بعلة الجهل فيكون رفض إسرائيل له بعلة القصد والغرض. لذلك سيكون لاسرائيل وبناته وحليفاته دينونة اعظم كقول الرب "لو لم اكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطيئة. واما الآن فليس لهم عذر في

خطيئتهم. الذي يبغضني يبغض ابي ايضاً. لو لم اكن قد عملت بينهم اعمالاً لم يعملها احد غيري لم تكن لهم خطيئة. واما الآن فقد راوا وابغضوني انا وابي. لكن لتتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم "انهم ابغضوني بلا سبب" (يو١٥ :٢٤_٢٥). وقوله كذلك "انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد للحق وانا لا اقبل شهادة من انسان. ولكني اقول هذا لتخلصوا انتم. واما انا فلي شهادة اعظم من يوحنا. لأن الأعمال التي اعطاني الآب لأكملها، هذه الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي ان الآب قد ارسلني. والآب نفسه يشهد لي. فتشوا الكتب لأنكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي. لا تظنوا اني اشكوكم الى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي" (يو٥ :٣٣_٤٧). إذاً فكيف لا تكون إسرائيل خاطئة جداً بعصيانها هذا وزخم الشهادات النبوية هذه تحيطها إحاطةً؟ حقاً لو كانوا عمياناً جهّالاً لما كانت لهم خطيئة واما الآن فيقولون إننا نبصر فخطيئتهم باقية (يو٩ :٣٩_٤١). من اجل ذلك سيُترك لهم بيتهم خراباً وحتى قيام الساعة.

على أن بنات أورشليم لازلن حتى الساعة يسألن الكنيسة قائلات "ما حبيبك من حبيب ايتها الجميلة بين النساء"، تجاهلاً واستخفافاً. والفريسيون والرؤساء يسألون قائلين "أ ليس هذا هو ابن يوسف والذي نحن عارفون بابيه وأمه"، استنقاصاً . والصدوقيون يسألون في القيامة "لمن من هؤلاء الاخوة السبعة تكون هذه المرأة"، إلحاداً. والناموسيون يسألون قائلين "يا معلم هذه المرأة أُمسِكت وهي تزني في ذات الفعل وموسى في الناموس اوصانا أنَّ مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت"، وقيعةً والأرستقراطيون المتعالون لا يزالون يسالون قائلين "أمن الناصرة يمكن أن يكون

شيء صالح" (يو١: ٤٦)، احتقاراً واستصغارا. نعم هذه هي تساؤلات بنات أورشليم المغرضة المعادية.

وأما تساؤلات بنات العالم فهي الأخرى تساؤلات محرجة ومعقدة. فالفلاسفة الابيقوريون الاثينيون يتساءلون عن بولس قائلين "ترى ماذا يريد هذا المهذار ان يقول لأنه كان يبشرهم بيسوع والقيامة" (اع١٧ :١٨)، استخفافاً. والاقتصاديون لا يزالون يقولون "اصرف الجمع من حولك ليذهبوا إلى القرى والضياع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاماً لأننا هنا في موضع خلاء" (لو٩ :١٢)، ارتيابا. والمحاربون لا يزالون يقولون للمسيح "اضرب بالسيف ياسيد" ليكون عن صليبك بديلاً. والصحيون يحتجون قائلين "لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ وياكلون بأيدي غير مغسولة"، رياءً. والناموسيون المتدينون يسألون "ماذا نفعل لنرث الحياة الابدية". والاجتماعيون لازالوا يقولون للمسيح "هوذا أمك واخوتك خارجاً واقفين يطلبونك". والانسانيون ما برحوا يتساءلون قائلين" من هو قريبنا" (لو١٠: ٢٩). واما الأسرى والمساجين بالذنوب والخطايا من بنات إسرائيل والعالم فلا يزالون يسألون السؤال الخطير وفي شخص سجان فيلبي قائلين للرسولين بولس وسيلا "يا سيد ماذا ينبغي أن نفعل لكي نخلص" (اع١٦: ٣٠).

أجل هذه هي تساؤلات بنات أورشليم المغرضة وبنات العالم المحرجة وعلى الكنيسة أن تقدم الإنجيل والمسيح جوابا لهاتيك الأسئلة "لأن فيه مذخر جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو٢ :٣).

أن يسوع المسيح هو الجواب الشافي لكل التساؤلات، تساؤلات بنات اورشليم وبنات العالم وعلى وجه الإطلاق. كما اشار الرسول بولس ايضا بقوله "لي انا اصغر جميع القديسين اعطيت هذه النعمة ان ابشر بين الامم بغنى المسيح الذي لا

يستقصى. وانير الجميع فيما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكي يُعَّرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة" (اف٣: ٨-١٠). واذ تقدم الكنيسة المسيح هكذا رباً ومخلصاً تكون بالحق بين النساء العالميات جميلة. والا فستكون هي الاخرى كسائر النساء الجسديات الخاطئات قبيحة ومن دون المسيح المصلوب بشعة.

ولكن ما عسى ان يكون هذا الجمال في الكنيسة حتى تغدو وهي بين نساء العالم وسائر امم الارض كالسوسنة بين الشوك وكالتفاحة بين اشجار الوعر؟ انّه جمال عقلي في المسيح يسوع حيث لا خبث ولا ضغينة ولا عداوات بل نقاء ومحبة ومسامحات. انه جمال جسدي في المسيح يسوع حيث لا شهوة قبيحة ونجاسات بل برّ وصلاح وقداسات بل افتداء في اليوم الاخير من المرض والموت وسائر العاهات. كقول الرسول بولس "فاننا نعلم ان كل الخليقة تئن وتمخض معاً الى الآن وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن متوقعين في أنفسنا التبني فداء اجسادنا" (رو٨: ٢٢-٢٣). لأن المسيح الكامل البر والمطلق الجمال مزمع ان يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده والمقام من بين الاموات (في٣: ٢١). وهكذا لما كان جمال الكنيسة هو جمال المسيح المطلق فهي بهذا الاعتبار سائرة في طريق الجمال المطلق من مجد الى مجد ومن قوة إلى قوة وذلك في الصعيدين الروحي والجسدي حتى تبلغ في ذلك ملء قامة المسيح في البر وقداسة الحق وكما هي في العذراء مريم وكنيسة القديسين، موطن الجمال ومقر الجلال والكمال.

وأما أنتِ يا نفسي فمجدي الحبيب في جمالك روحيا كان ام جسديا. عقليا كان ام قلبياً. لانّ الجمال هو جمال المسيح فيك ليس إلاّ.

١٠- حبيبي ابيض واحمر معلم بين ربوة

اجل يسوع المسيح ابيض بصلاحه واحمر بحبه. فهو بذلك صلاح بحب وحب بصلاح. هذا هو الجمال بذاته والكمال بعينه والله بجوهره. ولا غرابة في ذلك طالما المسيح هو الله والله هو المسيح، حتى أنه من دون المسيح لا يكون الله الهاً حقيقياً معلوماً بل الهاً مجهولاً. شأنه بذلك شأن المذبح المجهول في آريوس باغوس (اع١٧ : ٢٣).

أمّا في المسيح يسوع فيُشخَّص الله هكذا تشخيصاً دقيقاً واقعياً وبالروح القدس يعرف بالحق معرفة. بل يُشاهد ويُلمس بالتجسُّد مع توما مشاهدة ولمساً. الأمر الذي قد أثبته المسيح كذلك لرسوله فيليبس بقوله "انا معكم زماناً هذه مدته و لم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الآب.فكيف تقول انت ارنا الآب. الست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ" (يو١٤ :٩_١٠). لذلك بات المسيح وهذا الواقع ابيضاً منذ الأزل ومن قبل أن تكون الثلوج فوق الجبال لأنه هكذا قد ظهر بثياب بيضاء اكثر من الثلج فوق جبل التجلي حتى ان الرسل الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا سقطوا إلى الأرض أمام ذيّاك المشهد سقوطاً مفزعاً. لأن بياض بر المسيح هذا ليس مكتسباً بل اصيلاً وبره ليس محدوداً بل مطلقاً بل "شمساً للبر والشفاء في اجنحتها" (مل٤ :٢).حتى صار المسيح في كل ذلك مصدراً لكل بياض صالح في السماء وعلى الأرض. من اجل ذلك سيبقى المسيح هكذا للحياة شمساً وإن انكسفت الشمس الطبيعية يوماً وانخسف القمر حيناً وتساقطت النجوم ساعةً طالما

الحياة فيه كائنة والعالم به قد كوّن (يو١ :٤—١٠). وما بياض القديسين وصلاح المختارين عبر العصور والأجيال وهم يدورون في فلك المسيح دوراناً سوى صلاحاً محدوداً مكتسباً ونوراً ممتصاً من هذه الشمس المركزية (المسيح) ليس إلاّ الامر الذي قد دلل عليه الرسول يوحنا بقوله "ومن ملئه نحن جميعاً اخذنا ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى اعطي واما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو١ :١٦_١٧). وهيهات ان يكون ثمة بياض مقبول في السماء ما لم يوخذ عن شمس صلاح المسيح ومركزية حياته سواء كان ذلك بطريقة مباشرة ام غير مباشرة كما هو مكتوب "وهذه هي الدينونة ان النور قد جاء الى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة. لان كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا ياتي الى النور لئلا توبخ اعماله. واما من يفعل الحق فيقبل الى النور لكي تظهر اعماله انها بالله معمولة" (يو٣ :١٩_٢١).

وهكذا قد بشّرت الملائكة ببياض حياة المسيح قائلة للعذراء "لذلك المولود منك القدوس وابن العلي يدعى". لهذا فالمسيح ليس قديساً وسياراً تابعاً، بل قدوساً مطلقاً وشمساً مركزية وصلاحاً أساساً. كما وانه ليس ابناً لله بالنعمة شأن المؤمنين بل هو ابن الله بالحق وباصالة وواقعية. وإلا باية دالة يتحدى المسيح البشرية هكذا ببياضه قائلا "من منكم يبكتني على خطيئة" (يو٨ :٤٦). ومن هو ذاك القديس أو النبي الذي يقدر أن يتحدى الأجيال ببياض بره وصلاح حياته هكذا، والانبياء والقديسون هم المستغفرون الله اطلافاً؟ لذلك قد ختم الآب السماوي على بر المسيح وبياض ثيابه فوق جبل التجلي قائلا "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا".

الا فليتطلع الملائكة إلى هذا البياض من على العرش الرفيع تطلعاً ولينظر موسى وايليا إليه من على الجبل المقدس نظراً وليستمع إلى ذلك الصوت بطرس ويعقوب ويوحنا وهو مقبل من العالم الاسنى استماعاً، بل لتكرز الكنيسة بذيّاك البر المطلق الأبيض في العالمين كرازةً وهي تقول بلسان بطرس "لم يعرف خطية ولا وجد في فمه مكر" وتقول بلسان الرسول بولس "عظيم هو سر التقوى. الله ظهر في الجسد. تبرر بالروح. تراءى لملائكة. كرز به بين الأمم أومن به في العالم. رفع في المجد" (١ تي٢ :١٦). لكون المسيح هذا ليس حبيباً ابيضاً فحسب بل حبيباً احمراً كذلك. لأنَّه لو كان الهنا الهاً ابيضاً فقط وقدوساً فقط لمحق البشرية الخاطئة محقاً أبدياً وحرقها بطرفة عين حرقاً. ولكن شكرا لله الذي ستر خطايانا البشرية بردائه القرمزي وفدائه الحمراري الدموي ماحقاً بذلك خطايانا والى الأبد في جسم بشريته فوق الصليب والذي فيه راح يعزل الخطايا والشرور عن شعبه عزلا ويميتها كمكروبات في الدم ثقيلة ويقتلها بمصل دمه قتلاً. فبر المسيح إذا أمسى سيفا بتاراً ذاً حدين، فإمّا أن يقع بحده الاول على خطايا المؤمن التائب لشفائه من الداء واحيائه وإمّا أن يقع بحده الثاني على الإنسان العاصي وغير المؤمن لموته وهلاكه. وبتعبير آخر إمّا أن يقع سيف الدينونة الابيض هكذا على الإنسان الخاطئ إجرة خطاياه وإمّا أن يقع على المسيح البار كمكفّر عن خطايا الإنسان التائب المؤمن. وبذلك يصير صليب المسيح بالنسبة للمؤمنين التائبين عن المعصية غمداً لذياك السيف المتقّلب بحديه بيد. الكروبيم حراس طريق شجرة الحياة (تك٣: ٢٤).

اجل انه الجمال بقوته والقوة بجمالها. انه الله بجوهره وتجسد جوهره. اليس كذلك يا جميع عباد الله عشاق الجمال والقوة. أ ليس كذلك يا جميع المتعبدين لإله مجهول؟ وقد صار بالتجسد وكما هو في يسوع المسيح الها معلوما؟ بل كيف تتوقع

البشرية أن يكون الله، إن لم يكن كيسوع المسيح سواء كان في بياض بره وحمرة فدائه؟

كل إنسان في الوجود، إما أن يكون مرعباً مخيفاً أو لطيفاً محبوباً ويستحيل أن يكون الإنسان الطبيعي المجرد هكذا مرعباً ومحبوباً في آن واحد. أما المسيح يسوع فهو الكائن الوحيد الأبيض والأحمر. المخيف ببياضه والمحبوب بحمرة فدائه. وبين هذين الحدين البياض والاحمرار يحيا أبناء الملكوت أحراراً وقديسين حتى إذا ما تكاملوا في المحبة وتحرروا من الخطيئة، عِلة الخوف وأساسه، انتزع الخوف منهم إلى الأبد انتزاعاً "لان المحبة الكاملة تطرح الخوف الى الخارج". بل ويُفتَدون بطاقة الحب والفداء ليس من الخوف فحسب بل ومن الضيقة العظيمة ومن الظروف القاسية ومن القطيعة الجهنمية الموحشة. ذاك الفداء المطلق الذي تطلع اليه الرسول يوحنا بعين الروح القدس في قديسي يسوع المسيح فكتب عنهم قائلاً "فقال لي هؤلاء هم الذين اتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيلبهم وبيضوا ثيابهم بدم الخروف. من اجل ذلك هم امام عرش الله يخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله. والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر. لان الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم" (رؤ٧ :١٣_١٧).

أمّا العصاة فانّهم من المسيح خوفاً يخافون ومن بياضه اللاهوتي وحمرته الفدائية ارتعاباً يرتعبون. وإذ يتمسكون هكذا بالعصيان وللشيطان يحتضنون، ينقلب عليهم المسيح الحمل أسداً مفترساً. وحقاً في البر الأبيض مُصعقاً. ومن بين اذرعه القضائية العادلة لا يفلتون. وإذ لم يقبلوا المسيح لحياتهم للحب ملكاً ففي بحيرة النار مع شياطينهم بسيف البر الأبيض ذبحاً عظيماً ليُذبحون.

إذاً نستطيع أن نتخلص من الخوف الناجم عن الشعور بالذنب بالتقرب اكثر إلى المسيح الحبيب الأحمر "لانه من خاف لم يتكمل بعد في المحبة". ولكن إذ نمتلئ بمحبة المسيح يسوع بواسطة الروح القدس المعطى لنا من السماء نطرح الخوف خارجاً بل وندفعه ونكفنه مع المسيح الذي مات لاجل خطايانا ومخاوفنا وقام لاجل تبريرنا وحريتنا. انَّه الفداء الأحمر المجيد الذي تطلع إليه النبي اشعياء فكتب عنه في سفره قائلاً "من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبر العظيم الخلاص. ما بال لباسك محمرّ وثيابك كدائس المعصرة. قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن احد معي. فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي. فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي" (اش٦٣ :١_٣). وهكذا راح سكان السماء يتساءلون وهم مندهشون من ثياب المسيح الحمر هذه وهو يصعد إليهم ثانية من أدوم الخطيئة وبصرة العالم مستهدفاً عرش أبيه مقاماً. وهكذا قد رأت ملائكة السماء في ثياب المسيح المحمرة هذه قوة وعظمة فراحت تقول عنه "هذا البهي بملابسه. المتعظم بكثرة قوته" والمسيح يجيبها بقوله "أنا المتكلم بالبر العظيم الخلاص" معلناً بذلك بياض بره وحمرة خلاصه وحبه. ذاك الخلاص القائم إطلاقا على الصليب لانه ليس خلاص من دون بر ولا بر من دون خلاص. والمسيح لكونه اله حق قد جمع في ذاته هذين الحقين الأساسيين البر والخلاص وتجاه هذا التصريح الفدائي الخطير تستأنف القوات السماوية السؤال مرة أخرى قائلة "ما بال لباسك محمرّ وثيابك كدائس المعصرة".

اجل كانت الكائنات الروحية منذ البدء تعاين حمرة وجه المسيح ولكن كان عليها ذلك سراً خفياً وسفراً مختوماً حتى إذا ما حل الفداء في ملء الزمان استعلن السر هذا للملائكة والكائنات الروحية استعلانا وفتح السفر المختوم بالسبعة ختوم فتحا

مبيناً. فراحت من ثم الملائكة وهي تعاين مسرحية الفداء وآثار جراحاته وهو يجتاز السماوات تقول "ما بال لباسك محمرّ وثيابك كدائس المعصرة" فيجيبها المسيح قائلاً "لقد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن أحد معي. فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي. فُرُشَّ عصيرهم على ثيابي فلطخت ملابسي" .هكذا راح المسيح يعلن بأنه قد داس معصرة الشياطين وكافة قوات العدو لوحده وبصليبه قد أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (كو٢ :١٣_١٥). فرش بذلك عصير الدم عليه وتلطخت كل ثيابه.

اجل في هذه المعصرة الدموية والمعركة الضارية قد مات كل من المسيح والشيطان. الشيطان بطاقة بر المسيح والمسيح كفارة عن خطايا العالم. وهكذا في معصرة الصليب هذه تم الوعد الأول القائل "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" (تك٣ :١٥). ففي معصرة صليب المسيح إذاً قد سُحِق رأس الحيّة القديمة المدعو إبليس والشيطان والذي يضل العالم بأسره، كما وسُحِق عقب المسيح وسُمِّرت بالمسامير تسميراً. أما موت الشيطان في هذه المعصرة فكان موتاً بالخطيئة وللخطيئة واما موت المسيح فكان موتاً عن الخطيئة وكفارة لها. من اجل هذا بقى الشيطان هكذا عن الحق والحب ميتاً والى ابد الآبدين. والمسيح البار مقاماً من بين الأموات غالباً منتصراً(يو٢٠ :١). وهكذا أمست معصرة الصليب معركة أساسية في الوجود ومعركة فصل بين الحق والباطل، بين البر والإثم وبين حمرة الحب والفداء والحياة وصفرة العداء والموت والهلاك.

حقاً ايتها العذراء مريم إن وحيدك المسيح هو حبيب ابيض من الأزل والى الأبد احمر. ويقيناً ايتها الكنيسة المقدسة فان حبيبك المسيح بار جميل من الأول إلى الآخر. من البداية وحتى النهاية. بل من الألف الى الياء (رؤ١ :١١).
وأمّا أنت يا نفسي. يامن شوّهت حبّات الشباب المنحرفة خدودك وجعّدت عوامل الشيخوخة وجناتك واحتقنت دماء الخطيئة والموت في وجهك، فإلى ذيّاك الوجه الأبيض والأحمر، وجه المسيح يسوع "والذي هو ابرع جمالاً من بني البشر" (مز٤٥ :٢)، لتتبرري كثيرا وتتجملي قوياً.

١١ -رأسه ذهب إبريز قصصه مسترسلة حالكة كالغراب

هذا ما تقوله الكنيسة عن حبيبها المسيح وقولها هذا إنما هو الحق بذاته واليقين بعينه. كيف لا ورأس المسيح الذهبي هذا قد خلق العالمين. ما في السماوات وما على الأرض. ما يُرى وما لا يُرى سواء كان "عروشاً ام سيادات ام رئاسات ام سلاطين. الكل به وله قد خلق"(كو١ :١٦). وبهذا الرأس الذهبي المجيد يُهيمن على الوجود هيمنة مطلقة كقول الرسول بولس "الاله الذي خلق العالم وكلّ ما فيه. هذا إذ هو رب السماء والارض. لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي ولا يخدم بايادي الناس كأنه محتاج الى شيء. اذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء. وصنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض. وحتم بالاوقات المعينة. وبحدود مسكنهم لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد منا ليس بعيدا. "لاننا به نحيا ونوجد ونتحرك" (اع١٧ :٢٤_٢٨).

اجل كيف لا يكون راس المسيح الحبيب ذهبا ابريزا وقد دبر لنا طريقا للخلاص مجيداً بالتجسد والفداء كقول الرسول بولس"فليكن فيكم هذا الفكر الذي في

المسيح يسوع أيضا. الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله. لكنه اخلى نفسه آخذا صورة عبد صائراً في شبه الناس. واذ وجد في الهيأة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت، موت الصليب" (في٢: ٥-٨). وفي ذلك قد زرع اجسادنا بقداسته وقلوبنا بمحبته ورؤوسنا بحكمته ونفخ في وجوهنا من روحه لكي نقدر ان نقول مع الرسول بولس "اما نحن فلنا فكر المسيح"

اذا فعقل المسيح الذهبي انما هو العقل الأول. العقل المطلق الأساس كقول الرسول بولس "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لان من عرف فكر الرب او من صار له مشيراً. او من سبق فاعطاه فيكافأ. لان منه وبه وله كل الاشياء الذي له المجد الى ابد الآبدين آمين" (رو١١ : ٣٣_٣٦). لكنه قد استعلن للإنسان بالتجسد استعلاناً كقول الرسول بولس "الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به ايضاً عمل العالمين الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته بعدما صنع تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الاعالي" (عب١ :١_٣). وكما يقول الرسول يوحنا "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورابنا مجده مجداً كما لوحيد من الآب ملوءاً نعمة وحقاً (يو١ :١-٤). نعم بسلطان العقل الذهبي تخلق كل العقول. ملائكية كانت أم بشرية. روحية كانت أم طبيعية لان فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس (يو١: ٤). ولان كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند ابي الانوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. شاء فولدنا بكلمة الحق لنكون باكورة من خلائقه" (يع١ : ١٧،١٨). كيف لا والرسول بولس يقول "لكي تتعزى قلوبهم مقترنة بالمحبة لكل

غنى يقين الفهم لمعرفة سر الله الآب والمسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو٢ :٢_٣).

نعم إلى هذا الرأس الذهبي تطلع الحكيم سليمان فقال عنه راسه ذهب إبريز، وإلى هذا الكتر العقلي تطلّع الرسول بولس فقال "وأذ لنا هذا الكتر (العقل الإلهي) في أواني خزفية (العقل الطبعي) ليكون فضل القوة لله لا منّا". حقا. بهذا العقل الإلهي تطعمت عقلية العذراء الطبيعية يوم تجسّدمنها الكلمة المطلق يسوع المسيح تجسيداً. وبهذه العقلية الإلهية تألّهت عقلية الرسل والقديسين تألها يوم حلّ الروح القدس عليهم في العلّية. فانطلقت من ثم من علية عقليتها الجديدة هذه تُخمر بالحق عقولاً استعبدت للباطل دهوراً وتزرع بالنور أفكاراً طالما ترعرعت في الظلام عهوداً وتوقظ للحياة نفوساً طالما تفسَّخت بالذنوب والخطايا أجيالاً.

فغدا بذلك إنجيل المسيح للكنيسة رأساً ذهباً وإبريزاً وأمست به وليس بغيره "تحيا وتتحرك وتوجد" بل تنطلق وتكرز وتشهد ولكن لا بعقلية طبيعية وفلسفية فيما بعد بل بعقلية روحية وبراس من ذهب كما يحذر الرسول بولس قائلاً "انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح. فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا وانتم مملوؤن فيه. الذي هو راس كل رياسة وسلطان" (كو٢ :٨-٩). ولكن اين هي عقلية الكنيسة الروحية اليوم من عقليتها في الامس البعيد ومن عقلية الرسل والقديسين؟ اين هو راسها اليوم من ذياك الراس الذهبي، راس يسوع المسيح؟ اين هي من عقلية البر والقداسة، عقلية السلام والمحبة، عقلية الحق والاستقامة بل عقلية التجسد والفداء؟ حقاً عقلية الكنيسة اليوم انما هي عقلية مادية صرفة مملوءة من روح العالم ومشحونة بل وباعمال الجسد منفوخة.

فماذا اذاً أتشكّل العقائد اللاهوتية اليوم عقلية ذهبية للكنيسة وكذا الطقوس الاوتوماتيكية عقلية ابريزية لها؟ كلا. بل الروح القدس وكما هو في عقلية الرسل والقديسين هو الذي يخلق للكنيسة عقليتها الذهبية الابريزية. أجل لابد للكنيسة من عقيدة لاهوتية محددة لتتحصن بها ضد البدع والهرطقات. ولا بد لها من طقوس معينة لتتعبّد فيها لله في الصباحيات والامسيات مع الهجعات. ولكنّ العقيدة اللاهوتية هذه والطقسية الكنسية هذه لا تشكل العقلية الذهبية للكنيسة مالم يتجسّد في حياتها وسلوكيتها الروح القدس تجسيداً. وإلاّ كيف يهلك اللاهوتيون المتعجرفون والطقسيون الفريسيون والتقليديون المدققون؟ أليس بالانتفاخ الذاتي والرياء القلبي الباطل والتعبد في الخفاء للعقل الشيطاني وهومنتفخاً باطلاً من قبل ذهنه الجسدي (كو٢ :١٨)؟

نعم هوذا انت تسمى يهودي (مسيحي) وتتكل على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الامور المتخالفة متعلماً من الناموس وتثق انك قائداً للعميان ونور للذين في الظلمة ومهذب للاغبياء ومعلم للاطفال ولك صورة العلم والحق في الناموس. فانت اذاً الذي تعلم غيرك الست تعلم نفسك؟ الذي تكرز ان لا يُسرق، اتسرق؟ الذي تقول ان لا يُزنى، اتزني؟ الذي تستكره الاوثان، اتسرق الهياكل؟ الذي تفتخر بالناموس، ابتعدي الناموس تهين الله؟ "لان اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الامم كما هو مكتوب" (رو٢: ١٧-٢٤). أفلا يهلك الكثير من العقائديين اللاهوتيين بسبب سرقة أمجاد يسوع المسيح؟ ألا يهلك الكثير من الطقسيين بسبب روح الرياء والذي هو خمير الفريسيين والصدوقيين والتقليديين بسبب الزنى ومحبة الفضة وسرقة الهياكل؟

فجميل أن تمتلك الكنيسة العقلية اللاهوتية والعقيدة المسيحية والطقسية التقليدية، ولكن لا بصورة حرفية مجردة ونظرية فلسفية معقدة بل بصورة روحية ذهبية وعقلية إنجيلية مبسطة كما هي بالحق، عقلية الرسل والقديسين. فاللاهوت والطقس والتقليد الكنسي إنّما تشكل إطار القضية المسيحية. أمّا الإنجيل فيشكل قلب القضية المسيحية وصورتها الحّية. التراث الكنسي يشكل عناصر جسد المسيح. أمّا الإنجيل فانما يشكل راس الجسد الذهبي. التقليد يشكّل بناء البيت والمذبح والساجدون فيه. وأمّا الإنجيل فانما يشكل الحجر الأساس الذي يحمل البيت والساجدين فيه. والآن ما هي قيمة الإطار بدون صورة، وما قيمة المسيحية بدون قلب، وما هي اهمية أعضاء الجسد بدون راس، وبناء من غير أساس؟ بل ما هي قيمة الشرايين من دون دم وجهاز عصبي من دون دماغ مفكر وراس من ذهب وابريز؟

اذاً ما تحتاجه الكنيسة اليوم وعلى ضوء انجيل الرسول بولس والقديسين هو صورة المسيح الحية وهي تتوسط الإطار اللاهوتي والى قلب حي يتوسط الطقس الحرفي والى أساس يحمل البيت المسيحي والى دم وروح يسري في الشريان الكنسي ودماغ ذهبي يرعى الجهاز البيعي. وإلاّ فسينكسر الإطار بأيدي الفلسفة المادية نفسها انكساراً. ويتمزق الغطاء الطقسي بزلزلة المصلوب تمزيقاً. ويسقط البيت بعواصف الإلحاد سقوطاً. وينفجر الشريان بالتصلب انفجاراً. وينهار الجهاز العصبي بالنوبات والانفعالات العصبية انهياراً.

فالى العقلية العذراوية أيتها العقلية المزدوجة. والى العقلية الرسولية أيتها العقلية الفريسية. بل إلى هاتيك العقلية الذهبية المتفاعلة بالعقلية الطبيعية البشرية في العذراء والقديسين ايتها العقلية المتفاعلة بالعقلية الشريرة المتخلفة. اجل إلى ذيّاك الرأس

الذهبي ورئيس كل كنيسة وسلطان وسيادة، الى المسيح يسوع ايتها الكنيسة ذات الرؤوس النحاسية الطنانة وأصواتها الصنجية وهي ترن" (١كو١٣ :١).

ولكن إن كان راس المسيح الابريز ذهباً، فما عسى أن تكون قصصه وهي مسترسلة وحالكة كالغراب؟ اليست هذه القصص المسترسلة هي افكار المسيح المعلنة فوق كتفيه وجسده (الكنيسة) للعالم اجمع وهي هكذا حالكة كالغراب؟ اليس لكون المسيح قد كرس هكذا منذ الأزل قاضياً للقضاة ونذيراً لعمل الفداء وخلاصاً للخطاة وهم السود في أعمالهم كالغربان؟ أليس لكون المسيح أيضاً قد صار فوق الصليب خطيئة ولعنة وشبه حية نحاسية ورمز تيس وبالتالي غراب في منظره "حتى لم يعد فيه صورة ولا جمالاً فننظر إليه ولا منظراً فنشتهيه" (اش٥٣ :٢)، "لكونه قد جعل نفسه ذبيحة إثم عن الخطيئة بعدما قد احب الإنسان هكذا حتى الموت، موتا بالصليب" (في٢ :٨). وهل من حب اعظم من هذا فيه يصير المسيح القدوس الأبيض من اجل الإنسان فوق الصليب خاطئاً اسوداً والكبش تيساً (لا١٦ :٢٠-٢٢) والحمام غراباً؟.كل ذلك ليفتدي بعقليته الالهية الذهبية عقليتنا الحديدية من سلطة العقلية الشيطانية الجهنمية. فكيف لا يكون اذاً صليب المسيح هذا بقصصه السوداء المدلاة على الكنيسة موضوع عبادة وتمجيد واعتزاز؟ كيف لا يكون صليب المسيح هذا موضع افتخار للكنيسة والإنسانية الجديدة وفيه قد مُزّق سواد خطاياها تمزيقاً وأُبعد تيس شرورها فيه أبعاداً وسحق راس أفعانا سحقاً وقتل غراب أفكارها فيه قتلاً بل وسكب عقله الذهبي وروحه الابريزي وبره التجسدي وفداؤه الأبدي في أعماقنا سكيباً ؟ فإن كان العالم يستهين بسواد صليب المسيح والسواد سواده هو فما ذلك الا لكونه قد اخضع عقليته الطبيعية إلى عقلية الشيطان التي هي من دون العقلية الطبيعية، وذلك ليهلك بالتالي بعقلية الشيطان هلاكاً.

وان كانت الكنيسة الاسمية اليوم كالعالم تتبرم من سواد صليب المسيح، فهي الأخرى تخطئ بعقليتها ضد العقلية الإلهية الذهبية الفدائية، بل وكخائن ترتد بعقليتها عنه لتتحد مع عقلية الخطيئة وهكذا تخطئ خطيئة مزدوجة. واما من جهتنا فحاشا لنا أن نفتخر ألا ببشاعة خطايانا في صليب المسيح وبسواد أعمالنا في أفكاره وقصصه والذي به قد صلب العالم لنا ونحن للعالم.

وأمّا أنت يا نفسي فكوني شعرة ثابتة في ذيّاك الرأس الإلهي الذهبي وشعرة سوداء بين هاتيك القصص الحالكة في نذرها التجسدي وتكريسها الفدائي. ولكن احذري الموس التي بيد الشيطان الجهنمي والسقوط في حضيض عقلية الموت والخطيئة.

١٢ -عيناه كالحمام على مجاري المياه مغسولتان باللبن.جالستان في وقبيهما

كيف لا تكون عينا المسيح يسوع وداعة وسلاماً، لطفاً ونقاءً والمسيح لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. "قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق الى النصر وعلى اسمه يكون رجاء الأمم"؟ فعينا المسيح اذاً ليست كالحمام فحسب بل انها كالحمام على مجاري المياه ايضاً وهي مشبعة بمياه الروح القدس منذ الأزل والى الأبد. لكونها ليست على مجرى واحد للروح بل انها على مجاري للروح وانهار للحياة وبحار الخلود والوجود. وليس ذلك فحسب بل امست عينا المسيح هاتان ينبوعين ازليين تتدفق عنهما الدموع والحنان على الإنسانية المحبوبة وقد هوت وعلى البشرية التي في أعماق الموت قد سقطت.

كيف لا والمسيح راح يبكي فوق قبر العازر بكاءً مرا وهو يرى البشرية فيه قد ماتت بالخطايا وأُنتنت بالذنوب؟ وكيف لا يبكي المسيح أورشليم العاصية وهو

يرى الإنسانية فيها صالبة متمردة ومع الشياطين القتلة متعاقدة؟ اجل كيف لا يبكي المسيح فوق الصليب وتتفجر عيناه من الدموع مجارياً وانهاراً وشرايينه من الدماء سيولاً وهو يرى بعينيه النافذتين الآلاف والملايين من بني البشر ينحدرون إلى الموت ويتزلقون في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت والذي هو الموت الثاني؟ وذلك بسبب العصيان على الحب الفدائي والتقسي بالخطيئة ومظالم الانسان لأخيه الإنسان؟

اجل لا يزال المسيح يبكي بعينيه الحمامتين، مجاعات الإنسانية وأمراض البشرية وجراحات الحبيبة وهي تئنُّ بين اللصوص، بين اورشليم واريحا. نعم المسيح يبكي البشرية الشقية هكذا حتى الموت موتاً بالصليب طالما هو في طبيعته محبة والمحبة لا تعرف سوى لغة الدموع والفداء. افلا يبكي الأب الطبيعي ابنه التائه في الكورة البعيدة وهو يأكل الخرنوب مع الخنازير؟ افلا تبكي الام طفلها وقد لفَّه الثعبان لفاً مميتاً؟ افلا يبكي الراعي خروفه وقد ضل عن الحظيرة؟ أ فلا يبكي الرجل الكريم زوجته وقد انزلقت في مهاوي الرذيلة؟ افلا يبكي الصديق الحساس صديقه وهو متلبس بأعمال الخيانة؟ افلا يبكي الرئيس الامين وهو يرى شعبه وجنده في ساحة الوغى يخونونه والوطن خيانة ماكرة؟ فإن كان البشر الخطاة العاديون يبكون هكذا بعضهم وهم الانانيون، فكم بالحري يبكي المسيح خلائقه وقد غرقوا بالشهوات واختنقوا في بحيرات النتانة وهو القدوس الحبيب والمخلص النجيب؟
ولكن مما يزيد دموع المسيح انسكاباً هو تجاهل البشرية هذه الدموع وتنكرها لذيّاك الحب ومعاداتها لذيّاك الصليب وهي في مصابها بل قل وفي مصرعها تلتمس لها الخلاص من كلِّ مصدر سوى مصدر يسوع المسيح الباكي. فالإنسانية في حروبها تنتظر سلاماً من سياسييها وفي مجاعاتها ترتجى لها شبعاً من مخططيها

ومموليها وفي مظالمها تلتمس لها حرية من ثوارها وفي موتها تتشدد بنظريات ملحديها وفي ضيقاتها تتوقع فرجا من شياطين شهواتها وهي في كل ذلك لا تلتفت إلى المسيح الحبيب التفاته بل تتركه فوق الصليب لذاته باكيا ومجرحا. من اجل ذلك تزداد الإنسانية جوعا فوق جوع وحربا على حرب وموتا تحت موت وهلاكاً بهلاك. اذ يصير فيها الشق اردأ والشقاء اعمق والجرح في النفس والروح اثخن.

وأمّا الآن فما لنا والعالم الشرير وهو يتجاهل دموع يسوع المسيح من اجله بعدما عقد عهداً مع الموت وميثاقاً مع الهاوية وتحالفا مع الشيطان ونحن نرى الكنيسة الجسدية هي الأخرى لم تعد تبالي بدموع يسوع المسيح وتلتفت إلى حب صليبه وصليب حبه؟ الأمر الذي قد زاد المسيح بكاء فوق بكاء وحزنا على حزن. بل وهل من قيمة معنوية لدموع المسيح وهي تجري هكذا فوق الصليب مجارياً تجاه واقع سلبي عام؟ الم يخفق المسيح اذاً بدموع صليبه هذه طالما البشرية تتجاهله هكذا والكنيسة الاسمية تتراجع عنه هكذا؟ كلاالبتة. المسيح لم يخفق في محبته ودموع صليبه ودماء فدائه لانه لايزال حتى الساعة يجذب إليه كل يوم قلوبا قد استلانت بدموعه ونفوسا قد تطهرت بدمائه وعقولا قد تحررت بأنواره وعواطفا قد تحركت بأصابع حبه.

نعم المسيح لا يزال يفتش عن الخروف الضال لينقذه من الذئاب ويرجعه إلى الحظيرة بسلام ويطلب الدرهم المفقود الضال وقد ضاع في مزابل الحياة. اجل انه يطلب زكا العشار بين المنبوذين والخصي الحبشي بين المسودين واللص بين المجرمين والمرأة السامرية بين السامريين والمجدلية في وسط الشياطين. نعم المسيح لا يزال

يجول ويصنع خيراً ويشفي المتسلط عليهم إبليس وذلك بإنجيل دموعه ودموع إنجيله. فهو يشفي المرضى إن انطرحوا عند قدميه ويشبع الجياع إن تسلقوا جباله ويشفي المجانين إن وقفوا في طرقه ويبرر الخطاة إن بلّلوا بالدموع قدميه ويعطي حياة للذين في القبور إن استمعوا إلى كلماته، بل ويعطي السلام الدائم لابناء هذا الدهر إن تجمعوا حول صليبه وتطلعوا إلى مجاري دموع عينيه.

إذاً المسيح لا يزال حياً بإنجيل قيامته يعمل في كل المجالات البشرية ولكن لا بجعجعة عالمية وولولة شيطانية وثورة دموية، بل بصمت وهدوء. وفي صمته هذا يخلق لملكوته نفوساً وفي هدوئه يبني له صروحاً وفي دموعه يسقي للفردوس أزهاراً وسوسناً وأشجاراً. فالمسيح اذاً لم يخفق في حبه ودموعه لان الحب أبداً لمنتصر غالب لكونه منطلق الحياة أبداً. فالذي قد اخفق حقاً انما هو العالم الشرير لكونه يحب الظلمة اكثر من النور والباطل اكثر من الحق والشيطان اكثر من المسيح. لذلك لم يعد المسيح هو المسؤول عن شقاء العالم وآلامه وهلاكه طالما قد رفع في العالم مصلوباً وباكياً. بل الإنسان العالمي، إنسان الخطيئة، إنسان الشيطان هو المسؤول عن هلاك نفسه وعالمه لاختياره الشيطان له سيداً ورباً. لانه ما هي مسؤولية الطبيب في موت آلاف المرضى اذا ما رفضوا طبابته وتناول وصفاته الطبية؟ وما هي مسؤولية القانون ومشرع القانون إن ذهب آلاف المجرمين إلى السجون ورفع فوق المشانق العديد من أبناء المجون؟ وما هي مسؤولية الشمس في عمي ملائين الناس الذين يتهربون من نورها ليعيشوا في الظلام عمياناً؟

اجل أناس العالم يتناولون الكثير من الأدوية طمعاً في الشفاء، لكنهم لايتناولون الدواء السماوي الشافي والذي هو يسوع المسيح. انّهم كعطاش يشربون المياه

ولكن ليس الماء الحي في المسيح يسوع بل مياه الأهوار ومستنقعات الخطيئة. انّهم كجياع يتناولون الأطعمة ولكن ليس الطعام النازل من السماء يسوع بل الخرنوب، طعام الخنازير. انّهم كظالين يسلكون العديد من الطرق ولكن ليس الطريق المؤدي إلى الحياة في المسيح يسوع بل الطريق المؤدي إلى الهلاك، طريق الشيطان.

والآن لما كان العالم شريراً كهذا وقد تحالف مع الشيطان هكذا واستهتر بالمسيح المخلص ولا يزال يستهتر هكذا. فعلام إذاً لم يفرض المسيح إنجيله على العالم بالقوة ليخضعه لارادة صليبه ,مفاعيل دموعه وهو رجل المعجزات والقوات والآيات؟ ذلك لكون المسيح ليس دكتاتوراً ليكون هكذا قاهراً للشعوب بالقوة المجردة. بل انه محبة في جوهره وفداء في واقعه ومخلصاً من سلطة الشيطان بدمائه ودموعه. من اجل ذلك جاء ملكوته بالمحبة وللمحبة. بل أي خير في مملكة تقوم على قهر الإرادات وخنق الحريات، والإطاحة برؤوس ابناء العباد. حقا مملكة المسيح ليست من هذا العالم. وهي قائمة إطلاقا على الحب والحياة والحق. حتى إذا ما هلك الملائين من الناس فإنما يهلكون بإرادتهم وبإرادة الشيطان العاملة فيهم ليس إلا. ولكن رغم قساوة الإنسان هذه بالشر وتصلب قلبه بالخطيئة وعناد روحه بالأنانية، فالمسيح الحبيب لا يزال ينظر إليه من على الصليب بعينين دامعتين وكالحمام وديعتين وعند مجاري المياه طاهرتين نقيتين منتظراً لحظة رجوع الإنسان إليه بالتوبة والبكاء ليقبله بفرح وينزع عنه قلب الحجر بقوة. نعم من اجل المختارين والمعينين منذ الأزل لملكوت الحب لا يزال المسيح في أحكامه صبوراً وبقلبه عطوفاً وبعينيه باكياً وكالحمام الهادئ وديعاً. معطياً بذلك للإنسان أوسع الفرص لمراجعة نفسه ومقاطعة آثامه والنظر إلى مخلص. أمّا الذين يحتقرون المسيح لكونه مصلوباً

ويستهينون به لأنّه وديعاً ويشمتون فيه لكونه باكياً فإنّما يدخرون في ذلك لأنفسهم غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة كقول الرسول بولس "ام تستهينون بغنى لطف الله وامهاله وطول اناته غير عالم ان لطف الله انما يقتادك الى التوبة. ولكن من اجل قساوتك وقلبك الغير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب اعماله" (رو ٢ :٤_٦). "بل كم عقاباً تظنون يستحق من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة. مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي" (عب ١٠ :٢٩_٣١).

حقاً تجاه هؤلاء المستهترين المستبيحين والمتكبرين المتغطرسين والقساة الظالمين والذين قد تعبدوا هكذا لشياطين ذواتهم بالشهوة وراحوا في ذلك يصلبون المسيح مرة ومرتين ويبكونه زماناً وزمانين ونصف زمان ، ستتغير عينا المسيح من نحوهم من اللطف إلى الغضب المقدس ومن الغفران إلى القضاء العادل ومن شبه حمام وديع إلى شبه اسد غضوب ومن مجاري دموع وسيول دماء إلى انهار نيران وبحار دينونة، لأنّ للمسيح الحبيب عينان كلهيب نار وهو للأثمة ناراً آكلة بالحق.

إذاً عينا المسيح كالحمام وديعةً تجاه التائبين المحبين، لكنّها كعيون الأسود غضوبة تجاه المقاومين والمبغضين وللأشرار يقيناً مرعبة ومخيفة. وذلك لكونهما طاهرتين وكأنّهما مغسولتان باللبن وفيهما يتجسد البر تجسداً ويتجلى الحق تجلياً كما هو مكتوب "عيناه اطهر من أن تنظرا إلى الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور". فكيف لا تخافهما الأشرار وترتعد منهما فرائص الأثمة وهما هكذا جالستين منذ الأزل في وقبيهما وفي مركزية قداستهما وفدائهما جلوساً أبدياً دهرياً مطلقا؟ بل كيف

لاتستنير الكنيسة بعيني المسيح هاتين الحمامتين الوديعتين وقد أعطاهما لها بالتجسد العذراوي نعمة ونعما، وداعة وسلاما؟ حتى راح المسيح يناشد حبيبته بذلك قائلا "عيناك حمامتان من تحت نقابك"؟

حقاً في وجه العذراء قد زرع المسيح عينيه الحمامتين زرعاً وفي وجه الكنيسة الروحية غرسهما غرساً. انه التجسد باعاجيبه والفداء بمكاسبه والذي قد خلق الإنسان هكذا جديداً والعيون هكذا حماماً وديعاً. ولكن اتمتلك الكنيسة اليوم عيني المسيح حقاً بعدما زرعت في وجهها بالايمان والمعمودية زرعاً؟ أم أن الشيطان قد قلع عنها هاتين العينين بأصابع الجسد ومناخس شهواته وصارت كالتي بلا أعين تتجسس؟ أتبكي الكنيسة اليوم الخطاة وهم يهلكون والفقراء وهم يجوعون والبؤساء وهم يتعرون والمظلومين وهم يئنون والمرضى وهم يتوجعون كما يبكيهم المسيح من على الصليب. ومار بولس باحشاء من قد صلب لاجله كما يقول "ان لي حزنا عظيما ووجعا في قلبي لا ينقطع فاني كنت اود لو انا اكون انا نفسي محروما من المسيح لاجل اخوتي انسبائي حسب الجسد" (رو٩ :٢-٣)؟ أم ان الكنيسة اليوم تبكي الجسد وشهواته والعالم وملذاته والإنسان العتيق وأطماعه والشيطان وسلطاته ومقامات رؤسائه؟

فإلى عيون الحمام اللطيفة يا ذات العيون الغرابية وإلى مجاري الروح القدس حيث اللبن الإلهي يا ساكنة المستنقعات والى تواضع المسيح ووداعته ياكفرناحوم المستعلية بعيونها إلى السماء والمنتفخة بقلبها إلى الفضاء.

وأمّا أنت الأخرى يا نفسي فكوني بين الحمام حمامة وعند مجاري الدموع حيث اللبن والنقاء مغتسلةً. ولكن إحذري جيداً الغربان في الوادي وأسراب اللقالق مع الكراكي لأنها تستهدف فيك العينين لكونهما عيني الحمامة وكفى.

١٣أ- خداه كخميلة الطيب واتلام رياحين ذكية

جمال الناس ابداً جمال مكتسب ومحدود. اما جمال ابن الانسان (المسيح) فجمال ذاتي وغير محدود. جمال البشر اطلاقاً يتشوه بالخطيئة "لانه ليس بار ولا واحد". واما جمال ابن البشر (يسوع) اطلاقاً لا يتشوه بالخطيئة "لانه لم يعرف خطيئة ولا وجد في فمه مكر". جمال بني آدم يشيخ بالزمن ويتضاءل بالمرض ويضمحل بالموت "لانه كما بانسان واحد دخلت الخطيئة العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطا الجميع" (رو٥: ١٢). واما جمال المسيح ابن الله فلا يشيخ مع الزمن والدهر لانه شباب الى الابد ولا يتضاءل مع المرض لانه لا مرض اطلاقاً في المسيح. ولايضمحل في الموت لانّه قد غلب الموت بالقيامة ولم يعاين جسده فساداً. كل ذلك لان جمال يسوع المسيح انما هو جمال الحق بملئه والبر بشمسه والحب بتمامه والخلاص بقرص بدره. بل انه مصدر لكل جمال أدبي وطبيعي وينبوع لكل جمال ملائكي وبشري "لأننا من ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو١ :١٦).

من اجل ذلك راح الأنبياء يتغنون بجمال المسيح وبلسان داؤد فيقولون "أنت ابرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك" (مز٤٥ :١). وكذلك يتهلل الآباء بهذا الجمال في شخص إبراهيم، رئيس الآباء والذي قال عنه الرب لليهود "أبوكم إبراهيم تهلل بان يرى يومي فرأى وفرح (يو٨ :٥٦). ورآه موسى في

العليّقة في جبل سيناء فصاح قائلاً "أنا مرتعب ومرتعد" (عب١٢ :٢١). ويتطلّع اشعياء إلى ذياك الوجه الجميل في بيت القدس وهو جالس على كرسي عال ومرتفع فيصرخ قائلاً "ويل لي قد هلكت لأني إنسان نجس الشفتين واسكن بين شعب نجس الشفتين،لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود" (اش٦ :١-٥). ويراه منوح وامرأته في الحقل فيصيح "موتاً نموت لأننا قد رأينا الله" (قض١٣ :٨-٢٢). ورأته العذراء متجسداً فيها ومولوداً منها فرأت فيه مالم تره عين وسمعت منه مالم تسمع به اذن وشاهدت فيه الجمال الذي لم يخطر على بال إنسان وقد أعده الله لما وللذين يحبونه. ورآه يوحنا المعمدان عند نهر الأردن فقال عنه "هوذا حمل الله الذي يرفع خطايا العالم". ورآه الرسول بولس في طريق دمشق فسقط على وجهه الى الأرض من قوة جماله وصار كالميت. ورآه الرسل والقديسون وشاهده المؤمنون والمختارون فراحوا يقولون "الذي كان من البدء. الذي سمعناه. الذي رأيناه بعيوننا. الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١يو١:١). وهكذا لا تزال سحابة الشهود ترى خديه وهي كخميلة الطيب واتلام رياحين ذكية فتملأ عيونها بذياك الجمال ورئاتها بهاتيك الروائح الذكية والأنفاس العليلة.

حقاً ملوك كثيرون اشتهوا أن يروا ما رآه القديسون فلم يروا. وأن يسمعوا ما قد سمعوا ولم يسمعوا. لذلك وفي تلك الحضرة الرهيبة راحوا يطرحون أكاليلهم ويخرّون على وجوههم قائلين بصوت عظيم "مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. فخروا وسجدوا للحي إلى ابد الآبدين" (رؤ٥ :١١-١٤). وذلك لان الكلمة قد صار جسداً (ووجهاً كخميلة من الطيب) وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو١: ١٤).

فوجه المسيح اذا إنما هو وجه بخدين. انه وجه اله بانسان وانسان باله. انه وجه روح مطلق بجسد ووجه جسد مطلق بروح. وجه قداسة بحب ووجه حب بقداسة. ففي خد قداسته وبره يكره الخطيئة الى اقصى حدود وبخد حبه يحب الإنسان الى ابعد حدود. ففي خد بره يقطع الخطيئة عن الإنسان وبخد حبه يقطع الإنسان عن الخطيئة. اجل هذان هما الخدّان الجميلان في وجه المسيح المجيد والخدّان في كلمة عهديه ووجه إنجيله. فالذين ينظرون إلى هذين الخدين لوجه المسيح المبارك بإيمان يقع المسيح في قلوبهم سيفاً روحياً بحدين ويختن غُرَلْ قلوبهم وخطايا نفوسهم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايانا البشرية بختان المسيح. وأمّا الذين لا يرون وجه المسيح هكذا بخدين وكخميلة للطيب فيقع عليهم إذاك المسيح سيفاً بحديه الاثنين ويهلكهم وخطاياهم فيهم هلاكاً سريعاً.

غير انه من المستحيل ان نرى جمال وجه الله الا في وجه المسيح. ومن المستحيل كذلك أن نرى جمال وجه المسيح الا من خلال خمائل صليبه واتلام جراحاته ورياحين فدائه. ففي هذه المحبة الذكية الجريحة نقدر وبحق أن نعاين جمال اللاهوت في وجه المسيح يسوع. وإذاك نستطيع أن نصرخ مع توما الرسول قائلين "ربنا وإلهنا". إذاً في المحبة نفهم معنى الصليب وفي الصليب نفهم معنى حقيقة الله ونعاين جماله كخميلة من طيب، "وذلك لكون الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (١يو٤ :١٦). ولكن المسيح يسوع لم يكن يوماً أنانياً بجماله منفرداً بخمائله ومعتزلاً بروائحه الذكية. لكنه محب لغيره إطلاقاً ومخلص لإنسانه أبداً ومجمل لحبيبته دوماً. لذلك ففي تجسده في الانسانية وفي شخص عذرائه زرع فيها خمائله وفي وجهها غرس حبات جماله وفي خديها وضع بذور رياحينه. بل لقد طبع وجهه بخديه على خدي وجهها طبعاً ورسمه فيها بالروح القدس رسماً. ومن ثم راح

يناشد جمال وجهه في وجه عذرائه قائلاً "من هي المشرقة مثل الصباح طاهرة كالشمس. نقية كالقمر. مرهبة كجيش بألوية" وليس ذلك فحسب بل راح الرسول بولس هو الآخر يبشر بجمال وجه المسيح في كنيسة القديسين قائلاً " نحن رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة حياة لحياة ولاولئك رائحة موت لموت".

والآن هل وجه الكنيسة اليوم كوجه العذراء مريم مشرقة مثل الصباح ليودع ليل الخطيئة إلى الأبد؟ وطاهر كالشمس ليبعث النور والدفء والحياة في الخليقة كلها؟ وجميل كالقمر ليستحوذ على عقول الناس وقلوب بني البشر ويدهش عيون بني آدم؟ ومرهب كجيش بألوية ليلقي الرعب في قلوب جحافل الظلام وأعوان الشيطان؟ أم أن وجه الكنيسة اليوم يبيت في الظلام وقد كسفت شمس بره وخسف قمر جماله وسرحت ألوية جنده وكهنته؟ هل وجه كنيسة اليوم نظير وجه كنيسة القديسين شبيه بخمائل الطيب وهو يفوح رياحين ذكية، أم ان وجه الكنيسة اليوم قد جفت خمائله ويبست رياحينه وتبخرت روائحه ؟ فالى خميلة الطيب واتلامالرياحين الذكية في إنجيل العذراء والقديسين يا ذات الأوجه الكثيرة والخدود العديدة.

وأمّا أنت يا نفسي فحذار أن تتطلعي إلا لتلك الخدود الخمائلية الطيبة وان تنظري سوى تلك الأتلام الذكية والجراحات الفدائية. لان الخميلة هي خميلتك أنت والروائح هي روائحك أنت. فهل تتفكرين في هذا المجد يانفسي؟ وعن شكلك الفاسد تتغيرين؟

١٣ب- شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً

اجل كتاب الله الحي بعهديه القديم والجديد هو بمثابة سوسن لشفتي فم الله وهما تقطران مراً مائعاً وفداءً دامياً وروحاً أزلياً مقدساً. كيف لا وقد تكلم مع الإنسان قديماً بأنواع وطرق كثيرة وهو لايزال يكلّمنا به عن ابنه في الايام الاخيرة وقد جعله وارثاً لكل شيء والذي به قد خلق العالمين (عب١: ١).

نعم لقد كلمنا الكتاب منذ البدء عن خلق السماوات والأرض وما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً ام سيادات ام رئاسات ام سلاطين، كلمنا عن سقوط الملائكة وكيف صارت شياطين وعن خلقة الإنسان على صورة الله ومثاله وكيفية سقوطه بتغرير الشيطان، واخيراً عن الوعد بمجيء نسل المرأة (المسيح) مخلصاً للإنسان التائب عن المعصية. كما ولا يزال هذا الفم الالهي بشقيه وعهدبه وشفتيه يكلمنا عن أسرار ملكوت الله في المسيح يسوع. فهو يكلمنا اطفالاً وشباباً ورجالاً وشيوخاً. يكلمنا في احزاننا ومسراتنا. في امراضنا وصحتنا. في نجاحنا وفشلنا. في مشقاتنا وسرورنا. في حياتنا ومماتنا. فهو يكلم بالحق ضمائرنا وبالحكمة أفكارنا وبالمحبة قلوبنا وبالرحمة عواطفنا وبالخلاص نفوسنا وبالقداسة أجسادنا وبالقوة أرادتنا. فهو يكلم الاغنياء والفقراء عن الغنى الحقيقي في الإيمان والفقر الحقيقي في الخطيئة. ويكلم العلماء والجهلاء عن العلم الحقيقي في معرفة الله وعن الجهل الحقيقي في ممارسة الخطيئة. ويكلم السادة والعبيد عن السيادة الحقيقية في المحبة والتضحية وعن العبودية الحقيقية للفساد والخطيئة وعمل الشيطان. ويكلم الأقوياء والضعفاء عن القوة الحقيقية في عمل الخير والضعف الحقيقي في ممارسة أعمال الشر. ويكلم الرجال والنساء عن الرجولة الحقيقية في رعاية المرأة ومحبتها والأنوثة الحقيقية في الطاعة وقوة الأمانة. الكتاب بشفتيه يكلم الإنسان عن البر والتعفف

والدينونة العتيدة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. وبالإجماع فهو يكلم كل إنسان أينما كان وكيفما كان وحيثما كان ليكون إنسان الله كاملاً ومتأهباً لكل عمل صالح ومهيئاً لملكوته العتيد أن يستعلن في المسيح يسوع.

لذلك بات هذا الفم الكتابي بشفتيه يكلّمنا أيضا كمن له سلطان وليس كالكتبة لكون شفتيه هاتين تقطران مراً مائعاً. كيف لا وبكلمة شفتيه هذه خُلقت السماوات والأرض وكل جندها؟ وطُردت الشياطين من السماء بكل قواتها؟ وأُطلقت البشرية المؤمنة من سجنها بكل قطاعاتها؟ وهربت الشياطين من المجانين وغرقت في البحر بكل خنازيرها؟ وانعدمت الأمراض من الناس الملتجئين إلى المسيح بكل إشكالها؟ وتحررت العقول من الخرافات بكل مستوياتها؟ وامتلأت البطون الجائعة من الخبز بكل فراغاتها؟ والقلوب الفارغة من الحب بكل أعماقها؟ ونهضت من بين القبور القامات الروحية بكل قياساتها وأطوالها؟ بل بهذه الكلمة الإلهية (يسوع المسيح) قد حُفظت كل الكائنات بدقائقها وعناصرها؟

إذاً فكيف لانجلس اليوم تحت هاتيك الأقدام مع مريم لنستمع إلى هذا الفم وهو يكلّمنا عن النصيب الصالح؟ وكيف نتخلى عن المسيح ومن بين شفتيه تنحدر كلمات الحياة الأبدية (يو٦ :٦٨)؟ بل وكيف لا نصرخ في وجه فريسي العالم مع الخدام قائلين "لم يتكلم إنسان قط كهذا" (يو٧ :٤٦) ونقول لهم "حقاً لم يعرف خطية ولا وجد في فمه مكر وغش" لان فمه فم حق وشفتيه شفتي سوسن تقطران مراً مائعاً وحباً فوق الصليب منسكباً. راح يسكبه في فم العذراء تسبيحة وفي فم الكنيسة بشارة وترنيمة أبدية.

فإلى الكتاب بعهديه أيتها الكنيسة الفريسية والى المسيح بشفتيه السوسنتين أيتها الكنيسة الناموسية. بل إلى مرّة المائع وموته المذيب للخطيئة أيتها الكنيسة الصدوقية.

وأمّا أنت يا نفسي فلينبلك الحبيب بقبلات فمه وبشفتي كتابه ويملأ بالكلمات الحيّة فمك ويصبغ بحمرة الفداء والحب شفتيك وإذّاك تكون شفتاك أنت سوسن تقطران مراً مائعاً

١٤أ -يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد

جسد الرب المسيح يسوع المكسور على الصليب والمذبح ودمه الجاري فوقهما هما اليدان الذهبيتان للرب الإله يسوع المسيح "لان جسده مأكل حق ودمه مشرب حق" لذلك فإنهما بالحق ذهباً مرصعاً بالزبرجد "الروح القدس".

كيف لا والملاك جبرائيل يقول للعذراء مريم "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله؟ كيف لا يكون المسيح بإنسانيته ذهباً وقد رصّعت إنسانيته بالروح القدس ترصيعاً أزلياً وزمنياً واتحدت باللاهوت اتحاداً أبدياً؟ نعم المسيح ذهب بيديه وبجسده ودمه طالما الله قد ظهر بهما ظهوراً وتجسد فيهما تجسيداً. والعذراء قد ولدت هكذا عمانوئيلاً وابناً لله قدوساً. اذاً المسيح ذهب بيديه. بجسده ودمه. بناسوته ولاهوته "لانه لم يعرف خطيئة ولا وجد في فمه مكر".

كل الأيادي البشرية إنما هي من معدن رصاص وحديد متأكسد بالخطيئة. الا يدي يسوع المسيح فهي ذهبية لا يمكن ان تصدأ. لكونهما ذهب مرصع بالزبرجد

والروح القدس. حتى انه، بات مستحيلاً أن يعيش الإنسان، أي انسان لذاته ساعة واحدة من دون خطيئة. لان الخطيئة أمست فيه طبيعة وجوهراً وحياة. لذلك راح الإنسان هذا يخطئ بضميره وقلبه وذهنه. بروحه ونفسه وجسده. بفمه وشفتيه ولسانه. بأفكاره وعواطفه وسلوكه. فهو يخطئ إلى الهه وقريبه ونفسه. إراديا وغير إرادي. بعلم وبغير علم. عفويا ومتعمداً. ظاهرا ومستترا. ماضيا وحاضرا ومستقبلاً.شخصياً وعائلياً. اجتماعياً ووطنيا. انسانيا والهيا. انه يخطئ خطيئة صغيرة وكبيرة. ويخطئ غنياً وفقيراً. اميراً وصعلوكاً. قوياً وضعيفا. عالما وجاهلا. كاتباً وفلاحاً. فيلسوفاً وعاملاً. متديناً وعلمانياً. سياسياً واقتصادياً. حراً وعبداً. مستعمِراً ومستعمَراً. شرقياً وغربياً. ابيضاً واسوداً. رجلاً وامراة. وذلك لان الله اغلق على الجميع تحت الخطيئة.

إذاً فإنسان الخطيئة بعقله يتفكر بالخطيئة وبقلبه يخفق بها وبارادته يمارسها وبجسده ينجذب إليها. فصارت له بذلك عقلاً وقلبا وارادةً وحياةً بل دماً ولحماً وعظاماً وأعصاباً. ففي أقدامه تمشي الخطيئة مشياً وبأيديه تعمل. بعينيه تنظر وبآذانه تسمع وبشفتيه ولسانه كلاماً تتكلم. في حواسه تتحسس ومع قامته العقلية والنفسية والجسدية ترعرعاً تترعرع. فالخطيئة إذاً كيان ذاتي شرير وسلبي وشخصية أدبية سلبية تقوم بذاتها وكما هي في الشيطان وفي غيرها وكما هي في الإنسان. لها قوامها ومقامها. وجودها وكيانها. واقعها وطاقاتها. فهي لذلك تشكل عالماً شريراً ومعسكراً شيطانياً جهنمياً، ففي خطيئة الشيطان هذه صار الإنسان للشيطان عبداً وللخطيئة انساناً. ففسدت حياته بذلك حتى الموت فسادا وأمست يداه بالتالي حديداً قاسياً متأكسداً. هذا هو إنسان الخطيئة العتيق المخلوق حسب شهوات الغرور وقد اصبح مبيعاً تحت الخطيئة يأكل الخطيئة طعاماً ومع الخنازير خرنوباً

وعنفاً ويشربها معهم مُسكِراً معتقاً ومورفيناً مميتاً ويستنشقها غازاً مميتاً وكاربوناً خانقاً وقضاء في اليوم الأخير عسيراً. كل ذلك لان "المولود من الجسد جسد هو" (يو٣ :٦).وكما يقول الرسول بولس كذلك "من اجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ اخطأ الجميع (رو٥ :١٢). هذا هو الإنسان العتيق، إنسان الخطيئة وهذا هو واقعه وهناك بين القبور مصيره.

أما الإنسان الجديد إنسان البر. أما الإله المتجسد يسوع المسيح فانه بالحق "لم يعرف خطيئة ولا وجد في فمه مكر"ولهذا يداه من ذهب نقي مرصعتان بزبرجد الروح القدس ترصيعاً سرمدياً. فالبر جسده والصلاح دمه والحق والحب حياته ووجوده. لذلك لايمكن أن يخطئ لكونه والخطيئة قطبين متنافرين موجباً وسالباً. طبعاً وجوهراً. لذلك لم يخطئ المسيح في طفولته وشبابه ورجولته. لا في حياته ولا في مماته. لا في اقواله ولا في تعليمه. لا في اعماله ولا في معجزاته. لا في افكاره ولا في تصرفاته. اجل لم يخطئ المسيح الى ابيه ولا الى انسانه ولا الى ذاته. انه لم يخطئ ليس خطيئة كبيرة فحسب بل ولا صغيرة كذلك بل ولا حتى كلمة بطالة ولا نظرة منحرفة او نية جامحة او فكرة رديئة وذلك لانه لا يمكنه ان يخطئ. لكون الخطيئة ضد طبيعته وجوهره ووجوده. فكما ان الشيطان لا يستطيع الا ان يخطئ لان الخطيئة جوهره. كذلك المسيح لا يمكن ان يخطئ لان البر اطلاقاً جوهره. من اجل ذلك راح المسيح يتحدى الأجيال المتعاقبة بقوله "من منكم يبكتني عن خطيئة" (يو٨ :٤٦).

والآن هل من كائن بشري مجرد يستطيع أن يقول هكذا ويكون أيضاً هكذا غير الله؟ إذن المسيح يسوع ببره المطلق هذا "إنما هو ذات الله وقد ظهر في الجسد". وان يديه الذهبيتين هما المرصعتان بالزبرجد والروح القدس والصلاح. واما ايادي بني البشر جميعاً فانما هي ايادي رصاصية بل حديدية متاكسدة بالخطيئة والشر. ألا ما اعظم الفرق بين البشر وبين ابن البشر يسوع المسيح. الإنسان المولود من امرأة برجل لا يمكن أن يكون إلاّ خاطئاً "لان كل يبزر بزراً كجنسه" لذلك لا يمكن أن يكون هذا الإنسان إلاّ أنانياً وذاتياً. وما الخطيئة في عمق مفهومها سوى الأنانية الجامحة والغير المرتبة. وهكذا راح إنسان الخطيئة هذا يصوم ويصلي ويتصدق لا محبة لله والقريب بل محبة لذاته في الهه وقريبه. كما يخدم ويبذل لا تمجيداً لاسم الهه وخيراً للإنسان قريبه بل تمجيداً لانانيته وطمعاً في خير ذاته، حتى إذا لم يُعطَ إنسان الأنانية هذا مايبتغيه من مجد انقلب على الله في الدين وعلى الإنسان في المجتمع ناقما وحاقداً بل وعلى ذاته متذمراً ومنتحراً.

نعم قد يحب إنسان الخطيئة أعضاء أسرته وأصدقائه ويناصر إنسان الأنانية دينه وطائفته وقوميته ووطنه ولكنه في الوقت نفسه يبغض أسرة قريبه ووطن ودين وقومية غيره. فهل تسمى مثل هذه محبة وإنسانية أم عداوة وحقد؟ بل أنانية شيطانية والتي لاتستهدف إلاّ تثبيت الأنانية الذاتية في حسابات الأقرباء والقوميات والحزبيات وحتى الديانات. لانه لو ولد هذا الإنسان الأناني بالذات في دين آخر غير دينه الحالي وانحدر من قومية أخرى غير قوميته الحالية ووجد في وطن آخر غير وطنه وانتسب لعائلة أخرى غير عائلته هذه انما كان يتعصب ويناصر مايقاومه اليوم ويضطهده بل ويقتل قائين حتى أخاه هابيل إذا ما تحكمت أنانيته في ذلك تحكماً. فهل تسمى اذاً هذا الروح، روح الحق والمحبة والإنسانية؟ فكيف لا يكون اذا

إنسان الأنانية هذا، إنسان الخطيئة والشرور وعلى وجه الاطلاق؟ ويداه وقلبه من حديد وقد تاكسدا بالخطيئة والذات تاكسداً نجساً؟ حقاً أنانية الإنسان الجامحة والسلبية هذه هي علة الشقاء والويلات في مملكة البشر ومبعث المظالم وخلق الطبقات غير المتكافاة بين الشعوب وأساس الحروب والدماء بين الأمم ومحرك العداوات والانقسامات بين الديانات والقوميات ومولد الفقر والحرمان بين الأجناس. فبأي حق اذاً يتغافل الرأي العام العالمي بل يتنكر لواقع الخطيئة هذه وهو يراها كل يوم حقيقة في واقعه وواقع غيره؟ بل يذوق الأمرين من أشواكها الحادة في قلبه وعقله وجسده؟ حقاً إنها لخديعة الشيطان في الهالكين "الذين فيهم اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضي لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله" (٢كو٤ :٤)

غير أن ابن الإنسان يسوع المسيح ذو اليدين الذهبيتين المرصعتين بالزبرجد ليس هكذا. فانه قد احب أقرباءه الجسديين ولكن ليس على حساب الآخرين بل احبهم كجزء من الإنسانية ليس إلاّ. لانه حينما صرخت امرأة من الجمع قائلة "طوبى للبطن الذي حملك وللثديين الذين رضعتهما" أجابها المسيح "بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها" وعندما قالوا له "هوذا أمك واخوتك واقفون خارجاً يطلبونك" أومأ بيده إلى تلاميذه وقال "هؤلاء هم أمي واخوتي لان كل من يسمع كلمة الله ويحفظها فهو أخي وأختي وأمي". وهكذا قد اخرج المسيح العقلية البشرية من موقع الأنانية العائلية الى رحاب الاخوة البشرية. ولنا في مثل السامري الصالح الدليل القاطع على أن المحبة النقية والرحمة المقبولة والإنسانية الأصيلة لا تنحصر إطلاقاً في الطائفة والجنس بل تشمل الإنسان كانسان وعلى وجه الإطلاق. لان الطائفية والعنصرية والقومية والحزبية لا تزال تمر على الإنسان الجريح وفي

شخص الكاهن واللاوي مرّ الكرام وتركه ليتسع ألما ويرتوي عذابا. فالسامري المسافر والمسيح الغريب العابر هو وحده الذي لا يستطيع أن يرى الجريح بين اللصوص ويعبر عنه. بل يقف فوقه ويتحنَّن عليه ويضمد جراحاته بزيت تعليمه وخمر فدائه ويرفعه فوق أكتاف عنايته ليأتي به إلى الفندق والكنيسة حيث الرعاية والاستشفاء. بل إلى فندق سمائه معطيا لاجله أثمن أجرة هي ديناري جسده ودمه. وهو في كل ذلك يتخطى الحدود القومية والعنصرية والدينية والحزبية مأخوذاً بالمحبة الإنسانية لكونه ابن الإنسان ليس إلا. فلذلك لما أراد اليهود أن ينصبوه عليهم ملكاً عاديا رفض واعتزل بنفسه في الجبال. ولما سأله بيلاطس عن ملكيته أجابه قائلاً "مملكتي ليست من هذا العالم" وذلك لكيما يوجه الأنظار إلى وطن سماوي افضل يسكن فيه البر حيث "لا يهودي ولا يوناني ولا بربري ولا سكيثي ولا عبد ولا حر بل الجميع واحد في المسيح يسوع".

فانسان الخطيئة اذا يحب الانانية ويبغض الفدائية. يحب الخطيئة ويكره الانسانية. يتعبد للانانية الخاطئة ويرفض الفدائية الالهية. لانه في هذا الروح هو والشيطان سواسية. واما انسان القداسة يسوع المسيح فهو يحب التضحية الفدائية ويكره الانانية الخاطئة. لانه هو والآب في هذا الروح المجيد سواسية. فمن اجل ذلك بات المسيح بطبع جوهره يكره انانية الانسان الجامحة الى اقصى حدود كما ويحب انسانية الانسان الى اقصى حدود. من اجل ذلك بات المسيح بطبع جوهره يكره أنانية الإنسان الجامحة كما ويحب إنسانيته. ففي حدي صليبه اذا قد عزل خطيئة الإنسان عن قداسة إلهه وأنانية الإنسان عن إنسانية الإنسان. بل وخلق له بتلك اليدين الذهبيتين الواحدة من نحو إلهه والأخرى من نحو إنسانيته. وفي كل ذلك لا يبغي المسيح مغنماً ذاتياً ومنصباً أنانياً وسيطرة نفسية، بل للإنسان خلاصاً وحياةً

بالأولى. من جهة الختان مختون في اليوم الثامن. ومن جنس إسرائيل ومن سبط بنيامين. عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فرييسي. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم. ولكن ما كان ربحاً فهذا قد حسبته من اجل المسيح خسارة" (في٣ :٤-٧). فالآن علام راح الرسول بولس يفرط هكذا بامتيازاته لقومية والدينية وغيرته الذاتية؟ فهل قصد الرسول الملهم النيل من كرامة أمته والاستنقاص من حقوقها الدينية والقومية؟ كلا البتة لانه يقول في موضع آخر "أنا اكثر غيرة من جميعكم في تقليدات آبائي". فالذي قصده الرسول إذاً أن المسيح قد أخرجه من دوائره الذاتية الضيقة إلى دوائره الفدائية الرحبة، تلك الدوائر الخلاصية والمجالات الحبية والأجواء السماوية والتي بعدما دخلها الرسول بولس مع المسيح وهو في طريق دمشق راح يدعو بني قومه إليها دعوة بلجاجة قائلاً "إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع. فاني كنت أود أن أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لاجل اخوتي انسبائي حسب الجسد" (رو٩ :٢-٣). ألا ما اجمل المقارنة التي يضعها الرسول يعقوب بين إنسانية يسوع المسيح ومحبته الفدائية المطلقة هذه وبين إنسانية البشر المزيفة وأنانيتهم المطلقة تلك بقوله "من هو حكيم وعالم بينكم فليُرِ أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة. ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية. لانه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر رديء. واما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة ثم مسالمة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء" (يع٣ :١٣-١٧).

اذاً فلهذا أمست الكنيسة اليوم ملزمة بالخروج من عزلتها الطائفية وقوقعتها القومية وسياجها الطقسي وحرمها اللغوي إلى مفهوم إنجيل يسوع المسيح في المحبة والفداء. وذلك إذا ما أرادت حقاً أن تحتفظ بكيانها ومقوماتها البشرية. نعم في إنجيل المسيح وليس بغيره تمتلك اليدين الذهبيتين القادرتين على بناء كل ما هو "جليل وكل ما هو عادل وكل ما هو طاهر وكل ما هو مسر وكل ما صيته حسن"(في٤: ٨).

أمّا أنت ايها القارئ العزيز- ما هي نوعية يديك الآن؟ أهي ذهبية في المسيح أم رصاصية وحديدية في الشيطان؟ هل يدك اليمنى يابسة وبخيلة أم منبسطة ورحيمة؟ أتصافح المسيح يسوع وكما هو في إنجيله بكلتي يديك أم انّك تصافحه بيد وتصافح الخطيئة بيد اخرى؟

واما أنت يا إنسان الله هذا اليدين المذهبتين فإن شككت يدك فاقطعها والقها عنك لانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك من أن يلقى جسدك كله في جهنم. فهل لك أن تقطع يدك عن الخطيئة الان؟

١٤ب- بطنه عاج ابيض مغلف بالياقوت الأزرق

نعم المسيح عاج ابيض في باطنه وياقوت ازرق في ظاهره. إله ابيض وبار في جوهره. وإنسان ازرق وياقوت مُمجَّد في شكله. فلاهوته العاجي الأبيض متحد بناسوته الأزرق اتحاداً معنوياً منذ أيام الأزل كقول الرسول بولس "فكم بالحري دم المسيح الذي بروح ازلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من اعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب٩ :١٤). كما وناسوته الياقوتي متّحد بلاهوته العاجي أيضاً اتحاداً عملياً زمنياً كقول الرسول بولس "ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله

ابنه مولوداً من امراة مولودا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل٤ :٤-٥).

فالمسيح إذاً عاج ابيض في بطنه، لاهوت بار في جوهره، رب قدوس في أزليته. كذلك هو ياقوت ازرق في تجسده وناسوت ممجد في بشريته. فهو إله بإنسان وإنسان بإله. عاج بياقوت وياقوت بعاج. ولقد دلل على هذه الحقيقة النبي ميخا بقوله "اما انت يا بيت لحم افراته فانت لست الصغرى بين مدن يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل" (مي٥: ٢). وهنا قد راى النبي ميخا انسانية يسوع المسيح كياقوت ازرق في بيت لحم أولاً ثم لاهوته كعاج ابيض في مخارج القدم والأزل ثانياً. واشعياء هو النبي الآخر الذي قد عاين بعين النبوة إنسانية يسوع المسيح كياقوت ازرق أولاً بقوله "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً". ورأى لاهوته كعاج أبيض ثانياً بقوله "ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (اش٩ :٦). وهكذا أمسى المسيح بعد التجسد واحداً. وإلا كيف تتم الكلمة المكتوبة "والكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يو١ : ١٤)؟ و"الله قد ظهر في الجسد" (١تي٣ :١٦)؟ و"الله قد اشترك في اللحم والدم" (عب٢ :١٤)؟ وما الذي كان يعنيه الرسول بولس بقوله لرعاة كنيسة افسس "ارعوا كنيسة الله التي قد اقتناها بدمه" (اع٢٠ :٢٨)؟بل ما الذي قصده الرب بقوله لرسوله فيلبس "الذي قد رآني فقد رأى ألآب"؟ افلا تدل كل هذه التصريحات على وحدة اللاهوت العاجي بالناسوت الياقوتي؟

اجل نحن لا نعلم كيف صار العاج ياقوتاً والكلمة جسداً والله الغير المنظور منظوراً وفي الدم واللحم مشتركاً ومحسوساً وملموساً. ولكن الذي نعلمه يقيناً إن العذراء قد حبلت وولدت ابناودعت اسمه عمانوئيل لأنه ليس عند الله أمر عسير. وان

أفكاره ليست أفكارنا ولا طرقه طرقنا. وأقواله اصح من أقوالنا وإعلاناته اضمن من تخميناتنا وذلك لان السرائر لله دوماً وامّا المعلنات فهي لنا ولبنينا. وإلاّ إن لم يصر العاج هكذا ياقوتاً والكلمة جسداً والله إنساناً. فكيف يتسنى للإنسان الخاطئ أن يتقدس بحياة الله ويتاله به تاليها وبالاشتراك بطبيعتة الإلهية يصير له ابنا وبالتالي لملكوته وارثاً؟ (رو٨ :١٧)؟

وإن لم يصر العاج الأبيض ياقوتاً أزرقاً والله بشراً. فكيف قد ولدت العذراء إذاً القدوس ابن الله وعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا؟ بل كيف يسوغ الى اليصابات وهي الناطقة بالروح القدس ان تصرخ قائلة "من اين لي هذا ان تاتي ام ربي الي" (لو١: ٤٣). ونحن نعلم من نصوص الكتاب "بأن الرب هو الله" (يو٢٠ :٢٨) و(مز١٢٨ :٢٧) و(١مل٨: ٣٩). وليس ذلك فقط بل ان لم يكن المسيح هكذا عاجاً لاهوتياً متحداً مع الياقوت الناسوتي. كيف يقدر أن يكفّر عن خطايا العالم كلّه تكفيرا؟ لانه إن كان المرفوع فوق الصليب نبياً قديساً وشهيدا متالها وإنسانا مجرداً وياقوتاً محضاً. كيف يستطيع أن يخلّص إلى التمام الجنس البشري قاطبةً من شروره ويغفر له خطاياه ونحن نعلم انّه ليس أحد يستطيع أن يغفر الخطيئة إلا الله وحده؟ هل تستطيع الإنسانية المجردة عن اللاهوت أن تغفر الخطايا الموجّه ضد قداسة الله وكرامته توجيهاً مباشراً؟ بل كيف يكفر الزمني خطايا الزمني ونحو الأزلي؟ إذاً الإله الأزلي والأبيض العاجي وحده القادر أن يكفّر عن خطايا الإنسان الزمني ضد الإله الأزلي وكما هو في الإله المتجسد والعاج المغلف بالياقوت يسوع المسيح ربنا.

والآن إن لم يكن المصلوب هذا الها وقد ظهر في الجسد. فأين محبة الله من نحو البشر الخطاة والهالكين؟ أفلا يكون الله اذاك بخيلاً في حبه. أنانياً برحمته. شحيحاً في خلاصه بل معتزلاً بلا دوته؟ وأمّا الآن "فإن الله بين لنا محبته لأنّه ونحن بعد خطاة

مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٨).لانه لما كان الإنسان الزمني المحدود يُخطئ بحق الأزلي الغير المحدود اقتضى العدل الإلهي أن يموت هذا الأزلي عن الزمني تقييماً للحق الإلهي وتخليصاً للإنسان الزمني.

ولكن كيف يموت الأزلي هذا عملياً وواقعياً وهو الروح الالهي المطلق كقول الرب للسامرية "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا" (يو ٤ :٢٤)؟ الا يتم ذلك بتجسد الأزلي وتأنس العاج الأبيض هذا؟وكما هو الواقع في يسوع المسيح؟

أجل لا تمس الخطايا البشرية وواقع الصليب العاج اللاهوتي عملياً، لكنّها تمسَّه معنوياً واعتبارياً. والموت هو الآخر إن كان لا يمس اللاهوت فعلياً لكنه يمسه أدبياً. وما صليب يسوع المسيح الكفاري هذا سوى التعبير المعنوي والمادي لتعديات البشر بشرورهم على الله معنوياً وعملياً والتصدي لهذه التعديات بالمحبة الإلهية الأزلية معنوياً وعملياً كذلك.

اذاً إن كانت خطايا البشر قد وقعت على جسد المسيح وناسوته وياقوته الأزرق بصورة حرفية وعملية حتى الموت بالصليب مرة واحدة فهي لا تزال تقع على لاهوته وعاجه الأبيض الأزلي بصورة أدبية معنوية مرات، وذلك ليس في الصليب العملي التاريخي فقط بل في الصليب المعنوي اللاهوتي أيضاً. وذلك ليكون فداءً أزلياً لاهوتياً عاجياً للقديسين وقضاءً ازلياً للشياطين والأثيمين كما هو مكتوب "لان الآب لا يدين احداً بل قد اعطى كل الدينونة الى الابن واعطاه سلطاناً ان يدين لانه ابن الانسان" (يو٥: ٢٢-٢٧).

إذاً لم يكن المسيح المصلوب ياقوتا مجردا وإنسانا مجردا وإلاّ فتحسب كفارته ومحبته ضعيفة وناقصة كما وانّه لم يكن كذلك إلهاً مجرداً وعاجاً ابيضاً وإلاّ لاستحالت كفارته وتعطلت عملياً فديته. لكنّه وبحق اله بإنسان وإنسان باله. عاج بياقوت وياقوت بعاج. فمن اجل ذلك هو قادر في ذاته إن يخلص كل إنسان آتيا إلى العالم إذا ما اتحد الإنسان بهذا الفداء بالإيمان. ولكون المسيح هكذا اله بإنسان وإنسان باله، وعاج بياقوت وياقوت بعاج. فهو لذلك على الصليب حي وميت وميت وحي في آن واحد. وما خروج الماء والدم من جنبه المطعون فوق الصليب بعدما اسلم الروح إلاّ الدليل القاطع على حياته وموته وعلى عاجه وياقوته، بل على لاهوته وناسوته.لانه لمن المستحيل أن يكون الإنسان المجرد حياً وميتاً في آن واحد.كما ومن المستحيل كذلك أن يكون الإله المجرد حياً وميتاً في آن واحد. ولكن من الميسور حقاً أن يكون الإله المتجسّد يسوع المسيح حياً وميتاً في زمن واحد. لانه اله بإنسان وإنسان باله.

والآن افلا يدل الواقع الإلهي التجسدي هذا على اتحاد اللاهوت بالناسوت منذ الأزل معنويا وفي الزمن عمليا والى الأبد معنويا وعمليا؟ "حقا لو عرفوا لما صلبوا رب المجد". فحتى متى يا ترى يطلب الإنسان الخاطئ والجاهل الأعمى "الحي من بين الأموات"؟ وينشد العاج الأبيض بين الخطاة وهم في داخل القبور قد فسدوا؟ "حقا ليس هو ههنا لكنه قد قام" كما قال "هلمّا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه" (مت ٢٨ :٥)؟

فأين إذاً قد صار الياقوت الأزرق والناسوت في المسيح يسوع؟ أفي القبر ليعاين فساد الجسد كجسد داؤد ومن هم على شاكلة داؤد؟ أم انه قد قام من بين

الأموات متحداً بالعاج الأبيض واللاهوت؟ ليس في القبر بل خارجه وليس فوق الأرض بين الأحياء فحسب بل وفوق السماوات كذلك ليسود على الأحياء والأموات، ليس بلا هونه المجرد فحسب وبعاجه الأبيض فقط بل بياقوته الناسوتي كذلك وليس في الوحدة الطبيعية هذه من عجب طالما الكلمة صار جسداً وبات الله إنساناً والعاج ياقوتاً. إذاً المسيح بطن عاج مغلف بالياقوت الأزرق .نعم في بطن العذراء قد صار الكلمة جسداً وفي أحشاء القديسين قد صار العاج ياقوتاً.

فهل قد صار المسيح في قلبك أيّها القارئ العزيز بهذا التجسد متحداً وبهذا الفداء مثبتاً وللإله المتجسِّد يسوع نظير النوراني إغناطيوس حاملاً.

١٥أ- ساقاه عامودا رخام

اجل لا يزال المسيح يجول الخليقة كلها بساقيه الرخاميين وعهديه الاثنين ليصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس. فيطوف بأورشليم واليهودية والسامرة واقاصي الأرض مبشراً بالإنجيل. وبساقي لاهوته وناسوته يدعو الجميع إلى التوبة والإيمان وهو ينادي قائلاً "توبوا لانه قد اقترب ملكوت الله". لذلك جاءنا المسيح من السماء معلماً صالحاً بساق وطبيباً شافياً بساق أخرى. أما تعليمه فكان كمن له سلطان وليس كالكتبة لكونه لم يستق تعليمه من مصدر خارجي كما يفعل الكتبة وسائر المعلمين بل هو بذاته المصدر المطلق لكل تعليم صالح وحق للسماء ساطع.

نعم لم يعلّم المسيح البشر العلوم الطبيعية وكيف يأكلون ويشربون ويلبسون ويسكنون، لانها في متناول أيديهم. لكنه أعلن لهم أسرار الحياة لانها غامضة وفتح لهم مغاليق الوجود لانها مقفلة. لذلك لم يسنّ المسيح للبشر قانوناً ويضع لهم شريعة

ويبتدع فلسفة ويخطط سياسة شأن العباقرة البشريين لأن البشر في ذلك لقادرون. لكنه يخلق من الإنسان الشرير إنساناً آخر جديداً فيصير هذا بنفسه قانوناً وشريعة وفلسفة وسياسة. والفلاسفة في هذا الأمر لعاجزون. لذلك لم يقدم المسيح تعليماً ليكون دستوراً لعالم ميت بالذنوب والخطايا بل حياة لعالم حي بالبر والقداسة.

فالإنجيل إذاً ليس اسطورة خرافية قد وضعه المسيح لجهال عصره ولا فلسفة منطقية لينتفخ بها على غيره بل حكمة سماوية وبساطة حياتية يستنير بها أبناء دهره. بل قوة أدبية يتحسس بها أبناء ملكوته. فقديسو العلي إذاً يعيشون الإنجيل ليس قيداً أو فرضاً بل حياة ودماً ولبس دستوراً وقانوناً بل نفساً وتنفساً وليس فلسفة وعقيدة بل دماً في الحياة وأعصاباً كقول الرسول بولس "لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (في١ :٢١). لأنه ما قيمة الفلسفة للإنسان الجاهل؟ والدستور للإنسان المجرم؟ والحياة للإنسان الميت؟ وماذا تستطيع المكاحل للأعمى؟ وقدم الجمال للإنسان الأعرج؟

فالفلسفة إذا إنما هي إلى مباحث هذا الدهر والدستور للمثقف والحياة للإنسان الحي خارج القبور والنور للإنسان المبصر وقدم الجمال لذي الأرجل السليمة. فإنجيل المسيح إذاً وإن كان عسيراً بل مستعصياً على الخطاة والمرضى وذوي العاهات من بني البشر. لكنه سهل وميسور على المتعافين فيهم والمتجددين والذين قد حصلوا على الطبيعة الجديدة التي تتناسب ومطالب تعاليم يسوع المسيح السامية. فمن أجل هذا وإن لم يضع المسيح قانوناً للبشر ودستوراً ولم يشرع لهم نظريةً ولا فلسفةً، لكنه صار هو بذاته في قديسيه فلسفةً للحياة بالحب ودستوراً للوجود بالبر وقاعدةً للكائنات في الحق. لهذا فقد تشيخ كل التعاليم البشرية

وتضمحل كل النظريات الإنسانية ويموت أصحابها موتاً تموت. لكن تعليم يسوع المسيح في إنجيله سيبقى هكذا شاباً لا يشيخ وساقاً من الرخام الأبيض لا يموت. لكونه لا يستهدف بتعليمه سيطرة ذاتية بل إعلاناً للحقيقة عن الله الآب من جهة وخلاصاً للإنسان من ظلمة الخطيئة من جهة ثانية. وما جوابه القائل "تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني" رداً على سؤال اليهود القائل "من أين لهذا هذه وهو لم يتعلم "إلاّ البرهان القاطع على غاية المسيح المطلقة من تعليمه بتقديم الحقيقة الحياتية للإنسان ليس إلاّ. فغير المسيح قد يصيب في تعليمه مرة ويخطئ مرات ويصيب اليوم ويخطئ في الغد ويعدل ويصحح فيما بعد الغد "لان الذي من الأرض هو ارضي ومن الأرض يتكلم". واما المسيح فلم يخطئ في تعليمه قط "لان الذي من فوق هو فوق الجميع والذي من السماء هو فوق الجميع ومن السماء يتكلم". لذلك قال لليهود ولا يزال يقول لغير اليهود "من منكم يبكتني عن خطيئة. فان كنت اقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي. الذي من الله يسمع كلام الله لذلك انتم لستم تسمعون لانكم لستم من الله" (يو٨: ٤٦-٤٧). وهكذا سيبقى المسيح بساق تعليمه الرخامي النقي هذا يجول في الشعوب للعيون نوراً وللقلوب حياة وفي الآذان ترنيمة شجية وفي الأنوف رائحة ذكية وفي العقول حكمة منيرة وفي الضمائر حقيقة صريحة وفي النفوس والأرواح طمأنينة كثيفة وللأجساد كرامة مجيدة. ولكن المعلمين البشريين والفلاسفة المدعيين يعيشون بساق حديدية ثقيلة واحدة لكونهم نظريين وليسوا عمليين ولكونهم يقولون ولا يفعلون. فلهذا وإن جلسوا على كرسي موسى والناموس يعلّمون وفوق كرسي أفلاطون وسقراط يهذّبون. ولكن ليس فيهم من قدر أن يعلم نفسه ويهذب قلبه. من اجل ذلك عاشوا ولا يزال خلفاؤهم المعاصرون يعيشون بساق واحدة غير رخامية وبين منحدرات نظرياتهم

وأضاليل تعاليمهم ينطون ويرقصون لكونهم هكذا فوق الرمال مبنيين فسرعان ما ينهارون وتنهار معهم تعاليمهم إذا ما هبت الرياح ونزلت الأمطار وجاءت الأنهار. واما المسيح فليس هكذا بساق واحدة تعليمية مجردة بل انه بساقين رخاميين، ساق تعليميه وأخرى عملية. من اجل ذلك جاءت مشيته حثيثة موزونة وجاء تعليمه كمن له سلطان وليس كالكتبة وهو يجول يصنع خيرا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس. فالمسيح اذاً سواء كان في تعليمه ام في عمله فانه يبدا دوما من الجوهر وينتهي بالعرض. يخلص الروح أولا ثم الجسد. يعالج القلب (الإنسان الباطن الخفي) أولاً ومن ثم الظاهري. لذا نسمعه في تعليمه يقول "سمعتم قيل للقدماء لا تزن. واما انا فاقول ان كل من نظر الى امراة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت٥ :٢٨). واما في مجال عمله وطبابته فهو يقول للمخلع مغفورة لك خطاياك أولا ثم قم واحمل سريرك وامش إلى بيتك ثانيا.

وهكذا نرى المسيح في عمله وتعليمه يستأصل العلة من الأساس ويلاحق الخطيئة من الأعماق ويشفي الإنسان من كل الأطراف بل له السلطان أن يقيم الأموات. وذلك في المجال الروحي اليوم بالمحبة والإيمان وفي المجال الجسدي في اليوم الأخير بالرجاء وذلك حسب تصريحه القائل "الحق اقول لكم تاتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون. لا تتعجبوا من هذا فانه تاتي ساعة فيها يسمع جميع من في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات الى قيامة الدينونة" (يو٥ :٢٥–٢٨). وما قيامة النفوس وتقديس القلوب اليوم بالتوبة والإيمان إلا البرهان الساطع على سلطان المسيح على أرواح الناس. كما وما إقامة اليعازر وابن الأرملة وابنة يايرس بل

قيامته هو بذات الجسد من بين الأموات إلاّ العينات الحية والدلائل القاطعة على سلطان المسيح على الأجساد واقامة أجساد القديسين منها والمؤمنين لحياة أبدية.

وهكذا نرى المسيح يركّز العناية بالإنسان الروحي كما بالإنسان الجسدي. فهو يخلق عيوناً للروح لتراه كروح الهي مطلق وعيوناً للجسد لترى العالم المادي ويخلق للروح آذاناً داخلية لتسمع صوته كصوت للحياة وآذاناً أخرى للجسد لتسمع الصوت الطبيعي ويخلق السنةً روحية لتنطق بالكلام عن الرب والسنةً جسدية لتنطق بالكلام عن العالم ويخلق أرجلاً للروح لتسير في طريق السماء وأخرى جسدية لتسير في طريق الأرض ويشفي نفوساً برصاء بالخطيئة والفساد وأجساداً برصاء بالأمراض والمكروبات ويحرر الأرواح والعقول من ضربات الشياطين كما ويشفي العقول الطبيعية في المجانين. انه يشبع القلوب من الخبز النازل من السماء والبطون من الخبز النابع من الأرض.

فالمسيح إذاً بساقيه الرخاميين وبساقي تعليمه وعمله يعالج الإنسان بحديه الروحي والجسدي لكونه مخلص قادر أن يخلص إلى التمام جميع الذين يتقدمون إليه بقلب نقي. وأمّا معلمو الناموس والشرائع والفلسفة فانهم ينظفون خارج الكأس والصحفة وامّا الداخل فيتركونه مملوءاً دعارةً واختطافاً وكل نجاسةً. انهم يبيّضون قبور الموتى ويتركونها لتشبع نتانة وموتاً .اجل يعلمون الإنسان كيف يأكل ويشرب وكيف يلبس ويتلذذ، لكنهم يتركونه زانياً خليعاً وسكيراً عربيداً وثعلباً محتالاً وذئباً شرساً وافعواناً ساماً. انهم يحررون الإنسان من الاستعمار الجسدي ونعم ما يفعلون، ولكنهم يتركونه مُستعمراً للشيطان الروحي وبئس ما يفعلون.

وفاتهم قول المعلم الصالح "إن كل من يعمل الخطيئة هو عبداً للخطيئة والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد ولكن ان حرركم الابن فالبحقيقة تكونون احراراً".
فالإنسان في نظر هؤلاء ليس إنساناً لله بل إنساناً للشيطان وحيواناً متانساً وبذلك ينتزعون عنه إنسانيته العميقة انتزاعاً ويلغون انتسابه السماوي الأدبي إلغاءً وبدعوة إنسانيتهم ذاتها يحطمون إنسانية الإنسان تحطيماً وينزلون بها إلى المستوى الحيواني بل الشيطاني بالفلسفة والخطيئة نزولاً مرعباً. ولا عجب في ذلك "لانهم معلمون فريسيون يجولون البر و لبحر ليكسبوا دخيلاً واحداً لهم ومتى حصل يصنعونه ابناً لجهنم اكثر منهم مضاعفاً" (مت٢٣ :١٥). بل انهم فلاسفة صدوقيون وحكماء رواقيون والذين يقولون ليس روح ولا ملاك ولا قيامة "بل لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت".

اذن فهل من سراق للإنسان ومستعمرين له اعظم خطورة واخبث دهاء من هؤلاء الذين يمزقون الإنسانية الروحية الأدبية في الإنسان وباسم الدفاع عن الإنسان؟ ولا عجب في ذلك لان الرب يسوع قد سبق واخبر عن هؤلاء قائلاً "كل من يطلع من موضع آخر فهو سارق ولص والسارق لا يأتي إلا ليذبح ويهلك ويقتل وامّا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكن لهم افضل" (يو١٠ :١٠). حقاً إن مثل هؤلاء منذ القديم قد طلعوا على البشرية ليس من الحق بل من الباطل وراحوا يسرقون لا جيب الإنسان بل نفسه ولا بطنه بل قلبه. ولا يقتلون فيه الجسد بل الروح قتلاً يقتلون وللعنصر الإلهي والنسب السماوي فيه ذبحاً يذبحون. "حقاً لو كان لنا رجاء في هذه الحياة فقط فإننا أشقى جميع الناس لانه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام وان لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، انتم بعد في خطاياكم" (١

كو١٥: ١٦-١٧) "ولكن الآن قد قام المسيح واصبح باكورة الراقدين"(١كو١٥: ٢٠).

ولكن ثمة فئة أخرى فريسية متدينة ومتزمتة تتعدى على جسد الإنسان تعدياً وباسم الدين والعلم الروحي الكاذب تقتل فيه الجسد قتلاً فالجائع لا تطعم والعريان لا تكسو والمريض لا تعالج والعطشان لا تسقي والمكسور لا تجبر والجريح بين اللصوص لا تضمد وحق المظلوم لا تناصر. لكنها تصوم في الأسبوع مرتين وتصلي في الشوارع دفعتين وتتصدق وهي تطبل وتزمر باليدين. فهي لذلك تصفي البعوضة وتبلع الجمل وتعشر النعنع والشبث والكمون وتترك جانباً الإيمان والحق والرحمة.

حقاً إن ديانة هذه الفئة المدعية لباطلة. بل إنها أعظم خطورة من الفئة الملحدة لان تلك عدوة خارجية وامّا هذه فعدوة داخلية. تلك مرض مشخص ومكشوف وهذه سرطان متخفي ومستور. تلك تتنكر للعنصر الروحي الأدبي في الإنسان وامّا هذه فإن كانت تعترف بالعنصر الروحي في الإنسان هذا لكنها بأعمالها الكاذبة تسئ إلى الإنسان بروحه وجسده على حد سواء. فمن اجل ذلك تحسب خطيئة الطبقات الدينية إثماً مزدوجاً. لكونها تقتل الانسان بروحه وجسده. فلذلك لها خطيئة اعظم. وهكذا أمست ساقا هاتين الفئتين الإلحادية والفريسية على الإنسانية لا رخاماً نقياً بل حديداً ثقيلاً سواءً كان تعليماً أم عملاً لان الحديد بقسوته وصلابته لا يزال يسحق الإنسان ويذبحه ويهلكه.

وامّا ساقا يسوع الرخاميتين فهما "افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه من الدنس الذي في العالم" (يع١: ٢٧). حقاً من يعلم ولا يعمل يدعى صغيراً في ملكوت الله وامّا من يعلم ويعمل فهذا يدعى كبيراً في ملكوت

الله. ومن علم حسناً وعمل صالحاً غير يسوع المسيح. ذاك الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم ابليس؟

فإلى هذا المعلم الصالح أيها الفلاسفة الخطاة والفريسيون الأشرار. والى هذا الطبيب القادر أيها المرضى بالخطايا والموتى بالذنوب. بل إلى هذا الحبيب السماوي ذي الساقين الرخاميين يا جميع العرج والشل والبرص لان ساقيه الرخاميين مؤسستان على قاعدتين من إبريز.

١٥ب- مؤسستان على قاعدتين من إبريز

شخصية المسيح تقوم على قاعدتين من إبريز هما الرحمة والحق. فعلى هاتين القاعدتين يقوم الواقع الإلهي سرمدياً. لانه لو كان الله حقاً فقط لمحق العالم الخاطئ في طرفة عين لكونه عالم باطل واذاك يكون الله في قوة عدله المجرد هذا ناشفاً صلباً ودكتاتوراً طاغياً وعملاقاً لبتسرد آكلا. ولو كان الله في جوهره رحمة مجردة كذلك لكان إذاك في واقعه ضعيفاً مائعاً لا يقدر أن يسند نفسه ولا خلائقه طرا. لان عدلاً من دون رحمة سينتهي حتماً بدكتاتورية، ورحمة من دون عدل ستنتهي هي الأخرى بانعدامية. واما ان يكون الله في ذاته هكذا حقاً برحمة ورحمة بحق "فهو الإله الحق والحياة الأبدية" (يو ٥ : ٢٠) وكما هو في ربنا يسوع المسيح.

الإنسان حي موجود طالما هو متحد بالله وفي قاعدتيه هاتين الحق والرحمة. لكنه ميت وغير موجود عندما ينفصل عن القاعدتين هاتين حتى لو كان موجودا طبيعياً. حيث يكون وجوده إذاك ليس وجوداً إنسانياً بالحق والرحمة بل وجوداً حيوانياً متشيطناً بالباطل والخطيئة وهكذا يكون الواقع فيه واقعا سلبيا والوجود فيه انعداماً وموتاً وهلاكاً كقول الرب يسوع المسيح "الحق اقول لكم ان كل من يرى الابن

ويؤمن به له الحياة الابدية وكل من يرى الابن ولا يؤمن به ليس له حياة ابدية بل يمكث عليه غضب الله الى الابد" (يو٣ :٣٦).

اذاً الإنسان موجود حي في المسيح وكما هو في حقه ورحمته وغير موجود ميت وكما هو في باطل شره هو وقساوة خطيئته. وامّا الحق في الكيان الإلهي فليس حقاً جزئياً ومكتسباً كما هو في الأنبياء والقديسين، لكنه مطلق سرمداً. وإلا فليس الله اذاك إلهاً حقاً مطلقاً. واما الآن فالله انما هو حق مطلق وعدل مطلق يكره الباطل كراهية مطلقة. وإلا فليس الحق حقاً وبالتالي ليس الله إلهاً. هذا هو الأساس الابريزي الأول في الكيان الإلهي منذ الأزل والى الأبد. واما الأساس الثاني في الكيان الوجودي الإلهي فهو أن الله رحمة أصلاً وطبعاً وجوهراً وكما هو عدل وحق. وان لم يكن كذلك فليس الله الهاً مطلقاً بل ناقصاً مبتوراً.

والآن فإن كان الله في قاعدته الأولى (الحق) يكره الشر والباطل كراهية مطلقة ففي قاعدته الثانية (الرحمة) يحب الإنسان الخاطئ محبة مطلقة. فكيف التوفيق إذن بين هاتين القاعدتين الأساسيتين في جوهر الله الواحد؟ فإذا ما نفذ الله حق عدله وعدل حقه والقائم أصلاً على البر بحق باطل الإنسان والقائم أصلاً على الشر، لمحقه من وجوده القدسي في لمحة بصر محقاً مؤبداً. وفي ذلك تعطيل سافر لمفعول رحمته ولناقض الله نفسه بذلك مناقضة وانقسم على ذاته انقساماً واذاك لا يكون الله إلهاً. كما وإذا نفذ الله كذلك رحمته بحق الإنسان وغفر له خطاياه وسامحه في باطله، لتعطل الحق والعدل في ذاتية الله تعطيلاً ويكون الله في ذاته قد ناقض نفسه وفي ذاته قد انقسم انقساماً. واذاك لا يكون الله إلهاً أيضاً. فكيف التوفيق إذاً بين حق الله

ورحمته في جوهره من جهة وبين ضرب باطل الإنسان الخاطئ وخلاصه كانسان من جهة أخرى؟

ان صليب المسيح هو الجواب الشافئ المطلق للتوفيق بين عدل الله ورحمته في ذاتيته وبين ضرب الخطيئة وتخليص الإنسان في ذاتيته. وهكذا بات صليب المسيح المفتاح الذهبي السري لهذا الباب المقفل. فهو يجعل امامنا الباب المقفل مفتوحاً والإله المجهول لعقولنا معلوماً واختام الحياة السبعة لنفوسنا مفتوحة ومفكوكة. لان صليب المسيح هو التعبير المطلق عن حق الله ورحمته وبالتالي عن جوهر الله وكما هو في ذاته. إذ فيه تمت الكلمة المكتوبة "الحق والرحمة التقيا والبر والسلام تلاثما". فحق الله إذاً يطالب بإدانة الخطيئة في الإنسان، ورحمة الله تطالب بخلاص الإنسان من الخطيئة. فهل ينقسم الله في ذاته لحساب الإنسان؟ حاشا بل قد كان الصليب التعبير الكامل والإعلان المطلق والجواب المقنع لحق الله وعدله من جهة ورحمته وحبه من جهة أخرى. لانه في جسم بشرية المسيح المصلوب قد دينت الخطيئة دينونة مطلقة وحتى الموت موتاً بالصليب. فاخذ العدل الإلهي بذلك قصاصه كاملاً والحق كرامته مطلقاً لانه في المسيح الأزلي المتجسد نفذت أحكام العدل وعلى وجه الاطلاق تنفيذاً مطلقاً وذلك بدلاً من تنفيذها في الإنسان الخاطئ تنفيذاً أبدياً مهلكاً. ولما كان المسيح المصلوب اله في أزليته وإنسان في زمنيته، حسبت دينونة حق الله وعدله فيه دينونة كاملة واستوفى العدل المطلق أحكامه فيه استيفاءً مطلقاً.

اذاً فموت المسيح لم يكن موتاً قسرياً بل اختيارياً كقوله "لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي لآخذها ايضاً. ليس احد ياخذها مني بل اضعها انا من ذاتي. لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها ايضاً" (يو١٠ :١٧-١٨). ولم يكن كذلك موتاً استشهادياً كالشهداء بل موتاً كفارياً كإله متجسد له سلطان أن يغفر الخطايا بحق

رحمته ورحمة حقه. بل بقوة حقه ورحمته وكما هي في صليبه. كما ولم يكن موت المسيح هذا موتاً اعتبارياً أدبياً فحسب بل موتاً حرفياً وعملياً كذلك. لماذا؟ "لان الله بين محبته لنا لانه وبعد نحن خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو٥ :٨).

إذاً قد مات الله المتجسد من اجل البشر الخطاة مصلوباً، لكونه في جوهره حق وفي طبيعته رحمة. وفي الصليب وقع سيف القضاء على المسيح حتى الموت فنجت بذلك الإنسانية التائبة المؤمنة، نجاة أبدية حتى الحياة. وهكذا صار صليب المسيح رحمة للناس التائبين عن المعصية والمؤمنين بالحق والرحمة وغضباً وعدلاً للعصاة المتجبرين بشرورهم والغير المؤمنين بالحق والرحمة وكما هي في صليب المسيح. الأمر الذي اقره الرسول بولس بالروح القدس قائلاً "فهوذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعلى الذين سقطوا واما اللطف فلك أن تثبت في اللطف وإلا فانك أيضا ستقطع" (رو١١ :٢٢).

فالإيمان بالمسيح إنما هو إيمان بحق الله ورحمته وكما هي في صليبه، لكون المسيح هو حق الله ورحمته معلنة بتجسده وصليبه. واما عدم الإيمان بالمسيح ورفضه فإنما هو رفض لحق الله ورحمته المعلنة في الصليب، وهذا ما عناه يوحنا الرسول بالحرف الواحد قائلاً "الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن به قد دين لانه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يو٣ :١٨).

إذاً بات المسيح مجسداً حق الله ورحمته مطلقاً في ذاته ومنفذاً أحكامهما في صليبه. وهكذا وجد الإنسان نفسه محصوراً من اثنين، فإما أن يؤمن بالمسيح مصلوباً فينجو بنفسه واما ان لا يؤمن بالمسيح المصلوب فيهلك بنفسه ولذاته. لانه لمن المستحيل

أن يهلك إنسان قد وضع نفسه بين حدي صليب المسيح (الحق والرحمة). ومن المستحيل أيضاً أن يخلص إنسان قد وضع نفسه خارج هذين الحدين.

فإذاً على هاتين القاعدتين الابريزيتين الرحمة والحق، المحبة والعدل، القداسة والنعمة يستقيم المسيح أزلياً بساقيه الرخاميين. بل وعلى قاعدتي اللاهوت والناسوت يثبت المسيح إطلاقاً ثبوتاً دهرياً. وكما جسدت العذراء مريم المسيح يسوع بحقه ورحمته وبلاهوته وناسوته، فعلى الكنيسة كذلك أن تجسده هكذا بالروح القدس تجسيداً روحانياً لترتكز هي الأخرى على هاتين القاعدتين الابريزيتين الحق والنعمة تركيزاً حياتياً وإنجيلياً.

"وأما أنت يا إنسان الله ياتيماثاوس فتمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع واحفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا" (٢تي١ :١٣).

١٥ج- طلعته كلبنان ،فتى كالأرز

اجل المسيح يسوع كلبنان بهاء وكجبال لبنان العالية لاهوته وكزهوره الذكية أنفاسه. مناظره بالحق الخلابة كمناظر لبنان. حياته ينابيع انهار باردة متدفقة كينابيع لبنان. قامته في البر والحق جميلة هيّابة كهيبة لبنان وارز لبنان وأفراحه النقية فائضة في النفوس كالخمر في لبنان. أما أفكاره فعالية نقية كنقاء الثلج فوق جبال لبنان.

فإن كان لبنان الأرض يحسب هكذا في طلعته جنّة وفي مسراته فردوس. فكيف لا يكون المسيح يسوع من باب أولى جنة الأرض والسماء في طلعته؟ وموطن السعادة في قامته؟ كيف لا وهو للجلال أب وللجمال مصدر وللسلام والطمأنينة علة ومبعث؟ لبنان الأرضي جماله طبيعي وجلاله وقتي وفرحه بشري ونقاوه طبيعي. أما

لبنان السماوي. أما ملكوت يسوع المسيح، فجماله روحي وطبيعي وجلاله دائمي وفرحه إلهي وبشري ونقاؤه سماوي وسرمدي. مناظر لبنان ستفنى يوماً ومياهه ستجف زمناً وخمرته ستغش بالماء ساعةً وأزهاره ستذبل حيناً وسروه العالي الجميل سينكسر وقتاً "لان العالم سيزول وشهوته تمضي". واما مناظر لبناننا السماوي واما مشاهد ملكوت المسيح فستبقى أبداً ومياهه ستجري سرمداً وخمرته ستبهج دهراً وأزهاره ستفوح عهداً وسروه العالي وصليبه الخشبي سيرتفع للأبدين أبداً وللداهرين دهراً. حقاً كل من يشرب من مياه بئر السامرة، من مياه النهر الكبير، من مياه البحر العظيم، من مياه لبنان فسيعطش أيضاً. واما من يشرب من الماء الذي يعطيه يسوع المسيح فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذي يعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية (يو٤ :١٣-١٤).

فإلى لبنان السماوي هذا يا جميع عطاش الصحارى لترتووا حباً وتشربوا سلاماً وترتشفوا في المسيح حياةً. والى شجرة الحياة الدائمة الخضرة والمغروسة في وسط فردوس الله ولبنان السماء يا جميع أشجار الوعر والذين قد أصابتهم ضربة الشمس المحرقة. والى الجبال السامقة الجليلة حيث الثلوج البيضاء النقية وحيث الإعلانات الإلهية والمناظر السماوية يا ساكنوا الوديان العميقة والمستنقعات المتسخة. والى خمرة الحب وعصارة الفداء حيث الجمال والكمال وحيث خشب السرو والصليب يا جميع الذين قد أسكرتهم خمرة الخطيئة وعصارة الشهوة القبيحة حيث خشب الوعر وحرقة النار.

نعم إلى المسيح يسوع في سرو لاهوته ولبنان ناسوته يا جميع بني آدم الكرماء في نفوسهم والمتألهين في إنسانيتهم والمقدّسين بروح قدس ابن إنسانيتهم وبشريتهم. فيا

أبناء سدوم وبنات عمورة اخرجوا من مخابئكم المظلمة ومن مواخيركم النتنة واصعدوا من وديانكم العميقة لان في مخابئكم يجلس الإثم وفي وديانكم يستقر الموت وتسلقوا المسيح لبناناً وجباله في الإنجيل سرواً. نعم هناك في الأعالي تشربون ماء الحياة نميراً وتأكلون من ثمرة شجرة الحياة وتستنشقون العطر ذكياً وتفرحون بمناظر الرب وإعلاناته كثيراً وبالمسيح يسوع حقاً يقيناً. كيف لا وهو بإرز لبنان لشبيه وفي ظلال إنجيله امين وفي روائح تعليمه وتعاليمه لذكي وفي اخشاب فدائه لمتين وجميل وفي مشاهد قيامته وصعوده لرفيع وعلي؟

حقاً المسيح يسوع في اتجسد والفداء كخشب الأرز في صليبه نظير الارز لأحمر ثمين وفي طعمه مثل الأرز في العذاب لمرير ومثله في الشكل مورق ونظير، وفي العطاء مثمر سخي، لكون المسيح إنما هو "شجرة الحياة المغروسة في وسط فردوس الله والتي تصنع كل شهر اثنتي عشر ثمرة وتعطي كل شهر ثمرها وورق الشجرة لشفاء الأمم" (رؤ٢٢ :٢). فكيف اذاً لا يكون المسيح كخشب لبنان في تجسده، قدوساً في ميلاده، صالحاً تماماً في تعليمه، ابيضاً كالثلج في تجلياته، نقياً كالقمر في جماله، طاهراً كالشمس في بره، وكخشب الأرز نظيفاً في مادته.حيث لا سوس ولا صدأ ولا عيب ولا غش ولا خطيئة. من اجل ذلك يليق أن تبنى به بيوت الله والناس بنياناً وتجمل به هياكل العبادة والقلوب تجميلاً "لأن كل بيت يبنيه انسان ما ولكن باني الكل هو الله" (عب٣ :٤).

فإلى هذا البيت اللبناني يا جميع سكان الخيام في العراء والى هذا الفتى الارزي يا جميع أبناء الأقزام بل إلى المسيح يسوع، لبنان الحياة وارز السماء يا جميع أبناء

الخطيئة، أبناء الموت والجحيم "لان فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١ : ٤).

١٦- حلقه حلاوة وكله مشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم

كيف لا يكون المسيح بحلقه حلاوة وكله مشتهيات وهو ينبوع الحياة وخزانة الأسرار. اجل المسيح يسوع حلاوة بكلمات فمه وعسل بتعاليمه وشهد عسل بأقوال حلقه. وهو عجيب في ميلاده. جبار في معجزاته. عملاق في قداسته. مجيد بلاهوت ناسوته. ومدهش بناسوت لاهوته. شهي بموت فدائه. ومبهج بقيامة حياته. حقاً كله لمشتهيات "لان الكلام الذي يتكلم به هو روح وحياة" (يو٦ : ٦٣). وفي عمله جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم ابليس. وفي حبه ارتفع فوق العود من اجل الانسان مصلوباً.

فالمسيح اذاً وان كان هكذا حلاوة في أفواه المؤمنين ومشتهيات في حلوق القديسين وعذوبة في قلوب المختارين وطيبات في عقول المستنيرين، لكنه في الوقت نفسه مرارة في حياة الخاطئين وافسنتيناً في أفواه الأئمة أبناء الشياطين. كما أن الخطيئة هي الأخرى حلاوة في شفاه الهالكين وكلسترولاً في دماء الفاسقين الظالمين ومرارةً في أفواه وقلوب المؤمنين وعلقماً في حياة القديسين أبناء اليمين.

ولكن ما اعظم الفرق بين حلاوة المسيح ومشتهياته وبين حلاوة الخطيئة وملذاتها.
حلاوة المسيح تنير العينين وتضيء الفكر وتنعش القلب وتبعث الحياة في الحياة.اما حلاوة الخطيئة فتعمي العينين وتظلم الفكر وتتعب القلب وتبعث الموت في الحياة.
حلاوة المسيح إنما هي حلاوة الحياة وكما هي الحياة لكونها تقوم على البر أصلاً وعلى المحبة فعلاً وعلى الحق أكيداً وعلى الإله المتجسد يسوع المسيح يقيناً. أما

حلاوة الخطيئة إنما هي حلاوة الحياة المزيفة لكونها تقوم على الإثم أصلاً وعلى العداوة فعلاً وعلى الباطل أكيداً وعلى الشيطان المتاله يقيناً "لذلك كانت إجرتها من البدء موتاً. واما هبة الله فهي حياة ابدية في المسيح يسوع" (رو٦ :٢٣). لقد تناول الخطيئة آدم وحواء من البدء فتحولت بذلك حياتهما ونسلهما من بعدهما إلى مرارة وموت كقول الرسول بولس "من اجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطا الجميع" (رو٥ :١٢).

لقد أكل الخطيئة قائين فقام على أخيه هابيل وقتله كقول الرسول يوحنا "ليس كما كان قائين من الشرير وذبح اخاه ولماذا ذبحه لان اعماله كانت شريرة واعمال اخيه كانت بارة" (١يو٣ :١٢). وتذوقها الناس في عصر نوح فجلب الله طوفاناً واهلك جميعهم كما هو مكتوب "وحدث لما ابتدا الناس يكثرون على الارض وولد لهم بنين وبنات ان ابناء الله رأوا بنات الناس انهن حسنات فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا. فجلب الرب الاله طوفاناً واهلك عالم الفجار". وكقول الرسول بطرس "ولم يشفق على العالم القديم بل انما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر اذ جلب طوفاناً على عالم الفجار" (٢بط٢ :٥). كما واستطاب الخطيئة كذلك سكان سدوم وأهل عموره فرمّد بذلك الرب سدوم وعموره حاكماً عليهم بالانقلاب وواضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا" (٢بط٢ :٦). ولا يزال الناس بالملائين يتحرقون إلى هذه الحلاوة المزيفة، حلاوة الخطيئة فيتناولونها بنهم وشراهة فتحول حياتهم بذلك إلى مرارة وشقاء ولعنة وموت. اجل يتناولها الأغنياء فتُملأ بالبطر بطونهم وبالمضاجع والعهر أجسادهم وبالخصام والحسد نفوسهم وبالجهل والكبرياء عقولهم (رو١٣ :١٣) بل وبالظلم والتسلط حياتهم كقول الرسول يعقوب "أ ليس الاغنياء

يتسلطون عليكم وهم يجرونكم الى المحاكم. اما هم يجدفون على الاسم الحسن الذي دعي به عليكم" (يع٢ :٦-٧). كما ويتناولها الفقراء فتشحن بالكراهية والحسد قلوبهم وبالعصيان والتمرد على الله أرواحهم وبالحقد والانتقام من الأغنياء نفوسهم. ويأكلها الفلاسفة والأدباء والعباقرة والعلماء فتنتفخ بالكبرياء الذاتية أفكارهم وتُشحن بروح الإلحاد نفوسهم وبروح المكر والدهاء أرواحهم كقول الرسول بولس "انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح. منتفخاً باطلاً من قبل ذهنه الجسدي" (كو٢ :٨-١٨). ويأكلها الجهال أيضاً فيزدادون جهلاً ويكثرون خرافةً ويتضاعفون تخلفاً ويمتلئون مخاوفاً ولشياطين أفكارهم تعبداً كقول الرسول بولس "ولكن ان كان انجيلنا مكتوماً فانما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم اله هذا الدهر (الشيطان) قد اعمى اذهان غير المؤمنين لئلا تضئ لهم انارة انجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله" (٢كو٤ :٣-٤). نعم يتناولها الرجال والجبابرة والعمالقة. السادة والعظماء. القادة والأمراء، فينهشون بعضهم بعضاً ويفنون بعضهم بعضاً وللضعفاء تحت أرجلهم يسحقوذ وللمرأة في كرامتها يذلون ويستعبدون. كما ويتناولها النساء كذلك، الملكات والأميرات. السيدات والآنسات. الايزابليّات والهيروديات، فتغار بعضهنَّ بعضاً وتقتل بعضهنّ بعضاً وللجواري والإماء بعصا من حديد يستعبدنَّ وللرجال في الظلام والنور يخنَّ وكثائرات ومتمردات عليهم يتمردّن وينقلبّن وهكذا تتم فيهم الكلمة المكتوبة "واجعل صبياناً رؤساء لهم واطفالاً تتسلط عليهم ويظلم الشعب بعضهم بعضاً والرجل صاحبه. يتمرد الصبي على الشيخ والدنئ على الشريف. شعبي ظالموه أولاد ونساء يتسلطن عليه" (اش٣ :٤-١٢). وليس ذلك فحسب بل ويتناول الخطيئة الأنبياء وكإبراهيم وفي حضرة ابيمالك من الخوف يكذبون وكموسى بقوة الله يشكّون وكداؤد زنى يزنون وفي سبيل ذلك

لقائدهم الأمين اوريا قتلاً يقتلون وكسليمان بفعل الشهوة الجامحة لأصنام زوجاته يسجدون وكالرسول بطرس بداعي الخوف وأمام جارية لمخلّصهم يتنكرون وكالرسول يهوذا بعلة الطمع لسيدهم بثلاثين من الفضة يبيعون ويخونون.

"حقاً انه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد حنجرتهم قبر مفتوح بالسنتهم قد مكروا. سم الاصلال تحت شفاههم. فمهم مملوء لعنة ومرارة. ارجلهم سريعة الى سفك الدم في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدام عيونهم" (رو٣ ١٠-١٨).

فيا سكان الأرض أهل سدوم وأبناء عموره. اين هي حلاوة الخطيئة حتى رحتم تأكلونها هكذا طعاماً وتشربونها هكذا ماء وتلبسونها هكذا رداء بل وتحبونها هكذا حياة؟ وإلا من اين تأتيكم الأشواك دامية والنخسات في قلوبكم جارحة واللطمات في ضمائركم ثقيلة والضربات في نفوسكم عنيفة والتشويشات في عقولكم كثيفة وثخينة؟ بل من اين الحروب والخصومات بينكم؟ أليست من هذه الحلاوة المزيفة والمسمومة بالخطيئة؟ ألبست من هنا من لذاتكم المحاربة في أعضائكم .لأنكم تشتهون ولستم تمتلكون. تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا. تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون، لأنكم لا تطلبون. تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون ردياً لكي تنفقوا في لذاتكم. أيها الزناة والزواني أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله. فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدوا لله" (يع٤ :١-٤).

اجل يابني آدم، آدم الخطيئة والموت. الخطيئة حلوة بالفم دسمة فوق الشفتين وان شجرتها جيدة للأكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر" (تك٢ :٦).

لكن عاقبتها تعب بالحبل ووجع بالولادة وإفلاس بالسيادة وعرق بالمعيشة ولعنة ومرارة بل موت وهلاك. بالطبيعة لانه مكتوب "يوم تاكل منها موتا تموت لانك تراب والى التراب تعود" (تك٢ :١٧).

ولكن ألم يتحسن إنسان اليوم بفعل الثقافة والتكنولوجيا عن إنسان الأمس؟ نعم قد تحسن إنسان اليوم عن إنسان الأمس ولكن ليس في المجال الروحي والأدبي بل في المجال الجسدي الطبيعي وليس على الصعيد الروحاني بل على الصعيد الطبيعي. واما من الوجهة الأدبية فلقد ازداد الإنسان المعاصر عن الإنسان البدائي ذكاء في الشر وتفنناً في الخطيئة وشيطنة بعمل الظلم. من اجل ذلك له من السماء دينونة اعظم ومن الله غضب فوق الرؤوس والعقول اثقل وأجسم. الإنسان البدائي قد كسر الوصية بدافع الشهوة الجامحة وبخديعة من الشيطان معلناً بذلك استقلاله عن الله. أما الإنسان المعاصر فهو الآخر لا يزال يكسر الوصية وفي كل المجالات ليس عن جهل للعواقب بل عن علم بها وذلك بدافع من شهوته الجامحة وبوحي من الشيطان مدللاً بذلك على إلحاده بالله والعمل على الاستقلال عنه كقول الكتاب "يعترفون بانهم يعرفون الله. ولكنهم بالاعمال ينكرونه". إنسان الأمس تقبل الخديعة من الشيطان عن طريق زوجته أولاً وهي الأكثر ضعفاً وليونة وذلك بروح الخديعة والكذب المتمثل بالحية. وإنسان اليوم كذلك لا يزال يتقبل الخطايا من الشيطان مأخوذاً بالتعبد لشهوة الجنس والتي ليونتها شبيهة بليونة الحية. الأمر الذي قد حذرنا منه الرسول بولس بقوله "ولكن كما خدعت الحية حواء مرة أخشى أن تخدع أفكاركم بالمسيح بسبب البساطة". امرأة الأمس قد رأت الخطيئة شجرة جيدة للأكل. بهجة للعين. شهية للنظر. لذلك أخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها فأكل. وهكذا امرأة اليوم ايضا فهي لا تزال تنخدع من مظاهر الخطيئة

بسهولة وتطمع في إخضاع الرجل لسلطانها ومن ثم مشاركته أفكارها الباطلة وميولها المنحرفة واعمالها المضلّة مستغلة في كل ذلك ليونتها وشهوة الجنس فيها ذريعةً وسلاحاً. وقد لا يفلت من هذا الفخ النسوي إلا القديسون الذين قد تحرروا بالمسيح من كل شهوة جامحة والذين قد احبوا المسيح حقا اكثر من كل لذة مع امرأة.

الأسرة القديمة قد اخطأت داخل الفردوس حيث الرخاء والراحة وخارج الفردوس كذلك حيث التعب والمشقة. كذلك أسرة اليوم الحديثة فهي تخطئ في الغنى والفقر. في الصحة والمرض. في الشبع والجوع. في الراحة والتعب. في الفرح كما في الحزن وداخل الفردوس كما في خارجه. من اجل ذلك جاءت الأحكام للإنسان المعاصر كما هي للإنسان الغابر بقول الرب للحية "لانك فعلت هذا ملعونة انت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تزحفين وترابا تاكلين كل ايام حياتك واضع عداوة بينك وبين المراة وبين نسلك ونسلها. وهو يسحق راسك وانت تسحقين عقبه" (تك٣ : ١٤-١٥).

نعم للشيطان صلاحية أن يدخل الحية لأنها أحيل جميع حيوانات البر ويدخل الخنازير لأنها أقسى حيوانات القفر ويدخل الإنسان الشرير لانه الأحكم في عمل الشر وله كذلك أن يتظاهر بالتقوى وبشبه ملاك نور في رسله المظلين وعملائه الكاذبين وآلات إثمه الخبيعين. كل ذلك للخديعة والتضليل ومن ثم للتنكيل والقتل. لان هدف الشيطان الرئيسي هو أن يخفي حقيقته بطريقة أو بأخرى. وهذه هي بالحقيقة مصيدته وحكمته وقوته بل هذه هي حكمة عملائه من أبناء البشر. وهيهات ان يُشخَّص الشيطان بافكاره وطرقه ودقائق تعاليمه ومخططات شروره

في ابنائه الآ بالروح القدس واشعة البر العميقة وكما هي في يسوع المسيح البار الامر الذي قد اشار اليه الرب يسوع بقوله لليهود "انتم من اب هو ابليس وشهوات ابيكم تريدون ان تصنعوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء. ولم يثبت في الحق لان ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب يتكلم مما له لانه كذاب وابو الكذاب" (يو٨ :٢٤).

فمن اجل هذا يكره الشيطان وعملاؤه من بني البشر يسوع المسيح وقديسيه لكونهم يشهرونه على حقيقته وفي ذلك تشخيص له واماتة.انه لامر طبيعي ان يسود الشيطان على الانسان بالشر وان يشركه عمله بالخطيئة مشاركة وذلك ليخسره الميراث السماوي الذي قد خسره هو ويورثه الغضب الجهنمي الذي قد ورثه هو. وهكذا قد حكم الرب على الشيطان باللعنة والهلاك لكونه علة السقوط في ذاته وفي الإنسان. ولعدم استعداده للتوبة جوهرياً اقصى ذاته عن الفداء اقصاء ابدياً. فمن اجل ذلك وان كنا نرى الملائين من البشر تتعبد للشيطان اليوم عملياً بفعل سيادة الخطيئة، لكنه رغم ذلك فهو مكروه في القلب وفي الفم ملعون ونظير الحية يزحف على الأرض باحتقار ولكنه خلسة واعوجاجاً ليزحف فيما بعد في جهنم زحفاً أبدياً. إنها الأحكام التي صدرت بحقه في أعقاب طموحاته بلاهوت الله يوم كان ملاكاً فهوى وانبرى ينفث أفكاره سموماً قتّالة في ضمير حواء وهو يقول لها كاذباً "لن تموتا بل تصيران كالله عارفين الخير والشر".

واما الآن فثمة عداوة مركزية قد وضعها الله بين الشيطان هذا وفي شخص الحية وبين المرأة ونسلها. إذ فيها يسحق نسل المرأة راس الحية المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم بأسره كما وفيها يسحق الشيطان كذلك عقب نسل المرأة. وما

نسل المرأة هذا سوى يسوع المسيح الذي قد صار في شبه حية هو الآخر فوق الصليب والذي فيه قد سحق راس الشيطان، وسحق الشيطان هو الآخر عقب نسل المرأة هذا بالمسامير

أما أحكام الرب الإله لمرأة فكانت "تكثيراً اكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. والى رجلك يكون اشتياقك. وهو يسود عليك" (تك٣ :١٦). وهكذا قد تحولت حلاوة الخطيئة في الفم إلى مرارة في البطن ولذة الجنس أتعاباً بالحبل والولادة كقول الرسول بولس "الشهوة اذا حبلت تنتج خطيئة والخطيئة اذا كملت تنتج موتاً. وتحولت حب الرئاسة عندها الى تبعية للرجل وخضوع له ومن اجل هذا يكتب الرسول بولس يقول "ايها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. لان الرجل هو راس المراة كما ان المسيح هو راس الكنيسة" (اف٥ :٢٢). حتى بات والحكم هذا كل محاولة جديدة للمرأة في انتزاع الرئاسة من الرجل يعود عليها بالتعدي على أحكام الله أولاً ورئاسة الرجل ثانياً وأنوثتها ثالثاً لكون احكام الله هي "هو يسود عليك وبكون اشتياقك إليه"(تك١: ١٦) وذلك لان الرجل لم يغو أولاً بل المرأة فسقطت في التعدي ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، أي بولادة نسل المرأة وابن العذراء يسوع المسيح البار، كما أشار الرسول بولس.

اما احكام الرب الاله على الرجل فكانت "لأنك سمعت إلى قول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لانك تراب والى التراب تعود" (تك٣ :١٧-١٩).

ترى لماذا لعن الرب الإله الشيطان لعنة أبدية والأرض لعنة دهرية زمنية ولم يلعن الإنسان الخاطئ هكذا لعنة؟ أليس لشمول الإنسان دون الشيطان ببرنامج الفداء والذي سيقوم به نسل المرأة العذراء، يسوع المسيح؟ فالإنسان إذاً وان قد حفظ هكذا برعاية فدائية من اللعنة الشيطانية المطلقة لكنه لا يزال يختبر آثار هذه اللعنة في أرضه وعمله وهي تنبت له حسكاً وشوكاً وفي الطبيعة تمطره بالصواعق والطوافانات والزلازل وفي طبيعته الجسدية تنبت له الأمراض أشواكاً والمجاعات حسكاً والمخاوف والقلاقل علقماً والموت سماً زعافاً.

فمن البديهي إذاً أن يكون حلق المسيح حلاوة وكله مشتهيات. ليس في ميلاده وتعاليمه فقط وليس بمعجزاته وقداسته فحسب وليس بلاهوته وناسوته وكفى بل بموته وقيامته كذلك بل بصعوده وقضاء ملكه ايضاً. ففي ميلاده حلو، لانه "ولد من عذراء لم تعرف رجلاً". وبتعليمه عذب، "لانه لم يتكلم إنسان قط مثله". وفي معجزاته شهي، "لكونه كان يجول ويصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس". وفي قداسته قدوس مطلق، "لانه لم يعرف خطيئة ولا وجد في فمه مكر". وبلاهوته عسل، "لان الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً". وفي ناسوته شهد، "لكونه قد صار مثلنا في كل شئ ما عدا الخطيئة". وبموته حلاوة، لانه ذاق ألم الموت لأجل كل واحد. وبقيامته طيب، "لانه قد صار باكورة الراقدين". وفي صعوده شهي، "لانه قد صعد إلى العلاء وسبي سبياً وأعطى الناس عطايا". وفي ملك قضائه لذيذ، لانه سيأتي للخلاص لجميع الذين ينظرونه. فلذلك بالحق حلقه حلاوة وكله مشتهيات.

لقد بات أمراً مستحيلاً على الذين في آدم الترابي التلذذ بحلاوة يسوع المسيح والذين في آدم السماوي التلذذ بحلاوة الخطيئة، "لان الجسد يشتهي ضد الروح والروح يشتهي ضد الجسد وهذان يقاومان الواحد الآخر حتى تفعلون مالا تريدون" (غل٥ :١٧).

إذاً على الذين يشتاقون حقاً للتلذذ بحلاوة يسوع أن يصلبوا الجسد مع الشهوات ويولدوا من الله ولادة روحية سماوية لكي يستطيعوا أن يذوقوا وينظروا ما أطيب الرب ويقولوا "حلقه حلاوة وكله مشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم".

الإصحاح السادس

١ -أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء أين توجه حبيبك فنطلبه معك

ترى من عسى أن تكون هذه الجميلة بين النساء حتى راحت الأخريات يسألنها عن الحبيب هكذا؟ أليست هي القديسة مريم أجمل نساء العالمين قداسة وأفضلهن سلاماً ومقاماً؟ أليست هي كنيسة الرسل الاثني عشر كنيسة الاثنين والسبعين. كنيسة المائة والعشرين. كنيسة الثلاثمائة والثمانية عشر وجميع المعينين للحياة الأبدية في المسيح يسوع ومن جنس إبراهيم والختان؟

لذلك راحت كنيسة الأمم المختارة تتساءل قائلة "أين توجه حبيبك فنطلبه معك؟ ولم لا؟ ألم يقل موسى أولاً أنا أغيركم بما ليس أمة غبية أغيظكم؟ وإشعياء هو الآخر يتجاسر ويقول "وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرا للذين لم

يسألوا عني"؟ (رو١٠: ١٩-٢٠). حقاً إنه لمكتوب أيضاً "قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض" (أع١٣: ٤٧).

ولكن أين ذهب المسيح الحبيب حتى راحت الأمم تطلبه هكذا من الكنيسة الرسولية البكر؟ إلى السماء قد ذهب الحبيب "لأن الرب بعدما كلّمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله. وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة" (مر١٦: ١٩). ولكن ما أصعب فراق الحبيب على قلب الحبيبة وما أقسى غيابه عنها. حقاً إنه لواقع مؤلم يمزّق الأحشاء ويكسر القلوب ويلهب العواطف ناراً ولهيباً. إنه لواقع صعب يختبره العشاق الجسديين اختباراً في القلب أليماً وفي النفس أنيناً عميقاً. فكم بالحري يكون الألم أشد والحزن أعمق في قلوب عشاق الروح ومحبي يسوع المسيح؟ الاختبار الذي تحسسه الرسل لدى فراق الرب عنهم؟ وهو يفاجئهم بالقول "وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني. وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. ولكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله لكم" (يو١٦: ٥-٧).

لذلك فمن العسير أن يرتوي الإنسان بحبه جسدياً كان أم روحياً إلا برؤية الحبيب والتحدّث إليه ومشاركته. فتحقيقاً لهذا المطلب الإنساني الروحي "قد صار الكلمة جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لو كان لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو١: ١٤). فالتجسد الإلهي إذاً والفداء السماوي إن هو إلا موضوع تطلّعات البشر المتعطشين بالحق للحب المقدس تعطشاً كقول الرسول يوحنا "الذي كان من البدء الذي سمعناه. الذي رأيناه بعيوننا. الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة

الحياة" (١يو١:١). وليس ذلك فقط ولكن الله بعد فدائه للإنسان وقيامته لأجله أرى نفسه هكذا حياً لتلاميذه ببراهين كثيرة آكلاً وشارباً معهم. ثم ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم" (أع١:٩).

لذلك لم تعد الكنيسة اليوم ترى المسيح بالجسد بعد ما صعد هكذا بجسده إلى السماء وجلس هكذا به عن يمين الله الآب ولكنها تراه بعين الروح القدس والإيمان رؤية حقيقية وكما هو في قداسة فدائه وفداء قداسته وكما هو في ناسوت لاهوته ولاهوت ناسوته وكما هو في نعمة حقه وحق نعمته ،لكوننا اليوم وكقول الرسول بولس "بالإيمان نسلك لا بالعيان" وكقول الرسول بطرس كذلك "الذي وإن لم تروه تحبونه" (١بط١:٨).

ولكن للحبيبة يوماً مزمعاً به أن تراه ثانية كما هو في فداء حبّه وطاقة برّه فتفرح به فرحاً وبهجة في حضرته تبتهج وكما هو مكتوب "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١تس٤:١٦-١٧). وليس ذلك فقط بل وسيراه الخطاة المقاومون كذلك ولكن لا للخلاص أو الفرح شأن القديسين بل للهلاك والدينونة شأن الشياطين كما هو مكتوب "سينظرون إلى الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد لهم ويكونون في مرارة عليه، كمن هو في مرارة على بكره" (زك١٢:١٠). "حينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير" (مت٢٤:٣٠).

إذاً على الذين يريدون رؤية المسيح حقاً وكما هو في جسم بشريته وجراحات فدائه، عليهم أن يسألوا العذراء عنه وقد تجسد فيها والقديسين وقد تجسد فيهم بروح فدائه وفداء روحه، لأنه في بشارة هذه وإنجيل تلك الخبر اليقين والحق الأمين والإعلان المنير. ولكن لكيما تتسنى رؤية المسيح يقتضي التخلي كلياً عن نساء أورشليم والتمسك بوليد العذراء تمسكا متيناً. أجل عليهم أن يخرجوا من أورشليم الصالبة ويلتحقوا بالتلاميذ، وفي بيت عنيا يرون الحبيب وهو يودّعهم إلى السماء وداعاً آنياً ووقتياً. نعم على عشاق الحب النقي، عشاق المسيح البار أن يصعدوا بأفكارهم من مستوى أورشليم الجسدية إلى مستوى أورشليم الروحية ومن المنخفض الفريسي إلى الصعيد الإنجيلي ومن المنحدر القومي إلى الصعيد الإنساني ومن منخفضات الهاوية إلى مرتفعات العلية وذلك لترى ملكوت الله آتياً بقوة ويسوع المسيح معلن بمجد.

ولكن هل الكنيسة اليوم ترى بالروح والإيمان المسيح يسوع وقد تجسد من العذراء. أم أنها تشك في ذلك شكوكاً؟ أتراه وكما هو في إنجيله معلماً صالحاً وطبيباً للأرواح والأجساد خارقاً ومخلّصاً من سلطة الشيطان عزيزاً ومنتصراً على الموت قديراً وحياً بروح قدسه في القلوب اليوم مجيداً؟ أم إنها ترى في المسيح يسوع معلماً متقادماً وطبيباً ساحراً ومخلّصاً عاجزاً ومغلوباً من الموت ضعيفاً وميتاً في قلوب الناس منتحراً؟

أجل أيتها الكنيسة نحن نعلم أنك ابنة العذراء تسمية وسليلة كنيسة الرسل والقديسين تقليداً. ولكن هل أنت بالروح والحق عذراء عفيفة كالعذراء؟ ومجيدة بالحب كابنة العذارى؟ ألست تعلمين أيتها الكنيسة أن جمالك أنت ليس بالنظر إلى الذهب الفاني بل إلى الذهب الباقي؟ ليس بالنظر للإنسان بل لابن الإنسان؟ ليس

للجالس فوق العرش بل للمتربع فوق الصليب؟ ليس للتطلع إلى من هو من أسفل بل للتطلع إلى من هو من فوق إلى المسيح يسوع؟ من أجل ذلك فمن المستحيل أيتها الكنيسة أن تري الحبيب المسيح يوماً لابسا تاجا من ذهب وماسكا صولجانا من فضة. وجالساً فوق عرش من نحاس، طالما الكلمة قد صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقا. بل طالما قد ارتفع هكذا فوق الخشبة مصلوباً وبالأشواك مكللاً. وبالمسامير والحراب مسمراً ومطعوناً.

إذاً اطلبيه ولكن في بساطة وبدون تعقيد وكما هو في إنجيله فترينه وتفرحين به وتبتهجين.

٢- حبيبي نزل إلى جنته إلى خمائل الطيب ليرعى في الجنّات ويجمع السوسن.

ما عسى أن تكون الجنات هذه وقد نزل إليها المسيح الحبيب نزولاً والخمائل التي راح يرعى فيها رعيا؟ أهي الأرض التي قد جاء المسيح إليها ليلتقي فيها مع إنسانه ثانية بعد سقوطه كما التنى به قبل ذلك كقول الكتاب "وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنّة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنّة (تك٣:٨) وذلك لكيما يعلن مجده على الأرض وسلامه للشعوب ومسرته لبني البشر" (لو٤: ١٨-١٩)؟ أهي أكواخ الفقراء ودهاليز البؤساء وصرائف الفلاحين وخيام المشردين وملاجئ الأيتام وسجون المعتقلين ومستشفيات المرضى والمجروحين وقد نزل إليها المسيح لمواساة الناس وشفائهم أم إنها مقابر الموتى وكور الجدريين ومنعطفات السامريين وأسافل الهالكين وقد نزل إليها المسيح نزولاً عميقاً ليبشر بها المساكين وينادي للمأسورين بالإطلاق وللعميان بالبصر ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس ويبعث الذين في القبور أحياء ومخلّصين؟

اجل كيف لا يترل المسبح الحبيب إلى جنّاته هذه ولذاته تلك مع بني آدم وهو في جناته هذه يرعى قطيعه كراع ويقود المُرضعات وفي أحضانه يحمل الحملان؟ متى كان الحبيب الأعلى (المسيح) أنانياً في جناته، ذاتياً في أفراحه انعزالياً في أمجاده حتى لا يترل إلى أرضه نزولاً ويلتقي مع إنسانه الجريح بين اللصوص التقاء؟ وان كانت الإنطوائية الذاتية والأرستقراطية المتعالية سجية الآلهة المجهولة التي تخر لها الشعوب خوفاً وفزعاً، فهي ليست سجية إلهنا المصلوب والذي قد أمست مواقع آلام الناس له جنّات كما هو مكتوب عنه "فرحة في مسكونة أرضه ولذاتي مع بني آدم" (أم ٨:٣١).

ولكن ما أعظم الفرق بين جنات المسيح وجحيم الشيطان. جنات المسيح قد وصفها الرسول يوحنا في رؤياه هكذا "ثم رأيت سماء جديدة وارضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيّأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد. ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيها. لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديداً. ثم قال لي قد تم. أنا هو الألف والياء البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان ماء الحياة مجاناً. من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً" (رؤ٢١:١-٧).

أما جحيم الشيطان فيصفها النبي إشعياء وفي شخصية مدينة بابل بقوله "تتحول أنهارها زفتاً وترابها كبرتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلا. ليلاً ونهاراً لا تنطفئ. إلى

الأبد يصعد دخانها من دور إلى دور تخرب إلى أبد الآبدين. لا يكون من يجتاز فيها. ويرثها القوق والقنفذ. والكركي والغراب يسكنان فيها. ويمدّ عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء. أشرافها ليس هناك من يدعونه للملك وكل رؤسائها يكونون عدماً. ويطلع في قصورها الشوك والقرّيص. والعوسج في حصونها. فتكون مسكناً للذئاب وداراً لبنات النعام. وتلاقي وحوش القفر بنات آوى. ومعز الوحش يدعو صاحبه. هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً. هناك تحجر النكّازة وتبيض وتفرخ وتربي تحت ظلها. وهناك تجتمع الشواهين بعضها ببعض"(إش٣٤:٩-١٥).

والآن فما هو القوق والقنفذ والكركي والغراب؟ ومن هم الذئاب وبنات النعام ووحوش الحقل وبنات آوى ومعز الوحش؟ وكذا النكازة والشواهين؟ أليس الذين قد كتب عنهم الرسول يوحنا قائلاً "واما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة الذين نصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤ٢١:٨). هذا هو جحيم الشيطان وتلك هي مملكته وهؤلاء هم أبناؤه.

نعم هكذا بات قلب الشيطان جحيماً وفي أعماقه يستقر الليل استقراراً وتسكن الوحوش الرديئة فيه إسكاناً. وأما قلب المسيح الحبيب فإنما هو الجنات بذاتها وفي أعماقه يستقر النهار ويسكن القديسون أبداً ودهراً. لأنه كما أن الأنانية الصرفة هي باب الجحيم ومدخل جحيم الشيطان هكذا المحبة بالصليب هي باب الملكوت ومدخل جنات الله.

والآن فإن كان للشيطان جحيماً على المستوى الروحي يتمثل في القطيعة الأبدية عن الله ،فله جحيم كذلك على المستوى الجسدي يتمثل في الخطيئة والموت.

وللمسيح أيضا جنات على المستوى الروحي الملائكي وأخرى على المستوى البشري الجسدي. ومن أجل هذه الجنات نزل الله إلى الأرض نزولاً وتجسد من العذراء تجسداً وافتدى الخليقة البشرية من لعنة الخطية والموت افتداءاً أبدياً. لأنه كيف يسوغ أن يكون الله محباً للإنسان وإن يتركه هكذا فريسة للشيطان وهو معتزل بالسماوات لنفسه وغير مبال بآلام غيره من عباده ويستأنس لأوجاع خلقه بل ويبني إلهيته المزعومة وأنانيته القاسية على اشلاء أبنائه؟ فمن هو الذي يترل في سبيل تعزية الإنسان عن المرتفعات. أليس الأكثر حباً والأشد اهتماماً والأكثر قوة والذي هو الله بمطلق حبّه وقوته وبره والذي بتروله التجسّدي وتواضعه الفدائي قد حول برية القلب إلى بستان وصحراء النفس البشرية إلى جنات؟. كيف لا وهو يحرث القلوب بمحرات كلمته ويقتلع الأشواك الحادة بمساميره وينشر الأفكار الصالحة ببذار حكمته ويغرس الأرواح بأغراس بره ويسقي العواطف والعقول بمياه روحه ومن ثم يترل ليرعى في الجنات ويجمع السوسن وهو ينادي قائلاً "قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي. لان الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال. الزهور ظهرت في الأرض. بلغ أوان القضب وصوت اليمامة سُمع في أرضنا" (نش٢:١٠-١٢) .

أجل هكذا نزل المسيح في أحشاء العذراء حبيباً ونفث من خلالها إلى قلب الكنيسة مخلصاً وجلس بالتالي فوق قلوب القديسين ملكاً متوجاً. فصارت له بذلك هاتيك الحقول جنات وخمائل تفوح بأطياب الإيمان وتعج بسوسن الجمال والكمال. نعم في قلوب المؤمنين وعقول المستنيرين وأجساد القديسين يستقر المسيح ويسكن الحبيب كمن يسكن في جنات له وفراديس. فهو في هذه المذاود المتواضعة يلد. وفي هذه البيوت البسيطة يتعشى. وفي هذه المساكن الروحية يبيت. بل وفي هذه الجنات يرعى ويجمع السوسن.

ولكن ما عسى أن يكون هذا السوسن الذي راح المسيح يجمعه من جنات أتقيائه وخمائل قديسيه؟ اليس القلب المنكسر والروح المتواضع؟ اليست صلوات القديسين وأنّات المختارين؟ اليست دماء الشهداء وآلام المختارين؟ اليست دموع التائبين وصرخات المتجردين؟ اليست بشارة الكارزين وجهاد المبشرين؟ اليستِ ذبائح الرحمة والتوزيع وعواطف الحبيب من نحو الآخرين المتألمين؟

أجل السوسن إنما هو رائحة المسيح الذكية في محبّيه وقديسيه والذي راح يفوح على الساكنين بين القبور حيث النتانة والموت ليبعث في قلوبهم النهضة.

وأنت أيها القارئ العزيز. هل نزل إليك المسيح الحبيب كما يترل الحبيب في قلب الحبيبة ليجمع منك سوسن الإيمان ونرجس الرجاء وخزام المحبة بل وثمار الروح القدس خمائلا وأطيابا، أم أن الذي قد نزل إليك حقا إنما هو الشيطان بوحوشه وكواسره وزواحفه، بل وبإعمال جسده وأشواكه؟

وأما أنت يا إنسان الله، فاصلب الجسد مع الأهواء واصنع اثماراً تليق بالتوبة. لان أيامك أيام شريرة وأزمنتك أزمنة صعبة إذ بات نزول الحبيب إلى الجنات امراً عزيزاً ونادراً. اليس كذلك أيها الرسول بولس؟

٣- أنا لحبيبي وحبيبي لي الراعي بين السوسن

أجل أنا لحبيبي المسيح بروحي وجسدي، بضميري وذهني، بإنساني الخفي والظاهري، بعقلي الطبيعي والروحاني، بحسّي وإرادتي. نعم أنا له بروحي لكوني بروحه المطلق "أحيا وأتحرك وأوجد به" (أع١٧: ٢٨). أناله بجسدي لكوني بتجسده قد صار لي محباً ألصق من أخ. أنا له بضميري لكونه بالحق قد قدّس

ضميري وبالمحبة قد خلّصني وبالإيمان تطهيراً قد طهرني كقول الرسول بولس "واما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء" (١تي١:٥). أنا له بإنساني الخفي والظاهري إذ قد أيدني بقوة روحه في الإنسان الباطن وبالإيمان قد حل في قلبي وبالمحبة قد أسس حياتي تأسيساً كقول الرسول بولس "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده ان تتايدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالايمان في قلوبكم وانتم متاصلون ومتاسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف٣:١٦-١٩). أنا للمسيح بعقلي الروحاني وبعقلي الطبيعي أيضاً، لأنني حينما أجد أن ناموساً آخر يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيئة" (رو٧:٢٣)، أجد فيّ كذلك ناموس روح الحياة في المسيح يسوع يعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو٨:٢) بل ويعطيني الرب يسوع في عقلي الروحاني والطبيعي روح الحكمة والإعلان في معرفته وينير عيون ذهني لاعرف ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (أف١: ١٧-١٨).

أجل إنني للمسيح بإرادتي ،لانه بإرادته الصالحة يقاطع كصليب إرادتي الشريرة لأعيش فيما بعد لا لإرادتي الشريرة أنا بل لإرادته الصالحة هو، كقول الرسول بولس "وهذه هي إرادة الله قداستكم". وبهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة على الصليب حيث تُصلب إرادتي الشريرة بإرادته الصالحة. نعم أنا له بأعضائي وحواسي لأنه بتجسده في الإنسان قد برر فيّ الأعضاء مع الحواس "كقول الرسول بولس 'ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطيئة بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الموت وأعضاءكم آلات بر لله لانه كما قدمتم أعضائكم عبيداً للنجاسة والإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيدا للبر والقداسة"(رو٦: ١٣-١٩).

وهكذا قد بُتُّ لحبيبي المسيح بوجودي وعلى وجه الإطلاق "حتى إنني إن عشت فإنما له أعيش وإن مت فإنما له أموت" (رو١٤:٨) وذلك كله ليس بالشيء الكثير لأن حياتي وبكل أطرافها ليست ملكي أنا بل إنها للمسيح هي.

والآن إن لم أحفظ حيتي له هكذا سليمة صحيحة فسأكون لحبيبي لصّا ولإلهي سارقاً وبالتالي ليسوعي خائناً ومع الاسخريوطي وبوحي من الشيطان على سيدي متآمراً. لهذا أنا لست لذاتي بل للمسيح ولا للإنسان بل لابن الإنسان وللإنسان من اجل ابن الإنسان ولا لجسد وأعماله بل للروح وثماره. لا للعالم الحاضر الشرير بروح فساده بل للعالم الأسنى العتيد الصالح بروح بره. بل لست أنا فيما بعد للشيطان وسياداته، سبادات الظلام، بل للمسيح وسياداته في الحب والفداء والنهار، لكوني مفدّى من الشيطان والجسد والعالم لا بفضة وذهب بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (١بط١: ١٨-١٩). وذلك لكي أحيا الزمان الباقي لا لشهوات الناس بل لإرادة الله (١بط٤:٢). حتى إنني بهذه الإرادة أعود وأحب البر إلى أقصى حدود وأكره الخطية إلى أقصى حدود. أحب الإنسان كيفما كان وأينما كان وحيثما كان وعلى وجه الإطلاق ولكنني أكره الخطية فيه كيفما كانت واينما كانت وحيثما كانت وعلى وجه الإطلاق.

أجل إنني أكره الخطية في ذاتي وفي ذاتية الآخرين. أكرهها في غطرسة المتكبّرين وفي قساوة الظالمين، في ادعاء السياسيين وفي رياء الفرّيسيين، في جرائم المحاربين وفي زندقة الصدّوقيين وإلحاد الملحدين، في بدع الهالكين وفي استهتار العابثين، في استغلال الطامعين وفي جشع المستعمرين، في خيانة الاسخريوطيين ومظاهر الإكليريكيين. نعم أكره الخطيئة داخل الكنيسة وخارجها. أكرهها في فريسية

كهنتها وازدواجية شمامستها وأرستقراطية أساقفتها وجمود عقلية شيوخها وجموح أفكار شبابها. وليس ذلك فقط بل أكره الخطية في زوجتي وولدي. في أهلي وأنسبائي. في أصدقائي بل وحتى في ذاتي. أكره مضاعفاتها وذلك في المجاعات التي تولدها أنانية الإنسان والحروب التي تثيرها طموحات الإنسان والأمراض التي تخلفها جهالات الإنسان والموت الجسدي الأول والموت الروحي الثاني الذي تتحتمه خطية الإنسان. لذلك أكره الخطية بكل نقاطها وخطوطها وأشكالها. أكره النظر إليها والاستماع لصوتها والاقتراب منها وتناولها وتذوقها، لأنها سم زعاف و"الأمور الحادثة منها سراً ذِكرها أيضاً قبيح" (أف٥:١٢).

ولكنني بجانب هذا كله أحب الإنسان من أجل ابن الإنسان يسوع المسيح. أحبه قديماً وحديثاً. باراً وخاطئاً. أبيضاً وأسوداً. سريانياً وأجنبياً متعلماً وجاهلاً. اكليريكياً وعلمانياً. غنياً وفقيراً. حياً وميتاً. وذلك طالما سيدي المسيح يحب الإنسان هكذا ويكره فيه الخطية هكذا. وبمحبتي هذه وبكراهيتي تلك أفصل بين الإنسان وخطيئته فصلاً وأميّز بينهما تمييزاً.

ولكن إن كنت أحب في الإنسان خطيئته وأبغض فيه إنسانيته فقد صرت بذلك للشيطان حبيباً ولابن الإنسان (المسيح) عدواً. الشيطان الذي كان منذ البدء للناس قتالاً ولم يثبت في الحق لأن ليس فيه حق والمسيح الذي كان منذ البدء بل منذ الأزل للناس مخلصاً ولم يعرف خطية ولا وجد في فمه مكر. وأما الآن فلقد فدى المسيح حياتي من الشيطان، فداءً ابدياً وكلياً. فلقد فدى عقلي من الجهل وقلبي من العداء وجسدي من الفساد ونفسي من القلق وروحي من العذاب. نعم قد فدى المسيح عيني من العمى وأذنيّ من الصمم ولساني من الخرس وانفي من الزكام ويدي من الطمع ورجلي من الزلق.

حقاً انه لي بأزليته وأبديته، بلاهوته وناسوته، بتعليمه ومعجزاته، بحبه وصلاحه، بموته وقيامته، بصعوده ومجيئه، بل بعرشه وملكه وتيجانه. نعم من أجلي ولد حبيبي زمنياً لأُولد منه أنا إلهياً، افتقر وهو الغني لكي استغني أنا بفقره، إتضع لأرتفع، تألم لأُسعد، مات وقام لأموت عن الخطية معه وأقوم للبر، صعد إلى السماء وجلس عن يمين عرش العظمة لكي أصعد أنا أيضاً معه وفي العرش أجلس معه جلوساً دهرياً.

ولكن ما أعظم الفرق بين حب المسيح لي وحبي أنا للمسيح؟ المسيح يحبني لا من أجل ذاته بل من أجل ذاتي ،وأما أنا فأحبه لا من أجل ذاته بل من أجل ذاتي، لذلك بات المسيح نزيهاً في حبه وأما أنا فمغرض في حبي. المسيح قد أحبني أولاً وأما أنا فقد أحببته آخراً والقوة في الحب إطلاقاً إنما هي للمحب الأول والأسبق. المسيح قد أحبني كصالح وبار وأنا بعد خاطئاً أثيماً، وأما أنا فأحببته وأنا لا أزال خاطئاً وهو لا يزال باراً وقدوساً. المسيح قد أحبني في الأزل وهو لا يزال يحبني في الزمن وسيحبني كذلك في الأبد. واما أنا فأحببته في الزمن وأرجو أن أثبت في محبته في الأبد. المسيح يحبني إلى أبعد حدود لكنه يبغض خطيئتي إلى أبعد حدود وبذلك يريد أن يكون بيني وبين خطيئتي عازلاً وبصليبه لحياتي مخلصاً. أما أنا فقد أحب المسيح في ميلاده ومعجزاته ومظاهر سلطانه ولكنني غالباً ما أتقزز من صليبه كبطرس القديم وفي عمق أنانيتي أريد أن أكون بينه وبين الصليب عازلاً وبالتالي لحياتي هالكاً. محبة المسيح تجاهي ثابتة كثبات الله لا تتغير ولا تضعف ولا تشيخ ولا تموت، أما محبتي فقد تتغير وتضعف وتشيخ وتموت كتغيرات الإنسان. محبة المسيح تجاهي كإنسان جديد عالية القمة، عميقة القاعدة واسعة الأطراف لكونها محبة مسيح بصليب. أما محبتي أنا من نحو المسيح فهي محبة ضعيفة متصلبة ومنكمشة

لأنها محبة إنسان بأنانية لذلك فمن الحكمة إذاً ألا أعتمد صلتي مع حبيبي المسيح على مشاعري وعواطفي، على قوتي وحكمتي، على بري وعملي، على مواهبي وقابلياتي، بل على محبة حبيبي من نحوي لكونها محبة أزلية وفدية إلهية ونعمة من الله مجانية. نعم من هذا المنطلق أنا لحبيبي وحبيبي لي الراعي بين السوسن وليس من منطلق آخر.

نعم المسيح الحبيب إنما هو الراعي بين سوسن العذراء مريم، انه راعي أفكارها بحكمته وعواطفها بحبه وجسدها بقداسته طالما الروح القدس قد حل عليها حلولاً وقوة العلي قد ظلّلتها نظليلاً والمسيح الرب قد تجسد منها تجسيداً وليس ذلك فحسب بل ولا يزال المسيح راعياً صالحاً بين سوسن كنيسته وذلك لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسده. (أف٤: ١١-١٢).

وأما الآن فهل أنت اليوم أيتها الكنيسة المعاصرة سوسن حقاً بأساقفتك وكهنتك، بشمامستك ورهبانك، بطلائعك وفصائل شعبك، شأنك في ذلك شأن كنيسة القديسين والعذراء مريم سوسن الأودية؟ أم إنك اليوم قد صرت غابة للعوسج يرعى فيك وحش القفر وبنات آوى ويعشش بين أغصانك الكركي واللقلق مع سائر الشواهين (إش٣٤:١١-١٤)؟ كيف سطا عليك أبيمالك هكذا أيتها الكنيسة عوسجاً فقتل فيك الزيتون الدسم وذبح التين الحلو وأهلك الكرم الشهي (قض٩:٧-٢٢)؟ كيف صارت الكراكي والغربان مع اللقالق تحلق في أجوائك بدل الحمام وراح الشوك والعوسج ينبت في ديارك بدل السوسن؟ بل كيف أمست الذئاب في ساحاتك تعوي عواءً ومعز الوحش في مقادسك ينادي صاحبه والنكازة في ينابيعك تبيض وتفرخ وتربي" (إش٣٤:١١-١٤)؟ ولم لا؟ أو ألم تتسلل الذئاب الخاطفة

منذ الأيام القديمة بين صفوف الكنيسة تسللاً (أع٢٠:٢٩)، أولئك الذين قد حذرنا منهم رب المجد مسبقا بقوله "احترزوا الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان لكنهم من الداخل ذئاب خاطفة"؟ ألم يحذرنا الرسول بطرس من روح النجاسة المتمثل في الكركي والغراب واللقلق طيور المستنقعات وآكلي الضفادع بقوله " أدناس وعيوب يتنعمون في غرورهم صانعين ولائم معكم. لهم عيون مملوءة فسقاً لا تكف عن الخطية. خادعون النفوس غير الثابتة. لهم قلب متدرب في الطمع أولاد اللعنة. لأنهم إذ ينطقون بعظائم البُطلِ يخدعون بشهوات الجسد في الدعارة من هرب قليلاً من الذين يسيرون في الضلال واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد" (٢بط٢:١٤-١٩)؟ ألم يتحول كرم الكنيسة اليوم إلى كرم رديء إذ طلع الشوك والحسك لأنه لا حراثة بالإنجيل ولا مطر وماء بالروح القدس ولا قضب وتقليم بمقص الكلمة المطهِّرة (إش٥:٣-٦)؟ فكيف لا تجتمع وحوش الحقل إذاً في كرم كهذه وتبيض النكازة وتُفرِّخ وتربي لها الأصلال من جديد؟ اجل ما هذه الكواسر والحيوانات إلا احتياطي الشيطان الجسدي واعماله المميتة والتي هي زنى. عهارة. نجاسة. دعارة. عبادة أوثان. سحر. عداوة. خصام. غيرة. سخط. تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل. سكر. بطر" (غل٥: ١٩-٢١).

ألا إلى الحبيب الأعلى يا ذات الأحباء السبعة عشر وإلى الراعي بين السوسن والقديسين يا أسيرة الرعاة الظالمين بين الشوك والشياطين. نعم إلى يسوع المسيح في عذرائه وقديسيه أيتها الكنيسة لتكوني أنت أيضاً سوسنة وسواسن وشعارك أبداً هو "حبيبي لي أنا وأنا لحبيبي الراعي بين السوسن".

٤- أنت جميلة يا حبيبتي كترصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بألوية

ترى من عسى أن تكون الجميلة هذه كترصة حسنة كأورشليم وهي مرهبة كجيش بألوية؟

أليست هي العذراء مريم الجميلة بعذراويتها والمرهبة بميلادها؟ كيف لا وقد ملأها الله بالروح القدس وظللّها بالقوة حتى أن المولود منها هو الأسد الخارج من سبط يهوذا والمهيب المنحدر من قلب الأزل لان المولود منها إنما هو القدوس وابن العلي يدعى.

حقاً جمال العذراء هذا إنما هو في حبها وحبها في جمالها. أما رهبتها فإنما هي في حبها وجمالها وهي كمركبة نارية لا تزال تبهر الأبصار بجمالها والقلوب برهبتها والعقول بعذراويتها. نعم فيها تعشق الأنبياء الأخيار الجمال فدائياً والجلال لاهوتياً. كما وفيها يُرهب الأولاد الأشرار فدائياً والجهال لاهوتياً لأنّها تترل على قلوبهم وأفكارهم كجيش بألوية. ولكن علام هذه الرهبة من العذراء بل بالحري من الرابض كالأسد في أحضان العذراء؟ وهي كمركبة روحية عازلة عن السلاح وعن كل مظاهر الأُبّهة والجاه والسلطان؟ أفلا يدل الرعب هذا في قلوب الملوك والعظماء وهم المحاطون بقوة السلاح على أن الذي تحمله العذراء في أحضانها هو ملك الملوك ورب الأرباب؟ بل ديّان عدل لجميع الملوك والقضاة؟ وهو المزمع أن ينتزع المُلك والصولجان والتاج مع الأرجوان من جميع ملوك الأرض وسلاطين الدهر؟كقول النبي داؤد "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما" (مز٢:١-٣). الأمر الذي قد تحقق على أيدي بيلاطس وهيرودس والذي لا يزال يتحقق في أعوان الشيطان كقول الرسل "لانه بالحقيقة اجتمع على

فتاك القدوس يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل" (أع ٤:٢٧)؟
فكيف لا يخافوه إذن بعدما تجسد في دولتهم، دولة الباطل هكذا نوراً من الحق يقضُّ مضاجعهم ويشهد على أعمالهم بأنها شريرة؟

نعم لا تزال هذه المركبة العذراوية تدور الخليقة كلها بإنجيل التجسد والفداء في ذاتها وذاتية الكنيسة المقدسة ليكون جمالها نورا في عيون المؤمنين وظلاما كثيفا في عيون الملحدين. أجل العذراء مريم والكنيسة التي في القديسين إنما هما شخصية واحدة بل واجهتان لشخصية سماوية واحدة، هي شخصية يسوع المسيح ذاك الجميل المرهب والمرهب الجميل. الجميل بحبه والمرهب ببره. كيف لا والعذراء كسحابة خفيفة قد طارت من أورشليم إلى مصر من وجه هيرودس الشيطان فسقطت أوثان مصر من قدامها؟ وهي التي لا تزال بحبها العذراوي وولادتها للمسيح تغزو العالم والممالك مع الشعوب وتتحدى كل متغطرس عنيد بل وعند أقدامها العذراوية يتحطم كل صنم لداجون وملحد مكابر لشيطان؟ كيف لا والكنيسة الرسولية وهي الأخرى ابنة العذراء وسليلة التجسد والفداء بالإيمان قد اندفعت هكذا من علِّية الروح القدس مرهبة كجيش بألوية، لا في أورشليم فحسب بل وفي اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض؟

فالإنجيل إذن، إنجيل العذراء والكنيسة، لا يزال اللواء المحبوب المحسن في قلوب القديسين والمؤمنين والمرعب الثقيل في قلوب الشياطين والآثمين وذلك لا بالسيف والحراب بل بالبر والاستشهاد بوضع الرقاب. واللواء المرهب هذا لا يستهدف إلا للشيطان وقواته قتلاً وللإنسان تخليصا "لأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم. بل مع

الرؤساء. مع السلاطين. مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر. مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (اف٦:١٢). نعم ليست أسلحة اللواء السماوي هذا سيفاً او رمحاً بل كلمة. وليست طائرات بل أفكاراً في السماويات. ولا دبابات ومدرعات بل عذارى مبشرات وبحق المسيح مدرعات. وليست قنابل نووية وصواريخ ذرية تزهق حياة الأبرياء بل ضربات سماوية وجامات إلهية وشخصيات روحية ورسولية تتفجر حقاً وتلتهب حباً وتشتعل إيماناً لتقصف الباطل وتنسف الشر وتحرق الزؤان من بني البشر. ولا عجب في ذلك طالما الأسلحة البشرية قد صممت في معامل الشر والهلاك، والأسلحة الروحية قد صنعت في معمل الحب والفداء والخير. من أجل ذلك راح الرسول بولس وهو قائد الحملات الرسولية ضد معسكرات الشيطان يقول "إن أسلحة محاربتنا قادرة بالله على هدم حصون ومستأسرين كل علوٍ يرتفع ضد معرفة الله".

ولكن ما عسى أن تكون هذه الأسلحة الروحية التي يدعونا الرسول بولس للتسلح بها؟ إنها في كلمات الرسول القائلة "من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين احقاءكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام إبليس الملتهبة وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو الكلمة الله" (اف٦: ١٣-١٧) اجل بهذه الأسلحة الروحية التي للمسيح يسوع تقوّض مملكة الظلمة وبها يبنى ملكوت الله على الأرض.

أجل ونحن لا زلنا نترجى الوقت المعيّن والذي فيه سيقضي المسيح الرهيب بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين "فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ولا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد" (اش٢: ٤). نعم سيأتي المسيح إلى الأرض ثانية لا ليصلب بل ليقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض. ويضرب الأرض بقضيب فمه. ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه. فيسكن الذئب مع الخروف. ويربض النمر مع الجدي. والعجل والشبل والمسمن معاً وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما معاً. والأسد كالبقر يأكل تبناً. ويلعب الرضيع على سرب الصل. ويمد الفطيم يده على جحر الافعوان" (اش١١:٤-٨).
ألا فاقدم إلى عالمنا ثانية يا وليد العذراء الجميل الرهيب قبلما يُفنى بالشر ويُبتلع من الشيطان.

حقاً كانت العذراء هكذا جميلة كترصة والكنيسة الرسولية الأولى مرهبة كجيش بألوية. فهل أنت اليوم على هذا الصعيد جمالاً ورهبةً أيتها الكنيسة؟ أم أن الخطيئة في الأزمنة الأخيرة قد نزعت عنك جمال الحب ورهبة البر؟ هل أنت اليوم جيش روحي ومسلح بأسلحة الروح والإيمان تنقضين على معسكرات الشياطين ومظالم المستعمرين وزندقة الملحدين وفجور الخليعين؟ أم إنك اليوم جيش مسرح من الخدمة الإنجيلية فانتزع عنه سلاحه وفقد هيبته؟

فإلى مخدع العذراء وعانة الرسل حيث التدريبات الروحية والتسلح بالقوة أيتها الكنيسة المتخاذلة وإلى قوة الروح القدس حيث القوة والتسلح، حيث الجهاد

والانتصار أبنها الكنيسة المسبية. لتعود إليك هيبتك ويرجع إليك جمالك لأنك أنت في العذراء ابنة وللملك رب الجنود عروساً.

وأما أنت يا نفسي فالبسي سلاح الله الكامل لكي تقدري أن تثبتي ضد مكايد إبليس فتدوسي على الحيات والعقارب ولا تضرك.

٥أ -ولّي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني

يا لها من عيون بلورية صافية وبصائر نورانية مقدسة ونظرات وديعة مسالمة. يا لها من عيون بسيطة متواضعة. في الحياة الدنيا قانعة. وفي الحياة الروحية السماوية مستنيرة ونافذة. أجل إنّها عيون القديسة مريم وعيون الكنيسة التي للقديسين وعيون النفوس في المؤمنين المختارين.

فكيف إذاً لا يُؤخذ قلب المسيح الحبيب بهذه الأعين وهو يرى فيها صورته وقد طبعت ونظراته وقد تجسدت وأنواره وقد شعت وسطعت؟ نعم إنما عيناه الصافيتان وقد منحهما لعذرائه مريم بالتجسد منحاً. إنما بصيرته وقد أعطاها لكنيسته بالروح القدس عطاءً. إنما نظراته وقد شحنها في ذهن النفس المؤمنة شحناً وزرعها فيها زرعاً مقدساً. كيف لا وهو يقول إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً؟ وعيناك حمامتان من تحت نقابك؟ وطوبى لعيونكم لأنها تبصر؟ أفليس من المدهش حقاً أن يتغنى المسيح هكذا بهاتين العينين في عذرائه وكنيسته وانسانيته والعيون هي عيونه هو؟ وبصفات هي صفاته هو؟ وبعطايا هي عطاياه هو؟ حقاً إنه الحب والكرم بذاته بل إنه الصليب بنفسه حيث لا تفاخر ولا تباه. لا أنانية ولا تعالي. بل حبّ وبذل وعطاء وصليب وحياة وهناء.

والآن كيف صار للعذراء مريم وللكنيسة المقدسة والنفس المختارة عينين صافيتين مقدستين بسيطتين كهذه؟ حتى راح المسيح يقول عنها "حوّلي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني"؟ أليس بتجسيد الفكر الإلهي بالفكر الإنساني؟ أليس باستنارة النفس بالروح الإلهي؟ أليس بالنظر العميق في وجه يسوع الفادي والتطلع المركز في عينيه الحمامتين المقدستين؟ ففي العيون الجديدة هذه، عيون الروح القدس نستطيع أن نرى المسيح كما هو في أزليته وأبديته. كما هو في فداء لاهوته ولاهوت فدائه. كما هو في تجسد لاهوته ولاهوت تجسده. كما هو في نعمة حقه وحق نعمته. بل كما هو في أبيه وأبيه فيه. فكيف لا تكون هذه العينان إذاً موضوع فرح قلب الحبيب وهو يراها تنفتح لرؤية وجهه وتغلق عن رؤية الذات؟ تنفتح لرؤية الحق والنور والخير وتُسد عن رؤية الباطل والظلام والشر؟ تنفتح لمعاينة البؤساء والمظلومين وتقفل عن رؤية الظالمين والمستغلين؟ تنفتح لرؤية القداسة والقديسين وتعمى عن رؤية النجاسة والنجسين؟ بل وهل من فرح في قلب الحبيب كالفرح الذي فيه يرى روحه وأفكاره قد انطبعت في قلب الحبيبة انطباعا وصورته وقد رسمت فوق وجهها رسمه وعيناه وقد زرعت في وجهها زرعا مقدسا؟

نعم هذه هي عيون العذراء المجيدة الصافية. وهذه هي عيون الكنيسة القديمة الوديعة المستنيرة وتلك هي عيون النفوس المكحلة. وذلك هو فرح المسيح الحبيب وهو يتغنّى بها قائلا حولي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني.

ترى هل عيون كنيسة اليوم هي هكذا موضع فرح قلب المسيح شأن عيون العذراء وكنيسة القديسين؟ أهي عيون ساهرة على حق إنجيل المسيح وحق رعيته؟ أم أنها ساهرة حقاً ولكن على حق إنجيلها هي وعلى حساب رعية المسيح؟ هل تنظر

الكنيسة اليوم إلى المسيح كرئيس للإيمان، كوحيد للفداء، كمنتصر على الأعداء، كمخلّص إلى التمام، كإله متجسد في الإنسان، كجالس فوق السماوات، كابن للرحمن والإنسان وذلك كما نظر إليه اسطيفانوس وسائر الخلان؟ أم أنها راحت تنظر اليوم إلى هيرودس بالحلة البرّاقة وهو يخطب؟وبيلاطس البنطي فوق العرش وهو يحكم؟ والعجل الذهبي في برية سيناء وهو يلمع؟ وسيمون الساحر وهو يخدع ويطمع؟ ونبوخذنصّر وهو فوق شرفات قصره يتمشى ويتبختر. هل عيون كنيسة اليوم تتقادح قداسة وتشع إيماناً وتلمع في الروح القدس ناراً ونوراً؟ أم أن العيون اليوم مملوءة فسقاً لا تكفّ عن الخلاعة (٢بط٢:١٤)؟ وكالذين في كنيسة كورنثوس حتى أنه تكون للإنسان امرأة أبيه (١كو٥:١). حقاً دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس.

وأما الآن فإن شككتك عيناك أيتها الكنيسة فاقلعيها. أجل اقلعي عنك العيون الزانية الفاسقة، المتعالية المتكبرة، الطماعة الشحيحة، الغامزة الملتوية، الملحدة الكافرة، المتنعمة المائعة، الجاهلة المتعامية، بل العيون المتعصبة المتصلبة وذلك لأنها تحزن قلب المسيح حزناً عميقاً وتكسره فوق الصليب كسراً عنيفاً. وبالتوبة والإيمان يزرع المسيح في وجهك العينين الجميلتين الحمامتين النقيتين المقدستين الوديعتين المتواضعتين، القانعتين الكريمتين، البسيطتين المستقيمتين، المؤمنتين الطائعتين، البصيرتين المستنيرتين. وإذاك تسمعين صوت الحبيب يقول لك حوّلي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني.

وأما من جهتي فاقلع عني يا رب كل عين شريرة وشهوة مظلمة وخطيئة محرقة وعادة سيئة وصداقة معثرة وقرابة للإيمان معطّلة، وكبرتيماوس اخلق في وجهي بصراً جميلاً وفي نفسي بصيرة مستنيرة لأراك كما أنت للآب ابناً أزلياً.

٥ب- شعرك كقطيع المعز الرابض فوق جبل جلعاد

ألا ما أجمل التكريس في الحب في نظر الحبيب. وما أثمن النذر في البرّ في نظر القدوس المسيح. بل ما أجمل وأثمن حياة التكريس والنذر في الحب والبرّ في نظر الحبيب القدوس يسوع المسيح. هكذا عاين المسيح التكريس الحبّي في عذرائه والنذر البرّي في والدته يوم حلّ الروح القدس عليها حلولاً وتجسد الله الكلمة في جسم بشريتها تجسيداً. حتى إنها في قوة تكريسها هذا وعمق نذرها ذاك باتت وكأنها قطيع معز رابض فوق جبل جلعاد. كيف لا وقد انفصلت العذراء عن روح العالم انفصالاً وبرباط الروح القدس اتّحدت مع الله اتحاداً فارتفعت في ذلك بحياتها كما ترتفع النسور إلى الأعالي والى الجبال وكما هي في جلعاد. لأنه إن كان الرسول بولس قد ارتفع بطاقة تكريسه إلى السماء الثالثة وهو رسول المسيح يسوع، فكيف لا ترتفع العذراء إذاً بطاقات تكريسها الجسدي إلى ما فوق السماء الثالثة روحاً وجسداً بعدما صارت لإله بولس مستودعاً ومقرّاً؟ فتكريس العذراء التجسدي الفدائي هذا والذي هو في المسيح الرب يعادل في زخمه تكريس الكنيسة وعلى وجه الإطلاق. لكونه قاعدة انطلاق وخلق وإبداع للكنيسة. لأنه أي وجود يكون للكنيسة من دون إله متجسد ومصلوب؟ فمن هذا المفهوم التجسدي إذاً جاء تكريس العذراء مريم تكريساً كاملاً مطلقاً. وبالتالي منطلقاً لتكريس الكنيسة التي في المسيح يسوع ربّنا. وذلك لا بصفة شخصية فردية فحسب، بل بصفة كنسية جماعية كذلك وهي تربض كقطيع من المعز فوق جبل جلعاد.

أجل من هذا التكريس العذراوي الأساس لا يزال القديسون يستمدّون التكريس وهم بذلك يرفعون الأجنحة كالنسور وفوق جبل جلعاد يبشرون بالسلام بين يعقوب ولابان. وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

ولكن علامَ يُرمَز بالتكريس العذراوي هذا وبالنذر الكنسي ذاك بسواد المعز؟ ونحن نعلم أن لون المعز لون قبيح تشمئز منه النفس؟ أليس لأن النذر العذراوي الكنسي هذا يتراءى هكذا قبيحاً مشمئزا في نظر العالم وقد كرّس نفسه لعمل الخطية وممارسة الشر؟ ومن ثم صار يمقت كل تكريس إلهي ونذر سماوي يستهدف البر حياة والفداء خلاصاً؟ ألا حسناً ما اختارت الكنيسة لرجالاتها المسوح ثوباً. ولكن المهم بمكان أن لا يكون الثوب الأسود هذا على حساب تكريس القلب لله وتقديسه؟ بل ما الذي نجنيه يسوع المسيح من الكنيسة لحساب ملكوته إن تغيرت عن العالم بشكلها الخارجي وثوبها الكهنوتي وتشابهت معه بشكلها الداخلي وإنسانها الخفي وثوبها الحياتي؟ أفلا تكون الكنيسة وهذا الواقع كنيسة فرّيسية مرائية؟ وهل يحتمل المسيح بروح قدسه تكريساً كهذا ريائياً وكاذباً؟ والذي فيه تنتزع الكنيسة المجد من الرب من جهة وتضع العثرة أمام الناس كبيرة وثقيلة من جهة أخرى؟ فماذا إذن؟ أنعشر النعنع والشبثّ والكمّون ونترك أثقل الناموس الإيمان والرحمة والحق؟ ما كان ينبغي أن تعمل هذه ولا تترك تلك، وتلبس الثوب الأسود مسوحاً مكرّساً ولا تخلع عن القلب المسيح مسوحاً مكرساً من الله قدّوساً ومصلوباً؟ لذلك أيّها المكرّسون المراؤون إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.

فعلى الكنيسة إذاً أن تخطط تكريسها بمقتضى تكريس العذراء وعلى أساس من التجسد والفداء متين. وتصمم نذرها بمقتضى نذر الكنيسة المقدّسة وعلى أساس من الروح القدس في القلب مكين. لتكون وبالحق كقطيع من المعز رابض فوق جبل جلعاد حيث التبشير بالخيرات، وفوق جبل حطّين حيث استماع العظات،

وفوق جبل تابور حيث المجيد من الإعلانات، بل فوق جبل الجلجثة حيث الحب والفداء والمصالحات. أجل لتعيش في صعيد نذر أولئك الذين تجربوا في هزء وجلد وقيود أيضاً وحبس. ورجموا، ونشروا، وجرّبوا، وماتوا قتلاً بالسيف، وطافوا في جلود غنم ومعزى، معتازين، مكروبين، مذلّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق من الأرض" (عب١١: ٣٦-٣٨).

نعم في هاتيك الجبال الجلعادية، جبال الإيمان بالمسيح قد خصّن هؤلاء جميعا من غضبة العالم وقد كرس لعمل الشر. ولكيما ينالوا في السموات مواعيد أفضل. وهكذا قد هرب لوط أيضاً مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة إلى الجبل لينجو بنفسه من الغضب الآتي. وإلى جبال الإيمان هذه قد تطلّع داود في جهاده فرأى فيها الغلبة والانتصار. فأنشد يقول "إني رافع عيني إلى الجبال من حيث يأتي منه نصرتي". بل في جبال الله العالية هذه تكرّس القديسون بأفكارهم بالحكمة وبأرواحهم بالحق وبأذهانهم بالاستنارة وبإرادتهم بالقوة وبأجسادهم بالقداسة وبنفوسهم بالحياة الأبدية وبعواطفهم بالحب وبإنسانهم الباطني والخفي بالإيمان فأمسوا وكأنهم قطيع من المعز وقد رُبضَ هكذا بتكريسه فوق جبال في السموات عالية ليكون لهم الحب والحياة مرعىً دسما والبر والحق طعاما دسما والإيمان والجهاد للحياة سلاحا. فبات الواحد منهم وكأنه عنزة في قطيع التكريس ونعجة في رأس المسيح النذير النفيس، وشمشوناً لا يشرب مسكرا ولا يعلو رأسه موسى لأنه مفرز من البطن بالروح القدس ليكون لله نذيراً وبشيراً.

فلا عجب إذاً إذا ما رأينا الرسول بولس يدعو الكنيسة إلى هذا التكريس الروحي العميق بقوله "فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو ١٢:١-٢). هذا هو التكريس العذراوي في القديسة مريم والنذر الرسولي في الكنيسة المقدسة والاختبار الإلهي للنفس المتجددة. وهكذا يجب أن يكون النذر في الكنيسة وعلى وجه الإطلاق تكريساً قلبياً روحياً عقلياً وجسدياً حياتياً. وذلك لا بمظاهر إنسانية مجرّدة بل بوقائع روحية داخلية يضعها الروح القدس في القلب ناموساً ودستوراً وحياة لله حية ونامية.

ولكن كيف هو تكريس كنيسة العصر وكيف هو نذرها؟ أهو بدعوة من الروح القدس أم بدعوة من الروح الذاتي العالمي النجس؟ أهو تكريس عقلي نفسي وجسدي أم تكريس ظاهري وشكلي؟ أهو تكريس للمسيح الحبيب وحده وكما هو في إنجيله؟ أم إنه تكريس للمسيح والعالم، للمسيح وللجسد وكما هو في روح عالمه وأعمال جسده؟ أين تربض الكنيسة اليوم وأين ترعى؟ أفوق جبال الإنجيل تشبع تعليماً وترويضاً وترتوي حباً وبِراً وتشتد إيماناً وجهاداً؟ أم في منخفضات الحرف والناموس تشبع جموداً وتزمتاً؟ ترتوي بغضاً وإثماً وتشتد تعصباً وبالأسنان كالفريسيين صريراً؟ أتربض فوق جبال المسيح كقطيع للمسيح موحّد وتدير بقلب واحد ونفس واحدة وإيمان واحد؟ أم إنها قد تبعثرت في حبّها وتشتتت بوحدتها وحلقت تكريسها ونذرها؟ هل الكنيسة اليوم قد انفصلت عن روح العالم بتكريسها ورسالة كهنوتها واتحدت مع المسيح؟ أم إنها اليوم قد انفصلت في ذلك عن روح المسيح والذي هو روح البر والقداسة واتحدت مع روح العالم والجسد

والذي هو روح النجاسة؟ أترعى الكنيسة اليوم في تكريسها فوق الجبال المجيدة محبة، فرحاً، سلاماً، طول أناة، لطفاً، صلاحاً، إيماناً، وداعة، تعففاً"؟ (غل٥: ٢٢) أم إنها اليوم في تكريسها المرفوع والمحلوق تجنّ وكشمشون ترعى في أسفل الوادي ومع أهل مديان "زنى، عهارةً، نجاسةً، دعارةً، عبادةَ أوثان، سحراً، خصاماً، عداوةً، غيرةً، سخطاً، تحزباً، شقاقاً، بدعةً، حسداً، قتلاً، سكراً، بطراً"؟ (غل ٥:١٩-٢١). فأين هو إذن تكريس الكنيسة اليوم وأين هي خدمتها للإنجيل؟ فهل قد رفعت عنها نذرها رقصّت دليلة خصلها وقلعت عن رؤية وجه المسيح عينيها ونزعت عنها قوّتها وتكريسها بل ومع شمشون الجامح قد ديست مع الحيوانات كرامتها؟

والآن كما كانت الكنيسة التي للقديسين مثالاً لنذر شمشون في دوره الأول دور التقديس والتكريس والانتصار، هكذا باتت كنيسة الجسديين اليوم مثالاً لشمشون في دوره الثاني دور التخاذل والخيانة والمذلة. وإلا أين نحن من حكم الرسول بولس بحق المشروبات الروحية والمسكرات وهو يقول "حسنٌ أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يُصدم به أخوك أو يعثر أو يضعف"؟ (رو١٤: ٢١). بل أين نحن من ذياك التكريس لروحي والذي قال فيه الرسول بولس "ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنّمين ومرتلين في قلوبكم للرب" (أف٥: ١٨-١٩). بل وأين نحن كذلك من قول الرسول بولس هذا وهو يقول "أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلّوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" (١كو٦: ٩-١٠).

حقاً في أحضان دليلة قد اخل نذر الكنيسة وفي أحشاء الدنيا قد سقط عنها تكريسها. "لأن كل ما في العالم والدنيا إنما هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة". فأمسكت بفخاخها وأوتار شهواتها مسكاً فجُزَّ من ثم شعرها وتلوث بالمسكر فمها وكشفت للعابثين أسرارها وقلعت بأصابع العالم وشهوات الجسد عيناها ففارقتها قوتها وكرامتها وهبطت من مستوى السماء والروح إلى مستوى الأرض والجسد. فأهينت بالتالي فكملت فيها بذلك كلمة الرب القائلة "أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح لا يصلح لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس".

وأما الآن فتوبةً توبي إلى الله وكرسي له القلب من جديد مذبحاً والعقل هيكلاً والنفس محراباً حتى ينمو شعرك من جديد وترجع إليك قوة الله وطاقة القداسة فتنطلقي بالإنجيل في محلة مديان قوة وبالمسيح المصلوب كرازة وبشارة.

وأما أنت يا إنسان الله، يا كاهن يسوع المسيح فإيّاك أن تنزل من الجبل لترعى ومن الأعالي لتزحف بل وإياك أن تنام في أحضان دليلة فيسقط عنك نذرك وتقص خصل كهنوتك وتفارقك قوتك فتصير بالتالي لا كاهناً مكرماً ولا شمشوناً جباراً بل شمشوناً في معبد الكنيسة حيواناً وفي طاحونة العالم منتحراً مجنوناً.

٦- أسنانك كقطيع نعاج صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيها عقيم

فكما أن للكنيسة أساسين للخلاص هما الإيمان والمعمودية وعهدين للغفران هما جسد الرب ودمه وقاعدتين للتبرير هما الإيمان وثمار الروح القدس وحدين للسلاح

هما عهدي الكتاب القديم والجديد. هكذا للكنيسة أيضا فكين للأسنان وهما كقطيع نعاج صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيها عقيم.

نعم الآباء وأنبياء العهد القديم هم فك الكنيسة الأول والرسل والقديسون هم فكها الثاني. هذان هما صفّا أسنان الكنيسة اللذان قال عنهما الرسول بولس "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة" (عب١:١). "لذلك نحن أيضا إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع" (عب١٢: ١-٢). فهؤلاء وأولئك هم بالحق أسنان الكنيسة البيضاء الصادرة من غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. لذلك وكونها هكذا بيضاء نقية وقوية سليمة تقوم بعملها الخلاصي كما يليق وتخضع للكلمة الأزلية يسوع المسيح كما يجب لتتذوق طعمه وتتفكر معناه وتستوعب حقه وتمتص حبه وحياته. من أجل هذا يقول الرب يسوع "خذوا كلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي للعهد الجديد، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة".

وكما أن الأسنان الطبعية على ثلاثة أنواع هي الأضراس والأنياب والقواطع، هكذا الأسنان الروحية أيضاً في فكّي الكنيسة على ثلاثة أنواع هي الشماسية والقسوسية والأسقفية. وقد وضعها الرب في الفم أسناناً لتقطيع الطعام الإلهي وتفتيته وطحنه. ليقدم من ثم لأعضاء جسم الكنيسة غذاء وحياة ودما كما هو مكتوب "لأنه أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاةً ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح

إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (اف٤:١١-١٣). ولو لم تكن أسنان الكنيسة هكذا درجات أساسية ثلاث فعلام افتتح الرسل قرارهم المجمعي في أورشليم بالقول "الرسل والمشايخ والأخوة يهدون سلاماً إلى الأخوة الذين من الأمم في إنطاكية وسورية وكيليكية" (أع١٥:٢٣)؟ وإن كانت المشيخة هي ذات الأسقفية فعلام يميز الروح القدس هنا بين الرسولية والمشيخة؟ وكيف جاز للرسل أن يقيموا قسوساً في كل مدينة يبشرون بها" (أع١٤:٢٣)؟ وعلام يقول الرسول بولس لتلميذه تيطس من أجل ذلك تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك" (تي١:٥)؟ بل علام يقول لتلميذه تيموثاوس كذلك "لا تضع يدك على أحد بالعجلة وتشترك في خطايا الآخرين" (١تي٥:٢٢)؟ أفلا تبرهن كل هذه الشهادات الناطقة بأن الدرجة الأسقفية هي ذات الدرجة الرسولية المتميزة عن القسوسية المشيخيّة؟ كيف لا والرسول بولس يقول "لأنه من دون كل مشاجرة إن الأصغر يبارك من الأكبر".

والآن إن كانت القسوسية المشيخيّة تتبارك من الأسقفية الرسولية وذلك بوضع اليد. فكيف إذاً لا تتميز عنها رتبة وصلاحية؟ وإلا ألعلّ الجميع رسل؟ وهكذا نرى الكتاب يعج بالشهادات الصارخة بأن الأسقفية إنما هي درجة رسولية وبوضع اليد متميزة عن القسوسية المشيخية تمييزاً. "وإلا علام لم يقف الشمامسة السبعة أمام القسوس والشيوخ بل أمام الرسل حيث قد صلوا ووضعوا عليهم الأيادي" (أع ٦:٦)؟ لأن النعمة الفدائية في المؤمنين شيء والدرجة الكهنوتية فيهم شيء آخر. وإلا علام لم يتمتع استيفانوس رئيس الشمامسة برتبة أسقفية رسولية أو حتى بقسوسية مشيخية وهو المشهود له بالإيمان والقوة والحكمة وعمل المعجزات

والآيات" (أع٦:٨)؟ بل إنما وقوفاً يقف مع رفاقه الشمامسة وهم منكسو الرؤوس تحت أيدي الرسل. وليس ذلك فقط، بل علام لم يضع المبشر فيلبس يديه على مؤمني السامرة لكيما يقبلوا الروح القدس بل يستدعي لذلك الرسولين بطرس ويوحنا لكي يضعا عليهم اليد ويقبلوا الروح القدس وهو رجل الآيات والمعجزات" (اع٨: ٥-١٧) أفلا تدلل كل هذه المواقف على أن الله قد وضع في الكنيسة صفين من الأسنان صف ختاني وآخر أممي. وجعل هذه الأسنان أنواعاً ثلاثة أضراساً شمامسة وأنياباً قسوساً وقواطع أساقفة وذلك لعمل الخدمة ولبنيان جسد المسيح؟

نعم الشمامسة لخدمة الموائد كما هو مكتوب "فدعا الإثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد. فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس والحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة" (أع٦: ٢-٣) وقسوسية للتعليم والرعاية كما هو مكتوب "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم (تواضعاً وسنّاً) والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن "ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية ومتى أظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى" (١بط١-٤). واسقفية رسولية للقيادة العامة والتعليم والتبشير بالكلمة ووضع اليد كما هو مكتوب "ولمّا كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً" (لو٦:١٣). "فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد" (أع٦:٢). وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما" (أع١٣: ٢-٣). نعم هكذا بات قديسو

إنها منذ البدء في فم الكنيسة أضراساً وأنيابا وقواطع. وقطيعاً من نعاج صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيها عقيم.

والآن فإن كل هذا هو واقع الكنيسة المقدسة بفكيها واسنانها وكذلك واقع العذراء مريم ليس بفكيها واسنانها فحسب بل وبكل أعضاء جسدها لكونها مجسدة كلمة الحياة يسوع المسيح في كيانها. فهل هذا هو واقع كنيسة اليوم كذلك بفكيها واسنانها ومن نحو كلمة إنجيلها؟ هل أسنان الكنيسة اليوم كقطيع من نعاج صادرة من الغسل بكلمة الله ومياه الروح القدس وبأصنافها الثلاثة؟ أم إنها اليوم متسخة باللحوم ومتعفنة بروائح البصل والكرات والثوم؟ هل الأسنان هذه نقية سليمة وبيضاء صحيحة لكونها لا تتناول إلا الخبز النازل من السماء واللبن النقي العديم الغش وعسل الكلمة وشهد الإنجيل؟ أم أن أسنان الكنيسة فاسدة وأضراسها متعفنة وأنيابها متقلقلة وقواطعها مسوسة لكونها لا تأكل إلا اللحوم البشرية نهشاً وجوز القرود كسراً وخرنوب الخنازير في الكورة البعيدة مضغاً؟ هل تمضغ الكنيسة اليوم الكلمة الإلهية بأسنان كهنتها جيداً وتتذوق حلاوة المسيح حسناً وتستوعب اللاهوت والفداء عميقاً لتقدم المسيح إذّاك لأعضاء الجسم غذاءً وحياةً؟ أم إنها اليوم ولمرض في الأسنان كلها تستمرئ المسيح في لاهوته وفدائه استمراءً وتبتلعه ألفاظاً وحروفاً؟ هل الكنيسة اليوم تقدم للعالم قوتاً مادياً بشمامستها وقوتاً روحياً بشيوخها واساقفتها، شأن الكنيسة الأولى؟ أم إنها اليوم لا تقدم بأسنانها للعالم لا قوتاً مادياً ولا قوتاً روحياً. بل موتاً مادياً وروحياً؟

ألا فإلى الطبيب المطلق يسوع المسيح طبيب الأسنان والإنسان أيتها الكنيسة فالمسيح وحده القادر أن يبني الأسنان في الإنسان والكهنة في الكنيسة "ليذوقوا وينظروا ما أطيب الرب".

وأما أنت يا آنستي، وأما أنت يا سيدتي فحسن أن تهتمي بنظافة أسنانك الجسدية وصحّتها ولكن الأحسن أن تهتمي بنظافة أسنانك الروحية وصحتها لأن هذه لها موعد الحياة الحاضرة وأما تلك فلها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة وإذّاك تتم فيك الكلمة المكتوبة. "أسنانك كقطيع نعاج صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيها عقيم".

٧ -كفلقة رمانة خدك تحت نقابك

لكنيسة المسيح وجه واحد فقط ولكن بخدين. خد إنساني طبيعي وآخر إلهي روحاني. ففي خدّها الطبيعي الإنساني تطل على العالم الطبيعي الإنساني وأما في خدّها الروحاني الإلهي فإنما تطل على العالم الروحاني السماوي. لذلك قد جاء وجه الكنيسة كوجه يسوع المسيح جميلاً وكفلقتي رمّانة تحت نقابها.

فالكنيسة إذاً بخدّها الإنساني تظهر علاقتها بالمجتمع الإنساني البشري كما وتظهر بخدّها الإلهي علاقتها بالمجتمع الروحاني الملائكي.

والآن فإن كان الإنسان لا يستطيع البتة أن يحيا بخد واحد فكيف تستطيع الكنيسة إذن أن تحيا هكذا بخد واحد وهي في ذاتها صورة وجه المسيح المجيد الجميل؟ أفلا تتشوه الكنيسة والحالة هذه تشويها؟ لأنه كما أن المسيح في وجهه ذي خدّين لاهوتي وناسوتي، هكذ الكنيسة كذلك وهي صورته تقتضي أن تكون كذلك وجهاً واحداً بخدين إلهي وإنساني. وإلا فلا يكون وجهها وجه المسيح أصلاً، بل

إنما وجه الخطية المشوّه دعلاً. لأنه كما ربط المسيح الإنسان بالله ووحّده مع أبيه في ذاته فكذلك الكنيسة أيضاً أمست حصيلة هذا الاتحاد الإلهي الإنساني في المسيح يسوع حتى غدا خدّا وجه يسوع المسيح الواحد والمطبوع على الكنيسة أصلاً يعلن واقعية الله من جهة وواقعية الإنسان من جهة أخرى. الأمر الذي حققه الرب يسوع بقوله "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل نفسك ومن كل قوتك (هذا هو الخد الإلهي). وتحب قريبك كنفسك (هذا هو الخد الإنساني). وبهذين الخدين يُرسم وجه المسيح الكامل طالما الكلمة قد صار جسداً وحلّ بيننا. نعم بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء وبهذين الخدّين اللاهوتي والناسوتي يتعلق رب الناموس والأنبياء يسوع المسيح ربنا. وبالتالي يتكون وجه الكنيسة التي هي جسده.

ولكن كيف تمتلك الكنيسة وجه المسيح الواحد وبخدّين اثنين؟ أليس بالميلاد الثاني وتجديد الروح القدس؟ أليس بالخليقة الجديدة وامتلاك يسوع المسيح بالروح الحق؟ أليس بخلع الإنسان العتيق الفاسد بحب شهوات الغرور ولبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله بالبر وقداسة الحق (أف٤:٢٢-٢٤)؟ أليس بتكريس النفس لمحبة الله والقريب وتقديم الحياة من أجلهما قرباناً وذبيحة مقدسة كدعوة الرسول بولس القائلة "فاطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو ١٢:١-٢). هذا هو خد الكنيسة الإلهي وأما خدّها الآخر الإنساني فينبثق تلقائياً من الخد الإلهي ويظهر في القول "وحدث أن سامرياً مسافراً جاز مقابله فلما رآه تحنن عليه وضمّد جراحاته وصبّ عليها زيتاً وخمراً وحمله على دابته وأتى به إلى

فندق وأخرج دينارين وأعطى لصاحب الفندق وقال له اعتن به وعند رجوعي سأوفيك" (لو١٠: ٣٣-٣٧).

حقاً هذا هو وجه إنجيل يسوع المسيح بخدّيه وحدّيه اللاهوتي والناسوتي وبالتالي وجه الكنيسة بخدّيها وحدّيها الإلهي والإنساني. من أجل هذا نرى المسيح يغفر الخطايا النفسية من جهة ويشفي العلل الجسدية من جهة أخرى. يشبع النفوس بالخبز النازل من السماء من ناحية والبطون بالخبز والسمك من ناحية أخرى. يُخرج الشياطين من عقول المجانين من طرف ويشفي أجسادهم وقد تجرّحت بالحجارة من طرف آخر. مدللاً بذلك على هذين الخدين المجيدين والحدين المباركين. وهكذا قد طبع المسيح بتجسده وجهه بخديه هذين فوق وجه الكنيسة ورسم بالفداء صورته بخديها فوق صورتها ففداها بذلك فداءً أبدياً كاملاً ليس في الروح فحسب بل وفي الجسد أيضاً كقول الرسول بولس "وكما اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما لكي يبطل بالموت والي سلطان الموت أي الخطيئة" (عب٢:١٤). ذاك الوجه المجيد المنير بخديه والذي رأيناه صبيحاً في وجه كنيسة الرسل والتي كانت تدعو الناس للتوبة والإيمان للخلاص الروحي بخد وتشفي الأمراض المستعصية من الأجساد وتسد أعوازها من الطعام العادي بخدٍ آخر. لذلك جاء وجهه كوجه المسيح جميلاً كفلقتي رمانة من تحت النقاب. كيف لا يكون وجه الكنيسة الرسولية جميلاً كوجه المسيح وهي تقدم الإنجيل للنفوس والأجساد طعاماً وطعاماً؟ بل حياةً وخلاصاً؟ وإلا بأية قوة استطاعت أن تقدم الإنجيل هكذا حتى الدم وتبيع الممتلكات والحقول حتى الموت(أع٥:١-١١)؟ أليس بقوة الروح الذي قد حل عليها في العلية فخلق فيها وجه المسيح وبهذين الخدين المجيدين الإلهي والإنساني؟

حقاً انه لوجه المسيح بخديه وهو أبرع جمالاً من بني البشر وقد طبعه على وجه العذراء مريم بالتجسد طبعاً ورسمه فوق وجه الكنيسة، كنيسة القديسين بالروح القدس رسماً. ولكن هل هو هكذا اليوم مرسوماً ومطبوعاً فوق وجهك أيتها الكنيسة؟ أتمتلكين الخدين الإلهي والإنساني في وجه ابن الإنسان وابن الإله يسوع المسيح؟ أم إنك اليوم وبعوامل أنانية الخطية قد فقدت الخد الإلهي والخد الإنساني على حد سواء؟

فإلى مرآة الإنجيل أيتها لكنيسة وفي حضرته قفي ومع الرسول بولس قولي "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو٣:١٨). حينئذ وحينئذ فقط يكون وجهك فلقتي رمانة يعطي جمالاً وحلاوة.

وأما أنت أيها القارئ العزيز. فما عسى أن يكون نوع وجهك؟ أهو وجه اسطيفانوس ملائكي أم إنه وجه فريسي؟ أهو وجه صدوقي أم وجه هيرودوسي؟ بل قل وجه اسخريوطي؟
ألا فليكن لك الآن وجه المسيح المجيد وهو مزروع بحبات الرمان الشفافة والتي هي "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، وداعة، إيمان، تعفف، بر، صلاح" (غل ٥:٢٢).

٨- هنّ ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد

٩ -واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها هي عقيلة والدها هي رأتها البنات فطوبنها الملكات والسراري فمدحنها

ما أعظم الفرق بين الملك سليمان بن داود وبين الملك المسيح ابن داود حسب الجسد وابن الله حسب الروح والأزل. فمع أن الملك سليمان أُعطي من الله حكمة خاصة لكنه لم يقدر أن يثبت في الحق أمام التجربة والشهوة بل سقوطاً قد سقط أمام شهوة الجنس الجامحة. لذلك راح يتزوج الملكات والسراري والعذارى بلا حساب حتى بلغن الألف، عدداً لعله يرتوي من هاتيك الآبار الآسنة حباً ويشبع من المستنقعات وداً وفي سبيل ذلك راح يسجد لأوثانهن سجوداً طارحاً عنه تاج الحكمة جانباً وثوب البر والتعبد لله بالروح والحق بعيداً. لماذا؟ "لأن المولود من الجسد جسد هو" (يو٣:٦). "والإنسان الطبيعي مبيع تحت الخطية" (رو٧:١٤). "وليس ساكن فيه شيء صالح" (رو٧:١٨). من أجل ذلك لا يستطيع هذا الملك الكوشيّ أن يغير جلده والنمر هذا رقطه.

وإن كان الملك هذا حكيماً هكذا وأديباً محترماً هكذا، لكنه ما فتئ يحيا بطبيعة فاسدة هي طبيعة الخطية والسقوط أصلاً. بل طبيعة الموت والدينونة يقيناً. "أما المسيح الملك السماوي والذي قد صار من نسل داود وسليمان حسب الجسد وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو١: ٣-٤)، فلقد اختار له بدافع شهوة الفداء والخلاص لا ستين ملكة فحسب بل مئات ولا ثمانين سرية فقط بل آلاف ولا كثيرات من العذارى وكفى بل ملايين ليكون له منهن كنيسة مجيدة وعروساً مختارة من كل قبيلة وشعب وأمة ولسان. لأنه كم من ملكة قد أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة من هو أعظم من سليمان

(المسيح)؟ وكم من سربة قد خرّت عند رجليه تبلل قدميه بشعر رأسها؟ بل وكم من عذراء قد حبلت به، بالروح وولدته بنعمة الروح القدس والإيمان ابناً مكملاً وملكاً متوجاً بتيجان الشوك والخلود؟

نعم الملك سليمان قد تزوج ألفاً من النساء زواجاً جنسياً شهوانياً وضيعاً وأما المسيح الملك فلقد تزوج الملايين زواجاً إلهيا وروحانياً، فإنه يتزوج العقول بالحكمة السماوية والنفوس بالمحبة الفدائية والقلوب بالاستنارة الباطنية. الملك سليمان تعشقت به الملكات والسراري والعذارى وذلك لحكمته المكتسبة وثروته العالمية الطائلة ورقعة مملكته الواسعة. أما المسيح الملك فلقد تعشقت به ولا تزال الملكات والسراري والعذارى لحكمته الذاتية المطلقة وثروته الأدبية السماوية الباقية وسعة ملكوته المترامية. الملك سليمان انخفض وبعلة الجنس من مستوى الحكمة الإلهية إلى مستوى العبادة الوثنية وذلك تعاطفاً مع رغبات زوجاته. وأما المسيح فارتفع بنفوس أحبائه وأرواح أتقيائه من مستوى النجاسة إلى مستوى القداسة، من مستوى العبادة الوثنية إلى مستوى العبادة الإلهية وذلك لكون المسيح هو ملك برّ وسلطان قداسة وسيد سلاح، وفي ذلك قد صار للملكات ملكاً وللسراري سيداً وللعذارى عريساً.

فأين إذاً الملك سليمان من الملك المسيح؟ وأين هي حكمته من حكمته؟ وبره من بره؟ وحبه من حبه؟ وبالتالي مجده وسلطانه من مجده وسلطانه؟ بل أين ملوك الأرض طراً من هذا الملك المجيد العزيز؟ حقاً الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم وفي الأرض يزحف ويموت. وأما الذي من فوق فهو فوق الجميع ومن السماء يتكلم وفي السماء ينتصب ولايموت. أفلا يحق للنبي داود إذاً أن يتوعد

ملوك الأرض الجسديين الظالمين قائلاً "فالآن ايها الملوك تعقلوا، تأدبوا يا قضاة الأرض، اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة. قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا عن الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه" (مز٢: ١٠-١٢)؟ نعم ملوك الأرض وطغاتها غالباً ما يحبون بالشهوات ولا يتعقلون للبر. فيتقلدون الكبرياء ويغامرون بالحروب دون التروع إلى السلام كما ويتعبدون للذات دون التعبد لله ويقبّلون الرذيلة في الشيطان دون تقبيل القداسة في المسيح. فكيف إذاً لا يبيدون عن الطريق بل ويحصدون بمنجل القضاء حصداً؟ إن هم لم يتوبوا عن خطاياهم وللابن الأزلي المسيح لم يقبّلوا؟ بل ولِم ترتج الأمم وتفكر الشعوب بالباطل وتقوم ملوك الأرض وتتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين "لنقطع قيودهما ولنحلِ عنا ربطهما (مز٢: ١)؟ كما هو الشأن في هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل (أع٤: ٢٦-٢٧)؟ أليس لاختلاس سلطان المسيح في ملكه ومجده؟ أليس لاختلاف حياتي ومبدئيّ وعقائدي بينهم وبين المسيح؟ ولكن ليعلم سليمان بن داود وليعلم كذلك جميع ملوك بني آدم أن للمسيح القدوس يوماً على كل متعظمٍ وعالٍ وعلى كل ملك خليع ومتهاوٍ حيث "ينخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الإنسان ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم وتزول الأوثان بتمامها ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض" (اش٢: ١٢-١٩).

فأين هو اليوم سليمان بن داود واين هم سائر ملوك الأرض وعظماؤها؟ أين هي شهوة قلبهم وعظمة سلطانهم وضخامة ثروتهم وحكمة إدارتهم وأزاهير جناتهم وبرك حدائقهم وأصوات مغنياتهم وألحان قيثاراتهم وجمال سراريهم وأميراتهم؟ حقاً كل ما تحت الشمس باطل وقبض الريح. وأما المسيح فهو شمس البر وكوكب الصبح المنير، لا يزال في ملكات النفوس حياً وفي سراري الأرواح حباً وفي عذارى

القلوب قداسةً وخلاصاً. لأن سلطانه سرمدي لا ينقرض وأزاهير جناته لاتذبل وبرك حدائقه لا تجف وأوتار قيثاراته لا تتقطّع، فهي جديدة كل صباح وأمجادها لا تعرف مغيباً ولا مساءً "تكون الخروف المذبوح سراجها" (رؤ٢١:٢٣).

سليمان الملك ذاك وإن كانت له نساء كثيرات هذا عددهن كانت له امرأة خاصة واحدة كانت تحتل المقام الأول في قلبه لذلك راح يقول "واحدة هي حمامتي كاملتي، الوحيدة لأمها، هي عقيلة والدها هي. رأتها البنات فطوبنها. الملكات والسراري فمدحنها". ترى من تكون هذه الواحدة الكاملة والحمامة الوحيدة والتي راح الملك سليمان يتغنى بجمالها هكذا؟ أهي المرأة التي أشار إليها الرب يسوع بالقول "ملكة التيمن ستقوم في يوم الدين وتحكم على هذا الجيل لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وههنا أعظم من سليمان"؟ أم إنها المرأة الأولى التي قد تزوجها سليمان وهي باكورة حبّه وفتحة عينه وبهجة قلبه؟ أم أنها المرأة التي هي اكثر جمالاً واعنف شباباً واعمق جاذبية واشد سحراً من اللواتي لسليمان جميعهنّ؟ أما نحن فلا يهمنا إن كانت حمامة سليمان هذه ملكة أم سرّية أم عذراء ولكن الذي يهمنا وبحق بان البشرية إنما هي محبوبة المسيح الخالق المبدع وبأن الكنيسة والتي هي البشرية المتجدّدة بالحب والإيمان هي حمامته الوحيدة إذ لها في قلبه المقام الأول، من بين الشعوب والقبائل والأمم ملكات وأسراري وعذارى. لأنه عنها يقول الرب "واحدة هي حمامتي كاملتي، الوحيدة لامها هي، عقيلة والدها هي، رأتها البنات، فطوبنها، الملكات والسراري فمدحنها". بل وعنها تكلم النبي داود قائلاً "بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له وبنت صور أغنى الشعوب ترضى وجهك

بهدية. كلها مجد ابنه الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرّزة تحضر إلى الملك. في أثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك" (مز٤٥: ٩-١٥).

فحمامة المسيح الطاهرة والمحبوبة إذاً إنما هي الكنيسة المختارة من بين ملكات الأمم وسراري الشعوب وعذارى القبائل. لذلك فهي حمامة بوداعتها ولطفها كاملة في برّها وحيدة بميلادها عقيلة للعذراء والدتها. فلا نعجب إذا ما طوبتها الملكات تطويباً ومدحتها السراري والعذارى مدحاً لكون المسيح وإن كان يحبّ البشرية بكافة قبائلها وشعوبها وأممها وسراريها كخالق ومبدع، لكنه يحب الكنيسة كحمامة وحيدة ليس كخالق ومبدع فحسب بل وكمخلص فاد كذلك. لذلك وإن كان المسيح يحبّ الملكات الرومانيات والعذارى الأرثوذكسيات والسراري البروتستانتيات لكنه بالحري يحب فيهم القديسات المختارات اللواتي قال عنهنّ الرسول يوحنّا "بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخيل وهو يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف" (رؤ٧:٩-١٠). فماذا إذاً هل بات المسيح وهو القدوس البار متميزا في حبّه للكنيسة دون بقية الشعوب؟ حاشا. لأنه مكتوب عنه "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣:١٦). فإن كان هناك ثمة تميّز فهو ليس من جانب المسيح المحب هذا، بل هو تميّز للخطية من جانب الملكات والسراري والعذارى وسائر شعوب الأرض والأمم؟ كقول الرب "النور قد جاء إلى العالم ولكن الناس أحبّوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة لأن كل من

يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله. واما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله إنها بالله معمولة"(يو٣: ١٩-٢١). وإلا هل يكون الاب الجسدي متميزاً بمحبته الخاصة تجاه أبناء له مطيعين وأخلاقيين؟ فالمسيح أيضاً وكأب روحي إلهي قد أعلن حبه الأزلي للبشرية قاطبة للملكات والسراري والعذارى على حد سواء. غير أن حبه قد اختص بالتائبين عن المعصية والمحبين المتجاوبين مع المحبة المقدسة وتركز طبيعياً بالحمامة الوديعة والعقلية الكاملة والكنيسة المختارة. فحق من ثم للمسيح وهذا التجاوب أن يقول عنها "واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمّها هي، عقيلة والدتها هي".

أجل الكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة هي وحيدة لأمّها، أورشليم السماوية التي هي أمّنا جميعاً (غل٤: ٢٠) وعقيلة معمودية الروح والحق وابنة العذراء بالإيمان والمحبة مع القداسة. كيف لا والقديسة مريم هي مقر تجسد يسوع المسيح ومنطلق فدائه؟ حيث تولد الكنيسة ميلاداً ثانياً وتجدداً بالروح القدس تجديداً سماوياً مجيداً؟

والآن إن كانت الكنيسة وهي مجموعة الملكات والسراري والعذارى قد صارت هكذا حمامة كاملة وعقيلة واحدة بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، أفلا تكون العذراء مريم بالأحرى هي هذه الحمامة الكاملة الوحيدة وقد باتت باختيار الروح القدس للكنيسة منطلقاً وأصلاً وباكورة؟ حقاً إنها لملكة قد اختيرت من بين الملكات العالميات الكثيرات لتجلس عن يمين الرب بذهب أوفير (مز٤٥: ٩) وجارية للرب وأمة له قد تمثلت فيها الطاعة والتكريس والتسليم إلى أقصى حدود بدلالة قولها للملاك جبرائيل "هوذا أنا أمة الرب فليكن لي بحسب قولك" (لو١: ٣٨). وعذراء علم قد تعينت للرب أماً من بين العذارى العالميات العديدات كنبوّة إشعيا

القائلة "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (إش ١٤:٧). من أجل ذلك قد تمت فيها إطلاقاً الكلمة المكتوبة "هنّ ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد. واحدة هي حمامتي كاملتي وحيدتي لأمها هي. عقيلة والدتها هي، رأتها البنات فطوّبنها، الملكات والسراري فمدحنها". والآن فإن كانت السماء وبلسان الملاك جبرائيل تطوّب العذراء هكذا. وإن كانت الكنائس الملكية الغنية والكنائس السراري الفقيرة والكنائس العذراوية الطاهرة النقية تطوّب العذراء هكذا. وإن كانت جميع قبائل الأرض وبحسب شهادة العذراء ذاتها تطوبها هكذا. أفلا تقعين يا نفسي تحت الويل إن لم تطوبي أنت يا نفسي العذراء هكذا؟

١٠ -من هي المشرفة مثل الصباح. جميلة كالقمر طاهرة كالشمس. مرهبة كجيش بألوية

إنها العذراء مريم والمخطوبة للرجل الذي من بيت داود اسمه يوسف. إنها آمة الرب وقد سلمت حياتها للمشورة الإلهية تسليماً. إنها الحبلى بالكلمة الأزلية يسوع المسيح ومن الروح القدس. من أجل ذلك المولود منها هو القدّوس وابن الله يُدعى. إنها العلّيقة التي قد سقطت عليها النار المقدسة في سيناء، وعصا هرون اليابسة التي قد أفرخت وأثمرت لوزاً داخل التابوت دون سائر العصي. إنها ذاك القسط الذهبي الذي قد حوى المنّ النازل من السماء يسوع المسيح ربّنا. إنها الجزّة التي رآها جدعون في البيدر ممتلئة ماءً حياً ليشرب منه عطاش البيادر والحقول ويتدفّأ بفروها العراة المرتجفون بالشتاء. إنها سفينة نوح الطافية بعذراويتها وقداستها فوق أمواج الطوفان لتنجو بالراكبين من الهلاك وذلك بقيادة نوح الجديد المسيح ربّنا.

أجل إنها العذراء مريم آية العالمين وأعجوبة الخافقين والتي قد تنبأ عنها النبي قائلاً "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش٧: ١٤). كيف لا وهي المشرفة مثل الصباح بعذراويتها والجميلة كالقمر بعفّتها والطاهرة كالشمس بحبلها والمرهبة كجيش بولادها؟ وهل ألِفَت البشرية كهذه الآية ورأت صباحاً مشرفاً كهذا الصباح؟ وعاينت قمراً كهذا القمر؟ وشاهدت شمساً طاهرة كهذه الشمس؟ ونظرت رهبة وهيبة كهذه الرهبة والهيبة؟ حقاً ستبقى هذه العذراء وحتى قيام الساعة نوراً مزروعاً في عيون المؤمنين، وشوكة مغروسة في قلوب الملحدين، لهؤلاء حياة لحياة ولأولئك موتاً لموت.

ولكن من أين للعذراء هذا الصباح والقمر الجميل والشمس الطاهرة والجيش المرهب بألوية؟ أليس من المسيح والذي "هو كوكب الصبح المنير"؟ (رؤ٢٢-١٦) وشمس البر والشفاء في أجنحتها؟ (ملا٤: ٣). أليس من المسيح الذي قال عنه داؤد "أنت ابرع جمالا من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك"؟ (مز٤٥: ١-٢) والذي قد كُتِب عنه "لم يتكلم قط إنسان كهذا"؟ (يو٧: ٤٦).

إذاً لم يكن صباح العذراء صباحاً خاصاً بل صباحاً إلهياً. ولا جمالها جمالاً ذاتياً بل مكتسباً. ولا طهارتها طهارة أصلية بل مقتبسة. وكما هو مكتوب "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو١: ١٦). كيف لا والملاك جبرائيل بشر العذراء بالقول "سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء"؟ (لو١: ٢٨). وقوله كذلك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله"؟ (لو١: ٣٠). "حقاً كل عطية صالحة وكل موهبة تامة نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع١: ١٧).

ولكن علام أعطى الله جماله هذا للعذراء؟ وبالتالي الكنيسة؟ أليس لكونه اله محبة وسيّد عطاء وإله فداء؟ فأراد بذلك أن يشارك إنسانيته الجديدة وكنيسته المقدسة وفي شخص العذراء بالذات بكل ماله من صباح منير وجمال مدهش وطهارة مشمسة وقوة مرهبة؟ حقاً إلهنا هذا المسيح يسوع ليس إلهاً أنانياً ينفرد لذاته بالأمجاد بل إلهاً فدائياً يشارك بأمجاده العباد "لأنه إن كان يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت٥:٤٥)، فكم بالحري "يشرق ويمطر بالروح القدس والخيرات للذين يحبونه"؟ وإن كنا نحن الآباء الأشرار نعرف أن نعطي العطايا الحسنة لأولادنا لأنهم يسألوننا، فكم بالحري يعطي الآب السماوي الخيرات للذين يسألونه" وذلك ليكون للعذراء صباحاً منيراً وقمراً جميلاً وشمساً طاهرةً وجيشاً مرهباً. أجل بقوة الله المظللة والروح القدس الحال قد رُفعت العذراء إلى أعلى المستويات الروحية والبشرية. وبتجسدها للكلمة الأزلية وولادتها لمسيح الله قد أمست مشرقة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كالجيش بألوية. وذلك ليس في الأرض فحسب، بل وفي السماء أيضاً. ليس في الناس فقط بل وفي الملائكة أيضاً. ليس في الكنيسة المنظورة وكفى بل وفي اللامنظورة كذلك.

وأما الآن فأن كان الرب قد شارك القديسين في ملكه وسلطانه كقوله "ومتى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر". وقوله كذلك "وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤:٢-٣). وقوله كذلك من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ٣:٢١). وقوله أيضاً "من يغلب ويحفظ

أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أنا أيضاً من عند أبي" (رؤ٢:٢٦-٢٧). وكقول الرسول بولس أيضا "ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون ملائكة ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة؟ (١كو٦:٢-٣).

والآن إن كان هذا هو شان القديسين في ملكوت الرب ميراثاً وسلطاناً. فكيف لايكون شأن العذراء مريم كذلك ومن باب أولى وفي مجالها البشري قد وقع التجسد وقوعاً عملياً؟ بل وفي ذات الجسد قد نفّذت عملية الفداء تنفيذاً؟ وان قال الرب عن القضاة انهم آلهة لأنه هكذا قد صارت إليهم كلمة الله (يو١٠:٣٥)، فكم يقول الرب ذلك عن العذراء من باب أولى وهي لم تبشر بالكلمة الإلهية فحسب بل إنما جَسَّدَتها في كيانها تجسيداً مُطلقاً؟ وليس ذلك فحسب لأنه إن كان لا يوجد بين مواليد النساء عظيماً كيوحنا المعمدان ولكن الصغير في ملكوت السماء أعظم منه، وبالتالي أعظم ممن سبقوه من قضاة وأنبياء والذين قد سمّوا آلهة، فكم بالحري تكون العذراء مريم وهي الكبرى في ملكوت السماوات عظيمة وعظيمة جداً بين مواليد النساء وهي قاعدة التجسد الفدائي المجيد؟ لذلك كما قد تأنس الله في الإنسانية وفي شخص العذراء والتي هي مثال الكنيسة المقدسة، هكذا الإنسانية المقدسة بالتجسد وفي شخص العذراء قد تألهت كذلك في المسيح يسوع. لأنه كما "صار الكلمة جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو١:١٤)، هكذا أيضاً قد صار الجسد متألهاً وارتفع في جسم بشرية المسيح إلى السماوات ليحل فيها وليمتلئ منها ميراثاً وسلطاناً وملكاً كقول الرسول بولس "ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلصون وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع"(أف٢:٥-٦). إذاً في

العذراء مريم وهي خلية الإنسانية الجديدة ومولدة الكنيسة المقدسة، قد التقى الله بالإنسان والإنسان بالله، فصار الله بهذا اللقاء التجسدي إنساناً والإنسان بالنعمة إلهاً (يو ١٠: ٣٤-٣٥).

والآن فكما أن القطيعة قد وقعت هكذا من البدء بين الله والإنسان بسبب الخطيئة في امرأة هي أمنا الأولى الساقطة حوّاء، هكذا اللقاء أيضاً قد حصل بسبب تجسد البر في امرأة هي أمنا الثانية الجديدة مريم. وإن كان الشيطان قد أذل حواء الأولى ونسلها هكذا بالخطيئة لكونها قد أغويت من الشيطان ووقعت في التعدي، هكذا الله أيضاً قد مجد حواء الثانية ونسلها بالبر لكونها قد أطاعت الله بالبشارة والتجسد فحصلت على البر الإلهي والخلاص مع باقي نسلها الجديد كقول الرسول بولس "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل٤: ٤). إذا في جسم بشرية العذراء والتي هي مثال الإنسانية الجديدة والكنيسة العتيدة قد حقق الله إرادته في التجسد والفداء كما وفيها قد وجدت الإنسانية إنسانيتها الضائعة بالخطية وجوداً أبدياً. فوجدت بذلك وفي هذا البر التجسدي العذراوي طموحاتها في الملك و السلطان والألوهية. فكيف إذاً لا تصير البشرية الجديدة والكنيسة المقدسة وفي شخصية العذراء النموذجية هذه مشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية؟

نعم هذه هي المدينة المقدسة والموضوعة فوق جبل المسيح، والمسيح فيها قد قطع كالحجر بغير يدين وبدون زرع طبيعي. "بل جاء مولوداً من عذراء ليصير جبلاً عظيماً يملأ كل الأرض نبوةً وسلطاناً ومجداً وملكوتاً" (دا٢: ٣٤-٣٦).

حقاً العذراء هي قاعدة لمنائر الذهبية السبعة الموجودة في آسيا والعالم أجمع وهي لا تزال تعلن للخليقة كلها الإله المتجسد يسوع المسيح نوراً وناراً بل ذهباً منيراً ومصفى كما بنار أتون محمي بسبعة أضعاف. وهل من منارة ذهبية حقاً، إن لم تؤسس على هذه القاعدة الابريزية العذراوية تأسيساً لاهوتياً وفدائياً؟ وكم من منارة عبر العصور قد انطفأ سراجها ونفذ زيتها وتزحزحت أركانها لكونها قد خرجت عن هذه القاعدة العذراوية التجسدية؟ بل وأي بيت يستطيع أن يثبت في وجه الأعاصير ونزول الأمطار وطوفان البحار إن لم يثبت على ذياك الحجر (المسيح) وقد صار جبلاً تثبيتاً متيناً؟

وأما أنت يا منارتي الآسيوية الشرقية، يا كنيستي العذراوية الرسولية، فكوني هكذا مبنية وإلى الأبد على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية لكي لا تتزحزحي عن مكانك العذراوي وقاعدتك التجسدية. فتكوني إذّاك مشرفة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية. ولكن أأنت اليوم حقاً في مستوى عذراوي، مجيد وصعيد رسولي كريم؟

أأنت صباح باشراقتك، جمال في طلعتك، طهارة في حياتك، مرهبة كجيش بألوية في رسالتك؟ شأنك في ذلك شأن القديسة مريم والكنيسة الرسولية؟ أم إنك اليوم نهار مولي مثل المساء وقمر مخسوف وسط الظلام، وشمس مكسوفة في رابعة النهار؟ وجيش متقهقر في وسط التزال؟ بل أين أنت اليوم من هاتيك العلالي الرسولية الملتهبة والجحافل الرسولية المنطلقة والصباحات الروحية المشرفة والأقمار الإنجيلية الجميلة والشموس السماوية الطاهرة وجيوش القديسين الزاحفة المرهبة؟

١١- نزلت إلى جنة الجوز لأنظر إلى خضر الوادي ولأنظر هل أقعل الكرم هل نور الرمان

١٢- فلم أشعر إلا وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريف

نزل المسيح من السماء إلى الأرض ومن الذروة السماوية إلى المنحدرات الأرضية. بل إلى الموت. موتاً بالصليب. وبتزوله العميق هذا نزلت السماوات إلى الأرض وإلى ما تحت الأرض. وهناك في البقعة السحيقة وفي أعماق الوادي وظلال الموت لامس المسيح العظام اليابسة فارتعشت وعاشت وقامت على أقدامها جيوشاً عظيمة واخضر الوادي لسحيق "اخضراراً عجيباً مرهباً" (حز٣٧:١-١٠)، وتحول وادي ظلال الموت بالمسيح إلى جنة من الجوز اخضراراً.

أجل هناك وحيث رُفع المسيح فوق الخشبة وحيث دفن بالقبر في وسط الصخرة خلقت جنة الجوز والقديسين خلقاً وأثمرت بعدما طَعّمت بخشبة الصليب ثمراً من الجوز لملكوت الله لذيذ وشهياً. هناك في أعماق الألم والموت الفدائي أقعل الكرم ونور الرمان وولدت كنيسة الأبكار، وانطلقت من أسفل الوادي وأعماق الموت مركبات القوم الشريف وسحائب الشعب المجيد العفيف. وإلى هذا التزول العميق الغريب أشار الرسول بولس بقوله "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيأة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في٢:٦-٨). فكيف إذاً لا ينمو الزرع المدفون في باطن الأرض وتخضر جنة الجوز في أسفل الوادي ويقعلّ الكرم وبنور الرمان والمطر السماوي يهطل عليه غزيرا وينسكب الحب في قلبه سكيباً ويضيء عليه شمس البر في أحشائه إشعاعاً مجيداً؟ ورياح

السماوات تهب عليها من أقصى السماوات إلى أقاصيها هبوباً عنيفاً"؟ (حز٣٧: ٩- ١٠).

نعم هكذا تتجمع العظام اليابسة إلى بعضها بعضاً لتمتلئ لحماً وتضم عصباً وتكتسي جلداً وتتنفس روحاً بل وتنتفض من وسط البقعة العميقة جيشاً عظيماً حياً لأن رئيس الحياة المسيح قد نزل إليها من السماء نزولاً وبنزوله الحبي هذا أمست المقابر قصوراً والمدافن منازلاً والوديان بساتين زيتون وجنات جوز أخضر، بل وحدائق كروم ورمان منوراً. ترى كيف سيكون بصعوده للحياة من بين القبور إلا حياةً بحياة للذين في القبور واخضراراً باخضرار للجوز والكرم والرمان؟ الأمر الذي أشار إليه الرسول بولس قائلاً "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب لأنه إن كنا ونحن بعد أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥: ٨- ١٠).

والآن أفلا تصير الأكواخ والسجون والمقابر والوديان سماءً حقاً بنزول المسيح إليها طالما السماء في ذاتها هي عرش المسيح وحيث المسيح يسكن ويقيم؟ كما وتصبح القصور وناطحات السحاب جحيماً بتخلي المسيح عنها لأن الجحيم حيث لا يوجد المسيح في حبّه وفدائه؟ فهكذا إذاً بات صليب المسيح في أسفل الوادي للحياة عرشاً وللفداء مناماً وللسماء مركزاً "لأن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١: ٤). وحيث لا يوجد المسيح يسوع فهناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً. فعلامَ الخوف إذاً من الوادي والارتعاب من الأعماق والارتعاد من الموت والمسيح قد اضطجع هناك فاضطجعت معه الحياة لتنبعث حياة بحياة

باضطجاعها للذين في لقبور؟ كقول الرسول بولس "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو٨: ١١).

ولكن علام لم يبق المسيح في القبر إلى اليوم يشبع موتاً مع من يشبع؟ ولِمَ لم تتبعثر عظامه في الحفرة العميقة والبقعة الواسعة مع من تبعثرت عظامهم تبعثراً؟ وكيف لم يعاين جسده فساداً كما عاين جسد داود ومن لف لفّه من أنبياء وصديقين عبر الأجيال السابقة واللاحقة معاينة؟ بل ولماذا لم يبق هذا الوادي السحيق بعدما نزل إليه المسيح من السماء وادياً مُرعبا والقبر مفزعا والموت مخيفا؟ بل صار جنات من الجوز أخضراً؟ وكرماً من العنب شهياً؟ وفردوساً من الرمان لذيذاً طيباً؟ بل صار القبر سماءً والوادي فردوساً والموت حياة وانبعاثاً؟ أليس لكون المسيح إلهاً متجسداً وقدّوساً باراً لا يمكن أن يفسد بالموت بحكم الخطية؟ وحيث "أن أجرة الخطية هي موت" لكنه قد أخضع نفسه للموت كفّارة عن الإنسان ليس إلا؟ بحسب قوله "ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يو١٠: ١٨). وهكذا قد مات المسيح من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا. لأنه بعدما ذاق ألم الموت لأجل كلّ إنسان لم يستطع الموت أن يمسكه بسبب برّه الذاتي، لكنه نقض أوجاع الموت وقام في جسم بشريته معطيا حياة للذين في القبور مزدوجة.

وأما الآن فإن كان المسيح قد نزل هكذا إلى أعماق الوادي ليرفع أبناءها إلى فوق ويطلق أسراها أحرارا. فعلام نعيش اليوم بخوف من الموت رهيب وفي فزع من القبر كثيف؟ ونحن لا نرى في ذياك الوادي الدامس إلا عظاما مبعثرة ولا نسمع إلا

أنيناً من الأعماق البعيدة؛ ولا نتنسم سوى روائح الموت فاسدة خائفة؟ إن ذلك لكون المسيح لم يتزل من السماء إلى ودياننا نحن ولم يصلب في نفوسنا نحن ولم يضطجع في قلوبنا نحن ولم يُكفّن ويُدفن في قبور خطايانا نحن. فمن اجل هذا لا تزال الأودية فينا يابسة عميقة مرعبة. والقبور موحشة والقلوب والأرواح مبعثرة في أسفل الوادي والبقع؛ مملوءة عظاماً نخِرة بشعة. لأنه كيف يتحول الوادي فينا إلى جنّة من الجوز الأخضر. ويقعل كرم القلب فينا وينوّر رمّان الحب والحياة، إن لم نُمت نحن مع المسيح عن الذنوب والخطايا التي حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل في أبناء المعصية" (أف٢:٢)؟ بل ما الذي أنتفع أنا منه إن نزل المسيح إلى وديان الآخرين عملياً وأحيا قبور الملائين فعلاً، وأقعل كروم المؤمنين يقيناً ونوّر رمّان القديسين أكيداً. وأما أنا فلا أزال أعيش في وحشة الوادي لعدم الإيمان وأستنشق عفونة الموت لعدم البر وأرتعب من مشهد العظام المبعثرة لعدم الحب؟ أفلا يكون المسيح لي وهذه الحالة السلبية وكأنه لم يُمت أصلاً ولم يتزل ويتجسد ولم ينحدر إلى أعماق الوادي ويموت أكيداً؟

إذاً المسيح وإن كان قد نزل من السماء إلى الأرض وأعماقها وبدافع حبه لأجل كلّ إنسان وليقيم من الأموات كلّ إنسان ويصعد إلى السموات بكل إنسان. غير أنّ نزوله قد شمل ويشمل الذي يتنازل عن ذاته ويتخلّى عن خطيئته وينشد الخروج من سجنه والإفلات من فخّ شروره والانتفاض من أعماق واديه حقاً. إنها لساعة حاسمة "فيها يسمع جميع الموتى بالذنوب والخطايا صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥:٢٥). هؤلاء الذين نزل المسيح إلى وديان نفوسهم ومات للخطية في أعماق قلوبهم، فاهتزّت، بتزوله الأساسات وتكسّرت القلوب الصلبة وتفتحت القبور المتعفنة وتلاحمت عناصر النفس المبعثرة، وإذّاك تتحول البرية إلى بستان

والوديان إلى جنّات من الجوز الأخضر ويقعل الكرم وينوّر الرمان. لأن مياهاً حية قد انفجرت في البرية ومسيحاً أزلياً حياً قد اضطجع في أسفل الوادي. حقاً إنها لقيامة أولى لهؤلاء القديسين والقوم الشريف والذين راحوا يتحدّون الموت بالموت ويُفزعون القبر بالألم ويرعبون الوادي بصوت الحياة. وإذا هم قد رقدوا في أسفل الوادي هكذا جبابرة فسرعان ما يستمعون ثانية إلى الصوت يقول "لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع من في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو٥:٢٨-٢٩).

وهكذا صار الذين يسمعون صوت ابن الله اليوم بالمحبة والإيمان يتمتعون آنياً باخضرار في النفس وحياة بالروح وعربوناً لاخضرار وحياة في الجسد كذلك وفي اليوم الأخير، لكونهم سيقومون للحياة. وأما الذين لا يسمعون صوت ابن الله بالمحبة والإيمان فيسودهم آنياً الجفاف في النفس والروح وعربوناً للجفاف الجسدي وحريق النار في اليوم الأخير لكونهم سيقومون ولكن للموت والهلاك.

نعم إن القديسين هؤلاء لقوم شريف لكونهم قد تبرروا بحياة المسيح البار وتحرروا من عار الخطيئة التي هي وبحق عار الشعوب. وأولئك لقوم غير شريف لكونهم لا يزالوا يلبسون الخطية عاراً والفساد والإثم شناراً ويتبرّون من برّ الله وقداسة الحق وشرفه تبرئة. لذلك لم تعد قصور الملوك وشقق العظماء وعلالي الأغنياء مقرّات شرف وكرامة طالما الفساد يجلس فوق عروشها جلوساً والبر الإلهي يسوع المسيح يُطرد عنها خارجاً. كم ولم تعد أكواخ الفقراء وخيام البائسين وصرائف المحتاجين مقرّات دنيئة طالما البر يضطجع فيها والمسيح يتّكئ في زواياها. والفساد بالخطية

مطرودا خارجاً. لأن المسيح إطلاقاً هو مصدر الشرف والكرامة، والخطية إطلاقاً هي علّة المذلّة والدناءة والعار.

إذاً فكيف لا يكون هؤلاء القديسون قوماً شريفاً وقد طلّقوا الخطية طلاقاً أبدياً وماتوا عن فساد الجسد والعالم موتاً دهرياً وصلبوا ذواتهم عن الظلم صلباً ذاتياً. واتحدوا مع البر في المسيح اتحاداً قلبياً وعقلياً وجسدياً؟ كيف لا يكون قوم القديسين هذا شريفاً وقد عاشوا وماتوا لا لذواتهم بل للإنسان وابن الإنسان يسوع المسيح؟ فإن كانت العذراء هي مركبة شريفة لكونها قد حملت من هو شرف السماء والأرض القدوس البار يسوع المسيح. فالرسل والقديسون هم كذلك مركبات شريفة لكونهم قد حملوا ذات القدوس المسيح وجالوا به من ثم مبشّرين براً للشعوب وخلاصاً للأمم من عار الخطيئة وهم يقولون "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين عن بعد كل من يدعوه الرب إلهنا" (أع٢: ٢٨-٢٩). وليس ذلك فحسب بل بصعود الرب بمركبته وفي جسم بشريتنا إلى السماء وملكه عن يمين عرش العظمة قد منح قومه الشريف دالة الصعود بمركباته البشرية الجسدية كذلك إلى السماء. وما صعود المركبة العذراوية إلى السماء إلا العيّنة الحيّة لصعود كافة مركبات القديسين الشريفة إلى السماء كذلك ذاك الواقع المجيد الذي أقره الرسول بولس بالروح القدس قائلاً "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١تس٤: ١٦-١٧).

واما الآن فهل تحملين ابنها الكنيسة اليوم المسيح القدّوس فوق أكتافك وفي قلبك وكقوم شريف تطوفين به كمركبة كريمة الخليقة كلّها شرقها وغربها وشمالها وجنوبها كالمركبة العذراوية الشريفة والمركبة الرسولية المجيدة؟ وأين هي جناتك الخضراء اليوم، جنات الجوز والكروم والرمان؟ جنات البرّ والقداسة. جنات الفداء والمحبة، جنات الحق والقيامة، جنات النصر والغلبة وجنات الشرف والكرامة؟

إلا يا مجدلية القرن العشرين، اتبعي المسيح الرب إلى جنة الجوز وإلى بستان الكروم وفردوس الرمّان، حيث ينزل إلى الوادي حبيباً ويضطجع فوق الخشبة بين اللصوص قدوساً ويُدفن في القبر في وسط البستان مخلّصاً. أجل هناك وفي هاتيك الأعماق تصيرين لا مجدلية دنيئة بل مريماً شريفة ومركبة مجيدة وشاهدة لأحداث القيامة كريمة.

وأما أنت يا نفسي فإن لم تنزلي عن كبريائك، فلا ينزل المسيح إلى وديانك وأعماقك، وإذّاك ستتحول حياتك إلى يبوسة القيظ وتتبعثر في البقعة عناصرك أشلاء ومكوناتك عظاماً بالية وعندها لا يبقى لك شرف ولا كرامة بل مذلة ومهانة وفي اليوم الأخير ملامة ودينونة. فهلاّ تتوبين الآن يا سامرية وتتشرفين وتتبررين يا فينيقية سورية؟

١٣- ارجعي ارجعي يا شولميت ارجعي ارجعي فننظر إليك ماذا ترون في شولميت مثل رقص صفّين

أين أنت ياكنيسة الأبكار المكتوبين؟ ياكنيسة الرسل المفدّين؟ ياكنيسة الآباء الملهمين؟ نعم أين أنت يا شولميت المحبوبة المشرفة مثل الصباح الطاهرة كالشمس الجميلة كالقمر، المرهبة كجيش بألوية؟ بل أين نحن اليوم من شولميت المجيدة هذه؟

ومن جنّة الجوز الخضراء تلك؟ ومن فعال الكروم ونور الرمّان؟ ومن مركبات القوم الشريف؟

حقاً قد جلست اليوم وحدها المدينة الكثيرة الشعب، الرملية العدد، العديدة العناصر. ولكن كيف صارت كأرملة، هذه العظيمة في الأمم، شولميت السيدة في البلدان؟ (مرا١:١). بل كيف صارت القرية الأمينة زانية. ملآنة حقاً. كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون؟ صارت فضتك زغلاً وخمرك مغشوشة بماء. رؤساؤك متمردون ولغذاء اللصوص. كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لاتصل إليهم؟ (إش١: ٢١-٢٣). لذلك مضى فرح قلبنا. صار رقصنا نوحاً. سقط إكليل رأسنا. ويل لنا لأننا قد أخطأنا. من اجل هذا حزن قلبنا من أجل هذا أظلمت عيوننا من جبل جبل الكنيسة الخرب. الثعالب ماشية فيه (مر٥: ١٥). لذلك ارجعي إلينا يا شولميت المحبوبة والوعلة الزاهية. فننظر إليك لأد قامتك كالنخلة وثدييك كالعناقيد، خدّيك كفلقتي رمّانة وعينيك حمامتين. شفتيك كسلسلة من القرمز وأنفك كلبنان. عنقك كبرج داود وشعرك كقطيع معز رابض فوق جبل جلعاد. ارجعي إلينا يا شولميت بحلتك المطرزة وثيابك المعطرة وزينتك المقدّسة وأخلاقياتك المكمّلة وروحانيتك المجسّمة المجنّحة وبرقصتك المنتصرة ولكن لا بصف واحد بل بصفين.

أجل ارجعي إلينا يا شولميت. بمحبتك وقداستك، بشهادتك واستشهادك، بإنجيلك الروحي والاجتماعي، تعليمك اللاهوتي العقلي والروحي القلبي، بطبّك الروحي النفسي والجسدي، بتعبدك النسكي وتبشيرك الجماعي. بين الختان تارة وبين الغرلة تارة أخرى. في الشرق حيناً وفي الغرب حيناً آخر. في السجون مرّة وفي قصور القياصرة مرّة أخرى. نعم ارجعي إلينا اليوم يا شولميت وأنت ترقصين هكذا بصفّين

اثنين. لأنه كيف لاتفرحين هكذا وترقصين هكذا وقد كنت بالأمس عريانة وعارية. وأما اليوم فقد لبست المسيح حلة من المجد قشيبة. عمياء وأما اليوم ففي المسيح بصيرة مستنيرة. مجنونة وأما اليوم في المسيح حكيمة عالمة. برصاء وأما اليوم في المسيح متطهرة نظيفة. مشلولة وأما الآن في المسيح صحيحة طروبة. بائسة فقيرة وأما الآن في المسيح غنية ممتلئة. ميتة بالذنوب والخطايا وأما الآن في المسيح حيّة وفي البر مقدّسة. من أجل ذلك يحق لك يا شولميت أن تفرحي وترقصي وبالأيدي تصفّقين لأنك قد صرت للملك المجيد على الأرض سفيرة وفي السماء له وريثة وشريكة ومن هذا المنطلق وبسلطان المسيح رحت تشفين المرضى وتقيمين الموتى وتخرجين الشياطين وتتكلمين بألسنة وتدوسين الحيّات والعقارب. فكيف لا تفرحين إذاً وهذه الصلاحيات التي قد أعطيت لك من الله عطاء؟ بل كيف لا ترقصين بالحري واسمك، وأسماء بنيك قد كتبت في سفر الحياة، حياة الخروف المذبوح كتابة؟ كما قال ربنا أيضاً "لا تفرحوا لأن الشياطين تخضع لكم باسمي. بل افرحوا بالحري لأن أسماءكم قد كتبت في سفر الحياة".

لذلك افرحي يا شولميت، في سجن فيلبي وسجن هيرودس وارقصي كالطير المذبوح فوق أعواد المشانق لأنك بدم الصليب قد كسرت للشياطين أصناماً وأقفلت للفجور معابداً ودست الطغاة أعناقاً وقلوباً. بل ورثت أمماً وبطاقات الإنجيل شعوباً وألسنة. فارقصي إذاً يا شولميت برجالك ونسائك، بعلمائك وبسطائك، بأنبيائك ورسلك، بشهدائك وقدّيسيك، بكتابك ووعّاظك، بأحبارك وملافنتك. ولكن بصفّين وجوقتين. لا في الأرض فحسب بل وفي السماء أيضاً لا في الكنيسة المنظورة فقط بل وفي غير المنظورة كذلك. لأنه إن كانت الملائكة السرافيم ترنّم للرب فوق العرش برقص وبصفّين كما هو مكتوب "لأن هذا نادى ذاك وقال

قدّوس قدّوس قدّوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض" (إش٦: ٣) وهي لم تذق حلاوة الفداء بالمسيح أصلاً لكونها لم تخطئ، فكم يكون إذاً فرح شولميت عظيماً ورقصها عنيفاً بعدما فداها المسيح بصليبه فداءً أبدياً مزدوجاً؟

إذا فالقديسون وفي شخصية شولميت هذه يترنمون ترنيمة جديدة قائلين "مستحق أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ٥:٩).

وهكذا رأى النوراني أغناطيوس الملائكة تسبّح الله بجوقتين وهكذا أيضاً نظّم القديس أفرام الترنيم في الكنيسة بصفين اثنين. بل هكذا ستبقى الكنيسة وشولميت تسبّح الرب في مجالين دائرتين وصفّين صف ملائكي وآخر فدائي. كقول سفر الرؤيا "ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كلّ ما فيها سمعتها قائلة للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين. وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين والشيوخ الأربعة والعشرون خرّوا وسجدوا للحي إلى أبد الآبدين" (رؤ٥:١١-١٤).

هذا هو فرح شولميت المقدس وهذا هو رقصها الممجد في السماء وترنيمها المبرر حول العرش للمسيح الخالق المبدع والمخلّص المنقذ. ولكن ما أعظم الفرق بين فرح وفرح وبين رقص ورقص وبين ترنيم وغناء؟ ما أعظم الفرق بين فرح الأرض وفرح السماء. بين ترنيم الأبرار وغناء الأشرار. بين رقص شولميت القديسين

ورقص هيروديا الشياطين بل بين فرح العذراء الجديدة الروحية وبين فرح حواء القديمة الجسدية.

فالعذراء الجديدة تصلي قائلة "يفرح قلبي بالرب وتبتهج روحي بالله مخلّصي". وأما حواء القديمة وأما هيروديا الماجنة فترقص للشيطان رقصة وفي رقصتها تطوّح رأس يوحنا المعمدان فوق طبق. أجل ما أعظم الفرق بين رقصة داود الملك أمام تابوت عهد الرب فرحاً بالانتصار المجيد وبين رقص أنبياء البعل فوق جبل الكرمل وفي عصر إيليا النبي وهم يرقصون حول البعل رقصة الانتحار البليد. فكيف إذاً لا يوجد فرق بين رقص الفتيات وهنّ يغنين قائلات "ضرب شاول ألوفه وداود ربواته" وبين رقص الشعب الإسرائيلي المرتد حول عجل هارون الذهبي؟ كما هو مكتوب "جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للّعب" (١كو١٠:٧).

فرقصة الشياطين بين بني البشر إنما هي رقصة الشهوة القبيحة والخلاعة الماجنة وأما رقصة المسيح في القديسين إنما هي رقصة القداسة والبرارة المجنّحة. رقصة الشياطين في أبناء هذا الدهر هي رقصة القتل وسفك الدماء وأما رقصة المسيح في أبناء ذاك الدهر فهي رقصة الحياة وخلاص النفوس بسفك دم ابن الله في أبناء البشر. رقصة الشياطين في الشعب المتمرد إنما هي رقصة عبادة الأصنام الوثنية منها والمادية، البشرية منها والفلسفية وأما رقصة المسيح في الشعب المطيع إنما هي رقصة عبادة الإله الحي والمكسّر لكل الأصنام مع سائر العجول. رقصة هيروديا إنما هي رقصة الحيّات المسمومة والأفاعي المميتة وأما رقصة شولميت بصفّين إنما هي رقصة الحمام الطاهرة ورقصة النسور المجيدة. لذلك افرحي اليوم يا شولميت واهتفي ورنّمي وارقصي وارفعي أجنحة إلى السموات كالنسور "لأن الغلمان يركضون ويتعبون

أما خائفو الرب فيمشون ولا يتعبون. يركضون ولا يعيون. يرفعون أجنحة كالنسور. يذهبون من قوّة إلى قوّة ومن مجد إلى مجد".

وأنت اليوم يا كنيسة العصر بمن تفرحين وحول من ترقصين؟ هل تفرحين بالرب كالعذراء المبشّرة بالسلام والخلاص وترنّمين له بصفّين مع الملائكة المختارين والقدّيسين المعذّبين؟ أم أنك اليوم تفرحين بالشهوة القبيحة وترقصين بأكثر من صفّين حول عجول الذهب وبعول الفضّة؟ بل حول عجول وبعول العظماء من بني البشر؟ أترقصين اليوم رقصة الفرح كالعذراء في الهيكل تارة وفي جبال الجليل عند اليصابات تارةً أخرى؟ في مصر مرّة وفي عرس قانا الجليل حيث حوّل الرب الماء خمراً مرة أخرى؟ تحت الصليب حيناً وبعد القيامة وفي العلية مرّة أخرى؟ أم أنك اليوم ترقصين ولكن رقصة هيروديا في محفل هيرودس، محفل النجاسة والتطويح برؤوس الأبرياء والقدّيسين؟ هل فرحتك اليوم هي فرحة شولميت وترنيمك ترنيمتها ورقصك رقصها وذلك في البر وقداسة الحق؟ أم إنها فرحة حواء القديمة وأغنيتها المنكرة ورقصتها الهاوية؟

ألا يا مجدلية القرن العشرين. كفاك مع الشياطين السبعة فرحاً وغناءً ورقصاً. فإلى بيت سمعان حيث المسيح متّكئ وإلى الصليب حيث المسيح يرتفع وإلى بستان الزيتون وجنّة الجوز واخضرار الوادي حيث المسيح يضطجع. فهناك افرحي ما شاء لك أن تفرحي وغنّي ورنّمي ما طاب لك أن تغنّي وترنّمي وارقصي مع التلاميذ بصفّين ما حلا لك أن ترقصي "لأن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو ١: ٤).

وأما أنت يا نفسي فإلى شوليت الرسل انظري وإلى رقصاتها الروحية تطلّعي وبحركاتها الإنجيلية تمثّلي وبأحضانها اضطجعي وتحت أقدامها، أقدام السلام انطراحا انطرحي. لتكوني أنت أيضاً وبحق شولميتيّة محبوبة ومجيدة.

الإصحاح السابع

١- ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع

حقاً جميلة هي رجلا بنت الكريم بالنعلين وجميلة كذلك قدماها. ولكن من عسى أن تكون بنت الكريم هذه والنعلان اللذان في رجليها؟ بنت الكريم هذه هي الكنيسة المقدّسة المولودة من فوق من الماء والروح ومن كلمة الله الحية الباقية إلى الأبد. "لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو١: ١٢-١٣). "وذلك ليقدسها لله مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنسية مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥: ٢٦-٢٧).

بنت الكريم هذه هي الكنيسة الروحية التي ختمت بختم البر وامتلكت بالمحبة والإيمان طبيعة الله الآب وبالتالي ميراث الابن بالروح القدس كقول الرسول بولس "لان الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين" (رو٨: ٢٩). " لان كل الذين ينقادون بروح الله اولئك هم أبناء الله. الروح نفسه يشهد لارواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً

وورثة لله ووارثون مع المسيح" (رم٨: ١٤-١٧). لهذا باتت بنت الكريم هذه بدالة بنوتها وصلاحية أبيها وسلطات إلهها ومخلصها على الأرض، للمسيح سفيرة ولملكوته ممثلة ووارثة. تارة بالسلاسل والقيود وأخرى بالمعتقلات والسجون. تارة بالدهاليز والمقابر وأخرى بالقصور وثكنات العساكر. تارة أمام الفقراء والصعاليك وأخرى أمام القياصرة وابناء الفساد المماليك. تارة بمجد وأخرى بهوان بصيت رديء وصيت حسن.

اجل بنت الكريم هذه سفارتها إنجيل، وعلمها الصليب، ومهمتها لملكوت السيد في الأرض تثبيت. لكنها وإن كانت بالحق كريمة لله وفي السماء جليلة. غير إنها كسفيرة للإله المصلوب مكروهة على الأرض وثقيلة لأنها بين السفارات العالمية غريبة ولأرواحها مغايرة ولأهدافها مناقضة ومعاكسة. سفارات تلك سفارات ذاتية شريرة تقوم على الأنانية أصلاً وتحيا بروح الخطية فعلاً وتستقطب الإنسان القريب فريسة وابن الإنسان الحبيب مصلوباً وقتيلاً أكيداً. وأما سفارة بنت الكريم هذه فهي سفارة فدائية صالحة تقوم على اللا أنانية أصلاً وتحيا بروح القداسة فعلاً وتستقطب الإنسان القريب والعدو حياة وابن الإنسان الحبيب إلهاً مقاماً من بين الأموات حقاً يقيناً.

فأين إذاً بنات أورشليم وسفارتهن الشريرات من بنت الكريم وسفارتها الصالحة. وأين أرجلهن من أرجلها وسلوكيتهن من سلوكيتها؟ بنات أورشليم الجسديات وبنات آدم الأول الساقطات أقدامهن حافيات مجرحات وسيرتهن خليعات مخزيات ونعالهن ممزقات باليات ودوائر أفخاذهن هيروديات مجرمات. أما بنت الكريم الروحية بنت آدم الثاني المصلوب الحي يسوع المسيح فأقدامها منعلة بالتُخَس

وسيرهما طاهرة مشرّفة ونعالها متينة جديدة ودوائر فخذيها عذراوية مجنحة وهي مثال الحلي صنعة يدي صناع. "كيف لا وأقدامها تبشر بالسلام والخيرات" (رو ١٠:١٥). "وحاذية باستعداد إنجيل السلام" (أف٦:١٥). "وتدوس الحيات والعقارب" وبدوائر فخذيها تطوف البر والبحر. وتتسلق الجبال والتلال وتترل الهضاب والوديان لتذيع إنجيل الخلاص والسلام لا في أورشليم فقط بل وإلى أقاصي الأرض.

ألا بوركت أقدامك بانعلين والعهدين القديم والجديد يا بنت الكريم وبوركت أقدامك بعهدي الحب الجسد والدم يا بنت الكريم الحبيب وبوركت دوائر فخذيك كمركبة حزقيال شرقا وغربا، شمالاً وجنوبا، (حز١: ١-٢٨) يا بنت المبدع الكريم. حقاً دوائر فخذيك هذه مثل الحلي صنعة يدي صناع وصانع الصناع. كيف لا ودوائر فخذيك شبيهة بتحركات الحيوانات الأربعة في المركبة يا عذراء ولها في تحركات فخذيها وبكراتها حكمة الإنسان وقوة الأسد وصبر العجل وسمو النسر يا بنت الكريم وشوليث؟ نعم يا بنت الكريم ويا عذراء أم الكريم إنك السكة المقدسة والطريق المقدسة التي رآها النبي إشعيا بعينه النبوية حيث "لا يعبر فيها نجس بل هي لهم ومن سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل ولا يكون هناك أسد. وحش مفترس لا يصعد إليها. لا يوجد هناك. بل يسلك المفديون فيها" (اش ٣٥: ٨-٩).

فأين أنت اليوم أيتها الكنيسة من هذه السكة والطريق المقدسة؟ أين أنت اليوم من جمال رجلي بنت الكريم ومن دوائر فخذيها في الخليقة كلها؟ بل أين أنت اليوم من تحركات مركبتها العذراوية الرسولية؟ أمنعّلة أنت اليوم باستعداد إنجيل السلام أم

باستعداد ناموس الخصام؟ أمطعمة أنت بثمار الروح القدس أم بأعمال الروح النجس؟ أتسلكين بحسب الروح تميتين أعمال الجسد؟ أم تسلكين بحسب الجسد وتميتين ثمار الروح؟ أأنت، منعلة بعهدي كتاب الله القديم والجديد؟ أم بعهدي كتاب الشيطان العالم والجسد؟ القديم والجديد؟ أعذراوية رسولية أنت بتحركات مركباتك ودوائر أفخاذ قادتك؟ أم إنك هيرودية برقصاتك ودوائر فخذيك وتحركات مركباتك؟ أفوق الجبال هي مسيرتك اليوم حيث البر والقداسة ومواقع الأيمان والانتصار أم إنك في الكورة البعيدة تأكلين الخرنوب مع الخنازير وبين المقابر مع المجانين تقطنين وتقيمين؟ بل وفي المستنقعات مع الضفادع تعيشين وتنقين؟ "ما لكِ وطريق آشور لشرب مياه النهر. لأنه على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية. وأنا قد غرستك كرمة سورق زرعَ حقٍ كلها. فكيف تحولت الى سروغ جفنة غريبة؟ فإنك وإن اغتسلت بنطرون وأكثرت الأشنان فقد نقش إثمك أمامي يقول السيد الرب. كيف تقولين لم أتنجّس. وراء بعليم لم أذهب. انظري طريقك في الوادي. اعرفي ما عملت يا ناقة خفيفة ضبعة في طرقها. يا أتان الفراء قد تعودت البرية في شهوة نفسها تستنشق الريح. عند ضبعها من يردها. كل طالبيها لا يعيون. في شهرها يجدونها. احفظي رجليك من الحفا وحلقك من الظمأ. فقلت باطل. لا. لأني قد أحببت الغرباء ووراءهم أذهب". (أر ٢: ١٨-٢٥).

فإلى جمال العذراء في البر وقداسة الحق أيتها المضطجعة مع أبناء الغلف الغلاظ اللحم وإلى نعال الرسل وسلوكية القديسين يا حفاة الجبال والصحارى. بل إلى الذي قد جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلّط عليهم إبليس. إلى المسيح يا الذين تحولون في الأرض يصنعون شراً ويزرعون فساداً ويحصدون زؤاناً.

وأما أنتم أيها الأبناء والذين هم بالحقيقة أبناء وليسوا نغالاً "فاسلكوا فيما بعد لا كما يسلك سائر الأمم ببطل ذهنهم. إذ هم مظلموا الفكر ومتجنّبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. أما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا إن كنتم قد سمعتموه وعلّمتكم فيه كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ١٧:٤-٢٤).

وأما أنت يا نفسي فاهجري الآن الكورة البعيدة مع خنازيرها وأشرارها وشياطينها وارجعي إلى أبيك لأنه صالح ومحبّ وقولي "الآن أقوم وأرجع إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً فاجعلني كأحد أجرائك" حينئذٍ مع التلاميذ الودعاء يغسل لك المسيح أقدامك وينعّلها بالحذاء جديداً وهكذا تتم فيك الكلمة المكتوبة "ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صنّاع". لأنك أنت أيضاً بالإيمان خلية في كيان العذراء وحجراً حياً في بناء الكنيسة والتي كتب عنها وعنك قول الرب "ها أنا أبني بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أسسك وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة" (إش٥٤: ١١-١٢).

٢- سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن

طوباك أيتها الكنيسة المقدسة وهنيئاً لك يا بيعة الأبكار المجيدة وسقياً لك أيتها العذراء المباركة على هاتيك النعم العزيزة والتي سكبها عليك رب المجد من السماء أمطاراً غزيرة. "حقاً من ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو١: ١٦).

فالمسيح قد جعل لك فيما جعل الكأس المدوّرة سرّة لا يعوزها شراب ممزوج وصبرة الحنطة وهي مسيّجة بالسوسن بطناً وقلباً لكونه "تناول كأساً وشكر وقال لتلاميذه خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (لو٢٢: ١٧-٢٠). وهكذا باتت الكأس للكنيسة سرّة مدوّرة لا يعوزها شراب ممزوج والحنطة والخبز بطناً لها مسيجة بالسوسن. كيف لا والمسيح بسلطانه التجسّدي الفدائي قد جعل بطن الكنيسة صبرة حنطة وقلبها مائدة خبز وإنسانها الباطني قسط مَنّ وإنسانها الروحي الخفي بطن جسد مسيّج بالسوسن؟ كيف لا والمسيح بسلطانه التجسدي الفدائي قد جعل سرّة الكنيسة معصرة للخمر وقلبها ينبوعاً للفداء وروحها كأساً للحب؟ كقوله "من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حية تنبع لحياة أبدية". وقال هذا عن الروح القدس المزمع أن يقبلوه أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّدَ بعد" (يو٧: ٣٧-٣٩).

إذاً وتصريح الرب هذا صار الروح القدس والمزمع أن يقبله التلاميذ يوم الخمسين هو السوسن المسيّج لبطن الكنيسة وصارت حنطتها النازلة من السماء خبزاً للحياة الأبدية. كيف لا والروح القدس المجيد هو الذي بالإيمان يُحي حقيقة الجسد والدم في عقلية الكنيسة وقلبها الخفي؟ فيكسبها بذلك جمالاً فتّاناً ورائحة لله ذكية كالسوسن؟ بل ويسيجها حقيقة ضد المتشككين الحرفيين والذين لا زالوا يقولون كيف يعطينا جسده لنأكل؟ (يو٦: ٥٢). والمسيح أيضاً لا يزال يجيبهم قائلاً "أهذا يعثركم"؟ فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً. الروح هو الذي يُحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يو٦: ٦١-٦٣).

والآن ألم يكن كلام الرب هذا سياجاً من السوسن لصبرة الحنطة هذه وللخبز الحي النازل من السماء هذا؟ وقد صار جسداً من أجل الإنسان هكذا؟ كيف لا والمسيح يقول إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم؟ من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه. كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالأب فمن يأكلني فهو يحيا بي" (يو٦: ٥٣-٥٧).

نعم هذه هي سرة الكنيسة وكأسها المدوّرة وصبرة حنطتها وهي مسيّجة بسوسن الروح القدس تسيّجاً. وإلاّ إن لم تكن الكأس المدوّرة هذه للكنيسة سرّة وصبرة الحنطة بطناً وبالسوسن مسيّجاً فعلام كتب الرسول بولس قائلاً "لأني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشّوا قائلاً "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس

تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء. إذاً أي من أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميّز جسد الرب"(١كو١١: ٢٣-٢٩)

إذاً بسوسن الروح القدس قد تسيجت صبرة الحنطة في الكنيسة وتسيّج معها جسد فادينا ودمه. كيف لا وبروح أزلي قد طحنت حنطة الحياة هذه بالصليب وبالآلام عُجنت وبالأوجاع والنيران خبزت؟ فصارت من ثم فوق المذبح خبزاً حياً وللجياع من بني آدم طعاماً أبدياً؟ وكيف لا وبروح أزلي قد عصرت الكرمة الحقيقية (المسيح) هكذا فوق الصليب عصراً عنيفاً فصار من ثم للعطاش شراباً من الحب ممزوجاً ودماً للفداء وبالماء ممزوجاً؟ "لأن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم" (يو١٩: ٣٤-٣٥). وليس ذلك فحسب بل وهكذا قد جعل الله العذراء في الكنيسة كأساً مدوّرة لخمرة الحياة وصبرة لحنطة الحياة مسيجة بسوسن الروح القدس لأن الذي قد حُبِلَ به فيها من الروح القدس. والمولود منها هو القدوس ابن الله لذلك راحت تنشد قائلة "يفرح قلبي بالله وتبتهج روحي بالله مخلّصي".

هل أنت كذلك يا كنيسة الدهر؟ هل كأسك اليوم مدوّرة لا يعوزها شراب ممزوج وبطنك صبرة حنطة مسيّجة بالسوسن؟ نحن نعلم بأنك هكذا من الوجهة التعليمية اللاهوتية ولكن، هل أنت هكذا أيضاً من الوجهة الروحية الحياتية؟ أم أن قلبك

اليوم مملوء بالخمور العالمية وبطنك صبرة من الزؤان الجسدي ومسيّج بالعوسج الأبيمالكي؟ (قض٩: ١٤).

وأما أنت يا نفسي فتسرّي هكذا فوق مذبح الرب كأساً من خمرة الحب والفداء ممتلئة واثبتي هكذا في بيت الله وكنيسته حنطة للمسيح نقية وبسوسن الروح القدس مسيّجة وممنّعة واحذري نبوخذنصر (دا١: ٣) لئلا يسبيك من على المذبح إناءً وبيلشاصر (دا٥: ١-٤) فينجّسك بخمر مشروبه وفي عيد ميلاده كأساً. بل واحذري المديانيين فيسرقونك من البيدر حنطة وحياة. (قض٦: ٤).

٣- ثدياك كخشفتين توأمي ظبية.

إيه أيتها الظبية المباركة في النساء والوعلة الزاهية بين الغزلان والعذراء المختارة بين البنات الحسان. ما أحسنك صدراً يا صبية وما أجملك ثديين يا نجيبة. صدرك سوسن وثدياك كخشفتي توأمي ظبية يرعيان بين السوسن. من يضاهيك حسناً بين نساء العالمين ويشابهك جمالاً بين عذارى الخافقين. قامتك يا عذراء كالنخلة زاهية وثدياك كالعناقيد. وجهك كفلقتي رمانة من تحت نقابك. عيناك حمامتان عند مجاري المياه. رائحة أنفك كرائحة التفاح. شعرك كقطيع المعز الرابض فوق جبل جلعاد. شفتاك كسلسلة من القرمز. أسنانك كقطيع الجزائر الخارجة من الغسل والتي كل واحدة منها متئم وليس فيهن عقيم. عنقك كبرج داود المبني للأسلحة. سرتك كأس مدوّرة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. أرجلك مجمّلة بالنعلين كبنت للكريم. دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صنّاع. فكيف لا يشتهي الملك حسنك إذاً. ويؤخذ قلبه بجمالك أخذاً؟ فيحل في أحشائك حلولاً ويولد منك يا عجيبة عجيباً. نعم كيف لا يصير قلبك وهذا

الحلول الإلهي جنّة وصدرك بهذا الميلاد مربضاً لذياك الراعي الصالح يسوع المسيح ربّنا؟ كيف لا تكون نذياك خشفتين وقد أمسك بهما ماسك الكائنات ورضع منهما مقيت الأمهات مع البنات؟

ألا لتكن الطوبى للبطن الذي حملتك أيها المسيح وللثديين اللذين رضعتهما أيها الصبيح. طالما هذه البطن قد صارت لك سماءً على الأرض وهذان الثديان شجرتا حياة مغروستين في هاتيك السماء. ألا ما أعظم حبك للإنسان وفي شخص بنت الناس يا ابن الإنسان يسوع المسيح؟ وما أعنف هيامك بالبشر وفي شخص العذراء بنت البشر يا ابن البشر؟ لأنك وأنت تحمل السماء وما فيها والأرض ومن عليها شئت أن تُحمل من بطن إنسانة عذراوية ولأنك ولئن كانت على صدرك تتكئ كل الكائنات، شئت أن تتكئ أنت فوق صدر إنساني عذراوي. كما وإن كنت تُقيت الكائنات الحية دلّراً، شئت أن ترضع الحليب من ذينك الثديين الخشفتين طفلاً. كل ذلك لكونك محبّة فأعطيت كل ما لك للإنسان وفي شخص العذراء وأخذت كل ما في الإنسان لك لا لحسابك أنت بل لحساب الإنسان وكفى وفي شخص العذراء أيضاً ما خلا الخطية. لذلك بات جمال العذراء والثديين جمالك أنت، يا من أنت أبرع جمالاً من بني البشر. (مز٤٥: ١).

والآن فإن كانت العذراء الطبيعية بثدييها الناميتين تعبّر عن حبها الجنسي. فالعذراء مريم بثدييها الخشفتين تعبّر عن حبّها الروحي الأدبي والذي قد خلقه الرب في صدرها وعواطفها ومستودع قلبها بالروح القدس مذ قال لها الملاك جبرائيل "السلام لك أيها الممتلئ نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء لأنك ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم والروح القدس يحلّ

عليك وقوة العلي تظللك لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٢٨-٣٥).

وهكذا بات جمال ثديي العذراء جمال عواطف المسيح فيها وتجسيد لحبّه وبرّه فيها كإنسانة جديدة وفي ذلك الثديين الخشفتين والتوأمي الظبية حيث انبرى المسيح بتجسّده يمتص الحليب وعواطف حبّه من ذياك الصدر والثديين بعدما تعمّرا بالحب والنقاء تعميراً إلهياً. وهكذا فتح المسيح الأزلي مع الإنسان وفي شخص العذراء باب الحوار والمصالحة والمشركة بالحبل والميلاد والرضاعة ليبعثها من جديد إنسانة جديدة وعذراء مباركة في النساء وكنيسة مجيدة لا غضن فيها ولا دنس بين الشعوب.

وهكذا جاء حبل العذراء بالمسيح (الكلمة) جسدياً وروحياً وولادتها حرفياً وأدبياً ورضاعتها مادية وقلبية نفسية. وذلك لتكون مثالاً حياً ونموذجاً صالحاً في الحبل والولادة والرضاعة لكافة العذارى اللواتي تحبلن بالمسيح بالمحبة وتلدنه بالإيمان وترضعنه بالرجاء كقول الرسول بولس "إني أتمخض فيكم إلى أن يتصور المسيح في قلوبكم لأني أنا ولدتكم في المسيح بالإنجيل" (١كو٤: ١٥)."سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون" (١كو٣: ٢). وكقول بطرس كذلك "وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنمو به" (١بط٢: ٢).

إذاً فالمسيح وإن كان قد تجسد من العذراء جسدياً مرة لكنه لا يزال يتجسد في النفوس العذراوية مرات. والروح القدس الذي قد جسّد المسيح من العذراء مريم مرة واحدة لا يزال ذات الروح المجيد يجسده في الكنيسة روحياً مرات كثيرة. كيف

لا والمسيح لا يزال يربض في قلب الكنيسة التي للقديسين إطلاقاً وهو يمسك بجسده ودمه من فوق صدرها كمن يمسك بثدييها الخشفتين التوأمي الظبية؟ و لم لا؟ أليس جسده ودمه هما حصيلة تجسد المسيح من العذراء مريم حرفياً وحصيلة تجسده في الكنيسة روحياً؟ بل حصيلة حبه وفدائه من أجلهما حرفياً وروحياً؟

حقاً هذان الخشفتان التوأمان هما موضع جمال العذراء والكنيسة وموطن حبهما وحياتهما وبهذا المفهوم يقول الرب "نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية. فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب" (حز١٦: ٧-٨). ألا ما أقبح صدر الكنيسة كذلك إن خلا من هذين الثديين الخشفتين (جسد الرب ودمه) لأنه حيث لا ثديين ناميين فوق الصدر لا حب في القلب أصلاً ولا فداء في الحياة فعلاً ولا جمال في الشخصية إطلاقاً، بل عقم وقبح في الحياة أكيداً. أليس كذلك يا عشاق الجنس والروح على حدٍّ سواء؟ أليس كذلك يا عشاق الجمال الجسدي والروحي في كل مكان؟

ألا إلى بطن العذراء مريم حيث يربض الحب يا جميع الأجنة البشرية وإلى ثدييها الخشفتين حيث يرقد الحبيب طفلاً ويرضع يا جميع أطفال الإنسانية وإلى هاتيك الجنينة حيث يبيت البر مصلوباً بجسده ودمه الخشفتين يا جميع محبي الجمال وطالبي الحق ورجال البر. أجل إلى هاتيك الأحشاء العذراوية والعواطف الرسولية والثديين الخشفتين العذراوية والرسولية يا كنيسة العصر والارتداد والإثم. كيف لا وأنت تتمخضين بالشهوة وتلدين خطية وتُرضعين نغولاً؟ كما يقول الرسول بولس "الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً". كيف لا وقد تغير قلبك الأول وتغيرت معه محبتك الأولى، وبالتالي ثدياك الخشفتان التوأمان؟ إذ

استبدلتيهما بالعالم والجسد، ثديين قبيحين بشعين فعافك بذلك القديسون وتجمع حولك الدنسون. حقاً أيتها الكنيسة لقد بتِّ بخشف واحد لاهوتي فقط. وأما خشفك الآخر الروحي فقد اغتيل بسهام الشياطين عبر السنين فصرت بذلك ظبية ولكن ليس بتوأمين وثديين بل بثدي واحد فانكمش فيك الحب وانكمش معه الجمال. فارجعي بقلبك إلى العذراء البكر أماً والعذارى الرسوليات بناتاً ليتعمر بالحب لك صدراً ويتكامل لك بالفداء الثديين والخشفين.

وأما أنت يا نفسي فليكن شعارك أبداً "حبيبي لي وأنا لحبيبي بين ثديي يبيت".

٤أ- عنقك كبرج من عاج

طوباك عنقاً يا أم العذارى مريم لأن تسبحتك الصادرة من ذياك العنق العاجي بالروح القدس هي تسبحة إنجيل الفداء بأكمله وبوركت أعناقكم يا رسل فادينا وقديسيه ومبشريه لأن أعناقكم العاجية المتينة كانت ولا تزال للقداسة أبراجاً وللإيمان حصوناً وللكرازة قلاعاً وأبواقاً. كيف لا وكلمات أعناقكم إنما هي سهام مبرية وانطلاقات نارية في قلب الشيطان وجميع أعوانه؟ لكونها كلمات عاجية "وهي حادة وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" (عب٤: ١٢). بل وهي كمطرقة تحطم الصخر وكنار محرقة تأكل الضرر. لأنها كلمة الحق وقد صار جسداً وحل بيننا، يسوع المسيح ربنا (يو١: ٤). كيف لا وأعناقكم قد لبست قوة من الأعالي. إذ حل الروح القدس عليكم فصرتم بذلك للمسيح العاجي شهوداً في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع١: ٨)؟. حتى إذا ما وقفتم أمام الملوك والولاة لم تهتموا بما تقولون لأن روح أبيكم هو المتكلم فيكم. لذلك لا نعجب إذا ما سمعنا الرسل يقولون للجمع اليهودي "نحن لا نستطيع أن لا نتكلم إلاّ

بما رأينا وسمعنا" والرسول بولس يرعب فيلكس وهو يكلمه عن البر والتعفف والدينونة العتيدة.

إنها أعناق الشهداء والقديسين "الذين بالإيمان قهروا ممالك. صنعوا براً. نالوا مواعيد. سدوا أفواه اسود. أطفأوا قوة النار. نجوا من حد السيف. تقووا من ضعف. صاروا أشداء في الحرب .هزموا جيوش غرباء. أخذت نساء أمواتهن بقيامة وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل وآخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود أيضاً وحبس. رجموا. نشروا. ماتوا قتلاً بالسيف. طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين. مكروبين. مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض" (عب١١: ٣٣-٣٩).

هذه هي الأعناق العاجية والرقاب الروحية التي كتب عنها الرسول بولس كذلك قائلاً "إننا من أجلك نمات اليوم كله قد حسبنا كغنم للذبح ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو٨: ٣٦-٣٧). لقد استطاع الشيطان بقوة شره أن يلوي بالخطية والموت، كل الرقاب البشرية وعلى وجه الإطلاق كقول الرسول بولس "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو٥: ١٢). سوى رقبة بشرية عاجية واحدة هي رقبة يسوع المسيح، الذي لم يعرف خطية ولا وجد في فمه مكر.

فالعنق العاجي هذا والبرج السماوي هذا لا يزال يتحدى الشيطان ببرّه والعالم بحقّه والجسد بروحه. فطوبى لأعناق عاجية قد أثلمت هكذا سيوف الشيطان بحدّيها العالمي والجسدي وقطّعت الحبال بشكليها الروماني والفارسي وأطفأت النار

بتّوريها اليهودي والوثني. طوبى لهاتيك الأبراج الرسولية التي قد كسرت ولا تزال تكسر أسلحة الشيطان القديمة منها والحديثة، الثقيلة فيها والخفيفة، وذلك ليس بقوة اللحم والدم بل بقوة الجسد والدم، بقوة الفداء. ليس بقوة بشرية بل بقوة إلهية قوة الروح القدس "لأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف٦: ١٢).

نعم قدر الشيطان أن يُخضع لسلطانه الإنسان خضوعاً غاشماً. لكونه أقوى منه طبعاً وتجربة وواقعاً. "لأن إبليس خصمكم كالأسد الزائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو" (١بط٥: ٨). وأما ابن الإنسان البار يسوع المسيح فهو الذي قد أخضع الشيطان لسلطانه العادل لكونه أقوى منه جوهراً وحياة. الواقع الذي قد أشار إليه المسيح نفسه بالقول "حين يكون القوي متسلحا تكون أمواله في أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه ينزع سلاحه الكامل ويوزّع كلّ غنائمه".

إذاً الشيطان قد غلب الإنسان من البدء بالشر وكسر رقبته بالموت. وأما المسيح فلقد غلب الشيطان في سماوات ملائكته وكسر رقبته بالبر في موت تجسّده وصليبه في زمنية بشريته ليعتق الإنسان بقيامة حياته كقول الرسول بولس أيضاً "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل٤: ٥). وحتى الساعة لا يزال الشيطان يكسر الرقاب الحديدية العالمي: والأعناق الكنسية الفولاذية والأعناق العلمية اللحمية. ولكن شكلاً واحداً من الأعناق لا يقدر أن ينالها البتة وهي الأعناق العاجية التي

للقديسين. لأن هذه الأعناق إنما هي عنق يسوع المسيح ليس إلا ونحن نعلم علم اليقين أن المسيح يسوع جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس.

هذا هو الوعد الانتصاري الذي وعد به كنيسته المقدسة بقوله لبطرس "أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. فالشيطان إذاً وإن كان ولا يزال يقدر أن يقتل الجسد لكنه لا يستطيع ذلك مع الروح. وإن كان يقدر أن يفصل رأس الكنيسة عن جسدها جسدياً لكنه لا يقدر أن يفصل رأسها المسيح عن جسدها الكنيسة روحياً. لأن الإيمان بابن الله إن هو إلاّ ذياك العنق العاجي الذي يربط الرأس بالجسد ليس في الأرض فحسب بل وفي السماء كذلك.

إذاً الشيطان يستقطب ضرب العنق وقطع الرأس عن الجسد جسدياً وروحياً وذلك لهلاك الجسد والروح في جهنم معاً. والمسيح هو الآخر يستقطب تثبيت الجسد فيه كرأس بالعنق العاجي والإيمان لخلاص الجسد والروح من جهة، وكسر عنق الشيطان بحدّي صليبه الحب والبر من جهة ثانية. الحب لخلاص الإنسان والبر لضرب عنق الشيطان. هذا هو الانتصار المزدوج الأدبي الذي أحرزه يسوع المسيح لحساب الإنسان بحدّي صليبه المحبة والقداسة، النعمة والحق، الرحمة والعدل. من أجل ذلك جاء انتصار المسيح على الشيطان انتصاراً ساحقاً وخلاصاً للإنسان خلاصاً كاملاً لكونه خلاصاً روحياً وخلاصاً جسدياً كذلك. طالما الموت الشيطاني للإنسان قد صار هكذا موتاً روحياً وآخر جسدياً. "لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله إذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد

الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخّض معاً إلى الآن وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن متوقعين التبني فداء أجسادنا" (رو٨: ١٨-٢٣).

من أجل ذلك بات أصغر تلميذ ليسوع المسيح يغلب الشيطان بعنقه العاجي ويكسر عنقه على الصعيد الروحي. فكم بالحري عنق العذراء مريم والذي لها في المسيح يسوع الذي صار بالتجسد كالبرج العاجي يتحدى كل عنق هيرودسي يرتفع ضد معرفة الله.

نعم وكم بالأزيد عنق الكنيسة الرسولية والذي لها في إنجيل يسوع المسيح هو الآخر والمطعّم بعنق العذراء يتحدّى كل عنق قيافي إسرائيلي، وبيلاطس أممي يرتفع ضد معرفة الإله المتجسد المصلوب؟ كيف لا وقد أبت هذه الأعناق العاجية أن تلتفت يميناً وشمالاً وتتطلع وراءً واسفلاً وقد أقسمت على ذاتها بالحق وإلى أبد الآبدين أن يكون بأعناقها أبراجاً عاجية تطلع إطلاقاً إلى فوق حيث المسيح جالس عن يمين عرش العظمة تنتظر الوقت ليلوي الرب فيه كل رقبة للشيطان متصلبة ويكسر كل عنق لأعواد متقسّية.

أليس كذلك يا هيرودس وأنت الآخر يا يوليانُس؟ وأنتم الآخرون يا طغاة الأرض وملوك الظلام؟

فهل لك اليوم أيتها الكنيسة ذيّاك العنق العاجي الذي كان للقديسة مريم وكنيسة القديسين؟ بالإيمان والبرّ بالحب والرجاء بالشهادة والاستشهاد. بالحكمة والروح القدس؟ بالاستقامة والتطلّع إلى فوق؟

إذاً إلى العلية تطلّعي أيتها الكنيسة الملتوية الرقبة حيث تنتصب العذراء وكنيسة القديسين بقامات عملاقة ورقاب جبّارة نحو الأعالي لتكون بالروح القدس أبراجاً عاجية لكل حمام طاهر ووديع وملجأ لكل نسر فوق مستوى الجيف بعيد ورفيع وللحق اللاهوتي كيوحنا نظير وسميع.

وأما أنت يا نفسي فوراء يسوع ثبتي وجهك وعنقك نحو أورشليم. انطلقي لتموتي عن الخطية وتحيين للبر لأنك في البر تمتلكين العنق العاجي والفم الإلهي واللسان الناري. فهل تنطلقين؟

٤ب- عيناك كالبرك في حشبون عند باب بث ربيم

إنها عينا العذراء مريم وهي كالبرك في حشبون نقية صافية وعند باب بث ربيم. بل عند باب الكنيسة تستهوي العطاش استهواءً ببركها الصافية ومياهها العذبة. كيف لا وقد تشبّعت تلك العينان العذراويتان من النظر إلى وجه المسيح طفلاً مولوداً رابضاً كالخروف في أحضانها. وصبياً في وسط المعلمين داخل الهيكل معلماً. وبين العمي والعرج والشلّ والبرص والصم والخرس والمجانين طبيباً شافياً. وفوق الصليب بين اللصوص والمجرمين مصلوباً فادياً. ومن بين الأموات في أول الأسبوع باكراً مقاماً وغالباً. وفي السماوات وهو عن يمين عرش العظمة وإلى أبد الآبدين تراه سلطاناً قاهراً؟ فكيف لا تكون إذاً عينا العذراء وهاتيك المشاهد المجيدة كالبرك في حشبون صافية نقية؟ فإن كانت النظرة الواحدة إلى وجه المسيح تجعل العينين نقيّة، فكيف الأمر بعيني العذراء التي لم تكفّ النظر إلى وجه المسيح منذ الميلاد وإلى أبد الآبدين؟

وإن كانت الأم الطبيعية لا تشبع من النظر إلى وليدها الطبيعي وإن كان قبيحا لكونه ثمرة أحشائها وعصارة عواطفها وصورة شخصيتها، فكيف الواقع في الأم العذراء وهي تنظر إلى وجه المسيح وعلى وجه الإطلاق نظرة طبيعية وأخرى روحية؟ بعدما صار المسيح المتجسّد لها ثمرة أحشائها وعصارة عواطفها وصورة شخصيتها البشرية؟ لأنه كما أراد الله أن يطبع شخصيته الإلهية الأزلية على الإنسانية وفي شخص العذراء. هكذا أرادت الإنسانية أن تطبع صورتها وفي شخص العذراء على الصورة الإلهية الأزلية. الحقائق التي قد تمت في الإله المتجسد يسوع المسيح ربّنا. وهكذا لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني. (غل٤: ٥).

والآن إن كان النظر المركّز إلى مناظر الخطية البشعة يجعل العينين مملوئين فسقاً ونجاسة ويجعل العقول باطلة والقلوب والأجساد دنسة، فهكذا يكون النظر المركّز إلى مناظر البر وكما هو في وجه يسوع المسيح يجعل العينين صافيتين وكالبرك في حشبون مملوءتين صلاحاً والعقول مشحونة حكمة والقلوب معمرة محبة والأجساد مغتسلة بالقداسة. بل كيف لا تصير العذراء المباركة هذه بركاً من الماء صافية وعند باب الكنيسة موضوعة؟ بعدما امتلأت من الروح القدس إلى فوق وتدفقت عنها المياه إلى البشرية العطشى تدفقاً متوالياً؟ ففي عين الروح القدس هذه راحت العذراء تتطلع إلى وجه المسيح لا تطلعاً طبيعياً فحسب بل وتطلعاً عقلياً وروحياً كذلك. وهكذا قد رأت فيه ليس ابنا زمنياً طبيعيا فقط بل وابناً أزليا وإلهاً قديراً كذلك. الحقائق التي أعلنها النبي إشعيا بقوله "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفيه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلهاً قديراً أبا أبديا رئيس السلام" (إش ٩: ٦).

فالعذراء إذاً قد رأت في وجه وليدها المسيح رؤية لله كاملة. رأت فيه إنساناً بإله وإلهاً بإنسان لكون المولود منها إنما هو القدوس ابن الله وعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. فكيف إذاً لا تصير عينا العذراء وهذه الرؤيا الكاملة كالبرك في حشبون وعند باب بث ربيم؟ بل كيف لا تصير عينا الكنيسة بالتالي وذات الرؤيا في الإله المتجسد كالبرك في الكنيسة وعند باب المدعو الجميل؟ (أع٣: ٢). وهي ترى ذاك الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة؟ (١يو١ :١).

فالكنيسة إذاً كالعذراء وببصيرة الروح القدس قد رأت في المسيح إلهاً بإنسان وإنساناً بإله. رأت الكلمة وقد صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب. مملوءاً نعمة وحقاً. (يو١: ١٤). هذه هي النظرة الصحيحة الصافية للمسيح سواء كانت في العذراء مريم أم في العذراء الكنيسة. وأما النظر إلى وجه المسيح بعين واحدة من زاوية واحدة فهي نظرة مشوشة بالتراخوما والتهاب بالمنظمة وتقرّح بالقرنية. حقاً إنها لعيون الماديين المتفلسفين والسياسيين المكتفين والعسكريين المتقسيين والفريسيين المتظاهرين بل والصدوقيين الملحدين والذين لا يرون في المسيح إلا بشراً سوياً أو معلماً مضلاً أو طبيباً ساحراً أو مصلوباً على أمره مغلوباً.

حقاً إن كان أحد لا بولد من فوق، من الماء والروح، من الكلمة الأزلية الحية يسوع المسيح والروح اقدس لا يقدر أن يرى ملكوت الله وحقيقة يسوع المسيح حتى ولو كان في الكنيسة نيقوديموساً متديناً محترماً (يو٥:٣). فأحواض المعمودية هذه إن هي إلا تلك البرك في حشبون بل في الكنيسة وهي تفيض من بطنها أنهار

ماء حية تنبع إلى حياة أبدية. الأمر الذي قد دعا إليه رب المجد بقوله "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب،، من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حية تنبع إلى حياة أبدية. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد" (يو ٧: ٣٧-٣٩).

في البرك الإلهية والصهاريج الجبلية الطاهرة والأنهار المقدسة غطس حزقيال والأنبياء منذ الدهر وكذا القديسون في ملء الزمان إلى الكعبين والركبتين، إلى الحقوين والكتفين. وكقامات لله جديدة راحت تنغمر في هاتيك المياه انغماراً كلياً فتشبّعت إذّاك القلوب بالمحبة واختمرت العقول بالحكمة وسكرت النفوس بالحقيقة وغطست الأجساد بالقداسة. ولكن من أين تأتي هاتيك المياه لتفيض هكذا في البرك وتملأ عيون المؤمنين ماء للحياة ونورا؟ أليس من ذياك البحر الزجاجي الشفاف كالبلّور والخارج أصلا من عرش الله والخروف؟ (رؤ٢٢: ١). فيفيض الآب من السماء بالمسيح في القلوب أمطارا من الإيمان غزيرة ويمطرها في العقول والقلوب يوم الخمسين نيراناً من الحق ملتهبة بالروح القدس؟

فالروح القدس هذا والذي قد انسكب على الرسل في العلية ولا يزال ينسكب بمقدار على القديسين والمؤمنين هو الذي يخلق للكنيسة عيونا صافية كالبرك في حشبون وديعة ويفجّر عيونا في أوديتها نقيّة وذلك لتسقى الأشجار في الوعور. وهكذا تتحول اليابسة لى بستان والمعطشة إلى ينابيع ماء حية وهي تقول لبطرس ولسائر الرسل "ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة؟ فيجيبهم بطرس بالقول "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية

الروح القدس لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين عن بعد كل من يدعوه الرب إلهنا" (أع٢: ٣٧-٣٩).

فإلى هاتيك البرك الرسوية المملوءة بالماء الحي يسوع المسيح يا جميع عطاش البراري والقفار. وإلى هاتيك الصهاريج الجبلية الباردة يا جميع الأغنام والخرفان مع الكباش. وإلى معمودية الروح القدس حيث الإيمان والقوة، حيث المحبة والقداسة، حيث الكرازة والشهادة يا جميع المعتمدين بروح العالم وقوته وعلى الجسد وحكمته.

فأين أنت اليوم أيتها الكنيسة من برك حشبون الصافية وأنهار الرسل المتدفقة وجداول العذراء المتفجرة؟ أين هو إيمانك بالمسيح وهو ينفجر، وحبك بالمسيح وهو يشتعل، وبرّك بالمسيح وهو يلتهب، وتبشيرك بالمسيح وهو يقتحم؟

نعم أيتها الكنائس إنك برَك ولكنك خاوية، وأنهار ولكنك متجمدة، وجداول ولكنك ناشفة، وآبار ولكنك مشققة لا تضبط ماءً (إر٢: ١٣). حقاً إنها الحجارة وقد تجمّعت في الينابيع، والسدادات وقد أحكمت في الميازيب، والأوحال وقد تكدّست في قعر البرك والصهاريج، والخطايا وقد تجمعت في الأحواض والأنابيب. فجفت بذلك الحقول جفافاً، وتشققت القلوب من شدة العطش تشققاً، وعميت الأبصار بمياه المستنقعات أو كادت.

فإلى برك حشبون أيتها الكنيسة، وإلى برك ملك الدهور أيتها البشرية لأن مياهه، مياه الحياة.

٤ ج- أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق.

نعم الكنيسة المدعوة من الله والمختارة من المسيح تأبى النظر إلى أسفل حيث المهاوي والمنزلقات، بل إلى فوق تنظر حيث التسامي والمكرمات والمسيح يسوع جالس عن يمين القوات الخالدات. كما وتأبى أن تستنشق روائح الموتى ونتانة القتلى بالذنوب والخطايا، بل تستنشق بالحري روائح المسيح الذكية وبأنف متسامي كالبرج في لبنان والناظر تجاه دمشق.

وما روائح المسيح الذكية هذه سوى روائح الحب والفداء، روائح البر والخلاص، روائح الإيمان والرجاء، روائح الخلود والحياة. أجل هذا هو الأوكسجين الطري الذي اعتاد القديسون منذ الدهر أن يستنشقوه والمناخ اللطيف الذي يعيشونه، طالما قد امتلكوا بالروح القدس حاسة للشم روحية وأنفاً للاستنشاق والتنفس الروحي كريماً وكالتفاح ذكياً، الواقع الحي الذي يدعونا إليه الرسول بولس بقوله "فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كالجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة، من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب" (أف٥: ١٥). وقوله كذلك "أما الطعام القوي فللبالغين الذي بسبب التمرّن قد صارت لهم الحواس مدرّبة على التمييز بين الخير والشر" (عب٥: ١٤).

إذاً فكيف لا تتقزز كنيسة القديسين وهي في هذا الأنف اللبناني والإحساس الروحي (إحساس الروح القدس) من روائح الخطية ونتانة الآثام ودخان المظالم تقززاً، وتهرب من هذا لفساد والذي في العالم هروباً عنيفاً؟ بل وترفع كبرج لبنان أنفاً نحو دمشق بل نحو السماء رفعاً متسامياً مجنّحاً؟

والآن فإن كانت الكنيسة وبفعل حساسية قداستها لا تطيق الاقتراب من مقابر الخطية واستنشاق روائحها الكريهة، فالعالمية هي الأخرى، وبفعل حساسية نجاستها لا تطيق الاقتراب من مقامات البر وعروش القداسة واستنشاق روائح المسيح الذكية فيها. بل في كلّ مستنقع آسن راحت تغرز أنفها وفي كل بئر للشهوات متعفن راحت تمد خرطومها، الحالة الدنسة والصورة البشعة التي حذرنا منها الرسول بولس قائلاً "أقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنّبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع" (أف٤: ١٧-١٩). فحقّ من ثم لكنيسة القديسين أن تسلك فوق جبال لبنان السماوية وتستنشق بأنفها الجديد المجيد روائحه الذكية. كيف لا وهي تطلّ بأنفها البرجي اللبناني على دمشق، حيث العصيان والتمرد والمقاومة؟ (أع٩: ١-٢). أليس كذلك أيها المتعامي عن الحق شاول؟ ما لك أيها الطرسوسي المتعلم والفريسي المتزمت والناموسي المدقق واليهودي المتعصب وطريق دمشق لتقاوم فيه المسيح وتزجّ بأتباعه في السجون؟ مع أية صخرة تتناطح يا تيس اليهودية؟ ولمن ترفس بمناخس يا حصان الفريسية؟ أ مع يسوع الذي أنت تضطهده وقد أبرق عليك من السماء بنور أقوى لمعاناً من نور الشمس لتعرف فيما بعد كيف تسقط عن كبريائك جيداً وترتعب في حضرة القدوس وتستسلم لإرادة الحق تماماً وتكتشف فيما بعد بأنك لست عملاقاً يهودياً بل قزماً وفي حضرة المسيح عبداً؟ ألا فاعلم جيداً أيها السائر في طريق دمشق طريق الكبرياء العالمية والمضاربة مع الحق وليعلم معك رؤساء الكهنة ذوي التوصيات اليهودية أنه في هذا المكان بالذات وفي طريق دمشق حيث المسيح يتجلى سيسقط وإلى الهاوية كل يهودي متزمت وفريسي متصنع وناموسي مدقق وفيلسوف في

جامعة طرسوس عند قدمي غمالائيل متخرج. "لأن للمسيح يسوع يوماً على كل متعظم وعالٍ وعلى كل مرتفع فيوضع. وعلى كل أرزِ لبنان العالي وعلى كل بلوط باشان وعلى كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة. وعلى كل برج عالٍ وعلى كل سورٍ منيع. وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة" (إش٢: ١٢-١٦).

ألا فإلى تلميذ المسيح لبسيط حنانيا يا شاول الطرسوسي المتغطرس وإلى إنجيل حنانيا البسيط بقوته، القوي ببساطته أيها المعقد شاول الضعيف. أجل هناك تتساقط القشور من العيون والجهالات من العقول والعداوات من القلوب والقوميات المتطرفة من النفوس، لترى العيون كيف يكون النور والعقول كيف تكون المعرفة والقلوب كيف يكون الحب وتتفهم النفوس كيف هي الإنسانية. أليس كذلك أيها العملاق الجديد بولس الرسول وأنت تتسلق جبال لبنان (جبال الإنجيل)؟

ألا ما أعظم الفرق بين شاول الطرسوسي وبولس الرسولي. شاول الطرسوسي يمثل الطبيعة العتيقة بعنفها وهي تنفث تهديداً وقتلاً. وبولس الرسولي يمثل الطبيعة الجديدة وهي تعطي حباً وسلاماً. شاول الطرسوسي يقول عن نفسه هكذا "فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي، وكنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي. ولكن بولس الرسولي يقول "ولكن لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي بنعمتة أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم" (غل١: ١٤-١٦). شاول الطرسوسي يقول "من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من

سبط بنيامين عبراني من العبرانيين من جهة الناموس فريسي من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم. وأما بولس الرسولي فيقول "ولكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته خسارة بل إني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة يسوع المسيح" (في٣:٥-٨).

وهكذا وفي المسيح يسوع قد تُبتلع دمشق العالية بلبنان السماوية والإنسان العتيق بالإنسان الجديد وشاول الطرسوسي ببولس الرسولي وذلك بعد صراع روحي في طريق دمشق مميت، ذاك الصراع الذي قد أشار إليه الرسول بولس بقوله "ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي ويحى أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت؟ أشكر الله بيسوع المسيح ربّنا" (رو٧: ٢٣-٢٥).
هذا هو واقع كنيسة القديسين وعلى وجه الإطلاق فإنه واقع دمشقي عتيق كواقع شاول الطرسوسي وهو منصَّب على روح العناد والمكابرة والمقاومة قد تحول إلى واقع لبناني جديد كواقع بولس الرسولي وهو منصَّب على روح الطاعة والتسليم والمحاماة عن الإنجيل.

إذاً الكنيسة الناموسية لمتعصبة وفي شخصية شاول الطرسوسي تسير إطلاقاً في طريق دمشق وهي تنفث تهدداً وقتلاً لتلاميذ الرب وأما كنيسة القديسين المستنيرة وفي شخصية بولس الرسولي فهي إطلاقاً تسكن في جبال لبنان وبأنف كالبرج تنظر تجاه دمشق وهي تنفخ سلاماً وبراً وفي وجه التائبين من الدمشقيين روحاً من الله مقدساً.

ولكن أين عسى أن تكون اليوم كنيسة العصر والساعة؟ أفي لبنان العالي حيث المناظر الخلابة والمياه العذبة والثمار اليانعة والرياح المنعشة؟ أم في طريق دمشق حيث الصحراء الفريسية وهي تأكل الرمال يهودية وتشرب مياه الآبار الحارة المشققة ناموسية وتستنشق الغبار العنصري والقومي الطائفي حنانية. يا أيها الغلاطيون الأغبياء، أيها الفريسيون المراؤون أيها القوميون المتطرفون، أيها الناموسيون والسبتيون المتزمتون. بل أيها الشاؤليون الطرسوسيون من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق. أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً. أريد أن أتعلم منكم فقط هكذا. أ بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد"؟ (غل٣: ١-٣). وأنت الآخر يا شاول الطرسوسي يا كاهن القرن العشرين. يا من تربيت تحت رجلي غمالائيل الناموسي وصرت عضواً في مجمع السنهدريم واللاهوت. وأنت المتقدم في الديانة المسيحية على الكثيرين من أترابك وبني جنسك علماً وأدباً، فلسفة وثقافة، لغة ومنطقاً، وعظاً وكتابةً، شهادة ودرجة، لاهوتاً وعقيدة، غيرة وطائفية. أريد أن أعرف فقط أين تسكن اليوم بقلبك وإنسانك الخفي؟ أفوق الجبال، جبال لبنان العالية جبال المسيح المصلوب وأنت تستنشق إنجيل المسيح اوكسجيناً طرياً؟ أم في طريق دمشق ومنخفضات العالم وأنت تستنشق إنجيل السبت والناموس غازاً لفحم ساماً ومميتاً؟ يا كاهن الكنيسة ورسولها أينما كنت وحيثما كنت وكيفما كنت. أشاولاً طرسوسياً أنت اليوم للمسيح وكنيسته تضطهد في طريق دمشق إبقاءً على سلطانك الكهنوتي وناموسك الحرفي وروحك الطائفي وكرسيك العالي وذهبك الجيبي؟ أم إنك اليوم للمسيح وكنيسته وبالحق بولساً رسولياً وبوقاً إلهياً وكاهناً فدائياً وسفيراً سماوياً وإناءً كريماً وخادماً لله أميناً وبرجاً فوق لبنان وتجاه دمشق بأنفه متطلعاً؟ بل وبولساً من أجل تثبيت إنجيل

المسيح مصلوباً؟ أم إنك اليوم تريد أن تعرج بين المدينتين دمشق ولبنان وتجمع الشخصيتين شاول وبولس؟ وتخيط الرقعة الجديدة على الثوب العتيق، وتضع الخمرة الجديدة في الزقاق العتيقة؟ فأين إذاً الناموس من النعمة والغيرة المرة من الغيرة الصالحة والفريسية من الإنجيلية والسبتية من الأحدية والشاولية من البولسية؟

فإلى لبنان القديسين يا جميع الشاوليين السالكين طريق دمشق. وإلى لبنان العذراء حيث الحق يتجسد والدر يولد والحب يصلب ويبعث يا جميع الكنائس الناموسية المتزمتة.

وأما أنت يا حنانيا وليد النعمة بالإنجيل فستبقى دوماً روحانيتك برجاً في لبنان تتطلع دوماً نحو دمشق وتنتظر الوقت الذي فيه يسقط شاول عن كبريائه وتسقط قشور العمى عن عينيه بوضع يديك على رأسه وأصابع إنجيلك العشرة في عقله وقلبه.

٥- رأسك عليك مثل الكرمل وشعر رأسك كأرجوان مَلِك قد أُسِر بالخُصَل

أجل أيتها الكنيسة رأسك المسيح عليك مثل الكرمل "لأنه كما أن الرجل هو رأس المرأة كذلك المسيح هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد" (أف٥: ٢٣). فالمسيح لك هو بمثابة الصخرة القوية الحية كما هو مكتوب "وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (١ كو١٠-٤). بل هو بمثابة جبل الكرمل كما هو مكتوب أيضاً "أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ كل الأرض" (دا٢: ٣٥).

والآن إن كان المسيح هو الرأس والكنيسة هي الجسد. أفلا يكون لها كذلك جبلا كرملاً وعقلاً قوياً وفكراً ثاقباً وروحا في أعالي السماوات نافذا؟ أفلا يشرف المسيح على الكنيسة ويسود كما يشرف الكرمل على البحر ويسود؟ أفلا تجد الكنيسة وهذه الصلة طمأنينتها وراحتها في المسيح وبين بنايات تعاليمه وأشجار معجزاته وخضرة فدائه وسمو لاهوته وحياة قيامته كما يجد الولهان التعبان راحته في جبال الكرمل وبين ظلال أشجاره؟ بل كيف لا يسكن القديسون هذا الجبل المقدس ويتعبد فيه الرهبان المكرسون ويجاهد فيه الأنبياء مع النبي إيليا ضد أنبياء البعل وآخاب العالم وإيزابيل الخطية جهاداً عنيفاً ومنتصراً؟ حتى بات الجبل هذا مثالاً للجلجثة، حيث قدم النبي إيليا ذبيحة لله استجابتها السماء بالنار كان رمزا لحلول الروح القدس كحمامة على ذاك الذي هو حمل الله ورافع خطايا البشرية يسوع المسيح ربنا. فأمسى جبل الكرمل بذلك "جبل مجد" كقول النبي إشعيا لأن الكرمل هذا ويسوع المسيح هذا سيبقى للكنيسة رأسا حيا وعقلاً مدبرا. وهو يرتفع على كل ما في السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين. وليطل هكذا أيضا على البحر ويشرف على العالم رقيبا أعلى بني البشر وذلك ليس تطفلاً وادعاء بل بدالة فدائه وسمو لاهوته وتحديات بره وبتولة عذراويته وقيامته. فعلى هذه الصخرة الكرملية (المسيح) بنيت الكنيسة وصمم هيكل جسدها تصميما. وعلى هذه الصخرة اللاهوتية الفدائية والمقطوعة بغير يدين وزرع بشري تتحطم معاول الأشرار وأبواب الجحيم وتكسيراً تتكسر رؤوس الشياطين. بل وسحقاً أبدياً يسحق التمثال الذهبي الفضي والحديدي النحاسي والخزفي الذي رآه الملك نبوخذنصر في حلمه (دا٢: ٤٥) وذلك بذياك الحجر الذي قطع من العذراء بغير يدين (المسيح) ليصير جبلاً عظيماً

يملأ كل الأرض ويكون معقلاً كالكرمل لرجالات الإيمان وفي شخص ايليا بل ومذبحة ومقبرة لأنبياء البعل، أنبياء آخاب.

حقاً لا في جبل جرزيم حيث الانحراف السامري ولا في أورشليم حيث الرياء الفريسي يُسجد للآب السماوي، بل في جبل الكرمل الروحي (جبل الجلجثة والفداء)، الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه (يو٤: ٢١-٢٢). لأنه فوق هذا الجبل المقدس تسقط النار من السماء فوق الذبيحة الكفارية في صليب المسيح. كما وفيه تذبح الشياطين ذبحاً عظيماً وتحرق كما بنار آكلة. بل وفوق ذات الجبل تهطل أمطار الخير والحياة غزيرة على التائبين عن المعصية والمتسلقين جبل الإيمان والكرمل.
فإلى هذا الرأس الكرملي يا جسد المسيح السري وكنيسته المختارة كهنة وشعباً لله لا للبعل. وإلى هذا الجبل المقدس يا جميع شعوب الأرض عبيد التمثال النبوخذنصري. وإلى هذا الجبل الأشم يا جميع أبطال الإيمان وشهود الحق وطلائع إيليا وإلى هذا المعقل الحصين حيث الذبيحة والنار، حيث الغيث والأمطار يا جميع الهاربين مع لوط من سدوم والخارجين من عموره. بل إلى هاتيك الجبال الكرملية العالية حيث يذبح الباطل بالحق والظلم بالعدل والأنا باللا أنا والإثم بالبر والإلحاد بالإيمان يا جميع ملوك الأرض الظالمين والطغاة الآخابيين والمستهترات الإيزابيليات بنات السفاكين.

هناك فوق جبل الكرمل جبل الجلجثة حيث المحبة والفداء، حيث القداسة والحق، حيث الرحمة والمطر، حيث الذبيحة والنار ترتجف قلوبكم في صدوركم يا ملوك إسرائيل الظالمين لنابوت، والمغتصبين كروم البؤساء آخابيون. أجل فوق الكرمل

السماوي هذا تتهاوى أوثانكم وبعولكم معكم أيها المرتدون وتتضعضع قطعات مركباتكم أيها العسكريون وتلحس الكلاب دماء ملوككم وعظمائكم أيها الآخابيون الراجمون وبوحي شيطاني من إيزابيل تقتلون النابوتيين الفقراء ولكرومهم وحقولهم تغتصبون. وابس ذلك فحسب بل وتملأون مكيال آبائكم بقتل ابن الإنسان يسوع المسيح وفي ذلك قد قتلتم كل إنسان. ولكن اعلموا هذا أيها الآخابيون المتعصبون ولتعلم معكم زوجتكم الشريرة الفاسقة إيزابيل إن الرب سينتقم من أجسادكم الناعمة المسمنة بقوت الفقراء ودماء بائسي الأرض وسيكون صراخ نابوت وجميع بؤساء الأرض في آذانكم طنيناً وفي قلوبكم ناراً ليلاً ونهاراً لا تنطفئ وإلى الأبد يصعد دخانها. كيف لا والرسول يعقوب يقول "هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة، غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم في الأيام الأخيرة هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل أذني رب الجنود، قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما في يوم الذبح حكمتم على البار فقتلتموه لا يقاومكم. فتأنوا أيها الأخوة إلى مجيء الرب (يع٥: ١-٧).

وأما العذراء ففي ذلك الجبل الأشم قد تحصنت، وكنيسة القديسين في ذياك الجبل المقدس قد تمنعت، ورجالات الإيمان مع ايليا لجبل الكرمل هذا قد تسلقت ومع ذياك الرأس (المسيح) قد اتحدت فنما بذلك شعر رأسها بالفداء كأرجوان وأسر من ثم ملك المجد بخصلها. كيف لا وقد تجسد الواقع اللاهوتي في إنسانية العذراء وإنسانية الكنيسة على حد سواء فصار لها بذلك خصلاً أرجوانية وجمالاً فدائياً؟

كيف لا يفرح المسيح إذاً وهو يرى حقائقه اللاهوتية والفدائية هذه تمسي للعذراء والكنيسة عقلية مجيدة وخصلاً فكرية نامية؟

والآن فإن كان المسيح الأزلي قد تجسد هكذا من جسد العذراء ودمها وعظامها وإن كانت الكنيسة بهذا التجسد قد باتت من لحم المسيح ودمه وعظامه، أفلا تكون خصله الأرجوانية إذاً خصل العذراء والكنيسة كذلك؟ وبالتالي أفكاره أفكارنا وعقليته عقليتنا؟ كقول الرسول بولس "وأما نحن فلنا فكر المسيح" (١كو٢ : ١٦).

إذاً خصل رأس المسيح إنما هي أفكاره اللاهوتية والفدائية والنابعة من عقله ورأسه المطلق والمدلاة كشعر أرجواني أحمر على كتفي جسده وكنيسته، الكتف اليهودي الختاني والكتف اليوناني الغرلي. وفي هذا الاتحاد الوثيق والثبات الأرجواني العميق يقول الرسول بولس "لأعرِفَه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (في٣: ١٠). بهذا المفهوم اللاهوتي العميق صار المسيح للعذراء بالتجسد رأساً كالكرمل وهي تتحدى نساء البحر والعالم تحدياً عذراوياً سافراً. كما صار للكنيسة التي للقديسين خصلاً أرجوانية وهي تستهوي قلب المسيح الملك استهواءً.

فهل هو لك اليوم كذلك أيتها الكنيسة المعاصرة؟ أم أن للكنيسة اليوم سبعة رؤوس بحرية وعشرة قرون عالمية؟ (رؤ١٣: ١). هل للكنيسة اليوم خصل أرجوانية وأفكار فدائية تتفاخر بها تفاخراً كأفكار للصليب مجيدة وجميلة؟ أم أن خصلها هذه اليوم، بالمقص الجسدي مقصوصة وبالموسى العالمي محلوقة؟

فإلى الكرمل السماوي يسوع المسيح حيث تشرق الشمس وتهب الرياح أيتها الكنيسة. فهناك ينبت شعر رأسك كأرجوان وتتجمل أفكارك بالفداء فيؤسر الملك بخصلك أسراً.

٦- ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذّات

كنيسة المسيح وابنة العذراء جميلة وحلوة وعلى وجه الإطلاق. فهي كأمها العذراء جميلة بجزئياتها وكلياتها في باطنها وظاهرها. في ماضيها وحاضرها مع مستقبلها. بروحها وعقلها. بنفسها وجسدها. بوقفتها ومسيرتها. بسكوتها وتكلمها. بإيمانها وأعمالها. بإنجيلها وتقاليدها. بلاهوتها وفدائها. برأسها الكرملي وجسدها الخلاصي وخصلها الأرجوانية.

كيف لا تكون الكنيسة جميلة هكذا وكالعذراء حلوة بعدما جسّدت الجمال في ذاتها تجسيداً وبالروح القدس نقشته في الإنسانية الجديدة نقشاً أبدياً؟ كيف لا والمسيح قد صار لها بهذا التجسد عقلاً نيّراً وقلباً بالحياة خافقاً وعيناً للحق العميق بصيرة وضميراً للعدل الإلهي والإنساني مقيماً وجسداً للبر الأبدي وهيكلاً مقدّساً؟ من أجل ذلك ستكون الكنيسة وهذه الاعتبارات جميلة وحلوة وللمسيح حبيبة.

ولكن كما أن جمال الكنيسة هذا هو جمال المسيح، فكذلك لذّاتها هي لذّات المسيح، لذّات من فوق. لذّات من السماء، وحيث المسيح جالس. وهكذا راحت الكنيسة تستقي من المسيح ليس الجمال فحسب بل واللذات كذلك. كقول الحكيم سليمان "الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مُسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض. إذ لم يكن غُمرٌ أُبدئت إذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه. من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئت. إذ لم يكن قد صنع

الأرض بعد ولا البراري ولا أول أعفار المسكونة. لما ثبّت السماوات كنتُ هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه الغمر. لما أثبت السحب من فوق. لما تشددت ينابيع الغمر. لما وضع للبحر حدّة، فلا تتعدى المياه تخمة لما رسم أسس الأرض. كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذته فرحة دائماً قدامه. فرحة في مسكونة أرضه ولذاتي مع بني آدم" (أم٨ : ٢٣-٣١).

وهكذا باتت لذات الحبيبة ليست مادية أرضية بل روحية سماوية. ليست لذات شهوة وخطيئة بل لذات فدية قدسية "وذلك لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في لروح" (رو١٤: ١٧).
كما إن اللذات هذه ليست جنسية عابرة بل لاهوتية فدائية خالدة. كقول الرب "لأنه لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء". أجل اللذات الطبيعية والجنسية ليست، في حد ذاتها خطية طالما هي لذات إيجابية ولكنها تصبح خطيئة حقاً إن باتت لذات سلبية بالشراهة والطمع والزنى.
غير أن اللذات الطبيعية حتى الإيجابية منها ليس لها طاقة لتعطي الإنسان السلام الدائم والفرح القائم. "لأن كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظّم المعيشة. والعالم يزول وشهوته تمضي". فالذي له السلطان حقاً أن يعطي اللذات الحقيقية الأصلية إنما هو يسوع المسيح لذّة الحياة وحلاوتها الأبدية.

كيف لا يكون المسيح مصدر أفراح ولذات لبني آدم وهو يعطي عيوناً للعميان ليبصروا وآذاناً للصم لسمعوا وألسنة للخرس لينطقوا وعقولاً للمجانين ليتعقّلوا وأيدي للعسم ليعملوا وأرجلاً للشل ليسلكوا بل قلوباً للموتى ليحيوا؟ كيف لا تكون لذاته مع بني آدم ولذات بني آدم معه وقد كتبت أسماؤهم في سفر الحياة

بعدما كانت مكتوبة في أسفار الموت والهلاك؟ بل كيف لا تعيش كنيسة المسيح بلذّاته وقد كانت ضائعة بالخطية فوجدت بالبر. ميتة بالعداوة فعاشت بالمحبة. فقيرة بالموت فاستغنت بالحياة. أجنبية بالشر فاستقربت بالخير. هالكة بعمل الشيطان فخلصت بعمل المسيح ابن الإنسان؟

للشيطان أيضاً لذّات. ولكن ما أعظم الفرق بين لذاته هذه ولذات المسيح تلك. هذه سلبية وتلك إيجابية. هذه مادية وتلك روحية. هذه دخيلة وتلك أصيلة. هذه شهوانية محرقة وتلك روحانية منيرة. هذه تنجس الإنسان وتهدمه وتلك تقدس الإنسان وتبنيه. هذه لذات أنانية تسمم الحياة وأما تلك (لذات المسيح) فهي لذات فدائية تحيي الحياة وتبعثها من بين القبور حياة بحياة.

فماذا إذاً؟ أتكون لذات المسيح لذات خيالية لكونها روحية؟ حاشا. بل هي لذات واقعية وحقائق اختيارية يختبرها القديسون فيبيعون كل شيء في العالم وكجوهرة غالية الثمن يشترونها. ويتعشقها الحكماء من التجار فيتركون كل شيء ويبتاعونها. وإلا فكيف تستطيع اللذات الخيالية هذه والأحلام الكاذبة هذه أن تخلق رجالاً باتوا في عمل الخير والصلاح عمالقة؟ وفي دروب الألم والموت جبابرة؟ وفي هجر ملذات الدنيا وأطماعها آلهة وللاهوت بالفداء أبناءً؟ ولهذا وعد الله والذي هو يسوع المسيح كنيسته بما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان بلذاته اللاهوتية والفدائية مع بني آدم.

وهكذا أمست العذراء كقاعدة تجسدية كنيسة والكنيسة كبناء تجسدي فدائي كنسي، جميلة عقليتها، حلوة عواطفها، حبيبة أحشاؤها، ولذيذة بالحب أنفاسها.

نعم، جميلة جلستها وحلوة وقفتها. حبيبة مشيتها. لذيذة ركضتها. جميلة معموديتها. حلوة عقيدتها. حبيبة فديتها. ولذيذة هي عليتها.
ألا إلى ذياك الجمال الحلو أيتها الكنيسة وإلى ذلك الحب اللذيذ أيتها النفس البشرية لأن الجمال إنما هو جمال الحياة والحب إنما هو حب الحياة. إنه المسيح الجميل الحلو بين النفوس والحبيب اللذيذ بين الأرواح والأفكار. فأمسكيه بحرص لئلا يفلت من بين يديك فتفلت به الحياة وتنهزم الحلاوة ويولّي الجمال.

٧- قامتك هذه شبيهة النخلة وثدياك بالعناقيد

حقاً كنيسة القديسين قامتها شبيهة بالنخلة وثدياها بالعناقيد. كيف لا وهي تتسامى بقلبها وعواطفها. بفكرها وذهنها. بضميرها وحسّها نحو السماويات حيث المسيح جالس عن يمين عرش العظمة في الأعالي؟ كما وترسل جذورها عميقة لتمتص الماء حياة والغذاء إيماناً وحبّا؟

فالكنيسة كالنخلة تعيش وهي دائمة الخضرة. غنية أيامها، أبدية سنوها وهي تتحدى عناصر الفناء تحدياً لكونها تستمد وجودها من ذياك الوجود المطلق يسوع المسيح حتى باتت النخل هذه في جمالها رمز جمال للكنيسة وشعاراً لغلبتها كما قد فُرش بعضها في طريق المسيح إلى أورشليم رمزاً لملكيته المنتصرة على جميع ممالك الأرض. الأمر الذي قد أزعج الفريسيين وهو يسمعون ترانيم الأطفال ويرون سعف النخل والزيتون في أيديهم. نعم وسيبقى القديسون هكذا في الأرض والسماء مزعجين للشيطان وأعوانه طالما يحملون سعف النخيل في أيديهم وروح الانتصار في قلوبهم وقوة الترنيم في أفواههم وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين "الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف" (رؤ٧: ٩-١٠).

حقاً الصديق كالنخلة يزهو وكالأرز في لبنان ينمو. بل يقيناً قامة الكنيسة شبيهة بالنخلة وثدياها بالعناقيد. ألا ما أجمل قامتك أيتها الجميلة بين النساء وما أزهى ثدياك في صدرك أيتها الكنيسة. لأن قامتك قامة عذراء وثدياك عناقيد هيفاء. "لذلك اشتهى الملك حسنك بذهب أوفير وبعنقودين زاهيين وثديين خشفين لأنه سيدك فاسجدي له" (مز ٤٥: ٩-١١).

والآن فإن كان الصدين كالنخلة يزهو كقول النبي داود "فكم بالحري تكون السيدة العذراء هكذا كالنخلة زاهية وهي بالتجسد قاعدة انطلاق لكل صديق وكنيسة صديقة؟ كيف لا والعذراء كالنخلة مباركة بثمرها، عميقة بروحانيتها، متسامية بأفكارها، متحدية بعذراويتها، منتصرة بقداستها، صابرة بمشقاتها. بل زاهية بثدييها وعناقيدها؟ فهل يا ترى من نخلة كهذه النخلة بين النخيل، ومن عذراء كهذه العذراء بين العذارى؟ ومن قامة كهذه القامة القدسية بين القامات بل ومن ثديين كهذين الثديين الزاهيين بين الأثدية؟ ألا بالصواب صرخت تلك المرأة قائلة للرب "طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما".

وهكذا أمست العذراء كالنخلة قامتها وكالعناقيد ثدياها وذلك ليس على الصعيد الروحي فحسب بل وعلى الصعيد الجسدي كذلك. "لأن الروح القدس قد حلّ عليها وقوة العلي قد ظللتها والقدوس الأزلي (المسيح) قد ولد منها". لذلك قد صارت كالنخلة قامتها وكالعناقيد ثدييها. وهكذا كنيسة القديسين كذلك بصفتها الفسيلة المولودة من هذه النخلة العذراوية والتي صارت هي الأخرى نخلة بقامتها وعناقيد بثدييها فامتدت جذورها بالإيمان إلى أعماق موت المسيح لترتفع بعقليتها إلى فوق حيث المقادس لأنه بالقدر الذي تتعمق الكنيسة في موت المسيح بذات

المقدار تتعالى في أمجاده وسماوياته كما أشار الرسول بولس بقوله "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد مُتّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو٣: ١-٣).

فكنيسة هذا واقعها وفي المسيح يسوع أساسها وسعفها. كيف لا تكون خضراء تتحدى حرارة الصيف وبرودة الشتاء؟ كيف لا تكون نخلة مباركة وهي محملة بالعناقيد وقبلة للنظار الناشقين ومطمع لقلوب الجائعين ومظلة واقية للقديسين؟ بل ومحسنة معطاءة للضاربين الراميين؟ حقاً الكنيسة الصديقة "كالنخلة تزهو وكالأرز في لبنان تنمو".

ولكن ما عسى أن يكون العنقودان والثديان المزروعان في صدر الكنيسة؟ أليس هما إيمانها ومعموديتها؟ إنجيلها وتقليدها؟ إيمانها وأعمالها؟ عهدا كتابها وكلمتها؟ قيامة روحها وجسدها؟ بل جسد ربها ودم فاديها؟ والذي هو موضع جمالها ومبعث حبها وشبابها وبستان خضرتها وموطن انتصارها؟ فعنقودان كهذان قد نميا في قلب الكنيسة وثديان كهذان قد طلعا في صدرها هكذا، من البديهي أن يثمرا في الحياة ثمار الروح القدس الزاهية والتي هي "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل٥: ٢٢-٢٣).

ولكن أين أنت اليوم أيتها الكنيسة الهرمة من هاتيك النخلة العذراوية والنخلة الرسولية الزاهية؟ بل أين هي عناقيدك من عناقيدها وثدياك من ثدياها؟ نعم أنت اليوم نخلة ولكنك منحنية إلى أسفل وبسبب الضعف والشيخوخة كدت تهوين إلى الأرض وحيث الشيطان يسكن. أجل لك في صدرك ثديان ولكنهما متهدلان

ناشفان. فكيف تتوقعين تسامياً بقامتك هذه وأنت لا تمدين الجذور إلى الأعماق لترتوي للحياة ماء وللخلود غذاء؟ كيف تتوقعين صدراً عذراوياً جميلاً وثديين عذراويين زاهيين وأنت لا تمتلكين القلب المحب للمسيح عميقاً وكبيرا؟ أين هي استقامة قامتك ومتانة شخصيتك وسمو سعف أفكارك وجمال ثمارك وشباب ثدييك؟

نعم إنك كنيسة ولكن قامتك منحنية وسعفك يابس وجذورك متعفنة والعناقيد فيك مع الثديين ناشفة ولكن ما لك والسمنة العالمية هذه؟ ألست تعلمين أيتها المترفهة بالدلال بان دهنتك العالمية تلك قد شوهت قامتك وصلبت شرايينك وجحظت عيونك وقبّحت بالسمنة ثدييك؟ فصرت بذلك قبيحة بين النساء وقبيحة جدا؟ وإلا أين هي رياضتك الروحية وتدريباتك التقوية وتغذيتك الصحية ومقوماتك الإنجيلية لتكوني كعذرائك شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد؟ وأما اليوم فلقد قزمت قامتك بالخطيئة وغلظت سيقانك بالشهوة يا دليلة وانتفخت بطنك ببصل الفساد يا فرعونية وتجعدت خدودك بالشر يا بابلية وجف ثدياك بحليب الغش والتعاليم الغريبة يا سامرية.

وأما الآن فإلى النخلة نخلة العذراء والقديسين يا كنيسة الجسديين لتكوني أنت أيضاً نخلة بقامتك وعناقيد زاهية بثدييك.

وأما أنت الآخر يا إنسان الله فكن كالنخلة تزهو وكالأرز في لبنان ينمو وعليك بالنخلة العذراوية قامة وبثدييها عناقيد.٦١٧

٨- قلت إني اصعد إلى النخلة وامسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح

كيف لا يصعد الحبيب هكذا إلى نخلة حبيبته ويمسك بعذوقها وهي محط آماله وموضع تطلعاته وصورة حبه ونفثات قلبه؟ كيف لا يتسلقها الحبيب هكذا قامة وهو يرى فيها قامة الحب وقد تكاملت كقول الرسول بولس "إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف٤: ١٣)؟ كيف لا يتلهف الحبيب إلى تسلق قامة حبيبته ويمسك بثدييها كمن يمسك بالعناقيد والثديان هذان إنما هما ثمرتا حبها وعصارة قلبها وشعارات عواطفها بل ومنطلقات حياتها ووجودها؟ والمنطلقات هذه انما هي انطلاقات إيمانها ومعموديتها وأعمالها، إنجيلها وتقاليدها، موتها وقيامتها، وعهدا كتابها؟

من أجل ذلك يتسلق الرب قامة عذرائه ويمسك بعواطف ثدييها ويتكئ فوق صدرها وهو في ذلك كأنه يتسلق قامة كنيسته المقدسة فيها وإنسانيته الجديدة وهو يمسك بعواطفها القلبية وثمار روحها، ثمار الحب والإيمان. كيف لا والكنيسة المقدسة هذه وفي شخص العذراء تلك إنما هي نخلته الخاصة تلك وغرسة يديه المباركة؟ بل وقد باتت بالفداء والتجسد "لحم من لحمه وعظم من عظامه" وبالتالي صورة مجده وقامة بشريته والعناقيد فيها هي ثديي حبه وحلاوة قلبه؟ نعم إنه يتسلقها نخلة زاهية ويمسك بعذوقها ليبعث فيها الحياة جديدة ويكتب عليها كلمات الحب والروح جذوراً وساقاً وسعفاً وعذوقاً. فهو يتعهدها بالحب طفلة ويتسلقها بالفداء شابة نخلة ويمسك بعذوقها بالصليب والقيامة خطيبة وبالروح زوجة، لأن عناقيدها كعناقيد الكرم ورائحة أنفها كالتفاح.

وهكذا راح المسيح يعلن الارتباط الوثيق القائم بينه ككرمة حقيقية وبين المؤمنين باسمه كأغصان مثمرة وعناقيد ليعلن فيهم جمال محبته وفرحة خمرته وعصارة فدائه، الأهداف الرئيسية من تجسده وفدائه. وذلك ليكون والمؤمنين واحداً كقوله "ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك. ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا. ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني. ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ. ليكونوا مكملين إلى واحد. وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني" (يو١٧: ٢١-٢٣). فهل من حب أعظم من هذا ومجد أسمى من هذا يعطيه الرب للإنسان عطاء ويزرعه بقلبه حياة وعناقيد حتى أنه راح يتغنى بهذا الجمال، والجمال جماله هو. ويترنم بالمجد والمجد مجده هو.

حقاً إنه الحب الأزلي الأصيل في المسيح وهو لا يعرف إلا الحب والعطاء والبذل والفداء. لماذا؟ لكونه حباً أصيلاً وفداء ذاتياً وكفى. والآن فإن كان المسيح يشبّه كنيسته بالنخلة وثدييها بالعذوق تارة وبعناقيد الكرم تارة أخرى فهو يشبه رائحة أنفها بالتفاح كذلك.

والآن فإن كانت الكنيسة الحبيبة قد ارتفعت عن الأرض هكذا بالنعمة بقامتها الهيفاء كالنخلة وهي تتسامى بها نحو السماء لتبلغ بها قياس قامة ملء المسيح. وإن كان صدرها كحبيبة قد تعمّر هكذا بالثديين وزها بالعناقيد وتكامل بالحب فإن رائحة انفها هي الأخرى أمست ذكية كالتفاح طيبة. كيف لا والله المبدع ومنذ البدء قد نفخ في أنفها فصارت بذلك حوّاء وأم كل حي وإذ اختنقت بفعل غاز ثاني أكسيد الكربون ودخان الخطية والشيطان وهي مثال الكنيسة أصلاً، عاد الرب ثانية ينفخ في وجهها وأنفها نفخة الحياة فيبعثها حية من بين القبور ونافثاً في

أنفاسها نفخات القيامة والحياة (يو٢٠: ٢٢). وفي نفخته هذه خلق في الكنيسة الحبيبة وحواء الجديدة هذه، ونظير العذراء بالروح القدس، حساسية روحية جديدة لا تستنشق سوى أوكسجين الحياة وروائح التفاح. لأنه كما أن حواء العتيقة وبناها لا يستنشقن سوى روائح الخطية والموت، هكذا أيضاً حواء الجديدة مريم وبناها لا يستنشقن سوى روائح التفاح في بستان القيامة والحياة.

والآن كيف لا تكون روائح الإنسانية العتيقة كريهة والرسول بولس يصفها بالقول "الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. حنجرتهم قبر مفتوح بألسنتهم قد مكروا، سم الأصلال تحت شفاههم وفمهم مملوء لعنة ومرارة" (رو٣: ١٢-١٤). وكيف لا تكون روائح الإنسانية الجديدة في المسيح يسوع ذكية والرسول بولس يدعوكم إلى استنشاقها بقوله "وأخيراً يا اخوتي كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا" (في٤: ٨). وهكذا باتت الكنيسة في المسيح الحي المقام من بين الأموات والنافخ فيها نفخة الحياة جديدة رائحة له ذكية في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون "لهؤلاء رائحة حياة لحياة ولأولئك رائحة موت لموت" (٢كو٢: ١٥-١٦).

هذا هو أنف العذراء وقد أمسى بالتجسد قارورة طيب و بالروح القدس رائحة تفاح. أجل هذا هو أنف كنيسة القديسين وقد صار هو الآخر وهو ذات الأنف قارورة ناردين كثيرة الثمن ورائحة تفاح ذكي النفث. إنه أنف العذارى الجديد والذي فيه يستنشقن روائح تعاليم المسيح فوق الجبل فيمتلئن في العقل حكمة. ويستنشقن روائح معجزاته فوق البحر فيمتلئن في النفس إعجاباً وإيماناً. ويستنشقن

عبير قداسته في البر والبحر وفي الجبال وفي السهول مع الوديان فيمتلئن في الجسد براً وصلاحاً. ويستنشقن روائح فدائه فوق الجلجثة فتفيض قلوبهن حباً. بل ويستنشقن أنفاس قيامته في البستان فتعطس أرواحهن وأجسادهن بالقيامة والحياة.

حقاً المسيح هو الذي جعل الكنيسة في قامتها كالنخلة وثدياها بعناقيد الكرم ورائحة أنفها كالتفاح. 'لأن به كانت الحياة والحياة كانت نور الناس".
ولكن كيف هي قامتك أنت الآن أيتها الكنيسة؟ وكيف هما ثدياك فوق صدرك؟ ورائحة انفك وبقية أنفسك؟ أنظير حواء القديمة أنت في كل ذلك أم نظير حواء الجديدة؟

وأما أنت يا نفسي فإلى إنجيل الله لتستقيم قامتك كالنخلة وينمو ثدياك كعناقيد الكرم وتصير رائحة أنفك كالتفاح.

٩- وحنكك كأجود الخمر لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين

لِمَ حنك كنيسة القديسين هو كأجود الخمر؟ أليس كونه حنك المسيح بالذات؟ وخمرتها خمرته (خمرة الروح القدس وفرحته). من أجل ذلك جاء حنك الكنيسة هذا فريداً وكانت خمرتها وحيدة لا مثيل لها في مملكة البشر. "لأنه لم يتكلم إنسان قط كهذا" (يو٧: ٤٦). ولأن ليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع٤: ١٢). ولكنه بالتجسد وبدوافع الحب الأزلي قد أعطى الإنسانية الجديدة والكنيسة المقدسة وفي شخص العذراء حنكاً ناطقاً وخمرة من الحب منسكبة.

ففي التجسد المجيد قد جبّر الله حنك الإنسانية المكسور وحزّمه بإنجيله وملأه بتعاليمه وعصارة حبّه وخمرته. لذلك راح يجري في فم العذراء تسبحة وخمرة سائغة مرقرقة سائحة على شفاه النائمين وينسكب من فم كنيسة القديسين ومن حنكها بشارة فدائية وخمرة أزلية وبالروح القدس معتّقة وهي سائغة مرقرقة سائحة على شفاه النائمين بالذنوب والخطايا من بني البشر فأيقظتهم من منام الموت وسبات الجحيم. وإلا من أين للعذراء ذياك الحنك وهاتيك التسبحة، تسبحة الأجيال الأرضية والسماوية؟ ومن أين للكنيسة ذياك الفم وهاتيك الخمرة التي راحت تسكبها في أسواق أورشليم والخليقة كلّها خمرة فدائية وحكمة سماوية وروحاً مقدسة؟ حيث قد وُعدوا بالقول "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم فتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض" (أع١: ٨). كما وتقووا بذات الوعد القائل "ولكن متى ساقوكم إلى المحاكم والولاة فلا تهتموا بما تقولون أو بما تتكلمون لأنكم لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم هو الذي يتكلم فيكم". وبهذا الحنك الجديد والشهادة الصارخة استطاعت الكنيسة وفي شخص رئيس شمامستها اسطيفانوس أن تتحدى مجمع الليبرتيين والقيروانيين والإسكندريين ومن الذين من كيليكيا وآسيا ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به (أع٦: ٩-١٠). وبهذا الحنك الجديد استطاع بطرس رسول الختان أن يتحدى مجمع اليهود ويقول "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس. إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة. هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلّصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه" (أع٥: ٢٩-٣٢). بل بهذا الحنك الروحي واللسان الناري والفم الإلهي تمكّن بولس رسول الأمم أن يكون للخمرة الأزلية إناء وللمسيح الرب في أربعة أقطار المسكونة شاهداً

ولليهود ولليونانيين بالمسيح مبشّراً وللملوك وطغاة الأرض في ذلك مُرعباً" (أع٢٤: ٢٥). وهكذا قد انسكبت الخمرة الفدائية من ذياك الحنك الرسولي سائغة مرقرقة سائحة على شفاه النائمين.

ولكن ما أعظم الفرق بين هذا الحنك الرسولي العذراوي الجديد وبين حنك حواء المخلوع العتيق. حنك حواء العتيق ذاك هو حنك إلحاد وشك وارتياب، وحنك هذه العذراء (حواء الجديدة) إيمان وثقة ويقين. حنك العتيقة ترفع وتجديف، وحنك الجديدة تواضع وتسبيح. حنك العتيقة مرارة وسخط وغضب وصياح، وحنك الجديدة بركة وسلام ولطف ووداعة. حنك حواء القديمة نجاسة وشهوات في الفم قبيحة وفي القلب وأعماق النفس دخيلة، وأما حنك حواء الجديدة (مريم) فهو قداسة وشهادات في الفم فدائية وفي القلب وأعماق النفس أصيلة. حنك القديمة مكسور بالمخالفة، مضروب بالعصيان مخلّع بالشرور وأما حنك الجديدة (العذراء) والكنيسة (الهيفاء) فجديد بالروح القدس مدرّع بالحكمة ومحزّم بقوة الحق.

فأين حنك القديمة من الجديدة؟ وأين خمرة الفاسقة من خمرة العذراء الأمينة والكنيسة المقدسة؟ وليس ذلك وحسب بل وما أعظم الفرق كذلك بين خمرة وخمرة وبين فرح وفرح. بين خمرة المسيح وأفراحه في عذرائه وقديسيه وبين خمرة الشيطان وأفراحه في حرّائه ودنسيه. خمرة المسيح السائغة المرقرقة والسائحة على شفاه النائمين إنما توقظ النائمين في الخطية والمثقلين بالخمور الشيطانية لكيما يصحوا للبر والخلاص كقول الرسول بولس "لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون وأما نحن الذين من نهار فلنصحَ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص" (١تس٥: ٧-٨). وأما خمرة الشيطان

العكرة في أفواه النائمين والمخزونة في قلوب المائتين فهي تخدّر الأعصاب العقلية وتقلّص الشرايين القلبية وتميت الأحاسيس النفسية. لذلك يحذّرنا الرب من مغبة هذه الخمور بقوله "احترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض. اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان" (لو٢١: ٣٤-٣٦). خمرة المسيح كنار تعقم الحياة وتقتل الجراثيم وتحرق من القلب الميكروبات وتستأصل من الفم كل النجاسات (إش٦: ٧). وأما خمرة الشيطان فهي تدنس الحياة بالميكروبات وتميت القلب بالشهوات وتظلم العقل بالجهالات وتخدّر الجسد بالموبقات بل وتضرب الحنك باللطمات والدعارات. لذلك راح الرسول بولس يحذرنا من مغبة هذه الخمرة المهلكة قائلاً "ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح القدس" (أف٥: ٨). خمرة المسيح تملأ الحياة بالفرح وتشحنها بالروح القدس والسلام كقول الرسول بولس "والرجاء لا يخزي لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥ :٥). وأما خمرة الشيطان فهي تملأ الحياة بالخوف والفزع مع الويل والشقاء كقول الحكيم سليمان "لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين؟ للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرّت حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة. في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان" (أم٢٢: ٢٩-٣٢). خمرة المسيح وكما هي في بيت صليبه وعلية روحه تربي لله رجالاً وللحياة الأبدية أبناء وللملكوت السموات ملوكاً وللبر أمراء وللمحبة سفراء وللسلام رسلاً وللحكمة الإلهية قضاةً، بل وللإنجيل المسيح عمالقة وغزاة وفي ذلك يقول الرسول بطرس "أيها الرجال اليهود اسمعوا إن هؤلاء

ليسوا سكارى كما أنتم تظنون. فيسوع الناصري هذا أخذتموه وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك، وإذا ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه" (أع٢: ١٤-٣٣). وأما خمرة الشيطان فهي الأخرى تربي رجالاً ولكن للشر وأبناء للموت، وملوكاً ولكن لجهنم وأمراء ولكن للإثم وسفراء ولكن للعداوة والحروب ورسلاً ولكن للخصام قضاة ولكن للشياطين والأصنام. وفي ذلك يقول النبي إشعيا "ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً. الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً. الجاعلين المر حلواً والحلو مراً. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج المسكر الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم" (إش٥: ٢٠-٢٣).

إذاً فأين هي خمرة الشيطان المهلكة هذه من خمرة المسيح المخلّصة تلك؟ وأين مسكره من مسكر المسيح وفرحه من فرحه؟ بل حنكه من حنك المسيح وهو كأجود الخمر؟ بل قل أين حفلة هيرودس ورقصة هيروديا وخمر مشروبه وبالتالي قطع رأس يوحنّا المعمدان فوق طبق من عرس قانا الجليل وخمرة المسيح وصحو المدعوين بل وعرس الفداء وخمرة حبه وفدية حياته؟

فإلى عرس قانا الجليل يا عشاق الفرح المقدس الأصيل. وإلى خمر المسيح يا عطاش الحب الأزلي المجيد وإلى علية مريم أم مرقس حيث الكأس الجديدة والشراب الممزوج يا جميع عبّاد الكأس العتيقة بل إلى علية مريم أم يسوع حيث الخمر

السماوي بالصليب يُعصر وبالروح القدس يلتهب لأنها السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين.

١٠- أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه

نعم أنا لحبيبي المسيح بجسدي وروحي، في إنساني الخارجي والباطني، الظاهري والخفي بذهني وضميري، بإرادتي وحواسي، بعناصر نفسي وأفكار عقلي وعواطف قلبي. أجل أنا له بماضي وحاضري ومستقبلي القريب منه والبعيد، الزمني والأبدي. فأنا إذاً لست لذاتي المحدود الخاطئ، بل لحبيبي المسيح يسوع اللامحدود واللاخاطئ، ولست للشهوة القبيحة السلبية العاملة كشوكة في أحشائي وجسدي بل للشهوة الحبية المجيدة والإيجابية العاملة كفداء في أحشائي وجسدي. ولست أنا كذلك للعالم لكونه موضوع كله في الشرير وقد سقط منذ البدء بالعصيان. بل أنا لحبيبي القدوس وقد مات من أجل خلاص العالم ومنذ الأزل وقد وضع كله في القداسة. وبالتالي فأنا لست للشيطان وقد هبط من السماء نجماً تائهاً محفوظ له قتام الظلام إلى الأبد (يه١: ١٣). وكزهرة بنت الصبح قد هبط بعلة الكبرياء الذاتية إلى أسافل الجب (إش١٤: ١٢-١٤). وككروب منبسط ومظلل بسبب ارتفاع قلبه قد امتلأ جوفه ظلماً وطرح إلى الأرض بكثرة آثامه وظلم تجارته (حز٢٨: ١٤-١٨). بل إنما أنا للمسيح لكونه قد مات لأجل خطاياي وقام لأجل تبريري.

أنا لحبيبي المسيح لكونه لم يحبني وأنا غني بل وأنا فقير، لا لكوني قريباً بل لكوني أجنبياً وغريباً، لا لأنني ملك وأمير بل لأنني صعلوك وبعيد عن الملوك والأمراء، لا لكوني صالحاً بل لكوني خاطئاً وأثيماً، لا لكوني حياً بل لكوني ميتاً وكالعازر قد نَتنتُ، لا لكوني صديقاً ورفيقاً بل لكوني عدواً. وفوق كل ذلك لم تكن محبة

المسيح إليّ بلمسة إصبع فقط ولا بكلمة شفة فقط ولا بعطية زمنية فقط بل كانت محبته من نحوي صليباً فوق الخشبة دامياً وموتاً في أعماق الأرض مدفوناً. فهو في مسامير يديه ورجليه وسياط كتفيه وظهره قد افتدى يدي من الغش ورجلي من الانزلاق وكتفيّ وظهري من حمل الأثقال وفي طعنة قلبه قد افتدى قلبي من طعنة الشر وضربة الخطية وفي أشواك رأسه قد افتدى أفكاري من الباطل وعقلي من الجهل والخرافة وفي آلام نفسه قد افتدى من القلق نفسي ومن المخاوف روحي.

فكيف إذاً وهذا الفداء الإلهي العميق والعريض لا تصير له حياتي مُلكاً ويكون وجودي له خاصة أبدية؟ نعم سأكون له وليس لغيره بروحي ونفسي وجسدي كقول الرسول بولس "لأنكم قد اشتُريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو٧: ٢٠).

وهكذا فداني المسيح الحبيب فداء كاملاً. ليس فداء روحياً نفسياً فحسب بل وفداء جسدياً كذلك وليس فداء سماوياً مزمعاً فقط بل وأرضياً آنياً كذلك. ففدى روحي بالمحبة لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس وفدى جسدي بالقداسة لأن هذه هي إرادة الله قداستكم وفدى عقلي بالحكمة كقول الرسول بولس "كي يعطيكم اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفة مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة من نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته" (أف١: ١٦-١٩) وافتدى إرادتي الشريرة بإرادته الصالحة كقول الرسول بولس "الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً. الله الذي هو غني في الرحمة من أجل

محبته الكثيرة التي احبنا بها ونحن اموات بالخطايا احيانا المسيح (اف٢: ٣-٥). كما وُفدى ضمائرنا من سلطة الباطل بسلطة البر كقول الرسول بولس "أقول هذا واشهد في الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون، عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. أما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا إن كنتم قد سمعتموه كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (اف٤: ١٧-٢٤). لأن غاية الوصية الفدائية إنما هي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء (١تي١: ٦).

إذاً فكيف لا يكون المسيح حبيبي ووحيدي وهذا الزخم الكبير من المكتسبات الفُدائية السماوية من نحوي؟ كيف لا يكون حبيبي وإلي اشتياقه وقد تجسد من انسانيتي روحاً ونفساً وجسداً في العذراء والدته؟ كيف لا وفيه قد حلّ ملء اللاهوت جسديا (كو٢: ٩)؟

والآن فإن كان اللاهوت هكذا قد حلّ بملئه في جسم بشرية يسوع المسيح ذاك الذي قد أخذ من العذراء مريم أصلاً وفعلاً كقول الملاك جبرائيل "روح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥). أفلا يكون إذاً ملء اللاهوت هذا قد حلّ بالعذراء مريم بالبداهة؟ ما دام الكلمة قد صار جسداً وحلّ بيننا (يو١: ١٤). وما دام الله قد ظهر في الجسد (١تي٣: ١٦)،

عربوناً لحلول الروح القدس في الكنيسة في يوم الخمسين والتي هي جسده بالروح القدس (أع٢: ١-٤).

إذاً في هذه الوحدة العميقة وذياك التجسد الفدائي المطلق اشتاق المسيح إلى عذرائه وكنيسته ونفس بشريته فكان له ذلك في التجسد والفداء واقعا مطلقا أبديا. ولكن هل للكنيسة اليوم أن تقول كما قالت الكنيسة التي في القديسين "حبيبي لي وإلي اشتياقه"؟ فمن هو حبيبك الواقعي اليوم أيتها الكنيسة؟ المال؟ الجاه؟ السلطان؟ الجسد؟ الذات؟ العالم؟ أم المسيح؟ وما الذي يشتاق إليه المسيح اليوم فيك ويتحسسه؟ القداسة؟ المحبة؟ السلام؟ الإيمان؟ الرجاء؟ العبادة لله بالروح والحق؟ القناعة الذاتية؟ الوداعة النفسية؟ التوبة القلبية؟ الكرازة الإنجيلية؟ التضحية الفدائية؟ الاستنارة اللاهوتية؟ الاختبارات الروحية؟ أم افتقاد اليتامى والأرامل وزيارة المرضى والحوامل؟ إعالة الجياع والبؤساء وصب الزيت فوق الجراحات؟ أم الذي يشتاقه فيك اليوم هو مقارعاتك للبدع والهرطقات ومكافحات الزندقة والإلحاد؟ وإقامة إنجيل المسيح سلطاناً بين الجماعات وحَكَماً ما بين السياسات؟

ألا ارجعي إلى نفسك اليوم أيتها الكنيسة وخططي من جديد تخطيط العذراء والقديسين بل تخطيط إنجيل يسوع المسيح وإذّاك يكون لك الحبيب حبيبا وتكوني أنتِ له الحبيبة وإليك اشتياقه.

وأما أنت يا إنسان الله فاذكر قول الرب جيداً "من أحب أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً أكثر مني فلا يستحقني. ومن أحب نفسه يهلكها ومن أبغض نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يحييها" فيصير لك المسيح إذّاك حبيباً وإلى روحك يشتاق اشتياقاً.

١١- تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى

ما أجمل الساعات والأوقات الحلوة التي تقضيها الحبيبة الجنسية مع حبيبها في القرى والأرياف والتي تصرفها معه في الخلوات العميقة بعيدة عن نظرات الحسّاد وفضول سائر العشّاق. أجل هناك في قلب الحقول وفيما بين الكروم حيث الهدوء والسكينة ينفتح القلب على القلب وتنكشف الروح على الروح فينمو الحب نمواً سخياً وينفجر عن طاقات خلاّقة انفجاراً عنيفاً فيصير القلبان فيما بعد قلباً واحداً يخفق بحياة الحب والجنس خفقاناً حياً.

والآن فإن كان الأمر هكذا حيوياً في مجال الحب الجنسي .ترى كم يكون الأمر حيوياً في مجال الحب الروحي؟ وكيف تكون الساعات الحلوة والأوقات المجيدة التي تقضيها الكنيسة مع المسيح في الحقول وما بين الكروم بعيدة عن ضوضاء الناس ونقيق الضفادع؟ نعم هناك حيث الهدوء والسكينة والمناخات اللطيفة والطبيعة الصامتة الباسمة يختلي المسيح بحبيبته الكنيسة خلوة مجيدة وفي الحب عميقة مقدسة. فتستمع إلى نبضات قلبه ، نبضات الحب والحياة وتنظر وجهه كمن ينظر إلى وجه الحب والحياة وتصغي إلى كلماته كمن يصغي إلى كلمات الحب والحياة وفي شركة روحية عميقة كهذه وعلى أعلى مستوى لاشيء بين هذين الحبيبين سوى الحب والحياة.

إذاً في الحقول يترعرع الحب في قلب الكنيسة ترعرعاً. أولاً عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآناً بالسنبل. وبين الكروم تنضج عناقيده نضوجاً وتفيض بالعصارة وبخمرة الحب فيضاناً مباركاً. نعم هناك في قرى الجليل وسفوح بيت عنيا، في حقول السامرة وبساتين الزيتون والكروم، وفي جبال حطين وطابور والجلجثة ترى الكنيسة الحبيبة

في المسيح حبيبها ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وتحظى بما لم يخطر على بال إنسان. ترى الحب وقد تجسد وذبح من أجلها ذبحاً عظيماً بل وانتفض من أعماق الموت غالباً منتصراً. فكيف لا تخرج الحبيبة إذاً لملاقاة الحبيب هكذا في الحقول وتبيت معه في القرى و لكروم؟ بل كيف لا تخرج إليه من أورشليم وقد تصلبت ومن اليهودية وقد تقسّت ومن كفرناحوم وقد ارتفعت ومن سدوم وعموره وقد زنت؟

أجل هناك إلى الحقول حيث العمل والفلاحة لتخرج الكنيسة وهناك في القرى والريف حيث التعب والمشقة لتبت الحبيبة. كيف لا والمسيح كان دوماً يخرج بتلاميذه إلى الحقول والقرى حيث الزارع يزرع والحاصد يحصد وحيث يفرك التلاميذ السنابل ويأكلون؟ لذلك اخرجي اليوم أنت أيضاً أيتها الحبيبة من المدن الصاخبة حيث دخان القلق يخنق الأنفاس وروائح الموتى تقتل الأشخاص وأبخرة الخطيئة تخدّر الأجساد وسحب العالم تقبض الأجساد والأرواح مع الأنفاس. أم أنك اليوم يا ساكنة المدن لم تعودي تقدرين أن تخرجي من سدوم لأنها بالشهوات الجسدية مشتعلة ولا من عموره لأنها بالأطماع المادية مختنقة حيث قد ازدادت سمنتك فيها وثقل وزنك وتشحم كما في يوم الذبح قلبك وتصلّب بالكولسترول شريانك. فلم تعودي تندرين الهروب مع لوط من غضبة السماء وانسكابها ناراً وكبريتاً على الذين قد فجروا هكذا. بل اشتعالاً ستشتعلين مع من سيشتعل "لتكابدي عقاب نارٍ أبدية" (يه١-٧).

وأما أنت أيتها الحبية الأمينة، أيتها البقية الباقية، يا من انت كلوط بالنظر والسمع وأنت ساكنة بينهم تعذبين يوماً فيوماً نفسك البارة بالأفعال الأثيمة. (٢بط٢: ٧).

فاهربي معه باكراً جداً بحسب وعيد ملاكي العهدين القديم والجديد (المسيح) إلى القرى والحقول وبالجبال تحصّني تحصيناً. وإن كنت اليوم لا تعرفين الطريق "فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة" (نش١: ٨). فهناك في الحقول حيث العمل والجهاد، حيث الفلاحة والحصاد، حيث برودة الشتاء وحر الصيف، حيث المخاطر وهجمات اللصوص، بل حيث بساطة العيش وقناعة الحياة، يلبسك الرب لباساً أجمل من زنابق الحقل حتى أن سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها (مت٦: ٢٩). "ويطعمك خبزاً نابتاً ليس من الحقول الأرضية فحسب بل ونازلاً من الحقول السماوية كذلك" (يو٦: ١٢-٣٥).

إذاً ففي الحقول والقرى الروحية، حيث الأراضي البور والحقول المتروكة، والقرى المهجورة حيث العقارب، والحيات والوحوش الرديئة والذئاب الشرسة، بل حيث الأدغال والأشواك والزوان مع الغابات، تتعرف الكنيسة أكثر فأكثر إلى طبيعة المسيح المصلوب وطبيعة عمله الفدائي خارج أسوار أورشليم وحيث يأتي سمعان القيرواني من الحقل ليحمل معه الصليب.

هكذا أيضاً قد خرجت العذراء من مدينة أورشليم لتبيت في قرية بيت لحم وهناك في المذود حيث مواشي الحقول تضع ابنها القدوس فوضعت فيه خبزاً للحياة والنفوس. وإلا علام "قد اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء واختار الله أدنياء العالم والمزدرى بهم وغير الموجود ليبطل الموجود. أليس لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه" (١كو١: ٢٧-٢٩)؟ بل ولِمَ قد ولد في قرية بيت لحم وتربى هكذا في ناصرة الجليل الحقيرة؟ "حتى أنه دعي ناصرياً" (يو١: ٤٦). وقام بمعظم جولاته التبشيرية في القرى وقضى معظم صلاته وأوقاته للآب في الحقول والجبال وفيما بين

الكروم والزيتون؟ واختار أغلبية رسله من القرويين وصيادي السمك وفي الحقول راح يعلمهم أسرار ملكوته؟ بل وعلام خرج من أورشليم حاملاً صليبه ليموت في الحقول ويقوم في البساتين بل ويصعد إلى سماواته في قرية بيت عنيا وهو يبارك التلاميذ؟

حقاً إنها لنزعة أزلية في قلب المسيح إذ فيها ينزع للبساطة نزعاً ويجنح للوداعة طراً. ولا عجب في ذلك لأنه وديع أصلاً ومتواضع القلب أزلاً. وعظمته إنما هي في هذه الوداعة وسلطانه في ذيك التواضع. من أجل ذلك كان ولا يزال حبيباً للحبيبة ومرعباً مخيفاً للعدوة المتمردة. ولكن لماذا يا ترى قد جاءنا المسيح هكذا وديعاً بسيطاً يجنح إلى الودعاء البسطاء ويخرج إلى الحقول ويبيت في القرى؟ أكان ذلك منه حقداً على الأغنياء وتحريضاً على العظماء وثورة دموية على سكان المدن الأثرياء؟ حاشا، لأن المسيح قد جاء مخلّصاً حياً لجميع الناس فقراء كانوا أم أغنياء، سكان قرى أم سكان مدن، عاملين في المزارع والحقول كانوا أم عاملين في المصانع، بسطاء صيادين كانوا أم فلاسفة متعلمين. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦). وأن القرى الحرفية ليست دوماً أكثر بساطة من المدن وأعظم منها وداعة. بل إنما الأماكن التي يتجول فيها المسيح والحقول التي يعمل فيها المسيح والبيوت التي يبيت فيها المسيح هي الأكثر بساطة والأعمق نقاء والأسمى وداعة. إنه كم من قرية حرفية تعشّش فوق سطوحها اللقالق؟ وكم من حقول فيها توصوص بين شقوقها الفئران؟ بل وكم من مدن ترفرف في أجوائها حمائم الوداعة والسلام؟

إذن حيثما يكون روح المسيح بإنجيله فهناك يهب الأوكسجين نقياً في الحقول وتفوح روائح الحب بين الكروم وتشع أنوار الشمس في القلوب وتبيت القداسة في

النفوس بل وتتجسد الوداعة في الأفكار والعقول. "حقاً رجال نينوى سيقومون في يوم الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه لأنهم تابوا بكرازة يونان وههنا أعظم من يونان". ملكة التيمن ستقوم في يوم الدين وتحكم على هذا الجيل لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وههنا أعظم من سليمان.

وأما أنت يا كنيسة اليوم فاخرجي على آثار الغنم، آثار العذراء والقديسين البسطاء الودعاء إلى الحقول الإنجيلية والقرى الروحية فهناك ترين المسيح الحبيب وديعاً جداً وبسيطاً. نعم أيتها الكنيسة اخرجي فقط من أورشليم الصالبة وكفرناحوم المرتفعة وسدوم الزانية إلى مفارق الطرق والساحات وهناك في هاتيك الحقول احرثي القلوب بسكة الإنجيل عميقة وازرعيها بحبّات الحياة غزيرة واسقيها بمياه الروح القدس نميرة. لأنه في السامرة قد ابيضت الحقول للحصاد والنفوس لمخزن الحياة.

وأما أنت أيتها العائلة البشرية ليس المهم إن كنت عائلة قروية أم عائلة مدنية ولكن المهم حقاً أن يبيت المسيح لياليه فيك كما كان يبيت في بيت عنيا المتواضعة ومع النفوس البسيطة كاليعازر ومرتا ومريم.

فهل عائلتك أيها القارئ العزيز هي من هذا الطراز؟ أم أن الشياطين السبعة تبيت في مخدعك والأزواج الخمسة السامرية بين أسرّتك؟

١٢- لنبكرنّ إلى الكروم لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال هل نور الرمان.هنالك أعطيك حبي.

نعم هناك في القرى الهادئة حيث السكون الرهيب، هناك في الحقول المتواضعة حيث العمل الصامت العجيب، هناك في قرية بيت لحم حيث الحقل السماوي

تبيت العذراء ليلتها المجيدة مع المسيح الحبيب لأنها لم تجد لها موضعاً في المدينة المزدحمة الصاخبة.

أجل هناك وفي الحقل العذراوي ينبت المسيح متجسداً أولاً عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآناً في السنبل بل ويزهر كرم العذراء بعنقود الحب وهناك في الحقل حيث بكرت المريمات إلى القبر ليجدنَ الكرم قد أزهر والقعال قد تفتّح والرمان قد نوّر والحي قد أعطى للناس سلاماً وحياةً والمسيح قد قام من بين الأموات كقول الملاك لهن "أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه" (مر١٦: ٦).

كيف لا وفي البستان هناك حيث الكروم والرمان وأشجار الزيتون وفي وسط الحقول قد رأته المجدلية حبيباً حياً؟ وذلك لكونها قد خرجت من المدينة باكراً والظلام بعد باقٍ وهي تطلبه بين الأموات. فكيف صارت اليوم إذاً هاتيك القرية الأمينة زانية، وقد كانت ملآنة حقاً حيث المسيح كان يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون؟ كيف صارت فضتك زغلاً وخمرك مغشوشة بماء؟ رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم. (إش١: ٢١-٢٣). بل كيف صارت اليوم هاتيك الحقول الخضراء بالحب والحياة جحيماً والبستان المثمر بالقيامة خصاماً وعظام أموات؟ أليس لأن الأرض قد تدنست تحت دخلائها لكونهم تعدّوا الشرائع وغيروا الفريضة ونكثوا العهد الأبدي؟ لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها؟(اش٢٤: ٥-٦)

والآن فأين هي القرية التي ولد فيها المسيح الحق وأين هي الحقول التي نبت فيها سنبل الحياة والمجد؟ بل أين هو زهر الكروم وتفتح القعول ونور الرمان في البستان؟ بستان القيامة والكرامة والمجد؟ أليس الظالمون اليوم يعيثون فيه فساداً؟ والغاصبون يسكنون فيه دلالاً؟ وثعالب الكروم تتمشى فيه احتيالاً؟ وذئاب المساء للأبرياء تقتنص افتراساً؟ والخنازير تسحق البؤساء في حقولها شراسة وقساوة؟ والمستعمرون يعملون على بناء الهيكل الإسرائيلي زندقة وإلحاداً؟ هؤلاء "الذين يقولون للرائين لا تروا، وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات. كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل، اعزلوا من أمامنا قدوس القديسين" (اش٣٠: ١٠-١١). لذلك هكذا يقول القدوس المسيح وليد المذود والبستان ابن القرى وربيب الحقول "لأنكم رفضتم هذا القول وتوكلتم على الظلم والاعوجاج واستندتم عليهما لذلك يكون هذا الإثم كصدع منقض ناتئ في جدار مرتفع يأتي هدّه في لحظة. ويُكسر ككسر الخزافين مسحوقاً بلا شفقة حتى لا يوجد في مسحوقه شقفة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب" (اش٣٠: ١٢-١٤).

وأما أنتم يا أحباء الله وأخوة يسوع المسيح، يا أبناء الحقول وسكان القرى "فبالرجوع والسكون تخلصون وبالطمأنينة تكون قوتكم" (اش٣٠: ١٥). فإلى مذْود الرب في قرية بيت لحم وإلى قبره في البستان بكّروا يا جميع سكان القرى المتغطرسين وإلى الحقول الجميلة وهي تعج بالخدمات والطبيعة الساحرة وهي تبدع التأملات يا جميع كهنة البعل، كهنة آخاب وزوجته إيزابيل. "لأنه سيسكن في البرية الحق، والعدل في البستان يقيم. ويكون صنع العدل سلاماً وعمل العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد. ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة

وفي محلات أمينة. ويترل برد بهبوط الوعر وإلى الحضيض توضع المدينة. طوباكم أيها الزارعون على المياه المُسرحون أرجل الثور والحمار" (أش٣٢: ١٦-٢٠).

أجل يا ابنة المدن المترفهة ودليلة شمشون والقصور المسترخية وربيبة الأرستقراطية المتغطرسة فإلى قرية بيت لحم وشباك الصيادين وإلى أكواخ الفقراء وخيام البائسين وحقول الفلاحين حيث يولد المجد حقاً وتتجسد العظمة يقيناً وتستعلن الرحمة الإلهية للإنسانية أكيداً. نعم إلى كروم الرسل ورمان القديسين حيث عناقيد الحب تتدلى ورمان الجمال يتنور وعصارة الفداء والحياة تتفجر يا جميع الجياع إلى الحب والعطاش إلى الحب والحياة.

وأما أنت يا كفرناحوم المرتفعة بعظمة قلبها وانتفاخ عقلها وبطر جسدها إلى السماء. فإن لم تخرجي وتبكري إلى القرى والحقول وتَتَرَيَّضي للقضاء على سمنتك ودلالك وإن لم تدخلي كروم الرسل ورمان القديسين تمتصين فيها عصارة العنقود المصلوب وشراب الرمان المقصور فإنك بالذبحة القلبية ستنتحرين وإلى أعماق الهاوية هبوطاً ستهبطين.

وأما أنت يا مريم فقد اشترت لك المسيح نصيباً صالحاً فبكري إليه إلى الكروم وقد أزهرت وإلى بساتين الرمان وقد تنورت. وهناك افتحي له القلب وأعطيه الحب طيباً ذكياً لأن زمانك هو زمان الحب. وبساتينك كروم ورمان.

١٣- اللفاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبي

حقاً المسيح هو لفاح الحياة. وقد جاءت أوراقه الخضراء وكلماته المتساقطة من السماء إلى الأرض للأمم شفاءً وللشعوب خلاصاً. وصارت أزهاره المتفتحة في أواخر شتاء الألم والصايب للمسكونة رائحة ذكية وحياة للخليقة كلها. وباتت ثماره اللذيذة والمصفرة بصفرة الموت الفدائي الكفاري للذين في القبور والمصفرة وجوههم بصفرة الخطية والموت قيامة منيرة وحياة أبدية بيضاء، كقول الكتاب "وفي وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة وتعطي كل شهر ثمرها وورق الشجرة لشفاء الأمم" (رؤ٢٢: ١-٢).

إذاً المسيح حياة أزلية أبدية وعلى وجه الإطلاق. فهو كاللفاح حياة بأوراق تعاليمه وأزهار فدائه وثمار قيامته. لأن لفاحه لفاح سماوي وميلاده ميلاد عذراوي وموته موت كفاري وانتصاره على الموت بالقيامة انتصار إلهي.

والآن فإن كان المسيح هكذا لفاحاً للحياة ذكياً وكرمه للفداء حقيقة وتفاحاً للمحبة جميلاً وزيتونة للقداسة منيرة. أفلا تكون كنيسته المقدسة جنات بات المسيح يتوسطها توسطاً؟ أفلا يكون الاثنا عشر رسولاً الذين اختارهم الرب بأسمائهم الثمار اليانعة في هاتيك الشجرة الحية المغروسة في وسط الفردوس "لأن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس". أفلا يكون بالتالي جميع القديسين والمؤمنين الصغار منهم مع الكبار الثمار النفيسة والنابتة في هاتيك الشجرة المباركة واللفاح المجيد؟ وليس في ذلك فحسب بل الاثنا عشر رسولاً إنما هم تلك الأبواب اللؤلؤية للمدينة السماوية والتي عندها تختزن كل النفائس من جديدة وقديمة وعن طريق بواباتها هذه يدخل المدينة المقدسة جميع أبناء الحياة وبناتها. وهكذا قد كتب أيضاً

"والاثنا عشر باباً اثنتا عشرة لؤلؤة كل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة" (رؤ٢١: ٢١). "وأبوابها لن تغلق نهاراً لأن ليلاً لا يكون هناك ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً. إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف" (رؤ٢١: ٢٥-٢٧).

والآن "فإن كان الرسل والقديسون هم رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون، فهم بالنعمة كذلك رائحة اللفاح واللفاح هو المسيح بل هم ثماره وثمار شجرة الحياة المغروسة في وسط الفردوس. وإن كانوا للمدينة المقدسة أبواباً بلورية كذلك فكيف إذاً لا تختزن عندهم وفيهم كل النفائس من جديدة وعتيقة؟ بعدما باعوا كل شيء في العالم واشتروا هاتيك اللؤلؤة الكثيرة الثمن يسوع المسيح وصاروا بذلك تجاراً رابحين وللملكوته وارثين.

نعم وجوداً قد وجدوا ذياك الكتر المخفى في وسط الحقول ومن فرحهم باعوا كل ما في الدنيا وامتلكوه وبعدما استغنوا هكذا بغنى المسيح الذي لا يُحد ولا يُستقصى راحوا يُغنون العالم به غنى ويبشرون به تبشيراً. كيف لا وقد كان هؤلاء القوم السماويون أغنياء في الإيمان وملوكاً في الحب وأمراء متوّجين في الرجاء وأسياداً في عمل المعجزات الباهرات، ولسان حالهم يقول للمخلّع وفي شخص الرسوُل بطرس "ليس لي ذهب ولا فضة ولكن الذي لي فإياه أعطيك باسم يسوع الناصري قم وامشِ" (أع٣: ٦).

كيف لا وقد كانوا أغنياء في التعليم والكرازة والتبشير حتى إنه إلى كل الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم؟ (رو١٠: ١٨). حيث قد تَمت فيهم الكلمة المكتوبة "كل كاتب متعلم في ملكوت الله يشبه رجلاً يُخرج من كتره

جُدداً وعتقاً". وليس ذلك فحسب بل كانوا كذلك أغنياء في الجهاد أثرياء في العطاء، عمالقة في الاستشهاد ولسان حالهم يقول "إننا من أجلك نُمات اليوم كله قد حُسبنا كغنم للذبح. في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبّنا" (رو٨: ٣٦-٣٧). فكيف إذاً لا تجتمع عند هذه الأبواب الرسولية كل هذه النفائس من جديدة وقديمة؟

حقاً إنه لرصيد رسولي جبار قد خزنته لك الكنيسة الرسولية بالروح القدس أيها الحبيب بل حافظت علبه تراثاً مجيداً وتعليماً وتقليداً شريفاً أصيلاً وإنجيلاً للحياة مجيداً ونفائس في المخازن السبعة وعند الأبواب قديمة وجديدة. وستستمد الكنيسة الجامعة هذه التركة الرسولية وهي مثقلة بالأمجاد محملة بالنفائس جديدها وقديمها حتى يُستعلن المجد من السماء ثانية لما تهتز السماوات والأرض اهتزازاً ويُرفع الستار من على المجهول رفعاً وتلمع النفائس عند الأبواب لمعاناً بل وتفوح رائحة اللفاح في خياشيم الأحياء والموتى فوحاناً.

ألا إلى ذياك اللفاح المورق والمزهر أبداً والمثمر إطلاقاً أيتها الكنائس المزكومة وإلى شجرة الحياة المغروسة في وسط الفردوس (المسيح) والنابتة في الأرض اليابسة (مريم) والمحمّلة بثمار لحب والفداء يا جميع الجياع والعطاش الملهوفين. وإلى الأبواب الرسولية حيث النفائس الروحية السماوية الجديدة منها والقديمة يا جميع فقراء الأرض وخطاة الدنيا. بل إلى ذات المسيح يسوع اللفاح العذراوي والتفاح الحبي والباب الأساسي أيتها الكنائس التي قد خدّرت الخطية أحاسيسها ومرمرت ثمرة شجرة معرفة الخير والشر أحشاءها وأظلّت الأبواب الجسدية الرحبة والطرق

العالمية الواسعة مسيرتها ولاشت الكنوز الفانية والأصنام الذهبية عند أبواب الموت والهاوية غنى حياتها ووجودها.

فأين أنت اليوم أيتها الكنائس العالمية والمأجورة الحقول من ذياك اللفاح المبارك بأوراقه وأزهاره وثماره لفاح العذراء الطهور؟ بل أين أنت اليوم من هاتيك الأبواب الرسولية ومن نفائسها الجديدة والعتيقة؟ ومن عهدي كلمتها العتيقة منها والجديدة؟ أتستنشقين اليوم رائحة اللفاح القوية وكما هي في إنجيل المسيح؟ أم روائح الجسد الكريهة وكما هي في عالم ضد المسيح؟ أتتغذين اليوم يقيناً من أوراق شجرة الحياة وكما هي في كلمات إنجيل الخلاص؟ أم من الخرنوب طعام الخنازير وكما هي فاكهة الهلاك؟ أتتناولين اليوم ثمار شجرة الحياة المغروسة عند نهر الحياة الخارج كبلّور من عرش الله والخروف كثمار للروح القدس والتي هي "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف"؟ (غل٥: ٢٢). أم تتناولين اليوم ثمار شجرة معرفة الخير والشر عند نهر الموت الخارج من عرش إبليس والشيطان الذي يُظل العالم كلّه كأعمال للجسد والتي هي "زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزّب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر"؟ (غل٥: ١٩). أين هي اليوم واجهتك أيتها الكنيسة وأية طرق تسلكين وأبواب من تطرقين؟ أتتجهين نحو المدينة المقدسة التي لها الأساسات والتي صانعها وبارئها هو الله؟ وبذلك تسلكين الطريق الضيق المؤدي إلى الحياة وتطرقين الباب الذي عند عتباته كل النفائس الإلهية الجديدة والقديمة؟ أم تتجهين اليوم نحو مدينة الظلمة التي لها الأعماق والتي مبدعها هو الشيطان وتسلكين في سبيل ذلك الطريق الواسع المؤدي إلى الهلاك وتطرقين الأبواب التي عند عتباتها كل الأنفس الشيطانية الجديدة والقديمة؟ أتدخلين الأبواب الرسولية

الختانية منها والأممية تعلماً وسلوكية، كهنة وشعباً ليتم فيك الوعد القائل "افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة ذو الرأي الممكّن تحفظه سالماً سالماً"؟ (إش٢٦: ٢). وكذلك قوله "هلمّ يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك. اختبئي نحو لُحَيظة حتى يعبر الغضب. لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكشف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها فيما بعد"؟ (إش٢٦: ٢١). أم أنك اليوم كلصّة وسارقة تطلعين من موضع آخر وتدخلين أبواباً غريبة سلوكية وتعليماً، كهنة وشعباً لتتم فيكِ كلمة الرب القائلة "الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص"؟ (يو١٠: ١). بل ما هي اليوم هوية نفائسك عند أبوابك أيتها الكنائس؟ أهي الذهب الفاني أم الذهب الباقي؟ الذات المتعالي أم اللا ذات المتفاني والمتفادي؟ الإيمان النامي أم الالحاد المتهاوي؟ الاخوة الأصاغر أم الأغنياء الأكابر؟ الخطاة والعشارون التائبون أم الطغاة الفريسيون؟ القديسون المختارون أم الأشرار الظالمون؟

فإلى العذراء حيث اللفاح والتفاح، حيث الأبواب البلّورية والنفائس الأصيلة البراقة يا حواء القرن العشرين الجامحة. فما لك أنت يا حواء العصر وكنيسة الدهر وأشجار العوسج والوعر؟ بل ما لك اليوم مرة أخرى وشجرة معرفة الخير والشر وشجرة الذات؟ وحيث يلتف الذات حول الشجرة ثعباناً من جديد؟ وفي مدخل الأبواب يربض الأفعوان على الطريق؟

وأما أنت أيها القارئ العزيز فأين أنت الآن؟ أداخل الأبواب الرسولية حيث كنوز المسيح ونفائس قديسيه القدامى منهم والأحداث؟ أم خارج الأبواب الرسولية

والمدينة السماوية "حيث الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً" (رؤ٢٢: ١٥).

أفتحت القلب واسعاً للمسيح ليصيّره خزانة أسرارٍ ومستودع نفائس جديدة وعتيقة لكي تكون بذاك في ملكوت الله كاتباً ومتعلماً تخرج من كترك جدداً وعتقاء وكانسان صالح في المسيح تخرج من كتر قلبك الصالحات؟ أم أنك اليوم قد أقفلت القلب في وجه المسيح وفتحته للشيطان فصار بذلك مستودعاً للرذائل الجديدة والعتيقة لكي تكون بذلك في مملكة الظلمة كاتباً ومتعلماً تخرج من كتر قلبك الشرير كل الشرور؟

وأما أنت يا إنسان الله يا تلميذ يسوع المسيح فإلى سنبل الحياة في يوم السبت العتيق والجديد قطفاً وإلى لفاح العذراء المجيدة (يسوع المسيح) أكلاً "لأن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١: ٤).

الإصحاح الثامن

١- ليتك كأخ لي الراضع ثديي أمي فأجدك في الخارج وأقبلك ولا يخزونني

إنها أمنية الإنسانية الشريفة إذ فيها يصير الله مثلها إنساناً سوياً ما خلا الخطية. فتراه بعينها وتسمعه بإذنيها وتلمسه بيديها وتفهمه بعقليتها. الأمنية البشرية التي قد تحققت في المسيح يسوع كقول الرسول يوحنا "الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة"(١يو١ :١).

إنها أمنية الإنسانية الجديدة وهي أن يصير لها الله أخاً بالتجسد وشريكاً لها بالإنسانية، فيشاركها مستلزمات الطبيعة البشرية حتى أنه يرضع من ثديي أمها

ويصير لها بذلك محباً ألصق من أخ وهذا ما يعلنه الرسول بولس بقوله "فإذ اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويُعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤-١٥). وذلك لكيما يصير الله إنساناً ما خلا الخطيئة والإنسان متألهاً وابناً لله بالنعمة ما خلا اللاهوت. فيشترك الله إذّاك بالرضاعة الإنسانية كما هو مكتوب "طوبى للبطن الذي حملك والثديين الذين رضعتهما" ليشترك الإنسان بدوره بالرضاعة الإلهية كقول الرسول بولس "افتقر وهو غني لنستغني نحن بفقره". وقول الرسول بطرس "وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنمو به" (١بط٢:٢).

هذه هي أمنية العذراء الجديدة بل الإنسانية الجديدة والكنيسة المقدسة وفي شخص العذراء أمه حيث يحل الله فيها بالروح القدس حلولاً وأن يرضع من ثدييها لبناً ويتجسد في أحشائها حباً وقداسة. بل وإن تجده خارج مجالات الخطية العاملة في الطبيعة البشرية. وهي كذلك كعذراء جديدة وخليقة جديدة وإنسانية جديدة تجده إلهاً وقد صار إنساناً "لكون العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (إش٧: ١٤).

إنه حبل فوق الطبيعة البشرية وميلاد خارج العقلية الإنسانية كما تشهد العذراء بذلك قائلة "كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً"؟ أجابها الملاك قائلاً "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣١-٣٥). إذاً فهي قوة الله العاملة في الطبيعة البشرية والحكمة الإلهية النافذة في العقلية البشرية، بل المحبة الإلهية والقداسة وقد تجسدتا في

الإنسانية الجديدة طالما الله قد ظهر في الجسد وراح يرضع حليب أمنا الجديدة (العذراء) صائراً في ذلك لنا أخاً.

ولكن إن كانت أمنية العذراء وحواء الجديدة هكذا أن يتجسد الله فيها لتتأله فيه وأن يرضع منها العواطف البشرية لترضع منه العواطف الإلهية وأن يولد الله فيها لتولد هي الأخرى فيه، فحواء القديمة، حواء الخطية هي على النقيض تريد وبوحي من الشيطان إلغاء التجسد هذا والفداء، ليبقى الإنسان في عزلة رهيبة عن الله فظيعة وذلك إبقاءً على سلطان الشيطان في مملكة الناس لهلاكهم.

لذلك لكيما يعي الإنسان ويتحسس ظهور الله فيه بالروح القدس وفي قاعدة العذراء، عليه أن يتخطى المنطقة الطبيعية ويعبر خط المألوف إلى خط الإيمان ومنطقة الروح القدس، لكون الخط الطبيعي بسبب تحكم الخطية فيه قد أصيب بقصر البصر بل بالعمى ولم يعد يرى الأبعاد الروحية والحقائق السماوية كما هي في تجسد الرب في الإنسان وفدائه من أجله. لذلك يقول الرسول بولس "ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه".

فماذا إذن الآن؟ أتحسب ولادة المسيح من عذراء أمراً طبيعياً؟ كلا البتة، بل أمراً غير طبيعي وسماوي. فعلام يحسب إذن ظهور الله في الإنسان هكذا أمراً غير مصدق؟ لأنه إن كانت الحبيبة الجسدية تشتاق لرؤية حبيبها ولكنها لعلة ما تعجز عن الوصول إليه، أفلا يبادرها الحبيب بالمجيء مسرعاً لتراه وتتبادل معه عواطف الحب تبادلاً؟ فلِمَ يعد إذن أمر مستحيل أن الله بادر بالمجيء إلى حبيبته بالتجسد بعدما عجزت عن رؤيته والوصول إليه بعلة الخطية والفساد؟

والآن من الذي يتبادر إلى الحب أولاً؟ أليس الأكثر حباً والأعمق عاطفة والأسمى عقلية والأحكم شخصية؟ إذن الله الذي هو غني في الرحمة هو الذي بادرنا نحن البشر بالحب بواسطة التجسد والفداء كقول الرسول يوحنا "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو: ١٦).

فإلهنا لم يعد إلهاً مجهولاً منصوباً في هيكل آريوس باغوس، هيكل الفلاسفة. بل إلهاً معلوماً ومتجسداً في هيكل العذراء والإنسانية، هيكل الإيمان والروح القدس. فكيف نستطيع نحن أن نفهم حقيقة التجسد وظهور الله في الإنسان ونحن لا نزال نتعبد للتماثيل الذهبية والفضية والحديدية والآلهة المجهولة في معبد آريوس باغوس؟ (أع١٧: ٢٣). بل كيف نستطيع أن نتقبل هذا الحق والذي قد هبط علينا من السماء في العذراء نصيراً للإنسان ومخلّصاً، والفلسفة الإلحادية المجردة لا تزال تؤلّه نفسها في ذات المعبد وهي تشبع شهواتها المنحرفة بين هاتيك التماثيل، تماثيل الفلسفة والإلحاد (أع١٧: ١٨)، وبين أقوام الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين؟ من أجل ذلك حق للرسول بولس أن يحذّرنا من مغبة هاتيك التماثيل الفلسفية بقوله "انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو٢: ٨-٩).

فالذين يفهمون حقيقة لاهوت المسيح وتجسده في العذراء هم الذين يخرجون عن حدود ذواتهم الجسدية وأفكارهم الشريرة وفلسفاتهم الباطلة ومعابد أصنامهم الذهبية والبشرية "فيخرجون خارج المحلّة حاملين عارهُ (بل مجده). لأن ليس لنا هنا

مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة" (عب١٣: ١٣-١٤). ويتوجب على الإنسانية لكي تتفهم التجسد الإلهي، أن تخرج من مدينة الفلسفة ومعبد تماثيلها وآلهتها المجهولة. ولكي تتفهم الفداء عليها كذلك أن تخرج من محلة أورشليم الحرفية والمدينة الناموسية الفريسية والبلدة الصدوقية الملحدة والمحلة القومية العنصرية إلى المسيح وهي حاملة عاره، عار الصليب.

هناك خارج هاتيك الأسوار الفلسفية العالية والديانات الفريسية المتزمتة والقوميات الطائفية المتعنصرة والآلهة البشرية المتحكمة، ترى الإنسانية الجديدة وفي التجسد العذراوي الإله المتجسد المصلوب يسوع المسيح ربنا وقد صار من أجلها مولوداً قدوساً وطفلاً رضيعاً ومحباً ألصق من أخ محبوباً ومخلصاً إلى التمام عزيزاً. فتقبّله إذّاك قبلة المحبة والإيمان كما قد قبّلها هو أولاً قبلة التجسد والفداء لكي لا تخزى فيما بعد بكثرة خطاياه ولا تشمت بها شياطينها وبقبلاتهم الغاشّة كالاسخريوطي يخزونها، لكونها بالتجسد والفداء قد تابت كالمجدلية عن خطاياها وشياطينها السبعة وبالفم والشفتين راحت تقبل أقدام الحبيب الأمين تقبيلاً وتمسحها بشعر رأسها مسحاً ملتهباً.

لقد قبّل الله الإنسانية في شخص العذراء قبلة المحبة والمصالحة وذلك بالتجسد والفداء. والكنيسة المقدسة هي الأخرى قد قبّلته هكذا بالتوبة عن الخطية والإيمان وحرارة الروح القدس ومن ثم راحت تبشر الخليقة كلها بهذه القبلة وتقول "قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق" (مز٢: ١٢).

ولكن هل الكنيسة اليوم هي على مستوى هذه القبلة التجسدية الفدائية؟ أم أنها راحت تقبل العالم الشرير تقبيلاً والجسد الفاسد قوياً؟ هل حافظت الكنيسة اليوم

على عهد أخوّتها للمسيح بالمعمودية وبنوّتها لله الآب بالإيمان ورضاعتها للتعليم الإنجيلي النقي بالروح القدس؟ أم أنها قد مزقت تلك العهود وكسرت هاتيك المواثيق بأعمال الجسد السبعة عشر" (غل٥: ١٩-٢١) وأرواح العالم النجسة الثلاثة"؟ (١يو٢: ١٦) وأعمال الظلمة الشيطانية العميقة؟ (رؤ٢: ٢٤)، (اف٥: ١١).

ما هو نوع قبلتك للمسيح أيتها الكنيسة؟ أهي قبلة المحبة المقدسة؟ أم قبلة المحبة النجسة؟ أهي قبلة الإيمان، أم قبلة الإلحاد؟ أهي قبلة الاتحاد والثبات أم قبلة الانفصال والارتداد؟ أهي قبلة يوحنا الحبيب أم قبلة الاسخريوطي البليد؟ ألا كفاك أيتها الكنيسة في الكورة البعيدة إقامة وللخنازير معاشرة وللأصحاب الآخرين تقبيلاً وشركة. فاخرجي من هناك وارجعي إلى بيت أبيك وإلى المسيح أخيك الراضع بالتجسد ثديي أمك وذبّلي الابن فلا تخزين لأنه بالعجل المعلوف يشبع جوعك وبخاتم الميراث والبنوة والسلطان يزين إصبعك وبالحلة الأولى حلة البر يستر عورتك وبالحذاء الجديد والسير الطاهرة ينعّل قدميك فتتكرمين وبالقبلات تتمجدين فلا تخزين. فهل أنت في هذا المستوى الروحي المجيد يا نفسي ويا وحيدة حياتي؟

٢- وأقودك وادخل بك بيت أمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني

تُرى ما هو بيت الأم الذي تدخل الحبيبة بالمسيح الحبيب إليه؟ بعدما رفضه العالم الشرير الحاضر وأخرجه من مدينته المظلمة خارج المحلة والأسوار؟ أليس البيت الجديد هذا هو كنيسة الله؟ والتي هي عمود الحق وقاعدته كقول الرسول بولس "ولكن إن كنت أبطئ فلكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو

كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته" (١تي٣: ١٥). هذه الكنيسة التي خرجت وراءه من مدينة أورشليم الباغية والتي تبعته مع المريمات ويوحنا إلى الموت، موتا بالصليب وهي تعاين آلامه وتنظر دماءه وتتسمر حبه؟ والتي مع المجدلية والرسل تتمتع بمناظر قيامته وتجس مع توما آثار جراحاته؟ ومع الرسل السبعة عند بحيرة طبرية تأكل بمعيته؟ (يو٢: ٢-١٣). ومع الأحد عشر تحيا بنفخته من بعد قيامته. (يو٢٠: ٢٢).

إنها تلك الكنيسة التي قد اكتوت في العلية بجمرات حبه وتدفأت بنيران فدائه وتقدست بطاقات روحه واستنارت بألسنة حكمته فخرجت بالتالي إلى الخليقة كلها لتشهد لله وقد تجسد وللكلمة الأزلية يسوع المسيح فوق العود وقد رُفع ومن باطن الأرض قد قام وانتصر. وذلك بالفم واللسان الناري تارة وبالقلم الماهر تارة أخرى. بالشهادة مرة وبالاستشهاد مرة أخرى. وإن كانت مدينة الظلمة قد رفضت هكذا المسيح باطلا، فمدينة النور والتي هي مدينة القديسين وكنيسة المختارين قبلته هكذا بالجسد والفداء حقا.

وإن كانت حواء القديمة والطبيعة العتيقة الفاسدة بحسب شهوات الغرور لا تزال تقصيه خارج أسوار أورشليم فحواء الجديدة (العذراء) والطبيعة الجديدة (الكنيسة) وبحسب قداسة الحق لا تزال تجسده في ذاتها داخل أسوارها وأفكار قلوبها قدوسا. وفي أعماقها مصلوبا ممجداً. تلك أي حواء العتيقة ترفض المسيح وفوق الخشبة ترفعه مسمراً مصلوباً لأنها والمسيح على طرفي نقيض طبعاً وجوهراً وهدفاً. وأما الكنيسة المقدسة فتقبله وتأتي به إلى بيت أمها، إلى أحشاء عذرائها، إلى قلب قديسيها وفوق عروش أبنائها ونفوس بناتها وذلك لكونها والمسيح وبدالة التجسد

والفداء شيء واحد وطبع واحد وجوهر واحد وهدف واحد. تلك طبيعتها خطية وجوهرها إثم وهدفها الشيطان جهنم وملك. وأما هذه الكنيسة فطبيعتها قداسة وجوهرها حق وهدفها للمسيح ملكوت وسلطان ومُلك. فمن أجل ذاك ترفضه مدينة لتقبله أخرى وتصده طبيعة لتمجده أخرى وتقصيه حواء لتجسده أخرى.

حقاً في هاتيك الجامعة الإلهية العذراوية قد تعلمت الكنيسة بالروح القدس ولا تزال تتعلم أسرار ملكوت الله. فكان من أساتذتها رسلاً ومن خريجيها قديسين ومن تلامذتها لاهوتيين مقتدرين وكتّاباً ماهرين ووعّاظاً ملتهبين ناريين وشهداء بالدماء والحياة متحدّين. وسيبقى المسيح هكذا الأستاذ المطلق الذي يعلن أسراره التجسدية العذراوية ويلقي محاضرات إنجيله من على هاتيك المنصة العذراوية ليس للكنيسة فحسب بل وللعالم أجمع. بل وستبقى هذه البشارة العذراوية القائلة "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥) علة لسقوط وقيام كثيرين لا في إسرائيل فقط بل وفي الأمم كذلك. ستبقى علة لسقوط وموت حواء الأولى وقيام وحياة حواء الثانية، علة لسقوط الكنيسة اليهودية وقيام الكنيسة المسيحية، علة لسقوط الكنيسة المسيحية الجسدية العالمية وقيام الكنيسة المسيحية الروحية السماوية.

"أما أنت يا دانيال فاذهب لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية. كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون. أما الأشرار فيفعلون شراً ولا يفهم أحد الأشرار لكن الفاهمون يفهمون" (دا١٢: ٩-١٠).

والآن، فإن كانت حقائق التجسد والفداء مخفية هكذا عن الحكماء ومختومة عن الأشرار السفهاء، فمن هم إذن الذين يتطهرون بها ويبيضون ويُمحّصون؟ "أليس

هؤلاء الفاهمون المضيئون كضياء الجلد والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور"؟ (دا١٢: ٣). أليس هم خريجو هاتيك الجامعة العذراوية وهم يتلقون دروس الحياة، دروس التجسد والفداء عند أقدام الإله المتجسد المصلوب يسوع المسيح؟ ومن هم هؤلاء الذين يتطهرون ويبيضّون ويُمحّصون؟ أليس الذين قد غسلوا ثيابهم وبيّضوا حياتهم بدم الخروف المذبوح"؟ (رؤ٧: ١٤). ولكن من هم الذين لا يفهمون السفر المختوم، سفر التجسد والفداء، ليتطهروا ويتبيّضوا ويتمحّصوا؟ أليس هم الذين يتلقون دروس الشر والخطية لدى الشيطان؟ وقد أبوا الانخراط في لذة يسوع المسيح وأحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. ولم يأتوا إلى النور لئلا تُوبّخ أعمالهم"؟ (يو٣: ١٩-٢٠).

غير أن المسيح وكأستاذ ومعلم للحياة مطلق لا يزال يتناول السفر ويقرأه تارة في الكنيسة وهو يقرأ "روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي منكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو٤: ١٨-١٩) وتارة يقول في أروقتها "إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد أبي. أنا والآب واحد" (يو١٠: ٢٥-٣٠). وتارة أخرى يعلم في هياكلها قائلاً "أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم. أما أنا فلست من هذا العالم. الذي من الله يسمع كلام الله لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله. أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح لأني الحق أقول لكم قبل أن يكون

إبراهيم أنا كائن" (يو٨: ٢٣-٥٨) وتارة يعلم في سفينتها من البحر بأمثال قائلاً "قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله وأما للباقين فبالأمثال حتى أنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون" (لو٨: ١٠) وتارة أخرى من على الجبل "حيث رأى الجموع صعد إلى الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم" (متى ٥: ١٢) وتارة أخرى كان يعلّم في البيوت "إذ دخل كفرناحوم أيضاً بعد أيام فسمع أنه في بيت وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا حول الباب فكان يخاطبهم بالكلمة" (مر٢: ١-٢). وهكذا لا يزال هذا الأستاذ السماوي المسيح يعلم الكنيسة والعالم ما لم يعلمه أستاذ آخر وكمن له سلطان وليس كالكتبة والأساتذة.

ولكن ما هي الحقائق الخطيرة التي تعلمني الكنيسة إياها بعدما تدخلني إلى بيت أمي العذراء؟ ونحن نعلم أن الكنيسة والعذراء هما مجمع واحد يتوسطه المسيح ورواق واحد يتمشى به المسيح وهيكل واحد يتقدس به المسيح وجبل واحد يتسامى به المسيح وعرش واحد يتمجد به المسيح وجامعة واحدة يعلم بها المسيح؟ فالكنيسة إن هي إلا امتداد لواقع التجسد والفداء والحاصل في مجال العذراء أولاً وهيأة اختصاصية روحية مهمتها الكشف عن الأسرار الإلهية التي قد أودعها الله في هذه الخزانة العذراوية من تجسد وفداء.

والآن فإن كانت العذراء في ذاتها مركبة إلهية وبشارة إنجيلية مربعة الجوانب والأوجه كما هو الإنجيل في متى، مرقس، لوقا، ويوحنا. فتكون الكنيسة إذّاك تفجيرا رسوليا لذيّاك الإنجيل وتفصيلاً دقيقاً لهاتيك المركبة. وخلاصة ما نتعلمه من هذه وتلك هو هذا "عظيم هو سرّ التقوى الله ظهر في الجسد وتبرر في الروح

تراءى لملائكة كُرز به بين الأمم أُومن به في العالم رُفِع في المجد" (١تي٣: ١٦).
حتى إذا ما اتحدّتُ هكذا! مع الله بابنه يسوع المسيح بالمحبة والإيمان يُقدِّس جسدي بطاقة تجسّده، ويُبرِّر روحي بروح فدائه ويتراءى لملائكة ضميري وذهني وشعوري ويُرفع في عقلي وقلبي الحب ملكاً وللبر سلطاناً ويصير لي بذلك حياة ووجوداً. حينئذ وحينئذ فقط أستطيع أن أسقيه كحبيب من الخمر الممزوجة ومن سلاف رماني. أجل أسقيه من عصارة قلبي وسلاف عقلي فأقدمه لحبيبي خمرة ممزوجة بالدموع، ودموعا بعصارات القلب وعواطف النفس مختمرة. فكيف لا يطالبنا المسيح الحبيب بالقلب ذبيحة وبعصارات الروح خمراً ممزوجة وبالعقل سلافا رمانا وهو الذي قد أعطانا فوق الصليب حيث المعصرة بالحب، القلب والعقل والروح ذبيحة وقربانا؟ بل وكيف يرتوي الحبيب الأمين ما لم يسكر هكذا بمحبة حبيبته ويشرب خمرها الممزوجة وسلاف رمانها؟ وعصارات قلبها وأحشائها؟

حقاً المسيح الحبيب عطشان وعطشه فوق الصليب عطش مذيب لا يرويه سوى توبة خاطئ، وأمانة حبيب، وثبات قديس، وجهاد شهيد، وشبع جائع، وكساء عريان، وضماد جريح، وتواضع متجبر، ورحمة غني وصبر مجرّب. لذلك لم يعد يعطش الرب إلى محرقات كباش وشحم مسمّنات ودم تيوس ولا حتى إلى تبييض قبور وتنظيف كؤوس بممارسة طقوس بقدر ما يعطش إلى تواضع قلوب وانحناء أرواح وانكسار نفوس. أجل المسيح لا يزال متعطشا إلى حب في القلوب وإيمان في النفوس ورجاء في الأرواح واستنارة في العقول وقداسة في الأجساد. هذا هو الخمر الممزوج والسلاف، الذي نستقي به المسيح الجريح فوق الصليب، ونخفف عن عطشه إلى الحق وخلاص الإنسان فيه كحق. "لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو٤: ٢٤). وهكذا سيبقى المسيح جالسا عند

البئر يقول للسامرية والنفس الخاطئة أعطني لأشرب. وستبقى الإنسانية المعذبة هي الأخرى تقول للمسيح "أعطني من هذا الماء الحي لكي لا آتي إلى ههنا وأستقي ولكي لا أعطش" كما فعلت السامرية (يو٧:٤-١٥). غير أن المسيح لا يعطي الإنسانية السامرية إلا ماءً حياً وصلاحاً أبدياً ليروي عطشها بالحق وقلبها بالحب وعقلها بالنور وضميرها بالبر "لأن من كنز قلبه الصالح لا يخرج إلا الصالحات" أما البشرية السامرية ذات الأزواج الخمسة والسبعة، فهي لا تسقي المسيح الحبيب إلا مرارة خطاياها وخل آثامها فتزيده عطشاً فوق عطش "لأن القلب الشرير من كنز قلبه الشرير لا يخرج إلا الشرور".

ولكن العذراء الطاهرة والكنيسة المقدسة والإنسانية المتجردة هي التي بالحق تسقي المسيح من خمر حبها وسلاف برّها وعصير عواطفها فتخفف بذلك من حدة عطشه وعمق آلام صليبه. وهكذا قد أدخلت العذراء مريم ملك الملوك في قلبها وأحشائها بالتجسد الحرفي والروحي فصارت له للطيب قارورة وللفرح خمرة وسلاف رمان. وهكذا أدخلت كنيسة القديسين يسوع المسيح في قلبها وأحشائها كذلك وجسّدته في كيانها تجسيداً روحياً فصارت له هي الأخرى زقاً من الخمر جديداً وقارورة من سلاف الرمان طيباً.

وأما أنت أيتها الكنيسة السامرية، إن لم تكسري قارورة الطيب كالمجدلية مع قارورة القلب وتسكبيها دماً ودمعاً على أقدام الناصري المصلوب فطلاقاً أبدياً ستطلقين وهلاكاً سريعاً ستهلكين.

وأما أنت يا نفسي فادخلي برفقة المسيح ذياك البيت الرسولي القديم وافتحي فيه هاتيك الخزانة العذراوية المجيدة وهناك تتعلمين ما لم يعلمه الكتبة والفريسيون

والفلاسفة الأبيقوريون والساسة الدوليون. إنك تتعلمين الحياة في المسيح والمسيح في الحياة لأن كل كاتب متعلم في مملكة الله يشبه رجلاً يخرج من كنزه جدداً وعتقاء. حينئذ تعرفين كيف تسقين الحبيب خمرة الحب الممزوجة وسلاف الرمان. رمان العاشقين. فهل تدخلين الآن يا نفسي بيت الحبيب لتحيين بالحب وتسكرين بالخمر؟

٣- شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني

٤- أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء

ما أطيب الحبيبة قلباً وهي تطوّق بذراعي الحبيب تطويقاً وما أبهجها نفساً وهي تُحتضَن من قبل الحبيب احتضاناً وما أسعدها حظاً وهي تُحصَر هكذا بمحبة المسيح حصراً وما أرفعها مقاماً وهي تزرع هكذا فوق صدر الحبيب المصلوب زرعاً. بل وفي قلبه وأحشائه تطبع بالروح القدس طبعاً ولسان حالها يقول "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني" وذلك لتنبع ودّاً وترتوي حباً في المسيح المصلوب مقدساً.

في هذا المكان بل في ذياك المحراب حيث مذبح الحب والفداء بجمراته الملتهبة وبخوره المعطرة وحرارته المتدفئة تنسى الحبيبة نفسها نسياناً وتهجر عالمها القديم الناشف هجراً وتتخلى عن أهلها ومحبيها تخلياً بل وفي شخص حبيبها الأوحد تذوب ذوباناً. وذلك لكونها أمست لسلطان الحب القاهر أسيرة، بل وفوق قلب الحبيب المسيح جلست أميرة متوّجة. وهكذا راحت تذوب بفاعلية الحب وغليانه وحركته ذوباناً كما تذوب قطعة السكر في ماء راح يغلي غلياناً وذلك لتعطي الحب معناه الأصيل الصحيح وطعمه الحلو اللذيذ، لأنه حيث لا ذوبان ولا امتصاص لا معنى للحب أصلاً ولا فحوى للحياة إطلاقاً. لأن الحب هو الحياة

والحياة هي الحب. وكما في المسيح يسوع، ففي هاتيك الأحضان وحيث الطمأنينة والسلام، حيث الوفاء والإخلاص، حيث البر والصلاح، حيث الحب والحياة ترتمي الحبيبة ارتماءً عميقاً، فتحيا والحبيب وكأنهما عالم مستقل هو عالم آدم وحواء وفردوسهما، فردوس الحب والحياة. حقاً إنها لغة الحب التي لا يفهمها سوى المحبين أنفسهم.

والآن فإن كان هذا شأن المحبين البشريين والحب فيهم هو الأدنى لضعفه وحيوانيته وشيخوخته وموته. ترى كيف سيكون شأن المحبين روحياً والحب فيهم هو الأعلى لقوته وروحانيته وحيويته؟ وإن كان الحبيب الجنسي يطوق حبيبته هكذا بشماله ويمينه لكونه قد أحبها بمحبة جنسية. فكيف لا يطوق الحبيب الإلهي يسوع المسيح حبيبته من باب أولى بشماله ويمينه وقد أحبها منذ الأزل محبة إلهية فدائية؟ بل أين هو الحب الجنسي الطبيعي من الحب الروحي الإلهي؟ وأين طاقة هذا من طاقة ذاك؟ فالحب الجنسي طاقته طاقة طبيعية محدودة لأنها تنفذ بالضعف وتنطفئ بالشيخوخة وتنحل أذرعها بالموت إذ فيه تجد الحبيبة نفسها وقد انفلتت من مركزية الحب وخرجت عن أذرعه وباتت وحيدة تهيم في جفاف على وجهها في القفار وفراغ وبؤس في القلب وشقاء. حقاً في ذياك القلب المترمّل عن الحب يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً، لأنه لم يعد في القلب حب ولا في الدماء حياة ولا في السراج زيت ولا في الأحضان حبيب. وأما الحب الروحي وكما هو في المسيح يسوع فطاقته روحية غير محدودة. فالحب فيه لا ينطفئ في الشيخوخة بل يتجدد والأذرع فيه لا تحل بالموت بل تقوم وتحيا. لذلك لا ترمل في هذا الحب ولا تيهان. لا فراغ فيه ولا بؤس. لا ليل مرعب فيه ولا شتاء قارس. بل نهار مشرق مشمس وربيع دافئ

منعش وملء من روح الحبيب الحي فائض. وذلك لأن الحبيب هذا ليس كغيره من الأحباء الذين قد ماتوا وماتت معهم أذرعهم وترملت من بعدهم عرائسهم.

لكن الحبيب هذا بعدما ذاق ألم الموت من أجل الحبيبة والكنيسة المقدسة قام في اليوم الثالث وهو يطوق حبيبته بأذرع أبدية حية لأن حبه ليس حبا طبيعيا بل روحياً. لا جنسياً بل إلهياً. من أجل ذلك لا ترمل فيه ولا تسيب. بل استمرارية وتطويق في الحب والحبيب مترهب. ولا غرابة في ذلك لان حبيب الإنسان ليس إنساناً محضاً بل إلهاً قد صار لأجل الإنسان إنساناً. وهكذا قد أحب الله الإنسان الخاطئ وهو في مطلق قداسته بينما الإنسان في مطلق نجاسته وضعفه وموته كقول الرسول بولس "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت. ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥ :٦—١٠). فمن أجل واقعية الحب هذا وكما هو في جوهر الله وطبيعته كان الله للإنسان حبيباً أزلياً وفي ملء الزمان صار له في العذراء مطوقاً ومعانقاً وعلى الصليب بيمينه وشماله محتضناً. كيف لا وقد طوق الله إنسانه هذا وفي شخص العذراء بشمال لاهوته ويمين ناسوته؟ وعانقه هكذا بصليب لاهوته ولاهوت صليبه؟

والآن فإن كان الله قد طوق الإنسان هكذا بالتجسد والفداء، باللاهوت والناسوت. فالإنسان كذلك وفي شخص العذراء قد طوق الله هو الآخر بروح جسده وجسد روحه، بشمال روحه ويمين جسده. كيف لا والعذراء قد صارت

نقطة التقاء بين الله والإنسان؟ وقاعدة اتحاد بين الإنسان والله؟ حتى أن الكلمة صار جسداً وحل بيننا، وبأن اللاهوت الإلهي قد طوق الناسوت الإنساني تطويقاً أبدياً مطلقاً وذلك ليس في الميلاد والعماد فحسب. بل وفي الصليب والموت كذلك، ليس في القيامة والصعود فقط بل وفي المجيء الثاني والدينونة كذلك. حقاً السماء والأرض تزولان وتطويق اللاهوت للناسوت، واتحاد الله بالإنسان وكما هو في التجسد العذرواي لا يزول. أليس كذلك يا صالبي وعابدي رب المجد على السواء؟

وإن كان الله بالتجسد قد صار إنساناً، فالإنسان بذات التجسد وفي شخص العذراء قد صار متألهاً. وهكذا قد صار الله يعانق البشرية لا بشمال لاهوته فحسب بل وفي يمين ناسوته كذلك. لا بشمال تجسده فقط بل بيمين فدائه كذلك. لا بشمال موته فحسب بل بيمين قيامته كذلك. لا بشمال صعوده فقط بل بيمين ملكه وسلطانه كذلك. وهكذا قد جاء التطويق الإلهي للإنسانية تطويقاً ابدياً. فبات من الطبيعي إذاً أن ترتمي الإنسانية الجديدة والكنيسة المقدسة والعذراء المباركة فوق ذياك الصدر اللاهوتي، حيث اتكأ الرسول يوحنا وقت العشاء كما ارتمى هو بدافع حبه فوق، صدرها الإنساني.

بين هاتيك الأذرع التي امتدت فوق الصليب وهي مسمّرة بمحبة الصليب ارتمت العذراء مريم فارتمت فيها الكنيسة برمتها والإنسانية الجديدة بأسرها فوجدت بذلك ضالتها في الحب والحياة فغطست فيه غطساً عميقاً وذابت في حبه ذوباناً كلياً. وفي غطستها هذه قامت لان الغطسة هي غطسة حب. وفي ذوبانها به قد وُجدت لانه ذوبان حياة في الحياة. وحيث لا غطس ولا ذوبان في المسيح الحبيب لا حب ولا حياة كذلك. بل جمود وتيبس وفي الأنانية عزلة موحشة وموت مرعب.

وإن كان موت المسيح واضطجاعه فوق الصليب أمسى حياة للحبيبة لكونه موت حبيب عن حبيبة. أفلا تكون قيامته لها حياة بحياة؟ وطاقة فوق طاقة؟ ونعمة فوق نعمة؟ "حقاً الناموس بموسى أُعطي وأما النعمة والحق فبيسوع صارا. ومن ملئه نحن جميعاً قد أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو١ :١٦-١٧). لانه إن كان سبات آدم علة لولادة حواء حتى انه قال "هذه الآن لحم من لحمي وعظم من عظامي هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت"، فكيف لا يكون بالحري سبات المسيح وموته فوق الصليب علة لولادة الكنيسة امرأة الخروف المذبوح؟ بل لحم من لحمه وعظم من عظامه؟ (اف٥ :٢٩). وكيف لا يطوق المسيح كنيسته هكذا وهي قد باتت له بالتجسد والفداء لحماً وعظماً ودماءً وأعصاباً؟

اجل انه يطوقها بل قد طوقها بطاقة الحب الأزلي الحي تطويقاً أبدياً. كيف لا يطوق المسيح كنيسته بعذراءه الجديدة هكذا وهي صورة مجده ورسم جوهره وقاعدة تجسده ورسم بمقام فدائه؟ بل صورة حبه ومثال قداسته وشبه ثالوثه وتجسد فدائه؟ كيف لا والصورة التي قد خلق عليها الإنسان أصلاً إنما هي صورة البر والقداسة، صورة التجسد والفداء، صورة الثالوث الأقدس عقلاً وكلمة وحياة؟ فكيف إذاً لا ينجذب الله إلى صورته في الإنسان هكذا وبالتجسد يطوقها وبالصليب يحتضنها؟

حقاً "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل٤ :٤-٥). فكيف إذاً ترتاح بنات أورشليم الحاسدات الزانيات إلى مقام الكنيسة هذا وقد باتت هكذا مطوقة بأذرع الله ومنضمّة إلى قلبه الكبير لتشبع حباً وترتوي حياةً؟ أفلا يعملن المستحيل وهن

مندفعات بهذا الروح الفاسد الشرير إلى إفساد هذه الشركة الحبيّة على الكنيسة؟ الأمر الذي يتم لهن بإيقاع الكنيسة في خطية الخيانة ضد مسيحها القدوس والذي لا يحتمل بطبعه وجوهره الخطية إطلاقاً. لذلك رحن يضعن الإثم فخاً في طريق الكنيسة كما فعلت بنات موآب قديماً وبمشورة بلعام بن بعور الذي قد أحب أجرة الإثم (٢بط٢ :١٥) ودن يخشخشن بأرجلهن ويخطرن بمشيهن ويغمزن بعيونهن وذلك لصيد الكنيسة بشهواتهن والتطويح بها من ثم من مقامها السماوي في أحضان الحبيب إلى مستنقع الفساد وحيث الحب النجس القبيح. أو لم يفعلن ذلك كبنات أفكار شريرة وأفاعي ملتوية وبوحي من شيطانهن مع آدم وحواء فأفسدن عليهما شركتهما المقدسة الحبية مع الله؟ أو لم يفعلن هكذا وكنوايا رديئة وبنات في الأفكار مترسبة مع أبناء الله في عصر نوح فأفسدن قلوبهن إفساداً وإذّاك جلب الله طوفاناً عارماً وأهلك الجميع؟ أو لم تتكرر ذات التجربة مع شعب الله بواسطة زينة بنات موآب وبوحي شيطاني من بلعام وبسبب الزنى هذا تنحل العلاقة مع الله ويسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً بضربة ملاك؟ (١كو١٠ :٨).

والآن أفليست بنات أورشليم إذاً هن اللواتي بعدما يُسقطن الكنيسة في خطية، ينبهن الحبيب ويوقظن إياه ضد الكنيسة لحمله على التخلي عنها وضربها؟ حقاً إنها سلوكية الشيطان في بنات أورشليم الفاسقات المغررات والمتشكيات. لأن الشيطان بعدما يضع العثرة أمام الكنيسة ويسقطها في الخطية يعود ويقيم عليها الدعوى لدى الله. كقول سفر الرؤيا "وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طُرِح المشتكي على اخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً" (رؤ١٢ :١٠). نعم انه الروح الشيطاني الخبيث في بنات اورشليم والذي قد توعده الرسول بولس قائلاً "من سيشتكي على

مختاري الله. الله هو الذي يبرر. من هو الذي يدين. المسيح الذي مات بل بالحري قام أيضا عن يمين الله الذي يشفع فينا" (رو٨ :٣٣-٣٤).

على أن بنات أورشليم الجسديات الحاسدات لبنات أورشليم الروحيات السماويات واللواتي هن حبيبات المسيح وكنيسته المقدسة "أورشليم السماوية والتي هي أمنا جميعا" (غل٤ :٢٦)، لسن إلاّ بنات الناموس المضطهدات لبنات النعمة وكنيسة الروح والإيمان. بل هن بنات الجسد وأعماله المهلكة والتي هي "زنى. نجاسة. عهارة. دعارة. عبادة الأوثان. سحر. عداوة. خصام. غيرة. سخط. تحزب. شقاق. بدعة. حسد. قتل. سكر بطر" (غل٥ :١٩-٢١). نعم هذه هي الأذرع الشيطانية المميتة والتي فيها يطوق الشيطان اليوم أورشليم الأرضية مع بناتها ونفوس أبنائها والتي تحاول التغرير بالكنيسة المحبوبة لتفسد علاقتها الحبية المقدسة مع الرب يسوع المسيح ولكنها فشلت ولا تزال تفشل في غمز عيونها وخشخشة أرجلها لان الذي مع الكنيسة (المسيح) أقوى من الذي فيها (الشيطان). وهذا هو وعـــد الرب لها "إن أبواب الجحيم لن تقوَ عليها". وقوله كذلك "خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي" (يو ١٠ :٢٧-٢٨).

هل أنت اليوم أيتها الكنيسة مطوقة حقا بلاهوت المسيح وناسوته؟ بموته وقيامته؟ بحبه وحقه؟ بعهد جسده ودمه؟ بالمعمودية والإيمان باسمه؟ بل بعهدي كتابه اليمين والشمال؟ وكالعذراء وكنيسة القديسين تجسدينه في حياتك تجسيدا روحانيا بالإنجيل؟ أم انك اليوم أيتها الكنيسة الاسمية مطوقة بأذرع الجسد والعالم تطويقا خانقاً هي شمال الشيطان ويمينه؟

فإلى حواء الجديدة مريم يا حواء القديمة والى عذاراها الجدد، كنائس الرسل القديسين يا كنائس الجسد العالميين والى سارة النعمة والموعد والإيمان يا هاجر الناموس والعبودية والى العذارى الحكيمات الخمس أيتها العذارى الجاهلات الغامزات بعيونهن والمخشخشات بأرجلهن والخاطرات بمشيهن، بل إلى هاتيك الأحضان الإلهية الخافقة بالحب، أحضان يسوع المسيح المطعون يا جميع حاضني أبناء الغلف الغلاظ اللحم.

وأما أنت يا إنسان الله فلتكن لك كلمة الإنجيل بعهديها شمالاً تحت رأسك ويميناً تعانقك وفراش محبة في الشتاء القارس لتدفئك.

٥أ- من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها

"يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما ابعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لان من عرف فكر الرب. أو من صار له مشيراً" (رو١١ :٣٣-٣٤). لكنه الروح القدس الناطق بالأنبياء والمتكلم في القديسين الذي منذ الدهر هو الذي يكشف الأعماق ويعلن الأسرار ويفك الأختام ويخبر عن أمور آتية بعيدة وكأنها حاضرة. بل ويدعو الأنبياء الغير موجودة وكأنها موجودة. "لانه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط١ : ٢١). والسيد الرب لا يصنع أمراً إلاّ ويعلن سرّه لعبيده الأنبياء بالروح القدس. إذاً استطاع صاحب سفر النشيد أن يخبر من جهة قضاء الكنيسة ومستقبلها البعيد فراح يكتب عنها ويقول "من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها"

نعم من البرية حيث الجفاف قد طلعت الكنيسة طلوعاً ومن ارض العبودية قد تحررت تحررا. ومن سدوم وعموره حيث نجاسات الخطية وروائح الموت، قد

هربت من النار والكبريت هروباً. ومن بابل ارض السبي حيث المذلة قد رجعت إلى الله رجوعاً. وهي مستندة على أكتاف حبيبها، محمولة على اجنحة نعمته، تبتغي الفندق كجريحة مِصَّحاً والسماء وطناً وارض الأحياء في الأعالي مقراً ومقاماً. وفي طلوعها هذا قد طلعت بعقليتها من كورة الجدريين والمجانين ومن كورة الخنازير والشياطين إلى مدينة الله المستنيرة بالقديسين. ورجعت بنفسها من الكورة البعيدة حيث الجفاف والحرمان، حيث الخرنوب والذنوب، حيث الخنازير والقساة والظالمين الى الآب الحنون. حيث الرواء والشبع، حيث المحبة والقداسة، حيث النبوة والكرامة، حيث الحرية الحقة والحياة الأبدية. وهي في تحررها هذا قد خرجت من استراتيجية الشيطان ودخلت استراتيجية الرحمن. وفي هروبها هذا قد هربت بجسدها من الفساد الذي في العالم وعمل الرجس في سدوم وعموره وحيث الشيطان يسكن الى الجبال ومرتفعات النجاة. وفي طلوعها هذا طلعت بروحها من معابد الأصنام حيث نبوخذ نصر بالباطل يحكم ولتمثال الذهب يدشن (دا٣ :١) لتدخل مقادس الله وأورشليم السماوية وحيث المسيح ملك الملوك بالروح والحق يحكم. والى هذا الطلوع العقلي والصعود الروحي أشار الرسول بولس بقوله "فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو ٣ : ١—٣).

إلى ذياك الطلوع الجسدي في الكنيسة قد اخبر الرب بقوله "لا تضطرب قلوبكم انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة. وإلا فإني كنت قد قلت لكم أنا امضي لأعد لكم مكاناً. وان مضيت واعددت لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إلي. حتى حيث أكون انا تكونون انتم أيضاً" (يو١٤: ١-٣). لأن المسيح هكذا

في السماء بروحه الأزلي، وناسوته البشري كقوله "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو٣ :١٣).

ولكن ابن الإنسان استهدف بنزوله إلى الأرض وإعلانه في الطبيعة تصعيد العقلية البشرية الجديدة بالروح القدس إلى مستواه السماوي في البر وقداسة الحق. وان كان المسيح المتجسد قد صعد هكذا من برية أرضنا في جسده إلى ذات سمائه الروحي وعين عرشه الإلهي فإنما استقطب في ذلك تصعيد الكنيسة والتي هي جسده السري ذات السماء عينها والعرش نفسه.

إذاً بات طلوع الحبيبة على أكتاف الحبيب طلوعاً روحياً وعقلياً الآن بالإيمان والمحبة والقداسة وطلوعاً جسدياً كذلك بالرجاء في اليوم الأخير. "ولكن ليس الجسداني أولاً بل الروحاني ثم بعد ذلك الجسداني". هذا هو الطلوع والصعود البشري بحديه الروحاني والجسداني الذي قد حصره الرسول بولس بقوله "ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة انتم مخلصون. واقامنا معه واجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (اف٢ :٥-٦).

والآن أفلا يحسب صعود المسيح إلى السماء في جسد تواضعنا عربوناً لصعود أجسادنا من شقوق الأرض ومغاير البرية؟ إذ وعدنا قائلاً "أنا آتي وأخذكم إليّ وحيث أكون أنا تكونون انتم أيضاً". ولكن أين هو المسيح الان بجسده؟ في الأرض ام في السماء؟ بين القبور متفسخاً أم فوق العروش ممجداً؟ ليس المسيح بجسده الان فوق الأرض بل في السماوات وليس بين القبور حيث يشبع الموتى موتاً بل فوق العروش وفي جسم بشريتنا يشبع حياة بل هو بين الملائكة وعن يمين القوة. فان كان المسيح هكذا بجسده في السماء فنحن كذلك سنكون هكذا معه

بأجسادنا في السماء لكونه يقول وقوله صادق "حيث أكون أنا تكونون انتم أيضاً".

والان فان كان للمسيح اليوم سلطاناً أن يصعد بعقول مختاريه وارواح قديسيه إليه في السماء والسماويات فكيف لا يكون له كذلك سلطان أن يصعد بأجساد قديسيه إليه في السماء في اليوم الاخير؟ بعدما مات في جسم بشريتنا وقام في جسم إنسانيتنا وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الآب في جسم بشريتنا وإنسانيتنا؟ وكما يقول أيضاً "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ٣: ٢١).

إذاً نحن اليوم كمؤمنين ومحبين للمسيح في السماء والسماويات بأرواحنا وعقولنا. واما في اليوم الأخير فسنكون فيها وفوق عروشها بأجسادنا بعدما نُفتدى من الموت كقول الرسول بولس "وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا" (رو٨: ٢٣). وقوله كذلك "لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى اظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو٣: ٣-٤).

والآن فإن كانت حياتنا الان مستترة في المسيح بالبر وان كان المسيح بناسوته قائماً عن يمين العظمة أفلا تكون حياتنا الروحية والعقلية قائمة هناك بالضرورة؟ وقد طلعنا بالمسيح من البرية ودخلنا السماء به دخولاً عقلياً وروحياً وقلبياً. كيف لا والرسول بولس يقول "لان ليس ملكوت الله أكلا وشربا بل هو بر وفرح وسلام في الروح القدس" (رو١٤: ٧). كيف لا؟ والرب يسوع المسيح يقول "هوذا ملكوت الله داخلكم" بل من هو ملكوت الله هذا؟ أليس هو المسيح يسوع بالروح

القدس؟ (يو١٤ :١٧). فان كان المسيح الان بروحه فينا ونحن بالإيمان فيه، أفلا تكون السماء بذلك فينا ونحن فيها؟ لكون السماء هي المسيح والمسيح هو السماء؟

وإن كان المسيح قد استطاع أن يتحدى جاذبية الأرض بجاذبية السماء وجاذبية الخطية بجاذبية القداسة ويصعد هكذا بجسم بشريتنا من البرية إلى السماء ويجلس فيها فوق العرش وعن يمين العظمة والقوة. والمسيح الذي استطاع ولا يزال يستطيع أن يصعد بالعقول البشرية المؤمنة من ظلمات الجهل والخرافات إلى أنوار المعرفة والاستنارات ومن آبار الهاوية ومغاليق الشرور إلى جبال البر وقمم الخيور ومن مستنقعات الرذيلة والفساد إلى جنات القداسة والحياة، أفلا يقدر كذلك أن يصعد بأجسادنا المتحدة به بالتجسد والقداسة من اسفل إلى أعلى ومن الأرض إلى السماء ومن الهوة إلى القمة؟ ولِمَ لا؟ أو لم يخطف الله قديماً اخنوخ البار؟ "وانه لم يوجد لان الله نقله" (تك٥ :٢٤). "أو لم يصعد الله ايليا كذلك إلى السماء؟ بمركبة من نار" (٢مل٢ :١١). "هذان هما الشاهدان والزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب كل الأرض" (رؤ١١ :٣-٤). والذي قد كان اختطافهما بالجسد عربوناً لاختطاف الكنيسة بشقيها الروحي والجسدي، المنظور وغير المنظور، كقول الرسول بولس أيضاً "لانه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدين بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله. سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١تس٤ :١٤-١٧).

نعم بهتاف واحد، بصوت واحد، ببوق واحد، بلحظة، بطرفة عين، عند البوق الأخير فانه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير. حيث تعتق الخليقة من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. وليس هكذا فقط. بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا (رو٨ :٢١-٢٣). لانه كما تحررت أرواح القديسين وعقول المؤمنين من جاذبية الخطية والموت هكذا الأجساد كذلك مزمع أن تتحرر. الأمر الذي قد دلل عليه الرسول بولس بقوله "لان ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو٨ :٢). وان كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو٨ : ١١).

ولكن إلى أين ستعتق كنيسة القديسين انعتاقاً مطلقاً جسداً وروحاً؟ والى أين هي مزمع أن تختطف اختطافاً وهي على أكتاف حبيبها من البرية تطلع طلوعاً؟ أ إلى حيث نقل اخنوخ؟ واخذ بالمركبة ايليا؟ والى السماء الثالثة والفردوس حيث اختطف الرسول بولس؟ (٢كو١٢ :١-٤). أم أنها ستخطف إلى العرش وحيث المسيح قائم عن يمين الآب ملكاً وسلطاناً؟ أليس "حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور". فأين هي جثة المسيح المصلوب الآن؟ أفوق الصليب؟ أداخل القبر؟ أم أنها في سماء السماوات بل وفوق العرش عن يمين القوة والعظمة؟

نعم إن المسيح المتجسد والمصلوب هو الان هناك في القمة ينتظر الوقت ليوضع كافة أعدائه تحت موطئ قدميه. "لانه ليس أحد صعد إلى سماء المسيح المطلقة سوى الذي قد نزل من السماء نزولاً مطلقاً. ابن الإنسان الذي هو في السماء بناسوته

المطلق" (يو٣ :١٣). فهناك إذاً وحيث الجثة الفدائية الحية (المسيح يسوع) ستكون كنيسة القديسين روحاً وعقلاً وجسداً. ولقد أشار إلى هذه الحقائق الرب يسوع بقوله "اثنان في فراش واحد يؤخذ الواحد ويترك الآخر، اثنتان تطحنان في رحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى، اثنان في الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر. فقالوا أين يا سيد فقال لهم "حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور" (لو١٧ :٣٤-٣٧).

"اثنان في فراش واحد يؤخذ الواحد ويترك الآخر "نعم يؤخذ الذي وان نام في الجسد ولكنه مستيقظ بالروح، وان اضطجع فإنما بفراش البر يضطجع وفوق صدر المسيح مع يوحنا الحبيب يتكئ، كما ويترك الذي قد نام في ليل الخطية واضطجع في الفراش النجس "لان الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون" (١تس٥ :٧). "اثنتان تطحنان تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى". نعم تؤخذ التي تطحن لتأكل الخبز بقناعة وبعرق جبين والتي تشكر على كل نعمة والتي لا تفكر بالخبز البائد فحسب بل وبالخبز الحي الباقي النازل من السماء يسوع المسيح الذي قد طُحن بمطحنة الصليب وخُبز في تنوره فصار من ثم خبزاً فدائياً حياً. كما وتترك التي لا تفكر إلا بالخبز البائد فاتخذت لها من البطن إلهاً ومن الأكل والشراب شعاراً ومن الطاحونة العالمية معبداً. كقول الرسول بولس "الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات" (في٣ :١٩). "واثنان في الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر". اجل يؤخذ الكاهن العامل في الحقول وفي وسط المزارع، الذي يحرث القلوب بمحراث الإنجيل، ويزرعها ببذار الإنجيل ويسقيها بمياه الإنجيل، فيستأصل الزؤان من بين القمح ويكافح الجراد الزاحف ويقتل السونة حتى إذا ما ابيضت الحقول يفرح الكاهن العامل زارعاً كان أم حاصدا. كما ويترك الكاهن الذي يحرث الحقول ولكن بثور وحمار، بروح

الفداء والذات، ويبذر الحقول ولكن بالقمح والشعير وبكلمة الله والجسد، كما ويسقي الحقول بمياه العيون الحية والآبار المميتة، كما ويستأصل من الحقول الزؤان والقمح على حد سواء. بل ويكافح الغربان والحمام في الحقول سواسية. نعم يُترك هؤلاء في البحيرة المتقدة بنار وكبريت والذي هو الموت الثاني حيث الضفادع الثلاثة النجسة (الشيطان والوحش والنبي الكذاب). واما أولئك فيؤخذون إلى حيث الجثة المصلوبة وقد باتت في السماء مائدة حية أبدية فيجتمعون حولها كما تجتمع النسور آكلة شبعى، لا جثة هامدة بين القبور فيما بعد بل جثة حية فوق العروش وفي هذا يقول الرسول بولس "عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت بعد لان الموت الذي ماته قد ماته للخطيئة مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله" (رو٦ :٩-١٠).

إذاً فللطيور الجارحة وللكواسر المتروكة في الأرض جثثهم الميتة وجيفهم وللنسور المأخوذة إلى فوق كذلك جثتهم الحية وذبيحتهم الذكية وهم يرفعون اجنحة إلى السماء ويذهبون من قوة إلى قوة يستقطبون المسيح المصلوب والحي المقام من بين الأموات والجالس اليوم عن يمين الله الآب والمزمع أن يأتي أيضاً ليدين الأحياء والأموات ليرفع الكنيسة الحبيبة فوق أكتافه ويدخل بها مقادسه السماوية ويشبعها من دسم بيته فداء وحباً وبراً وقداسة. والى هذه الحقائق والمواعيد أشار الرسول بولس بقوله "أقول هذا أيها الاخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله. ولا يرث الفساد عدم النساد. هوذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير. لان هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت

ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة (١كو١٥ :٥٠-٥٥).

واما الآن فان كان المسبح الرب هكذا قد اختطف إليه قديماً ايليا واخنوخاً. وفي ملء الزمان اختطف كذلك الرسول بولس خارج الجسد أم في الجسد الله يعلم (١ كو١٢ :١). وان كان المسيح الرب لا يزال حتى الساعة يخطف إليه قلوب المؤمنين وارواح القديسين وعقول المختارين وهو مزمع كذلك أن يخطف أجساد قديسيه ومدعويه. أفلا يخطف إليه من باب أولى حبيبته البكر العذراء مريم روحاً وجسداً وهي مركبة تجسده وقعدة كنيسته واطلاقة قديسيه. لان ذينك إنما قد اختطفا ليموتا في الأيام الأخيرة وفي ذات المدينة التي تدعى روحياً سدوم ومصر حيث صلب ربنا. لانه بعدما يقتلان من قبل الوحش وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة ثلاثة أيام ونصف يدخل فيهما روح حياة من الله ويصعدان إلى السماء ثانية في السحابة (رؤ١١ :٧-١٣). واما العذراء هذه فإنما قد ماتت لتُخطف من البرية إلى وليدها البكر (المسيح). فايليا واخنوخ قد اختطفا ليكونا مثالاً للكنيسة المزمع أن تختطف في الأيام الأخيرة. واما العذراء هذه فقد أخذت بعد موتها إلى الله نفساً وجسداً لتكون هي الأخرى مثالاً لقيامة الكنيسة واختطافها في الأيام الأخيرة. ولماذا يحسب ذلك أمراً غريباً وبعيداً؟ أليست العذراء هي المركبة النارية الحاملة للإله المتجسد يسوع المسيح كما رسم النبي حزقيال في رؤياه؟ أليست العذراء هي السحابة الخفيفة الخارجة من البرية ومستندة على ذراع حبيبها "وهي قادمة إلى مصر من وجه هيرودس كما تنبأ اشعيا"؟ (اش١٩ :١). أليست العذراء هي مستودع ذخائر القديسين وخزانة مكتسباتها في التجسد والفداء الذي في المسيح يسوع؟ فان كان الاختطاف يحسب للكنيسة حقاً وميراثاً مدّخراً لها في

المسيح يسوع ولايليا واخنوخ مثالاً حياً وللرسول بولس واقعا روحيا وانطلاقا. فكيف لا يحسب للعذراء مريم كذلك والروح القدس قد ملأها وقوة العلي قد ظللتها وابن العلي قد ولد منها؟ أم أن ايليا واخنوخ المع منها نورا في سماء المسيح؟ "لان نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (١كو١٥ :٤١). ترى من هو اخنوخ هذا وايليا ذلك حتى يفوقا العذراء مجداً في هذا المجال؟ فان كان هذان النبيان يتضاءلان مجداً أمام يوحنا المعمدان بشهادة الرب القائلة "الحق أقول لكم انه ليس من مواليد النساء اعظم من يوحنا المعمدان ولكن الصغير في ملكوت الله اعظم منه بكثير". ترى أين سيصير هذان النبيان في حضرة العذراء؟ "اجل مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر لان نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (١كو١٥ :٤١). بل أين ايليا النبي الخائف المذعور والهارب على وجهه من آخاب وزوجته ايزابل من العذراء التي كتبت لها الطوبى المطلقة في الأرض والسماء؟ فان اختطف النبي ايليا هكذا إلى السماء في مركبة نارية فمن باب أولى أن يرتفع المسيح بمركبته العذراوية النارية هذه إلى السماء.

لهذا كما ترك النبي ايليا جبته لتلميذه اليشاع أثناء اختطافه ذخيرة، هكذا العذراء كذلك بعد انتقالها قد تركت لتلميذتها (الكنيسة) زنارها ذخيرة. ولا غرابة في هذا أيضاً لانه كما كانت المناديل الرسولية والظلال البطرسية تشفى المرضى وتخرج الأرواح الشريرة، هكذا زنار العذراء أيضاً له ذات السلطان إن كان مقصوداً بإيمان، ولسان حال المرضى في ذلك يكون كنازفة الدم وهي تقول "إن مسست ثوبه شفيت، فبلمسة الإيمان هذه توقف نزف دمها في الحال" (لو٨ :٤٤). وهكذا قد جاء اختطاف العذراء عقلياً بالحكمة وقلبياً بالمحبة وعذراوياً بالقداسة وجسدياً بالقوة "كما هو مكتوب "الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم.

فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو٨ :١١). ولما كان الروح القدس قد ملأ حياة العذراء منذ أمس وما قبل وقوة العلي ظللتها، لذلك قد جاء انتقالها إلى السماء روحاً وجسداً ضرورة روحية كمثال مسبق لقيامة الكنيسة من بين الأموات. واما أن يكون انتقال العذراء إلى السماء وهي جثة ميتة فلا يتماشى ذلك مع روح الكتاب "لان إلهنا ليس اله أموات بل اله أحياء". والسماء ليست موطن الموتى إطلاقاً بل الأرض ومدافنها. وفي هذا يشهد الرسول يوحنا قائلاً "وسمعت صوتاً عظمياً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم الهاً، وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لان الأمور الأولى قد مضت"(رؤ٢١ :٣-٤).

ولكن صعود المسيح من برية العالم إلى السماء شيء وانتقال العذراء إلى الفردوس شيء آخر واختطاف ايليا واخنوخ آخر، واختطاف الرسول بولس آخر. صعود المسيح هو صعود ذاتي مركزي. أما صعود هؤلاء فتبعي. نزول المسيح وصعوده من والى السماء لم يكن تركاً ذاتياً للسماء. "لانه ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو٣ :١٣). بل أعلاناً إلهياً للإنسان وتصعيداً إنسانياً بالله ولله وكقول الرسول بولس كذلك "وأما انه صعد فما هو إلا انه نزل ايضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل" (اف٤ :٩-١٠). ولكونه صعوداً فوق جميع السماوات فهو صعود إلى العرش. واما اختطاف هؤلاء واما انتقال تلك فإنما كان إلى السماء الثالثة إلى الفردوس. فماذا إذاً؟ هل يحسب انتقال العذراء هكذا إلى السماء استنقاصاً لامجاد المسيح؟ حاشا بل أعلاناً لهاتيك الأمجاد وتركيزاً. بل أيهما

الأعظم خطورة أن يترل الله إلى العذراء ويتجسد منها ويولد؟ أم انه يأخذها إليه ويقيمها حية في سمائه؟

حقاً كان المسيح ولا يزال يتمجد في عذرائه وفي قديسيه سواء كان بموت أم بحياة. لان الكنيسة كقاعدة عذراوية وبناية رسولية لا تزال تعكس صورة المسيح في حياتها الأمر الذي أشار إليه الرسول بولس بقوله "لاعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته. لعلي ابلغ إلى قيامة الأموات لاني أسعى نحو الغرض لاجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (في٣ : ١٠-١٤).

فهكذا إذاً وبطاقات الروح القدس قد طلعت الكنيسة المقدسة منذ البدء قاعدة وبناءً من البرية العالمية مستندة على اذرع حبيبها المسيح وهي تبتغي السماء وطناً افضل. فهل أنت اليوم هكذا ايتها الكنيسة وفي هذا المستوى الروحي والعقلي المتصاعد نحو السماء ولسماويات؟ أم انك لازلت في البرية تتخيمين وقلبك في مصر للثوم والبصل والكرات تشتهين؟ على أكتاف من تستندين اليوم؟ أعلى أكتاف جوليات الفلسطيني؟ على أكتاف سنحاريب الآشوري؟ على أكتاف نبوخذ نصر البابلي؟ على أكتاف فرعون المصري؟ على أكتاف بيلاطس البنطي؟ أم انك اليوم على أكتاف يسوع الناصري استناداً تستندين؟ بل في أية مركبة اليوم تركبين؟ أفي مركبة فرعون وهي في وسط البحر تغرق؟ أفي مركبة اخاب وزوجته ايزابل وحيث الكلاب الظالمة للدماء تلحس؟ أفي مركبة زنوبيا مع السمسياطي حيث العقيدة تنحل والأخلاق تتدهور؟ أم انك تركبين اليوم المركبات الروحية العذراوية منها والرسوية مع النبوية والتي فيها تخرجين من البرية إلى المدينة السماوية وأنت مستندة على ذراع المسيح حبيبك؟

ألا سيري مع الله كما قد سار اخنوخ ايتها الكنيسة لينقلك إليه نقلاً روحياً وجسدياً وكوني غيورة لعبادة الله ضد البعل العالمي كما كان ايليا غيوراً، لتنقلك المركبة، مركبة الروح والنار إلى السماء عقلاً وجسداً. وعيشي كالعذراء عذراء عفيفة للمسيح لينقلك ايه الحبيب الأعلى والإله المتجسد يسوع المسيح. وجاهدي الجهاد الحسن في إنجيل الخلاص ليخطفك الرب كالرسول بولس تارة خارج الجسد وأخرى في الجسد "لأنن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة" (عب١٣ : ١٤).

واما أنت يا نفسي فحذار أن تستندي في صعودك على أكتاف الناس لانهم كالبعوض يموتون، "بل على أكتاف ابن الإنسان لانه في السماء حي لا يموت" (يو ٣ :١٣). فهل تستندين؟

٥ب- تحت شجرة التفاح شوقتك، هناك خطبت لك امك هناك خطبت لك والدتك

نعم تحت شجرة التفاح خُطِبت العذراء لوليدها المسيح. وتحت ظلال شجرة الصليب أمست الكنيسة له حبيبة خطيبة. لانه حيث لا صليب لا محبة ولا خطبة ايضاً بل عزلة وجفاف وقطيعة وحرمان.

واما الآن فقد احب الله الإنسانية محبة خطيب لخطيبة وحبيب لحبيبة. وبالتجسد والفداء قد جسد هذه المحبة تجسيداً واعلنها إعلاناً. وهكذا قد صارت البشرية الجديدة والكنيسة المقدسة لله خطيبة وحبيبة وعروساً كقول الرسول بولس "أيها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح ايضاً الكنيسة واسلم نفسه لاجلها. لكي يقدسها مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مقدسة لا لوم

فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك. بل تكون مقدسة وبلا عيب" (اف٥ :٢٥-٢٧).

ولكن ما اعظم الشبه بين شجرة التفاح وشجرة الحياة في المسيح المصلوب. لانه كما أن شجرة التفاح هي شهية للنظر، مبهجة للعيون، مفرحة للقلب، منعشة للنفس، مهدئة للعقل، هكذا المسيح المصلوب ايضاً فهو شهي للنظر، مبهج للعيون، مفرح للقلب، منعش للنفس، مطمئن للعقل. كيف لا والمسيح ليس له مثيل في جماله؟ وفي تفاح صليبه وصليب تفاحه؟ وهل من جميل آخر في الوجود كالمسيح يسوع في ميلاده العذراوي؟ في عماده الأردني؟ في تعليمه الانجيلي؟ في عمله الإعجازي؟ في حبه الفدائي؟ في فقره الإنساني؟ في قيامه الانتصاري؟ في صعوده السماوي؟ وفي قضائه الاخروي؟ كيف لا والأنبياء والملوك اشتهوا أن يروا يوماً واحداً من أيام ابن البشر ولم يروا؟ وإبراهيم أبوهم وأبونا تهلل بان يرى يومه فرأى وفرح؟ (يو٨ :٥٦). وإشعيا رأى يومه وعاين مجده والرب جالس فوق كرسي عالٍ مرتفع وأذياله تملأ الهيكل؟ (اش٦ :١)، واما داود عميد نبوتهم وعملاق ملوكهم فلقد رأى ذياك الجمال بعينه النبوية فراح يقول له "أنت ابرع جمالاً من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك" (مز٤٥ :١). كيف لا يكون المسيح هكذا جميلاً وكالتفاح شهياً وهو يقول لتلاميذه "أما انتم فطوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع". حتى إذا ما رآه يوماً الرسول بولس المجدف والمضطهد سقط على وجهه أمام ذياك الجمال وهو الأقوى لمعاناً من نور الشمس" (اع٩ :٣-٤). فراح من ثم يكتب عنه قائلاً "ما لم تر عين ولم تسمع به إذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه".

فالمسيح إذاً سيبقى هكذا جميلاً في عيون الملائكة وشهياً كالتفاح في قلوب القديسين والى ابد الآبدبن لكونه تجسيداً للحب الإلهي واعلاناً للبر السماوي وكما هو في العذراء مريم والدته زمنياً. لانه كما ان الخطية هي علة القبح في الإنسان ومصدر تشويه في حياته الروحية بالشهوات ومبعث ظلام في حياته العقلية بالجهل والخرافات. وسبب تشويه في حياته الجسدية بالأمراض والعاهات والشيخوخة والميتات، هكذا البر في المسيح ايضاً هو أساس الجمال في الإنسان وكما هو في العذراء مريم وكما هر في وجه القديسين ايضاً، فهو جمال عقلي وروحي بالاستنارة الفكرية والطاقة الأدبية وجمال جسدي بالقداسة. انه جمال فدائي للأرواح والعقول اليوم وجمال فدائي للأجساد والنفوس في ذلك اليوم كما هو مكتوب "هكذا قيامة الأموات، يزرع في فساد ويقام في عدم فساد، يزرع في هوان ويقام في مجد، يزرع في ضعف ويقام في قوة، يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً" (١كو١٥ :٤٢-٤٤). من اجل ذلك يحق للكنيسة وقد خُطبت للمسيح بالصليب أن تقول هي الأخرى "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين، تحت ظله اشتهيت أن اجلس وثمرته حلوة لحلقي".

على أن المسيح الجميل هذا وهو يتوسط أشجار الوعر والناس والخطاة هكذا لا يبتغي في ذلك روح التعالي والتباهي على الناس وقد شوهتهم الخطية تشويهاً. ولا لكي يكشف عن الوجوه البشرية القبيحة القناع ليبني جماله على حسابها كما يفعل الناس بعضهم على حساب البعض. لان المسيح الرب ليس إلهاً ارستقراطياً متعالياً ولا دكتاتوراً منتقماً، لكنه قد توسطهم بالجسد لكونه يحبهم وبالصليب قد مات عنهم موتاً ليفديهم من كل قبح وبدماء حبه يغسل من الخطية وجوههم وقلوبهم. كقول الرسول بولس "لانه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على

المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي"؟ (عب٩ :١٣-١٤).

فإن كان المسيح هكذا قد جاء من السماء إلى الأرض ومن الله إلى الإنسان لا ليستغني بل ليفتقر. لا لبأخذ بل ليعطي. لا ليُخدَم بل ليَخدم. لا ليخطئ بل ليبرر ويخلّص. لا ليعيش بل ليموت ثم يحيا. فكيف إذاً لا يكون جميلاً كالتفاح وجميلاً شهياً جداً؟ من اجل ذلك ستمر سنون وتعبر قرون وتلتف دهور ودهور وجمال المسيح سيبقى شاباً لامعاً وجميلاً شهياً كالتفاح وهو يسطع جمالاً في العيون البشرية البسيطة ويفوح رائحة ذكية في الأنوف الرقيقة ويشع بسمة في القلوب الوديعة ويلمع حكمة في العقول المتواضعة. بل وفي جماله وروائحه العطرة يطرد نتانة الموت عن المؤتى والموتى. كيف لا وقد استنشقت المجدلية والمجدليات رائحته الذكية فخرجن من قبور الذنوب والخطايا قديسات وبروائح البر والحياة معطرات؟ (اف٢ :١-٦). كيف لا يعيش وقد استنشق روائح تفاحه اليعازر الميت النتن، كما ويستنشقها كل اليعازريين فيخرجون من قبورهم بأكفانهم مجمعا عظيماً جداً"؟ (يو١١ :٤٤)، (يو٥ :٢٩). وهكذا بات المسيح بصليبه الكفاري شجرة تفاح بين أشجار الوعر اليابسة وعظام الناس الخطاة المبعثرة وهو يبعث فيهم الجمال جديداً والحياة ابديةً، حتى أن القبور به قد تفتحت وفيه قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين (مت٢٧ :٥٢-٥٣). ولا غرابة في ذلك لان فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس (يو١: ٤). ولانه قد صرح لمرثا قائلا "أنا هو القيامة والحياة. من

آمن بي ولو مات فيسحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو ١١ :٢٥-٢٦).

وهكذا بات المسيح بتجسده وفدائه وبتوسطه بين الخطاة واشجار الوعر تفاحاً يبعث فيهم بروائحه الحياة وبمنظره الجمال وبطعمه الحلاوة والنكهة الشهية، لذلك راح الكثير من أشجار الوعر والعديد من البشر الخطاة يتطعّمون بأقلام من شجرة التفاح هذه فيُخلَقون اشجاراً جديدة مثمرة بعدما كانوا اشجاراً رديئة مهيأة للنار والحريق. بل راح الناس من كل قبيلة ولسان وشعب وامة وهم المتعبون الخائرون يستظلون تحت ظلال التفاح هذه ويتفيّأون ليتخلصوا من ملاحقات الناس الأشرار، ملاحقات آخاب وإيزابل وخلفائهم من بعدهم ولا سيما في أيام الحر والقيظ كما فعل ايليا في يومه (١مل١٩ :٤-٨).

تحت شجرة التفاح هذه يستظل عشاق الجمال الروحي وعطاش البر الإلهي وجياع الحب السماوي فيجدون فيها الرواء لنفوسهم والشبع لارواحهم والملء لحياتهم والحلاوة لأفواههم والنور لعقولهم بل الحياة لحياتهم. وتحت هاتيك الظلال الثخينة استراح المتعبون منذ الدهر وعلى هاتيك الثمار اليانعة عاش القديسون منذ العهد وحول ذياك الشراب المنعش شراب التفاح والفداء تجمهر الصالحون منذ الزمن. فصار لهم التفاح (المسيح) جميعاً، قلباً في الحياة خافقاً. ودماً في الشرايين جارياً. وضميراً في الحق الإلهي مطعّماً. وروحاً في السلام الفدائي هادئاً. وعقلاً في الحكمة السماوية مستقراً. وجسداً في القداسة التجسدية مزروعاً ومختمراً.

ولكن إن كان هذا شأن التفاح (المسيح) في الحياة، فعلام راح العالم الحاضر بملائينه يتجاهله تجاهلاً ويستنكره استنكاراً؟ معتمداً الخبز المادي قواماً مطلقاً في الوجود

وحياة وحيدة للحياة؟ أما التفاح، أما الخبز النازل من السماء، أما يسوع المسيح فليكن من نصيب هؤلاء الناس الخياليين والذين يعيشون في أحلام الأقدمين. حقا إنها للعبة شيطانية يلعبها في عقول المتغطرسين ويمثلها في قلوب الماديين والتي فيها يُعزل الإنسان عن إلهه ومصدر حياته وعلة أدبياته واساس فدائه وتفاح حياته، ليجعل منه حيواناً شهوانياً مطلقاً، يأكل ويشرب لانه غداً يموت. وإذ يستأصل منه هكذا نسبه السماوي وعنصره الروحي وروحه الأبدي يقذف به من القمة، قمة المجد إلى هوة الهوان. ومن الصعيد السماوي إلى السحيق الجهنمي. ومن المستوى الإلهي إلى المستوى الشيطاني. ومن الإنسانية المتألهة إلى الإنسانية المتحيونة. بل المتشيطنة. ثم يعود هذا الروح الشيطاني يتشدق ويملأ الأجواء ضجة يدافع بها عن الإنسانية وحقوق الإنسان باطلا، ومركزا دعواه بالخبز وبالخبز وحده.

اجل لابد للإنسان الطبيعي أن يأكل ويعيش لكونه انسانا طبيعيا. ولكن لابد للإنسان الروحي كذلك أن يعيش لكونه انسانا روحيا كذلك. فان كان العالم يسعى ليقدم الخبز الطبيعي للإنسان ويمنعه من التفاح والخبز الروحي. أفلا يتعدى بذلك على الإنسان تعدياً؟ وان جُرد الإنسان هكذا من تفاحه وروحه وحياته ومحبة فدائه لانسانيته، افلا يصير بذلك انساناً انانياً صرفاً؟ وحيواناً شهوانياً مطلقاً؟ ومستغلاً طماعاً ظالماً؟ وزانياً مستبيحاً فاجراً؟ لانه إن كانت الغاية الأساسية والوحيدة للحياة هي أن نأكل ونشرب ونلبس. أفلا نصير والحيوانات في الغاية الحياتية سواسية؟ وباستخدام العقل لذلك، شياطيناً رجيمة ننهش بعضنا بعضاً ويأكل بعضنا بعضاً؟ يا آلهة العقول المادية الصرفة "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي وللتفاح، للحياة الأبدية والذي يعطيكم ابن الإنسان لان هذا الله الآب قد ختمه" (يو٦ :٢٧). أم لستم تعلمون يا فلاسفة البطون لا القلوب "إن

الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله يبيد هذه وتلك"؟ أم لستم تعلمون يا رعاة الإنسانية إن العلة الأساسية لا تكمن في البطون بل إنما في القلوب والأرواح؟ وبان المجاعات والمظالم ليست سوى النتائج الحتمية والثمار المرّة لهاتيك العلة، علة الخطيئة؟ فكيف إذاً تعالجون الثمار، والأشجار رديئة؟ وتصفّون المجاري، والينابيع قذرة؟ وتنظفون خارج الكأس، ومن الداخل مملوءة دعارة واختطاف؟ وتبيضون مقابر الموتى، وهي من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نتانة؟ بل وتحاولون وحتى الساعة أن تُخرجوا من وسط الجيف حلاوة؟ ألا قولوا أيها الفلاسفة الماديون والقادة العميان انه بالخبز وحده يحيا الإنسان ما شاء لكم أن تقولوا، ولكن اعلموا أن يسوع المسيح لا يزال يتحداكم ويقول لكم كما قال للشيطان من قبلكم وهو في أقسى حالات الجوع "اذهب عني يا شيطان لانه مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (لو٤: ٤).

إذاً فالاستغناء عن كلمة الله وعن تفاح يسوع المسيح لا يعالج مشكلة المجاعات البشرية بل يزيدها تعقيداً وحجماً. لانه حيث لا يسوع المسيح بحبه وفدائه وبره وقداسته، فهناك الأنانية والطغيان وهناك الحروب وسفك الدماء وهناك الفجور وإذلال النساء. والآن كم من النفقات المادية تصرف على عملية التسلح الحربي العالمي؟ وكم من النفقات تتلف على المسكرات والشهوات والموبقات مع الموديلات؟ افلا تغطي هذه النفقات الجسدية المنحرفة وتلك النفقات الحربية المُهلكة، المجاعات المنتشرة في العالم وعلى وجه الإطلاق؟ أفلا تكون مشكلة المجاعات إذاً مشكلة أدبية روحية أخلاقية قبلما تكون اقتصادية؟ وعلة في القلب قبلما تكون علة في البطن؟ وهكذا قد جاء الجوع الجسدي وليداً للجوع الروحي، الواقع المرير الذي باتت البشرية تبيت فيه منذ أن أرادت أن تستقل بذاتها عن الله

استقلالاً. وهكذا تمت فينا الكلمة المكتوبة "هوذا أيام تأتي يقول الرب أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمة الرب. فيجولون من بحر إلى بحر ومن الشمال إلى المشرق ويتطوحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها. في ذلك اليوم تذبل بالعطش العذارى الجميلات والفتيان" (عا٨: ١١-١٣). وما العذارى الجميلات هذه، الذليلات من الجوع والعطش سوى هاتيك العقول العلمية المجردة والأفكار الفلسفية المتغطرسة والنظريات الطبيعية الناشفة والطاقات النفسية والجسمية المبعثرة والتي باتت تملك جوعاً روحياً وعطشاً ادبياً لأنها لم تعرف للتفاح طعماً ولا للمسيح يسوع مذاقاً.

إذاً على الإنسانية الجائعة اليوم جوعاً مزدوجاً أن تصرخ في وجه الظلم والاستغلال طلباً للخبز الجسدي وفي وجه الإلحاد والزندقة طلباً للخبز الروحي والتفاح الإلهي والمسيح السماوي لتشبع شبعاً جسدياً وروحياً مزدوجاً وان ترفع هذه الكلمة شعاراً جديداً لها وهي "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤ :٢) .فالمسيح إذاً لم يستنقص من أهمية الخبز الجسدي لانه يقول "فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس فان هذه كلها تطلبها الأمم. لان أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم. فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره" (مت٦ :٣١-٣٤). لذلك نراه يشبع الآلاف الجائعة في البرية من الخبز الجسدي والسمك المشوي حينما تتبعه ولكنه إذ يراها تتبعه لاجل هذا الخبز دون الخبز السماوي الكائن فيه وفي تفاحه يوبخها بالقول "الحق أقول لكم انتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم الآيات بل لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان" (يو٦ :٢٧).

إذاً المسيح بيد راح يقدم للبشرية طعاماً جسدياً وبأخرى يقدم لها طعاماً روحياً. وهذا عين ما فعلته الكنيسة الأولى، كنيسة القديسين لكونها جسده السري. فكانت تقدم للعالم الجائع خبزاً ارضياً بيد كما هو مكتوب "وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً والاملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج" (اع٢ :٤٥)، وخبزاً اخراً سماوياً هو يسوع المسيح بيد أخرى. كقول الرسول بولس "شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (اع٢٠ :٢١).

ولكن رب قائل يقول إن كان هكذا هو شأن المسيح مع الإنسان وهو بقادر أن يسد جوعه المادي والروحي فعلام إذاً قد تركه اليوم هكذا يهلك جوعاً مزدوجاً؟ وبتعبير آخر فالمسيح الدي قدر قديماً أن يشبع الآلاف خبزاً جسدياً ومن خمسة أرغفة شعير وسمكتين (يو٦ :٩-١٤) ويشبع آلاف الآلاف من القديسين خبزاً روحانياً سماوياً. فعلام قد عجز اليوم عن سد حاجات الإنسان المزدوجة هذه ان كان حقاً هكذا في السماء حياً وللإنسان حبيباً؟ نعم العالم يهلك اليوم جوعاً مزدوجاً ولكن لا لعجز في قوة المسيح وضعف في محبته. بل لكون العالم لا يتبعه، ولكون الكنيسة اليوم قد تخلت عنه هي الأخرى وسارت مع تيارات العالم تعتمد العقل البشري المجرد قوة لحل مشكلات الإنسان. فلذلك قد تمت فيها كلمة يسوع المسيح وهو يقول "فان كان النور الذي فيكم ظلاماً فالظلام كم يكون". وان كانت الكنيسة اليوم تعاني وبسبب ارتدادها عن المسيح جوعاً مزدوجاً قتّالاً، فالجوع في العالم كم يكون؟ بل ما هو ذنب الخبز الحي النقي الصحي إن ابتعد عنه الجياع وماتوا جوعاً؟ وما هو ذنب الينبوع الصافي إن هجره عطاش البرية وماتوا عطشاً؟ وما هو ذنب الطبيب إن تركه المرضى وماتوا في مرضهم؟ بل ما هو ذنب

الشمس إن هرب منها العميان إلى الظلمات وعاشوا وماتوا عمياناً؟ أم أن على الخبز هذا بالقوة أن يدخل أفواههم والماء بالعنف يجري في حلوقهم والدواء بالسيف ينسكب في مناخيرهم والنور بالنار يفك عيونهم؟ ولكن وفي فرضية سلبية كهذه أين ستبقى ديمقراطية يسوع المسيح؟ واين ستنتهي حرية الانسان؟ وهل تسمى مثل هذه إنسانية وسعادة وحياة أبدية مجيدة؟

ألا فليكن الله في إنجيل ابنه يسوع المسيح صادقاً وفي تفاحه محقاً وكل إنسان في شجر وعره كاذباً. ولكن ما لنا نحن اليوم والعالم وقد وضع منذ أمس وما قبل في الشرير؟ ما لنا واشجار الوعر وهي بحسب الطبيعة والجوهر أشجار عوسج معينة لحريق النار؟ نعم ما لنا وللعالم، والكنيسة ذاتها اليوم باتت غابة كثيفة من أشجار الوعر بعدما هجرت بساتين التفاح وجنات القديسين وصارت بذلك مأوى لوحوش البر؟ والا اين هو عهد خطوبتك بالمعمودية وتحت شجرة التفاح والصليب ايتها الكنيسة؟ اتجلسين اليوم يقيناً تحت ظلال شجرة التفاح وتتناولين من ثمرها وتاكلين ايماناً ومحبة وسلاماً وبراً وحياة وشهادة؟ ام تجلسين اليوم تحت ظلال رؤساء العالم تحتمين بظلالهم ان كانت حقاً ظلال؟ وتقطفين من ثمارهم شهوة للجسد وشهوة للعيون وتعظماً للمعيشة؟ (١يو٢ :١٦).

ألا كفاك جلوساً تحت دانيك الأشجار ايتها الكنيسة لأنها أشجار عوسج ستحترق عما قريب ويحترق من تحتها احتراقاً. وكفاك يا حواء تناولاً من شجرة الخطية والذات لان في عاقبتها الموت الزؤام والهلاك التام. فالى شجرة الحياة المغروسة في وسط الفردوس وشجرة التفاح النابتة فوق أكمة الصليب ايتها الكنيسة الضالة. اجلي إلى هناك وحيث تجلس العذراء جلوساً ابدياً وتحيا كنيسة القديسين حياة دهرية وذلك لان ورق الشجرة لشفاء الأمم وفاكهتها لحياة الشعوب(رؤ٢٢ :٢).

واما أنت يا نفسي فعليك بتفاح المسيح طعاماً ورائحة وجمالاً وتحت ظلاله إلى ابد الدهر كمريم جلوساً وقعوداً. فهل تجلسين وللمسيح الصالح تستمعين؟

٦- اجعلني كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك لان المحبة قوية كالموت، الغيرة قاسية كالهاوية، لهيبها لهيب نار لظى الرب

هذه هي أمنية الكنيسة ورغبة الحبيبة الملحة أن تكون خاتماً على قلب المسيح الحبيب وعلى ساعده القوي المجيد، حيث مركزية الحب ومنطلق القوة والطاقة والسلطان وهي كخاتم في قلبه تمتلئ بالحب وكخاتم على ساعده تشحن بالقوة. وهكذا في المسيح يسوع تتكامل الكنيسة محبة وقوة، نعمة وحقاً، سلاماً وعدلاً، لاهوتاً وفداءً. لانها كخاتم في قلب المسيح وساعده تم اتحادها فيه اتحاداً مطلقاً وفي اتحادها هذا خلاصها وطمأنينتها، قوتها وجهادها بل انتصارها.

كيف لا تكون الكنيسة هكذا خاتماً في قلب المسيح وقد عاينت ذياك القلب المطعون فوق الصليب من أجلها؟ وكيف لا تكون خاتماً على ساعده وقد تسمر فوق الصليب بدلاً عنها؟ إذاً بطاقة الحب أمست الكنيسة في قلب المسيح وساعده خاتماً متحدة معه اتحاد القلب والساعد بل وكاتحاد المرأة بالرجل. لانه إن كانت المرأة خاتماً على قلب الرجل بقوة الحب الجنسي وخاتماً كذلك على ساعده بسلطان الحب الزوجي حتى انهما يصيران بطاقة الحب الجنسي هذا وحزامه جسداً واحداً. فكم بالحري تكون الكنيسة المقدسة والإنسانية الجديدة في قلب المسيح وساعده بقوة الحب الفدائي خاتماً، حتى أنها تصير والمسيح بطاقة هذا الحب الروحي الإلهي وحزامه السماوي جسداً واحداً ايضاً؟ وان كان مركز الكنيسة في قلب المسيح وساعده هكذا. أفلا تتقدس به تقديساً؟ وتحيا به بل بحبه حياة؟ بل

تتقوى بذراع قدسه المتين تقوية؟ كيف لا وهي محمية في ذياك القلب الكبير كخاتم من ماس، وفي ذياك السعد المتين كخاتم من ياقوت؟

والآن فهل من قوة شيطانية في الوجود تستطيع أن تخترق هاتيك الحصون الفدائية والقلاع اللاهوتية حيث تحفظ كنيسة القديسين خاتماً لتنتزعها وتنال منها مأرباً؟ كما يصرح الرسول بولس ايضاً بقوله "من سيفصلنا عن محبة المسيح. اشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف" (رو٨ :٣٥). ولكن كيف صاغ المسيح الكنيسة خاتماً ماساً على قلبه وخاتماً ياقوتاً على ساعده وقد كانت في اصلها حديداً ومعدناً خشناً فضاً؟ أليس بصهرها في كور قلبه ونيران حبه وشرارات فدائه وطعنات قلبه وتسمير ذراعيه وإماتة حياته؟ أليس بآلامه النفسية تجاه جفاف نفوس الناس؟ وبأوجاعه العقلية تجاه صمود عقول الناس وأوجاعه الجسدية تجاه نجاسة أجساد الناس، وضربة قلبه تجاه قساوة قلوب الناس؟ أجل في أتون الصليب هذا والمحمي بالعذاب المطلق سبعة أضعاف قد تحول الحديد إلى ذهب وشاول إلى بولس والمجدلية النجسة إلى مريم القديسة والعشار الظالم إلى زكا الموزع والسامرية المنبوذة إلى المبشرة المسموعة. بل الرصاص الحقير إلى الخاتم المختار في قلب الحبيب وساعد المسيح.

حقاً محبة فريدة كهذه هي قوية كالموت، قاسية كالهاوية، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفي نيرانها. أجل إنها المحبة التي قد غاص في أعماقها الرسول بولس ومن ثم راح يطلبها للكنيسة بقوله "بسبب هذا احني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وانتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا

مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف٣ :١٤-١٩). ترى أية محبة تكون هذه والتي فيها يموت الإله المتجسد يسوع المسيح ربنا وهو في مطلق قداسته من أجل بشر خطاة هم في مطلق نجاستهم؟ وليس ذلك فقط في مفهوم هذا الحب بل وكما هو مكتوب "وصار الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه".

أجل هكذا قد سقطت هذه المحبة من السماء فوق الأرض قوية وقاسية، قوية لانتزاع الحمامة الحبيبة من فم الحية القديمة والتنين الهرم والمدعو إبليس. وقاسية لسحق راس الحية كما هو أول الوعد "هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبة" (تك٣ :١٥). نعم محبة قوية لإنقاذ النعجة المحبوبة من فم الذئاب وقاسية لسحق رؤوس هاتيك الذئاب، قوية لانتشال الحبيبة من مستنقع الضفادع والنجاسات، وقاسية لتفجير المستنقع ناراً وكبريتاً على هاتيك الضفادع، قوية لشفاء العروس من الميكروبات والجراثيم وقاسية في إبادة هاتيك المكروبات والجراثيم. نعم قوية جداً في خلاص الإنسان وقاسية جداً في هلاك الشيطان عدو الإنسان. "حقاً ابن الإنسان جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس". وذلك لكون محبته الأزلية الفدائية قوية كالموت وقاسية كالهاوية. وهو في هذه المحبة المشتعلة غيرة وقداسة وحقاً صاغ ولا يزال يصوغ قديسيه، خواتم الماس على قلبه وخواتم ياقوت على ساعده "لان لهيبها نار لظى الرب".

ترى ما عسى أن تكون هذه النيران الإلهية الملتهبة؟ أهي نيران الروح القدس وقد سقطت على إنسانية العذراء لتجسيد الله في الإنسان؟ أهي الحمامة النارية التي استقرت فوق راس المسيح أثناء المعمودية إعلاناً لسر لاهوته وثالوثه؟ أهي نيران

الآلام الفدائية التي التهبت في المسيح البار التهاباً مخيفاً مرعباً؟ أهي السنة الروح القدس وقد حلت يوم الخميس في الكنيسة قوة ولساناً؟ أم أنها كل ذلك مجتمعة معاً؟

حقاً محبة المسيح قوية كالموت بالصليب وقاسية ضد الأرواح الشريرة كالهاوية بالصليب لان لهيبها لهيب نار لظى الرب. وهكذا باتت نار المحبة الفدائية هذه نوراً للقديسين وناراً آكلة الشياطين، حياة للمؤمنين التائبين وهلاكاً ماحقاً للعصاة المتمردين، وكأن المسيح بذراعي صليبه قد شق العالم هكذا شقين اثنين يميناً حياً ويساراً هالكاً. وبتقاطع قطري صليبه قد طعن الشيطان في قلبه طعنتين. طعنة فدائية إنسانية وأخرى شيطانية قاتلة. وهكذا بكهرباء حبه ونيران فدائه قد قدس بالحب كنيسته وجعلها في قلبه وساعده خاتماً كريماً مختاراً وانقلبت النار المقدسة هذه على الأشرار والشياطين دينونة وهلاكاً في جهنم سريعاً. وإلى هذه النار المقدسة ذات الحدين الخلاصي الحبي والهلاكي العدائي أشار يوحنا المعمدان بقوله "أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس والنار. الذي رفشه بيده وينقي بيدره. فيجمع القمح إلى مخزنه وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ" (لو٣: ١٦-١٧).

وهكذا صار الروح القدس للمؤمنين نوراً وحياة وبركة يجمعهم قمحاً إلى مخزنه السماوي وناراً آكلة لغير المؤمنين يجمعهم تبناً إلى أتونه الجهنمي. لانه إن كانت المحبة الجنسية ناراً وحباً في قلوب المحبين. فكيف تكون النار والحب في قلوب المحبين روحياً؟ وإن كانت العداوة والغيرة الجنسية المرّة هي الأخرى ناراً آكلة محرقة في قلوب الحاسدين. فكيف لا تكون العداوة والغيرة الخلاصية الحاسدة ناراً آكلة وغيرة مذيبة في قلوب الأعداء والشياطين؟ أليست هذه النار هي التي قد أماتت وفي

شخص بطرس حنانيا وسفيرا؟ والتهمت المائتين والخمسين من الرؤساء الحاسدين؟ واعمت وفي شخص الرسول بولس باريشوع العالم، الساحر الذي كان يفسد الوالي عن الإيمان؟

حقاً إن المسيح قد وضع لقيام وسقوط كثيرين (لو٢ :٣٤). فالذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله إلى الأبد (يو٣ :٣٦). وإلا ما الذي يقصد الرب يسوع من قوله "جئت القي ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت"؟ "ولي صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل"؟ "أتظنون اني جئت لأعطي سلاماً على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً"؟ (لو١٢: ٤٩-٥١). أليس لتكون هذه النار المقدسة التي ألقاها المسيح على الأرض يوم الخمسين في القديسين نوراً وحياة وسلاماً وحباً ملتهباً؟ وفي الدنسين المستبيحين والقساة الظالمين والشياطين الماردين ناراً آكلة وموتاً مرعباً وهلاكاً سريعاً؟ فأمسى المسيح بذلك في أرضنا سيفاً ذي حدين يفصل فيه أبناء الله عن بنات الناس (تك٦: ٢) ويقسم في البيت الواحد المؤمنين على غير المؤمنين ويعزل القمح عن التبن، ويفصل الحنطة عن الزؤان ويعزل الخراف عن الجداء ويفرق بين الحكيمات والجاهلات ويميز لصوص اليمين عن لصوص اليسار، ويفصل وإلى الأبد أبناء المحبة المنيرة عن أبناء العداوة الآكلة. بل وبنار الروح القدس يطهر الذهب والفضة والحجارة الكريمة لتكون خواتم في قلبه وعلى ساعده. وأما الخشب والتبن والقش فيحرقها بذات النار المقدسة التي لا تطفأ (١كو٣ :١٢).

هكذا كانت العذراء في قلب المسيح وساعده خاتماً مرصعاً بالجواهر الاثني عشرة (رؤ٢١ :٢١). وهكذا كانت كنيسة القديسين في قلب المسيح وساعده. بل هكذا كانت الكنيسة مشتعلة بالروح القدس وناره المقدسة قاعدة عذراوية وبناءً رسولياً.

فهل أنت اليوم كذلك ايتها الكنيسة؟ أفأنت خواتم ذهبية في قلب المسيح وساعده أم خواتم رصاصية في قلب العالم وسواعد الجسد واصابعه؟ هل الروح القدس فيك اليوم نعمة أم نقمة؟ سلاماً أم خصاماً؟ محبة أم عداوة؟ خلاصاً أم هلاكاً؟ حياة أم موتاً؟ مصالحة أم دينونة؟ نوراً مطهراً أم ناراً آكلة؟ فكوني عوسجة كالعذراء ايتها الكنيسة وكنيسة رسولية في العلية ايتها البيعة. وإلا فستنقلب عليك النار الإلهية فتأكلك أنت وبنيك فيك كما هو مكتوب "من خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رأفة. فكم عقاباً اشر تظنون انه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة. فإننا نعرف الذي قال لي النقمة أنا اجازي يقول الرب. وايضاً الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدي الله لحي" (عب١٠ :٢٨-٣١).

واما أنت يا نفسي. يا من مات المسيح من أجلك. فكوني في قلبه خاتماً ثابتاً وفي ساعده خاتماً راسخاً لان أيامك أيام شر وارتداد.

٧- مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها إن أعطي الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً

وان كانت المياه عاجزة عن إطفاء جمرة الحب الجنسي في قلوب العاشقين وقاصرة عن إخماد نار الحب الطبيعي في قلوب الأقربين. فكيف لا تعجز بالحري عن إطفاء نار الحب الفدائي في قلوب القديسين؟ ترى من الذي يثير أمواج البحر الكبير في الليالي المظلمة ليغرق السفينة ويطفئ جمرة الحب الفدائي فيها؟ من الذي يفجر الجسد بركاناً ليقذف بالحمم المميتة والشهوات السامة لخنق الروح وإطفاء نارها؟ أليس التنين العظيم السابح في البحر الكبير والعالم الفسيح ولوياثان الحية الهاربة

المتحوية؟ (اش٢٧ :١). أليس الشيطان الذي يهيج الأمواج الصاخبة والأعمال الشريرة في العالم الحاضر الشرير؟ ويثير الشهوات الحيوانية المحرقة ليغرق سفينة الكنيسة ويخمد نارها المقدسة؟. فتارة يهيج عليها مياهاً سياسية كما في شخص هيرودس وبيلاطس. وتارة مياه دينية متزمتة كما في قيافا وحنان. مرة مياهاً إلحادية كما في الصدوقيين والرواقيين والابيقوريين. وأخرى مياهاً عنصرية متطرفة كالفريسيين. (يو١١ :٤٧-٤٨). تارة يثير الشيطان على الكنيسة مياه الطمع وعبادة المال كما في كتبة اليهود وتجار الهيكل كقول الرسول بولس "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك. لان محبة المال اصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١تي٦ :٩-١٠). وتارة أخرى يهيج عليها طوفاناً من الفجور ليبتلعها في قعر البحار ابتلاعاً ويطفئ نيرانها الروحية بمياهه وتياراته إطفاء. وهكذا باتت أمواج طوفان الشيطان هذه وفي المجالين العالمي والجسدي ترتفع خطية فوق كل التلال العالية والجبال المرتفعة والقمم السامقة، دينية كانت أم مدنية، سياسية كانت أم عسكرية وذلك "لان الله قد اغلق على الجميع تحت الخطية".

غير أن الشيطان لا يستهدف العالم بطوفاناته الشريرة بقدر استهدافه العذراء والكنيسة. وذلك لكون العالم ميت غرقان في ذاته. وأما العذراء وأما الكنيسة فحية في المسيح ذاته. لذلك ما أن أفلتت العذراء بوليدها المسيح من مياهه في شخص هيرودس حتى راح يصنع عليها حرباً ويثير طوفاناً على باقي نسلها والكنيسة كما هو مكتوب "وظهرت آية أخرى في السماء، هوذا تنين عظيم احمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى

الأرض والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد واختطف ولدها إلى الله إلى عرشه والمرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع معد من الله لكي يعولها هناك ألفا ومائتين وستين يوماً (رؤ١٢ :٣-٦). ولما رأى التنين انه طرح إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الابن الذكر. فأعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرية إلى موضعها حيث تُعال زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحية. فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهر لتجعلها تُحمل بالنهر. فأعانت الأرض المرأة وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح" (رؤ١٢ :١٣-١٧).

إذاً الشيطان استهدف ولا يزال يستهدف المسيح في العذراء والكنيسة ليرفعه فوق الخشبة مصلوباً ويطفئ جمرة ناره وحبه بمياه الطوفان عداءً. لذلك راح يثير عليه هيرودس طاغية وهو وليد، وذهب في طوفانه هذا العديد من الأطفال الأبرياء من ابن سنتين فما دون (مت٢ :١٦). وإذ افلت المسيح الوليد من يديه بهروبه إلى مصر وبحسب إيعاز الملاك ليوسف بذلك، أعاد الكرة عليه الشيطان ثانية وهيج عليه من بعد معموديته ثلاثة أمواج بحرية وتجارب عالمية، وإذ صرع الشيطان في ذلك ايضاً، أثار عليه ثالثة أمواج البحر الكبير بكل طاقاته وظلماته وتياراته ولججه وتنانينه العظام، كما وهيج عليه الجسد بكل أعماله وأعوانه وأشواكه وذلك ليطفئ نار الحب فيه في الصليب. غير أن هذه المعركة كانت المعركة الفاصلة والأخيرة بين الشيطان والمسيح والتي فيها قد اندحر الشيطان اندحاراً ابدياً مطلقاً وانتصر المسيح انتصاراً ابدياً مطلقاً. لا لحسابه هو بل لحساب الإنسان وذلك بالقيامة من

الأموات. وهكذا باتت المحبة الازلية فيه قوية كالموت والغيرة فيه قاسية كالهاوية ومياه كثير ة لا تستطيع أن تطفئها. لانه إن كانت مياه البحر لم تستطع أن تطفئ حياة يونان وهو في بطن الحوت لكونه رمزاً في ذلك للمسيح فكيف تستطيع ذلك في المسيح يسوع نفسه؟

واما من نحو يونان فهو يصف نفسه وهو في أعماق البحر هكذا "دعوت الرب من ضيقي فاستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي. لانك طرحتني في العمق في قلب البحار. فاحاط بي نهر. جازت فوقي جميع تياراتك ولججك. فقلت قد طردت من أمام عينيك. ولكنني أعود وانظر إلى هيكل قدسك. قد اكتنفتني مياه إلى النفس. أحاط بي غمر. التف عشب البحر برأسي. نزلت إلى اسافل الجبال. مغاليق الأرض عليّ إلى الأبد. ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي. وامر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر" (يو٢ :١-١٠).

والآن أفلا ينطبق واقع يونان هذا على واقع يسوع المسيح وهو فوق الصليب وداخل القبر انطباقاً كلياً؟ ألم يترل المسيح كيونان إلى أعماق البحار ويبتلع من حوت الموت وتجتمع فوق رأسه تيارات العالم وشروره ولجج الجسد وآثامه، لكونه محبة كفارية عن خطايا العالم بأسره؟ وهل من عقل بشري أو ملائكي يقدر أن يتصور الأعماق التي قد انحدر إليها المسيح بعدما اكتنفته أمواج الخطايا البشرية وتجمعت فوق رأسه تيارات الشرور الإنسانية؟ فان كان الإنسان الجبار يرتجف تحت ثقل خطية واحدة والعالم يتزعزع تحت ثقل جريمة واحدة والأرض تتزلزل وتنشق تحت خيانة واحدة. ترى كم تكون معاناة المسيح جسيمة وصراعاته ضد

الخطية عنيفة وخطايا البشرية كلها تتجمع فوق رأسه وعلى أكتافه شلالات وطوفانات صاخبة؟

حقاً لو لم يكن المسيح إلهاً وقد ظهر هكذا في الجسد من أجل الإنسان لانطفأ نور محبته وقداسته في وسط هاتيك الشلالات الضاربة والطوفانات المجنونة العارمة والأعماق التائهة المخيفة. ولكن المحبة وكما هي في يسوع المسيح قوية كالموت والغيرة وكما هي في قداسة يسوع قاسية كالهاوية ومياه البشر الكثيرة وخطاياهم الكثيفة لا تستطيع أن تطفئها، لماذا؟ "لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالي هكذا يكون ابن البشر في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالي" (لو١١ :٢٩-٣٠). وهذا ما قد حصل فعلاً وحقاً وكما يقول الكتاب ''انه في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر" (يو٢٠: ١). حيث كان حوت القبر والبحر قد قذف يسوع المسيح من فمه إلى البر بل إلى السماء بل إلى العرش. وظهر هكذا من بعد قيامته لشهود أمناء. ولا يزال يظهر بالروح القدس لشهود آخرين في كل زمان ومكان. وهكذا ايضاً بات الشيطان من بعد قيامة يسوع المسيح عاجزاً عن إطفاء نار محبته ليس في ذاتية المسيح فحسب بل وفي عذرائه وكنيسته كذلك. وهكذا راح الرسول بولس يصرح بقوله "فاني متيقن انه لاموت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله في المسيح يسوع ربنا" (رو٨ :٣٨-٣٩).

فمحبة فدائية كهذه، ونار سماوية كهذه، وحياة أبدية كهذه، إن أعطى الإنسان كل ثروته بدلاً عنها تحتقر احتقاراً. كيف لا والمسيح قد قال "يشبه ملكوت السماوات كنزاً مخفياً في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع ما كان له واشترى ذلك الحقل" (مت١٣ :٤٤). وقال كذلك "يشبه ملكوت السماوات انساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت١٣ :٤٦). أ فليس هذا الكنز المخفي هو ذات يسوع المسيح المخفي عن الحكماء والفهماء ذوي الحقول والعقول والمعلن بالروح القدس والمحبة للاطفال؟ أفليست اللؤلؤة الوحيدة هذه هي ذات محبة المسيح والحياة الأبدية الكامنة فيه؟ والتي في سبيلها يبيع المختارون العالم وما فيه والجسد وما فيه ليستملكوها استملاكاً ابدياً؟ وذلك كوعد الرب القائل "كل من ترك بيوتاً أو اخوة أو أخوات او اباً او أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت١٩: ٢٩-٣٠).

من أجل ذلك إذا ما ربح الإنسان العالم كله وما فيه من أمجاد ومقامات وثروات وخسر محبة يسوع المسيح هذه فهو بائس وشقي وعريان واعمى. لكونه في ذلك إنما يخسر النفس والحياة. لذلك يوصينا الرسول يوحنا قائلاً "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن احب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لان كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته تزول واما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١يو٢ : ١٥-١٧).

والآن فان كان كل ما في العالم قائماً هكذا على الشهوة اصلاً، وهذه الشهوة سائرة هكذا في طريق الزوال وان كانت محبة المسيح يسوع قائمة على الحياة اصلاً وهذه الحياة ثابتة في طريق الأبدية والخلود. فكيف إذاً لا تُحتقر الشهوة العالمية لدى القديسين تجاه المحبة السماوية هذه احتقاراً؟ بل وتباع في سبيلها بيعاً مؤبداً؟

وهكذا أمست العذراء مريم سفينة معبأة بجواهر المحبة النارية فراحت تمخر عباب البحر العالمي الكبير ولم تستطع هاتيك الأمواج العاتية إن تغرق سفينتها وتبعثر لآلئها وتطفئ جمرات حبها. وهكذا صارت العذراء حقلاً تجسدياً يضم كنوز السماء حتى أن كل من يجدها من بني البشر الفقراء يبيع كل شيء ويشتريها. وهكذا صارت الكنيسة التي للقديسين كذلك تاجرة جواهر ولآلئ وحقل كنوز وميراث ومستودع حب ونار وذلك لتغني بلؤلؤة المحبة بؤساء الأرض وتدفئ بجمرة المحبة عراة الشتاء بل ولتحيي بطاقة المحبة في المسيح يسوع موتى الأرض والشتاء.

ولكن هل أنت اليوم في مستوى العذراء وكنيسة القديسين هذا ايتها الكنيسة؟ هل أنت اليوم سفينة نجاة وفلك خلاص وقد ارتفعت فوق أمواج الشهوات وتحت قيادة يسوع المسيح وأنت تحتفظين بالمحبة جمرة ملتهبة؟ أم انك قد هجرت الفلك وكما هو الفلك وتركت السفينة وكما هي السفينة واستهزأت بكرازة نوح وانجيل المسيح؟ واختلطت من ثم مع بنات الناس الحسان اختلاطاً قبيحاً؟ (تك٦ :٢). فجاء الطوفان واطفأ فيك النار واخمد المحبة بل وارتفع بتياراته فوق تلال كهنتك وجبال أساقفتك (تك٧ :١٩). ولِمَ لا؟ ألم تغرقي اليوم بمحبة الفضة وفي داخل مقادس الله ومذابحه يا هميرفة فريسية؟ ألم تغطي اليوم وإلى الأعناق بمحبة الرئاسة ولأجل الرئاسة وما يحبطها من أمجاد باطلة وكرامات زائلة وذاتيات متهرئة يا

كنيسة متعلمنة؟ ألم تختنقي اليوم بأمواج الإلحاد وتيارات الفلسفات المادية حتى بات المسيح في مفهومك المادي المظلم أسطورة قديمة وتمثالاً بين تماثيل الآثار يا كنيسة صدوقية وابيقورية واثينية؟ أو ألم تغرقي اليوم بلجج التدين المزيف وشكليات الدين الكاذب؛ وأنت تعلمين قبل غيرك انه لم يعد في الموقد نار ولا في القنديل زيت ولا في المعصرة خمر بل ولا في السفينة نوح ويسوع يا كنيسة فريسية ناموسية مرائية؟

فإلى العذراء سفينة حقاً وإلى كنيسة القديسين فلكاً يقيناً ياركاب السفينة الإسكندرية والمسافرة إلى إيطاليا (أع٢٧ :٦) والتي صارت الواحاً مجزأة (أع٢٧ : ٤٤). وذلك بتأثير الريح الزوبعية المسماة اوروكليدون (أع٢٧ :١٤).

حقاً لولا وجود الرسول بولس في السفينة والعصب الرسولي في الكنيسة لصرنا اليوم مثل سدوم وشابهنا عموره (رو٩ :٢٩). ولأخذتنا مياه الطوفان اخذاً ابدياً. ولكن شكراً لله بيسوع المسيح لان محبته لنا في الصليب لا تسقط ابداً (١كو١٣ : ٨). والمياه لا تطفئها.

واما أنت يا ملاك كنيسة افسس فعندي عليك انك تركت محبتك الأولى فاذكر من أين سقطت وتُب واعمل الأعمال الأولى. وإلا فاني آتيك عن قريب وازحزح منارتك من مكانها إن لم تُتب (رؤ٢: ٤-٥).

٨- لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان فماذا نصنع لاختنا في يوم تخطب

ترى من عسى تكون هذه الأخت العديمة الثديين؟ أليست هي الكنيسة الأممية الوثنية والمختارة بالروح القدس من كل الشعوب والأمم والقبائل والألسنة؟ والتي

لم يكن لها في الأصل ثدبان ولا قلب. إذ لم يكن فيها محبة للمسيح ولا إيمان به؟ بل للشياطين والأصنام كانت قد كرست القلب والنفس.

ولكن الله بدافع حبه الأزلي-أعطاها في ملء الزمان ابنه الوحيد يسوع المسيح فترع منها قلب الحجر والذهب والفضة والحديد والنحاس. قلب الأصنام وأعطاها قلباً جديداً من لحم هو قلب الحب والإيمان. حينئذ نبت لها في صدرها الثديان الذكيان ورشّحت للمسيح خطيبة. لانه إن كان الثديان في ذاقما الثمرتين الطبيعيتين للحب الدافئ الجنسي فهما كذلك الثمرتان الروحيتان للحب الدافئ الفدائي وفي هذا يقول النبي حزقيال "جعلتك ربوة كنبات الحقل، فربوت وكبرت وبلغت زينة الازيان. نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية، فمررت بك ورايتك وإذا زمنك زمن الحب" (حز١٦ :٧-٨).

إذاً أمست الطاقة الحبيا في المسيح بتقديم جسده ودمه قرباناً على الصليب هي الثورة الخلاقة لهذين الثديين الجميلين فوق صدر هذه الأخت الوثنية الصغيرة. نعم الحب هو الذي ينبت الثديين فوق الصدر ليكسبه جمالاً فتاناً سواء كان في المجال الجنسي أم المجال الروحي. وحيث لا حب في القلب لا ثديان فوق الصدر كذلك. وبالتالي لا جمال ايضاً بل جفاف وعقم وحرمان من الحب وقبح.

وهكذا عاشت هذه الأخت الأممية قروناً عقيمة من دون حب وثديين ومن غير جمال وذوق. وذلك لعدم محبتها للمسيح وإيمانها به. فكانت لذلك قبيحة القلب والصدر. حتى انسكب عليها روح حب من العلاء وخلق فيها القلب جديدا وانبت فوق صدرها الثديين الجميلين وهما كخشفتي ظبية توأمين فجملت بذلك

جداً فخطبت إذاك للمسيح بالإنجيل خطوبة وامست فيما بعد لا اختاً صغيرة أخيرة. بل اختاً كبيرة واولى.

ولكن ما عسى أن يكون ثديا هذه الأخت الصغيرة الكبيرة الجديدة؟ أليس هما جسد الرب ودمه المعمران بالحب والبر والإيمان والفداء والجمال؟ أليس هما المعمودية والميرون الصاـخان بالشهادة والقداسة وروائح المحبة الذكية؟ أليس هما الإيمان والأعمال الناضجتان المتكاملان في الحياة الروحية الجديدة؟ أليس هما عهدا الكتاب العنقودان الزاهيان في الجمال والثديان الفواحان بالحب؟ ولكن إن سميت الكنيسة الوثنية هكذا اختاً صغيرة للمسيح بالتجسد فمن عسى أن تكون أخته الكبيرة إذاً؟ إنها كنيسة الختان ابنة إبراهيم واسحق ويعقوب وابنة الإيمان بالمسيا العتيد أن يظهر مخلصاً للختان والغرلة على حد سواء. أولئك الذين قال عنهم الرسول بولس "الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهاً مباركاً إلى الأبد" (رو٩ :٤-٥).

ولكن أليس من المدهش إذاً أن تصير كنيسة الختان هذه والأخت الكبيرة هذه ذات التراث الروحي الثقيل والكنز النبوي العريض والثديين الإلهيين المباركين (الناموس والأنبياء) اختاً زانيةً عن محبة الحبيب؟ فيتحجر بذلك قلبها ويجف ينبوع حبها ويتهدل بالتالي ثدياها وتفقد حسنها وجمالها؟ وتصير بذلك وحسب قول الرب هذه الأخت الأولى الكبيرة، صغيرة واخيرة وتلك الصغيرة الأخيرة، الأولى وكبيرة؟. نعم قد صار هذا باعتماد الكبيرة على بر الآباء المجرد واعتماد الثانية الصغيرة على بر الله الممجد. باعتماد الكبيرة على البر الذاتي واعتماد الصغيرة على

البر الفدائي والنعمة. باعتماد الكبيرة على مظاهر الدين بروح فريسية ريائية واعتماد الصغيرة على جوهر الدين بروح إنجيلية بسيطة. باعتماد الكبيرة على القومية المتطرفة والعنصرية المتزمتة والطائفية الضيقة والارستقراطية المترفعة واعتماد الصغيرة على الإلهية المنسامية والإنسانية المتفتحة والروحانية المتحررة والفدائية المتضعة الخادمة. من اجل ذلك كله خسرت الأخت الكبيرة هذه، التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد بل المسيح والذي هو منها حسب الجسد والكائن على الكل الهاً مباركا إلى الأبد (رو٩: ٤-٥) وفي خسارتها هذه للمسيح قد خسرت القلب والحياة والحب والجمال مع الثديين. وليس ذلك فحسب بل استسلمت لعمل الشيطان في القتل والكذب والظلم استسلاماً، الواقع الذي شخصه المسيح فيهم بقوله "انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تصنعوا ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لان ليس فيه حق" (يو٨: ٤٤). وهكذا راح غيورهم القديم مار بولس يصارحهم بالقول "لان ليس جميع الذين من إسرائيل هم اسرائيليون ولا لانهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد. بل باسحق يدعى لك نسل أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا" (رو٩ :٦-٨).

إذاً بالعصيان والتمرد وعمل الشيطان بات الأولون آخرين وبالطاعة والإيمان صار الآخرون اولين بل بالإيمان جاء الناس من مشارق الأرض ومغاربها يتكئون في حضن إبراهيم وبعدم الإيمان طُرح أبناء إبراهيم خارجاً حيث البكاء وصرير الأسنان. وهكذا قد تمت نبوة اشعيا القائلة "من صدق خبرنا. ولمن استعلنت ذراع الرب. طول النهار بسطت يدي الى شعب معاند ومقاوم". هذا عن إسرائيل. واما عن الأمم فيقول "وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا

عني". واما موسى فيقول عن إسرائيل "أنا أعيركم بما ليس أمة بأمة غبية أغيظكم" (رو١٠: ١٦-٢١). حتى أن هوشع هو الآخر يقول عن الأمم "وصار الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة" (رو٩: ٢٥).

ايتها الكنيسة الزمنية؟ أتتمخضين كالعذراء بالحب الأزلي وبالروح القدس وقوة الله تلدين المسيح رباً ومخلصاً لإسرائيل وللأمم؟ أتتمخضين اليوم ككنيسة القديسين بآلام الفداء وتلدين لملكوت الله أولاداً مقدسين بالإنجيل؟ كقول الرسول بولس "إني أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح في قلوبكم لأني قد ولدتكم بالإنجيل"؟ (غل٤: ١٩). أم أنك لا زلت حواء القديمة تحبلين بالشهوة وتتمخضين بالخطية وتلدين للموت أشراراً؟ أترضعين اليوم من ثديي الكنيسة الرسولية إيماناً وجهاداً؟ أم أنك ترضعين اليوم من ثديي العالم والجسد نجاسة والحاداً؟ لا يهم ايتها الكنيسة إن كنت للمسيح أختاً كبيرة أم صغيرة بل المهم أن تكوني له أمينة وفية وعلى عهد خطوبتك بالمعمودية باقية وثابتة ليصير ثدياك فوق صدرك اليوم كخشفتي ظبية توامين وهما مملوءان حباً وإيماناً وبراً وحقاً، إيماناً ومعمودية، لاهوتاً وناسوتاً، جسداً ودماً، كتاباً قديماً وجديداً، إنجيلاً ختانياً واممياً، روحاً وحياة، تعليماً وعملاً، جمالاً وفناً، وإلا فيصيران كحديي معزة توامين عداء وشراً، عصياناً ومقاومة، يساراً ولعنة، ظلالاً وتيهاناً.

ألا إلى العذراء أختاً للمسيح كبيرة والى كنيسة القديسين اختاً له صغيرة ايتها الكنيسة التي كادت اليوم تجهل نسبها الروحي وقرابتها الإلهية.

واما أنت يا نفسي فاسمعي صوت المسيح وهو يقول لك "كل من يسمع كلمة الله هو أخي وأختي وامي".

٩- إن تكن سوراً فنبني عليها برج فضة وان تكن باباً فنحصرها بألواح أرز

نعم على ذياك السور ابولسي الاممي والسور البطرسي الختاني يبنى البرج الفضي وبيت يسوع النقي. "لان هذا البيت وهذه المدينة بل هذه الكنيسة لها سور عظيم عال ويبلغ هذا السور مائة واربعاً واربعين ذراعاً ذراع إنسان. أي الملاك" (رؤ٢١: ١٧). وسور المدينة من يشب واساساها مزينة بكل حجر كريم وهي اثنتي عشر اساساً مجوهراً.

والآن فإن كان قياس السور مئة واربعة واربعين ذراعاً، والذي هو حاصل ضرب اثنا عشر في نفسه، وان كان الرقم اثنا عشر رمزاً للاثني عشر رسولاً واساساً للكنيسة البطرسية الختانية. أفلا يكون الرقم الاثني عشر الآخر رمزاً إلى اساسات الكنيسة البولسية الأممية وتوحيداً مضاعفاً لاساسات الكنيسة وفي شخصي بولس وبطرس؟ أو لم يكن الرسول بولس والمفرز لانجيل الله بين الأمم ككاهن (رو١٥: ١٦)، بحجم الأساسيات الرسولية الاثنتي عشرة كلها؟ كقوله "أهُم خدام المسيح. أقول كمختل العقل فأنا افضل. في الأتعاب اكثر. في الضربات أوفر. في السجون اكثر. في الميتات مراراً كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصي. مرة رُجمت. ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهاراً قضيت في العمق. بأسفار مراراً كثيرة. بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من جنسي. بأخطار من الأمم. بأخطار من المدينة. بأخطار في البرية. بأخطار في البحر. بأخطار من اخوة كذبة. في تعب وكد. في اسهار مراراً كثيرة. في جوع وعطش. في اصوام مراراً كثيرة. في برد وعري" (٢كو١١: ٢٣-٢٧).

إذاً الرسول بولس بحجمه الرسولي الوحيد يشكل حجماً رسولياً كالاثني عشر رسولاً. وما العدد المئة والأربعة والأربعين والذي هو حاصل ضرب اثني عشر في نفسه سوى رقماً رمزياً للمشاركة بين الأخت الكبيرة الختانية والأخت الصغيرة الأممية. بين الرسولية البطرسية اليهودية والرسولية البولسية الوثنية. لان المدينة السماوية والكنيسة المقدسة كبرج فضي نقي قد بنيت اطلاقاً على هذين الحدين الرسوليين الأساسيين. لأنه إن كان الرسول بطرس وبقية الاثني عشر يُحسبون في الكنيسة أعمدة كقول الرسول بولس "فان الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ ايضاً للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون انهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم واما هم فللختان" (غل٢ : ٨-٩). فهكذا أيضاً يحسب الرسول بولس في كنيسة الختان عموداً مطلقاً وبحجم الأعمدة الاثني عشر.

والآن فان كان الرسول بولس هذا ختاني المولد واممي الكرازة والبشارة. أفلا يصير كذلك بنفسه موحداً للأساسين الختاني والاممي وضارباً للرقمين اليهودي الروحي والوثني الروحي؟ وان كان المؤمنون طراً حجارة حية مبنيين في برج المدينة والكنيسة وعلى ذياك الأساس الموحد كقول الرسول بطرس "الذي إذ تأتون إليه حجراً حياً مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم. كونوا انتم ايضا مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (ابط٢: ٤-٥). وكقول الرسول بولس ايضاً "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب الذي فيه انتم ايضا مبنيون معا مسكناً لله في الروح" (اف٢: ٢٠-٢٢). أفلا يكونون بذلك حصيلة مضاعفة لضرب الرقم الرسولي

الختاني في الرقم الرسولي الاممي؟ ويكون بالتالي هذا الحاصل المئة والأربعة والأربعين رمزاً لملايين المؤمنين المبنيين على هذين الأساسين الرسوليين المركزين؟

والآن لما كانت الكنيسة المقدسة قد بنيت هكذا كبرج فضي على هذين الأساسين الرسوليين المركزيين، ولما كان هذان الأساسان الرسوليان بدورهما قد أقيما على أساس يسوع المسيح نفسه "لانه لا يوجد أساس اخر قد وضع إلا يسوع المسيح" (١كو٣: ١١). فالكنيسة إذاً مبنية على أساس المسيح بالبداهة. وهذا هو سر بقائها وديمومتها رغم انف الشياطين والمقاومين.

نعم كثيرة هي الأبراج الحديدية التي تبنى بالمشورات الانسانية الصرفة وعالية حتى السماء قببها. ولكن سرعان ما تنهار أمام الزوابع الدهرية العاتية وتهوى إلى الجحيم أمام الأعاصير الزمنية المظلمة والأمواج البحرية المجنونة وذلك لكونها ابراجاً مشيدة على الرمال البشرية ومنظمةً فوق الأطيان الجسدية وامجاداً مبنية على الأنانيات العالمية. وهكذا لاتزال الانسانية المادية المجردة تنشد في أبراجها (الالوهة) وهي في قلبها الجاهل المنتفخ تتحدى اله السماء عظمة وتعالياً وابراجاً، لكونها كسكان بابل القدامى تنشد لها في بناء البرج اسما بدل اسم الله. لذلك لا يزال القدوس الحق هو الآخر يهدم هاتيك الأبراج المشيدة فوق الرمال البشرية الذاتية بطريقة أم بأخرى. تارة ببلبلة الألسنة والافكار والأعمال وتارة أخرى بطوفان مائي يرتفع فوق الجبال، ومرة أخرى بطوفان ناري كبريتي تمطره السماء فوق رؤوس الفجار على التلال. وذلك لتصفية حسابات الخطيئة تصفية تاريخية يوماً فيوماً وترسيخ البرج الفضي في الكنيسة المقدسة يوماً فآخر.

فماذا اذاً؟ أيكون المسيح علة خراب الأبراج الانسانية ودمار الحضارات البشرية؟ حاشا لان المسيح ليس نساناً انانياً يغار من إنتاج إنسان ليوقع به، لكونه قد خلقه على صورته اصلاً. ولكنه اله محبة وفداء فهو يفرح بكل عمل مجيد للإنسان وبرج للمخلوق جليل. كما أن المسيح كذلك ليس الهاً رجعياً ضد التقدم البشري التقني حتى يستهدف هكذا تخريب الأبراج البشرية والحضارات الانسانية لكونه مصدراً لكل علم مجيد وفكر جليل وعمل نظيف ورقي مفيد وبناء للأبراج حصين ومتين. بل وهو الذي قد أمر الإنسان منذ البدء "أن يعمل الأرض" (تك١: ٢٨).

اذاً فسبب خراب الأبراج البشرية ودمار الحضارات الانسانية إنما هو الخطية العاملة في الشيطان والإنسان على حد سواء. والبشرية بواقع تعاقدها مع الشيطان وممارستها الطويلة المزمنة لاعماله فقدت بصيرتها الأدبية وعقليتها الروحية وقداستها الحياتية ونسماتها السماوية وعواطفها الفدائية. ولم تعد ترى واقعها ومصيرها وتشخص عللها. بل صارت وفي أحيان كثيرة ترى النور ظلاماً والظلام نوراً. وتجعل الحلو مراً والمر حلواً. وتقول عن "الخير شراً وعن الشر خيراً" (اش٥: ٢٠). لذلك لم تعد ترى الأبعاد الروحية والأعماق الإلهية لترى أن علتها تكمن في الخطية وان علاجها يقوم في المسيح. لذلك قد اكتفت بمظاهر الأمور ووقفت عند سطحيات الحياة وما هو ضحل في الوجود، طالما هي بدون مسيح وخلاص وأبدية مجيدة. ذاك الواقع المتقلص الذي نراه حتى في تلاميذ المسيح وهم يرينه أبنية الهيكل العظيمة قائلين "انظر هذه الأبنية العظيمة. أجابهم يسوع قائلاً أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض" (مت٢٤: ٢). تلك هي النظرة البشرية المتقلصة القاصرة للأمور وهذه هي النظرة الإلهية المتفتحة

لها. "حقاً الإنسان ينظر إلى العينين والظاهر واما الرب فينظر إلى القلب والباطن" (اصم١٦ :٧).

فالمسيح اذاً وبعينه الإلهية الثاقبة قد رأى الفساد قائماً في الهيكل، فرأى في ذلك مصيره المحتوم رغم المظاهر القوية التي تحيطه، المظاهر التي تخدع الإنسان المادي فتاتي تشخيصاته مغلوطة واحكامه معوجة. اذاً بالخطية والفساد تُهدم الأبراج وبالمظالم والشرور تُمحق الحضارات وبالأنانية والاستعلاء تنهدم الهياكل حتى انه لا يترك حجر على حجر لا ينقض (مت٢٤: ٢). ألم تسقط من السماوات العالية ملائكة بسبب الكبرياء الذاتية وتصبح شياطين؟ كقول الرسول يهوذا "والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم، حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يه١: ٦). "كما أن سدوم وعمورا والمدن التي حولهما إذ زنت على طريق مثلهما ومضت وراء جسد آخر جعلت عبرة مكابدة عقاب نار أبدية" (يه١: ٧). "ألم يجلب الرب طوفاناً على عالم الفجار إذ اختلط أبناء الله مع بنات الناس بالزنى وعمل الفحشاء"؟ (تك٦: ١-٨). أولم يسقط الإنسان وعلى وجه الإطلاق سقوطاً عقلياً بالخرافات، وروحيا باللاأخلاقيات، وجسديا بالشقاوات والميتات؟ فكيف اذا لاتسقط معه وبعله الخطية أبراجه البابلية وحضاراته الأثرية وهياكله السيمائية؟ بل أفكاره المادية وفلسفاته الإلحادية وناطحات سحابه المتعالية؟ لانه إن كان الإنسان وهو رأس المخلوقات كلها وسيدها وباني الحضارات ومؤسسها ينهدم هكذا فكريا وروحيا وجسديا "لان اجرة الخطية هي موت" (رو٦: ٢٣). فكيف اذا لاتنهدم معه حضاراته وبدايات علة الخطية ايضاً؟ كقول الرب "ستكون الأرض ملعونة بسببك". نعم هذا هو الحكم القاطع الذي أعلنه الروح القدس بحق عالم خاطئ كعالمنا قائلاً وبفم الرسول

بطرس "ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها" (٢بط٣: ١٠).

على أن نيران الخطية هذه لا تحرق الأبراج العالمية هذه والحضارات البشرية فحسب بل والأبراج الكنسية الشكلية والهياكل الدينية الاسمية ايضاً. ولم لا؟ لانه إن كان هيكل سليمان قد بني في ست واربعين سنة وبتخطيط الهي ليكون مقراً لعبادة الله وتمجيد اسمه بين الأمم قد خرب هكذا حتى لم يترك فيه حجر على حجر لا ينقض وذلك بعله الخطية والفساد كما أعلن الرب يسوع لتلاميذه. فكيف لا تخرب كذلك الكنائس الاسمية والهياكل الدينية الشكلية عند قيام الساعة بعله الخطية ذاتها؟ وإلا فهل نحن اليوم أسمى روحانية من هؤلاء الذين سبقونا بروح الارتداد عن الله الحي؟ أم أن هياكلنا الآن اقدس من هياكلهم؟ أفلا نشتهي اليوم شروراً كما اشتهى هؤلاء؟ أفلا نرعى أنفسنا دون رعي الخراف كما فعل هؤلاء؟ أفلا نمجد ذواتنا وعلى حساب أمجاد المسيح لنكون بذلك لصوصاً روحيين كما كان هؤلاء؟ أفلا نجعل اليوم هياكلنا ومذابحنا مغائر لصوص واسواقاً للتجارة والأطماع واهدافاً للبطون والجيوب كما فعل هؤلاء؟ هل هياكلنا اليوم مكرسة لتمجيد اسم المسيح بالروح والحق؟ ومدعاه لتوبة الخطاة ورجوعهم الى المسيح؟

نعم إننا نمارس الطقوس جميلة لكنها عن الروح مجردة. ونقيم الصلوات كثيرة ولكنها في القلوب كالثلج باردة. ونؤدي المراسيم جليلة ولكنها عن الحياة والتقديس ميتة. ونلقن الشعب العقائد اللاهوتية صحيحة ولكنها في الرؤوس كمعلومات جافة ونظريات يابسة مكدسة ومشحونة. إننا نبني الهياكل ونعلي القباب والأبراج لا لكي نلتقي بها مع الرب بالإنجيل بل لكي نجعلها للكهنة أسواقاً

وللشمامسة مجالس غناء وللمبتدعين الأغنياء مستعمرات بل للفتيان والفتيا معارض أزياء. فكيف اذاً لا نكون وهياكلنا تحت غضب من الله شديد وفي خراب محقق عتيد وقريب؟ لان، إن كان العالم سيحترق بشره لجهله، فمن باب أولى أن تحترق الكنيسة الاسمية بشرها لمعرفتها. "لانه إن كان الذي يخالف ناموس موسى فعلى فم شاهد أو شاهدين يموت بدون رافة فكم عقاباً اشر تظنون انه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدس به دنساً وازدرى بروح النعمة"؟ (عب١٠: ٢٨-٢٩). "حقاً القضاء من بيت الله يبدأ".

اذاً الكنيسة التي أقامها الله على أساس ابنه يسوع المسيح برجاً فضياً، روحاً وجسداً، سيرة وتعليماً ستثبت في وسط الأعاصير ثبوتاً ابدياً وابواب الجحيم لن تقوى عليها لأنها بيت روحي مؤسس على صخرة "والصخرة هي المسيح" (اكو ١٠: ٤). أما الكنيسة التي أقامها العالم برجاً حديدياً متاكسداً. روحاً وجسداً، سيرة وتعليماً فستسقط سقوطاً عظيماً اذا ما هبت الرياح ونزلت الأمطار لأنها بيت جسدي مؤسس على الرمل. والرمل إنما هو العالم ومن له والجسد وما فيه. وكيف لا تسقط بابل هذه هكذا وهي لا تزال حتى الساعة تحاول بناء برج رأسه في السماء لتنزع بعملها هذا مجد لاهوت المسيح وفدائه انتزاعاً ذاتياً شيطانياً؟ "كيف لا تسقط بابل هذه وقد صارت مسكناً لشياطين ومحرساً لكل روح نجس ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت"؟ (رؤ١٨: ٢). وقد مجدت نفسها وتنعمت لأنها تقول في قلبها "أنا جالسة ملكة ولست أرملة ولن أرى حزناً"؟ (رؤ١٨: ٧). "فمن اجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لان الرب الذي يدينها قوي" (رؤ١٨: ٨). وليس ذلك فحسب بل "تتحول أنهارها زفتاً

وترابها كبريتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً. ليلاً ونهاراً لا تنطفئ. إلى الأبد يصعد دخانها" (إش٣٤: ٩-١٠).

نعم هذه هي الأبراج البابلية وتلك أسسها الرملية وهذه هي نتائجها وتلك هي حرائقها الأبدية. إسرائيلية كانت أم أممية، كنسية كانت أم وثنية، شرقية كانت أم غربية "لانه ليس عند الله محاباه". واما البرج الذي سيثبت والكنيسة التي ستبقى فهو البرج الفضي النقي والكنيسة الفضية المقدسة والمبنية على الأساسات الرسولية والتي صانعها وبارئها هو الله" (عب١١: ١٠). هذه هي المدينة التي قد رسم معالمها الرسول يوحنا بقوله "لها مجد الله ولمعانه شبه اكرم حجر يشب بلوري وسورها عظيم وعال وأبوابها اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً واسماء مكتوبة هي أسماء رسل الخروف الاثنى عشر وسور المدينة مئة واربعة واربعين ذراعاً. ذراع إنسان أي الملاك. وكان بناء سورها من يشب والمدينة ذهب نقي شبه زجاج نقي اساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم وسوق المدينة ذهب نقي كزجاج شفاف. ولا يدخلها شيء نجس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف" (رؤ٢١: ١٠-٢٧).

نعم هذه هي المدينة السماوية والكنيسة المقدسة، المجيدة بلمعانها، المجوهرة باساساتها، اليشبية بسورها، الذهبية بسوقها، الزجاجية بساحاتها، النقية الفضية بأبراجها وقد بنيت هكذا كمدينة فوق جبل والجبل كان المسيح." ذاك الحجر الذي قطع بغير يدين وضرب تمثال نبوخذ نصر على قدميه وجعله عصافة واما هو فنما وصار جبلاً عظيماً وملأ كل الأرض" (دا٢: ٣٤-٣٥). بل وأقيمت (الكنيسة) هكذا برجاً فضياً نقياً فوق صخرة الدهور تلك، المسيح يسوع كحصيلة

لدمه الفدائي منذ أيام الأزل وذلك ليس من الختان فحسب بل ومن الغرلة ايضاً كقول الرسول بولس "إن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل" (اف٣: ٦). وذلك ليس برجاً فضياً فحسب بل ولتكون باباً كذلك لتحصر بألواح من أرز.

والآن فان كان المسيح بحد ذاته فتى كالأرز مجداً وطلعته كلبنان جمالاً كقول الكتاب (نش٥: ١٥). وان كانت الكنيسة الأممية باباً تحصر بألواح الأرز هذه. أفلا تحصر هذه الكنيسة اذاً وتحفظ بألواح قلب المسيح وخشب صليبه وأرز فدائه ولاهوته؟ الم تحفظها هذه الألواح الفدائية من عبادة الأصنام وتنجيها من أعمال الزنى والفجور وسائر الموبقات؟ فخلصتها بذلك من النار الأبدية المستقرة بالخشب الشيطاني والعشب العالمي والقش الجسدي؟ (اكو٣: ١٢). ألم تنقذها هذه الألواح اللاهوتية الفدائية من النزوات والحروب وعمليات الاقتتال وتعطيها من ثم سلام الله الذي يفوق كل عقل؟ (في٤: ٧)؟ ألم تخلصها هذه الألواح الأرزية المجيدة من الشتاء القارص وبرودة الموت ورجفة الجحيم باشتعالها فوق صليب الألم ناراً لتكون لها ربيعاً دائماً دافئاً؟ كيف لا والمسيح قد احترق فوق الخشبة خشباً أرزاً لينير بصيرة الكنيسة الأممية هذه إنارة ويدفيء حياتها الباردة بالخطية دفئاً ويذكي برائحته الذكية حساسيتها الروحية والعقلية إذكاء؟

إن الألواح السماوية هذه والأخشاب السماوية هذه هي التي قد تعاملت مع الكنيسة الأممية في صليب المسيح فجعلتها هي الأخرى باباً للدخول إلى المدينة المقدسة بعدما حصرت بألواح الأرز وموانع الفداء من كل روح نجس وطائر ممقوت حصراً.

اذاً فباب الأمم والمحصور بألواح الأرز والفداء لم يأت باباً دخيلاً على أبواب الرسل الاثني عشر بل باباً مطعماً فيها تطعيماً رسولياً. سواء كان ذلك بكرازة رسول الختان بطرس لكرنيليوس قائد المئة الاممي في قيصرية (اع١٠: ٤٤) أو عن طريق رسول الأمم بولس والمفرز رسولاً للانجيل بين الأمم (رو١٥: ١٦). وباتت كنيسة الأمم مشتركة مع كنيسة الختان في دسم الزيتونة وخشبها يسوع المسيح ربنا وأبوابها الارزية أمست مشتركة في أبواب الرسل الاثني عشر اللؤلؤية (رؤ٢١: ٢١). اشتراكاً لاهوتياً فدائياً واحداً.

ففي الروح القدس اذاً باتت كنيسة القديسين الجامعة الرسولية برجاً فضياً مبنية على سور المسيح واساسه وباباً لؤلؤياً محصوراً بألواح الأرز والفداء منعة ومجداً. بل وفي الروح القدس كذلك كانت العذراء ولا تزال برجاً فضياً مبنية على سور المسيح واساسه وباباً لؤلؤياً محصوراً بألواح الأرز والفداء منعة ومجداً. "لان خارج هذه الأبواب العذراوية والرسولية بمصراعيها الختاني والاممي. الكلاب التي تنهش بعضها بعضاً والسحرة الذين يغشون بعضهم بعضاً والزناة الذين ينجسون بعضهم بعضاً والقتلة الذين يقتون بعضهم بعضاً وعبدة الأوثان الذين يضللون بعضهم بعضاً والطمّاعين الذين يأكلون بعضهم بعضاً والكذبة الذين يخدعون بعضهم بعضاً" (رؤ٢٢: ١٤-١٥).

فأين أنت الآن ايتها الكنيسة وأنت الأخرى ايتها النفس البشرية؟ أ أنت داخل الأبواب العذراوية والرسولية اللؤلؤية محصورة بألواح الأرز والفداء من الخطية؟ أم انك واياها خارج الأبواب تعيشين بين هؤلاء الأشرار وتموتين وتهلكين نظيرهم؟

ألا إلى ذياك البرج الفضي يا ذات الأبراج البابلية والى كنيسة القديسين وعذرائهم يا كنيسة الجسديين، لان، عما قريب ستسقط الصاعقة على الأبراج الحديدية البابلية فلا ينجو سوى البرج افضي المشيد على أساس المصلوب فوق الخشبة ولا تخلص سوى الأبواب اللؤلوية المحصورة بألواح الأرز، خشب الفداء. فهلا تتعقلين ايتها الكنيسة الجاهلة وبألواح الأرز ومانعة الصواعق الفادية تتحصنين وتنجين؟

١٠- أنا سور وثدياي كبرجين حينئذ كنت في عينيه كواجدة سلامة

في المسيح يسوع تقدر الكنيسة أن تكون اساساً وسوراً واحداً وبرجاً. ولكن بثديين اثنين. وفي وحدة مطلقة كهذه تجد الكنيسة السلامة حقاً في عيني الحبيب البار يسوع المسيح. لانه توجد قوة تحت الشمس تقدر أن تنزع الخطية من القلب وترفع البرقع عن العقل وتشق الحجاب من فوق إلى اسفل عن النفس بل تهدم السياج المتوسط أي العداوة عن الروح لتجعل الكنيسة واحدة اساساً وسوراً وبرجاً إيماناً ورجاء ومحبة. إلا قوة ربنا يسوع المسيح ليس إلاّ.

وكل اتحاد لا يقوم على هذا الأساس ويطوق بهذا السور ويصمم كهذا البرج ويُبنى بهذا الروح يكون مصيره الفشل مهما كان التصميم البشري في ذلك محكماً. بل ويكون الاتحاد فيه ظاهرياً لا جوهرياً وذاتياً لا فدائياً. فكيف يستطيع اتحاد قوامه الأنا اساساً وسوراً وبرجاً أن يثبت هكذا اذا ما هبت عليه الرياح ونزلت فيه الأمطار وصدمت جدرانه الاعاصير؟ وهو مشيد فوق ذرات الرمال وأنانيات الرجال؟

نعم القوة المادية كنسية كانت أم عالمية تقدر أن تحقق وحدة شكلية مؤقتة وذلك عن طريق قهر الحريات واستعباد الأفكار واعتقال الضمائر والمتاجرة بالشخصيات،

ولكن ذلك كله إلى حين طالما هو اتحاد مع الخطية والأنا واتفاق مع الشر والنحن وإساءة للانت والهُم. وهكذا أمسى كل اتحاد بشري ذاتي مجرد اتحاد مع الخطية. وكل اتحاد مع الخطية هو انفصال عن الله بالضرورة. ومن هنا يأتي خراب الشعوب والأمم اسساً واسواراً وابراجاً. وإلا أفلا يتحد الظالمون في الظلم والاستغلال؟ والزناة في الفجور والمريقات؟ والبخلاء في خزن الذهب والاموال؟ والقتلة في السلب وسفك الدماء؟ والملحدين في الزندقة وعدم الإيمان؟ والجهلاء في عبادة المجهول وتقديس الخرافات؟ والفريسيون والصدوقيون وبيلاطس وهيرودس على صليب مسيح الله محيي الأنام؟ افليست هذه الاتحادات جميعها اتحادات مع الخطية ولاجل الخطية وفي الخطية وهي ضد الحق في الإنسان جزئياً وفي ابن الإنسان بالصليب كلياً؟ فكيف اذاً نتوقع ثمرة صالحة من شجرة شريرة؟ واتحادا مباركاً من إنسانية بالأنانية فاسدة؟ وابراجاً فوق الرمال مشيدة؟ أم يحسب اتحاد العقيدة من دون المحبة اتحاداً؟ واتحاد الطقس من دون البر اتحاداً؟ واتحاد الرئاسة من دون الروح القدس والحق اتحاداً؟

للعقيدة قيمتها وللطقوس أهميتها وللرئاسة مكانتها. ولكن ما قيمة الجسم من دون قلب؟ وأهمية الشرايين من غير دم ومكانة الأبراج من غير أساس؟ بل قيمة الاتحادات من دون روح وحياة؟ وهل نحن الذين ندين في العقيدة الواحدة ندين كذلك بالمحبة الواحدة؟ والذين نستعمل الطقس الواحد نعيش في سلام واحد؟ ونحن الذين نخضع لرئاسة دينية واحدة نحيا في روح واحد؟ أم أننا ننهش بعضنا بعضاً في إطار العقيدة الواحدة ونفني بعضنا بعضاً في مجال الطقس الواحد ونأكل بعضنا بعضاً تحت لواء الرئاسة الواحدة؟ فأين اذاً الاتحاد الإلهي الصحيح في اساسنا واسوارنا وأبراجنا؟

فماذا اذاً هل مشيئة الله، هي في اتحادات شكلية واتفاقيات ذاتية ولقاءات عالمية وندوات دبلوماسية بقدر ما تكون اتحادات قلبية في الحب ولقاءات روحية في البر وخدمات إنجيلية بالروح القدس؟ بل ما هي قيمة الاتحاد الكنسي العالمي المطلق إن لم يستهدف مجد المسيح أولاً وخلاص الإنسان ثانياً؟ فان كان الاتحاد الكنسي يستهدف هذين الحقين الجليلين بل هذين الثديين الجميلين فطوبى له من اتحاد لانه اتحاد بالروح القدس اذاك. واما أن يستهدف الاتحاد تأليه الإنسان وباسم ابن الإنسان يسوع المسيح بحيث يتعطل خلاص الإنسان فويل له من اتحاد لانه اتحاد مع الخطية وتحت شعار الدين كثيف. بل ومتى استطاع الاتحاد الكنسي الرئاسي الظاهري إقليميا كان أم مسكونياً أن يخلق قديسين لملكوت الله؟ الهدف الرئيس الذي جاء من اجله ابن الإنسان ومات في سبيله رسل ابن الانسان؟ اجل قد يخلق الاتحاد الكنسى الشكلي خطباء ولكن كترتلس وكتّابا ولكن كفولتير وساسة ولكن كغملائيل وكهنة ولكن كقيافا واداريين ولكن كحنان وحكاما ولكن كبيلاطس وملوكاً ولكن كهيرودس ومبشرين ولكن كديماس ورجالاً ولكن كديوتريفوس وأغنياء ولكن كاسكندر النحاس وفلاسفة ولكن كابيقور بل ورسلاً ولكن كيهوذا الاسخريوطي. واما انه يخلق قديسين ويجدد حياة الخطاة فذلك ليس من صلاحيته هو بل من صلاحيات الروح القدس. وإلا فللعالم الحاضر الشرير كذلك اتفاقياته واتحاداته ومعاهداته، ولكن اين هو حبه وصلاحه وسلامه؟ وبالتالي راحته وسعادته؟ بل كيف يكون للعالم اتحاداً أصيلاً مباركاً وحباً قلبياً مقدساً واتفاقاً فكرياً صالحاً وهو كبرج بابل قائم على رمال الجسد وقاعدة الأنا؟

فالاتحاد في المسيح اذاً إنما هو اتحاد في الأساس والبناء، في الأبراج والأسوار، في المحبة والقداسة، في الإيمان والأعمال. اتحاد ليس بكلمة الإنجيل فحسب بل وبروح

الإنجيل كذلك. والى هذه الوحدة الروحية في المسيح يسوع يدعو الرسول بولس قائلا "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم ايضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد. معمودية واحدة. اله وأب واحد لكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم" (اف٤ :٣-٦).
اذاً الوحدة الكنسية الجسدية تستهدف مجد الإنسان، بينما الوحدة الكنسية الروحية تستهدف مجد ابن الإنسان. الوحدة الجسدية تخلق شعباً متحداً ظاهرياً ومنقسماً جوهرياً، بينما الوحدة الروحية تخلق شعباً متحداً ظاهرياً وباطنياً. الوحدة الجسدية تربي جداء لجهنم والوحدة الروحية تربي خرافاً لملكوت النعيم. في الوحدة الجسدية تترعرع الخطية وتنمو وتتأصل حيث تربة الذات وروح الإنسان، بينما في الوحدة الروحية تتربى القداسة وتتأصل حيث تربة الفداء وروح ابن الإنسان (الروح القدس).

والآن فان كان الشيطان يوحد أعضاء الكنيسة في النجاسة ويفرقها بالقداسة، فالمسيح يوحدها بالقداسة ويفرقها عن النجاسة. فقداسة الحياة اذاً هي أساس الوحدة الكنسية الروحية الأصيلة وسورها. كما أن لاهوتها وفداءها هما البرجان والثديان المقامان على ذياك الأساس. واذاك تكون أمام الله في سلام ووحدتها مصانة. لان الكنيسة التي صار المسيح لها اساساً من الحق ثابتاً والروح القدس سوراً ضد الخطية راسخاً والإنجيل والتقليد الرسولي لها في قلبها وفوق صدرها ثديين وبرجين ضداً للنجاسة والبدعة متجذرين، هي مبعث فرح قلب المسيح الحبيب وفي عينيه تكون كواجدة سلامة، لاسيما وهي تنفذ طلبته إلى الآب من اجلها لتكون واحدة قلباً وروحاً، نفساً وعقلاً، اساساً وبرجاً بقوله "أيها الاب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن. ليكون الجميع واحداً كما انك

أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك أرسلتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد ليعلم العالم انك أرسلتني واحببتهم كما أحببتني وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به واكون أنا فيهم" (يو١٧ : ٢١-٢٦).

فالحب اذاً هو الطاقة الأزلية بين الآب والابن والقوة الموحدة بين الابن والكنيسة والطاقة والقوة الموحدة لأعضاء الكنيسة في ذات الحب القائم بين الآب والابن ازلياً. وما هذا الحب الأزلي بطاقته وقوته في ذاتية الله وذاتية الإنسان سوى الروح القدس الذي يجعل الكنيسة تتعاطف مع المسيح المصلوب تعاطفاً بشرياً كتعاطفه معها إلهياً. وبهذا التعاطف الحبي تصير واحدة في أسسها وبنائها ببرجيها وبثدييها.

والآن فكيف لا تكون العذراء هي الأخرى وهذا الواقع سوراً بعذراويتها بعدما حل عليها الروح القدس حلولاً وظللتها قوة العلي تظليلاً؟ كيف لا يكون ثدياها برجين بعدما امسك بهما رب المجد طفلاً وامتص منهما عصارة الحب والعواطف البشرية والكنسية امتصاصاً؟ فلا عجب اذا ما وجدت العذراء بذلك بركة وطوبى. والكنيسة المقدسة سلامة، والإنسانية الجديدة استقراراً والنفس المتجددة طمأنينة، طالما هي في المسيح سور وثدياها برجان.

١١- كان لسليمان كرم في بعل هامون. دفع الكرم إلى نواطير كل واحد يؤدي من ثمره الفاً من الفضة

واما الآن فكما كان لسليمان بن داود كرم في بعل هامون، فللمسيح بن داود حسب الجسد كذلك كرم في بعل العالم (هو الكنيسة). كما يقول النبي اشعيا

"لانشدنَّ عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه. ونقر فيه ايضاً معصرة. فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً" (اش٥: ١-٢). افليس هذا الكرم هو كرم بني إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا فانتظر حقاً فإذا سفك دماء وعدلا وإذا صراخ"؟ (اش٥ :٧). كيف لا والرب الإله قد غرس هذا الكرم فوق أكمة خصبة. هي أكمة الإيمان بالله، إيمان إبراهيم واسحق ويعقوب. ونقى هذا الكرم من حجارة الأصنام وعبادة الشياطين. وبنى فيه برجاً وكنيسة لهداية الضالين من سكان بعل هامون إلى عبادة الإله الواحد. ونقر فيه معصرة خمر رمزاً لعصير الكرمة الحقيقية ودم المسيح الذي يطهر من كل خطية. واحاط الكرم هذا بسياج من الوصايا والشرائع والناموس والفرائض. ولكن رغم ذلك كله فسد هذا الكرم الاسرائيلي وراح يصنع عنباً رديئاً كقول النبي اشعيا. من اجل هذا توعده الرب قائلاً "انزع سياجه فيصير للرعي، اهدم جدرانه فيصير للدوس، واجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك، واوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً" (اش ٥: ٥).

نعم هذا هو قضاء الله على هذا الكرم. فهو ينزع سياجه وشريعته ويسقط حصونه وقوته ويذل مجده فيصير لدوس الشعوب والأمم وتنتزع منه خيراته وتنقطع أمطاره وخيراته السماوية من فوق فيطلع فيه الحسك والشوك وتنبت الشرور والمظالم ويتم خرابه. لماذا؟ لان الله انتظر منه عنباً فصنع عنباً رديئاً.

ولكن نواطير الأرض الداسقين راحوا يتبنون قضية كرم إسرائيل الخرب ويعملون المستحيل لتغطية ذياك العري المشين بثوبهم اللماع الفضي، وتغرسه رغم إرادة الله

كرماً سورقاً فاسداً فتحيطه بأسوارها وتمكنه بقلاعها وتشدده بحصونها وتسلحه بأشواك سيوفها وحسك رماحها بل وتمطر عليه من أمطارها هي ذهباً وفضة وقنية من وراء بحارها كثيرة. ترى ما الذي يستقطبه هؤلاء النواطير الظالمون من كل هذا؟ اهو عطف على شعب يدعي بظلامته التاريخية؟ اهو تعاطف مبدئي وراس مالي اغتصابي بين هؤلاء واولائك؟ أم انه اتفاق لا أدبي ولا أخلاقي بين هيرودس وبيلاطس على صلب المسيح الحق في هؤلاء الناس الأبرياء؟ وبالتالي الحاد وتعطيل لكلمات يسوع المسيح لقائلة "هوذا بيتكم يترك لكم خرابا"؟ أم أن الذي يستقطبه هؤلاء النواطير في كل ذلك جميع هاتيك المظالم والمساوئ معاً؟ ألا فليعلم كرم إسرائيل اليوم ولتعلم معه نواطيره، إن الكرم الذي قد اختصه الرب الإله منذ القديم بامتيازات إلهية على سائر شعوب الأرض من اجل الموعد بالمسيح وانتج من ثم عنباً رديئاً وبات إكليلاً من الشوك في راس المسيح وحسكاً في أعضاء جسم إنسانيته، لهو مرفوض وقريب من اللعنة. بل تدحرج تاج المُلْك واكليل المجد من رأسه وانكسر الصولجان السليماني من يده وتضعضع العرش الداودي من تحته، لكونه للحق بات هكذا صالباً وللرحمة والبر هكذا قاتلاً وذابحاً. لذا فالمخرج الوحيد لهم من هذه الورطة إنما هو التوبة من القلب والإيمان بالمسيح من الروح، ومراعاة روح الحق والإنصاف لسكان الأرض وإلا فسوف لا يترك في مدينتهم ومدينة نواطيرهم حجر على حجر لا ينقض كقول الرب في مثل الكرم (لو٢٠: ٩-١٩).

والآن لكونهم هكذا قتلة لابن الله الحبيب يسوع المسيح وراجمين لأنبيائه ورسله وظالمين لبني جنسه وبَشَره فقد سقط الميراث من أيديهم كهنوتاً ومُلكاً وبنوّة وذلك ليعطى الكرم لامة بارة تصنع عنباً جديداً كقول الرسول بولس "وإذ قال جديداً عتق الأول واما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب٨: ١٣). "وما

هذه الأمة البارة الحافظة الأمانة ذو الرأي الممكن وهي تحفظه سالماً سالماً" (اش٢٦: ٢-٣)، سوى كنيسة التديسين التي في المسيح يسوع والكرم السماوي الشامل من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب لملكوت الله. أما من ناحية كرم إسرائيل هذا فالله لم يترك نفسه بلا شاهد لانهم استؤمنوا على أقوال الله. ففي احلك الليالي افرز الله منهم أنبياء راحوا يوبخونهم على فساد قلوبهم وشرور أفعالهم داعين اياهم للتوبة والإيمان بالمسيا العتيد. ولكن التوبة لم تجد لنفسها طريقاً لقلوبهم ولا الإيمان مقراً له في نفوسهم. بل راحوا يذيقون المرسلين من العذاب الواناً، لخصه الرسول بولس بقوله "وماذا أقول لانه يعوزني في الوقت أن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء. الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً. نالوا مواعيد سدوا أفواه اسود، اطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا في ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء، أخذت نساء أمواتهن بقيامة، واخرون عُذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة افضل واخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود ايضاً وحبس. رُجموا نشروا جربوا. ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم ومعزى. معتازين، مكروبين، مُذلين وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض. فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً افضل لكي لا يكملوا بدوننا" (عب١١ : ٣٢-٤٠).

هذه هي النخبة المختارة التي قد اضطهدت على أيدي إسرائيل الباغية ورؤساء كرم بعل هامون فرسمت بشهادتها واستشهادها صورة الفداء المطلق في المسيح يسوع والمزمع أن يظهر في ملء الزمان فنالت به المواعيد العظمى والثمينة وذلك بالاشتراك مع مختاري العهد الجديد وقديسيه والذين قد أشار اليهم الرسول بولس كذلك

بقولة "لذلك نحن ايضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" (عب ١٢: ١). وقولة ايضاً 'بل قد أتيتم إلى جبل الرب والى مدينة الله الحي. أورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات والى الله ديان الجميع والى أرواح أبرار مكمَّلين والى وسيط العهد الجديد يسوع والى دم رش يتكلم افضل من هابيل" (عب١٢: ٢٢-٢٤). اجل هؤلاء هم الكرامون الأمناء الجدد الذين استلموا كرم كنيسة العهد الجديد فاستلموا فيه كافة السلطات الإلهية والصلاحيات الفدائية لا لتمجيد الذات فيما بعد بل لتمجيد الفداء ولا لهلاك الناس بل لخلاصهم. وهكذا راحوا يؤدون من ثمر الكرم الفا من الفضة للملك سليمان بل آلافاً مؤلفة من الثمر لملك سليمان وسائر الملوك (يسوع المسيح) والذي هو ابن سليمان حسب الجسد. كيف لا والمسيح قد غرس هذا الكرم فوق أكمة صليبه الخصبة بالحب والمعطاءة بالبر واحاطه بسياج إنجيله ونقر فيه معصرة قبر فدائه وبنى فيه برج كنيسته وذلك ليس في بعل هامون بل وفي بعل العالم لكيما يكسِّر أصنامه الذهبية والفضية ويحطم بعوله البشرية، بل وليذبح بحربة صليبه شياطين شهواته وأبالسة أباطيله وسلطات مظالمه.

ولكن أين نحن اليوم من واقعية كرم المسيح وكنيسة قديسيه؟ انحن اليوم كرم سورق مغروس فوق أكمة خصبة يحيطنا الإنجيل سوراً وتتوسطنا ذبيحة الفداء والحب معصرة ويتنصب فينا الروح القدس برجا؟ أم إننا اليوم كرم جفنة في الوديان نصنع عنباً رديئاً إذ لم يُحِطنا إنجيل ولا يتوسطنا صليب ولا يتنصب فينا برج ولا روح قدس؟ فصرنا لذلك للرعي والدوس فنبت الشوك والحسك فينا شهوات محرقة دامية وامتنع الغيث والمطر فلم يعد في الحقول زرع ولا في الكرم عنب ولا في البيوت خمر وحب وفرح. بل خراب وثعالب واشواك وفي الأعناب

حصرم في أفواه الآباء والأبناء وضرس؟ أين هي آلاف الفضة التي يقدمها نواطير الكرم الجديد للملك المسيح؟ بل أين هي النفوس الفضية الغالية والأرواح الذهبية النفيسة التي يأتي بها النواطير والكهنة اليوم من الخطية إلى القداسة، من الباطل إلى الحق، من العداوة إلى المحبة، من الكورة البعيدة إلى الكنيسة من الموت إلى الحياة، من الهلاك إلى الخلاص، من الشيطان إلى المسيح؟ ولسان حالهم يقول مع الرسول بولس "ها انذا يارب والأولاد الذين اعطيتني". وان كان الملك المسيح قد أعطى دمه قرباناً فوق الصليب، من اجل الكرم نواطيراً وشعباً. افكثير إذاً على هؤلاء وأولئك أن يعطوه القلب فضة نقية والروح ذهباً مصفّى والعقل ياقوتاً مرصعاً والجسد ذبيحة بنار الروح القدس مطهرة؟

ألا فليتحفظ نواطير الكرم اليوم من محبة الفضة الفانية وكهنة البيعة من محبة الثروة الطائلة لئلا يصيبهم ما أصاب نواطير كرم سليمان في بعل هامون من قبلهم "لكونهم قد افتديوا لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتهم الباطلة التي تقلدوها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم المسيح" (ابط١: ١٨-١٩).

واما أنت يا كاهن الله العلي، يا ملكاً وكاهناً ونبياً في المسيح، فاعط الفاً من الفضة من ثمر الكرم للملك يسوع المسيح وقل له هكذا "يارب خمس وزنات اعطيتني وها خمس وزنات أُخر ربحتها. حينئذ تسمع الجواب القائل نعما أيها العبد الصالح الأمين كنت اميناً في القليل فاقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك". بل قل له يا سيدي مناك قد ربح عشرة أمناء فيكون لك سلطان على عشر مدن" (لو١٩: ١٦-١٧).

واما أنت أيها الخوري موسى الشماني الكاهن الصغير في عشيقة فالويل وكل الويل لك إن أخفيت فضة سيدك في منديل وإنجيله تحت المكاييل لان دينونتك اذاك لا تتوانى وهلاكك لا ينعس (مت٢٥: ١٤-٣٠).

١٢- كرمي الذي لي هو أمامي. الألف لك يا سليمان ومئتان لنواطير الثمر

لقد احب المسيح كرمه منذ الأيام الأزلية واظهره فوق الصليب في الأزمنة الأخيرة. لذلك صار له عهداً فدايا ضامناً وميثاقاً للسلام مطلقاً. وفي ذلك يقول النبي اشعيا "أنا الرب دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الجب المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (اش٤٢: ٦-٧).

وهكذا قد جاءت دعوة المسيح للكرم دعوة بر ونور وتحرر وخلاص. وميثاقه ميثاق حياة. وهل من ميثاق جليل ومجيد كهذا الميثاق الذي فيه يرتبط الله مع الإنسان ارتباط تجسد وفداء؟ بل وهل من ثورة روحية كهذه والتي فيها يصارع المسيح من اجل الإنسان جحافل الظلمة وكل كوادر الشيطان؟ وهل من حرية كهذه والتي فيها يحرر المسيح انسانه من عبودية الأسياد ومعتقلات جهالاته وزنزانات شياطينه وسجون أطماعه وانانياته؟

"حقاً كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. واما الابن فيبقى إلى الأبد. فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احراراً" (يو٨: ٣٤-٣٦). فكيف اذاً لا يكون الكرم المقدس هذا أمام عيني يسوع المسيح وقد احبه منذ الأزل ومات من اجله في الزمن؟ فان كان الأب الطبيعي يضع أبناءه نصب عينيه حتى تغمض أجفانه غمضة الموت وإن كان رئيس الدولة يضع شعبه قبالته حتى

تقفل عيناه في ساحة الشرف وإن كان الرجل المحب يضع زوجته في قلبه وأمام عينيه حتى الموت والدم. فكم بالحري يضع يسوع المسيح الحبيب الروحاني الأقوى والأعلى، كنيسته أمامه ليرعاها فوق المروج ويحفظها داخل الحظيرة من ذئاب المساء وشياطين الليل؟

نعم يحفظ المسيح كرمه المغروس فوق أكمة صليبه وكنيسته المؤسسة فوق صخرة لاهوته والإنسانية المنطقة من مواقع إنجيله وذلك بحسب وعده القائل "خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي" (يو١٠: ٦-٢٨). ولكن أي كرم هو هذا الذي يضعه المسيح أمامه هكذا ويتعهده بالرعاية والحراسة؟ اهو كرم سليمان الذي قد تحول إلى عوسج وراح يدمي، حياة الانبياء والقديسين ويكلل بالأشواك هامة قدوس القديسين؟ حاشا. اهو الكرم العالمي الشرير والذي قد بات غابة للثعالب المحتالة وكواسر السماء الجارحة وزواحف الجحيم السامة؟ كلا. اهو الكرم المسيحي الاسمي والعائش حسب الجسد واعماله المميتة واركان العالم الشريرة " من شهوة الجسد وشهوة عيون وتعظم معيشة" ؟ ابداً. لكنه بالحق والروح هو كرم القديسين الذين قد صلبوا الجسد مع الأهواء واقتلعوا ومن الأعماق العوسج مع الأشواك وقتلوا الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم مع الذئاب. هؤلاء الذين خرجوا من أورشليم الباغية والدنيا الفاسدة وساروا وراء المسيح وهو فوق العود مصلوباً وقاموا معه لحياة روحية جديدة في البستان منتصراً وامتلأوا من روحه في عليته روحاً مقدساً طهوراً. ومن ثم خرجوا إلى الخليقة كلها بإنجيله شهوداً.

نعم هؤلاء القديسون والمؤمنون الصغار منهم مع الكبار، القدامى منهم مع الأحداث، هم الكرم الحقيقي الأصيل والموضوع إطلاقا أمام عيني المسيح. لذلك لا ثعالب محتالة في هذا الكرم المختار ولا ذئاب شرسة بل حملان وديعة واسود مجيدة، لا غربان فيه ولا لقالق. بل حمام لطيف ويمام أنيس مع بلابل. لا عوسج في جنباته ولا أشواك في أرجائه. بل نرجس شارون وسوسن الأودية. بل ولا لصوص تطلع من مواضع ولا سراق يسرقون في المخابئ بل مختارون يدخلون من الأبواب إلى المدينة وقديسون يرعون حقاً في الكنيسة ومؤمنون أمسوا أغصاناً في كرمه الحقيقة. (يو١٥ :١-٢).

من اجل ذلك قد احب المسيح كرمه المختار هكذا حتى راح يخاطبه بالقول "لاني فديتك دعوتك باسمك فأنت لي. اذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الأنهار فلا تغمرك. اذا مشيت في النار فلا تُلدغ واللهيب لا يحرقك" (أش٤٣: ١-٢). وهكذا جاءت دعوة أغصان الكرم بأسمائها لكونه يقول "دعوتك باسمك فأنت لي. كما وقد دعا الاثني عشر رسولاً بأسمائهم وارسلهم اثنين اثنين أمام وجهه. ولا يزال يدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها من عالم الخطية بالتوبة ويدخلها حظيرة السماء بالإيمان. تلك الأسماء التي "لم تولد من مجرد دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو١: ١٢). وإذ كتبت هذه الأسماء هكذا في سفر الحياة وبسلطان الفداء باتت محفوظة ككرم مختار أمام عيني الله إلى ابد الآبدين. لأن كل الكروم العالمية ستغمر بمياه الطوفان وكل الغابات البشرية ستحترق بنار الشيطان وكل البساتين الجسدية ستبتلع بالبركان ما خلا كرم القديسين فانه محفوظ إطلاقا بيد الرحمن (يو١٠: ٦-٢٨). هذا هو الكرم الذي يعطي الألف من ثمره لسليمان السماء والسلام (الرب يسوع المسيح) والمائتين لنواطيره. لانه كيف لا يطالبنا

المسيح بالألف وهو في ذاته الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر؟ كيف لا يريد منا الحياة كلياً والالف مطلقاً وهو قد أعطانا حياته كلياً والفاً مطلقاً؟ بل اين هو وجه التكافؤ بين الـ حياتنا والف حياته؟ ونحن نعلم أن الف حياتنا لاتعادل وتكافئ الواحد من حياته والقطرة من دمائه. ولكنه إذ كان هكذا سخياً في حبه فأعطانا الألف والحياة إطلاقاً حتى الموت موتاً بالصليب. لنعطه الألف من حياتنا إطلاقاً وحتى الموت موتاً بالصليب.

ألا ما اعظم الفرق بين سليمان والمسيح وبين المسيح وملوك الأرض. ملوك الأرض يستثمرون شعوبهم بالآلاف والملايين ليتصدقوا عليهم وعلى نواطيرهم كسليمان بالمئتين. واما ملك المحبة يسوع المسيح فقد أعطى البشر الفه بالتجسد وملايينه بالفداء، خلاصاً وبنوة وميراثاً وسلطاناً في السماوات سرمدياً، وهو لم يطمع فيهم مادياً سوى بالمذود والقميص المنسوج والقبر المنحوت طمعاً يسيراً. حقاً افتقر وهو غني لنغتني نحن بفقرة. بل صار الذي لم يعرف خطية، خطية لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه.

اذاً يا ملوك الأرض تعقلوا ويا قضاه الأرض تأدبوا ويا أغنياء الشعوب ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة، غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث، ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم في الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة تصرخ منكم وصياح الحصادين قد دخل إذني رب الجنود. قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما في يوم الذبح حكمتم على البار. قتلتموه. لا يقاومكم" (يع٥ : ١-٦).

نعم هذا هو مصير الملوك الظالمين والقضاه المستغلين والأغنياء الطامعين الذين يأخذون ولا يعطون وبسلبون ولا يرحمون ويذبحون ويهلكون. وإن أعطوا فإنما يعطون المئتين والفتات لنواطير الكروم وفعلة الحقول.
ألا مهلا أيها المتنعمون بالدلال اللابسون الأرجوان. لان اليعازر الذي كانت الكلاب تأتى وتلحس تروحه سيقوم في الدين. قاضياً عليكم وحاكما. قد أبيتم على أنفسكم ألا تلتفتوا إلى النواطير، إلا من أعماق جحيمكم ووسط عذابكم. هناك ستحرق آلاف الفضة التي أخذتموها من فعلة حقولكم وتأكلكم كنار (لو١٦ : ١٩–٣١).

واما كنيسة القديسين فقد أعطت هي الأخرى الألف من الفضة لملك الملوك يسوع المسيح والحياة والعيال والمال، واعطت كذلك المئتين من الفضة لنواطير الكرم وكهنة القديسين مراعية وصية الرسول بولس القائلة "من تجند قط بنفقة نفسه ومن يغرس كرماً ومن ثمرة لا يأكل ومن يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل. ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا ايضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون" (١كو٩: ٧-١٤).

وهكذا يتوجب على الكنيسة اليوم كذلك أن تعطي الحياة الفاً وإطلاقاً ليسوع المسيح الذي أعطانا الألف اللاهوتي والمطلق الفدائي أولاً، وان تعطي المئتين كذلك لنواطير الكرم وأساقفة الكنيسة من اجل يسوع ولا سيما للذين يتعبون بالكلمة كقول الرسول بولس "ثم نسألكم أيها الاخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم وان تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من اجل

عملهم" (اتس٥: ١٢-١٣). وليس ذلك فحسب بل وتعطون كذلك فضة لنواطير الدولة وحكّام كرومها كما يوصي الرسول بولس ايضاً بقوله "فإنكم لاجل هذا توفون الجزية ايضاً. إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه فاعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية، الخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام" (رو١٣: ٦-٧).

واما أنت يا إنسان الله فاعط أنت الآخر الألف للمسيح والمئتين لخدامه كنسيين كانوا أم مدنيين لكي تنال من عند الله ما هو اثمن من الفضة الفانية (المسيح يسوع لؤلؤة الحياة الثمينة).

١٣- ايتها الجالسة في الجنات الأصحاب يسمعون صوتك. فاسمعيني

ترى من عسى أن تكون هذه الجالسة في الجنات ويسمع الأصحاب صوتها؟ أليست هي القديسة مريم وقد جلست وبنعمة الرب لا في جنة واحدة بل في جنات عجيبات مجيدات؟ كيف، لا وقد حل عليها الروح القدس حلولاً وظللتها قوة الله تظليلاً؟ والمولود منها هو القدوس الذي يقدس القديسين تقديساً؟ كيف لا تكون العذراء هكذا في الجنات، والجنات بملئها قد دخلتها وملك الجنات قد استوى في قلبها ملكاً ورباً؟ وفي أحشائها إلهاً متجسداً؟

فهكذا إذاً قد جلست العذراء في جنات الله ملكة وفي وسط قديسيه أميرة. و لم لا؟ ألم يقل الرب يسوع "أن نجماً يمتاز عن نجم في المجد وان مجد الشمس شيء ومجد القمر اخر ومجد النجوم اخر"؟ (اكو١٥: ٤٠-٤١). فان كان لص اليمين قد بات بفعل التوبة والإيمان في الفردوس نجماً. وشاول الطرسوسي بفعل التوبة والإيمان مع قوة الاختبار في الفردوس والسماء الثالثة قمراً. وايليا الجبان الهارب من

وجه ايزابل في السماء كوكباً. ابعيدٌ اذاً أن تكون العذراء في الجنات نجماً لامعاً وكوكباً ساطعاً وقمراً منيراً وشمس البر قد تجسد فيها مطلقاً ويسوع المسيح قد ظهر منها بدراً تماماً؟ وان صارت لملك الملوك مركبة وللإله المتجسد عرشاً ولقدوس القديسين أماً ووالدة. أفكثير اذاً أن جلست في جنات الله مجيدة وفي كنائس القديسين عزيزة كريمة؟

واما الآن فكما كان الخروج من الجنة قديماً بعلة امرأة هي حواء الأولى أمنا، هكذا ايضاً قد صار الدخول إلى الجنات بعله امرأة هي حواء الثانية العذراء وامنا المختارة الطاهرة. وكما تركت حواء القديمة وراءها مرثاة حزينة باكية للأجيال البشرية طراً. هكذا حواء الجديـدة العذراء ايضاً قد تركت وراءها ترنيمة شجية ضاحكة للأجيال البشرية إطلاقاً، هي ترنيمة التجسد والفداء. راح الأصحاب وبعد شتاء بارد للخطية يسمعونها في مشارق الأرض ومغاربها كمن يسمع صوت القبّرة في مطلع الربيع. فكيف اذاً لا يشتاق المسيح إلى صوت حبيبته هذه وعذرائه الجديدة هذه وقد وضع صوته في حنجرتها بالتجسد وترنيمته في شفتيها بالفداء؟ وان كانت العذراء قد أسمعت الأصحاب والقديسين صوت المسيح فيها بالتجسد والفداء. فالأصحاب الرسل والقديسون الأصدقاء كذلك راحوا يُسمعون ذات الصوت بالإنجيل. ليس للأصحاب القريبين في أورشليم فحسب بل وللأصحاب البعيدين في أطراف المعمورة كذلك. والى هذا الصوت السماوي الجديد والترنيمة الفدائية الجديدة في العذراء والكنيسة، أشار سفر الأمثال بقوله "الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة، ذبحت ذبحها. مزجت خمرها ايضاً رتبت مائدتها. أرسلت جواريها تنادي على ظهور أعالي المدينة من هو جاهل فليمل إلى هنا. والناقص الفهم قالت له. هلموا كلوا من طعامي واشربوا من الخمر التي مزجتها" (ام٩: ١-٣).

فكنيسة القديسين هي الأخرى وفي العذراء جالسة في الجنات كما يشهد لها النبي داود بقولة "كلها مجد ابنة الملك في خدرها، منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تحضر إلى الملك. في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات. إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن قصر الملك" (مز٤٥: ١٣-١٥).

والآن فمن هي ابنة الملك هذه والتي يتكلم عنها النبي داود هكذا؟ أليست هي العذراء ابنة الملك المسيح لاهوتياً وأمه تجسدياً؟ وقد تمجدت في خدرها التجسدي وجناتها الفدائية تمجيداً؟ أليست ملابسها الذهبية المطرزة هي حياتها الطاهرة وقد طرزت بالروح القدس تطريزاً؟ وإنها بهذه الحلة الجديدة تحضر إلى الملك سواء كان ذلك على الأرض أم في السماوات والجنات؟ أو ألسن العذارى صاحباتها الماشيات في أثرها ليدخلن قصر الملك وجناته، هن العذارى الحكيمات اللواتي خرجن للقاء العريس والكنائس السبع والمنائر الذهبية السبع التي يتمشى فيها المسيح؟ (رؤ١: ١٢ -١٣). اجل بهذه الكرامات الإلهية والأمجاد الفدائية راحت العذراء وكنيسة القديسين تجلس في جنات المسيح وملكوته جلوساً أبدياً.

فأين هي اذاً جنات سليمان وصحبه ملوك الأرض من جنات يسوع المسيح وصحبه القديسين؟ وأين ملابس هؤلاء من ملابس أولئك المطرزة وافراح هؤلاء من أفراح أولئك؟ فجنات سليمان وسائر ملوك الأرض إنما يصفها سليمان هكذا "بنيت لنفسي بيوتاً. غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنات وفراديس وغرست فيها اشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقى المغارس المنبتة الشجر. قنيت لنفسي عبيداً وجواري وكان لي ولدان البيت. وكانت لي ايضاً قنية بقر وغنم اكثر من جميع الذين كانوا في أورشليم قبلي. جمعت لنفسي

ايضاً فضة وذهباً. وخصوصيات الملوك والبلدان. اتخذت لنفسي مغنيين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات فعظمت وازددت اكثر من الذين كانوا قبلي في أورشليم وبقيت ايضاً حكمتي معي. ومهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما. لم امنع قلبي من كل فرح لان قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي. ثم التفت أنا إلى أعمالي التي عملتها يداي والى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" (جا٢: ٤—١١).

نعم هذه هي جنات سليمان والملوك. فهي جنات شهوات جسدية ولذات حيوانية صرفة قد حكم عليها سليمان نفسه بالبطلان وقبض الريح. واما جنات العذراء والأصحاب القديسين فلقد قال عنها الرسول بولس هكذا "لان ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" (رو١٤: ١٧). وقوله كذلك "ما لم تره عين ولم تسمع به إذن ولم يخطر على بال إنسان ما اعده الله للذين يحبونه". إلى أن يقول "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى الأشياء التي لا ترى. لأن التي ترى وقتية واما التي لا ترى فأبدية" (٢كو٤: ١٨). واما الرسول يوحنا فيقول عن هاتيك الجنات المقدسة "والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لان مجد الله قد أنارها والخروف سراجها وتمشي شعوب المخلّصين بنورها وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها وأبوابها لن تغلق نهاراً. لان ليلاً لا يكون. هناك ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلاّ المكتوبين في سفر حياة الخروف" (رؤ ٢١: ٢٣-٢٧).

هذه هي جنات ملك الملوك، ابن سليمان حسب الجسد يسوع المسيح. فهي جنات روحية حياتية دائمية مقدسة حتى أن الذي يأكل من فاكهتها لا يجوع إلى الأبد ومن يشرب من مياهها لا يعطش إطلاقاً. بل يصير فيه الماء ينبوعاً يجري في بطنه انهار ماء حية تنبع إلى حياة أبدية (يو٧: ٣٨). لذلك فلهم فرحتهم السماوية الخاصة وترنيمتهم الفدائية الخاصة كقول الكتاب "سمعت صوتاً من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم. وسمعت صوتاً كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم وهم يترنمون ترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ ولم يستطيع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المئة والاربعة والاربعون الفاً الذين اشتروا من الأرض هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم أطهار. هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتروا من الناس باكورة الله والخروف وفي أفواههم لم يوجد غش لانهم بلا عيب قدام عرش الله" (رؤ١٤: ٢-٥). لذلك فهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لانك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض" (رؤ٥: ٩-١٠).

اذاً لابناء هذا الدهر وعلى رأسهم ملوكهم جناتهم الجسدية الخاصة ولابناء ذاك الدهر وعلى رأسهم ملكهم المسيح جناتهم الروحية الخاصة كذلك. نعم للذئاب الشرسة عواؤها وللحصن المعلوفة السائبة صهيلها وللثعالب المحتالة عواؤها وللخنازير لمغتسلة إلى مراغة الحمأة خوارها وللأفاعي السامة فحيحها وللكراكي واللقالق طقطقة مناقيرها ونقيق ضفادعها. واما الأسود في الإيمان فلها زئيرها وللخرفان الوديعة غثاؤها وللحمائم اللطيفة هديلها وللعصافير المحبوبة زقزقتها

وللبلابل الجميلة أنشودتها بل للكنيسة العذراوية والجالسة في وسط الجنات ترنيمتها وفرحتها وجنتها.

واما الآن فان كانت الكنيسة تُسمع صوتها للأصحاب والاتباع ومن خلال أبواقها السبعة وأسرارها السبعة، افليست ملزمة كذلك أن تُسمع الصوت كذلك للغرباء ومن خلال إنجيلها ذات الأبواق السبعة؟ عملاً بوصية الرب القائلة "اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦ :١٥). كيف لا والمسيح قد مات مصلوباً من اجل الأصحاب والأعداء على حد سواء؟ ولكن إن كانت الكنيسة تسمع صوتها للأصحاب والاتباع فقط. أفلا تتعدى بذلك على روح إنجيل المسيح؟ روح المحبة والفداء؟ والخلاص لجميع أجناس البشر؟ أفلا تسلك وهذا الواقع بمقتضى أنانيتها وانطوائيتها وبرمجتها الجسدية العالمية؟ أفلا تجمد باكتفائيتها الذاتية هذه طاقاتها وتحصر بزاوية أمجاد فاديها وتقطع أوتار قيثارتها ونغمات بشارتها ويبح عن الترنيم صوتها وتتقطع عن الوعظ أنفاسها. وإلا ما عسى أن يكون نوع الصوت الذي تسمّعينه للحبيب المسيح اليوم؟ اهو صوت العذراء حواء الجديدة؟ صوت الحمامة والقبرة؟ أم صوت حواء القديمة صوت البومة؟ اهو صوت القديسين أمام العرش بقيثاراتهم الذهبية؟ أم انه صوت المغنيين والمغنيات في حضرة هيرودس مع هيروديا بقيثاراتهم الرصاصية وحناجرهم الفاسدة القبيحة؟ اهو صوت الأسود والعمالقة الأبطال وهتاف النصر والإيمان؟ أم انه صوت الثعالب المحتالة وبنات آوى المتملقة في نغمات الشيطان؟ هل صوتك اليوم ايتها الكنيسة هو صوت المسيح الصارخ في وجه الشيطان والعالم الشرير والجسد الفاسد؟ أم انه صوت قيافا الصارخ في وجه المسيح ضد الحق في مجمع السنهدريم؟

فإلى الجنات السماوية يا جالسة على انهار بابل والى الأصحاب والقديسين يا عشيرة البابليين والكلدانيين في كورة الجدريين بل إلى صاحب الأصحاب وملك الملوك ورب الأرباب ليسمع صوت الإنجيل فيك يا من بات صوتها بالإنجيل مبكوماً وبالمحبة معدوماً وبالقداسة مبحوحاً.

واما أنت يا نفسي فليكن صوتك صوت المسيح الذي "لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصر وعلى اسمه يكون رجاء الأمم. "واذاك تجلسين في الجنات وتسمعين صوتك للاصطحاب.

١٤- اهرب يا حبيبي كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الاطياب

هذه هي طلبة العذراء ليسوع المسيح حبيبها، هذه هي تضرعات الكنيسة من نحو مسيحها، هذه هي تخشعات النفس المتجددة من يسوعها، وذلك لكي يهرب كظبي من الأرض إلى السماء بعدما اكمل سر التجسد والفداء الذي قد جاء من اجله. فيصعد هكذا إلى حيث كان أولاً كقوله "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وايضاً اترك العالم واذهب إلى الآب" (يو١٦: ٢٨).

نعم انه هروب العذراء بالمولود يسوع من وجه هيرودس إلى مصر كقول الملاك ليوسف "قم خذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لان هيردوس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه. فقام واخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر" (مت٢: ١٣-١٤). وهكذا تمت بهذا الهروب نبوة اشعيا القائلة "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها" (اش١٩: ١). وهكذا نرى الصيادين العالميين راحوا يطاردون

هذا الظبي العذراوي منذ ميلاده، في الهيرودسيين تارة وفي البيلاطسيين تارة أخرى، في الفريسيين مرة وفي الصدوقيين مرة اخرى، ولم يكفوا عن رشقه بحجارهم وسهامهم حتى أردوه فوق الخشبة مصلوباً جريحاً.

ولكن لِمَ هذا التعقيب وتلك الملاحقة المركزة والعداوة المستوطنة لذياك الظبي العذراوي الجميل الجلبل؟ والظبي هذا لطيف بالصيادين، جميل بالهيرودسيين وبالبيلاطسيين، محسن للفريسيين، ومخلّص عزيز للصدوقيين؟ اليس لحسد عميق وحقد دفين لبر ذياك الظبي وجمال قدسه الرائع بين هؤلاء الصيادين الأثيمين أجمعين؟ فراحوا من ثم يصطادونه بكلمة ولسان حالهم يقول "هذا هو الوارث تعالوا نقتله فيكون لنا الميراث". تارة بعلة تعدية للسبت والناموس وأخرى لاعتباره نفسه ابن الله كما هو مكتوب "من اجل ذلك كان اليهود يريدون أن يقتلوه، لانه لم ينقض السبت فقط بل قال ايضاً أن الله أبوه معادلاً نفسه بالله" (يو٥: ١٧-١٨). حيث قد شخصهم الرب بقوله "انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تصنعوا ذاك كان قتالاً للناس من البدء، لان ليس فيه حق. متى تكلم فإنما بالكذب يتكلم لانه كذاب وأبو الكذاب" (يو٨: ٤٤).

وبهذا الروح الحاسد الشيطاني راح ملوك الأرض منذ المذود وحتى الصليب يتآمرون عليه تآمراً حتى قال فيهم النبي داود منذ القديم "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما" (مز٢: ١-٣). التآمر الذي أشار إليه الرسل أنفسهم بقولهم "أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل. قامت ملوك

الأرض واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. لانه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل" (اع٤: ٢٤-٢٧). وهكذا صار رجال الدين في الفريسيين، والساسة في الهيرودسيين بل وفي قياف وحنان كجناح ديني وهيرودس وبيلاطس كجناح سياسي مع إسرائيل وشعوب الارض يقاومون هذا الظبي الإلهي لاجل جمال بره وبرٍّ جماله ليس إلا. ولم يكفوا عن مقاومته حتى قتلوه فوق الخشبة مصلوباً. ولكن الظبي هذا قد افلت من الفخ وقام من الكبوة وهرب والى الأبد من سهام هؤلاء الصيادين الحاسدين الحاقدين وذلك بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء وقفزاته الجبارة فوق العروش والأمجاد كما يقفز الأيل فوق جبال الاطياب.

لذلك لم يصعد هذا الظبي إلى حيث صعد اخنوخ وكفى. ولا إلى السماء حيث صعد ايليا فحسب. بل صعد وفي جسم بشريتنا بعدما كفَّر عن خطايانا بصليبه وقام لاجل تبريرنا بقيامته إلى سماء السماوات، إلى العرش الرفيع فوق كل رئاسة وسلطان ليس في السماء فحسب بل وعلى الأرض كذلك. "سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين أم قوات" (١كو١: ١٦). وذلك "لان ليس أحد صعد إلى السماء (هذه) إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو٣: ١٣).

غير أن صعود المسيح هذا إلى السماء وهروبه هكذا من الأرض لم يكن بعلة ترفع وأنانية لانه سبق ووضع نفسه مع الإنسانية وفي أعماقها بالتجسد والفداء. ولا بسبب خوف من الصيادين الحاسدين والسياسيين المغامرين لانه سبق وتقدم إلى الموت بإرادته "كراع صالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠: ١١). كما ولم يكن

هروبه هذا وصعوده ذاك فشلاً في رسالة وإخفاقاً في دعوة لكونه قد صارع الشيطان ومن معه والعالم ومن له والجسد وما فيه والموت ومن فيه وانتصر عليهم جميعاً بقيامته "وذلك لكونه قد جاء راكباً فوق فرس ابيض طهور ومعه قوس من الحق عدول وفوق رأسه إكليل من المجد وقد خرج غالباً ولكي يغلب" (رؤ٦: ٢). لكن هروبه من العالم إلى السماء قد جاء نتيجة طبيعية لمقامه السامي وجوهره العالي ونسبه السماوي وسلطانه الإلهي. لذلك قد جاء هروبه هذا هروباً بالإنسانية الجديدة من الفساد الذي في العالم إلى البر الذي في السماء ومن الباطل القائم هنا إلى الحق المتربع فوق العرش هناك. ومن القبر إلى العرش حيث تبنى البشرية الجديدة إطلاقاً.

إن هروب المسيح إلى السماء لم يكن تخلياً عن كنيسته وهي لا تزال في العالم قائمة لكونه يقول "بعد قليل لا يراني العالم ايضاً واما انتم فترونني ولكن لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم ولكني أقول لكم خير لكم أن انطلق لانه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي" (يو١٦: ٦). وهكذا سيبقى المسيح في سر تجسده وفدائه وحقيقة قيامته وصعوده وجوهر لاهوته وسلطانه هارباً مختفياً عن عقول فهماء العالم الدينيين والمدنيين، القيافيين والهيرودسيين وحاضراً معلناً في عقول التلاميذ القديسين كتصريحه القائل "أحمدك أيها الاب رب السماء والأرض لانك أخفيت هذا عن الحكماء والفهماء واعلنته للأطفال. نعم أيها الاب لانه هكذا صارت المسرة أمامك.

نعم هكذا سيبقى هذا الظبي المجيد قافزاً فوق التلال، تلال المحبة بعيداً عن سهام المعتدين. ظافراً فوق جبال البر مقصياً عن نبال الدنسين محلقاً فوق قمم السماوات

متحديا عظام المائتين. بل ويقفز بطاقات حبه فوق جبال آثامنا وقمم شرورنا ليطرحها في أعماق البحر والفداء طرحاً مؤبداً.

ألا فإلى ظبي العذراء فوق جبال الاطياب جبال الخيرات والمسرات ايتها الكنيسة ساكنة المنحدرات والى دم هذا الأيل المذبوح فوق الصليب كهابيل يا أبناء قايين القاتلين والهاربين على وجوههم إلى مقابر الخوف. والى هاتيك الجبال العالية يا جميع أبناء لوط المغلوبين من الدعارة في سدوم وعمورة ولكن لا إلى جبال الذات حيث السقوط العميق والفشل الذريع كما كان الواقع في لوط بل إلى جبال الفداء والقداسة حيث الانتصار الساحق على كل شهوة في السكر والخلاعة مجنونة. اجل إلى هذا الجبل وحيث يستقر الفلك بسلام يا جميع ملوك الأرض وأغنياءها الطغاة والذين راحوا ولا يزالون يخفون أنفسهم في المغاير، مغاير الفجور وفي صخور الجبال، جبال السلطة والحكم. "وهم يقولون للجبال والصخور وكافة عناصر الطبيعة القاسية اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف. لانه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف" (رؤ٦: ١٥-١٧)

واما أنت يا نفسي فالى الحبيب الظبي وغفر الأيائل فوق الصليب والى المسيح فوق جبال الاطياب. اطياب الطبيب الحبيب. لتري ما لم تره عين وتسمعي ما لم تسمع به إذن وتري ما لم يخطر على بال إنسان مما قد أعده الله لك ابن الإنسان ورب الإنسان.

واما أنت الآخر يا إنسان الله فوراء الظبي وغفر الأيائل هروباً اهرب إلى السماء من الفساد الذي في العالم لان أيامك أيام شريرة وأزمنتك أزمنة ردة. آمين

الفهرست

The "Song of Songs", also known as the "Songs of Solomon" is one of the books of the Old Testament. It is a sequence of poems celebrating love and relationship between Man (Lover) and Woman (Beloved). Christian interpreters have given the Song of Songs a spiritual meaning, applying this love and relationship to that between Christ, the Bridegroom, and His redeemed people, the Church, You and I, the Bride.

In his book, "The Amazing Covenant", Reverend Father Musa Matti Alshamani presents interpretation of the Song of Songs that follows the above traditional theme. He also portrays the Virgin Mary as the model for this Church, and discusses sexual love in the context of the love between Christ and his Church.

Reverend Father Musa Alshamani interprets each verse in the Songs of Songs. his only reference for his work was the Bible, since no other books on the subject were available to him in his native Arabic. The work took him four years to complete, amid frequent and severe angina attacks that eventually ended his life on the ١٦th of June ١٩٧٦, at the age of ٥٤, shortly after he completed his book.

He was married, with five sons and three daughters.

Written by the Family of the Author
(July ٢٣, ٢٠٠٥)

الميثاق العجيب

في تفسير نشيد الانشاد

الخوري موسى متي الشماني

كاهن كنيسة بعشيقة للسريان الارثوذكس

العراق ١٩٧٤

تقديم

قداسة مار اغناطيوس زكا الاول عيواص

بطريرك انطاكيه في العالم للسريان الارثوذكس

٢٠٠٥